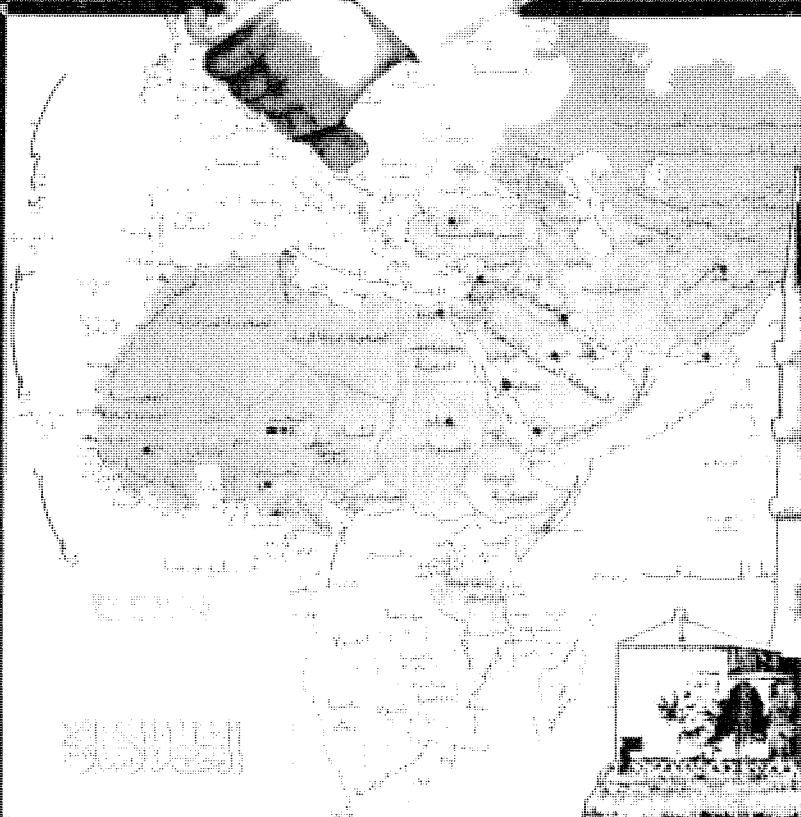
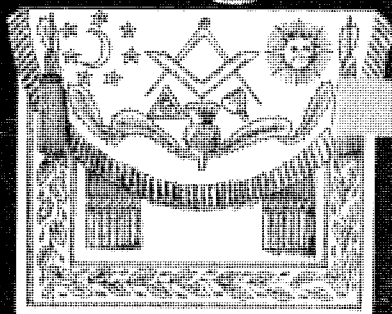
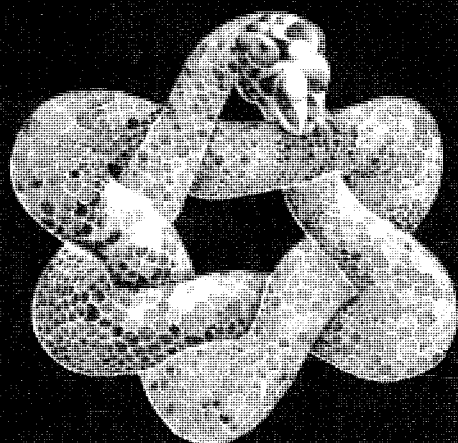


موفق بكفي المرجة

طحوته الرجل اطريض

أو
البرطانو عبد الرحمن الثاني
والله أكبر من كل شيء



الناشر: محمد عبد الله الفايح
مؤسسة محمد الفايح للطباعة والنشر - الكويت



طهارة الرجل اطريـض

و
الشيخ طاهر بن محمد البغدادي
و
الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد

الناشر

أحمد عبدالله الفليج

مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان
الكويت - ص.ب ٤٥٩٤ الصفاة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



Mawaffiq Bany Al Marjeh

Kuwait : P.O. Box 616
Tel 2533558

الكويت ص . ب ٦١٦
هاتف المنزل ٢٥٣٣٥٥٨

طبع في الكويت مايو ١٩٨٤ م مطابع دار الكويت للصحافة « الأنباء » - الكويت



وَاللَّهُ
أَعْلَمُ
بِمَا
تَعْمَلُونَ

آية ثلاثون البقرة ٢٠ كتبه عثمان وبيع سنة ٤٤٠

تقرير علمي

عن رسالة الباحث السوري (موفق بني المرجة)
المقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاسلامية
وموضوعها (السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الاسلامية)

سجل الباحث (موفق بني المرجة) في ١٩٧٧/١/٢٦ موضوع رسالة يتقدم بها لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاسلامية، هو:

(السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الاسلامية)

والباحث المذكور حاصل على درجة الليسانس في الآداب (قسم التاريخ) ودبلوم معهد الدراسات الاسلامية، وينتسب الى اول دفعة للماجستير بالمعهد، ويتصف بالفطنة والذكاء، والصبر والجلد، والقدرة على التعمق في البحث، وقد قضى سنوات طويلة في العمل الصحفي والكتابة، وله مؤلفات مطبوعة قيمة.

اختار الباحث موضوعا له اهميته العلمية القصوى، اذ يدرس فترة حاسمة من تاريخ عالمنا الاسلامي، ويرتبط البحث بمشروع الجامعة الاسلامية التي حاول المسلمون تحقيقها عبر العصور التاريخية. كما يدور البحث حول شخصية السلطان عبد الحميد الثاني، وهي شخصية تاريخية مجيدة، وكان لها دور بارز ملموس في تاريخ العالمين الاسلامي والعربي، واختلف المؤرخون حول تقويم شخصية السلطان عبد الحميد، واختلفوا ايضا في احكامهم التاريخية، نتيجة الصراعات السياسية العالمية، والصراعات الدينية. وفترة حكم السلطان عبد الحميد حافلة بالشخصيات المجيدة التي كان لها دورها الايجابي العميق في التاريخ الاسلامي. كما يرتبط السلطان عبد الحميد بتاريخ الخلافة الاسلامية.

اتبع الباحث اركان المنهج العلمي للبحث التاريخي، وحرص على الطريقة الموضوعية مع المحافظة على التسلسل الزمني، وأجاد تبويب الرسالة، مع الربط بين موضوعاتها مما حقق الوحدة الموضوعية والتكامل التاريخي. ويتضح منهج الربط في الرسالة، اذ يربط الباحث بين أحوال الدولة العثمانية الداخلية، وأحوال العالمين الاسلامي والعربي، والسياسة العالمية، واهتم الباحث أيضا بالربط بين جوانب الحياة السياسية، والدينية والاقتصادية، والاجتماعية. وعقد الباحث كثيرا من الدراسات المقارنة المفيدة، بين عصر عبد الحميد، والعصور السابقة أو اللاحقة.

وحرص الباحث على منهج الحياد الايجابي، فهذا الموضوع تختلف حوله الآراء، في الشرق والغرب على السواء، بل اختلفت العرب والمسلمون في الحكم على سياسة واتجاهات عبد الحميد. ولذا اصبح من واجب الباحث الاطلاع على كل من المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، العربية والافرنجية. والوقوف على مختلف الآراء مهما تعددت وتناقضت، ثم وضعها كلها في ميزان التاريخ، والعقل، والمنطق، ثم اصدار أحكام تاريخية صائبة، بعيدة عن الهوى، خاضعة لمنهج الحياد الايجابي، وقد نجح الباحث في مناقشة الآراء المختلفة المناقشة العلمية الموضوعية الهادئة.

ومن أجل جمع المادة العلمية اللازمة للبحث، تجول الباحث بين عدة دول ومدن أوروبية وعربية. منها انجلترا

والمغرب وتونس ومصر وسوريا والكويت، وغيرها. واطلع على كثير من الوثائق السياسية، كما اتصل بكثير من الشخصيات البارزة. وقضى عدة سنوات في اعداد هذا البحث. وحرص على توثيق الحقائق التاريخية، واهتم بالصياغة العلمية، واتصف اسلوبه بالسلاسة والتشويق والوضوح، وساعده عمله الصحفي الطويل على اجادة اسلوب العرض وطرح الافكار ومناقشتها، فقلمه قلم خبير راسخ.

ناقش البحث كثيرا من المشكلات التاريخية، والقضايا الفكرية، المناقشة الموضوعية المحايدة على اسس من المنهج العلمي، وضم البحث كثيرا من الحواشي المفيدة الخصة التي حوت نبذا عن الاعلام والأماكن والمذاهب.

وبذلك تكون الرسالة — بحمد الله وتوفيقه صالحة تماما للعرض على لجنة الحكم تمهيدا لمناقشتها مناقشة علنية، والله عز وجل ولي كل توفيق وسداد.

أ.د. علي حسني الخربوطلي
استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس
والاستاذ المشرف على الرسالة

اقترح بتشكيل لجنة الحكم على الرسالة:

- (١) أ.د. علي حسني الخربوطلي استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس (مشرفا).
- (٢) أ.د. سيد رجب حراز استاذ التاريخ الحديث ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة (عضوا).
- (٣) أ.د. أحمد جمعة الشرباصي استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة الازهر والاستاذ بمعهد الدراسات الاسلامية (عضوا).



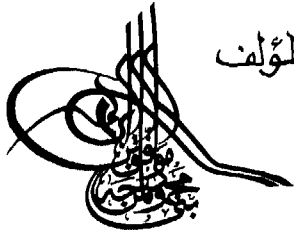
إهداء

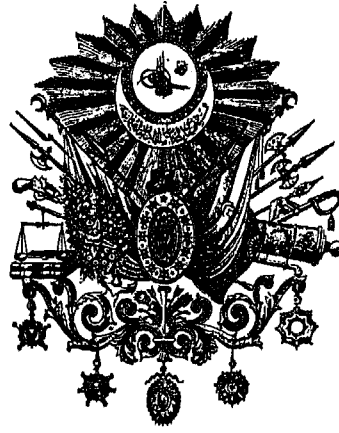
إلى الباحثين عن الحقيقة التاريخية التامة في دهاليز
الاستشراف والتبشير والإستعمار ، والمختفية بين سطور
الوثائق المكدسة في رفوف دور المحفوظات والمتاحف .
إلى الذين ضللتهم موجات الغزو الفكري المعرض
فظلموا بأحكامهم العديد من أبطال التاريخ الإسلامي ،
ورفعوا إلى مرتبة البطولة والتفديس الكثير من المسؤولين
عن الكوارث والنكبات التي حلت بأممنا خلال القرن الحالي .
إلى المؤمنين المجاهدين الذين إسترخصوا الأزواج وأحبوا الشهادة
في سبيل أسننناف حياة العز والمجد والسودد .

أهدي هذا البحث التاريخي ، لله يرزق أرواح الأبطال
الشهداء في مشواهم ، ويلهم المجاهدين إلى درب الحقيقة والإيمان

والنصر المرتقب .

المؤلف





مِنْ أَقْوَاكَ وَمَوَاقِفَ .

السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي

(إنصحوا الدكتور "هرتسل" ألا يتخذ خطوات جديدة في
هذا الموضوع ، فإنني لا أستطيع أن أنخلع عن شبر
واحد من أرض فلسطين ... فهي ليست ملك يميني
... بل ملك الأمة الإسلامية .. لقد جاهد شعبي
في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه .. فليحتفظ اليهود
بملايينهم ... وإذا مُزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم
يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ..
أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ
من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا
أمر لا يكون . إني لا أستطيع الموافقة على تشريع
أجسادنا ونحن على قيد الحياة).

السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي

أُسْتَنْبُول ١٩٠١ م



ضَجَّتْ عَلَيْكَ مَا ذُنُومُنَا بِرُ وَبَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَنَوَاحِ
الْهِنْدُ وَالْهَمَّةُ وَمَصْرُ حَزِينَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ بِمَدْمَعِ سَحَابِ
وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسُ أُمَحَامِنَ الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ مَا حِ
نَزَعُوا عَنِ الْأَعْنَاقِ خَيْرَ تِلَادَةٍ وَنَضُّوا عَنِ الْأَعْطَافِ خَيْرَ وَشَاحِ
مِنْ قَتَائِلِ الْمُسْلِمِينَ مَقَاتِلَةٍ لَمْ يُوْجِها عِزَّ النَّصِيحَةِ وَاحِ
عَهْدُ الْخِلَافَةِ فِيهِ أَوَّلُ ذَائِدِ عَنْ حَوْضِهَا بَيْرَاعٍ نَضَّاحِ
إِنِّي أَنَا الْمِصْبَاحُ لَسْتُ بِضَائِعِ حَتَّى أَكُونَ فَرَاشَةَ الْمِصْبَاحِ

لَا مِيرَ الشَّعْرَاءِ
أَحْمَدُ بَكِي شَوْنِي



وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ رَحْمَةً
إِلَى النَّاسِ، ابْنَتْ لِلنَّاسِ بِرَحْمٍ
أَقَامَ بِهِ الدِّينَ أَرْكَانَ دِينِهِ
فَلَيْسَتْ عَلَى رِغْمِ الْعَدَى نَهْـدَمُ
وَصَاغَ النَّهْيَ مِنْهُ سَوَارِعَ الدِّينِ
بِهِ إِزْدَادٌ مِنْ خُودِ الْحُكُومَةِ مِعْصَمُ
وَكَمْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْرَ
بِمَنْ صُنُوفُ النَّاسِ تَدْرِي وَتَعْلَمُ
وَلَيْشَ تَدْحَتِي الْأَجْنَبِيُّ بِفَضْلِهِ
فَكَيْفَ يُسَيِّئُ الظَّنُّ مِنْ هُوَ مُسْلِمُ
سَلَامٌ عَلَى الْعَهْدِ الْحَمِيدِيِّ إِنَّهُ
لَأَسْعَدُ عَهْدِي فِي الزَّمَانِ وَأَنْعَمُ

لشاعر كعبه الكعبية
جميل أنشدني صدي الزهاوي

السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ... شَاعِرًا !

اللَّهُ تَرَا عَيْنِي مِيدَانِي وَتَبَسَّرَ
بِأَعْيُنِي أَعْلَمَ نَيْتِي مَا نَنْتَ تَكْسَرُ
اللَّهُ دَرَّتْ رَاقِعَةٌ وَتَسْتَعْمُ كِيرِي
اللَّهُ هَبْنِي زَمَانًا بِقُرْبَاءِ دَمِي مَسْرُورِ

(عبد الحميد)

— نموذج من شعر السلطان عبد الحميد الثاني ، بخط يده ، وهو يصور مشاعره
وابتهالاته لله تعالى بعد أن تفاقمت المؤامرات حوله داخل القصر وأطاحت
به ، والنص ورد في كتاب «أبي عبد الحميد» لابنته عائشة .
وما يذكر أن عبد الحميد كغيره من الخلفاء العثمانيين كان يجيد عدة
لغات .. فقد كانوا يتعلمون العربية الفصحى كلغة القرآن ، والفارسية كلغة
الشعر والأدب ، والتركية كلغة الحياة اليومية ، فضلا عن اللغات : الألمانية
والفرنسية والانكليزية وأحياناً الروسية .
أما ترجمة النص الشعري فهي كما يلي :

يَا إِلَهِي إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ الْغَزِيرُ .. وَلَيْسَ أَحَدٌ سِوَاكَ
إِنَّكَ الْوَاحِدَ وَلَيْسَ سِوَاكَ
يَا إِلَهِي خُذْ بِيَدِي فِي هَذِهِ الْيَمْنَةِ
يَا إِلَهِي كُنْ عَوْنِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْحَاسِمَةِ



كلية الناشر

بسم الاستاذ
المعلم عبد الله الفتيان

عزيزى القارىء...

مرة أخرى أعود ناشراً مع كتاب الصديق موفق المتضمن بحثه الأكاديمي حول: (السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية) بعد أن إلتقينا معا مرات عديدة عندما أصدرنا سلسلة (كتاب الانوار) والذي صدر منه أربعة مجلدات خلال الاعوام (١٩٦٣ الى ١٩٦٦م) حول «ملاحم النهضة الكويتية الحديثة» وقد كانت تلك الابحاث والدراسات ومازالت تعتبر مرجعا رائدا للباحثين حول مختلف نواحي النهضة في كويتنا الحبيب.

وفي عام ١٩٧٩م أصدرت للصديق موفق مؤلفه «عودة الى أم القرى» الذي حظي منذ صدوره بتقدير فائق من مختلف الاوساط الفكرية والثقافية في الكويت والعالم العربي.

أما كتابنا الذي بين يديك: (صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية)، فقد رافقت الصديق المؤلف في جهوده التي بذلها خلال اعداد هذا البحث عبر خمس سنوات متواصلة، بحثا وتنقيبا ولقاءات ورحلات وأسفاراً، حتى امكن له جمع هذا الحشد الكبير من الحقائق والوثائق التي أماطت اللثام عن الكثير من الأفكار والألغاز والأسرار في تاريخنا العربي الحديث والمعاصر. وحينما عاد المؤلف من القاهرة واستمعت الى اشرطة تسجيل المناقشة المطولة التي أجرتها اللجنة المكلفة بمناقشة البحث في المعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة، تأكد لي من خلاها أي جهد بذل في إعداد الرسالة، وأية نتائج أسفر عنها ذلك البحث التاريخي الرصين.

بعدها بادرنى الصديق موفق قائلاً: الآن إنتهت مهمتي لتبدأ مهمتك كناشر لهذا المؤلف، أدركت جسامه التبعة الملقاة على عاتقي، لاسيما بعد ان تصاعدت تكاليف الطباعة والنشر، وأصبحت أضعاف أضعاف ما كانت عليه في أيامنا الأولى في الستينات.

وعكفت على مطالعتي صفحات البحث كقارىء وكناشر، في آن معا، ووجدتني امام أطروحة تاريخية علمية منهجية، أشبه بانقلاب فكري في حياتنا الثقافية، فهو لم يتورع عن التصدي لأخطر الطروحات التي إرتقت في أذهاننا الى مستوى العقائد، فاذا به يفضح زيفها، ويكشف خداعها ويقدم الاسانيد والوثائق والصور التي تدعم وجهة نظره، المخالفه للكثير من تلك الافكار التي درجنا عليها، منذ أكثر من نصف قرن، في ظل الغزو الفكري، الذي إجتاح مناهجنا التعليمية، ومؤلفاتنا التاريخية، إبان هيمنة العهود الاستعمارية، على مختلف بلدان عالمنا العربي والإسلامي.

وحينما قارنت بين الخسارة المادية المؤكدة التي سأتكبدها، من نشري لهذا المؤلف الضخم باعتباره مشروعاً غير رابح، وبين الربح المعنوي والطمع في المشوية من الله تعالى، الى جانب الأمل في أن يلاقي التشجيع والإقبال، من قبل المخلصين من أبناء الأمة العربية والاسلامية، من يهتمهم الاطلاع على الحقائق التاريخية التي إنطوى عليها البحث، لم أتردد في دفعه للمطبعة واتخاذ الترتيبات اللازمة لنشره مهما كانت التضحيات.

وما شجعني أكثر، عندما جاءني الصديق موفق ذات يوم، مستبشراً وأطلعني على المقدمة الرائعة التي دبجها أديبنا الكبير الاستاذ الدكتور شاكر مصطفى (استاذ التاريخ بجامعة الكويت) منوها بقيمة البحث ومضامينه، وبالجهد الطيب الذي بذله الباحث سعيًا وراء الوصول الى الحقيقة التاريخية، وكانت بحق شهادة رفيعة من قلم منصف مرموق نعتز بها كلانا، المؤلف والناشر معاً.

وما أثلج صدري ان الكتابات المنصفة تالت في مختلف صحف ومجلات الكويت والخليج العربي وفي عدد من صحف ومجلات العالم العربي، وقد أجمعت كلها على الاشادة بالبحث والباحث وبالنتائج والحقائق الجديدة التي توصل إليها، مما غرس الأمل في النجاح الذي نرجوه في صدور هذا الكتاب.

وقد شاءت الأقدار ان يتأخر الصدور نحو ثلاث سنوات، بعد ان كنا قد باشرنا بالطباعة فعلاً، ثم اضطرونا لإيقاف الطباعة، نظراً لسفر المؤلف الى بريطانيا في اجازة دراسية للحصول على الدكتوراه، من جامعة (اكستر) وكانت إقامته هناك فرصة سانحة لتعزيز البحث لمزيد من الوثائق البريطانية والمصرية والتركية.

وها نحن نعاود طبع الكتاب فور عودة المؤلف من بريطانيا آمليْن أن يكون في صدوره وتداوله، في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها امتنا، ما يسهم في تعميق الوعي بحقائق أوضاعنا، وفي تحقيق الخير لأمتنا.

وأخيراً لا يفوتني ان أعبر عن الشكر والتقدير لشركة (دار الكويت للصحافة - مطابع الأنباء التجارية) التي تولت طباعة هذا الكتاب، وعلى رأسها الاستاذ عهدي المرزوق رئيس مجلس الادارة والعاملين بالدار من اداريين وفنيين كافة، كما اسجل شكري للفنان طلعت يوسف الذي أبدعت رشيته الغلاف المعبر، والفنان رضا علي مصطفى الذي أخرج صفحات الكتاب وللخطاطين حسن حلاق ومحمد وأمين مؤذن وعلي حسن أحمد الذين أبدعوا بخطوطهم الجميلة وللاستاذ سليمان السكسك الذي زودنا ببعض اللقطات التاريخية ولكل من أسهم وشجع في إصداره بهذه الصورة المشرقة، ضارعاً الى الله تعالى ان يكون في نشره مانرجوه من فائدة وخير للأمة العربية والاسلامية.

والله الموفق،،،

الناشر
محمد عبد الله كفلجي

مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت

الكويت في: ٢١ جادى الاخره ١٤٠٤ هـ
الموافق: ٢٤ آذار (مارس) ١٩٨٤ م

نحو من النقد

للدكتور / شاكرو مصطفى

أمين عام لجنة التخطيط، الشامل للثقافة العربية

بوسعك أيها القارئ أن تجاوز هذه الكلمات الى الصفحات التي تليها دون أن تخسر شيئا فانها لن تضيف الى ما تريد من العلم شيئا، انما من هذا السفر ومن موضوعه ومن الجهد الذي بذل فيه لست أكثر من واد عمرو، ولولا الصداقة التي دعنتني فألحت من جهة والتقدير للعمل الطيب الذي دفعني فألحف من جهة أخرى ما تصدرت الأسطر الأولى من الكتاب، ولا غازلت الحروف.. أهذه هي الدواعي كلها؟

الواقع أن ثمة شيئا آخر.. ثمة كلمة يجب أن يقال بين يدي الموضوع الذي يشره هذا البحث.

فاذا كانت المقدمات نوعا من حمل المصباح الهادي والاشارة كالأدلاء في المتاحف، الى هذه الفكرة هنا والى تلك الاصاله هناك فان المشوار طويل طويل مع هذا الكتاب... بل طويل ومملوء بالمصائد والأشراك ولذع الشوك وعنف الجدل! وقد كفاني الصديق صاحب البحث مغبة المشوار بمقدمته التي لخصت الكتاب في كتيب يزيد على أربعين صفحة جمعت فأوعت وعرضت للمثير والجديد والجدلي في آراء المؤلف وأفكاره المزروعة على الصفحات..

واذا كانت المقدمات نوعا من قصائد المديح تصرخ على أعقاب الكتب كما ينادي الباعة على بضائعهم بالغزل والاطراء فلطالما كرهت تلك القوافي المراثية وما صاحبي بالذي يطلبها مني أو يرضها أو يحتاجها. ان الليالي الطويلة التي قضى في البحث، والأسفار التي حفى فيها وراء الوثائق والحقائق وتصيد الأخبار والأسرار، وتلك الجموع من السياسيين وأصحاب العلم والمذكرات وسدنة المكتبات وبقايا العهد الحميدي الذين قابل وأخذ معهم وأعطى، وأخيرا تلك الحصيلة الواسعة من الوثائق والخرائط والمصادر والمراجع التي تملأ الصفحات الاخيرة من الكتاب.. كل أولئك انما هي شهادات للبحث بالثقة والتقصي وانما قدمها المؤلف زلفى بين يدي أفكاره... وما في تلك الافكار من احتمالات الجدل والمفاجأة وقلب القيم.

ان هذه المقدمة انما كتبت لتقول كلمة في هذه النقطة الأخيرة.

الاخ الصديق موفق ركب حصانه في هذا السفر وهجم بالرمح والسيف والسهام على مستعمرة مستقرة من أعشاش الافكار ومن الاحكام المطمئنة في الحياة وعلى أشباه من الحقائق أحالها التكريس والتكرار بدهيات لا يكاد يأتيها النقض من بين يديها ولا من خلفها. ولست أشك في ان الكثير من الاقلام سوف تستحيل أسنة بعد قراءة هذه الصفحات ترد على الهجوم بهجوم وعلى النقع بالنقع... الكثيرون يعز عليهم أن تهب أي عاصفة فتتهز نظامهم الفكري أو تهوى بأصنامهم مرقا على التراب.. الكثيرون لا يستسلمون بسهولة للانقلاب وبخاصه في الفكر،

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ (٢٢))

(سورة الزخرف — الآية ٢٢)

وليس يعني هذا أبدا أنني مسلم بما جاء به الاخ الصديق في كتابه من الرأي، موافق على كل ما يرى فلقد أكون أول المجادلين في الكثير منه. وانما أقدمه لأنني أختلف معه... وأختلف أحيانا الاختلاف الكبير ولعله ما اختارني لتقديم كتابه الا لأنه يعرف من أفكاره ومواقفي النقيض والمخالف.. ويعرف الى هذا، أو قبل هذا أنني أحرص على فتح صدري للرأي المخالف حرصي على فتح فمي بقناعاتي الخاصة وبآرائي. ان الفكر المخالف يضيء الفكر بأكثر مما يضيئه الفكر الموالي الصديق!

ولكن الكثيرين لا يحتملون هذا الذي أقرر وأحتمل.. ولو كان الكتاب في التاريخ، وفي الفكر الذي لا يمس السياسة اليومية هان الأمر ومضت أسطره في عتمة الرفوف، ولكن الكتاب يتناول مشاكل مطروحة بقوة في هذه الايام، مشاكل هي اليوم أجراس الساعة عالميا ومحليا.

ليس موضوع الكتاب فقط هو «الجامعة الاسلامية» قبل ثمانين سنة ولكنه بحث في جذور «المارد» الاسلامي الذي استيقظ الآن أو تخشى القوى الكبرى أن يكون استيقظ... وهي تمص من دمه! رياح السياسة العالمية تدق بالطبول حول «الاسلام» وتسأل على الرعب: ما قوته؟ ما ثورته؟ ماذا تريد؟ ماذا يمكن ان يهز من التوازنات ويدمر من المصالح؟..

وليس موضوع الكتاب فقط من جهة أخرى هو اعادة تقويم الدور العثماني في المنطقة العربية واعادة الاعتبار الى «الرجل المريض» ولا كشف حقيقة «السلطان عبد الحميد الثاني» الذي تمتد صورته ما بين السلطان الاحمر الرهيب والسلطان المسلم العامل لمجد الاسلام. المشكلة هنا أعمق من ذلك بكثير. انها تتناول أسس الفكر السياسي في المنطقة العربية اليوم وأعمدة هذا الفكر التقليدية.. والمؤلف الصديق يوغل تارة وراء الوثائق والحقائق فعل الباحث الموضوعي المدقق وتأخذه تارة أخرى غواية العمل الصحفي الذي يفترسه منذ سنين طويلة فيركض وراء المثير والغريب من الخبر ومن الأحكام ويزرع الصفحات اثارة وجدلا.. كأنما كان قصده أن يهز الهيكل المستقر لا أن يصل الى الحقيقة.

ان دور «زارع الشكوك» دور مفر جذاب ولقد اختاره راضيا طائعا. ان اقتنعت بما يثير فان الرجل أضاف الى فكره وعلمك شيئا وان لم تقتنع فانك على أي حال مدعو الى مراجعة آرائك ومعلوماتك، مدعو الى اعادة تكوينها بتدعيم ما انهدم أو ترميم ما تصدع... ولكن العاصفة لا تمر على أي حال دون أن تترك في جبينك بصماتها والملاح.. وبعض طعم الرماد!

وليست هذه الأيسر بالمجال المناسب لاثارة الجدل مع الصديق المؤلف ولا أجيز لنفسي أن استغلها لمثل هذا الحديث.. ولو شئت اذن أضفت الى مقدمته الجديدة مقدمة أخرى من مثله. ولكن هذا البحث أعادني - ولعله سيعيدك أيها القارئ مثلي - الى المشكلة المركزية في فلسفة التاريخ.. الى قيمة «الحقيقة» التاريخية. الى مدى تطابق التاريخ مع الواقع الذي يرويه.. واذا كانت الشخصية الواحدة يمكن أن تكون في وقت واحد هي «دكتور جيكل» و «المستر هايد» فأين اذن الحقيقة؟ وأين الحكم الصحيح والعاقل في هذا الذي يروى حول الماضي من الركام ومن سيول الصحف؟ والحديث؟

بول فاليري الشاعر الفرنسي المعروف كتب ذات يوم: (اننا ما نزال من التاريخ في حالة الاعتبار النظري والمراقبة المضطربة. التاريخ يبرر ما نريد. انه لا يعلم شيئا بدقة وحزم لانه يشتمل على كل شيء. ويقدم المثل على كل شيء... التاريخ أخطر محصول أنتجته كيمياء الفكر... أليس الحق مع فاليري يا ترى؟ أليس

صحيحاً ان نقول ان الحقيقة التاريخية ليست أكثر من وجهة نظر؟... وان التاريخ لأعقد بكثير من أن تفسره أو تحيط به وجهة نظر؟

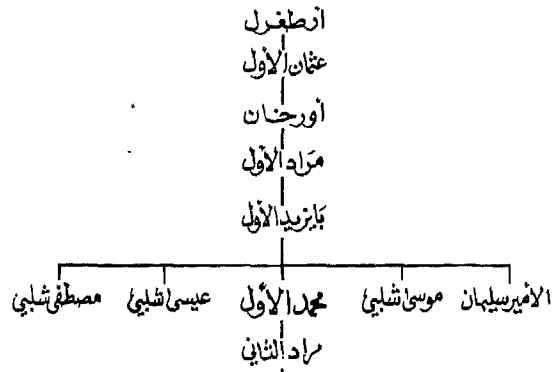
يبقى من الحق بعد هذا أن نفسح المجال لوجهات النظر المتعددة يبقى ان نفتح نوافذنا للرياح الاربعة . ان نتقبل بدرجة الرضى نفسها الرأي ونقيضه . ونساوي بين اللعن والتقديس — لانهما من طبيعة واحدة — حتى يأتينا اليقين... ان كان في التاريخ من يقين!

وهذا الكتاب اذن وجهة نظر. وأيا كان موقفك منها فانك لا بد أن تعطيهامكانها من التفكير والتدبر. بلى! ان صاحبه ذبح فيه بعض البقرات المقدسة. ولكن أليس يستحق لهذا نفسه ان يقرأ وأن ينزل ساحة الجدل وأن يأخذ مكانه لا من المكتبة العربية ولكن من الفكر العربي؟

شاكر مصطفى

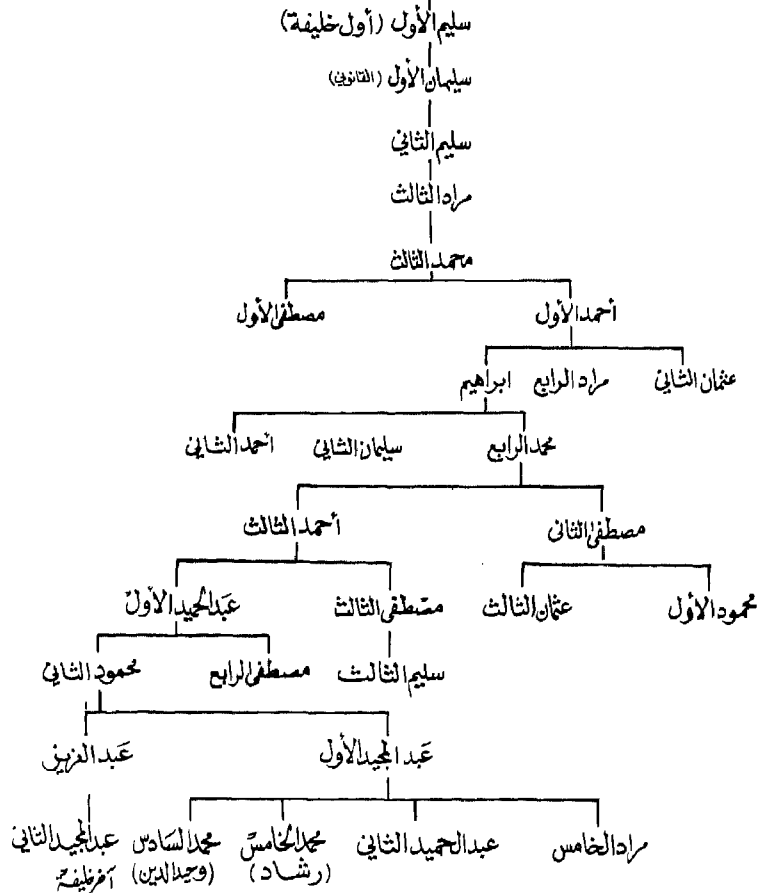
السلاطين والخلفاء العثمانيون

السلاطين العثمانيون



محمد الثاني (الفاتح)

الخلفاء العثمانيون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

مطالعة سير الأمم، وتاريخ الشعوب والحكام، هواية محبة، شغفت بها منذ اليقاعة، وقد كلفتني الكثير الكثير..

كلفتنني نقودا صرفتها ثمنا لكذب، في مرحلة مبكرة من العمر، بحثنا عن معرفة الحقيقة النائية، ولم أكن أدر أي خطر يجري وراءه.

وكلفتني في مرحلة النضج والشباب وحمل المسؤوليات، غربة مبكرة عن الديار والأهل والخلان. ذلك أن المعرفة في بلادنا، وفي عصرنا الحالي، مشكلة من أكبر المشاكل، ولكم تمنى الكثيرون من العارفين، لو أنهم لم يعرفوا..

ولقد شاعت الأقدار أن أولد في غمرة اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م)، وأن أعيش في خضم شلال هادر من الثورات والاضرابات وكذا الاحداث المتفجرة، وسط مدينة دمشق النابضة بدفق العروبة والاسلام والثائرة أبدا على الطغاة والجبابرة.

وقادتني مطالعاتي المبكرة، ومشاهداتي للاحتفالات بذكرى البطولة وتكريم الشهداء، للتساؤل عن اسرار القوة والضعف، وبواعث النهضة وأسباب الانحدار.

وعندما تمكنت مني هواية التاريخ والبحث التاريخي، كنت اقلب باشمئزاز صفحات لكتاب «دراسات عن المؤرخين العرب» للمستشرق «مارجوليو» فقد حفل ذلك الكتاب بأكبر قدر من الخط من شأن العرب، والدس على تاريخ الاسلام والمسلمين، في قضايا صغيرة وكبيرة، لا فرق، وجلها يصدر عن تجاهل لا عن جهل، ومن تلك الاغاليط الصغيرة، اتهام المؤرخين العرب بالتأخر في تدوين تاريخ صدر الاسلام، الى ما بعد سقوط عهد بني أمية، خشية من بطشهم، مع ان الثابت أن السيرة النبوية وسيرة الراشدين بدأ تدوينهما في حينها، وتناقلهما المسلمون بعناية واهتمام واكبار، أما التهمة الكبيرة التي ساقها بحق المؤرخين العرب والمسلمين جميعا، فهي انهم كانوا مؤرخين «رسميين» متجاهلا ما تناقله المؤرخون عن سيرة الطبري من أنه كانت تمنعه كبريائه من اخذ هدية لا يمكنه ردها بأحسن منها حتى ولو كانت من وزراء أو أمراء..

ولا يترك «مارجوليو» واحداً من مؤرخينا دون تحريج بدءا بالهيثم بن عدي المولود عام (١٣٠هـ) الذي اتهمه على لسان جاريته بالكذب للاقلال من قيمة سبقه في اعتماد مبدأ التاريخ باليوم والشهر والسنة وحرصه على اسناد رواياته بدقة، ويهاجم البلاذري كما يتهم ابن قتيبة بالاهمال ويصف اليعقوبي بالتقصير والجنوح والخيال، ولا يوقر ياقوت الحموي، بينما يشيد بمسكويه الفارسي لتحيزه ضد البويهيين ولما اشتهر عنه من استخفاف بالدين، وحتى ابن الخطيب وابن عساكر وابن الجوزي وأبو الفدا وابن خلدون لم ينجوا من اتهاماته وتحريجه، كما أنه يقلل من قيمة جهود المقرئزي وابن اياس، ويصور للعالم أن كل ما قرأه عن حضارة الاسلام وأمجاده هراء في هراء..

وبحثت عن كتاب ينصف هؤلاء الرواد، فلم أجد..
ومررت بمواقف عديدة اكتشفت فيها أنني أعرف عن «جان دارك» أكثر مما أعرف عن شجرة الدر، كما
أعرف عن «مونتيسكيو» أكثر مما أعرف عن الماوردي، بل أنني أعرف عن «نابليون بونابرت» أكثر مما أعرف عن
قتيبة بن مسلم الباهلي.

وعزمت على تعميق مطالعاتي لتوسيع دائرة معارفي، فقرأت عن محمد صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب
وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وهارون الرشيد والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبي والسلطان عبد الحميد،
وشهداء ٦ أيار (مايو) ١٩١٦م، ووجدتني أخرج بحصيلة مؤسفة ومؤلمة من المعلومات:

فمحمد صلى الله عليه وسلم كان له تسع زوجات! وعمر رضي الله عنه انتقم من خالد رضي الله عنه لعداء
جاهلي قديم فعزله! وهارون الرشيد شغل عن ملكه بزبيدة وأبي النواس وأبي دلامة! والحاكم بأمر الله انتهى
مجنونا! وصلاح الدين الأيوبي هادن ريتشارد قلب الأسد أكراما لعيني شقيقته! والسلطان عبد الحميد الثاني
ثعلب أحمر وطاغية فاسد ومفسد! وشهداء ٦ أيار مجموعة من الشبان الذين افتدوا العروبة بدمائهم وشيدوا صرح
الاستقلال بجماجهم!!

وخرجت من مطالعاتي بصورة قائمة لتاريخنا العربي والاسلامي، بعد ان اهتزت صور أجمل شخصياته.
وفي فترة مطالعاتي الجامعية بدأت أرى صورة أخرى للشخصيات وكذلك الاحداث، كما بدأت أمسك
بخيوط رفيع قادني الى الاقتناع بأن ما أقرأه في كتب المؤرخين، ولا سيما أولئك المستشرقين، أو الذين تربوا على
أيديهم من بني جلدتنا، يتوجب على أن أعكس النظرة، على طول الخط، لكي تتضح لي الحقيقة التاريخية، رغم
ما في هذا الحكم من قسوة وتعميم..

ومن خلال المنظار المعكوس، الذي بدأت فيه مطالعاتي التاريخية من جديد، وصلت الى السبب الحقيقي
الذي شوه تاريخ تلك الشخصيات المضيئة في تاريخنا الاسلامي.

فقد لاحظت أن غضب المستشرقين وتلامذتهم يصب جامه على أي خليفة أو حاكم يكون له دور مؤثر بارز
في حمل الدعوة الاسلامية، أو التصدي لخصومها ونصرة الاسلام والمسلمين، فالنبي الكريم لا يحتاج الى شهادة
من أحد لتزكية رسالته التي اعتنقها الملايين واقامت أرقى حضارة عرفتها البشرية، وعمر بن الخطاب كل ذنبه
أنه قاهر امبراطوريتي الروم والفرس، وخالد بن الوليد، سيف الله المسلول ونجم الفتوحات الاسلامية الساطع،
وهارون الرشيد قصته مع الامبراطورة ايريني ونقفور أشهر من ان تذكر، والمستشرقون يذكرون أبا النواس وينسون
أن هارون الرشيد يحج الى بيت الله سنة ويغزو بلاد الروم مجاهداً سنة أخرى، والحاكم بأمر الله أغاظهم بارغام
«الذميين» على السير على الجانب الأيسر من الطريق وحملهم لصليب خشبي كبير في رقابهم، أما صلاح الدين
الأيوبي فهو بطل حطين وقاهر الصليبيين، بقي السلطان عبد الحميد الثاني، فماذا أغاظهم فيه حتى صبوا عليه
هذا المقدار الهائل من الاتهامات والنعوت الفظيعة.

من هنا بدأ التحدي الذهني يشغلني، وقررت أن أثبت صحة رؤيتي وفهمي لمنطق المستشرقين وتلامذتهم
فعكفت على الكتب أقرأها، وعلى الوثائق أسمى وراءها، وأفدت من عملي فائدتين، فكترة اسفاري اتاحت لي
زيارة العديد من العواصم ومراكز الابحاث والوثائق، كما اتاحت لي فرصة مقابلة العديد من الشخصيات
المسنة التي كان لها صلة مباشرة أو غير مباشرة باحداث عصر عبد الحميد الثاني.

ولقد أطلت النظر في موضوع بحثي، ثم سلخت نحو خمس سنوات ونيف في جمع المعلومات والوثائق وتحليل
الاسباب والنتائج، وكانت مطالعاتي لا تتحول عن محوره، كما أفدت من الاسفار العديدة في الاضافة

والتمحيص والاستدلال على المزيد من الحقائق المتصلة به، حتى تكون لدي شعور بأنني أعيش في غمرة الأحداث التي أروها، إيماناً مني بأن السرد التاريخي الصادق يستوجب التفاعل مع المسرات والأحزان، وأن استنهاض العزائم يتطلب التعريف بمكامن الضعف ونقاط القوة..

ولعل مما يميز هذا البحث المتواضع أنه وليد محبة خالصة لموضوعه، فهو يتناول قضية تستحق أن يندرها المرء عمراً بكامله، فهي قضية أمة عظيمة عاندها الزمان، وقضى على مجادها القدر، ولكن جذوة الإيمان ما زالت تبث في نفوس بنينا شعاعاً من أمل.

ولهذا فإن البحث لم يتسلح بالمنهجية العلمية فحسب، ولم يكفه الالتزام بالمنهج التاريخي فقط، وإنما كان للحس والعاطفة فضلاً عن الفكر والعقيدة أدوار موزعة، بحيث لا يطغى أحدها على الآخر، ومن هنا نجد أن البحث لم يحبس الحقائق التاريخية الموضوعية أو يغلفها في قمقم المنهجية، ولم تكن الألقاب والمراتب لتصرفه عن استنباط الحقائق من وسط زيف البهارج الشكلية وكان رائده أن يسهم في إعادة صياغة وقائع تاريخنا من خلال منظار لا يفوته أن يدرك واقع الأمة الإسلامية، وسط طغيان الحضارة الغربية.

ولم يكن بعيداً عن الذهن ما استقرت عليه أصول العلوم وتراكم التراث، وزحمة الأحداث، مما اقتضى أن تكون الوقفة متجردة ومتوازنة وواعية، وجريئة في الوقت نفسه، ذلك أن الكتابة التاريخية في زمن التحولات التاريخية تستوجب تجديداً في النهج والأسلوب وجراً في التحليل والاستنتاج ووضوحاً في الرأي والحكم.

وكان لا بد من تناول الموضوع من خلال نظرة وحدوية، تاريخية واجتماعية وثقافية للشعوب الإسلامية، وهي النظرة التي تكرست حقيقة واقعة عبر قرون طويلة، ترجع إلى انبثاق الدعوة الإسلامية، فالنظرة الموضوعية والحياد المنهجي، لا يحولان دون اختلاف الباحثين في اباحة أو تحريم الربا أو الخمر في مجتمع من المجتمعات، ولا بد للباحث المسلم أن ينطلق في أحكامه من خلال عقيدته الإسلامية.

ولم أنطلق من المدرسة التاريخية الإسلامية التقليدية، التي عمدت إلى خلط التاريخ بخلق الأرض وظهور آدم عليها، وتعليل الحوادث بمسببات إلهية، على أساس أن قدر الإنسان كتب في لوح محفوظ، فضلاً عما تميز به روادها من إشار إلى أسلوب الشعاري والكتابة البلاغية، على طريقة السجع، بل آثرت البساطة في التعبير، والوضوح في العبارة، بحيث تؤدي مهمتها لإبصال الفكرة التي ابتغيها، لأن الفكرة بحد ذاتها هي الهدف والغاية.

وقد عمدت إلى الإفاضة في شرح بعض الحوادث والوقائع والرجال، تعبيراً عن الإحساس بالأهمية التي امتازوا بها، بينما مرت سريعاً في أحداث ووقائع ورجال آخرين لكونهم مجرد عابرين رغم ضرورة الإشارة إليهم ولو من باب التسجيل.

وأقرر هنا أنه قد سبقني لطرق موضوع البحث الكثير من الاساتذة الاجلاء ممن تخصصوا في تدوين التاريخ العثماني، وكانت لهم في هذا الميدان صولات وجولات وأفدت الكثير من أبحاثهم الرائدة وتجاربهم العميقة وإيجاءاتهم الذكية، كما كانت لي صلات من الصداقة والود جمعني ببعضهم، فلم ييخلوا علي خلال لقاءاتي العديدة بتوجيهاتهم وإرشاداتهم ونصائحهم، بل وبإهداءات مؤلفاتهم وأبحاثهم المتصلة بموضوع البحث، أو إرشادي إلى المصادر التي تسر لي سبل الحصول على المعرفة والحقائق التاريخية لفترة البحث، وهي فترة زاخرة بالاحداث التي تضاربت حولها الآراء والاتجاهات والأغراض..

وأخص بالذكر من هؤلاء الاساتذة الرواد: استاذي الدكتور علي حسني الخربوطلي، المشرف على هذا البحث، وصاحب المؤلفات العديدة التي تطرقت للموضوع نفسه، والاستاذ الدكتور محمد أنيس، الذي كان في

طلبة من اتصلت بهم والاستاذ الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى الذي أرشدني للعديد من المصادر الأجنبية الحديثة والمفيدة والاستاذ الدكتور عبدالعزيز نوار الذي تتلمذت على يديه في دراستي الجامعية، والاستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم الذي أفدت كثيرا من ملاحظاته الأكاديمية خلال متابعتي لمناقشته لبعض الرسائل الجامعية والاستاذ الدكتور شاكر مصطفى رئيس قسم التاريخ في جامعة الكويت، الذي فتح أمامي العديد من الآفاق الجديدة بعد أن كدت أنهي البحث والذي تكرم بتقديم هذا الكتاب بكلماته الطيبة ونظراته السديدة، والاستاذ الدكتور أحمد جعة الشرباصي الذي تتلمذت عليه في معهد الدراسات الإسلامية، والاستاذ الدكتور حسين مؤنس الذي سعبت للاقتداء بأسلوبه في ربط الحقائق والاحداث التاريخية بالوقائع اليومية، والاستاذ الدكتور أحمد طربين الذي رعى نشأتي التاريخية، وغيرهم كثير ممن أسعدوني الظروف بلقائهم والافادة من حسن توجيههم.

كما لا يفوتني الإشارة الى التشجيع الكبير والترحيب الكريم الذي لقيته من استاذي الكبير الدكتور احسن الباقوري عميد معهد الدراسات الإسلامية حينما تطف باستدعائي لمكتبه بعد معرفة رغبتني في تسجيل موضوع الرسالة وقال لي: (احسنت الاختيار، فالسلطان عبدالحميد الثاني بطل من أبطال التاريخ الاسلامي، ذهب ضحية تشبثه بالحفاظ على الديار المقدسة، وتآمر به الانكليز والصهيونية والماسونية. ليفسحوا المجال للاتحادين ومن بعدهم «أتاتورك» الذي قضى على الخلافة فقطع أسباب الوحدة الإسلامية الجامعة).

ولعل الأمانة تقتضي تسجيل اعتزازي واعجابي بجهود بحاثه اسلامي منصف، طالعت نتاجه الغزير المتصل بموضوع بحثي، وافدت منه الشيء الكثير وهو الباحث المؤرخ محمد حرب عبدالحميد، المقيم في استانبول، والذي أمل أن تسعدني الظروف بلقائه والتعرف عليه شخصيا.

كما أشير أيضا الى جهود الاستاذين مصطفى طوران وكمال خوجه فيما اشتركا فيه من مؤلفات وترجمات ولا سيما أبحاثهما المتصلة بطائفة «الدوثة» التي لعبت دورا خطيرا في تحديد مصير الخلافة العثمانية.

وأسجل شكري لمؤرخ المملكة المغربية الشريفة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور بمدينة (الرباط) وللأستاذ العلامة عبدالله كنون بمدينة (طنجة) والأستاذ محمد المكارم بمدينة (فاس) وللزميل الاستاذ عبدالقادر الادريسي بمدينة (الرباط) بما قدموه لي من معلومات حول بعض أدوار شكيب أرسلان، وأقدم الشكر للأستاذ سليمان العنيزي المستشار الثقافي السابق للسفارة الكويتية في لندن، الذي سهل لي مهمة الاطلاع على الوثائق البريطانية في كل من:

١ - دار المحفوظات البريطانية (P.R.O) public Record Office

٢ - مكتب محفوظات وزارة الهند (I.O.R) India Office Record

٣ - المتحف البريطاني (B.M.) British Mussume Commen Wealth Society

ولا يفوتني أن أقدم شكري للأستاذ عمر التريكي مدير ادارة الصحافة العربية بكتابة الاعلام التونسية الذي يسر لي الحصول على مراجع ومعلومات هامة حول خير الدين باشا التونسي، الذي كان له دور ملحوظ في الاصلاحات الحميدية.

كما أشكر الزميل الاستاذ جميل عارف مدير تحرير مجلة أكتوبر الغراء الذين لم يكتف بتزويدي بالمعلومات والمراجع، بل ساعدني على الافادة أيضا من أرشيف دار «الاهرام» ويسر لي الاطلاع بواسطة «الميكرو فيلم» على مجموعات الصحف الصادرة خلال عصر عبدالحميد وما بعده والتي وقفت من خلالها على اتجاهات العديد من المفكرين والكتاب والزعماء خلال تلك الفترة.

وشكري أيضا للزميل الاستاذ صبري أبو المجد رئيس تحرير صحف دار الهلال الغراء الذي أثرى بحثي بفيض من معلوماته عبر العديد من المقالات والدراسات التاريخية التي وضعها بين يدي من خلال أعداد «المصور» وغيرها. ولا سيما ابحائه التي تناول فيها عبدالعزيز جاويش والافغاني وعمد عبده والكواكبي والحركة الوطنية المصرية.

وان انس لا أنسى كرم وفادة صديقي فؤاد عارف باشا، خلال زيارتي لاستانبول وما يسره لي من سبل الحصول على العديد من المراجع والوثائق العثمانية.

كما أخص بالشكر الجزيل الأمير عباس حلمي الذي زودني خلال لقائي به في لندن بمجموعة من الصور التذكارية التي تخص جده الخديوي عباس حلمي الثاني مع بعض الوثائق المتصلة بالعهد الحميدي، كما يسر لي اللقاء مع حفيد السلطان عبد الحميد الثاني الأمير عمر توفيق طوسون الذي زودني ببعض الصور والوثائق والمذكرات والمعلومات أيضا.

ولا يخفى أن البحث الذي اخترته، ليس من المراكب السهلة، بل تكتنفه المصاعب والمتاعب، لأسباب عديدة، ذلك أن الوقائع التي اقتضى أن أطرقها ما زالت غضة طرية، قريبة العهد، وبعضها ما زال أبطاها أو انجالم على قيد الحياة، مما يؤدي الى الكثير من الحرج في اقرار الحقائق التاريخية واعلان النتائج الموضوعية. كما أن موضوع البحث والنتائج التي خلصت اليها لا ترضى الكثيرين ممن يملكون السلطة والتأثير والسطوة.

وبعض المواقف تميزت بمزيد من الحرج حين تطرق البحث لموضوع «أهل الذمة» ومواقف الاقليات والولاء الذي أبداه بعضهم للأجنبي.

واذا كان المعتاد في البحث التاريخي هو الاعتماد على أحدث المؤلفات والابحاث باعتبارها أكثر نضجا وأقرب الى الحقيقة لما يفترض بها من الافادة من التجارب والابحاث السابقة، فإن المشكلة التي واجهتها في هذا البحث على العكس تماما، فقد وجدتني ازاء سيل من المؤلفات الحديثة وبلغات عديدة، ولم تكن الترجمة هي العقبة فهذه الناحية ألف حل، ولكن الحقيقة أنني لمست اتجاهها واحدا ينتظم معظم تلك المؤلفات وهو التنديد بكل ما هو عثماني، والاشادة بسائر خصوم الدولة العثمانية حتى لو أكدت الأحداث والنتائج ضحالة فهمهم السياسي وخطل تصرفاتهم وما تحملته الأمة من جراء أخطائهم فعمدت الى البحث بن رفوف مكتبات سور الازبكية أو حوانيت الأزهر عن بعض المراجع القديمة التي أرخت لعصر عبد الحميد قبل سقوط الخلافة العثمانية وعثرت على بعضها وأفدت من كتاب «تاريخ الدولة العلية» لمؤلفه محمد فريد بك، الذي صدر في عهد السلطان محمد رشاد الخامس، وتضمن تنديدا مهذبا بعهد عبد الحميد دون أن يغفل نهائيا عن ذكر بعض أنجازاته، كما غطيت هذا النقص بعدد من المقابلات الشخصية، وأهمها مع الأمير المرحوم سعيد الجزائري الذي عايش عصر عبد الحميد وكانت له مواقف مع جمال باشا كما تسلم رئاسة دولة سورية ليوم واحد فور انسحاب الجيوش العثمانية فيها رثما جاء الشريف فيصل ليبيع ملكا عليها، كما استعنت بمذكرات عدد كبير من السياسيين الذين عايشوا تلك الحقبة ودونوا ملاحظاتهم عليها.

وفي طليعة المذكرات التي وفقني الله سبحانه للحصول عليها، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، وبقلمه في كتابين منفصلين ومن مصدرين مختلفين، وقد لمست أنهما كتبا خلال فترتين مختلفتين، دون أن ينتابني أدنى شك في نسبتها للسلطان عبد الحميد الثاني.

كما حصلت على صورة من مذكرات جمال باشا باللغة الفرنسية وقد ترجمتها للعربية — ولم تطبع بعد — وفيها وثائق ادانة للشبان العرب تثبت اتصال معظمهم بالقنصلية الفرنسية في بيروت أو دمشق، أو بالسفارة الفرنسية في القاهرة، كما أفدت من مذكرات فايز الغصين في الحصول على وثيقة اتهامه بالاتصال بالانكليز

وكان أحد الذين قدموا للديوان العرفي بعاليه ولكنه نجا من الشنق لعدم كفاية الأدلة ضده.

وبين الوثائق أيضا مكاتبات بين نسيم ملول (الصهيوني)، وحزب اللامركزية وأخرى بين رفيق العظم وعمود المحمصاني حول موقف اللامركزية من الصهيونية فضلا عن الوثائق المتعلقة بجمال الدين الافغاني والمهورة بامضائه كطلب انتسابه للماسونية ثم اختياره رئيسا للوج كوكب الشرق الماسوني بالقاهرة ومراسلاته مع الانكليزية آنا بلند عميلة الاستخبارات البريطانية، وترشيحه للعب دور بترتيب انهاء الثورة المهدية ضد الانكليز في السودان وغير ذلك من الوثائق التي تثبت انتحاله لعدة اسماء: الحسيني الكابلي الافغاني والفارسي.

وقد أفدت من بحث الاميريكية الانسة كينيدي بجامعة كاليفورنيا التي زارت طهران وقابلت أقرباء الافغاني واطلعت على رسائله لهم وكشفت له عدة اسماء.

ورأيت من المناسب تحقيقا لفكرة معاشة بيئة وأشخاص تلك الحقبة التاريخية السعي للحصول على أكبر عدد من صور السلاطين والقادة والصدور العظام والوزراء والسياسين والمفكرين والأدباء والشعراء، فضلا عن صور بعض المواقع الحربية والقصور والرسوم التوضيحية للأزياء الدارجة لدى مختلف فئات المجتمع العثماني، مع نماذج من خط عبد الحميد وتوقيعه وظفرائه وشعارات آل عثمان، الى جانب صور خصوم الدولة العثمانية كرجال الاتحاد والترقي، وأقطاب حزب الائتلاف والحرية، ومصطفى كمال وبقيّة القادة الكماليين، وقد ضمنتها جميعا مع الملاحق التي أوردت بينها الوصية المنسوبة لمحدث باشا والتي اوردها جرجي زيدان في كتابه «الانقلاب العثماني»، كما قدمت لائحة بأشهر الطرق الصوفية التي اعتمد عليها السلطان عبد الحميد وما زالت بعضها تمارس نشاطها في مختلف البلدان العربية وفي تركيا الحديثة، وأوردت نص القانون الاساسي «المشروطة الأولى» عام ١٨٧٦م، ونص التعديلات التي جرت عليه في «المشروطة الثانية» ١٩٠٨م الى جانب اللائحة الداخلية لكل من جمعيتي العربية الفتاة وجمعية البصرة الاصلاحية باعتبارهما نموذجين لباقي الجمعيات السرية العربية التي عملت ضد الخلافة العثمانية، وأوردت عددا كبيرا من أسماء أعضاء العربية الفتاة بوصفها المقابل العربي لتركيا الفتاة، مدلا على الأدوار التي لعبوها بعد انهيار الخلافة، حيث شغل معظمهم مناصب رفيعة جدا وحملوا مسؤولية الحكم في معظم البلدان العربية في ظل الانتدابين الفرنسي والانجليزي.

وتسهيلا لمتابعة بعض المواقف وجدت من الضروري ايراد جدول ملحق لتفسير بعض المصطلحات العثمانية مستفيدا من بعض المراجع العربية والتركية، كما أوردت نص فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن الخلافة، وأعقبتها بجدول لشجرة الخلافة الاسلامية منذ وفاة الرسول الكريم (ص) وحتى غروب شمس الخلافة الاسلامية بلجوء السلطان عبد المجيد الى البارجة الانكليزية عقب الحركة الكمالية، ثم شجرة السلاطين والخلفاء العثمانيين وختمت الملاحق بجدول واف للأحداث خلال العهد العثماني، اعتمدت فيه أساسا على ما جاء في تاريخ الجبرتي مع معالجة ما فيه من نقص بالنسبة لعدم اهتمامه بغير الأحداث المتعلقة بولاية مصر، فأضفت عليه الأحداث المتصلة بسائر الولايات العربية والعثمانية عامة، كما تابعته بذكر الأحداث التي جرت بعد تاريخ الجبرتي، حتى سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤. ورأيت استكمالا لطبيعة البحث أن ألحق بالجدول أيضا بعض الأحداث التي جرت فيما بعد والمتصلة بموضوع الخلافة العثمانية.

وبالنسبة للخرائط قدمت عدة خرائط تصور الدولة العثمانية في أقصى اتساعها، وتبرز أهمية موقعها في العصور الوسطى بالنسبة لطرق التجارة الدولية مع خرائط تقسيم سايكس - بيكو وفلسطين، وأضفت بعض الخرائط التي تبين السكك الحديدية وآبار النفط والقواعد العسكرية في الدولة العثمانية، فضلا عن خريطة الخط الحديدي الحجازي باعتباره طريق الحاج الشامي الى جانب خريطة طريق الحاج المصري والتقسيمات

الادارية لولاية سورية العثمانية التي شهدت نهاية الدولة العثمانية واندحار قواتها في الحرب العالمية وقدمت أخيراً خريطة «مهد الامة المارونية» الواردة في كتاب تاريخ الموارنة كنموذج عملي للتخريب الذي استهدفه الاجنبي بغرسه مثل هذه الافكار لدى بعض الاقليات الطائفية.

أما بالنسبة للتبويب، فقد وجدت من المناسب سلوك المنهج الموضوعي رغم صعوبته، وحاولت قدر الامكان اتباع الترتيب الزمني مراعيًا عدم التكرار، ما أمكن ذلك مبتدئًا بتمهيد تضمن اعطاء فكرة عن العثمانيين: نشأتهم وفتوحاتهم وحصولهم على الخلافة الاسلامية وحكمهم للبلاد العربية، وأسباب الضعف العثماني، ثم محاولات الاصلاح حتى مجيء السلطان عبدالحميد الثاني في الوقت الذي وصلت فيه المسألة الشرقية الى طور الضعف، وبدأت الدول الأوروبية تسعى لميراث «الرجل المريض» منفردة أو مشتركة.

كما قدمت عرضاً سريعاً لمفهوم الأمن والسلام العالمي منذ ما قبل السلام الروماني وحتى عصرنا الحاضر في ظل السلام الأميركي وما تخلل الفترتين من سيادة السلام الحقيقي في ظل الدولة الاسلامية.

ثم قدمت الباب الأول الذي دار موضوعه حول السلطان عبدالحميد الثاني، نشأته، شخصيته، والعوامل المؤثرة في تكوينه النفسي، وفي اتجاهه السياسي وأثر المؤامرات داخل قصور السلاطين، ونفوذ الحاشية، وعزلته الفكرية، قبيل مجيئه للحكم بمساعي مدحت باشا وحسين عوني وبقية الاصلاحيين من رجال المشروطية الأولى ١٨٧٦م.

وقد وجد عبدالحميد في شعار «الجامعة الإسلامية» خير علاج لمواجهة خصومه في الداخل والخارج معاً، فقد كان الجانب الداخلي لهذا الشعار يعني الالتزام بالشرعية الإسلامية بدل الجنوح في اتجاه «التغريب» بدعوى الاصلاح والتقدم، كما كان الجانب الخارجي يحفز كل الشعوب العثمانية للالتفاف نحو الخلافة والاستعداد لتنفيذ أوامرها حينما يدعو داعي الجهاد ضد المطامع الأجنبية.

وأدى اصطدام عبدالحميد بمدحت وأنصاره الدستوريين في وقت مبكر من حكمه إلى إعتماده على أنصار «الجامعة الإسلامية» وقرب منه لفيما من الشخصيات العربية كنوع من التنفيذ العملي لهذه السياسة، كما سعى لانجاز الخط الحديدي الحجازي وإيصاله للمدينة المنورة تسهلاً لشعائر الحج وتوثيقاً للروابط بين مختلف أنحاء الدولة العثمانية وتيسيراً للتبادل التجاري والتنقلات العسكرية لحماية لشعور الدولة، بعد أن استعادت مكانتها الاستراتيجية أثر افتتاح قناة السويس.

وقوبلت سياسة عبدالحميد بحملات اعلامية مخففة في الداخل والخارج وأصبحت كلمات الاستبداد والطغيان والفساد والجاسوسية والجهل علماً على ذلك العهد بعكس الوقائع التاريخية، إذ أنه ترك الكثير من الانجازات والصروح والمؤسسات التي تشهد برغبته الاصلاحية رغم انشغاله طيلة فترة حكمه الطويل في تثبيت وتوطيد دعائم دولة آل عثمان التي آلت إليه في أسوأ أوضاعها.

ولم تقتصر الاتهامات على العصر الحميدي وحده وإنما شملت العهد العثماني برمته رغم صفحاته المشرقة بالفتوح والجهاد والعمران والبناء على حد سواء، ورغم المحاولات العديدة للاصلاح التي بذلها عدد كبير من السلاطين وكبار الوزراء العثمانيين ابتداء بالتنظيمات وحل الانكشارية وانتهاء بالمشروطية الأولى والثانية، وبما في ذلك الاصلاحات التي تمت على الطريقة الفرنسية أو البلجيكية أو السويسرية أو الانكليزية والتي تمت بضغط من الدول الأوروبية التي استخدمت الامتيازات الأجنبية. أسوأ استخدام ولم تنوع عن اتخاذها ذريعة للتجسس وحماية عناصر التخريب الداخلية ابتداءً بانارة الأرمين، اثر اتحاد فتنة الدروز والمارونيين في لبنان، قبيل تسلمه للحكم وانتهاء بدور الدونمة والماسونية تحت غطاء «تركيا الفتاة» و«الاتحاد والترقي» ثم صراع

القوميتين الطورانية والعربية فضلا عن اثاره الأكراد والشركس، ومدى السعي لسلخ جميع الولايات الأوروبية كلما انشغل العثمانيون بمشاكلهم الداخلية.

ولقد أمضى عبد الحميد ٣٣ عاما صمد خلالها لأعنى المؤامرات، وأذكى المناورات وتمكن بدهائه أن يحفظ توازن السفينة العثمانية وسط الموج الهادر المتلاطم في بحر السياسة الدولية، حتى استسلم لخصومه ضئلاً باراقة المزيد من الدماء الذكية.

وفي الباب الثاني تم عرض الجذور الفكرية لشعار «الجامعة الإسلامية» عند عبد الحميد، منذ تربيته في مدارس الصوفية، واقتناعه بالنظرة الصوفية الاشراقية الامامية التي ترى في الخليفة — ظل الله على الأرض — مما يوجب طاعته في الظاهر والباطن، حيث وجدها علاجاً ناجحاً لتوثيق ارتباط الرعايا العثمانيين بدولتهم الإسلامية.

وانطلاقاً من هذه الفكرة قرب عبد الحميد رجال الصوفية من علماء و «دراويش» وجندهم لخدمة شعار «الجامعة الإسلامية» الذي طرحه للنقاش بين صفوف المثقفين والمفكرين والساسة والعلماء ولم يلبث أن وصلت أصداؤه الى المبشرين والمستشرقين، حتى أصبح الشعار الأكثر ترديداً بين ألوف المؤيدين والمعارضين.

وكان جمال الدين الأفغاني في «العروة الوثقى» على رأس الذين تناولوا شعار «الجامعة الإسلامية» بالعرض والتحليل، وتبعه تلامذته من العلماء والصحفيين في مصر من المسلمين والأقباط على حد سواء، ولم يعدم الشعار أنصاراً له بين الأقباط أنفسهم من ذوي الاتجاه الوطني باعتباره درعاً يقي البلاد من مطامع الاحتلال الانجليزي. كما لم يعدم خصوماً من المسلمين بل ومن العلماء الأزهريين أيضاً، حيث كان الأزهري قد بدأ يتعرض للغزو الفكري الأجنبي برعاية الاحتلال البريطاني.

ولم تنته المساجلات بين الأنصار والمعارضين بخلع عبد الحميد عن الخلافة وسيطرة الاتحاديين على الحكم، بل كان ذلك سبباً في تشبث الكثيرين بذلك الشعار بعد ان لمسوا دور الصهيونية والدوغة والماسونية ومن ورائهم الانكليز وأوربا في خلع عبد الحميد، مما ايقظ لديهم جذوة «الجامعة الإسلامية» وقاد رشيد رضا عبر «المنار» المعركة سنين طويلة ثم خلفه عدد من الشخصيات الإسلامية.

وفي غمرة النقاش المتحدم ظهرت من الأفكار والاتجاهات الوطنية والقومية والطائفية والمذهبية، التي تبلور بعضها على شكل جمعيات وأحزاب لعبت أدواراً هامة في معظم الولايات العثمانية، وكان بعضها يستند في تأييده ودعمه على المصادر الأجنبية التي ما لبثت أن أصبحت لها شأنها في البلدان العربية.

أما الباب الثالث فقد تناول موضوع التبشير والصراع الذي خاضه العثمانيون عامة وعبد الحميد بوجه خاص ضد الارشاليات التبشيرية التي بدأت تأخذ طريقها إلى العالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر ولكنها إستمرت محدودة الأثر حتى كان القرن السادس عشر الذي بدأت معه كتائب «التبشير النصراني» تحمل معها الطباعة والصحافة وتنسترداء العلم لنشر المذهب الكاثوليكي بين نصارى الشرق، تمهيداً للانقضاض على الاسلام والمسلمين والدولة الإسلامية.

ولقد شاركت جميع البلدان الأوروبية ثم الأميركية، في تلك الغزوات الفكرية الصليبية، وكانت مؤتمرات المبشرين تضع الخطط وتوفر الإمكانيات وتنسق الجهود بين الارشاليات المتضاربة الأهواء والاتجاهات والمصالح، واستمر الأمر حتى قامت هيئات تبشيرية رسمية برعاية الفاتيكان فوزعت الأدوار بين البعثات والارشاليات مما مهد فيما بعد إلى توزيع مناطق النفوذ والاحتلال بين مختلف الدول الأوروبية تحت ستار علوم الإستشراق

. ORIENTALISM

وقد وجدت الإرساليات أن السبيل الوحيد لتصديق الدولة الإسلامية يكمن في إثارة النعرات القومية والطائفية والمذهبية، وفي غرس النزعات الانفصالية والاستقلالية، فعمدت في البداية إلى «أهل الذمة» واستغلت بعض الاتفاقيات والمعاهدات القديمة مما جعل الدولة العثمانية في مواجهة مشكلتين: «الأقليات» و «الإمтиيازات الأجنبية».

وفجأة وجدت سلاطين آل عثمان تجاه متاعب لم يعد ينفع معها «نظام الملة» الذي اعتمد قرونا طويلة على تطبيق حقوق وواجبات أهل الذمة حسب الشريعة الإسلامية، وهو نظام لم يمنع من بروز شخصيات عديدة في الحكم والوزارة والعلم والتجارة والصناعة من مختلف الطوائف والمذاهب.

ونتيجة لهذه الإثارة المفتعلة وجدت الدولة العثمانية نفسها فوق بحر متلاطم يضم نحو مائة قومية وطائفة ومذهب ولغة.

وكان الأدب هو المرأة التي تعكس واقع الأمة المضطرب، مما أدى لعناية الإرساليات بغرس محبة اللغة التركية بين الأتراك واللغة العربية بين العرب، فضلا عن تشجيعها لإقامة مدارس تعليمية خاصة لكل لغة وقومية مهما قل عدد أفرادها، وبدأت الدولة العثمانية تقرأ الأدب التركي والأدب العربي والأدب الكردي والأدب الأرمني والأدب الأغريقي بل الأدب الآشوري والسرياني والآرامي والعبري.

كما انتشرت أفكار وشعارات الثورة الفرنسية والماسونية والكاربوناري إلى جانب مؤلفات: هيجو ولا مارتين وروسو وفولتير وألفييري، فضلا عن مونتسكيو وآدم سميث وكارل ماركس وفورييه وغيرهم من شعراء وأدباء ومفكري أوروبا.

ونشط ضباط الاستخبارات البريطانية بشكل خاص لمنافسة كبار الضباط المدربين الألمان داخل الدولة العثمانية وكانت تجري في الخفاء محادثات لترتيب النهاية المرتقبة لتركة «الرجل المريض» حتى إذا ما اشتعلت الحرب العالمية برزت شخصيات آرمسترونج ولورنس وفيلبي ولعبت أدواراً تفوق في خطورتها أدوار اللنبي وغورو وغيرهما من نجوم الحرب العالمية.

ومثلما راهن لورنس على فيصل والهاشميين، راهن آرمسترونج على مصطفى كمال والكماليين، وكلاهما ربح الرهان، بينما وقف الشعبان العربي والتركي يرقبان النتيجة وكأنهما يشهدان فصولا لمسرحية درامية دامية.

وقد عرضنا في هذا الباب ما ذكرته الوثائق التاريخية المكتشفة حديثا حول طبيعة الأدوار التي قام بها بعض الشبان العرب ممن نفذ بهم جمال باشا أحكام الاعدام خلال عامي ١٩١٥ - ١٩١٦، وبعض الشبان الأتراك ممن شاركوا في الإتحاد والترقي ثم في حزب الائتلاف والحريّة وبعدهما مع الكمالية، حتى إنتهى الأمر إلى إندلاع ثورة الحجاز وفشلها في إقامة خلافة عربية بل حتى مملكة عربية، حيث تقلصت تدريجيا ولم يبق من آثارها إلا مملكة الحجاز ثم إمارة تحولت فيما بعد إلى المملكة الأردنية الهاشمية.

في حين أن مصطفى كمال الذي ساندته الأنكليز منذ البداية وصنعوا له الأعماد والبطولات حتى مكنوه من الحصول على رتبة «الغازي» التي لم ينلها إلا كبار المجاهدين الفاتحين قام كما اشترطوا عليه بلسان «كرزون» باسقاط الخلافة الإسلامية والتخلي عن كل أثر يمت للإسلام، والجنوح نحو العلمانية والتغريب إلى حد تحويل «أيا صوفيا» إلى متحف بعد أن كان منطلق الجهاد والفتوحات فضلا عن اعتماد الأحرف اللاتينية وتترك الآذان والصلاة وغير ذلك من الاجراءات الاحادية، رغم المشاعر المتأججة التي عبرت عن نفسها عدة مرات ولا سيما خلال الثورة النقشبندية التي طالبت باعادة الخلافة الإسلامية.

وظهرت في عهد عبد الحميد صحافة عربية غطت أنحاء الولايات العثمانية العربية، كما صدر في استانبول عشرات الصحف والمجلات التركية وما لبث الاتحاديون بعد عبد الحميد أن قادوا معركة «تترك» فظهرت عشرات الصحف والمجلات التركية في العواصم العربية نفسها، ووافق ذلك تعديل للمناهج في الأزهر وغيره من الجامعات والمعاهد الإسلامية التقليدية استهدف تعميم الثقافة الغربية، ولم تكن بعيدة عن هذا الاتجاه الارشاليات التبشيرية نفسها رغم عنايتها باللغة العربية لحياء الشخصية العربية في وجه العثمانيين.

وفي الباب الرابع تم إكمال عناصر الهجمة الضارية التي تعرضت لها الدولة العثمانية بشخص السلطان عبد الحميد، وبشعار الجامعة الإسلامية فقد عرفنا دور التبشير في خلق مشكلة الأقليات التي نفذ منها إلى صلب الوحدة العثمانية.

وهنا نجد السلطان عبد الحميد يواجه مشكلة جديدة حينما تلقى عروض هرتزل تمثل الصهيونية العالمية، حيث كرر اغراءاتها لانقاذ الدولة من ديونها، وتقوية جيوشها وتدعيم اقتصادها وإسناد عملتها التي بدأت أزمتها منذ إكتشاف الاسبان لمناجم الذهب والفضة الأمريكية مما أحدث هزة شملت سائر العملات العالمية آنذاك، وكان عبد الحميد ما زال يعاني من آثار تلك الهزة الاقتصادية التي واكبها ضعف آخر في طبيعة المعالجات للأوضاع المحلية، وتختلف عن مواكبة ركب التصنيع والمدنية الحديثة.

ولم يكن أمام السلطان الصوفي المجاهد إلا أن يرفض إغراءات العروض الصهيونية ويصمم على الحفاظ على سائر الديار الإسلامية وفي طليعتها الديار المقدسة، أما الأزمة الاقتصادية فليست عيباً وشأنه فيها شأن فرنسا الأوروبية.

ولم يسع الصهيونية إحتمال هذا الاصرار والرفض فبدلت لهجتها من الوعد إلى الوعيد وسرعان ما نسقت خططها مع المطامح الغربية بعد أن عرضت خدماتها على سائر الامبراطوريات والممالك ابتداء بروسيا القيصرية ومرورا بالمانيا وفرنسا وانتهاء ببريطانيا «العظمى»، وكان تحت يديها جهاز دولي جاهز وهو الماسونية العالمية، فسارعت إلى إنشاء المحافل الاسكتلندية والايطالية والفرنسية والالمانية والروسية، وكانت واثقة من أنها جميعا ستصب جهودها لخدمة أهداف الصهيونية. واسعفها الحظ بطائفة «الدوغة» في سالونيك وهم من بقايا يهود الأندلس الذين آوتهم الدولة العثمانية لدى هروبهم من محاكم التفتيش الاسبانية.

ولم يقصر الدوغة فقد ردوا الجميل على طريقة جزاء سنمار وكانوا وراء تغذية وتحويل واحتضان أخطر الحركات السرية كما دبروا الفتن والثورات والحركات المحلية، ابتداء بفتنتي الأرمن، وانتهاء بحادث «٣١ مارس» الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد وجاء بالاتحاديين في أعقاب «الحادثة الارتجاعية».

ولخطورة كل من الماسونية والدوغة، كان لا بد من التعريف بكل منهما وقد حرصنا على الاختصار بالنسبة للماسونية باعتبارها مكشوفة للعامة وأطلعنا بعض الشيء بالنسبة للدوغة على اعتبار أنها جديدة على الكثيرين ممن لم تتح لهم فرصة الاطلاع على الأوضاع التركية، خاصة وأن هذه الطائفة لعبت وما تزال تلعب دوراً خطيراً ومشوهاً في إساءة العلاقات العربية - التركية بعد سقوط الخلافة العثمانية.

ولم ننس في ختام هذا الباب أن نتابع جهود الصهيونية بعد نجاحها في إسقاط عبد الحميد الثاني، حيث بدأت خطواتها لترتيب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإقامة أولى المستعمرات الصهيونية، ثم حاولت انتزاع موافقة فيصل بن الحسين على مشروعها بفلسطين وأشاعت ما يسمى بـ «إتفاقية فيصل - وايزمن» التي دحضها سكرتيره عوني عبد الهادي في مذكراته مبينا دور لورنس في خدمة الصهيونية، ثم أوردنا أهم منجزات المؤتمرات الصهيونية التي تعاقب انعقادها حتى تمت الاطاحة بعبد الحميد وما أعقبها من مؤتمرات عربية استهدفت علاج

القضية الفلسطينية حتى قبيل تأسيس جامعة الدول العربية.

وسلطنا في الباب الخامس الأضواء على القوى الخفية التي كمنت وراء «التبشير» والدوغة والماسونية والصهيونية تحقيقاً للأهداف والمطامع الاستعمارية.

ولقد كانت الدولة العثمانية التي بلغت آنذاك أقصى مراحل الضعف لما عرف به «المسألة الشرقية» وكان اللعاب يسيل لابتلاعها أو ابتلاع أكبر قدر من أراضيها الشاسعة، لدى قياصرة روسيا وأباطرة ألمانيا وملوك بريطانيا العظمى، فضلاً عن فرنسا والنمسا وإيطاليا أيضاً التي لم تزل وحدتها هشة طرية.

وكانت الجهود التبشيرية والاستعمارية قد أثمرت على صعيد الجبهة الداخلية في الدولة العثمانية، فقد بدأ القتال الفعلي بين جناحي الطائر العثماني ورد الشريف حسين ثورة في الحجاز على اعداءات جمال باشا في الشام كما نشطت الجمعية العربية الفتاة تبحث عن أدوار ونفوذ لاقطابها، بعد عقد مؤتمر باريس، أسوة بجمعية تركيا الفتاة التي وصل أقطابها الاتحاديون إلى كرسي السلطة ومواقع النفوذ في الأستانة نفسها.

ولقد أحس عبد الحميد بخطورة وضراوة المعركة التي يخوضها واستخدم كل إمكاناته وطاقاته وخبراته للصمود إلى أطول فترة ممكنة، على أمل أن يسعف الموقف الدولي لاستعادة أمجاد دولة آل عثمان بكل ما سطرته من فتوحات وأمجاد، ولم يتورع في هذا السبيل عن التودد إلى غليوم قيصر ألمانيا، فمنحه عدداً من المناقصات العالمية لإنشاء خطوط حديدية وتسليح الجيش العثماني وتدريبه ولتحديث العديد من المؤسسات والادارات العثمانية. معتقداً أن سياسته هذه في خدمة شعار «الجامعة الإسلامية» وكانت روسيا القيصرية ترقب الموقف متلهفة للوصول إلى الدردنيل والبوسفور والسباحة في المياه الدافئة في حين تتطلع بريطانيا بحذر للحفاظ على سيادتها على البحار ومن رائها امبراطوريتها التي لا تغيب عنها الشمس وكذلك فرنسا التي ما زالت تسعى لاعادة أمجاد «امبراطورية شارلمان» بعد أن أصبحت تتمتع بخيرات مستعمرات في قارات العالم الجديد والقديم، ولم تدرك النمسا أنها باستيلائها على البوسنة والهرسك في غمرة إنشغال العثمانيين بسقوط عبد الحميد وظهور الاتحاديين ستشعل عما قريب حرباً عالمية تؤدي إلى ابتلاعها وتضاؤلها.

وفي الباب السادس قدمنا تحليلاً للأسباب التي أدت إلى تزايد نشاط الجمعيات العربية السرية والعلنية داخل وخارج الدولة العثمانية، وأوضحنا مدى الأثر الخطير الذي أورثته النزعة «الطورانية» نتيجة لتفاقمها في ظل نفوذ «الاتحاد والترقي»، والدور الذي لعبه أبناء الأقليات في تأسيس ودعم تلك الجمعيات التي رفعت شعار القومية العربية في مواجهة شعار «الطورانية».

وذكرنا مؤتمر باريس ودور جمعية «العربية الفتاة» وحزب اللامركزية وجمعية العهد في انعقاده، ومدى الدعم الذي لقيه من فرنسا التي جندت لتأييد سياستها عدداً كبيراً من الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في جامعاتها قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكيف انتهزت ظروفهم المادية الصعبة خلال الحرب لربطهم بسياساتها ووضعهم في خدمة أهدافها الاستعمارية.

وتطرقنا في هذا الباب إلى قضية الشبان العرب الذين أعدمهم جمال باشا خلال عامي (١٩١٥-١٩١٦) في كل من بيروت ودمشق والقدس إثر صدور الأحكام عليهم من الديوان العرفي بعاليه، بعد أن صادر جمال باشا وثائق القنصليات الفرنسية والانكليزية ببيروت ودمشق، كما حصل على وثائق من السفارة الفرنسية في القاهرة تثبت اتصال عدد كبير منهم بفرنسا وانكلترا، وطلب النصارى بشكل خاص حماية فرنسا للبنان، وفرض استعمارها على سورية، بينما كان يسعى حزب اللامركزية، كما أثبتت الوثائق، لاقامة امارة في سوريا لآل العظم علماً بأن رفيق العظم وحقي العظم كانا من قادة هذا الحزب.

وقد أوردنا نص الوثائق ضمن ملاحق البحث بهدف اجلاء هذه القضية التاريخية التي مازالت تتضارب حولها آراء الكثير من المؤرخين ، خاصة وان الانتدابين البريطاني والفرنسي حرصا على تضمين المناهج التاريخية المدرسية اشادة بأولئك الشبان العرب باعتبارهم شهداء الثورة العربية ، بغض النظر عما أورثته محاولاتهم للاستعانة على العثمانيين بالأجانب من تمكين الاستعمار في بلادنا لفترة زادت على النصف قرن في معظم البلدان العربية ، فضلا عن افساح المجال للمطامع الصهيونية التي ما لبثت أن حصلت على وعد بلفور ١٩١٧ وأفادت من الانتداب البريطاني بتسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين مما نجم عنه قيام كيان «إسرائيل» .

وتصدى الباب السابع لمفهوم الخلافة باعتباره التطبيق العملي والهدف الرئيسي لشعار الجامعة الاسلامية ، فعرف الخلافة بوصفها ولاية عامة على الأمة وإمامة للمسلمين ، وإمارة للمؤمنين ، ووسيلة لجمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، وأورد المعنى اللغوي ، والمفهوم الشرعي لكلمة خليفة مستعرضا ما وقع فيه بعض العلماء من مطبات ومفارقات في هذا الصدد ، كالشيخ علي عبد الرازق في كتابه الاسلام وأصول الحكم ، ورد الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس عليه مؤخرا باتهامه بانتحاله من المستشرق مارجليوث ، ثم عرضنا رأي أبي الأعلى المودودي في الموضوع ، وتناولنا الخلافة في الشريعة الاسلامية كما أوضحها الماوردي وابن تيمية وابن خلدون .

وذكرنا القواعد التي يركز عليها الحكم الاسلامي في ظل الخلافة والجهاز الذي يعاون الخليفة في الحكم .

وتطرقنا الى مفهوم «الاجتهاد» بين المطالبين بوقفه والمنادين بافساح المجال له ، وذكرنا شروط الاجتهاد وضوابطه بحيث يستمر في تغذية الفكر الاسلامي وتقديم الحلول الجديدة للقضايا اليومية مستمدة من الشريعة الاسلامية .

وعدنا الى شعار «الجامعة الاسلامية» الذي رفعه رشيد رضا في «المنار» بعد أن كاد يسقط نهائيا بسقوط عبد الحميد ، والخلافة الاسلامية ، وكيف تبنته الحركات الاسلامية في انحاء مختلفة من العالم الاسلامي خلال الحربين العالميتين ليمر في مرحلة جزر في الخمسينات استمرت طيلة الستينات ، وما لبث ان انتعش مؤخراً في السبعينات ، وعلى أبواب الثمانينات ، حيث نلمس أصداءه ، في أكثر من بلد اسلامي .

وفي معرض بحثنا حول هذا الشعار تطرقنا الى أثره على السلفية والسنوسية والشوكانية والمهدية ، وإلى سياسة التضامن الاسلامي التي اتبعتها السعودية ممثلة في مؤتمرات القمة الاسلامية وما انبثق عنها من مؤسسات ومنظمات ومؤتمرات .

وقمنا بمناقشة موقف جمال الدين الأفغاني من «الجامعة الاسلامية» فكشفنا أنه خلافا لما هو شائع من اعتباره رائداً من رواد هذا الشعار، فانه كان في واقعه مشبوها بعلاقاته مع بريطانيا ، وأوردنا أكثر من قرينة حول هذه الصلة ، ثم استعرضنا أدلة إنتمائه للماسونية وعلو كعبه في محافلها بسرعة مدهشة واعترافه لتلاميذه ، وتجنيدهم لمعظمهم في محافلها ، وبينهم عدد كبير من اليهود والنصارى ، كما ذكرنا تفسيرات تلامذته ومريديه لقضية انتمائه للماسونية وأوردنا مدى فجاعة المستشرقين بوفاته وأسفهم عليه واشادتهم بذكوره ، ثم أشرنا الى تعدد أسمائه (مابين : حسيني وكابلي وفارسي وأفغاني) مما يزيد في غموض سيرته .

وفي الختام أوردنا عدداً من وثائق دار المحفوظات البريطانية (P.R.O.) المتصلة بموضوع الخلافة الاسلامية وما أثير من مطالب بأن تكون خلافة عربية وذكرنا رأي مفتي السودان — وشيخ الأزهر فيما بعد — محمد مصطفى المراغي ، واختلاف نظرة وزارة الهند عن نظرة وزارة الخارجية البريطانية حول طريقة البت بهذه القضية . كما أوردنا وثيقة كشفت موقف روسيا القيصرية من المسألة قبيل اندلاع الثورة البلشفية .

ولاحظنا أخيراً أن شعار «الجامعة الإسلامية» لم يسقط نهائياً، فما زالت أصداؤه موجودة من خلال الكتابات الصحفية والمؤلفات الفقهية فضلاً عن المؤتمرات الإسلامية، ناهيك عن تبني هذا الشعار والدعوة له من قبل العديد من الحركات الإسلامية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، مما جعله هاجساً مخيفاً للحكومات الغربية، وما نلمس صداه مؤخراً في الصحافة الغربية نحو الاتجاه لتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

ولم يفت «إسرائيل» أن تصرخ بدورها محذرة الغرب وروسيا معاً من شبح الإسلام وأخطار الجهاد، مذكرة بماضي الأيام المجيدة.

وقد اتبعت ذلك بإمامة سريعة تناولت ظاهرة البعث الإسلامي في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية، والتي كانت مثار انتباه وتعليق وتحذير معظم الصحف والمجلات وأجهزة الاعلام والدوائر المسؤولة في البلدان الأوروبية والأمريكية، فضلاً عن العدو الصهيوني، نظراً لما تشكله هذه الظاهرة من أخطار من وجهة نظر الصليبيين والصهيانية، خلافاً لرأي المنصفين الذين لم يخل منهم الغرب نفسه، ولم تفتني الإشارة إلى ظاهرة أخرى، لا تقل خطورة عن الظاهرة السابقة، وهي اقدام العديد من الأنظمة على ضرب الحركات الإسلامية في أوقات سبقت على الدوام زج بلادنا في كوارث وأهوال مخيفة.

وحرصت على تضمين البحث عدداً وافراً من الحواشي والاضافات التوضيحية التي غطت معظم أسماء الشخصيات والاعلام والمواقع والأحداث والمناسبات المهمة، والمتصلة بموضوع البحث بشكل خاص، مما أدى إلى التعريف بمجموعة كبيرة من السلاطين والصدور العظام والوزراء والقادة العسكريين والولاة والساسة المعارضين ورجال الجمعيات والحركات والأحزاب فضلاً عن العديد من المفكرين والصحفيين والشعراء والأدباء العرب والأتراك.

كما حفلت المراجع بالتعريف بالعديد من المدن والمواقع العربية والتركية وسلطت الأضواء على الحوادث والمعارك التي ترتبت عليها نتائج خطيرة بحيث شملت فترة البحث ودائرته الجغرافية والبشرية.

وليس خافياً أن المنهج الذي اتبعته في بحثي هذا يندرج غالباً ضمن المدرسة الحديثة للتفسير الإسلامي للتاريخ، التي تولي اهتمامها للأفكار والقواعد والأعمال، لا للعناصر والحكام والآثار، بمعنى أن المواطن في الدولة الإسلامية يهتم بمتابعة مدى تقيّد الحاكم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وخدمة الإسلام والمسلمين، أكثر من اهتمامه بانتمائه القومي أو وضعه الاجتماعي تمسحاً مع قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة - ما أقام كتاب الله فيكم» (عن انس ر) (رواه البخاري) وهذه المدرسة التاريخية ليست بدعاً، بل أن جذورها راسخة في عقول وأفهام الشعوب الإسلامية منذ كان الإسلام، وإذا ذكرنا صلاح الدين الأيوبي، أو طارق بن زياد، أو الظاهر بيبرس، نجد أن لهم من التقدير في النفوس ما لا يقل عن تقديرنا لحسان بن النعمان أو موسى بن نصير أو محمد بن أبي القاسم الثقفي، دون أن يخطر ببالنا أن ذلك كردي والثاني بربري والثالث تركماني، والآخرين من العرب الاقحاح، كما أن فضل محمد الفاتح العثماني في اقتحام أسوار القسطنطينية وتهديم الحواجز التي وقفت بين الإسلام وانتشاره في أوروبا قروناً طويلة لا يقل في نظرنا عن فضل سعد بن أبي وقاص أو خالد بن الوليد في تحطيمهما لحواجز الرومان والفرس.

ومن هذا المنطلق كان تعاطفنا أكيداً مع السلطان عبد الحميد الثاني الذي لم تمنعه «طورانيته» من الحفاظ على مقدسات المسلمين بفلسطين وغيرها رغم معرفته الأكيدة بخطورة القرارات التي يتخذها وضراوة القوى التي يجابهها، وكان موقفه ذاك أكثر مدعاة لاحترامنا من مواقف الشبان العرب الذين تورطوا في الاستعانة على الحاكم المسلم - حتى ولو كان ظالماً - بالأجنبي الطامع الذي غرر بهم ونكث بعهودهم وسام

أولادهم وأحفادهم مرارة الاحتلال والاستعمار.

ذلك جانب من المدرسة الإسلامية في التفسير التاريخي، أما الجانب الآخر لها فهو رصيدها الكبير من التجربة في مجال ضبط السيرة النبوية وتدوين الأحاديث الشريفة، وقد سعت في بحثي ما أمكن إلى اللقاء مع نفر من المسنين الذين عاشوا عصر عبد الحميد، وما زالت ذاكرتهم تسعفهم في تصحيح بعض الوقائع التي أوردها المؤرخون الغربيون حول ذلك العصر وصاحبه.

بقي جانب ثالث في هذه المدرسة، وهو الانطلاق في النظرة إلى الأمور من زاوية وحدوية تاريخية واجتماعية وثقافية لمختلف الشعوب الإسلامية في إطار مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، واتخاذ هذه النظرة معياراً نقيس به مدى تقيد الحكام بها في معاملتهم لتلك الشعوب.

والذي لمسناه أن عبد الحميد، التركي، اتخذ من العرب حاشية، ومن الأكراد أنصاراً، ومن الشراكسة حراساً، بينما كان «الطورانيون» يتآمرون مع الدوغة والانكليز للاطاحة بعرشه، ولقد أحصى المؤرخون مئات من الضباط العرب في الجيش العثماني، بل إن قائد الجيش الذي أطاح بعبد الحميد نفسه عمود شوكت كان من العرب، وتولى شقيقه فيما بعد - حكمت سليمان - رئاسة الوزارة في العراق.

وإذا شئنا الموضوعية في تقويم أعمال عبد الحميد ننظر إلى انجازاته وآثاره في تركيا وفي كل عاصمة عربية فنرى أنه لم يقتصر في أعماله في الانشاء والعمران والخدمات على ولاية دون أخرى، ومهما كانت النظرة إلى أهدافه من وراء الخطوط الحديدية العديدة التي ربطت أنحاء الدولة ببعضها فإن هذا الانجاز أفاد جميع الرعايا دون تمييز بين قومية وقومية.

كما أن الاحصائيات تشير إلى أن عدد المعلمين العرب كان يفوق بكثير المعلمين الاتراك، ويعزو بعضهم هذه الظاهرة إلى نشاط الرسائل التبشيرية رغم أن المبشرين لم يمنعوا من ممارسة النشاط في استانبول نفسها. وهكذا نجد أنفسنا في صف واحد مع عبد الحميد سواء في رفعه لشعار الجامعة الإسلامية أو في تطبيقه العملي لهذا الشعار داخل وخارج الدولة العثمانية.

تبقى نقطة أخيرة في معرض تقديمنا لهذه المدرسة، مدرسة التفسير الإسلامي، وهي قضية المصطلحات التاريخية، ومن الطبيعي أن يستمد الباحث تعابير ومصطلحاته من واقع انتماءاته الفكرية وبيئته الثقافية وقد حرصت ما أمكن على استخدام تلك المصطلحات مع ذكر الرديف «العصري» لها كما حصل عند مناقشة مسألة «أهل الذمة» التي يسمونها مشكلة الأقليات وكان العثمانيون يطلقون عليها «نظام الملة» ولا ريب في أن اعتماد المصطلحات الأصلية أدعى للحقيقة وأفضل في تثبيت شخصيتنا الإسلامية.

ولقد يأخذ البعض على بحثنا عدم التزامه المطلق بفكرة الحياد التاريخي الأصم. ولعل من أبرز حوافز رفضنا لتلك الفكرة، التي يدعوننا للالتزام بها كبار أساتذة التاريخ في جامعات أوروبا وأميركا، هو ما نشهده في مؤلفات عدد كبير منهم من تحن وغرض حينما يتصدون لطرق الموضوعات والأبحاث المتصلة بالاسلام والمسلمين وبدافع خفي من تكوينهم الثقافي الذي لم يتحرر بعد من الكثير من الرواسب الصليبية ولهذا نرى أن التزام الحياد إلى حد ضياع الشخصية الفكرية للباحث أمر في منتهى الخطورة.

ونحن نلاحظ ببساطة مدى خطورة الغزو الثقافي الذي تفرقنا في لجنه دور النشر الأجنبية التي تنابع تطور أوضاعنا السياسية والفكرية والاجتماعية فتسارع إلى إصدار عشرات الكتب والمؤلفات التي تحمل أسماء أكاديمية لامعة ولكنها تفتقر غالباً للروح الأكاديمية، ناهيك عن الدور الذي مارسته وتمارسه الجامعات والمعاهد

الأجنبية في عقر دارنا مما أضاف الى مشكلة «الاقليات» مشكلة جديدة بحيث أصبح تلامذة وخريجي كل جامعة يشكلون فريقا أو حزبا يتعصب لأفكار ومناهج المؤسسة التي أعدته لخدمة أهدافها بصورة تلقائية كما طالعنا مجالات عربية تصدرها وتقولها وتغطي خسائرها جهات أجنبية.

ولكي ندرك خطورة هذه المؤسسات حسبنا الإشارة الى ما أورده جورج انطونيوس في كتابه «يقظة العرب» حيث قال: «انبثق فجر حركة العرب القومية في ديار الشام وكان ذلك عام ١٨٤٧ م بتأسيس جمعية متواضعة في بيروت يرعاها الامريكان». ويقول: «وقد بدأ عمل منظم في حركة العرب القومية عام ١٨٧٥ بقيام خمسة شبان من الذين تلقوا العلم في الكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الاميركية ببيروت) بتشكيل جمعية سرية وكانوا جميعا من النصارى الا أنهم أدركوا ضرورة أشراك المسلمين والدروز معهم». ويضيف: «كانت الماسونية قد دخلت بلاد الشام من عهد قريب فتمكن القائمون على الجمعية السرية من حمل المحفل الذي أنشئ حديثا على الاهتمام بعملها، وذلك بتوسط أحد الأعضاء».

ولهذا فاننا نستشعر مسئوليتنا للقيام بدور — مهما كان بسيطا — باعتبارنا على نفرة من ثغور الاسلام، ولن نرضى بأن يؤتى الاسلام من قبلنا امتثالا لقوله تعالى:

«وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» . (سورة هود الآية ١٢٠)

ونقشها مع ما جاء في القرآن الكريم:

«لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» .

(سورة يوسف ١١١)

وبالطبع فإن التزام المدرسة التاريخية الاسلامية أدعى لالتزام الصدق وتوخي الدقة في سرد الأحداث وتحليل الوقائع مع التخير والاحتراز متبعين الطريقة العقلية في البحث باعتبارها هي الاساس الذي يمكن أن يعمل عليه ويركن إليه في الحكم على الأشياء، خلافا لما ينادي به أتباع الطريقة العلمية، لأن تلك الطريقة محصورة في نطاق البحث العلمي وحده، وفي اطار المواد التي يمكن أن تخضع للتجارب ومن الخطأ — في اعتقادنا — تطبيقها في بحث مسائل الفكر والابدولوجيا، أو قضايا الانسان والمجتمع والطبيعة.

وبالتالي فان التاريخ لا تخضع مواده للتجربة العملية، والطريقة العقلية هي وحدها التي توصلنا لادراك الحقائق التاريخية وتمكننا من تمييز الخطأ من الصواب، وتعطينا النتائج القطعية عن وجود الشيء، والنتائج الظنية عن كنه الشيء وصفته وحكمها على وجود الشيء يقيني قطعي باعتبارها الاساس الوحيد الملائم للبحث التاريخي، وحتى لو افترضنا امكانية التعارض بين النتائج العقلية والنتائج العلمية عن وجود الشيء، فاننا نرجح الأخذ بما وصلت اليه النتائج العقلية، لأنها كما أسلفنا هي الجديرة بالركون اليها.

ومع الانتباه الى أن الطريقة العلمية أهم ما فيها أنها تقتضيك اذا أردت بحثا أن تحو من نفسك كل رأس وكل ايمان لك في هذا البحث.

وهذا الرأي صحيح ولكنه ليس علميا، بل هو عقلي، فالموضوع متعلق بالبحث وليس بالرأي، والبحث العقلي يكون بنقل الواقع بواسطة الاحساس الى الدماغ والبحث العلمي يكون بواسطة التجربة والملاحظة. ولأنه لا بد من وجود معلومات سابقة في الطريقة العقلية، بينما تفرض الطريقة العلمية التخلي عن المعلومات السابقة.

وهكذا فإن التخلي عن الآراء عند البحث يقتضي النظر فإن كانت: آراء قطعية ثبتت بالدليل القطعي فلا يصح التخلي عنها لأنه إذا تعارض قطعي وظني يؤخذ بالقطعي ويرد الظني. ولا يحتاج «بالموضوعية» فهي ليست التخلي عن كل رأي سابق فحسب بل حصر البحث في الموضوع الذي يبحث أيضا.

وبالنسبة للمنطق فهو قابل للخداع والتضليل، نتيجة البناء على مقدمات خاطئة، أو معلومات مضللة، مما يؤدي الى نتائج متناقضة، وأخطار فظيعة، وهو أسلوب معقد وعقيم من أساليب الطريقة العقلية، قد يوصل الى عكس الحقائق.

والطريقة العقلية هي طريقة القرآن الكريم والاسلام، فالآيات كلها تأمر باستعمال الحس لنقل الواقع حتى يصل الى النتيجة الصحيحة، والتفكير بها وتطبيقها انما يكون بطريقة عقلية وبأسلوب مباشر لا بالأسلوب المنطقي.

ولا بد من العمق في الفكر والاخلاص في التفكير للوصول الى الحقائق، ومن أخطر ما يحصل لعدم الانتفاع بالحقائق هو إهمال التاريخ. ذلك ان التاريخ فيه حقائق ثابتة لا تتغير، وفيه آراء وليدة ظروف، ليست حقائق، ولا يصح أن تطبق في ظروف مختلفة عن ظروفها، ولا بد من التمييز بين الحقائق والواقع.

ففكرة القومية مثلا هي التي زعزعت كيان الدولة العثمانية، والعثمانيون حاربوا الغرب كعثمانيين لا كمسلمين فحسب - هذه حقيقة - أما انهزامهم في أوروبا ثم في الحرب الأولى فهو حدث من أحداث التاريخ. وأوروبا حاربت العثمانيين في الأعمال السياسية أكثر من العسكرية التي لم تكن سوى مساعدة للأعمال السياسية كمشكلة البلقان، التي خلقتها التصريحات حول حقوق القوميات والثورات، التي أغفل العثمانيون أسبابها الحقيقية، فسكتوا عن الدعوة للقومية حتى لاحقتهم في عقر دارهم وقضت عليهم.

وحقائق التاريخ هي أغلى ما لدى الانسان وأعلى أنواع الأفكار، والتفكير بالحقائق هو التفكير المجدي.

واذا كان الفكر حقيقة فلا يصح أن ينظر فيه الى الظروف والأحوال مهما تغيرت وتبدلت، بل يجب أن يؤخذ كما هو بغض النظر عن الظروف والأحوال، ولا سيما أنها لا تؤخذ بالطريقة العلمية باعتبارها ظنية، بل تؤخذ بالطريقة العقلية وبالجانب اليقيني منها لأنها تتعلق بالوجود، لا بالكنه أو الصفات.

وأخيرا كان نجاح القادة العباقرة يفشل ازاء جمود الشعوب وخوفها في ميدان الفكر السياسي كما حصل عند اقفال باب الاجتهاد وتعطيل التفكير منذ القرن الرابع الهجري.

وهذا ترانا في موضع المقدرين لقيمة شخصية تاريخية كشخصية السلطان عبد الحميد الثاني، استنادا الى الحقائق العقلية التي اقتنعنا بها، من خلال طرحه لشعار «الجامعة الاسلامية» وأسلوب قيادته لسفينة الدولة العثمانية عبر ٣٣ عاما من الخوض في بحر السياسة الدولية المتلاطم، ولعلنا نخدم الحقيقة التاريخية اذ نخلص الى طرح بعض المقترحات التي نراها جديرة بالبحث من قبل المعنيين بدراسة التاريخ العثماني وهي كالتالي:

— أهمية دراسة التاريخ العثماني كوحدة تاريخية تشمل البلدان العربية والاسلامية بوصفها وحدة حضارية.

- الحاجة لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في العهد العثماني.
- العناية بدراسة طبيعة العلاقات الدولية بين العثمانيين ومختلف الدول الكبرى.
- دراسة تاريخ كل دولة عربية على حدة بوصفه امتداداً لوحدة التاريخ الاسلامي.
- أهمية توثيق التاريخ العثماني وفهرسته وتصنيفه وترجمته وثائقه الهامة.
- اصدار فهرست عام «بيلوغرافيا» لجميع مصادر التاريخ العثماني.
- التوسع في نشر الدراسات التاريخية حول العهد العثماني.
- وضع أطلس تاريخي وجغرافي مفصل للدولة الاسلامية في اقصى اتساعها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، أي في العهود العباسية والأندلسية والعثمانية.
- التعاون بين مراكز البحوث العربية والمؤسسات الأكاديمية العربية لتبادل وثائق العهد العثماني لاستكمال تاريخ عهود الدولة العثمانية بدقة.
- الاتصال بالمستشرقين والمؤرخين ومراكز البحوث والجامعات العالمية لتبادل المعلومات معهم حول الموضوع.

وبعد فإن واجب الوفاء يقتضيني المبادرة الى تقديم وافر الشكر وحزبل الامتنان للاستاذ الدكتور علي حسني الخربوطي استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس ووكيل معهد الدراسات الاسلامية الذي تكرم بالاشراف على هذه الرسالة.

والى الاستاذ الكبير الدكتور سيد رجب حراز استاذ التاريخ الحديث وعميد كلية الآداب بجامعة القاهرة الذي كان له من الفضل والجهد في الارشاد والتوجيه منذ عدة سنوات، عدا عن تكريمه بالمشاركة في مناقشة هذه الرسالة مما يستوجب الشكر العميق.

والى الاستاذ الدكتور أحمد جمعة الشرباصي استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة الأزهر واستاذ الدراسات الاسلامية في المعهد العالي للدراسات الاسلامية لتفضله بالمشاركة في مناقشة هذه الرسالة.

كما يقتضيني واجب الوفاء أن أسجل شكري وتقديري للصديق الحبيب أحمد عبدالله الفليج الذي كان وما يزال المشجع الأول لنشر مؤلفاتي وأبحاثي المتواضعة، مضجياً بوقته وجهده وماله في سبيل إيصالها إلى أوسع قدر ممكن من القراء في الوطن العربي.

وبعد فإن الحرف أمانة، والكلمة مسؤولية، والحق شهادة واجبة الأداء، وهذا الكتاب خلاصة جهد عمره عشر سنوات ونيف، قصدت فيه وجه الله الكريم وحده، من خلال انصاف آخر الخلفاء الأقوياء، الذين زالت بإزاحتهم عن الحكم، الخلافة الاسلامية، وإذا كانت روح السلطان عبد الحميد الثاني ستهناً في مستقرها لصدوره، فإن عبد الحميد الثاني حاكم مضى، وأنا أعلم أن كثيرين لن يرضيهم ما في هذا الكتاب — الشهادة.

وإذا تحقق القصد الأول والأخير، وهو رضا الله تعالى، فهو حسبي ونعم النصير، راجياً من الباري عز وجل أن يحشرني مع الشهداء والصديقين، وحسن أولئك رفيقاً، آملاً أن تجد الأجيال الاسلامية الصاعدة، في هذا الكتاب، خير الزاد، للاعتبار بما فيه، ولمعوتها في استئناف حياة العز والمجد، التي إفتقدتها الأمة، منذ أن دالت دولة الخلافة.

ولا يفوتني في الختام أن أضرع الى الله العلي القدير أن يهيء لأمتنا الاسلامية من أمرها رشداً، وأن يقود خطاها نحو رص صفوفها وتجديد وحدتها في ظل شريعته السمحة ونظامه الأمثل. والله من وراء القصد.

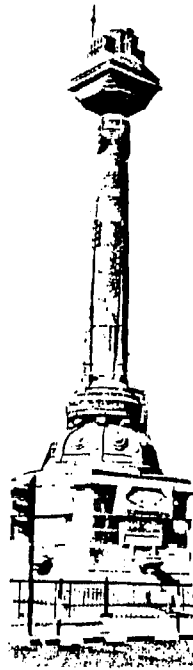
موفق بنى المرحبة

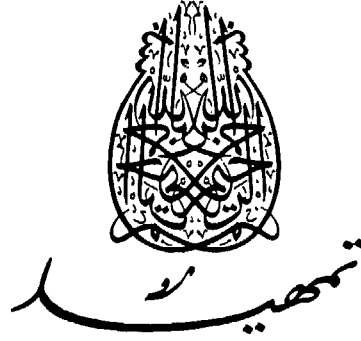
القاهرة: ربيع الأول ١٣٩٩ هـ شباط (فبراير) ١٩٧٩ م





التمهيد
العرب والخلافة العثمانية
دولة آل عثمان : النشأة - الفترع - الخلافة





أمضى العثمانيون قرابة قرنين من الزمن حكمهم خلالها ثمانية من السلاطين قبل أن يولوا وجوههم شطر البلاد العربية.

وكان الأتراك العثمانيون كأسلافهم الأتراك السلجوقيين وكقبائل الهون زحفوا على أوروبا في القرن الخامس الميلادي من الجنس المغولي أو الطوراني ومهدهم الأصلي وسط آسيا وشمالها. وينتسب هذا الجنس أيضا لقبائل البلغار الذين زحفوا على شرق أوروبا واستوطنوه أثناء القرنين السابع والتاسع.

والأتراك العثمانيون آخر القبائل الآسيوية التي زحفت على أوروبا واستوطنتها وأهم وأثبت الدول المغولية التي ظهرت في التاريخ (١).

ولقد بدأ تاريخ العثمانيين بحادثة روائية جلية الشأن، وتدل على ما في أخلاقهم من الشجاعة والبطولة. ففي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كانت قبيلة صغيرة من قبائل وسط آسيا — التي اكتسحها المغول (٢) — تحول بقيادة رئيسها «أرطغرل» في آسيا الصغرى قرب أنقرة، إذ رأت جيشين يقتتلان في معركة قد حمي وطيسها، فما كان من رجال هذه القبيلة الصغيرة إلا أن اقتحموا ميدان القتال، مدفوعين بغريزتهم الحربية آخذين الجانب الضعيف من المتحاربين، فدارت الدائرة على الأقوياء وانتصر «أرطغرل» وحلفاؤه الضعاف.

ولقد دهش «أرطغرل» (٣) ورجاله عندما علموا أنهم ما نزلوا إلا لمساعدة بني قرايتم — الأتراك السلاجقة — ضد جموع المغول المغيرين على سلطنة «قونية» ومليكيها إذ ذاك «السلطان علاء الدين». (٤)

وقد كافأ علاء الدين تلك القبيلة الصغيرة على صنيعها الجميل بأن أقطعها جزءاً من مملكته قرب «بروسة»،

-
- (١) محمد رفعت ومحمد أحد حسنة (معالم التاريخ في العصور الوسطى) الطبعة الثالثة ١٩٢٦م — مطبعة مصر ص ٢٣٧.
 - (٢) ظهور المغول في التاريخ كأمة حاكمة كان في القرن الحادي عشر: وأول زعيم عظيم لهم هو «جنكيزخان» ١٢٠٦ — ١٢٢٧ ويعد من أشد وأقوى القادة الذين روى التاريخ أخبارهم. فقد اكتسحت جوعه شمال الصين وتركستان والفرس وروسيا ودمرت كل ما وقع تحت نظرها. وامتد سلطان المغول بعد موته إلى وسط أوروبا. وقضى حفيده «هولاكو» على الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨ ومن أهم خلفائه «قبلاي خان» (١٢٥٩ — ١٢٩٤) الذي اتخذ «بكين» عاصمة له وجاءت إليه الوفود والسفراء من كل الانحاء، إلا أن دولته اضمحلّت بعد موته وجاء تيمورلنك (١٣٦٩ — ١٤٠٥) فوجد الدولة. واتخذ «سمرقند» عاصمة له، وكان يريد إخضاع جميع العالم لسلطته. لكن دولته انقرضت بعد موته ولم يبق لها أثر إلا في الهند حيث أسس «بابر» وهو من نسل تيمورلنك سنة ١٥٢٥ دولة المغول العظيمة التي خلفت فيها أبعد الآثار واستمرت إلى أن قضى عليها الإنكليز في القرن الثامن عشر.
 - (٣) كانت القبيلة الضعيفة بقيادة سليمان قتلميش أحد أقرباء ألب أرسلان الذي تمكن حفيده قلعج أرسلان من تثبيت سلطانه في أصفه وعرفت أمارته بسلطنة السلاجقة الروم واتخذ قونية عاصمة له.
 - (٤) يطلق العرب على منطقة الأناضول التي نزل بها الأتراك إسم (بلاد الروم) أو (أرضروم) وهو تعبير جغرافي وسياسي وديني، فالروم أصحاب المذهب الرومي الأرثوذكس، وبعد زوال امبراطورية بيزنطة وفتح القسطنطينية أصبح يطلق على السلاجقة الروم ثم على الأتراك الذين حلوا محلهم (انظر في تفصيل قيام الدولة العثمانية كتاب «العرب والعثمانيون» للدكتور عبد الكريم رافق ص ٢٦ الطبعة الأولى ١٩٧٤ — ومناقشة البروفيسور P.Wittck للرواية العثمانية ورفضه لها في كتابه:

(The Rise of the ottomen Empire, London , 1938, pp, 6-15).

وكانت تلك القبيلة الصغيرة هي أصل الأتراك العثمانيين، ورئيسها «آرطغرل» هذا هو والد عثمان الذي سميت باسمه الأمة والدولة.

ولما مات «آرطغرل» سنة ١٢٨٨، خلفه ابنه الأكبر عثمان وأبدى شجاعة عظيمة في التغلب على القبائل والقلاع المجاورة له والتي كانت بأيدي الروم. وكان جزاؤه أن رقاها السلطان «علاء الدين» إلى رتبة الأمراء وجعله حاكما مستقلا في جميع الأراضي التي فتحها.

وفي عام ١٣٠٠ أغار المغول على دولة السلاجقة بآسيا الصغرى ففوضوا عليها، وتوفى السلطان «علاء الدين» واستقل كل أمير بمقاطعته وأصبح عثمان مستقلا تمام الاستقلال في أمارته، فجعل يوسف أملاكه رويداً رويداً حتى سمع بفتح «بروسة» (١) وهو على فراش الموت.

وقد اهتم عثمان (٢) بتنظيم جيشه وحكومته فكبر اسمه وعظم شأن دولته وطار صيت آل عثمان بين الأمراء لذلك كله اعتبر عثمان المؤسس الأول لدولة آل عثمان ولهذا أيضا انتسبت إليه الدولة والأمة. وفي سنة ١٣٣٦ مات عثمان وخلفه ابنه «أورخان» الذي تدرب على أعمال الحرب والحكم حتى استولى على بروسه واتخذها مقراً للدولة الحديثة وبذلك اقترب آل عثمان من القسطنطينية مقر الدولة البيزنطية.

ولم يكن بد من استمرار الحرب بين حكومتين احدهما فتية قوية تريد أن توسع سلطانها والأخرى هرمة آخذة في الاضمحلال فاستولى أورخان على أزمير، ولكن قبل أن يتمكن العثمانيون من الوصول إلى القسطنطينية رأى أورخان ضرورة القيام بعدة إصلاحات كان لها أثر مباشر في الانتصارات التي كسبها العثمانيون بآسيا الصغرى أولاً ثم في أوربا.

فقد فتح «نيقوميديّة» و «نيقية» وغيرها من البلاد الآسيوية والبيزنطية، ثم أمضى نحو عشرين عاماً في تثبيت دعائم حكمه وإصلاح أمور البلاد وتنظيم الجيش، وإنشاء العسكر الجديد (الانكشارية) التي أصبحت لفترة طويلة عماد الدولة العثمانية ودرعها في الحرب والفتوحات.

وحينما رقى محمد الثاني بن مراد الثاني عرش آل عثمان شرع في تحقيق أمنيته وأمنية المسلمين منذ صدر الاسلام في فتح القسطنطينية (٣) حتى تم له ذلك، رغم ضخامة الموانع في ربيع عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) وأصبح يعرف باسم محمد الفاتح. وما لبث أن أصبحت (اسلام بول) أو استانبول عاصمة للدولة العثمانية ومنطلقاً لفتوحات أوربا كلها. بعد أن كانت الفتوحات قد توقفت في هذه القارة، منذ استشهاد عبدالرحمن الغافقي في بلاط الشهداء جنوبي فرنسا.

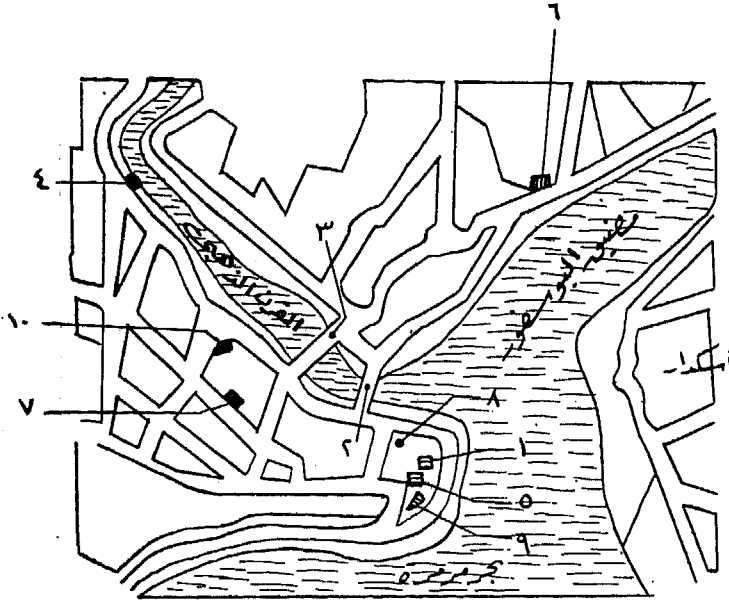
ولم يلبث محمد الفاتح أن انطلق لانخضاع «المورة»، و «الصرب» و «البوسنة» كما هدد إيطاليا والمجر والمانيا، ودانت له «طرابزون» و «القرم» في آسيا، ثم عاد لفتح البانيا وأجزاء من إيطاليا (أملاك البندقية) ومات قبل أن ينفذ خطته في فتح رودس.

وخلفه ابنه يزيد الثاني، الذي حقق أول انتصار بحري عثماني ضد اسطول البنادقة، ثم تنازل لابنه سليم الأول، فكان أعظم سلاطين آل عثمان، وأكثرهم انتصاراً وفتحاً، مع ولعه بالمطالعة والأدب. وقد تصدى للشاه اسماعيل

(١) بروسه منطقة على تخوم الدولة الرومانية الشرقية تسمى «اسكي شهر» سلطانوني أصبحت مهداً للدولة ومركزاً للجهاد حيث ولد فيها «عثمان» ابن ارطغرل الذي تنسب إليه الدولة العثمانية.

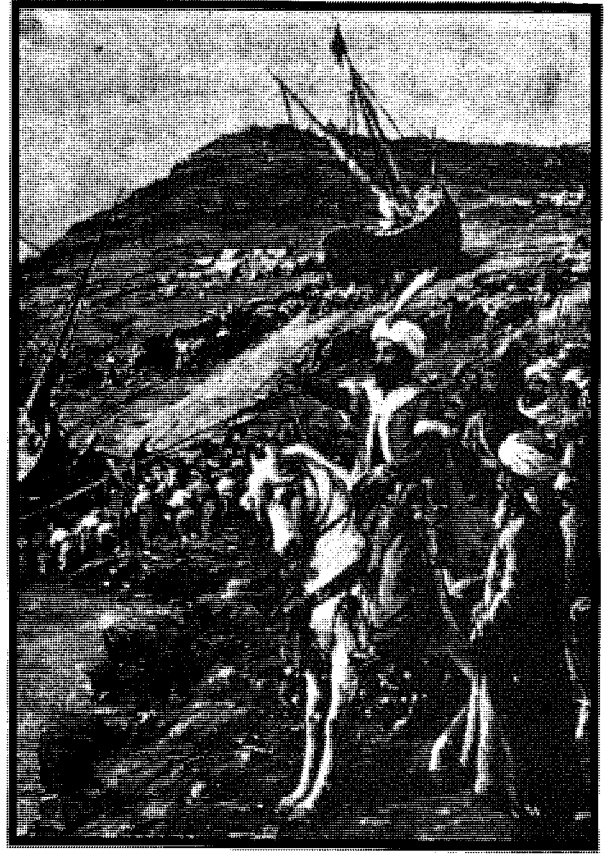
(٢) عثمان ولد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ونشأ مولعاً بالحرب وانتزع من البيزنطيين في صباه مدينة «قرة حصار» وغيرها فمنحه سلطان قونية لقب «بك» ورفاه إلى رتبة الأمراء.

(٣) يقول البارون «كارادوفو» في كتابه (مفكروا الاسلام): ان فتح القسطنطينية لم يكن مصادفة أو نتيجة ضعف بيزنطة، بل كان السلطان محمد الفاتح يستخدم أحدث ما وصل اليه العلم في عهده فعمل على تركيب أضخم المدافع وكان اسطوله يقدر بمائة وعشرين سفينة وفتح المسلمون المهاجون ثلماً في باب سان رومان كما هدموا أربعة أبراج وتحولت الأسوار المزدوجة إلى انقاض مما تعذر على الروم سده.



- | | | | |
|---|------------------------|----|---------------------|
| ١ | سرای طرب قیو | ٦ | سرای دولت ابراهیم |
| ٢ | جسر غلطة | ٧ | جامع الفاتح |
| ٣ | جسر آتاتورك | ٨ | محطة السكك الحديدية |
| ٤ | جامع ابي ايوب الانصاري | ٩ | جامع السلطان احمد |
| ٥ | جامع آياضوفيا | ١٠ | جامع السلطان سليم |

خريطة مبسطة لإستانبول



السلطان محمد الفاتح في لوحة تمثل عملية نقل الاسطول العثماني عبر اليابسة من مضيق البوسفور الى القرن الذهبي

الصفوي (١) الذي حاول نشر المذهب الشيعي وبسط سيطرة الفرس على العراق، وهزمه في «جالديران» قرب تبريز واستولى على «ديار بكر» و «کردستان» وكان ذلك مقدمة لفتح الشام ومصر أثر انتصاره في «مرج دابق» و «الريمانية» حيث انتقلت الخلافة الشرعية إليه بتنازل المتوكل على الله آخر خليفة عباسي في القاهرة وأصبح السلطان سليم الأول خليفة للمسلمين في جميع أنحاء العالم منذ عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧) ميلادية، ومات بعد ثمانية أعوام من حكمه، وكان شريف مكة قد سلمه مفاتيح الحرمين الشريفين، ثم خلفه السلطان سليمان القانوني الذي اعتبر عصره من أزهى عصور العثمانيين، بفضل النهضة العلمية التي صاحبت الاستكشافات العلمية والجغرافية الأوروبية، حيث فاق العثمانيون شتى الدول الأوروبية عسكريا وإداريا وعلميا وسياسيا، كما فتح سليمان بلغراد وانتزع رودس من فرسان القديس يوحنا، وانتصر على المجر في موقعة «موهكز» الفاصلة ولم يشغله ذلك عن فتح أرمينيا والعراق حتى أصبحت البحرية العثمانية مهابة في جميع البحار من الأبيض إلى الأحمر إلى المحيط الهندي.

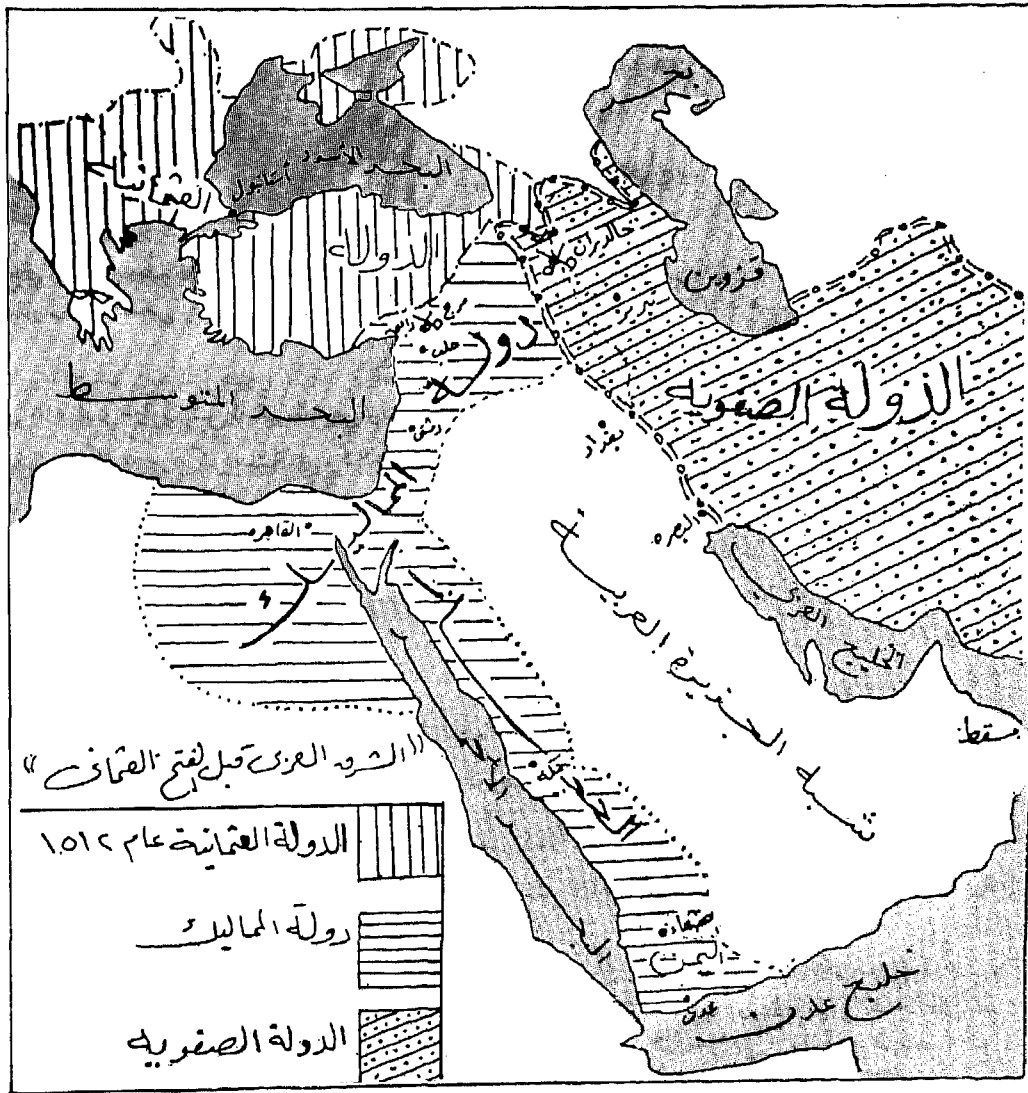
على أن الأساطيل العثمانية على قوتها وشدة بأسها لم تقدر على التغلب على فرسان القديس يوحنا «أصحاب جزيرة مالطة»، وكانت هذه الجزيرة قد أعطاها لهم الإمبراطور شارل الخامس عندما طردهم العثمانيون من جزيرة رودس سنة

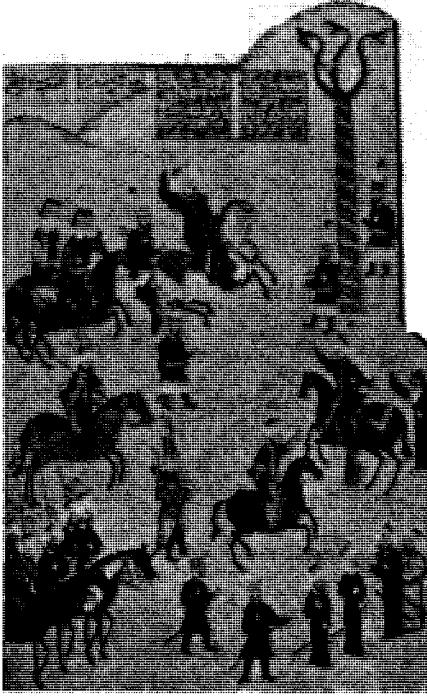
(١) الصفوية حركة دينية مؤسسها الشيخ صفي الدين الأردبيلي سنة (١٢٥٢ - ١٣٣٤ م) وينسب إلى الإمام موسى الكاظم، وقد تحولت إلى حركة شيعية على يد حفيده الشيخ إبراهيم، وعندما تولى رئاستها اسماعيل الصفوي تحولت إلى نظام سياسي بعد أن أعلن نفسه شاهاً لإيران في يوليو سنة (١٥٠١ م) واتخذ تبريز عاصمة له واستعانت به أوروبا لاشغال العثمانيين عن الاستمرار في فتوحاتهم، حتى انتزع سليمان القانوني العراق نهائياً من أيدي الصفويين بعد انتصاره في ١٥٣٤ م.

٩٢٨هـ (١٥٢٢م) فبقوا على مالطة محافظين من ذلك العهد وصدوا عنها العثمانيين مرارا وفي آواخر أيام سليمان أرسلت الدولة إليها أسطولا عظيما سنة ٩٧٣م (١٥٦٥م) بقيادة مصطفى باشا بيالة ودراغوت فحاصروها أربعة أشهر ثم اضطروا للجلاء عنها بعد قتال عنيف وذلك لما أبداه فرسان القديس يوحنا من الشجاعة والصبر ولم يبق من حاميتها بعد هذا الحصار إلا ستمائة فارس بعد أن كان بها تسعة آلاف.

ومات السلطان سليمان عام ٩٧٤هـ (١٥٦٦م) أثناء غارته الأخيرة على المجر، وكانت سنه اذ ذاك ستاً وسبعون سنة.

وقد أجمع المؤرخون على أن عصر سليمان الأكبر هو العصر الذي بلغت فيه الدولة العثمانية أقصى مجدها وعظمتها: ففي مدة ثلاثة قرون تسنى لقبيلة آل عثمان الصغيرة أن تبسط سلطانها ونفوذا على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وقد فتوحها من مكة المكرمة إلى بودابست من جهة ومن بغداد إلى الجزائر من جهة أخرى فكان كل من الشاطئين الشمالي والجنوبي للبحر الأسود في قبضة يدهم وجزء عظيم من مملكة النمسا والمجر الحالية يعترف بسلطانهم. وقد دان لسلطانهم أيضا شمال افريقية من أطراف بلاد الشام إلى حدود بلاد مراكش.





محمد الثاني فتح القسطنطينية يوم ٢٩ مايو ١٤٥٣ م منهايا بذلك عصر الظلام في أوروبا .

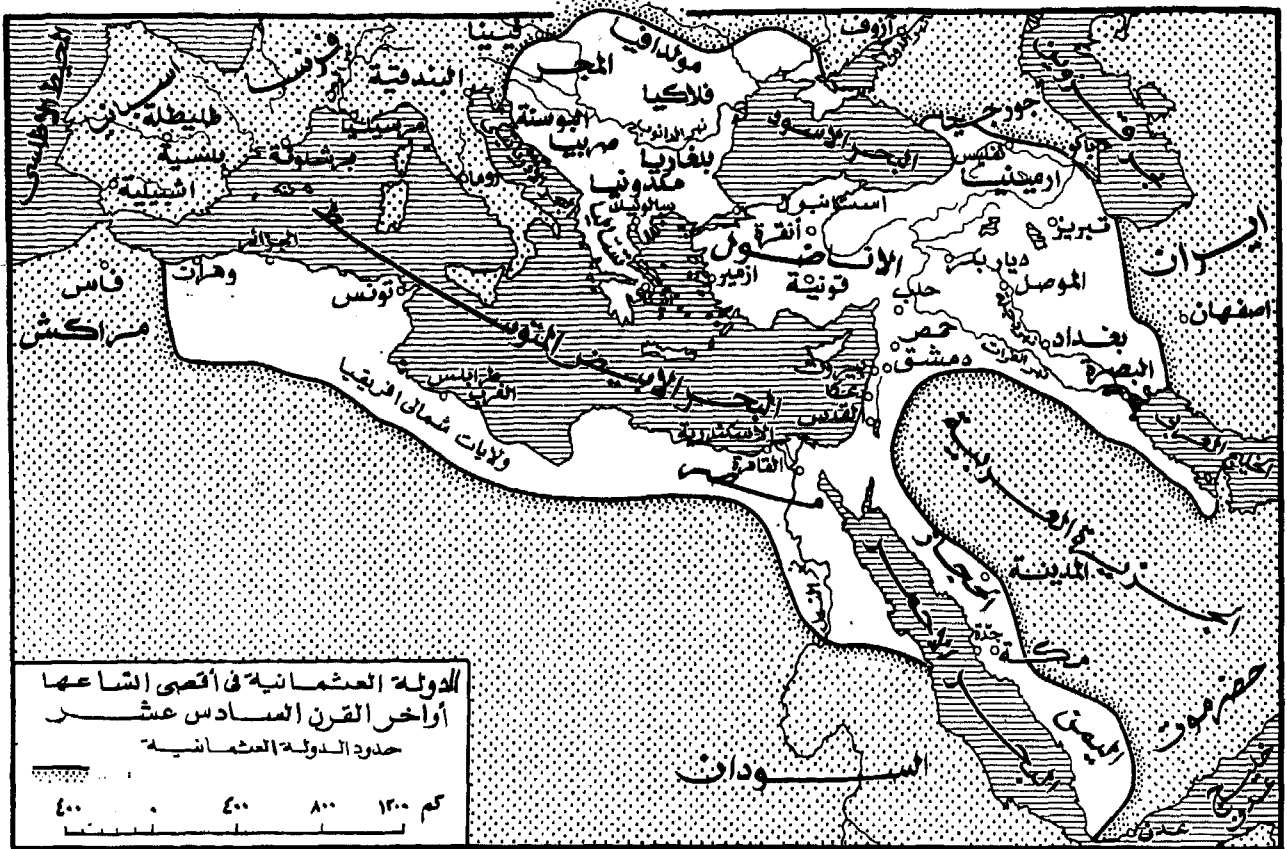
جنود «الباش بوزوق» ادهشوا البيزنطيين والعالم بشجاعتهم
الخارقة في اقتحام أسوار القسطنطينية المنيعه

وبعد موت سليمان ابتدأت الدولة في الانحطاط المستمر، اللهم الا فترات كانت تنتعش فيها وتظهر بعض مجدها العسكري القديم وترجع أسباب الانحطاط إلى عوامل خارجية وأخرى داخلية فان نمو القوة الروسية وظهور طائفة من أكابر القادة في المجر وبولندة والنمسا لمن أهم الأسباب الخارجية التي أدت إلى إضمحلال الدولة العثمانية وأدت إلى انتقاصها إلى مساحتها الحالية ، في حدود دولة «تركيا» .

ثم كانت ثمة جرائم داخلية تفتت عظام الدولة وتهز عرش مجدها وعظمتها الاثيلين اذ أن حكم ولايات الدولة العثمانية المختلفة الاديان والمذاهب والاجناس ، وحفظ نفوذها فيها يحتاجان إلى نشاط وحكمه يفوقان مثلها في إدارة شؤون الدول الأخرى المؤلفة من عنصر واحد ودين واحد ، لأن نفوذ العثمانيين الذين حكموا كثيراً من الشعوب الأجنبية المختلفة لم يكن ليديم طويلا إلا بعناية خاصة باعداد الجيش لكل طارئ فجائي من جهة ، وبارضاء تلك الشعوب المختلفة والتوفيق بينها واكتساب إحترامها للدولة من جهة أخرى .

وذلك ما لم يتهيأ للحكومة العثمانية بعد سليمان لأنها لم تعر كل هذه الأمور شيئا من الالتفات ، اذ بعد أن نهض الملوك السالفون من آل عثمان بالدولة إلى ذروة مجدها بما أوتوه من الذكاء والحدق ، خلف من بعدهم من أوضاع تلك الاملاك الشاسعة التي نالها أجداده بحد السيف وحافظوا على كيائها بحسن ادارتهم .ولم يكن لهؤلاء السلاطين الضعفاء هم إلا الانغماس في اللذات غير مكترئين بتضعع ملكهم .

فلما أصبح الجنود بلا سلطان شجاع يقودهم إلى ساحة الجهاد وسقطت هيبة السلاطين من أعينهم أخذوا يشعرون بما لهم من الحول والقوة وابتدأوا يعزلون ويولون من السلاطين من يشاؤون مبتزين الأموال الكثيرة والأعطيات الجزيلة من كل سلطان يقيمونه على العرش ، فأدى استئثارهم بالسلطة الواسعة التي كانوا يستعملونها على حسب أهوائهم إلى الانغماس في الترف والفساد إلى فقد جنود الانكشارية منهم بالتدرج ما كان لهم من الصفات الحربية القديمة وأصبحوا لا يوثق بهم في ساحة القتال ، فكان ما يبذل لهم من العطايا عند تولي كل سلطان تفوق قيمته في أعينهم أعظم انتصار لهم في ساحة القتال .



وقد استفاد العثمانيون في عهد السلطان مراد الرابع من انشغال أعدائهم حكام النمسا في حرب الثلاثين عاما في أوروبا (١٦١٨-١٦٤٨) فالتفتوا الى قتال الصفويين الذين بلغوا درجة كبيرة من القوة في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٩م) واحتلوا بغداد في ١٦٢٣م، ولم يتمكن العثمانيون من إعادة بغداد الى سلطتهم حتى سنة ١٦٣٨م وكان السلطان مراد الرابع قد قضى في هذه الأثناء على الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي تزايد نفوذه الى درجة كبيرة وهدد السلطة العثمانية في بلاد الشام.

وما لبث أعداء العثمانيين في الجهة الأوروبية ان استعادوا نشاطهم في الربع الأخير من القرن السابع عشر فصدوا للمرة الثانية هجوم العثمانيين على فيينا في ١٦٨٣، وكانت الدولة العثمانية آنذاك في فترة قوة خلال عهد وزرائها من آل كوبريلي وأعقب ذلك انتصار النمساويين وحلفائهم على العثمانيين وتوقيع معاهدة صلح مع آل هابسبورغ، حكام النمسا وتخلوا لهم بموجب هذه المعاهدة عن المجر التي كانت خاضعة منذ زمن طويل للعثمانيين، وكان ذلك بداية التخلي التدريجي عن المقاطعات الأوروبية المفتوحة كما تخلت الدولة العثمانية عن مناطق أخرى للنمسا عام ١٧١٨م.

وقد انعكس ضعف الدولة العثمانية بشكل عام على ادارتها في الولايات مما ادى الى ردود الفعل المحلية تجاه قوة الدولة العثمانية أو ضعفها ففي فترات القوة في عهد السلطان مراد الرابع والوزراء العظام من آل كوبريلي قضى على أغلب الفتن المحلية التي قامت بسبب ضعف الدولة ووطد العثمانيون هيبتهم ثم ما لبثوا ان فقدوها في فترات الضعف التي اعقبت ذلك ولاسيما خلال فترات النزاع الداخلي على السلطة كما سنرى خلال بحثنا لعهد السلطان عبد الحميد الثاني، حينما فقدت الدولة العثمانية معظم ولاياتها الأوروبية في غمرة الصراع بين السلطان و«الباب العالي» حينما بدأ الاتحاديون يعدون العدة للاطاحة نهائيا بعبد الحميد وتنصيب السلطان محمد رشاد الخامس، كما أدى النزاع

العربي-الطوراني الى زوال الدولة العثمانية نفسها ، والى بروز تركيا الكمالية وتجزئة البلاد العربية تحت نفوذ الدول الغربية ، بعد أن نجح خصوم الخلافة الاسلامية في تجنب أخطار شعار «الجامعة الاسلامية» (١).

ويقول ا.د. علي حسني الخربوطلي (ان كون الاتراك العثمانيين مسلمون كان العامل الاول الذي جعل معظم المسلمين يقبلون الحكم العثماني وبخاصة في وقت ضعفت فيه الدول الاسلامية وأصبحت الاطماع الأوربية تهدد العالم الاسلامي) (٢).

وكان من المألوف أن يطلب الوالي أو السلطان الى أهل الأزهر، أن يقرأوا البخاري ، لنصرة أو رفع بلاء أو جذب تبركا به ، ففي شهر رجب من سنة ١٢٠٢ قدم للقاهرة اغا من استامبول ، ومعه ألف قرش أرسلها السلطان عبد الحميد خان لتفريق على طلبة العلم في الأزهر ليقروا له صحيح البخاري ، ويدعوا له بالنصر. وليدعوا الله أيضا أن يرفع عن الناس الطاعون ، وبعد أيام كتب أهل الأزهر الى الباشا قائلين : ان الألف قرش لم تكف ، فزادها ثلاثة آلاف وأحضروا أجزاء البخاري وقرواها ، ولكن الطاعون لم يرفع بل زاد وفشا . وفي رجب ايضا من العام التالي ورد مرسوم من الدولة ، يأمر بقراءة صحيح البخاري في الأزهر لينصر الله السلطان على روسيا ويأمر بأن يدعوا أهل الأزهر بذلك بعد الآذان لكل صلاة ، فأمر الباشا باختيار عشرة علماء من مختلف المذاهب لقراءة البخاري في كل يوم ورتب لكل واحد منهم عشرين نصف فضة ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان من السلطان .

وعلى الرغم من الضعف الذي بدا على الدولة العثمانية في أواخر عهدها الا ان كثيرا من المؤرخين يرون أنها انقذت العالم الاسلامي من أخطار محققة ، كالاطماع الصليبية والاستعمار البرتغالي وخطر فرسان القديس يوحنا .

كما أن إثارة البعض لقضية تنازل العباسيين للعثمانيين عن الخلافة ومحاولة التشكيك بشرعية الخلافة العثمانية يفتقر الى الأدلة الموضوعية في حين تذهب معظم المصادر العربية والاجنبية الى تأكيد تنازل الخليفة العباسي المتوكل على الله عن الخلافة الى السلطان العثماني سليم الأول اثر فتحه لمصر عام ١٥١٧م وقد قال بهذا الفرنسي (دوسون) في مؤلفه (سلسلة عامة للإمبراطورية العثمانية) والمؤرخ (وليم ميور) في كتابه (دولة المماليك في مصر) فضلا عن بعض الشواهد الأخرى حيث كان بعض المتصلين بالسلطان سليم يطلقون عليه لقب الخلافة في مدائحهم .

ولعل أول وثيقة سياسية معروفة اطلقت على السلطان العثماني لقب خليفة واعترفت بسلطته الدينية على المسلمين خارج حدود الدولة العثمانية هي المعاهدة الروسية-العثمانية عام ١٧٧٤م (٣).

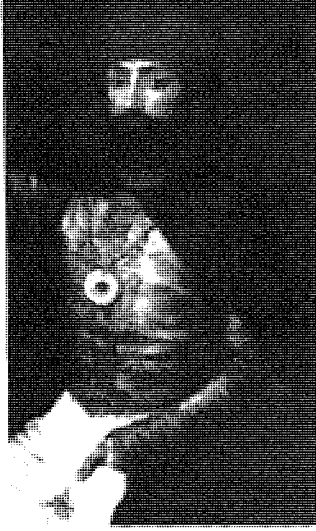
وقد حصر المنشور الاول للثورة الحجازية الصادر بمكة يوم ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦ - ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ مآخذ العرب على سلاطين الدولة العثمانية فيما يلي :

- حاولوا قتل اللغة العربية بابطالها من المدارس والدواوين والمحاكم .
- قتلوا وصلبوا كبراء ونوابغ رجال النهضة العربية من أرباب المعارف والأنكار وحمله الاقلام وبارعي الضباط (٢١ رجلا في الشام).
- صادروا أموال من لا يحصى من الناس وابعدوا الأسر الغنية المغضوب عليها سياسيا الى الاناضول .
- ولقد شاعت الارادة الالهية أن تحفظ الأمة الاسلامية في ظل شجرة الخلافة التي استمرت وارفة الظلال على مدى ثلاثة عشر قرناً ونيّف رغم تقلب العهود والحكام ، حتى كان السقوط في غفلة منها على أيدي القوى الصليبية والصهيونية الطامعة والحاكمة والمغرضة تحت شعارات الحرية والائخاء والمساواة والأمن والسلام العالمي .

(١) محمد الشراوي - مصر في القرن الثامن عشر - الجزء الثاني - الطبعة الثانية - ١٩٥٧ - ص ١٧٧ - مكتبة الانجلومصرية .

(٢) ا.د. علي حسني الخربوطلي - أضواء جديدة على تاريخ العالم الاسلامي معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٦ - دار نافع للطباعة .

(٣) المصدر السابق .



السلطان محمود الثاني



السلطان مراد الرابع



السلطان محمد الفاتح



السلطان سليم

وإذا نحينا جانبا شعارات الحرية والاخاء والمساواة، بعد ان ظهر زيفها للقاصي والداني، من خلال الممارسات الديكتاتورية والاتجار بالطائفية والاستغلال والنفعية، التي عانينا وما زلنا نعاني منها في سائر البلدان الاسلامية تقريبا وتناولنا بالبحث مسألة الأمن والسلام العالمي وهي التي يسوقونها ذريعة لاستغلالنا واستعبادنا ومنع وحدتنا والحيولة بيننا وبين ممارسة أهم أمر من أمور ديننا فاننا نجد انها ليست بالمسألة الجديدة وانما هي قديمة قدم التاريخ وقد خضعت لمعايير مختلفة خلال العصر الواحد فالاسكندر المقدوني كان ينظر للأمن العالمي من خلال سيادة الحضارة الاغريقية على العالم القديم كله وقد حملها بجيوشه وعساكره وترك بصماته على أنحاء عديدة في حوض المتوسط وضاف الخليج.

وقياصرة روما كانوا ينظرون للسلام العالمي على أنه «السلام الروماني» على اعتبار أن جميع الطرق تؤدي الى روما، بينما كان الفرس ينظرون الى السلام من زاوية مختلفة تماما، كما هو الحال مع «السلام البريطاني» قبل نحو قرن و«السلام الاميركي في قرننا الحالي».

ولقد جاء الاسلام للناس جميعا، وانتشرت راياته في كل الآفاق، وعرف العالم لأول مرة نوعا من السلام الحقيقي الذي امتد قرونا عديدة، لكن طمع الغرب بثروات الشرق وأحلام أمراء ونبلاء اوربا بامارات وممالك ما وراء البحار جعلهم ينضوبون تحت راية الحروب الصليبية التي أشعلها بابوات روما لاهاء مواطنيهم عن المطالبة بحقوقهم الرعوية، منتهزين فرصة فترة ضعف حلت بالدولة الاسلامية.

وقد عرفت اوروبا مرة ألوانا من التحالفات المقدسة التي كانت تعنى مساندة الأباطرة والقيصرة لعروش بعضهم ضد الشعوب الشائرة، وحينما ظهرت الدولة العثمانية وفتحت أبواب اوروبا بعد أن تسلقت أسوار القسطنطينية صار مفهوم السلام والأمن العالمي يعرف بـ «المسألة الشرقية» وكان هدفه آنذاك لا يتعدى أن يوقف زحف الدعوة الاسلامية التي طرقت أبواب فيينا ووقفت على هضاب روما متطلعة بشوق الى الفاتيكان، ثم تحول الهدف الى استرداد الأراضي الأوروبية، وما لبث أن تمادى الى حد الطمع بالرجل المريض «وتركته الآسيوية»، بعد ان نازع العثمانيون انكلترا وفرنسا طويلا في سيادتهما على البحار وطرق المواصلات الدولية.

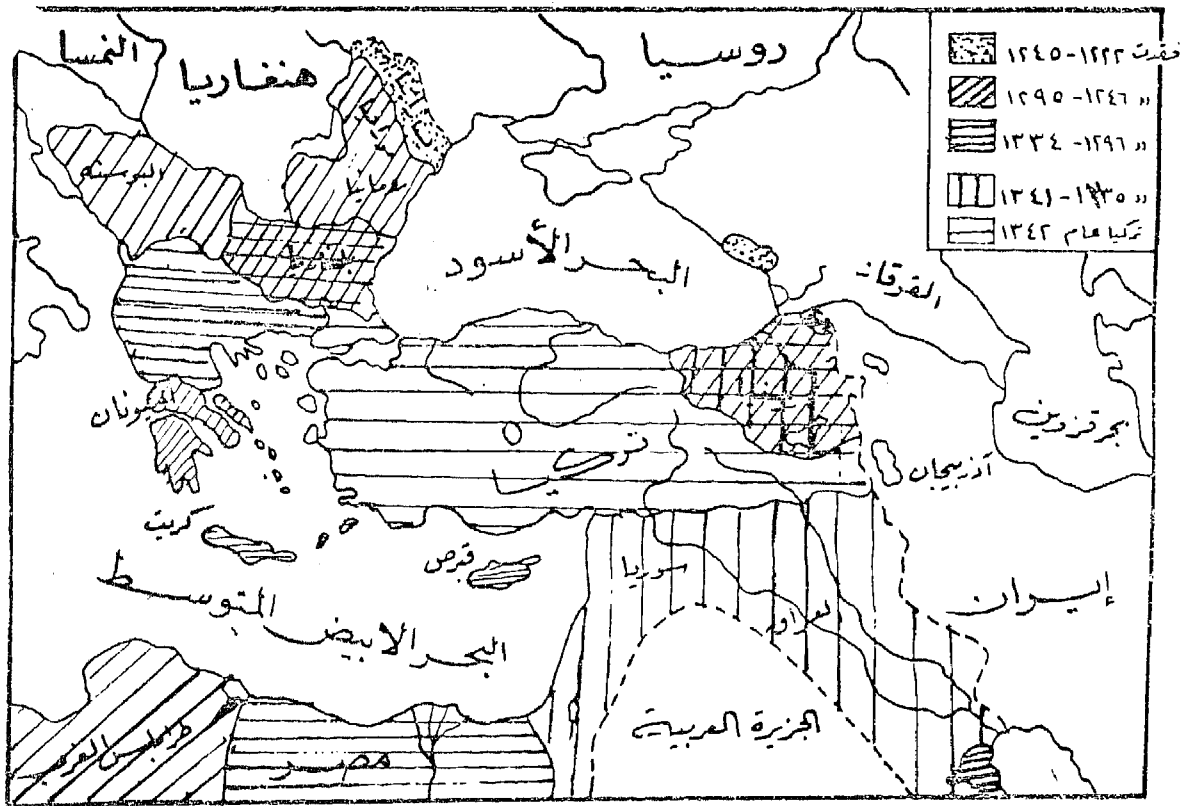
وآنذاك أصبح مفهوم السلام العالمي هو توزيع المستعمرات ومناطق النفوذ بين كبرى الدول الأوروبية، بحيث لا تطمع احداها بمستعمرات الأخرى.

وعندما تمت الوحدة الألمانية أحدثت بسمارك «خللاً» في ميزان السلام العالمي، فبدأ يطالب بحصته كزعيم لاحدى القوى الكبرى الأوروبية وكذلك الحال مع ايطاليا بعد أن استكملت وحدتها وتطلعت الى تجديد أمجادها في السيطرة الرومانية .

وأدى تضارب المصالح الى قيام الحرب العالمية الأولى ، فكانت المانيا واليابان ثم الدولة العثمانية في جانب ، وبريطانيا وفرنسا والنمسا وفيما بعد روسيا القيصرية في الجانب الآخر، بينما كانت الولايات المتحدة ترقب الموقف من بعيد استعدادا لليوم الذي سيصبح فيه السلام أميركياً.

وزبدة القول : ان السلام والأمن والحق، شعارات حلوة، تحمل ألف وجه، ولكن الوجه الحقيقي فيها هو رديف القوة، أبد الدهر، وأكد هذه الحقيقة مرارا لقاء العمالقة ابتداء من : مؤتمر فيينا وما تلاه من مؤتمرات في فرساي ، وسان ريمو، ومالطا، وبوتسدام ، وانتهاء بمؤتمر غواديلوب، الذي حقق الوفاق الامريكي السوفيتي على حساب الشعوب المستضعفة التي ينظر لجهادها وكفاحها في سبيل سيادتها على أوطانها، على أنها تمرد وتخريب، تماماً كما كان الطامعون وتجار الرقيق يسمون أسود بحارنا بالقراصنة بينما ينظرون الى فاسكودي جاما الذي رفع راية المدفع والصليب على انه علم من أعلام الانسانية .

ولقد بدأ الضعف العثماني الذي أطمع بنا الأجانب مع بداية حركة الكشوف الجغرافية التي أدت الى الاقلال من الأهمية الاستراتيجية والموقع الجغرافي للولايات العربية في الدولة العثمانية، حتى تم افتتاح قناة السويس (١٨٦٩م) قبيل استلام عبد الحميد الثاني لمقاليده الحكم مما أعاد للمنطقة أهميتها الاستراتيجية بصورة أكبر واسهم في انعاشها اقتصاديا بعد فترة ركود استغرقت مئات السنين .



تفكك الدولة العثمانية ١٢٢٢ - ١٣٤٢ هـ

الا أن افتتاح القناة من جهة والصراع البريطاني الفرنسي للسيطرة على طريق الهند والشرق الأقصى من جهة أخرى الى جلب اكتشاف أوائل آبار النفط في عبادان والخليج والجزيرة جلب على المنطقة وأهلها الخراب والدمار والاحتلال، فقد صارت مسرحاً لمعارك الحرب العالمية في صحراء العلمين بليليا، وعلى ضفاف القناة في مصر، فضلا عن المواقع الأخرى على شواطئ الخليج، والجزيرة، وجنوبي العراق، وسواحل تركيا، والشام. وما زاد في الطامة تبلور الأهداف الصهيونية بعد مؤتمر بال واختيارهم لفلسطين وطناً قومياً يجتمع فيه شتات يهود العالم كله، والترحيب الذي لاقته هذه الفكرة من قبل الدول الكبرى كلها لأسباب مختلفة، وأحيانا متضاربة، الا أنها جميعا كانت ترى في تجمع اليهود في فلسطين خلاصاً من الأقليات اليهودية البغيضة لدى كل منها، وأملاً في الخدمات التي سيؤديها لهم التجمع اليهودي، بحكم كونه جسماً غريباً في المنطقة. مما يضطره للاحتماء بالدول الكبرى وحماية مصالحها وخدمة أهدافها ضماناً لوجوده رغم معارضة أهل البلاد.

وقد استغل الأوربيون قضية «أهل الذمة» التي يطلقون عليها بتعبيرهم «مشاكل الأقليات» فأثاروا موضوع الاتفاقيات القديمة، التي ترجع الى عهد سليمان القانوني، والاتفاق الودي التجاري مع البنادقة، حين ثبت لهم عام ١٥٢١م بعض المزايا التي نالوها في عهد البيزنطيين، وكرت بعدها سلسلة الاتفاقات والمعاهدات المماثلة، مع الفرنسيين في عام ١٥٣٥م، ومع الانكليز عام ١٥٨٠م، وإذا بالمشكلة تتحول الى حقوق مكتسبة تنادي بالامتيازات الأجنبية الى حد حماية المخربين والجواسيس تحت ستار تلك المعاهدات.

وما تجدر الإشارة اليه أن بعض المتعاطفين مع الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد، ممن سبقوني الى هذا البحث، قد حصروا اهتمامهم بتقضي جهود اما الانكليز او الصهيونية في إسقاط الدولة الاسلامية، وحتى حينما اشار بعضهم الى انكسارها فقد كان يؤكد ان الحافز الرئيسي لها هو القوى الصهيونية المؤثرة، وقد يكون في ذلك القول جانب من الحقيقة، ولكنه ليس الحقيقة كلها، فالوثائق التي بين أيدينا تثبت اشتراك عدة قوى دولية مؤثرة، خفية وعلنية، في إسقاط عبد الحميد، ومن بعده الخلافة الاسلامية.

وقد أوضحت دور كل قوة من تلك القوى في باب مستقل، وأفردت للانكليز وضباط الاستخبارات البريطانية حيزاً كبيراً على اعتبار ان مصير تركيا ككل قرره السياسة البريطانية كما أن شروط كرزون هي التي اسقطت الخلافة بشخص مصطفى كمال، كما ذكرت ان الصهيونية بنشاطها الدولي وبجهود رديفتها الماسونية استخدمت دومة سالونيك بصورة مدهشة فكانت الوسيلة التي احتضنت الاتحاد والترقي ورعت نشاطه مستغلة الامتيازات الأجنبية.

ولم تكن فرنسا بعيدة عن التأثير فقد رعت المؤتمر العربي بباريس وحركت الفتن والثورات الطائفية وغرست ارسالياتها خنجر «الأقليات» في صدر الدولة الاسلامية. (١)

وإذا كانت روسيا القيصرية قد تضاعل حجمها آنذاك — عقب الثورة البلشفية فلا يعني ذلك انها كانت بعيدة عن السعي للاطاحة بالدولة العثمانية. ولقد ساعد القيصر وحاشيته الأرمن لاعلان الثورة والانفصال، ولكن جهودهم أحبطت بفضل يقظة عبد الحميد وشدته، كما فشل القيصرية في الوصول الى المياه الدافئة. أما المانيا غليوم وبسمارك، فلم تكن لتحالف عبد الحميد ومن بعده الاتحاديين حبا وایمانا بالعقيدة الاسلامية، وإنما كانت تتقاضى في حينها عدة فوائد اقتصادية، فضلا عن كسب العثمانيين الى جانبها في حربها العالمية، وهكذا نجد ان الخلافة، ما كان لها ان تسقط، لولا تضافر وتآمر عدة قوى دولية، كما سنرى في الأبواب التالية.

- (١) للتوسع في معرفة أوضاع العرب في ظل الدولة العثمانية وخطورة دور الارشاليات التبشيرية في تدمير الدولة من الداخل انظر:
- ١- جورج انطونيوس: يقظة العرب: ترجمة د. ناصر الدين الاسد ود. احسان عباس، دار العلم للملايين — بيروت ط ١٨٦٦ م.
 - ٢- د. عمر فروخ ود. مصطفى الخالدي: «التبشير والاستعمار» بيروت.
 - ٣- كارل بروكلمان: «الأتراك العثمانيون وحضارتهم» ترجمة نبيه فارس.
 - ٤- د. فيليب حتي، د. ادوار جرجي، د. جبرائيل جبور، «تاريخ العرب» دار الكشف ط ١٩٦٥.
 - ٥- كارل بروكلمان: «تاريخ الشعوب الاسلامية» ترجمة نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط ١٩٦٥.
 - ٦- أ.د عبد العزيز نوار: «تاريخ الشعوب الاسلامية» بيروت لبنان.



السيد عبد الرحمن

البَابُ الأولُ

السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي

الشَّخْصِيَّةُ - العَصْرِ - الرَّجَالُ - زُجْجَاتُ

- الفصل الأول : شخصية عبد الحميد ودوره مدحت وتركيا الفتاة .
الفصل الثاني : الإنجازات والإصلاحات العثمانية قبل عبد الحميد الثاني .
الفصل الثالث : شعار الجامعة الإسلامية وتطبيقاته الداخلية .
الفصل الرابع : شعار الجامعة الإسلامية وتطبيقاته الخارجية .
الفصل الخامس : شعار الجامعة الإسلامية وسياسة الرِّوْط بالظُّرُط الحديديَّة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

شخصية عبد الحميد

ودور مرحته و (تركيا الفتاة)

شخصية السلطان عبد الحميد خان الثاني بن السلطان عبد المجيد خان، وشقيق السلطان مراد الخامس، يحلو للباحث ان يتوقف عندها طويلا، لكونها تتمتع بكل الموصفات التاريخية، فلقد امضى طفولة عجيبة، ثم تسلم مقاليد الخلافة في دولة مترامية الاطراف، لكنها أشبه بمركب كبير تتقاذفه الامواج، وسط بحر السياسة الدولية، المضطربة آنذاك، وحينما ترجع على عرشه في قصر «يلدز»، لم ينزل عنه قبل ان امضى ثلاثة عقود ونيف، ملأى بالاحداث والمؤامرات والخطوب الجسام، وزاخرة بقصص الحروب والثورات والحركات، ثم سقط بعد طول صمود وكفاح، ليمضي فترة من الزمن، كانت كافية ليكتب فيها مذكراته وردوده على خصومه ونقاده، وقبل أن يواريه الثرى كانت الأقلام مشرعة لتكتب عن عبد الحميد متعاطفة معه حتى الاستشهاد، أو متصدية له حتى الموت ولا وسط بينهما.

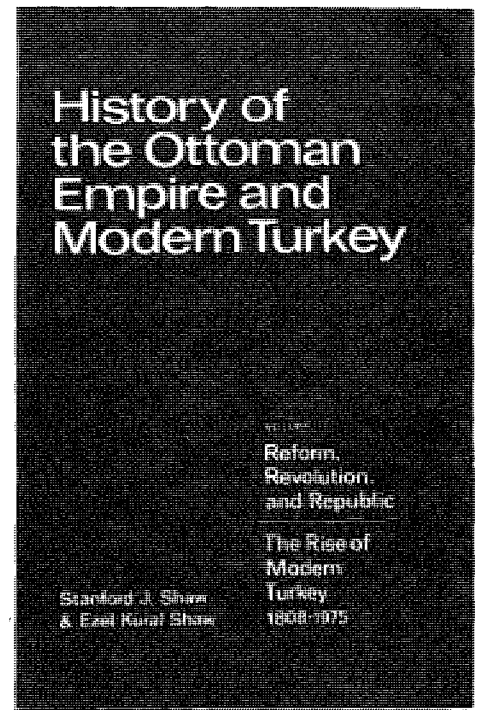
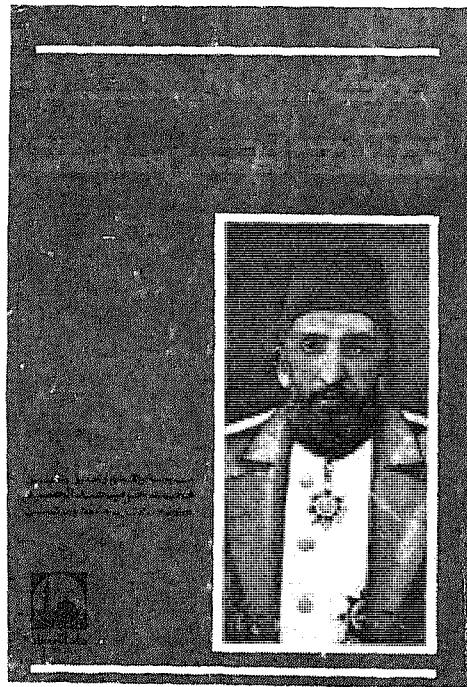
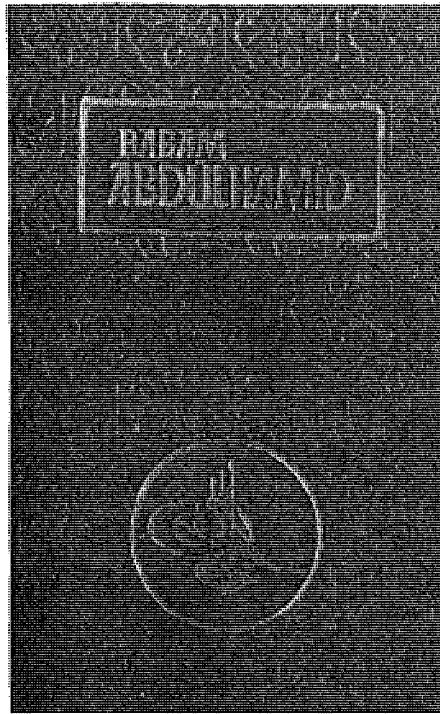
ومات عبد الحميد خان الثاني، قبل نحو ستين سنة، كما مات قبله، وبعده، بقية سلاطين آل عثمان، ولكنه ما زال وحده، يستوقف بشخصيته وسيرته، عشرات بل مئات المؤرخين والمستشرقين والباحثين، في محاولة تلو محاولة، بهدف سبر غور تلك الشخصية والولوج الى اعماق تلك السيرة، وتجربة فهم ومتابعة سير الاحداث، عبر ذلك الزمن، فما هو الجديد الذي عسانا ان نأثيه به؟

ولد عبد الحميد الثاني يوم الاربعاء في ٢١ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٤٢م، وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية، التي توفيت ولما يتجاوز بعد السنة السابعة من عمره، فأوكل أمر تربيته الى احدى المربيات، في قصر أبيه (١)، الذي كان أول خليفة عثماني يرعى مسيرة «التغريب» في الدولة العثمانية، حيث استحدث الباب العالي (رئاسة مجلس الوزراء)، الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة، ويقاسم السلطان نفوذه، في حكم الدولة، بينما أصبحت «مشيخة الاسلام» مجرد هيئة شورية.

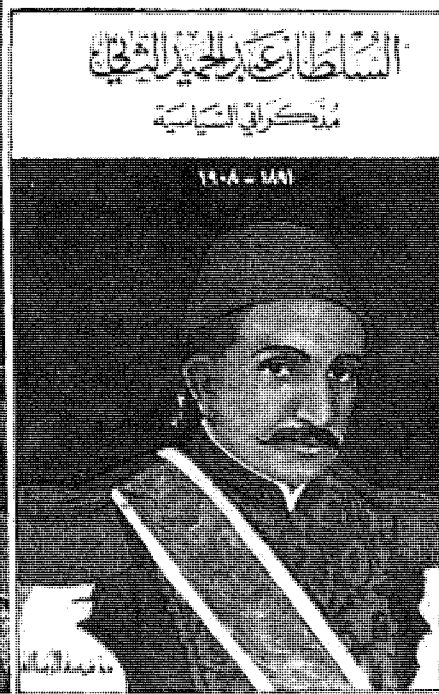
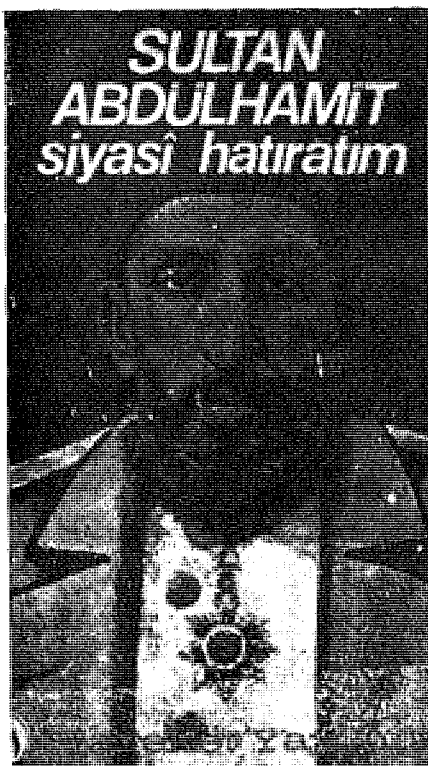
وكان رشيد باشا، وزير عبد المجيد، يتمتع بنفوذ الحاكم الحقيقي للبلاد، وبدافع إعتنائه للماسونية، كان شديد الإعجاب بكل ما هو غربي، ولهذا فانه لم يدخر وسعاً في إعداد الجيل التالي من الوزراء ورجال الدولة، وان يفسح لهم مجال السلطة والنفوذ.

ولقد تعلم عبد الحميد اللغتين العربية والفارسية ودرس الكثير من كتب الادب ودواوين الشعر (٢).

(١) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٧م - ص ١١
(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد - الطبعة الاولى ١٩٧٨م - دار الانتصار - القاهرة. ترجمة محمد حرب عبد الحميد.



مذكرات عبد الحميد الثاني والأقلام المنصفت بدأت تقدم الصورة الحقيقية للسلطان المجاهد



وحينما توفي والده عبدالمجيد (١) خلفه عمه عبدالعزيز، الذي تابع نهجه في مسيرة التغريب، تحت شعارات الإصلاح والتحديث، ولكنه رغم ذلك لم ينج من مؤامرات رجال القصر، ومعظمهم من جماعة «تركيا الفتاة»، التي بدأت في التشكيل منذ عام ١٨٦٠م، فتم عزله وتدير مقتله بعد أربعة أيام، ليتولى الخلافة السلطان مراد الخامس، شقيق عبدالحميد وكان في السادسة والثلاثين من عمره، وعلى صداقة حميمة بولي عهد إنكلترا آنذاك، الذي ضمه الى الماسونية، مهداً له طريق الحكم، ومعزراً صلته بأعضاء «تركيا الفتاة»، التي عملت أحياناً تحت اسم «العثمانيين الجدد»، أو «الاتحاد والترقي».

ولكن السلطان مراد مكث في الحكم ٩٣ يوماً فقط، لم يخرج للشعب فيها يوماً؛ (٢) وظهرت عليه علائم الجنون، مما إضطر جماعة تركيا الفتاة، المهيمنين على الحكم، الى تولية أخيه عبدالحميد الثاني، حيث بوع بالخلافة يوم ٣١ آب (اغسطس) ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، وكان في الرابعة والثلاثين من العمر.

ويروي السلطان عبدالحميد الثاني في مذكراته قصة ارتقائه عرش الخلافة العثمانية، فيكشف مؤامرة خلغ عمه السلطان عبدالعزيز، ودور مدحت باشا، وأستيج القاريء عذرا في إيراد بعض النماذج المطولة نسبياً من مذكرات السلطان عبدالحميد بقلمه، مستندفا تكوين فكرة أقرب الى الصدق والواقعية حول شخصيته، ورجال عصره، وثقافته ومدى فهمه، وتحليله للأحداث، والدور الذي لعبه مدحت باشا، وجمعية «تركيا الفتاة» بشكل خاص.

ويعرض عبدالحميد في مذكراته قصة صعود نجم مدحت باشا من اولها فيقول: (وكان الغرض من تعيين الباشا — مدحت — في شورى الدولة يقصد به فتح طريق الصدارة أمامه. لكن مدحت باشا (٣) لم يستطع أن يستمر كثيراً في شورى الدولة أو بمعنى آخر في استانبول، لان السلطان عبدالعزيز لم يكن يحب إيلام عالي باشا خاصة وأن احساسه وشعوره تجاهه قد زاد بعد عودته من أوروبا وكان المغفور له عمي حاكماً وقوراً وأظن أن لنابليون الثالث شيئاً من التأثير على عمي في التزامه بمساندة عالي باشا بهذا الشكل، ولكن المرحوم عمي لم يكن يشعر أحداً أنه تحت تأثير مثل هذا.

(١) السلطان عبدالمجيد: (١٨٢٣ — ١٨٦١) وهو الذي اقترنت باسمه حركة التنظيمات العثمانية. التف حوله الوزراء المبهورون بالحضارة الغربية وفي مقدمتهم رشيد باشا، بدأت في عهده مظاهر الحضارة الغربية تغزو الدولة العثمانية.

(٢) السلطان مراد الخامس: هو السلطان الثالث والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، ولد عام ١٨٤٠م وتولى السلطنة وعمره (٣٦) سنة، حكم (٩٣) يوماً فقط وتوفي عام ١٩٠٤، كان مغرمًا بالموسيقى محبا لها مجيداً للغة الفرنسية، وكان على صلة قوية بأعضاء تركيا الفتاة وهم العثمانيون الجدد، يعاونهم مادياً وأديباً، دخل الماسونية عن طريق ولي عهد إنكلترا خلال فترة وجوده في لندن، تولى السلطنة بعد عزل السلطان عبدالعزيز عن طريق أعضاء تركيا الفتاة، وعلى رأسهم مدحت باشا، أصابه الجنون فاضطر الثوار الى خلعه وتولية عبدالحميد، حاول بعض الثوار القضاء على حكم عبدالحميد باعادة تنصيب مراد مرة أخرى ولكنهم فشلوا.

(٣) مدحت باشا: (١٨٢٢ — ١٨٨٥) مدحت مخلصه واسمه احمد شفيق دراسته الاولى شرقية فتعلم العربية والفارسية واجادها وتوظف في قلم الديوان في الباب العالي. وبدافع من تشجيع رشيد باشا صاحب فكرة حركة التجديد في الدراسة على النمط الاوربي اتخذ فرماني التنظيمات بداية شاملة لهذه الحركة التقريرية تعلم مدحت اللغة الفرنسية فحذقها، عين عام ١٨٦٠ واليا على نيش ف أظهر كفاية فيها، ثم عين واليا على الطوفه عام ١٨٦٤ لمدة ثلاث سنوات، عاد بعدها الى استانبول ليشغل منصب رئيس شورى الدولة لمدة عام واحد، نقل بعدها واليا على بغداد وخلاف بينه وبين الصدر الاعظم وقتها محمود نديم باشا ترك مدحت بغداد وصدر امر تعيينه واليا على ادرنة، ولكنه في مقابلة له مع السلطان عبدالعزيز تمكن من اقناع السلطان عبدالعزيز بعزل محمود نديم من الصدارة، ثم اقنعه في نفس المقابلة انه جدير بهذا المنصب فتم تعيين مدحت باشا صدرا اعظم لأول مرة ١٨٧٢م. اعتبر اعضاء تركيا الفتاة (العثمانيون الجدد) ان مدحت باشا قائدا طبيعيا لفكرهم. ولم يبق في هذا المنصب — منصب الصدر الاعظم — الا شهران ونصف شهر. اتفق مدحت باشا مع كل من رشدي باشا وحسين عوني رئيس دار الشورى وسليمان باشا قائد المدرسة الحربية على عزل السلطان عبدالعزيز فعزلوه ثم عينوا مكانه مراد باشا الخامس. ولم يستمر مراد الخامس في السلطنة الا ٩٣ يوماً فقط اصابه الجنون فيها فعزل مدحت باشا ورفاقه من السلطنة، وتولى السلطان عبدالحميد الثاني بعدها فأثنى بمدحت باشا صدراً أعظم للمرة الثانية، وقد اصطدم مدحت باشا مراراً مع السلطان عبدالحميد بسبب اندفاعه وسلوكه الشخصي وتقديده لسلطة الخليفة، صاحداً بعبدالحميد الى السعي لنفيه وابعاده تقديراً لخطورته.

كان مدحت باشا معجباً أعجاباً شديداً بالإنجلترا والنظام الديمقراطي الانجليزي، وكان يتصور ان الدولة العثمانية يمكنها تقادي كل =

حضر عالي باشا ذات يوم عند السلطان عزيز، وحدثه عن الأهمية الكبيرة التي تحوزها ولاية بغداد، وعن تزايد النفوذ الشيعي فيها، ونقل له أخبارا متوافرة عن زيارة سيقوم بها شاه العجم يهدف منها زيارة (العتبات). ثم حدثه عن عدم ثقته في إدارة تقي الدين باشا للولاية، وأخيرا عرض عليه أن تسند إليه هذه الولاية.

كان عالي باشا واثقا من أن السلطان لن يبعده عن استانبول، وحدث ما توقعه بالفعل، وعلى هذا قال له : «لا أجد واليا مناسبا من بين عبيد الباشا الرئيسي». وهكذا أصبح مدحت باشا واليا لبغداد.

كانت حدود ولاية بغداد في تلك الوقت واسعة جدا، وأظن ان مدحت باشا ظل واليا عليها أكثر من ثلاث سنوات، كنا سمعنا عن التوفيق الذي أحرزه في تدميرها وتنظيمها، وسمعنا البداية عن عدم رغبته الذهاب الى بغداد ولكنه كان أسفا أشد الأسف عند تركه لها.

ان خلع مدحت باشا من بغداد، وتعيين الصدر الأعظم محمود نديم باشا مكانه كان خطأ من عالي باشا، فان رجلا لا يجتنب حتى عالي باشا منافسته لا بد وان يكون خصما خطرا على محمود نديم باشا، وفعلا هذا ما حدث، فقد مر مدحت باشا قبيل سفره الى ولاية أدرنة التي عين عليها مارا باستانبول حيث وجد طريقا استطاع بواسطته المثل بين يدي السلطان، واسقط نديم باشا واستطاع أن يحل محله.

مدحت باشا كان واليا جيدا. ولكن ادارته للسياسة كانت خطأ وكان كثير الاختلاط بهؤلاء الذين كان السلطان والوزراء يشتبهون فيهم. وكانت الاشاعات والاراجيف التي تشكك ليس في سلطان شرقي فحسب بل وفي أكثر حكام الشرق دستورية. تخرج من فم الصدر الأعظم ومن قصره. (١)

تولدت فكرة خلع السلطان عبدالعزيز أول ما تولدت عند حسين عوني باشا وسبب هذا، أن السلطان نفاه من قبل إلى اسبرطة.

كان المرحوم عمي وقوراً وكان كريم الظن بكل إنسان فقد عفا عن رجل حقود مثل عوني باشا بعد فترة قليلة وعينه سر عسكر وهكذا ذهب عمي ضحية خطئه هذا.

باشترك مدحت باشا في عملية الخلع إنتقل لذلك من مصاف رجال الحكم إلى عداد الثوار. ولا يستطيع حاكم قط أن يشق في رجل اشترك في عملية خلع حتى ولو كان الحاكم الجديد خصم حياة الحاكم القديم. ولم يعرف قط ثائراً استطاع أن يحقق في البناء ما حققه في الهدم.

لم يكن مدحت باشا هو الصدر الأعظم وقت توليتي الخلافة وقد عينته فوراً في الصدارة لأنه كان محل ثقة واحترام الرأي العام ولأن الموقف كان يحمل في طياته حساسية وخطراً غير عادي.

= نقص ألم بها اذا طبقت النظام الانجليزي، وكانت انجلترا تؤيد مدحت باشا وتنصره لذلك كان يرى أن تقليص نفوذ السلطان العثماني، وسلطة الاسرة العثمانية، لا يتم الا باعلان القانون الاساسي، وكان يريد من انجلترا التكفل بحمايتها هذا القانون الاساسي فارسل استاذة الفكري. وديان افندي وهو قانوني ارمني الى لندن يطلب من انجلترا تمهدها بكفالة القانون الاساسي وحمايته، ولما لم يستطع اوديان افندي الحصول على هذه الحماية طلب مدحت باشا من مؤتمر الترسانة الذي انعقد في استانبول وحضرته الدول الاوربية التصديق على القانون الاساسي وتدخلها اذا ما لزم.

ياخذ بعض المؤرخين على مدحت باشا انه لم يكن بالرجل السياسي المتسع الذكاء ولم يكن برجل الدول المجرب الخبير ولم يستطيع القيام بواجبه في ادارة الدولة مركزيا.

كما يأخذ على مدحت باشا بعض المؤرخين الاخرين انه رغم كونه واليا ناجحا فقد كان صدرا أعظم قليل الخبرة وحتى أثناء ولايته فقد كان عليه مأخذ فعندما كان واليا على الطونة (البوسنة والهرسك) امر باضافة الصليب على العلم العثماني ذي الهلال والنجمة بحيث يكون هذا العلم علم المنطقة المحلي، وفي اثناء صدارته صدر فرمان حق الاقتراض الخارجي لخدبو مصر اسماعيل وكان لهذا الفرمان ونتائجه عواقب وخيمة على مصر.

(١) انظر المرجع السابق.



السلطان مراد الخامس
شقيق السلطان عبد الحميد الثاني

أسرة عبد الحميد الثاني في صور



السلطان عبدالعزيز
عم السلطان عبد الحميد الثاني

العائلية، والوثائق الخاصة بالعهد الحميدي، ومن ضمنها المذكرات التي كتبها ابنته «عائشة عثمان أوغلو» تحت عنوان «والدي عبد الحميد»، وكتاب «وراء الستار في عهدين: العهد الحميدي والعهد الإتحادي» لمؤلفه نافذ طنسو الذي يتضمن وقائع عديدة على لسان الضابط المتقاعد حسام الدين أرترك أحد ضباط الحرس الحميدي.



رفيعة

الأمير عباس حلمي بن محمد عبدالنعم (الوصي على عرش مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م، هو ابن الأميرة نسل شاه بنت عمر فاروق نجل الخليفة عبد المجيد، وهي بدورها بنت السلطانة صبيحة بنت السلطان وحيد الدين آخر الخلفاء العثمانيين).

وقد زود الأمير عباس حلمي المؤلف، مشكوراً، بمجموعة من الصور

كريمات السلطان عبد الحميد الثاني



شادية



نائمة



نائلة



نامق كمال بك — حارب عبد الحميد من أوروبا



مدحت باشا — دبر مقتل عبد العزيز وتآمر على عبد الحميد

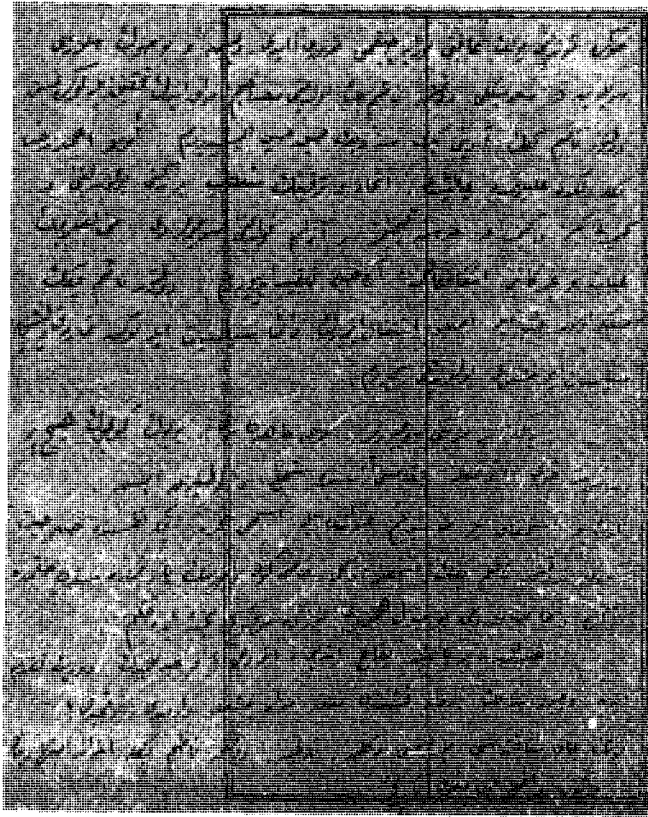
وأني لوائق أن لو كان مدحت باشا صديقاً عظيماً وحكماً وكان ولا شك قد استمر في الصدارة حتى ختام الحرب الروسية.. وجدته ينصب من نفسه ومنذ اليوم الأول أمراً عليّ وصياً وكان في معاملته بعيداً عن المشروطة وأقرب إلى الاستبداد والذين يعرفون مدحت باشا عن قرب لا يكتفون عظم استبداده برأيه ومواقفه، هذا هو (رامز مثلاً) من أعز أصدقاء مدحت باشا منذ أن كان والياً على الطونة والذي أفنى عمره خارج استانبول، بسبب حبه لمدحت باشا، عندما كان رئيساً أول لمحكمة التمييز، وقال أثناء بحثه إحدى المسائل المعروضة على مجلس إدارة ولاية بيروت، أثناء ما كان نائباً عن بيروت المركز، أن هذا شيء فكر فيه أساساً مدحت باشا أثناء ولايته للطونة. الباشا كان يريد الحرية لنفسه فقط، وخلاف هذا كان الباشا مستبد المستبد، وأثر هذا الكلام تأثيراً سيئاً في أحد الوالدين بمدحت باشا دون أن يروه ولم يتمكن من مسك زمام نفسه فظهر عليه الغضب، لاحظ هذا رامز مثلاً. فنأى بعد انفضاض المجلس على هذا الشخص وقال له وهو ممسك بلحيته الطويلة البيضاء:

— أنظري يا بني، ليست متاعب الزمن وحدها التي شبيت هذه اللحية ولكن تعاونت معها الغربة التي قاسيتها بسبب مدحت باشا، هذا الكلام الذي أزعجك الآن، قلته مرات عديدة في مواجهة الباشا. أنا رجل لا أتحدث من أجل هذا أو ذاك، وإنما رجل يتبع للحقيقة كلامه.

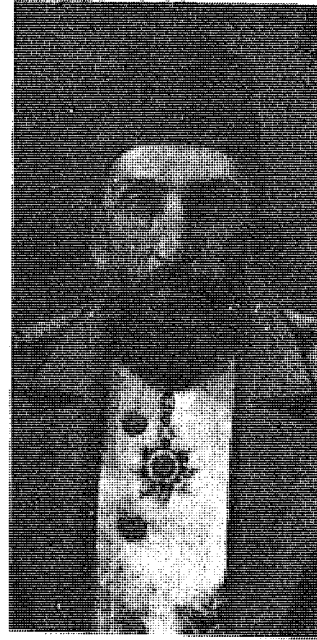
قص على هذا ذات يوم شخص من أهالي هذه المنطقة، بعد وفاة رامز مثلاً.

أصدرت المرسوم السلطاني الخاص بالقانون الأساسي (١٨٧٦م) أثناء صدارة مدحت باشا الثانية ومن المعروف أن (أحرار) ذلك العهد من شعراء وأدباء اجتمعوا مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في قصر مدحت باشا، لا ليتحدثوا في أمور الدولة، بل في أمور السكر والعريضة، وهم يحتسون الخمر ومدحت باشا يدمن الخمر منذ شبابه ومشهور عنه هذا (١)

(١) السلطان عبدالعزيز: عم السلطان عبدالحميد الثاني: ولد عبدالعزيز عام ١٨٣٠ تولى العرش عام ١٨٦١. وخلع عام ١٨٧٦ وبعد أربعة أيام من خلع توفى، ويؤكد بعض المؤرخين أنه مات شهيداً بعد أن دبر له أعضاء تركيا الفتاة مؤامرة لقتله وأعلنوا بعدها انتحاره. أعد الأسطول العثماني أعداداً هائلة بحيث جعله الأسطول الثالث في العالم وقتها ورفع القوات البرية إلى ٧٠٠ ألف وجيز الجيش العثماني بأحدث الأسلحة العسكرية أنشأ عدة مدارس هامة مثل مدارس المعادن والمدفعية والمدرسة العسكرية (في مستوى الثانوية). زار مصر وفرنسا وإنكلترا وبروسيا والنمسا والمجر وهدف من رحلته في أوروبا إلى التأثير على فرنسا لكي تقف في صف الدولة العثمانية بدلا من التزامها بجانب روسيا وكذلك هدف إلى تكتل الدول الأوروبية ضد روسيا. في عهده صدرت «مجلة الاحكام العدلية» بإشراف أحد جودت باشا وفي عهده أيضا افتتحت «قناة السويس».



ABDÜLHAMİD'in HATIRA DEFTERİ



Belgeler
ve
resimlerle

مذكرات عبد الحميد الثاني بخط يده، وهي النسخة الأصلية التي اعتمدها «دار كروان» في تركيا، وقد ظهرت مذكرات أخرى لعبد الحميد مصدرها ابنته «الشريفة عائشة» حصل المؤلف على نسخة منها من الأمير عباس حلمي في لندن.

والتقت نشوة الخمر بالنشوة التي بعثها اعلان القانون الأساسي وعندما نهض من على الاكل خرج مستندا على ذراعيه لكي لا يقع، وبينما كان يغسل يديه قال لزوج أخته طوسون باشا وهو يؤرجح لسانه:
— يا باشا: من يستطيع هذه المرة، وبعد كل هذا أن يبعثني عن مكاني؟؟ من؟؟ قل لي: كم عاماً سأظل في الصدارة العظمى؟؟

رد عليه طوسون باشا قائلاً:

— اذا بقيتم على هذا الحال فليس أكثر من أسبوع..
قال له طوسون باشا هذا الكلام وهو يدفعه إلى جناح الحريم.
أبلغت بما حدث في نفس ليلة حدوثه.

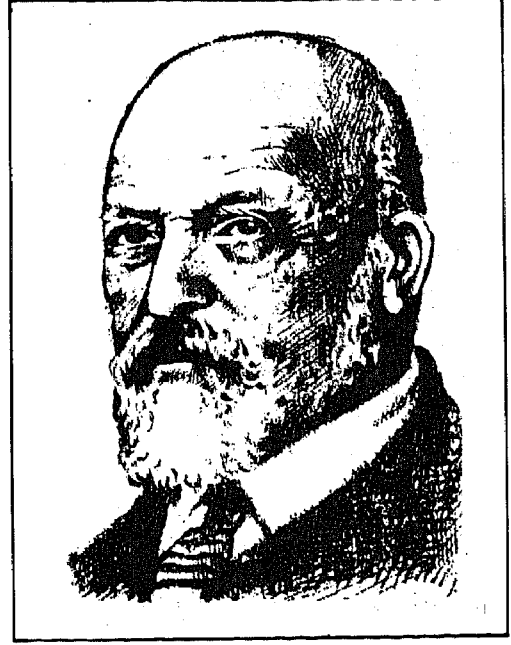
أنا لا أغض من قيمة مدحت باشا، فهو كان والياً فعالاً ومستقيماً. لكن بقدر مزاياه كانت فيه عيوب. لم يكن يدرك بنفس إدراك صفوت باشا وأدهم باشا فيما يوجب الوقت من أمور سياسية).

عندما كان والياً على الطونة، كان يشجع على تدريس اللغة البلغارية في المدارس البلغارية ويلتزم بها.. نبهوه إلى العواقب الوخيمة التي تؤدي إليها هذه السياسة، فقال لهم: «ليدرسوا بأي لسان». ومعروف أنه أصر على قراره، لأن له لمعة ظاهرة.

وكانت مسألة استشهاد السلطان عبدالعزيز في يد القضاء خطوة بخطوة ولم أتدخل في شيء سوى في تخفيف قرار



ضياء بك كوك ألب
فيلسوف «الطورانية» وزارع الشقاق



محمد أمين
استخدم الشعر لضرب الخلافة

الحكم بالاعدام، وإذا كان موته غير طبيعي فليس لي دخل فيه.

ليست هناك حاجة للبحث عن أمثلة تاريخية بعيدة هكذا. منذ أربعة أعوام قرأت في (تقويم وقائع) أن سبعة عشر رصاصاً أطلقت على محمود شوكت باشا، وهو صدر أعظم مهيب ووزير الحربية، فمزقته مع ياور له إربا إربا، أمام وزارة الحربية، وفي وضوح النهار. ومع علم الحكومة مقدماً بمكان وساعة إغتياله، فإن رجلاً واحداً من رجال الشرطة أو الحرس لم يعثر له على أثر في مكان الحادث. ولو لم يكن الذي يتمكن من الفرار بعربة اعرجاً فرماً كان المدنيون قد اختفوا، مثلهم في ذلك مثل رجال الشرطة.

اصراري هكذا في مسألة مدحت باشا بسبب تأثيري ونفوري جداً من ذلك العناد العام الذي يعمل على أن يبدي هذا الاسم في صورة بقعة ملصقة بحياتي..

يقولون أن مدحت باشا هو واضع القانون الأساسي (١) في الدولة. في الحقيقة أنه كان مؤيداً قديماً للمشروطية. لكن تجزيراً ظهر من كثرة ترديد اسمه وذكره ومدحه في بعض الكتب.

مدحت باشا لم ير غير فوائد الحكم المشروطي في أوروبا، ولكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطية ولا تأثيراتها الأخرى. أقراص (السلفات) لا تصلح لكل مرض أو لكل بنية، وأظن أن أصول المشروطية لا تصلح لكل شعب ولكل بنية قومية. كنت أظن أنها غير مفيدة، أما الآن فأنني مقتنع بضررها.

لم يكن مدحت باشا قد درس أي قانون أساسي في أية دولة من الدول عندما اقترح ضرورة إعلان القانون الأساسي، ولم يكن لهم في هذا الموضوع فكر متأصل. كان أوديان أفندي، استاذة الفكري، وأوديان أفندي هذا لم يكن في ذلك الوقت أفضل مشرع عندنا، خاصة أنه لم يكن يعرف البلاد. وأظن عدم المعرفة هذه ذهبت مع مدحت باشا حتى قلعة الطائف.

(١) هو الدستور.



عبد الحميد الثاني في موكبه لأداء صلاة الجمعة، وقد تعرض للاغتيال مرتين من قبل الأرمن

في عام ٩٣ أعد كل من حضرات ضياء باشا وكمال بك (١) وعابدين باشا لائحة القانون الأساسي، كما أعد كل من كاتب سري «سعيد باشا» لائحة، وناظر المدارس الحربية المشير سليمان باشا لائحة أخرى، وقدموا لي هذه اللوائح لم يكن بين هؤلاء السادة توافق أفكار قط. كان كمال بك معارضا لمذحت باشا، ومعارضاً مع أصدقائه لسعيد باشا، في هذا الموضوع، وقدم لي ما يقرب من عشرين عريضة، محفوظة ضمن الأوراق التي نقلت إلى وزارة الحربية من «يلدز» وهذه الأوراق لا تزيد عن كونها أوراقاً تاريخية، ولذلك يحدوني الأمل ألا تكون قد نهبت أو بيعت.

المعارضون للقانون الأساسي، من طبقة الخواص، كانوا أكثر من المؤيدين، كان أدهم باشا وكثير من الوزراء الآخرين وأصحاب النفوذ من رجال الدولة ضد اعطاء حرية كاملة لشعب من الشعوب دون تأن واعداد، حتى أن وزيراً جريئاً في الحق مثل خير الدين باشا التونسي قال لي ذات مرة عندما كان في الصدارة العظمى: «ينبغي التفكير كثيراً قبل تسليح الاجلاف بالقانون»، وهو نص تعبير خير الدين باشا (٢)

لم أكن أستطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد، وقلت: (ما دامت الأمة تريد تجربة مسؤولياتها عن مقدراتها وحكم نفسها فليكن ما تريده الأمة) واخترت من بين لوائح القانون الأساسية لائحة مدحت باشا، وصدقت عليها بعد أن أدخلت عليها تعديلات جزئية، وأصدرت المرسوم السلطاني المعروف.

(١) كمال بك: هو نافع كمال الملقب بشاعر الحرية (١٨٤٠ - ١٨٨٠م): كاتب وشاعر عن عام ١٨٦٣ في قلم الترجمة، كتب في جريدة تصوير افكار التي كان يصدرها الكاتب التركي شناسي رائد التجديد في أدب الأتراك وأغناهه نحو الأخذ عن الآداب الغربية. تولى نافع كمال إدارة تصوير افكار بعد سفر صاحبها شناسي إلى أوروبا. التحق نافع كمال بجماعة تركيا الفتاة (العثمانيون الجدد) هرب مع ضياء باشا إلى أوروبا حيث اشترك في إدارة جريدة «حرية» في لندن (ع عام ١٨٦٨م).

(٢) خير الدين باشا التونسي: صدر أعظم سابق، نجح في إصلاحاته في تونس، فاستعان بخبرته عبد الحميد لإصلاح الأوضاع في الدولة العثمانية كلها وقد كان مثقفاً جيداً وخبيراً ممتازاً في شؤون الإدارة والحكم فضلاً عن اعتداله في آرائه، والتزامه بالفكر الاسلامي السليم.

كنت مجبراً في البداية على تفصيل لائحة الآخرين فقد كان من الضروري أن نقدم لشعب مريض أفصح بان اسم (مدحت) يساوي بحساب الجمل (دواء الأمة) أن نقدم له الدواء الذي طلبه ولم أكن أستطيع اسكاته بصورة أخرى .

أعد مدحت باشا العدة لحرب روسيا، وبينما كان مجلس الأمة شاهداً متابعاً لتيار الحرب، فقد أرادوا أن يحملوني كـل الكوارث وسوء الطالع الذي نتج عن هذه الحرب، وأن يحصروها في نطاقها . وما زالت هذه الاعتراضات وتلك التعرضات تتكرر هنا وهناك .

أقرر بجملة عالية، وأثبت بالوثائق، أن الشعب وقع على معاهدة أياستفانوس (١)، أما أنا فقد حققت مقررات مؤتمر برلين (٢)

وأني لم أبعد عن فكري منذ جلوسي على العرش إلى يوم تركي له أن الحرب آفة تضر بالأمة . كم من العتاب وجه لي من قريب ومن بعيد لأنني حللت (مسألة قلبه) دون حرب وعند قبول الحرب مع اليونان فكرت كثيراً في المعارضين الذين قلبوا الأمور وزوروا، ووضعوا تخوفاتي للآزمة والمحقة في أشكال ومعاني مختلفة .

فكرت كثيراً في موقف من دخول هذه الحرب العامة، لأنني لا التفت لفريق دون اقتناعي اقتناعاً حسابياً بانتصاره . الحرب أكبر آفة للأمم . حتى المنتصرون فيها، فانهم يحون أمهم ويرهقونها ..

اعتقد مدحت باشا كثيراً في أن الأمة تحبه حباً جاً، ولم ير داعياً لكتمان: أني لو عزلته فستقوم في البلاد ثورة ضخمة، وأنه من الممكن خلعي أو حتى إعدامي ..

والذي حدث عندما أبعدته إلى أوربا: أو أحد لم يفتح فمه، وهنأني كثير من الوزراء ورجال الدولة، ونظم الشعراء القصائد في مدحي، وهاجوه أيضاً بالقصائد ونشروها في الصحف والكتب، ومن بين هؤلاء الغازي أحمد مختار باشا (٣)، الذي يعترف في مذكراته التي نشرها أخيراً، وبعد مرور ما يقرب من الثلاثين عاماً على ذلك الحادث، بغفارة له متفرعة من تلك المسألة .

لم أكن أرى أنه من اللائق التحدث في هذه المسألة هنا، لو لم يكن مدحت باشا قد أبدى هذه الدرجة من السذاجة . ولا أود التحدث عن مدى جدارة أمة بالحكم المشروطي يصمت عوامها ويقدم خواصها الشكر عند إبعاد ولي نعمتها الذي أعطاها الحرية ولم يحف بعد مداد صنيعه ..

والذين اعلنوا أني أعظم مناصر للحكم الاستبدادي، وأنني أكبر مستبد في العالم، لا شك أنهم سيعترفون بالحقيقة بعد موتي، وسيترجعون عن موقفهم تجاهي ..

يسألوني: لماذا حاكمت وأدنت مدحت باشا؟
ويقصدون: مؤاخذتي ..

(١) أنظر الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب

(٢) مقررات مؤتمر برلين .

(٣) أحمد مختار باشا: (١٨٣٩ - ١٩١٨ م) من مشاهير القادة العثمانيين في العهد الأخير من الدولة العثمانية . بالإضافة إلى كونه قائداً مشهوراً فإنه عالم فلك ورجل سياسة . انتصر على الروس في موقعه كدكلر (قيزيل تبه) في ٢٥ أغسطس عام ١٨٧٧ م، لذلك منحه السلطان عبد الحميد لقب (غازي) . أرسلته الدولة العثمانية في مهمة مندوب فوق العادة إلى مصر عام ١٨٩٢ م . وبعد إعلان المشروطية الثانية وقبل عزل عبد الحميد، جاء أحمد مختار باشا إلى استانبول حيث أحيل إلى التقاعد . لكنه عندما رأى جيش الحركة في طريقه إلى استانبول حاول واهتم بالقيام بدور مع قادة الحركة بعد أن حذاه الأمل في الحصول على مكسب . ظل ملازماً للسلطان محمد الخامس (محمد رشاد) لا يفارقه . له عدة مؤلفات في فروع العلم المختلفة من فلك وتراجم ودراسات دينية .

عبد الحميد الثاني في صور



الأمير عبد الحميد أفندي ولي العهد



عبد الحميد الثاني في شبابه



عبد الحميد الثاني في طفولته



عبد الحميد الثاني في شيخوخته



عبد الحميد الثاني في كهولته



السلطان عبد الحميد الثاني بعد توليه الخلافة



السلطان الشهيد عبدالعزيز خان : دفع ثمن اصلاحاته !

هنا حادثة محددة، وليست متوهمة، وهي وفاة
المرحوم عمي، الدامية، هل انتحر السلطان عبدالعزيز أم
قتلوه فاستشهد؟؟

إنني مقتنع الآن بأن عمي عبدالعزيز لم يمت منتحراً،
بل مقتولاً.. (١)

ويرد عبد الحميد في مذكراته على اتهامه بقتل مدحت
باشا فيقول :

بعد وفاته بعشر سنوات تقريباً، نشرت في أوروبا رسالة
باللغة التركية وردت فيها مجموعة من التفاصيل والاسماء
المشتركة في قلبه، وإذا كان ما ورد في هذه الرسالة صحيحاً
فيتضح منها أن ليس بين المشتركين في الحادثة من ينتمون
لي، وإن ليس لي علاقة بها.

في الحقيقة انني كنت دائم الخوف من مدحت باشا، ولكن وقت صدور حكم المحكمة رأيت أن انساناً معروفاً
بهذا القدر يستوجب ألا ينفذ فيه حكم الاعدام.

ثم ما الفائدة فيما لو قتلته..؟

بكل تأكيد انني لن أفيد شيئاً إذا وضعت عدوى في مصاف الشهداء، سأفرض أن هذه الفرية الموجهة ضدي
صحيحة، وأقبلها على علانها. فكم من خليفة عما من الوجود في لحظة كل من تخوف منه أو وجده يعمل ضده..

ألم يعدم الخليفة العباسي المنصور — وهو من أكبر الخلفاء المسلمين أبا مسلم الخراساني، صاحب الفضل على
الأسرة الدوانقية؟؟

وهارون الرشيد، ألم يعدم جعفر البرمكي، وكان من أصدقائه الخالص؟ بل ولم يقتنع بهذا فقط، وإنما ظلم أقاربه
ايضاً..

أليس هذا أخطر من معاملتي لمدحت باشا؟ خاصة وأنني اكتفيت فقط باتخاذ الاجراء الاحتياطي ضد اعتداء متوقع
من مدحت باشا، الذي لو وجد الفرصة لا يذاني لفعل، وهو ما كنت أتوقعه. (٢)

لم ألحق أدنى ضرر برجل من رجاله على الإطلاق، وكنت أمرت بصرف مرتبه الى أسرته، بل وعينت بعض رجاله
في الوظائف المختلفة التي وصلت أحياناً الى درجة الصدارة العظمى، مثل عبد الرحمن باشا، و خليل رفعت باشا، عندما
رأيت صلاحيتهم. وعينت من رجاله ايضاً: المشير شاكر باشا، ورائف باشا، في مراكز الدولة الهامة.

وهل يمكن انكار صلة محمد باشا العميقة بالسلطان مراد الثالث عندما أعدمه شهيداً.. وفي حادثة علمدار مصطفى
باشا، هل قدم جدي للسلطان صاحب الجلالة محمود (٣) خيرالي الباشا؟

هؤلاء الذين اطلقوا على أنفسهم اسم — تركيا الفتاة — كانوا في الأصل ثلاثة اشخاص أو خمسة وهؤلاء عملوا ضدي

(٢) انظر المرجع السابق.

(١) انظر المرجع السابق

(٣) هو السلطان محمود الثاني (١٧٨٤ — ١٨٣٩) جد عبد الحميد من السلاطين الذين شجعوا الأخذ عن الغرب. تمكن من القضاء على
الانكشارية (١٨٢٨) واعداد جيش حديث على «نظام جديد».

عدة سنوات في اوربا . تكلموا، خططوا وكتبوا كل ذلك قبل ان يفكروا ان العمل ضدي معناه ايضا : العمل ضد الوطن . كانت صحفهم التي يصدرونها تأتي خفية الى البلاد عن طريق البريد الأجنبي وتوزع بواسطة الأجانب .. مضت أعوام ولم تحدث آثار جدية هامة لهذا ، لأنها لم تكن أعمالا تنبع من أفكار جدية هامة . (١)

ورغم هذا ، فانني كنت على صلة بهم .. وحتى لا يتورطوا في شيء نتيجة لافلاسهم — وهم في بلاد أجنبية فقد بذلت لهم مساعدات مادية كبيرة بحجة شراء صحفهم ، وغمضت عيني عن ارسال بعض الأشخاص للنقود الى البلاد ، لكي لا يكونوا أداة للأجانب ، وكنت أقول أن معارضتهم — رغم خطئها — فانها يجب أن تظل شريفة .

هناك ايضا بعض الأسباب التي دفعتني لذلك . احمد رضا بك (٢) . وكان مديرا للمعارف في بورصة — سافر الى اوربا بحجة الدعاية للمنتجات الحريرية البورصوية في معرض باريس الذي افتتح بمناسبة مرور مائة عام على الثورة .. ذهب ولم يعد ومن هناك أرسل لي — لائحة اصلاحية — قرأتها ولم يكن فيها شيء ، فهو لا يعرف البلاد ، ولا يعرف ما يمكن ان تفعله هذه المقترحات اهملتها .

بدأ بعد ذلك يصدر مجلة — مشورت — وطلبت من سفيرنا في باريس أن يتحرى عن وسيلة تعيشه . أجبني بانه يلقي دروسا في اللغة التركية ويتعيش عن طريقها ، وانه يصدر صحيفة ويتحمل نفقاتها .

انه ساذج ولا يصدق أحد ، حتى ولا جارية بسيطة لم تشتري في حياتها رغيف خبز واحد من مخبز . وبدأت أرسل له نقودا بطرق مختلفة فليس هنا حل آخر .

سألني مرافقي : لماذا توقفت عن الكتابة منذ يومين ؟

أفكر ، أفكر في مسار وطني .. من أين والى أين ؟؟

وفي موضع آخر من المذكرات يتذكر عبد الحميد سعيد باشا (٣) الذي حل عبء الحكم في عهده فيقول : (حلني في مذكراته مسئولية التقصير في مشكلتي تونس ومصر بينما كان هو في ذلك الحين يبعثر الايام والشهور في (ليت ولعل) واني افخر بما اسنده إلي على شكل تقصير . لم أكن اتصور اتخاذ الحرب وسيلة لكل مسألة من المسألتين ، فأنا دائما ضد الحرب ، ولو كنت اندفعت للمقاومة في تونس ، فرما تسببت في ضياع سوريا لو وقفت بعناد في مصر لكنت بالتأكيد فقدت فلسطين والعراق) .

ويكشف عبد الحميد في تحليله لمواقفه السياسية في الازمات عن مقدرة وبعد نظر ويعاتب فيقول : (لم ينكر سعيد باشا نعمتي فحسب ، بل أنني جد آسف لتحريفه حقائق الأمور) .

ويبدو في غاية الألم وهو يتابع بعد سقوطه — ما أصبح يردده الانصار والخصوم ويقول : (لا يجوز أن أضع الحاكمية الحقيقية في الخطر واندفع للمحافظة على الحاكمية اللفظية) .

ولكن نقد سعيد باشا لعبد الحميد لم يمنع السلطان من انصافه في بعض مواقفه فيقول : (سعيد باشا المتردد المتوهم كان يبدو أحيانا شجاعا ففي فترة من فترات المسألة المصرية أبدى إصراراً على اعلان الحرب على انجلترا وارسال جيش بري الى هناك . وكان يأمل في معارضة فرنسا لاحتلال الانجليز مصر منعت مصر هذا وعلى كل ، فاني أوصيت ببحث الأمر مرة أخرى في مجلس الوزراء في حضور الغازي احمد مختار باشا — وزال هذا الخطر عند الاعتراض الحازم والسليم

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، ترجمة د . محمد حرب عبد الحميد .

(٢) أحمد رضا بك : مدير معارف بورصة ، هرب إلى باريس ، وأصدر مجلة (شورت) وأسس جمعية «تركيا الفتاة» ووضع لائحتها «الإصلاحية» ، وقد أرسل له عبد الحميد مساعدات مادية لتأمين معيشته في منفاه الإختياري بباريس لثلا تضطره الحاجة لطلب المعونة من الفرنسيين ، وقد لعب فيما بعد دوراً خطيراً في تقويض دولة الخلافة رغم الرعاية التي خصه بها عبد الحميد حتى حين القبض عليه في حادث ٣١ مارس .

(٣) سعيد باشا : (١٨٣٨ — ١٩١٤ م) صدر أعظم أسبق (إتحادي) تنقل في عدة وظائف في الدولة العثمانية منها مدير المطبعة العامرة (مطبعة الدولة) باستانبول ومدير جريدة «تقويم وقائع» . بعد تولي عبد الحميد الثاني السلطنة عين سعيد باشا في عدة وظائف أكثر أهمية منها : باشكاتب المابين ، وهو عقدة الوصل بين القصر والحكومة ، وناظرا للداخلية ، ونفى إلى ولاية خداندكار بعد حادث على سعاوى الذي كان =

الذي أبداه مختار باشا . وفرنسا حتى اليوم لم تمد يداً ولم ترفع صوتاً .

ويتنبأ عبد الحميد ببصيرة سياسية نفاذة بارهاصات ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا القيصرية فيقول : (أوجدت في الفترات الأخيرة من سلطنتي أمل قيام اتحاد بلقاني ، وكان سفيرنا في باريس منير باشا يعمل في سبيل هذا الأمر سراً وجهراً ، وكانت دول البلقان أمام خطرين : روسيا والنمسا . مجهول ذلك الشكل الذي ستسفر عنه الاحوال ، ولو ان من المشاهد تفكك روسيا في الحرب العامة ، الا أن طالعها لم يتعين بعد ، ولو أنها تخلصت من الثورة التي تهزها من الداخل منذ أكثر من عام — ورغم ضخامتها — فستظهر روسيا أكثر قوة . ما هو هناك اليوم عبارة عن نضال فكري أشد من ذلك الذي كان في الثورة الفرنسية الكبيرة) .

كنت أحاول ان أوقف البلقانيين أمام هذين الخطرين المشتركين .

كنت سأحصل على تعويضات مجزية مقابل تضحية لفظية في مسألتني البوسنة والهرسك ، مثل التراجع عن الحاكمية هناك ، وهي عبارة عن اسم جاف . وبدأ الملك كارول ، ملك رومانيا ، يسير على الدرب رويداً رويداً بعد أن كان محجماً شاكاً في أول الأمر .

حدث انقلاب تموز في الوقت الذي كانت فيه المحادثات ، وكانت بدأت بالفعل تؤتي ثمارها ، حتى أن منير باشا — وكان متوجها الى استانبول قد عاد دون ان يمر بالمدينة .

حاولوا بعدى تأليف العناصر الداخلية ببعضها البعض ، فتحدوا العالم دون أن يقيموا هذا التآلف ، وإذا بالاتفاق الذي كنت حريصاً عليه وأريده ، وبذلت الجهود في سبيله ، قد تطور الى شكل لم أكن أحبه ولا أريده على الاطلاق . أعني ان الأمر انقلب الى الضد . الى ضدنا ..

فدأت يوم إنقضت علينا أربع دول بلقانية ..

كنت أعلم ان السر عسكر عوني باشا قد أخذ من الانجليز أموالاً . ان رجلاً من رجال الدولة يأخذ مالا من دولة أخرى . لا بد وان يكون قد قدم لها خدمات . يعني هذا ايضا ان خلع المرحوم عمي السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد العرش بدله ، لم يكن حقدا فقط من حسين عوني باشا ، ولك مرضاة لرغبة دولة أخرى أيضا ..

كان حسين عوني باشا يعيش وهو يجتر حقه ، وكان يعمل كل ما في وسعه دون ان يطلع أحدا عما ينتويه وعندما سافر الى اوروبا طرق أبواب رجال الحكم هناك أكثر من ذهابه الى المياه المعدنية ، وأثناء سفره الى فرنسا وانجلترا ارتقى في احضان الانجليز .. (١)

لا أعرف كيف حدث هذا .. هل اتصل حسين عوني بالسفارة الانجليزية وقت أن كان هنا ؟ أم أن الخارجية الانجليزية أحست بهمهمات حقه عندما وصل هناك فأوقعته في المصيدة ؟ لا أدري .. ولكن بعد فترة أخبرني سفيرنا في لندن موسوروس باشا ان حسين عوني (٢) تقاضى مالا كثيراً من يد في انجلترا ، ولم يعلم سفيرنا بهذا إلا في وقت

== بأمل في إعادة تولية مراد الخامس محل عبد الحميد . ولما صدر العفو عنه عمل في عدة مناصب منها ناظر العدالة ومنصب الصدر الأعظم انتخب رئيساً للمجلس الوطني بدخول جيش الحركة استانبول وقيام حادث ٣١ مارس في أول اجتماع لهذا المجلس الوطني تقرر خلع عبد الحميد . وأصبح سعيد باشا عام ١٩١١ م صدراً أعظماً لحكومة الاتحاد والترقي . وقد حلّ سعيد باشا المجلس بناء على رغبة جمعية الاتحاد والترقي . وكان نصيب سعيد باشا من المجلس الجديد الامهال . وفي وزارة محمود شوكت باشا تولى سعيد باشا رئاسة مجلس شورى الدولة . (١٩١٣ م) وعين بعد ذلك رئيساً لمجلس الاعيان ، اعتقله الانكليز ونفوه إلى مالطة حين احتلالهم لاستانبول .

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني .

(٢) حسين عوني باشا (١٨٢٠ — ١٨٧٦) تخرج من الحربية عام ١٨٤٨ برتبة نقيب أركان حرب . عمل فترة مدرسا بالمدرسة الحربية . اشترك في حرب القرم . عمل ايضا ناظراً للمدرسة الحربية السلطانية . عمل قائداً للجيش الا انه عزل من هذا المنصب ونفي الى اسبرطة عام ١٨٧١ لمدة احدى عشر شهراً . ثم صدر عفو عنه فعين والياً على آيدين . تولى نظارة الحربية ايضا ثم عين قائداً عاماً للجيش مرة ثانية عام ١٨٧٣ . وفي عام ١٨٧٤ عين صدراً أعظماً لكنه عزل بعد أربعة عشر شهراً من توليه هذا المنصب وعين بعدها والياً على أزمير ثم على بورصة واشترك في عزل عبد العزيز وتعيين مراد الخامس محله . وظل مدة حكم مراد الخامس القصيرة قائداً عاماً للجيش وفي حادث اقتحام جركس حسن . وهو ضابط قريب ونصير للسلطان عبد العزيز لمقر قيادة الوزراء إغتيال حسين عوني .

متأخر جداً وعندما وصل اليّ الخبر كان حسين عوني باشا قد مات ، ولكن مسألة أن قائداً عثمانياً يقبل نقوداً من دولة أجنبية لم يكن عملاً يستهان به .. وقفت طويلاً أمام هذه المسألة باهتمام .

وكانت الهدايا القيمة التي قدمها ، سواء للقصر أم لاصدقائه المقربين ، بعد عودته من أوروبا ، تفوق كثيراً قدرة الباشا ، حديث العودة من المنفى ، الذي قاسى فيه الفقر والحرمان ، تلك الأيام لم تغب عن عيني ، وأنا للآن مازلت مندهشاً متسائلاً : كيف لم يلحظ المرحوم عمي هذا ؟ رغم أن الباشا قدم اليه شمعدانا ثنائياً مرصعاً عالي القيمة تاريخياً ، واشتراه من باريس بثلاثة آلاف ذهباً ، علمت بعد ذلك ان تحقيقاً تم في أمر هذا الشراء .

ابلغني موسوروس باشا بهذا ، وكان مدحت باشا وقتها صديراً أعظم ، وكان حسين عوني باشا رفيقاً لمدحت باشا واشتركا معا في انزال عمي عن عرشه .

مدحت باشا ايضاً مثل حسين عوني باشا ، اتبع سياسة مؤيدة للانجليز وكان دائماً يفصح عن ثقته بالانجليز . أحطت بجو تنعدم فيه الثقة .. ليس عندي دليل على اتهام مدحت باشا ، ولكن الواضح للعيان ان للانجليز يدا في عزل عمي عبد العزيز خان ، وصدر دولتي يعتمد على ظهر عدوها . كان من الجنون تسليم الملك لانسان لا يتبع إلا خطاهم وبدأت أتتبع حركاتهم بدقة .

لم يهزني شيء في حياتي هذا ضخماً قدر شخص يرتفع الى مقام قيادة الجيش او الى مقام الصدارة العظمى و يقبل نقوداً من دولة أجنبية .

هذا شيء أكثر من احتمالي ..

إذا كان مدحت باشا عابراً نفس الطريق ، فإن هذا يعني أن الدولة قد وقعت في الشرك .

ولا غرابة في استهجان عبد الحميد لقبول السر عسكر عوني باشا (١) لرشوة الانجليز رغم ظهوره بظهر المدافع عن الحريات والقانون الأساسي (٢) مما يعيد الى ذهنه صورة جده محمود الثاني (٣) ومعاناته من فساد الانكشارية ، وقد كانت هواجسه في محلها ، فقد انتهى عهده على أيدي حفنة من الضباط بينهم محمود شوكت (٤) ونيازي وجمال وأنور (٥) .

(١) سر عسكر: قائد الجيش

(٢) أنظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) محمود شوكت باشا: (١٨٥٦ - ١٩١٣) ولد في بغداد ومات في استانبول قائد عسكر ورجل دولة . عربي الأصل . أبوه سليمان فائق كتحدا أو غلوكان من كبار موظفي ولاية بغداد ومن أشهر المؤرخين البلغاء لحوادث العراق وولده الأصغر حكمت سليمان سياسي بارز في العهد الملكي في العراق وتولى رئاسة الوزراء فيه سنة ١٩٣٦ . تلقى محمود شوكت دراسته الأولى في بغداد . ثم انتقل إلى استانبول ليدخل المدرسة العسكرية . ثم دخل المدرسة الحربية وأنهى الدراسة فيها . عمل مدرسا في المدرسة الحربية (١٨٨٣) أرسلته الدولة في مهمات عسكرية إلى كل من المانيا وفرنسا . وفي عام ١٩٠١ رقى إلى رتبة فريق ثان وعندما رقى إلى رتبة فريق أول عام ١٩٠٥ عين والياً على ولاية قوصوة وبعد إعلان المشروطية الثانية عين قائداً للجيش الثالث وتعاون مع كبار زعماء الاتحاد الحربية (١٨٨٣) أرسلته الدولة في مهمات عسكرية إلى كل من المانيا وفرنسا . وفي عام ١٩٠١ رقى إلى رتبة فريق ثان وعندما رقى إلى رتبة فريق أول عام ١٩٠٥ عين والياً على ولاية قوصوة وبعد إعلان المشروطية الثانية عين قائداً للجيش الثالث وتعاون مع كبار زعماء الاتحاد والترقي . ثم أصبح وزيراً للحربية رئيساً للوزارة بعد انقلاب أنور باشا على حزب (الاتحاد الحر) عام ١٩١٣ م ولكنه اغتيل بعد ستة أشهر وفي ١١ حزيران من عام ١٩١٣ م الموافق ١٣٣١ هـ .

(٥) أنور باشا: (١٨٨١ - ١٩٢٢ م) أحد أبرز قادة الاتحاد والترقي تولى وزارة الحربية العثمانية خلال الحرب الأولى ودخل الحرب مع المانيا التي زوت بالمدربيين الاسلحة كان طوراني النزعة وقد ندم لافساحه المجال للدوغة الماسونية التي أطاحت بالانحاديين بعد معاونتهم للاطاحة بعبد الحميد .

ان الاطاحة بعبد الحميد لم تكن مجرد رد فعل حماسي لحادث ٣١ مارت (١) كما صوره الاتحاديون، فانكلترا لم تكن بعيدة عن المؤامرة وقد كشف عبد الحميد في مذكراته عن أموال دفعها الانكليز للسر عسكر عوني باشا الذي خلع عمه السلطان عبد العزيز، وساهم في تولية السلطان مراد ارضاء لرغبتهم.

وسرعان ما كشف عبد الحميد أوراق مدحت باشا حينما ورط الدولة في الحرب رغم ارادة الخليفة في التراجع عن حكم البوسنة والهرسك دفعا لويلات وخسائر أكبر.

ثم يتطرق عبد الحميد الى تنفيذ بعض الأعمال والتصرفات التي قام بها مدحت باشا متجاوزاً الكثير من الاعراف والتقاليد السياسية التي كان يأخذها بعين الاعتبار جميع من تولى منصب الصدارة العظمى فيقول انه : صدر القرار كما أراده مدحت باشا وبه أصبحت الدولة العثمانية في حالة الحرب . وبه ايضا اشتركت في الحرب ضدنا — غير الصرب والجبل الاسود — كل من روسيا وانجلترا والنمسا والمجر والمانيا وفرنسا وإيطاليا .

سألت الصدر الأعظم وقائد الجيش عن أحوال الجيش وتجهيزاته، فقال لي : ان مائتي ألف جندي تحت السلاح، وانهم يمكن ان يواجهوا بقوة كل هجوم يأتي من جانب العدو.

في هذا الوقت تلقيت برقية من الغازي احمد مختار باشا، يعلمني فيها أن لديه تحت قيادته ثلاثين ألف جندي، وانه لا يستطيع بقوة صغيرة بهذا الحجم مواجهة قوات العدو، والتي تبلغ مئات الألوف.

وبسرعة استدعيت الصدر الأعظم وقائد الجيش الى القصر، واطلعتهم على البرقية . تهرب الصدر الأعظم من الموقف قائلاً : انه لا يعرف استعدادات الجيش وارتج على قائد الجيش، واعتقدت بانه من الجنون الدخول في حرب باشخاص يحمل الواحد فيهم الذنب المسؤولية بسهولة، وعدم ادراك للعواقب في هذا الموضوع بالخطر..

لكن الشعب متعلق بمدحت باشا، و ينتظر منه المعجزات، وأبعاده سيكون خطأ من الدولة . لا يمكن احراز نصر بصدر أعظم يجهل عدد الجنود في الجيش، بل يمكن عن طريقه التأكد من احراز الهزيمة، ومع هذا صبرت وحاولت أن أكمل نقائصه .

كانوا قبل هذا ايضا نهضوا لتهريب أخي السلطان مراد من القصر وهو بملابس النساء، وظهر ان الذين تصدوا لهذا العمل الفاشل بعض الشخصيات الماسونية مثل مدحت باشا .

انكلترا كانت دائبة على تسيير الفتن عن طريق الماسونية . وكان مدحت باشا لم يكتف باثارة ما أثار من مشاكل، فهو من ناحية يريد خلق أزمة في السراي، ومن ناحية أخرى يريد الزج بالبلاد في أتون الحرب بهذه الحادثة لأن هذا التصرف الذي أقدم عليه أثقل وطئاً من الجريمة المدعى عليه فيها. (٢)

انه تصرف لا يمكن الصمغ عنه . وأمرت ناظر العدل فوراً بتتبع هذه المسألة، ان الانكليز الذين لابد أن يكونوا عارفين بأصل المسألة لم يظاهروه، وقبل الفرنسيون تسليمه بعد اعتراض بسيط .

وعندما علم عبد الحميد بنتيجة المحاكمة، قال : انني يمكن أن أعفو عن مدحت باشا لاشتراكه في قتل عمي السلطان عبد العزيز، ولكنني لا استطيع العفو عن وزير وصدر أعظم عثماني يتعاون مع دولة أجنبية .

(١) حادث ٣١ مارت ١٩٠٩ : (الحادية الانتخابية) :

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني — الطبعة الاولى ١٩٧٨م — دار الانصار القاهرة — ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد .

الفصل الثاني

الإجازات والإصلاحات العثمانية

قبل عبد الحميد الثاني

اتسم الحكم العثماني عامة بالبساطة فقد اخذ على عاتقه مهام الدفاع وحفظ الامن وجباية الاموال واقامة العدل. وكان الخلفاء العثمانيون منذ ما قبل عبد الحميد يؤثرون حكم ولاياتهم بعناصر محلية مما ابقى على الاجهزة الادارية الصالحة في معظم البلدان المفتوحة حيث كان زعماءها يلتزمون حيال الدولة باداء مبالغ معيشة (الخزاج) الى جانب تقديم اعداد محددة من المقاتلين او الفرسان مقابل تنازل الدولة عن الضرائب او جزء منها حيث تدعو الضرورة العسكرية لذلك، مما جعل علاقة معظم الايالات والاقليم البعيدة عن مركز الخلافة اشبه بعلاقة ولاء إسمي حيث كان الوالي او الباشا هو السلطة العليا في اقليمه ولهذا كان الخليفة يحرص على عدم طول فترة تكليفه لئلا يطمع في الاستقلال نهائيا عن الدولة، كما كان (الكتخدا) (١) يقوم بمراقبة الوالي بينما يعهد بالنواحي المالية الى (الدفتردار) وبالحاميات العسكرية الى (الأوجاقات) وبالعالة الى (القاضي) ويسهم (الديوان) الذي يضم العلماء والاعيان وكبار الموظفين والضباط بابداء الرأي والمشورة والوساطة بين الحكومة والشعب.

كما ان الدولة قسمت الولاية الى (سجقيات) لكل منها سنجق محلي يحمل لقب «بك» وهو أشبه بالمحافظ. الدراسات والابحاث التاريخية التي تناولت العهد العثماني ولا سيما الحديثة منها لم تر في ذلك العهد الذي استمر نحو ستة قرون سوى الضعف والفساد والتهتك والانحلال والجهل والفقر والمرض والظلم والاستبداد والاضطهاد، ناسية او متناسية صفحات الفتح المجيد التي خطها اولئك السلاطين البواسل ابتداء بعثمان وانهاء بيبازيد، حيث نجحوا في اختراق اسوار القسطنطينية المنيع التي صمدت في وجه الدعوة الاسلامية قرونا طويلة ومنحو الاسلام فرصة اقتحام اوروبا في الشرق بعد ان تعذر عليه اقتحام البيرنه منذ إستشهاد عبد الرحمن الغافقي وهزيمة مسلمي الاندلس في بلاط الشهداء.

ولم تكن الابطال والبطولات العسكرية البرية والبحرية وحدها محل التجاهل ولا عشرات المساجد والتكايا والبيمارستانات والمدارس والقصور والمكتبات في عواصم اوروبا الشرقية نفسها — وحتى الان — بل ان العديد من المصادر التاريخية العربية الحديثة اخذ بهذه النظرة المتجنية على التاريخ العثماني كله فلم ير في الفتح العثماني اكثر من استعمار للوطن العربي.

وخلافاً لهذه الصور البشعة والاقوال المجحفة التي اقتصرت على ذكر الاستبداد الحميدي «والطغيان التركي» وفساد الوزراء والباشوات «وبازار» الولاة والمتصرفين فان نظرة منصفة الى اية مدينة عربية او عثمانية بوجه عام، عاشت في عهد السلطان عبد الحميد ترينا جانباً من جوانب الاصلاح والتعمير التي تخللت ذلك العهد رغم ماعاناه من العجز المادي والخلل الاقتصادي.

وفي العديد من المدن السورية حتى اليوم اسواق تجارية كبيرة تدعى «الحميدية» ما زالت شاهدة بمآثر السلطان عبد الحميد.

(١) انظر المصطلحات العثمانية المرفقة باللاحق في نهاية الكتاب

كما يشهد «قصر العظم» بدمشق الذي بناه الوالي أسعد باشا العظم (١٧٥٢ - ١٧٥٣) على مستوى تقدم فن العمارة آنذاك خاصه وإن بنائه تم في إطار عملية اصلاح وترميم واسعة شملت العديد من المدارس والجوامع والاثار العثمانية خاصة والاسلامية بوجه عام (١)

وقد شيد اسعد باشا أيضاً عدة خانات في المعرة وخان شيخون وحماه كما ان قصره في حماه يناسب قصره في دمشق روعة وجمالاً.

وقبل اسعد العظم شيد سليمان باشا العظم (١٧٣٤ - ١٧٣٨م) مدرسة في زقاق البريد بدمشق بالاضافة الى حمامين في الهرمية والخراب وقيسارية في سوق العبي (العباءات).

وقام محمد باشا العظم ببناء عدة أبنية بدمشق كالسوق بين الاروام والقلعة ورمم أبنية السرايا ومحكمة الباب وعمر القاعة والبركة في منزل بئر الزمرد على طريق الحج (٢).

ثم جاء الوزير لالا مصطفى باشا واليا على دمشق (١٥٦٣ - ١٥٦٩م) فبنى الخان المعروف باسمه تحت قلعة دمشق ويقوم مكانه الان سوق الهال كما شيد حمام السروجيه.

واعقبه بهرام باشا الذي شيد سوقا عند باب البريد وقيساريه لاعمال التجار (١٥٨١ - ١٥٨٢م).

ثم جاء مراد باشا فشيّد خلال ولايته على دمشق «جامع المرادية» بالسويقة وخلفه درويش باشا (١٥٧١ - ١٥٧٢م) الذي بنى جامع وحمام «الدرويشية» في باب الجابية وقيساريه قرب سوق الجوخ.

ولعل الوزير سنان باشا الوزير الاعظم ووالي دمشق (١٧٨٩ - ١٧٩٠م) هو صاحب النصيب الاوفى في تاريخ العمارة العثمانية اذ لم تشغله فتوحاته العسكرية ولا أعماله الادارية الكبيرة في بناء ما لا يقل عن اربعين مسجداً في مختلف انحاء الولايات العثمانية، وفي دمشق نجد مسجد السنانية قرب باب الجابية.

ولم يكن إهتمام ولاية الشام مقتصرأ على دمشق وحدها فقد تركوا اثارا في حصن وحماة وغيرها، وفي حلب امر الوزير خسرو باشا (١٥٤٥ - ١٥٤٦م) ببناء جامع وتكية بقرب المدرسة الخسروية، كما اوقف عليها خانا وسوقا.

وبنى محمد باشا دوق كين في حلب عدة خانات منها: خان الغرايين، خان النحاسين، وخان العلية.

كما شيد بهرام باشا والي حلب (١٥٨٠ - ١٥٨١م) جامع «البهرامية» في محله الجلوم.

وعلى غرار ولاية الشام شيّد الولاة العثمانيون في مصر أبنية خلدت اسماءهم فقد بنى سليمان باشا الخادم (١٥٢٥ - ١٥٣٨م) عدة جوامع واسواق وخانات وقيساريات (وكالات)

وبنى داود باشا (١٥٣٨ - ١٥٤٨م) مدرسة وجعل لها أوقافا، كما شيد سنان باشا (١٥٦٧ - ١٥٧٤م) جوامع وربط وتكايا.

وبنى اسكندر باشا (١٥٥٦ - ١٥٥٩م) جامعا ومدرسة وتكية وسبيلا وأوقف عليها الاوقاف.

وشيد مسيح باشا مدرسة المسيحية ورصد لها الاوقاف.

وفي العراق بنى مراد باشا (١٥٧٠ - ١٥٨٣م) جامع المرادية في حي الميدان ومرقد الحسين ببغداد.

وعمر والي بغداد سنان باشا جفازاده (١٥٨٧م) جامع الصاغة وجامع الخفافين، واعاد بناء التكية المولوية التي تعرف بجامع اصفيه كما بنى خانا واسواقا ببغداد.

(١) انظر معاني المصطلحات العثمانية في نهاية الكتاب.

(٢) انظر المرجع السابق.

وشيد حسن باشا (١٥٩٩م) جامع الوزير ببغداد واحاط الكرخ بسور وخندق لحمايتها من البدو.

وفي اليمن كان الولاة العثمانيون ينشرون أجنحة العدل والاحسان والامن والامان وقد انصرف بهرام باشا الى التنظيم والعمران وبنى جامع اللحية كما شيد مراد باشا (١٥٧٦ - ١٥٨١م) بناء السمسة الكبيرة (تكية) شرقي تعز وسمسة اخرى في تعز واشترى بيوتا وبساتين اوقفها عليها وبنى جامعا كبيرا في صنعاء وبنى حسن باشا (١٥٨٠ - ١٦٠٥م) قصرا في تعز ومساجد وأقنية وغيرها.

وعلى سبيل الأمثلة السريعة التي تحضرنا نذكر متحف «طوب قابي ساري» في استانبول، الذي يعتز بخريطة دقيقة للعالم رسمها، على جلد ظبي، أدميرال تركي يدعى «بيري ريس» عام ٩١٩هـ، وتشهد خطوطها الساحلية، ومسافاتهما، بالدقة البالغة التي وصلها ذلك الأدميرال العثماني، وهو - بالمناسبة - مؤلف كتاب ضخيم عن «الملاحه في المتوسط والخليج والأطلنطي والأدرياتيكي»، وقد بدأنا بهذا المثال، لنؤكد أن العهد العثماني لم يكن كله عهد تخلف وتقهر، لا سيما إذا ذكرنا الآثار العديدة الباقية كالمساجد والتكايا والمدارس والقصور والحمامات وغيرها من مخلفات ذلك العهد.

وفي ذلك المتحف أيضاً: مخطوط من القرن التاسع الهجري يتضمن رسماً تشريحياً لحصان تميز بالدقة العلمية، ولا غرو فالعلماء المسلمون تناولوا في دراساتهم علوم الإنسان والحيوان والنبات والفلك، وأبدعوا في كل مجال.

وفي «طوب قابي ساري كوتوفانيسي» باستانبول أيضاً مخطوطة فارسية ترجع للقرن التاسع الهجري وتتناول علم الأعشاب وخصائصها الطبية وفيها وصف لحوالي ستمائة نوع من فوائدها، وهو مترجم للعربية عن كتاب «مترياميديكا» للطبيب الإغريقي «ديوسكوريدس».

وفي جامعة «كوتوفانيسي» باستانبول نسخة لمخطوط قصيدة ملحمة كتبت على شرف السلطان مراد الثالث وتظهر صورتها خمسة عشر موظفاً في مرصد استانبول يعملون تحت إدارة تقي الدين محمد الدمشقي، رئيس علماء الفلك عام ٩٧٩هـ، وقد إعادت المراصد الإسلامية إنتاج تقويم فلكي إسلامي متميز بجمع الجداول الفلكية وسجلات حركات الرصد، منذ عهد الخليفة المأمون.

وكانت الاصلاحات متعارضة أساساً مع النظم المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية والتي درجت عليها الدولة العثمانية منذ نشأتها، وقبل أن تتم البيعة للسلطان سليم الأول بالخلافة، مما كفل للمسلمين من رعايا الدولة حقوقاً وامتيازات تفوق رعاياها الذميين.

وكانت الدولة تحتّم على أهل الذمة الإلتحاق بزوار خاص وحمل شارة خاصة لتمييزهم عن المسلمين، كما كانت دورهم أقل ارتفاعاً من دور المسلمين لثلا يشكفوا عوراتهم، ولم تكن شهادة الذمي تقبل بحق المسلم، كما لم يكن للذمي أن يتزوج بمسلمة، وكانوا يدفعون الجزية (أو البذل النقدي) في مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية وتفرغهم لتجارتهم أو مهنتهم المختلفة وفيما عدا ذلك كانوا يتساوون في الحقوق والواجبات مع الرعايا المسلمين.

وقد استندت حركة «التنظيمات» الى مرسومين سلطانيين صدرا خلال عهد السلطان عبدالمجيد والد السلطان عبد الحميد الثاني أولهما في ٣ تشرين الثاني نوفمبر ١٨٣٩م (خط شريف هيايوني) الشهير بـ «منشور كلخانه» الذي وضعه مصطفى رشيد باشا، تلميذ المستشرق سلفستردى ساس، ووزير الخارجية في مطلع عهد عبدالمجيد.

وقد كفلت «التنظيمات» مساواة المسلمين والذميين من الرعايا العثمانيين أمام القانون، مقابل الحفاظ على كيان الدولة العثمانية بعد أن هدهدها محمد علي (١٨٣٩ - ١٨٤١م) بموجب معاهدة لندن.

وثانيها في ١٨ شباط (فبراير) ١٨٥٦ (خط شريف هيايوني) الذي عرف بـ «منشور التنظيمات الخيرية» وقد صدر عقب حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٦) والتي بدأتها روسيا للقضاء على الدولة العثمانية فتدخلت بريطانيا خشية على

مصالحتها في الهند وايدتها فرنسا، وكان الثمن هذه المرة أيضا منشور التنظيمات الخيرية الذي أكد — كسابقه — المساواة في ذلك بالضرائب (الغاء الجزية) وتثيل الطوائف غير الاسلامية بجالس محلية وفي مجلس القضاء الأعلى ومحاربة الرشوة والفساد. مقابل الحفاظ على كيان الدولة العثمانية بموجب معاهد باريس ٣٠ آذار (مارس) ١٨٥٦ م. وكانت «التنظيمات» وسيلة استخدمتها بريطانيا لضعاف سلطة الخليفة وتقييد الحكومة وإشاعة الفوضى والاضطراب بين الطوائف والقوميات مما أدى إلى إنحلال الدولة العثمانية بعد أقل من قرن واحد.

وقد تابع السلطان عبدالعزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦ م) تنفيذ الإصلاحات الأوربية فاصدر قانونا بتنظيم الولايات عام ١٨٦٤ م وأنشأ (ديوان الاحكام العدلية) على نسق مجلس الدولة الفرنسي عام ١٨٦٨ م، وأنشأ مدرسة ثانوية «غلطة سراي» لتعليم الفرنسية لغير الرعايا العثمانيين.

لكن هذه الإصلاحات لم تقنع اللورد «كلارندون» وزير الخارجية البريطاني (١٨٦٥ — ١٨٦٦ م) الذي كان من رأيهِ: (ان الطريقة الوحيدة لاصلاح أحوال العثمانيين هي بازالتهم من على سطح الأرض كلية).

ويبدو أن رجال الإصلاح العثماني لم يفهموا الحضارة الغربية فهما صحيحاً فقلدوا مظاهرها الشكلية دون أن يتعمقوا في أسسها الفلسفية والعلمية — كما يقول الدكتور أوريل هايد — فوقفوا في منتصف الطريق، فقد أدخل نظام التعليم الأوربي في عدة معاهد بينما بقيت المعاهد الدينية كما هي مع غيرها من المؤسسات التعليمية التقليدية، مما أوجد ازدواجية خطيرة في الحياة العامة والفكرية، باستثناء معهدين طبقا نظام التعليم الأوربي بنجاح وهما: أكاديمية العلوم العسكرية، وكلية الطب باستانبول.

ويبدو أن الدكتور هايد كان يريد من سلاطين الدولة العثمانية أن يبادروا إلى إلغاء كل ما يمت للإسلام بصلة من تشريعات ومؤسسات وثقافة حتى يكون «الإصلاح» على أتمه، أما الأكاديمية العسكرية وكلية الطب فقد أعجابه باعتبارهما المكان الأمين الذي تم فيه اعداد وتكوين الجمعيات والكوادر الاتحادية التي إنقضت على دولة الخلافة فيما بعد، تنفيذاً لتعليمات لورد سالسبري وزير الخارجية البريطاني (١٨٧٦ — ١٨٨٠) في وزارة بنيامين دزرائيلي (الذي أحزنه كثيراً أن ترفض الدول الغربية مقترحات قيصر روسيا بشأن تقسيم الدولة العثمانية وأن تشتبك في حرب القرم من أجلها). (١)

وإصلاحات عبد الحميد ليست الأولى من نوعها في تاريخ الدولة العثمانية، فحركات «الإصلاح العثماني» سبقت الدعوة إلى «الجامعة الاسلامية» في محاولة تدعيم أوضاع الدولة وأحكام سيطرتها على مختلف الولايات العثمانية، وكانت كما يرى الدكتور علي حسني الخربوطلي (٢) قد بدأت في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧) واتجهت في أول الأمر نحو إصلاح الجيش بإدخال النظم الأوربية الحديثة ولكن (الانكشارية) وقفوا عقبة في سبيل الإصلاح وأرغموا السلطان على التنازل عن العرش ثم تمكن السلطان محمود الثاني من القضاء تماما على الانكشارية وكون جيشا قويا استطاع أن يقوم بأعمال عسكرية كبرى في قتاله للوهابيين في نجد واليونانيين في المورة، ثم قتال محمد علي، ثم أصدر خلفه وابنه السلطان عبد الحميد (١٨٣٩ — ١٨٦١) منشور (الكلخانة) وفيه يؤمن جميع رعايا الدولة العثمانية على اختلاف قومياتهم وأديانهم على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ثم أصدر السلطان عبدالعزيز الدستور.

وشمل الإصلاح: تنظيم التعليم وإنشاء مدارس عالية وتنظيم القضاء وإنشاء محاكم تجارية ومختلطة وتنظيم شؤون التجنيد وتنظيم ميزانية الدولة وإنشاء محاكم تجارية مختلطة، والشؤون الادارية وحدد اختصاصات للولاة، وكبار الموظفين بحيث يرتبطون جميعا بالحكومة المركزية العثمانية.

(١) دكتور حسين مؤنس «الشرق الاسلامي في العصر الحديث» ص ٢٥٨.

(٢) د. علي حسني الخربوطلي، أضواء جديدة على تاريخ العالم الاسلامي.

(١) الحرب العثمانية الروسية التي حدثت عام ١٨٧٧، وتسمى عند الأتراك حرب ٩٣ لأنها حدثت في تقويمهم عام ١٢٩٣.

أما التنظيمات العثمانية الحديثة، فقد بدأت مع مجيء السفير الانكليزي (ستراتفورد كاتنج دي رد كليف) في سفارته الثانية لدى الباب العالي باستانبول عام ١٨٤٢م، خلال عهد السلطان عبدالمجيد، فقد زود بتعليمات من وزير خارجيته اللورد «ابردين» لتأييد الاصلاحات الحكيمة التي درست دراسة جيدة مما يوفر لحكومة السلطان الاستقرار والثبات اللازمين لها. (١)

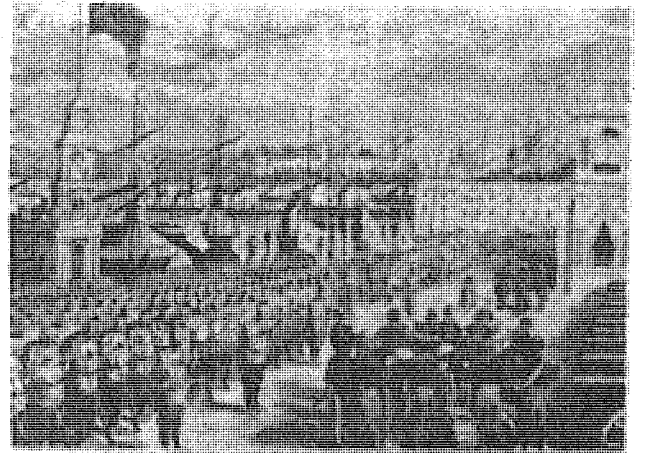
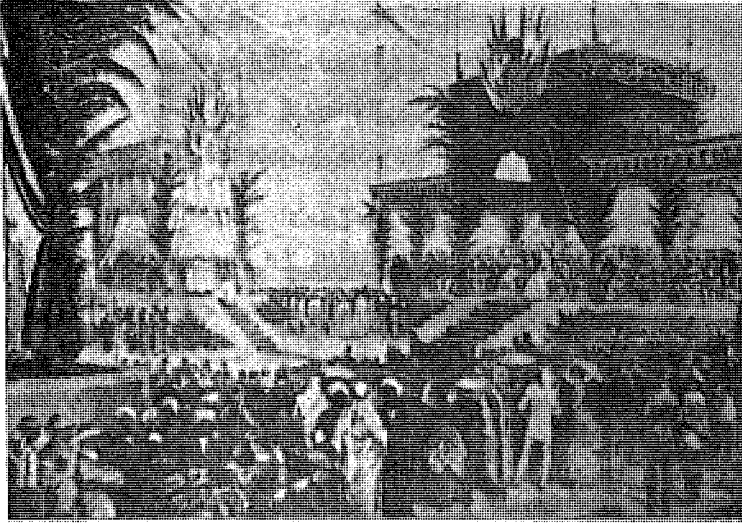
سارت الامور على نحو جيد في شتى الولايات خلال القرون الأولى من الحكم العثماني كما رأينا فانشتت المستشفيات والبيارستانات والمساجد والمدارس والمعاهد ونبع العديد من العلماء والقادة ولكن الأهمال والفساد ما لبث أن استشرى في العديد من المرافق فانتشر الفقر والجهل والمرض وعم البلاد نتيجة لضعف المتأخرين من الحكام والخلفاء لا سيما بعد أن عظم خطر الانكشارية (٢) واصبح لهم الدور الأساسي في خلع وتنصيب الخلفاء والامراء ولم ينفع بعد ذلك حل الانكشارية وتفريقهم بعد أن تضافرت العوامل والأسباب الداخلية والخارجية الأخرى، مما أدى إلى تلاشي دور الدولة وضعفها إزاء الضغط والتغلغل الانكليزي والفرنسي، بينما انغمس بعض السلاطين في حياة القصور والملذات وانصرف الولاة إلى جمع وتكديس الأموال والثروات، بدلا من حفظ الأمن وتأمين الخدمات، خاصة حينما توارث الحكم بعض الأسر والباشوات، الامر الذي تسبب في قيام عدد من الانتفاضات والثورات والحركات، مما كان يحفز الخلفاء على اللجوء للتآمر والخديعة والقمع في كثير من الحالات.

وشهد القرن التاسع عشر عدداً من الحوادث والمتغيرات، فقد ظهرت حركات عملية استقلالية (فخر الدين — ظاهر العمر — بشير الشهابي — علي بك الكبير محمد علي — الخ) ولم يتورع بعضهم عن الاستعانة بقوى غير اسلامية (٣) وكما بدأ الاتصال المباشر بأوروبا — بعد حملة نابليون على مصر — من خلال البعثات العلمية والتبادل التجاري. وظهرت مصانع النسيج والسكر والاسلحة كما تقدمت طرق الري والزراعة وتنوعت المحاصيل وتكاثرت المطابع والصحف والمجلات والكتب، حتى بلغ عددها في الشام والعراق ومصر قبيل الحرب العالمية الأولى نحو ١٣٣٣ جريدة ومجلة.

وانتشرت الطرق الحديثة ولا سيما السكك الحديدية والخطوط الملاحية وتوسعت الموانئ ولا سيما: البصرة وعكا وبغروت والاسكندرية وبورسعيد) مما أعاد للبلاد العربية أهميتها الاستراتيجية كشریان للمواصلات والتجارة العالمية خاصة بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م.

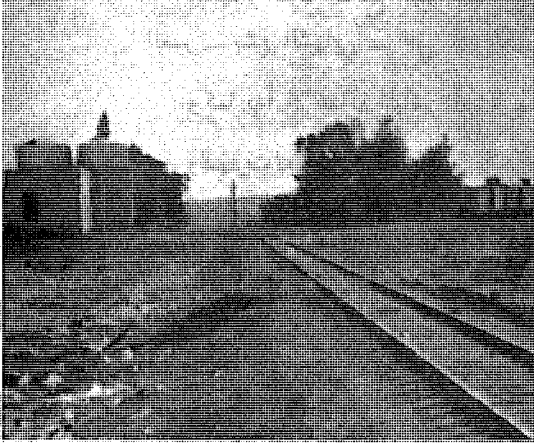
وقد أشعلت بواذر النهضة العلمية والتقدم الصناعي والزراعي واليقظة الفكرية نيران الحقد الدفين لدى خصوم الخلافة العثمانية وخافوا من صحوة «الرجل المريض» لا سيما بعد أن عادت للبقعة التي يترجع عليها أهميتها الاستراتيجية العالمية فبدأوا يقلبون صفحات دفاترهم القديمة، ويستخدمون الارساليات التبشيرية، ويشيرون الأقليات الطائفية والمذهبية والعرقية، ويرددون حكاية «الامتيازات الأجنبية» التي ترجع جذورها إلى أيام السلطان سليمان القانوني الذي عقد مع ملك فرنسا فرنسو الأول أول معاهدة صداقة وتجارة في فبراير ١٥٣٥م ثم اتبعها خلفاؤه بمعاهدة مماثلة مع بريطانيا في يوليو ١٥٨٠م وتلتها اتفاقية خاصة بالامتيازات الاجنبية في سبتمبر ١٦٧٥م.

- (١) د. سيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ ص ٢١
 - (٢) كانت الانكشارية لا تخرج للحرب إلا بقيادة السلطان نفسه ولكن سليمان القانوني غير هذا التقليد فاصبحوا يجاربون تحت إمرة قائدهم وظهر الخطر عندما تسلم الوزارة وزراء من غلمان وخدم السلاطين الذين تظاهروا بالاسلام كما تفاقم الأمر عندما أبيع للانكشارية الزواج والأقامة خارج الكنائس مع اعطائهم بعض الامتيازات وقبول الاخلاط ضمن زميرهم.
 - (٣) ومن هؤلاء الأمير فخر الدين المعنى الثاني منذ أوائل القرن السابع عشر في لبنان، واستعان بامارات توسكانا ونابولي فضلا عن اسبانيا، وعلي بك الكبير في مصر الذي استعان بروسيا القيصرية، وداود باشا في العراق الذي استعان بالانكليز.
- (أنظر الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب)

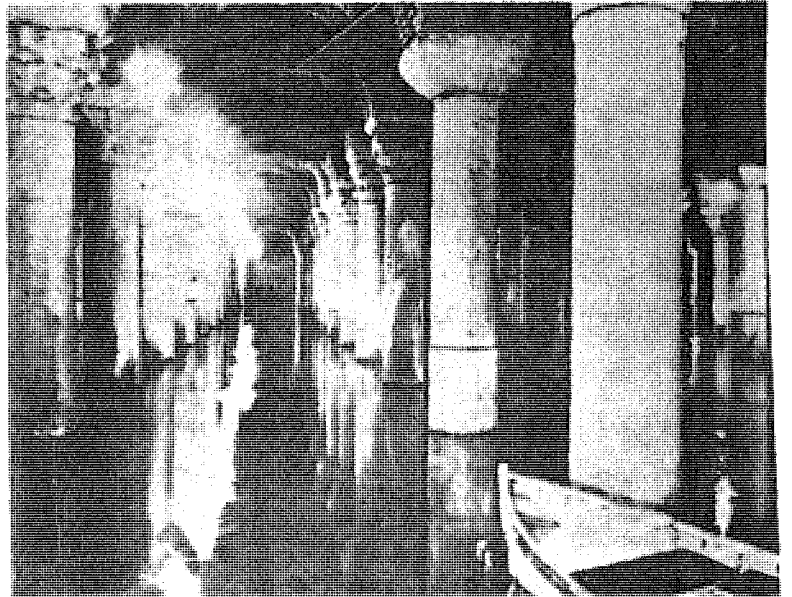


السلطان عبد الحميد الثاني يستعرض فيلقاً عثمانياً قبل توجهه للحرب ضد روسيا القيصرية والأيدي مرفوعة للدعاء للخليفة بالنصر.

حفل افتتاح قناة السويس بالإسماعيلية عام ١٨٦٩ م بعد أن شجع مدحت باشا مصر على الاقتراض من فرنسا وبريطانيا قبل تولي عبد الحميد للخلافة .



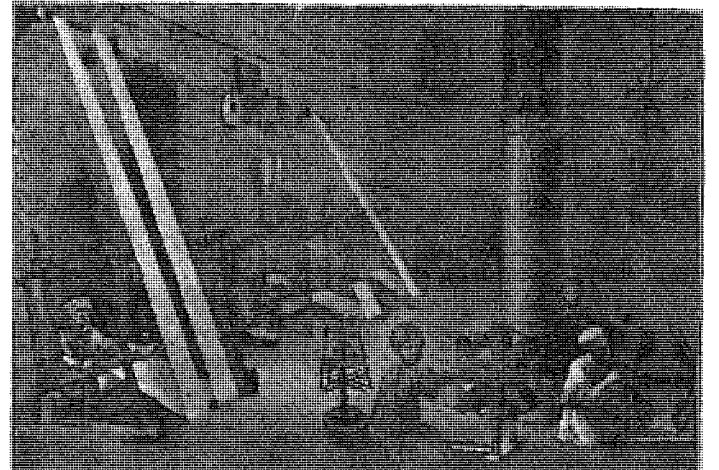
محطة سكة حديد قطرانة في الأردن ، إحدى المحطات الكثيرة التي شيدها عبد الحميد على طول الخط الحجازي .



صهاريج مياه الشرب في استانبول أقيمت فوق أعمدة رخامية وبهندسة رفيعة .



مصنع نسيج في مصر



مصنع زجاج في مصر

وأصبح الإنكليز والفرنسيون وفيما بعد الروس — يستغلون هذه الامتيازات لاثارة التفرقات الطائفية وحماية عملائهم، من تلك الأقليات، وتغطية لنشاطاتها التخريبية الهادفة لاسقاط الخلافة العثمانية.

وقد نجح السفراء والقناصل الغربيون في التأثير على مجريات السياسة العثمانية في آواخر عهد الدولة العثمانية حتى بلغ بهم الأمر حد التدخل في خلع وتنصيب السلاطين لاختيار من يتوسمون فيه الضعف واللين تحقيقاً لمآربهم ومصالحهم الاستعمارية، كما حصل مع السلطان عبد الحميد الثاني نفسه الذي تم تنصيبه بعد التخلص من السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد ثم خلعه، على أمل أن يتعاون معهم عبد الحميد ويترك الحكم بيد رجال «يلدز» و «الباب العالي».

اتسعت حركة التنظيمات في القرن التاسع عشر فامتدت إلى مجالات الادارة والقانون والتعليم بعد أن بدأت في آواخر القرن الثامن عشر بالانخذ بالعلم التطبيقي وطرائق التنظيم الأوروبية ولا سيما في المجالات العسكرية والنشاط الاقتصادي ، واستمرت حتى عهد السلطان محمد رشاد الخامس (١) مروراً بعبد الحميد ومراد الخامس وعبد العزيز وعبد المجيد ومحمود الثاني. وارتبطت باسماء محمد علي في مصر وخير الدين في تونس ورشيد عالي وفؤاد (٢) ومذحت في تركيا.

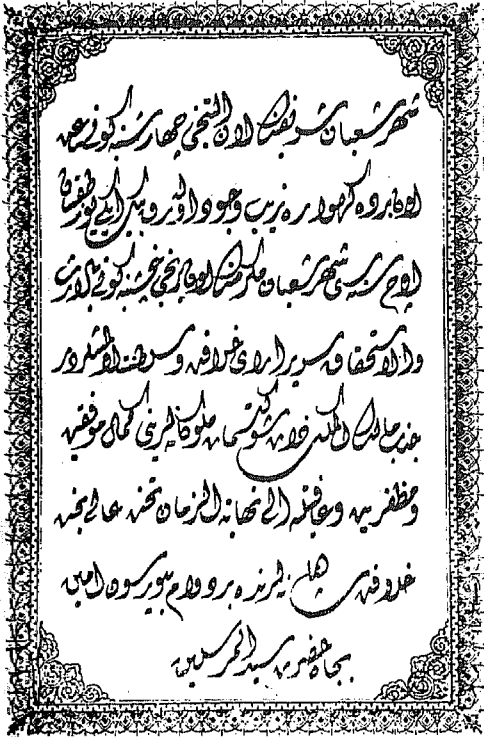
ومما يذكر أن الدولة العثمانية استمرت متقدمة على أرقى الدول الأوروبية حتى نهاية القرن السابع عشر وكانت مدفعيتها أقوى مدفعية في العالم آنذاك، ولعل من المفيد أن نذكر أن مدفعية الهاون استخدمت لأول مرة في فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح في منتصف القرن الخامس عشر فضلاً عن مدافع الحصار الثقيلة.

وكان السلطان سليم الأول أول من استخدم المدافع المتحركة الاتجاه في مطلع القرن السادس عشر مما أدى إلى هزيمة المماليك في موقعة الريدانية لثبات اتجاه مدافعهم وثقل حركتها.

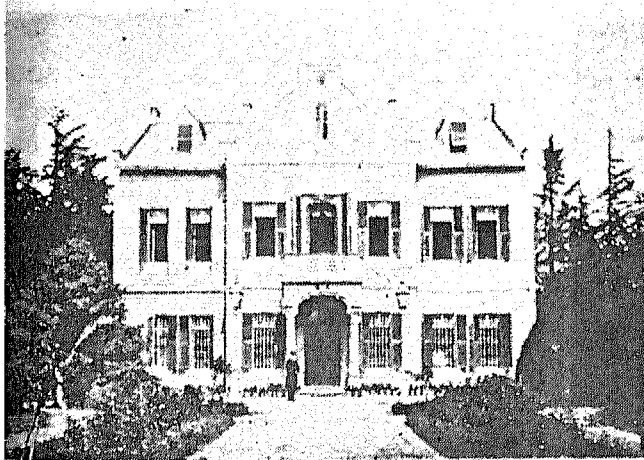
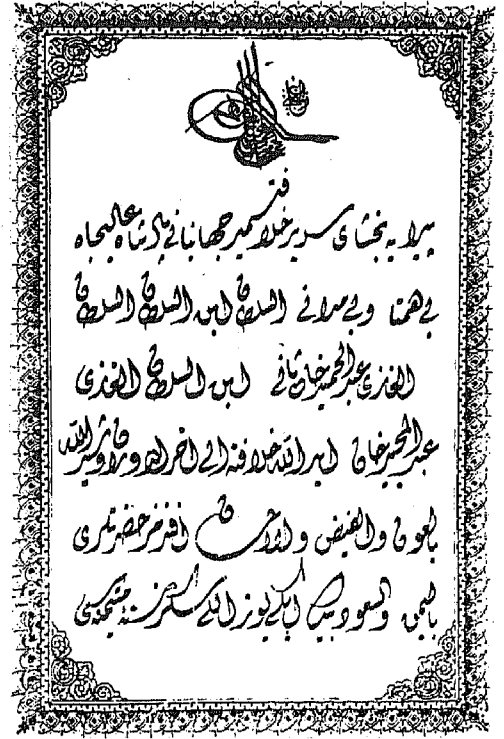
وكان الاسطول العثماني حتى عام ١٨٦٨م هو الاسطول الثالث في العالم قوة، بعد الإنكليزي والفرنسي، كما تشهد ترسانة السويس على دقة التنظيم العثماني في اعداد الاسطول وسرعة تحركه من السويس إلى مختلف الأماكن كما تشهد بذلك وثيقة (الفرمان إلى والي مصر لأرسال الاسطول بسرعة لانقاذ الأهالي المسلمين في البحرين من الكفار البرتغاليين عام ٩٨١هـ).

(١) ولد السلطان محمد رشاد في عام ١٨٤٤م في استانبول وتولى الخلافة العثمانية من عام ١٩٠٩م حتى ١٨١٨م وامتاز حكمه بسيطرة جماعة (الاتحاد والترقي) وانهزام العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. بعد ان امضى معظم حياته في معزل. أصبح سلطاناً بعد اخيه السلطان عبد الحميد الثاني وكان رجلاً لطيفاً مهذباً تتقن بالثقافة الاسلامية وألم بالأدب الفارسي، وانصبت اهتماماته على دراسة التاريخ الاسلامي عامة، والعثماني خاصة. ومع ذلك فقد كان تنقصه الامكانيات للنهوض بأعباء الحكم، وفي محاولة لاقامة الحكم الدستوري فان كافة الصلاحيات سلمت لجماعة (الاتحاد والترقي) وهي المنظمة القومية الحرة لحركة «تركيا الفتاة» ومركز التآمر فيها، وقد قام ببعض الجولات خارج استانبول نزولاً عند نصيحة الجمعية في نية صادقة وأمل عريض، وعارض دخول الدولة الحرب الى جانب الالمان في الحرب العالمية الأولى، ثم أعلن الجهاد الاسلامي بصفته الخليفة، ودعا كافة المسلمين وخاصة من كان تحت حكم الخلفاء منهم لدعم الدولة العثمانية، بوصفها دولة الخلافة، وحينما توفي في عام ١٩١٨م كانت معظم البلاد العثمانية قد سقطت في ايدي الحلفاء، وبعد ستة أشهر رزحت استانبول عاصمة الخلافة الاسلامية تحت الاحتلال العسكري الاوربي، كما حدثت في عهده حرب طرابلس الغرب ١٩١١م ضد إيطاليا، وحرب البلقان ١٩١٢م ضد اليونان وبلغاريا والصرب والجبل الاسود مجتمعين، قبيل الحرب العالمية الأولى التي خاضها مرغماً ضد الإنكليز والفرنسيين والطلبان.

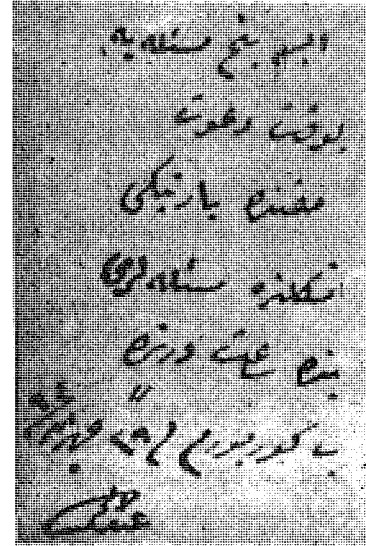
(٢) فؤاد باشا: (١٨١٥ – ١٨٦٩) صدر أعظم ورجل دولة، يعرف أيضاً بلقب فؤاد باشا الكبير، والده عزت ملا شاعر عثماني معروف، وجده قاضي عسكر مصطفى زاده القنوي، تولى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد العزيز (عم السلطان عبد الحميد الثاني)، دراسته طبية عسكرية، لكنه إلتحق بعد تخرجه بدائرة الترجمة بالباب العالي، فارتقى فيها بسرعة لذكائه الحاد، كلف بمهمة إعادة الهدوء إلى لبنان بعد الفتنة الدامية بين المارون والدروز التي راح ضحيتها نحو ١٢٠٠٠ نسمة، وأحدثت رد فعل في الشام، حيث جرت حوادث مشابهة، استطاع فؤاد باشا بعد حصوله على صلاحيات واسعة أن يعيد الأمن لهذه المنطقة، مما لفت إليه الأنظار، تولى الصدارة مرتان، وتوفي في مدينة نيس الفرنسية، حيث كان يعالج فيها من مرض القلب.



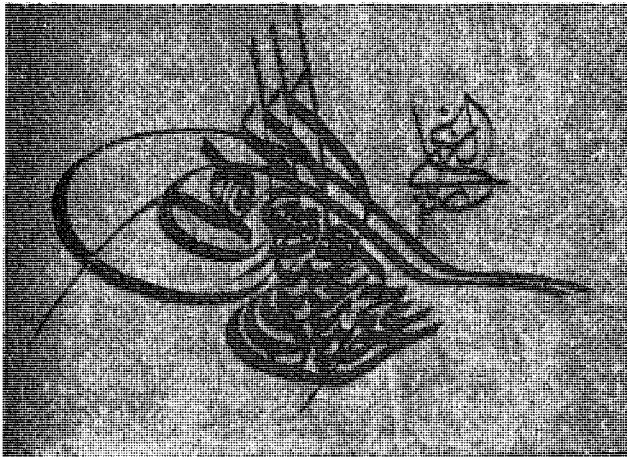
البلاغ السلطاني باعلان ولادة عبد الحميد بن عبد المجيد خان



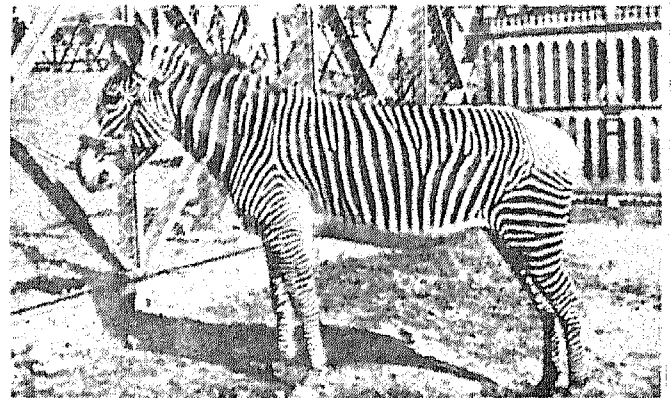
«مسلق» المنزل الشتوي البسيط الذي كان يخلو لعبد الحميد الثاني العيش فيه



نموذج توقيع السلطان عبد الحميد الثاني، وخطه في مراسلاته الخاصة



طغراء السلطان الغازي عبد الحميد الثاني



حمار الوحش هدية من امبراطور الحبشة للسلطان عبد الحميد الثاني.

وقد شهد الجنرال النمساوي كونت فارسكي - الخصم اللدود للعثمانيين: (بدقة تنظيم الطرق البرية العثمانية ووفرة الخدمات بها، وأكد أن من أسباب القدرة العسكرية للجيش العثماني هو جودة الاطعمة والعناية بالحيوانات باعتبارها وسائل النقل آنذاك - وهذه كلها أكثر دقة مما هي عليه عندنا) (١)

كما لمع عدد من القادة العسكريين العثمانيين في علوم الجغرافيا ومنهم القائد البحري ييري في أوائل القرن السادس عشر.

هذا عن الجانب العسكري، أما الجانب المدني فيكفي أن نذكر أن الطب العثماني كان يعالج المرضى عصيبا وعقلييا بالموسيقى والغناء، بينما كانت أوروبا تعالجهم بالحرق لاجراء الشيطان من أجسادهم، وقد شهد بذلك الدكتور كرافت الذي قرر أن أوروبا تعلمت من العثمانيين معالجة المصابين بالأمراض العقلية، كما برز من العثمانيين: شرف الدين الصابونجي (الادوات الجراحية) و داود الانطاكي (في جراحة المخ)، آخي جلبي (المسالك البولية) عياشلي شعبان أفندي (الولادة وأمراض النساء) وقد تم انشاء مجمع طبي منذ القرن الخامس عشر.

وكان المسلمون يعتقدون أنهم أهل «الملة الحاكمة» ولكنهم حرصوا على إدماج الطوائف الدينية الأخرى في كيان الدولة طبقا لـ «نظام الملل» فاندمج اليونانيون والارثوذكس والأرمن الجرجوريون، واليهود ثم الكاثوليك فيما بعد في كيان الدولة، ووكلت ادارة شؤونهم إلى رؤسائهم الدينيين.

وكانت الاقاليم تتكلم لغات مختلفة: العربية أو الكردية أو التركية أو اليونانية، أو البلغارية، أو الأرمنية، أو الألبانية أو الصربية.

وكانت الأجناس المختلفة كالعرب والأكراد واللازيين (القوقازيين) والشراكسة والأفلاقيين (أهل الافلاق أو الاشيا) واليونانيين والألبانيين ينفردون بتنظيمهم الإقليمية والمحلية الخاصة.

وكانت الأوضاع الاقتصادية تقوم على ما يسمى بتقسيم العمل أو احتراف كل جنس من الأجناس لمهن مختلفة.

ولذا فقد اقترح المصلحون تطبيق فكرة الرعوية (الجنسية العثمانية) كوسيلة لدعم الصلات بين الجميع وكان السلطان عبد الحميد الثاني من مؤيدي هذه الفكرة بحيث صبغ السياسة الداخلية للدولة بالصبغة الاسلامية.

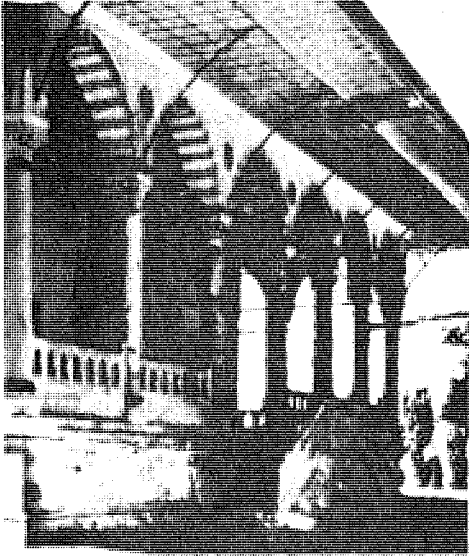
وكان ذا بصير شديد بالاشكال الرمزية ولا سيما في مجال العمارة فوضع برنامجا شاملا للمباني: المدارس والشكنات والترسانات والسكك الحديدية وغيرها من المنشآت العامة التي أضفت على الدولة طرازا موحدا، لا تزال آثاره ملموسة في العديد من المدن العربية والعثمانية حتى الآن، وقد أمكن للسلطان عبد الحميد من خلال بنائه المساجد في القرى الفقيرة بمختلف الولايات تعزيز إرتباطها بالدولة العثمانية، مستعينا بالطريقة المدنية لإشعارها بـ «الجامعة الاسلامية» كما طلب تدريس الدين في المدارس المهنية فضلا عن انشائه للمدارس العسكرية والطبية والإدارية

ويتحدثون عن بذخ السلاطين وحريم الخلفاء، وإذا أخذنا قصر «طوب قابي» الذي سكنه السلطان عبد الحميد الثاني مع «قصر يلدر» كنموذجين للقصور العثمانية فماذا عسانا نجد فيهما؟

ان قصر «طوب قابي» أعد على شكل أجنحة بحيث يتسع لأربعين ألف شخص ففيه المدارس السلطانية التي تعد العلماء والضباط والفنيين والمهنيين، وفيه مكتبة «الآن دوليا» الشهيرة بمخطوطاتها العربية الفارسية والتركية النادرة، وفيه جناح الحرم (وليس الحريم) باعتباره يؤوي زوجة السلطان وبناته وخدمتهن، أما الجناح السلطاني فليس فيه ما يضارع قصور ملوك أوروبا المعاصرة من أثاث ورياش وبذخ (٢)

(١) مصطفى طوران (أسرار الانقلاب العثماني) ترجمة كمال خوجة.

(٢) ليس هناك مجال للمقارنة بين قصور الخلفاء العثمانيين وقصور الأسر المالكة في الممالك الأوروبية كفرنسا وبافينيا وإنكلترا - على سبيل المثال - ناهيك عن قصور قيصرية روسيا وملوك النمسا وأباطرة ألمانيا. بل إنها لا تقارن حتى بقصور البندقية وناپولي وروما وغيرها من الدويلات الأوروبية الصغيرة.

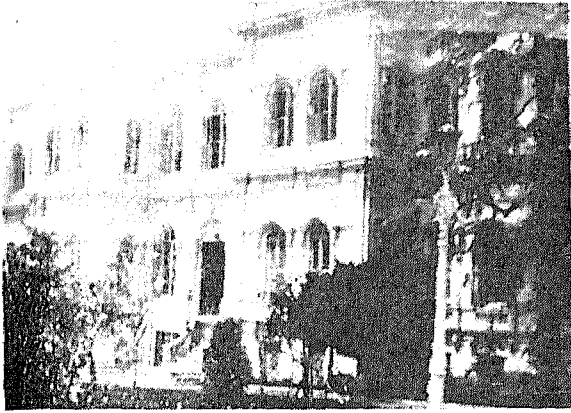


سرايا طوب قابى في استانبول

قصور الخلافة العثمانية



قصر ضوله باقجه في استانبول

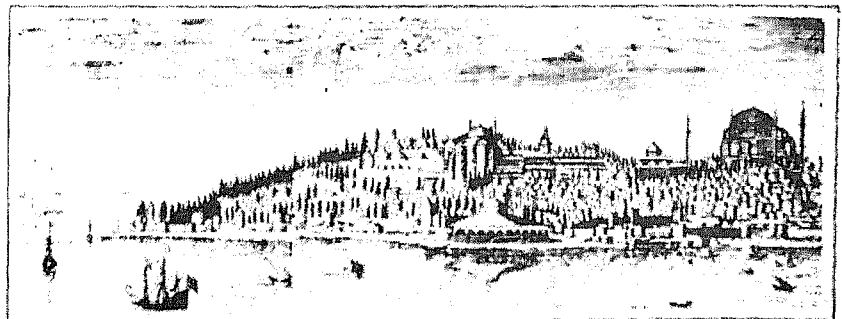
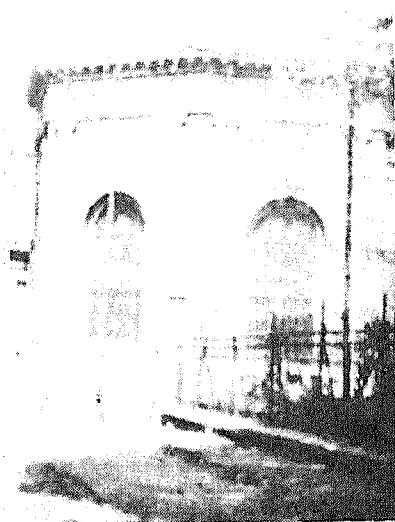


قصر يلدز ، مقر الصدر الأعظم ، أو مبنى رئاسة مجلس الوزراء العثماني .



قصر بيلربي .. مقر الخلافة الإسلامية في استانبول
أيام عبدالحميد الثاني .

ضريح السلطان عبدالحميد
الثاني في استانبول



سرايا السلطان .. كما تبدو من جسر «غلطة» في استانبول

كما ان قصر يلذر يبدو متواضعا جداً إذا قورن بقصر أي أمير أوروبي. ولقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته عدداً من الخدمات والانجازات التي حققها وكان مما أشار إليه قوله:

(كانت قرى التهجير موجودة في كل أنحاء البلاد، من استانبول إلى سيواس، إلى حلب، قدمت من جيبي الخاص تقرباً وزلفى إلى الله، لعباده الذين حملهم أمانة في عنقي نفقات الجوامع الشريفة في كثير من هذه القرى.

لم يفارق ذهني ليس في أيام ضيقة كأيامي هذه، وإنما في أكثر أيامي سعة ورخاء — منظر امتداد أيدي الجائعين من أفراد الشعب إلى لقيمات تدخل معدتهم لكي تشبع بطون ثلاثة أشخاص أو خمسة حتى التخمة تحت شعار التجارة الوطنية.

كانت نفقات عباد الله، ووقودهم، وأدويتهم، لا تفارق تفكيري أبداً. وأنا لا أذكر هذه الأمور في معرض الدفاع عن نفسي، لأن الذين حلوا محلي دافعوا عني كثيراً، بما فعلوه، حتى أنني كنت أشكرهم كثيراً على هذا، لو لم يظهر شبح النكسة التي أحلها بديني ودولتي.

لا أجد من حقني أن أفخر بالخدمات المتواضعة التي عدتها، لأنها كانت واجبي، واليوم أنظر إلي في ندم وأسى، وإذا عشت فسأعترف بقلمتي وبالتفصيل بأنه كانت لي عدة جوانب تقصير.

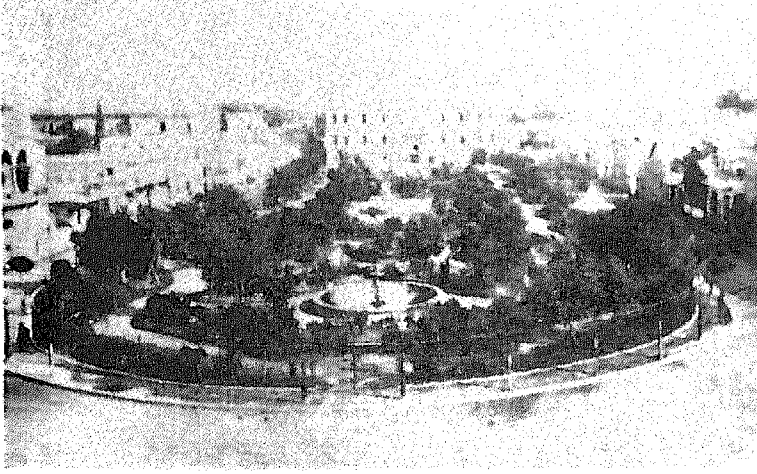
هيا إلى ذلك الوطني الغيور الدكتور ناظم بك (١) ولأعلن أنه على حق وأني معه: وهذا الحريق تركه لنا عبد الحميد لو كان هذا الطبيب المحب للحق انساناً رجلاً، فيجب ألا ينكر أنهم بدلاً من أن يطفئوا بالماء ما خاله حريقاً، فقد سكبوا عليه بترولاً.

يبدو أن كبر سني يعني من الكتابة أكثر من هذا.. تبتت.. وعندي حديث أيضاً عن مدحت باشا، فإذا وجدت وقتاً، وشاء الله، فاني سأكتب غداً عن هذا)..

وأما بالنسبة للآثار العثمانية في فلسطين عامة والقدس خاصة فقد تضمن كتاب «كنوز القدس» الذي أصدرته منظمة المدن العربية في الكويت عام ١٩٨٤م قائمة طويلة في طليعتها الأسوار والبواب التي بناها العثمانيون خلال الفترة ما بين عامي ٩٤٤ هـ — ٩٤٧ هـ أي ١٥٣٧ — ١٥٤١م وهي:

باب العمود «باب دمشق»، باب الساهرة، باب ستي مريم، باب الخليل «باب يافا» باب النبي داود «باب صهيون»، باب المغاربة «باب الزبل» وباب الأسباط «الحرم»، وكذلك: برج اللقلق برج كبريت، وقبة النبي، قبة الخضر، قبة يوسف آغا، قبة الأرواح، وقبر وضريح مجير الدين الحنبلي «مؤرخ القدس»، قبر النبي داود، وضريح الشيخ مكّي وضريح الشيخ حسن، مقام ومسجد سيدنا سليمان، قبور باب الخليل، والمسجد القيمري، جامع المولوية، محراب علي باشا، مسجد وسبيل الشوربجي، مسجد النبي «مصلّى الخضروقة — بخ بخ»، مسجد الحيات، مقام غباين، مسجد الديبي، المسجد العمري الصغير، مسجد مصعب، مسجد خان السلطان، مسجد أبو بكر الصديق، مسجد عثمان بن عفان، مسجد سويقة علوان، مسجد البراق، مسجد الشيخ ربحان، المئذنة الحمراء ومئذنة القلعة، وحمام السلطان «حالياً» جزء من دير السريان، وسبيل باب المحكمة «سبيل قاسم باشا»، سبيل بركة السلطان، سبيل

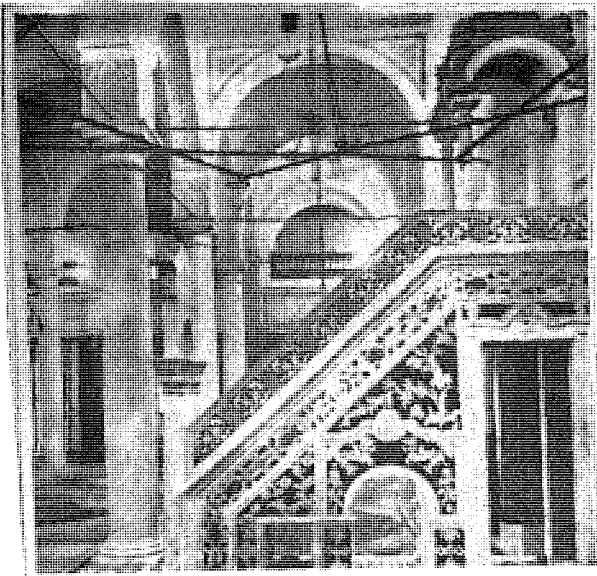
(١) الدكتور ناظم السلايكي (١٨٧٠ — ١٩٢٦) رجل سياسة وأحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي. ولد في سلايكي وتوفي في أزمير. درس الطب في الدولة العثمانية وأكمل دراسته في فرنسا. وفي باريس تعاون مع أحمد رضا بك رئيس جمعية الاتحاد والترقي. وفي عام ١٩٠٧ عاد الدكتور ناظم إلى سلايكي بناء على دعوة من الاتحاد والترقي حيث قام بمهمة ضابط الاتصال بين الجمعية في كل من باريس وسلايكي. وكان له دور واضح في الدعاية لجمعية الاتحاد والترقي في الأناضول. وبعد نجاح الجمعية في حركتها ضد السلطان عبد الحميد وإعلان المشروطية لم يعهد للدكتور ناظم بمنصب في الحكومة ولذلك بقي في سلايكي كبير الأطباء لمستشفاهها. كما ظل عضواً دائماً في اللجنة المركزية للاتحاد والترقي. وفي عام ١٩١١ أصبح أميناً عاماً للجمعية وفي عام ١٩١٨ عمل وزيراً للمعارف وفي عام ١٩٢٦ أعيد بعد ظهور علاقته بمؤامرة ضد أتاتورك في أزمير.



ساحة البرج في بيروت عام ١٨٨٥ م



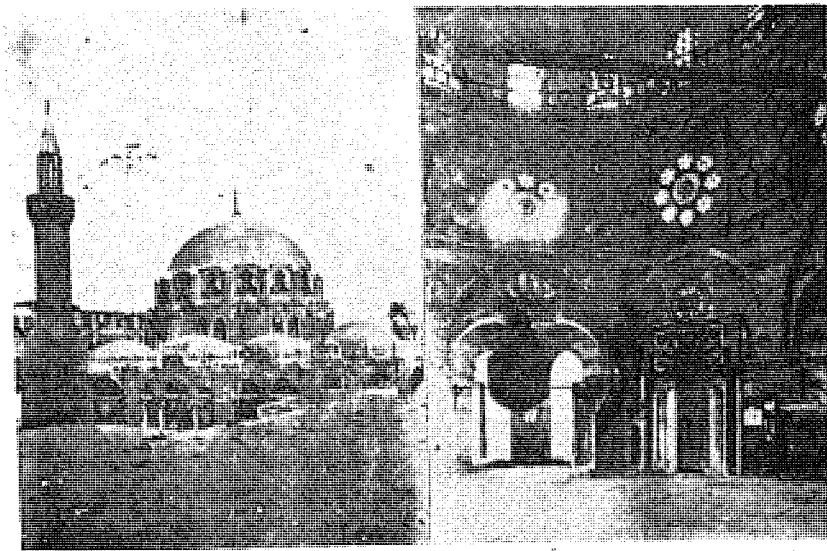
ساحة المرجة بدمشق يتوسطها النصب التذكاري لجامع أياصوفيا



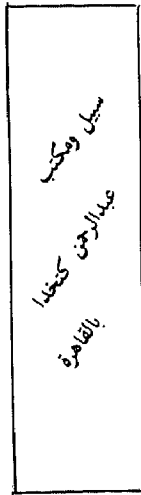
منظر داخلي لجامع القره منلي بطرابلس في ليبيا



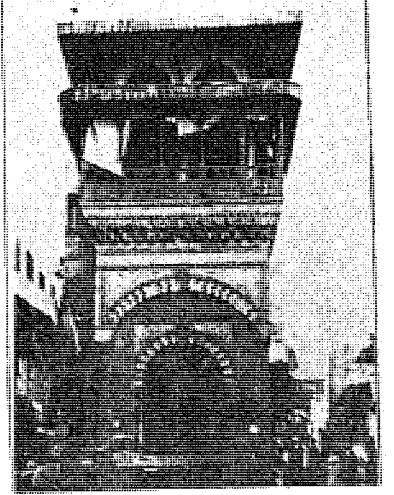
جامع اياصوفيا منطلق الفتوحات العثمانية حوله مصطفى كمال
ال منتحف بعد سقوط الخلافة .



جامع سنان باشا بالقاهرة، أقيم على غراره عشرات المساجد بمختلف المدن الاسلامية مما أبرز
الموهبة الهندسية لسنان باشا



سبل ومكيب
عبدالرحمن كنفذا
بالقاهرة



طريق الواد، سبيل باب السلسلة، سبيل باب العتم، مصطبة سبيل سليمان «باب العتم»، سبيل باب الناظر، سبيل باب ستي مريم، سبيل الشيخ بدير، سبيل سوق العطارين، سبيل خان الزيت، سبيل درج الواد، سبيل باب حطة، ومصطبة الطين، ورباط بايرام جاويش، ومكتب بايرام جاويش، وخاصكي سلطان، وخلوة محمد آغا، والزاوية النقشبندية «الأزبكية»، والزاوية الأفغانية، ودار العز، وإيوان السلطان محمود، وزاوية ولي الله أبو مدين «زاوية المغاربة»، ودار شرف، وحائط البراق، والآبار، والاسطبل، والقناطر، والاسواق.

وهذه الآثار العثمانية في القدس الشريف نموذج لما يمكن ان نجده من آثار مماثلة، في كل مدينة أو عاصمة من البلدان العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، ففي كل منها ما زالت الى اليوم، آثار التكيات، والبيمارستانات، والزوايا، والمساجد، والحمامات، والمصطبات، والأضرحة، والأبواب، والقناطر، والخاصكيات، والدور، والقصور، والأسواق، مما يشهد بالنهضة العمرانية الفريدة التي تميز بها العهد العثماني، رغم ما إعتراه من ضعف سياسي في الآونة الأخيرة.

لقد كان لقب خادم الحرمين الشريفين من أرفع الألقاب التي يعتز بها السلطان العثماني سليم الأول منذ أن تنازل له آخر خليفة عباسي في القاهرة عن منصب الخلافة، عام ١٥١٦م.

ولم يكد السلطان سليم الأول يتبوأ منصبه كخليفة للمسلمين حتى بلغته رسالة شيخ المسجد الحرام طالبة إليه تجديد مسجد الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، فسارع إلى إرسال أفضل المهندسين الماهرين وخبراء البناء العريقين، الذين قرروا هدم البناء القديم جزءاً جزءاً، وإعادة بناء الحرم، الذي توجه إلى أبصار المسلمين وأفئدتهم من شتى بقاع المعمورة.

وقد استخدمت الأعمدة الرخامية لتقوية جدران المسجد الحرام، ولتنميق مظهره، كما كسيت جدرانه بالرخام البديع أيضاً، فارتفع صرحه، زاهيا بتناسق طرزه، وبديع زخارفه، وفخيم قبابه، ليكون مفخرة للعمارة العثمانية وعنواناً للحضارة الإسلامية عبر العصور (١).

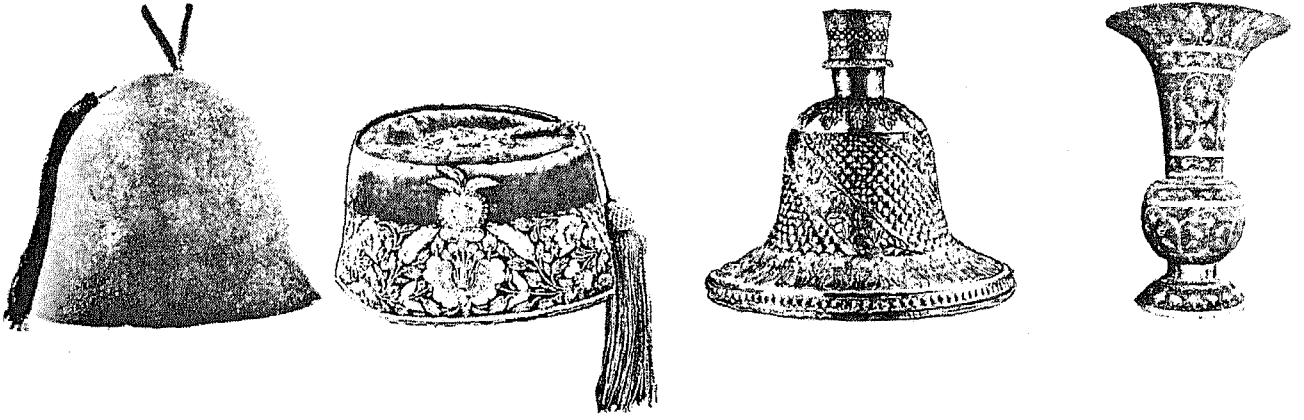
أما المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، فقد أعاد السلطان سليم الثاني بناءه، وشيد به محراباً جديلاً عرف «بالمحراب السليمانى» تخليداً لاسم والده السلطان سليمان القانوني الذي عاجلته المنية قبل أن يشرع في تجديده، بعد أن طلب اليه ذلك شيخ المسجد النبوي الشريف عام ٩٨٠هـ وقد زين المحراب بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب.

كما جدد بناء المسجد النبوي في عهد السلطان محمود عام ١٢٥٥هـ حيث بنيت القبة فوق المقصورة النبوية الشريفة، ودهنت باللون الأخضر، وفي عهد السلطان عبدالمجيد أعيد بناء المسجد النبوي كله جزءاً بعد جزء، ما عدا الحجرة النبوية الشريفة، ودار الزهراء، والمحارب الثلاثة، والمنبر الشريف، فقد اكتفي بترميمها، وأعيد للمسجد النبوي بهاؤه ورونقه، تقديرًا لمنزلته الرفيعة في نفوس المسلمين بوصفه أول مسجد في الاسلام، وقد تم تجديد مهارته عام ١٢٧٧هـ، حيث أقيمت الأعمدة الجديدة على عقود من الحجر المنحوت، وأعيد بناء باب السلام، كما أقيمت أمامه من الداخل قبة عظيمة، وشيدت المآذن، وأسماء الله الحسنى، وأسماء الرسول الكريم، حتى صار دوة مساجد المسلمين في الأرض (٢)

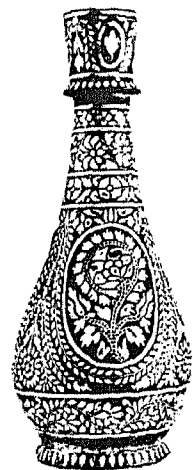
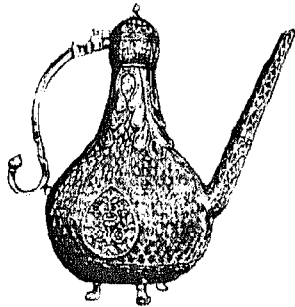
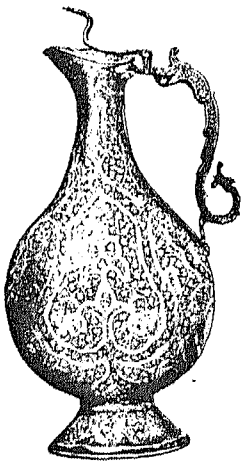
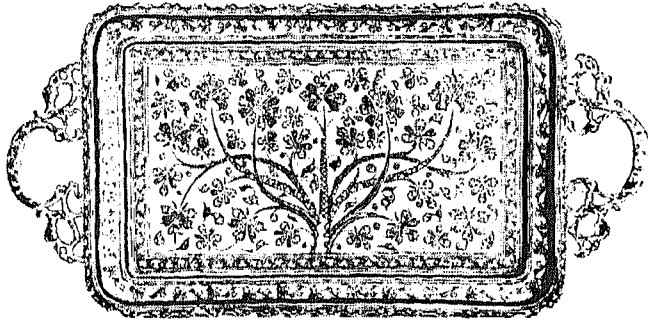
وقد توالى إهتمامات السلاطين والخلفاء العثمانيين بالمساجد في مختلف المدن والعواصم الاسلامية، ولم يقصروا إهتمامهم على بناء المساجد الجديدة في عاصمة الخلافة، استانبول وحدها، التي أصبحت مدينة القباب والمآذن، بعد أن

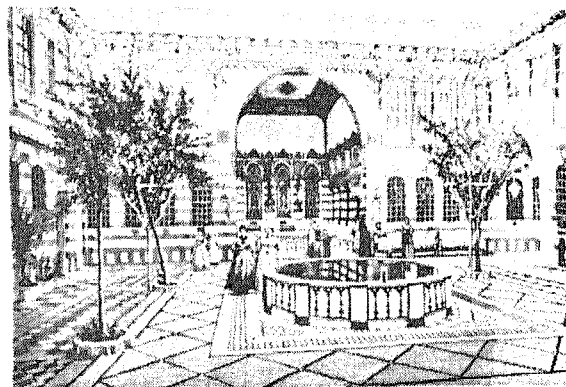
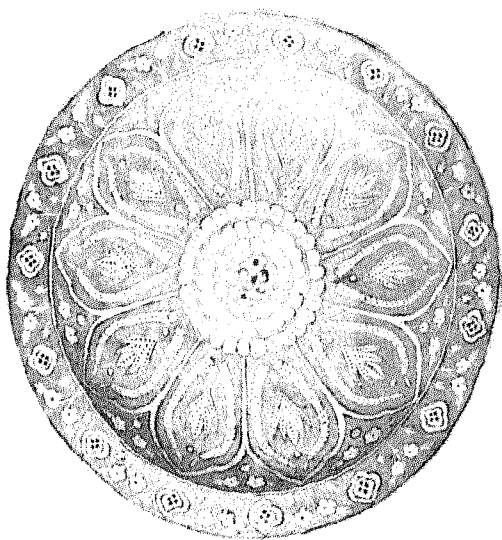
(١) محمد الحسيني عبدالعزيز «دراسات في العمارة والفنون الاسلامية» الكويت.

(٢) علي حافظ «فصول في تاريخ المدينة» - أحمد محمد صالح الحسيني «القبة الخضراء» الكويت ١٣٩٦هـ.

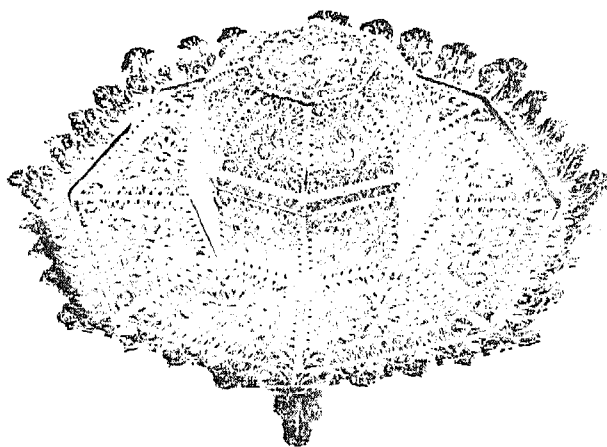
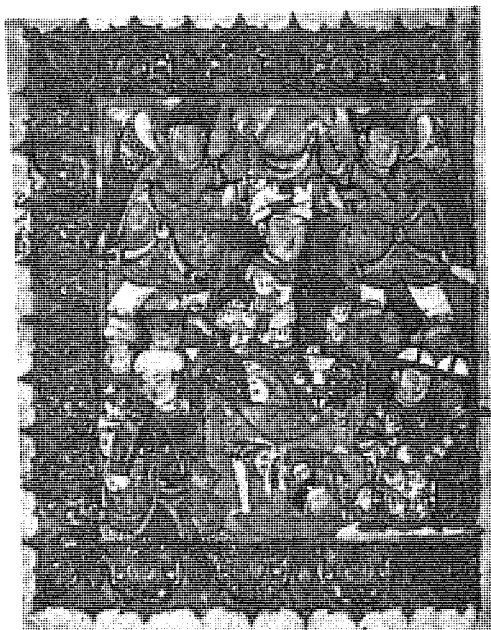


من الفولكلور





العثماني





النقود العثمانية حافظت على قيمتها
باستمرار لنفطيتها الذاتية ذهباً أو فضة

ازدهت بألف مسجد ونيف. فضلا عن عشرات بل مئات المساجد في كل مدينة وقرية، داخل حدود الدولة العثمانية المترامية الأطراف.

كما عتوا بترميم المساجد الأثرية، ومن أبرز منجزاتهم ترميم مسجد قبة الصخرة المشرفة في القدس الشريف. حيث راعى المهندسون أساليب الزخرفة القديمة والكتابات الأثرية فعملوا على صيانتها.

كما جددوا أروقة وأسقف وعمارة المسجد الأقصى بالقدس الشريف أيضا وهو ثالث الحرمين الشريفين وقبة المسلمين الأولى التي بارك الله حولها، حيث أسرى إليها بالنبي الكريم وعرج إلى السموات العلى.

ولا تزال الفسيفساء والرخام والسجاد الفاخر باقية في المسجد، الذي أحرقه اليهود، بعد أن سيطروا على القدس، في حرب عام ١٩٦٧م، حيث تمكنوا من إحراق منبر صلاح الدين الأيوبي، الخشبي المرصع بالعاج والأنبوس، كما لا تزال أعمال الحفريات من حوله بهدف تقويضه لإقامة «معبد سليمان» وبعث «الهيكل» من جديد، في غفلة وتواكل من المسلمين!!

وكذلك الحال مع مسجد قلعة صلاح الدين الأيوبي في مصر الذي شيده محمد علي باشا بجانب القلعة، على الطراز العثماني، فبهر الأنظار برشاقة مآذنه وارتفاعها الشاهق، وبضخامة قبابه، وجمالها، حيث تلتصق بها أربع أنصاف قباب فتزيدها رونقا وبهاء.

وفي دمشق الفيحاء، ما زالت «ساحة المرجة» تزدهي بالنصب التذكاري الذي يعلوه نموذج مصغر لمسجد «أياصوفيا» في استانبول، وكأنه يناجيه عن بعد ويثبه شكوى الحنين إلى أيام الخلافة وزهو الفتوح ونشوة المجد والانتصارات.

الفصل الثالث

شعار الجامعة الإسلامية وطبيعته الداخلية

كان عبد الحميد نمطاً جديداً من الرجال الذين تعاملوا مع (العثمانيين الجدد) فمصر أبيه وعمه وأخيه مازال ماثلاً في ذهنه وسيرة أجداده الفاتحين من آل عثمان، تملؤ جوانحه فخراً واعتزازاً وتفخر نفسه شوقاً وأملاً بتجديدها وإزاء تسلط رجال القصر كان لابد له من الحرص والحذر والدهاء، لاسيما وإن المؤامرات سرعان ما صادفته، حيث قام الناصر سعاوي بهجوم أراد به اخراج مراد من قصر جرخان وتنصيبه بالقوة مرة أخرى بدلاً من عبد الحميد كما تعرض للاغتيال أثناء خروجه من الجامع في محاولة قام بها أحد الأرمن.

كل هذه العوامل كان لها الأثر الكبير على شخصيته ونفسيته واتجاهه السياسي واسلوبه في التعامل الحذر مع الحاشية ورجال السلطة الذين خبر مؤامراتهم داخل القصور ابان عزله الفكرية قبل مجيئه للحكم. ورافقه الحذر حتى خلعه يوم ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ اثر حادث (٣١ مارس) الذي رتبته اليهود والعسكر الاتحاديون في استانبول ونفى الى سالونيك تحت الإقامة الجبرية ثم نقل خلال الحرب العالمية الاولى الى قصر «بيلربى» الذي أقام فيه حتى وفاته في ١٠ شباط (فبراير ١٩١٨م) اثر نزف داخلي عن عمر يناهز الثامنة والسبعين، حيث جرى دفنه في احتفال رسمي الى جانب جده السلطان محمود الثاني. (١)

كان عبد الحميد يرى ضرورة العمل على توحيد القوى الاسلامية لمجابهة الروح الصليبية الطامعة بالخلافة وثوراتها فسعى الى طرح شعار الجامعة الاسلامية وعمل على تدعيم اواصر الاخوة مع مسلمي الصين والهند وأواسط افريقيا ولم يتورع عن السعي للتفاهم مع ايران لتفويت الفرصة على الانكليز والروس.

وكان يدرك خطورة الاهداف التي يسعى اليها ويعرف الجهات التي تناو لها في الداخل والخارج ممثلة بالغرب والمتقنين في معاهده وجامعاته.

وكان عبد الحميد يرى ان شعار الجامعة الاسلامية خير معين له لتنفيذ السياسة الداخلية والخارجية ففي الداخل كان يعني الالتزام بحدود الشريعة الاسلامية وفي الخارج كان يعني الالتفاف حول الخلافة العثمانية.

ولقد ركب عبد الحميد الصعاب وحاول تذليل العقبات واستعان بمختلف الرجال والوسائل الجديدة في البحث عن صيغة توحد كلمة جميع المسلمين في الارض.

وأفاد من المامه بالحضارة الغربية فأقام عدداً من المؤسسات الحديثة من كليات واكاديميات ومدارس ومعاهد كما ارسل البعثات العملية والعلمية والتخصصية وأسس البلديات وغرف التجارة والصناعة والزراعة وأقام دوائر البريد ومؤسسات المياه والكهرباء وأدخل التراموايات والسكك الحديدية ودعم الأساطيل الملاحية والعسكرية وبنى الغواصة وعنى بتسليح وتدريب الجيش بمختلف اسلحته وقد ربط اجزاء الدولة بثلاثين الف كيلومتر من خطوط البرق والهاتف.

(١) السلطان عبد الحميد الثاني - مذكراتي السياسية.

وعالج قضية الديون المترتبة على الدولة والتي بلغت عند توليه الخلافة ١٠٨٨٥ و٢٥٢٨٧ ليرة ذهبية عثمانية فاستقدم الخبراء الماليين وعندما شكل ادارة الديون العامة انخفض الاجمالي الى ١٠٦٤٣٧٢٣٤ ليرة ذهبية عثمانية (١) اي الى العشر تقريبا بينما رفعها الانفلازيون الاتحاديون بعده الى ثلاثة عشر ضعفا.

ورغم الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد روسيا واليونان وغيرها وما استنفذته من مصاريف وطاقت فقد عنى بالتعليم بمختلف أنواعه ومراحله وأنشأ المدارس ودور المعلمين والمتاحف والمكتبات والجامعات في مختلف الولايات وكما شيد مستشفيات عامة ومتخصصة ووسع معمل الطرايش وافتتح مصنع السيراميك ومد الخط الحديدي الحجازي من دمشق الى المدينة المنورة بطول ١٣٥٧ كم خدمة للحجاج وتوثيقا للروابط والصلات بين مختلف البلاد الاسلامية .

ولقد وصف البعض عبد الحميد بالسلطان الاحمر او الطاغية (١) وغير ذلك من الصفات كما نعتوه بالتعصب والقسوة والبطش وذكروا الكثير عن أجهزته الجاسوسية وإغراقه لخصومه في البوسفور او الدردنيل ولكننا لم نعر على الأدلة التي تعزز او تشير الى مثل هذه النواحي. ولعل الاتحاديين الذين أطاحوا بحكمه تحت شعارات الحرية والانسانية والمساواة والعدالة ارتكبوا بحق بعضهم قبل غيرهم من الأفعال التي تجعل صفحة العهد السابق بيضاء ناصعة .

أما الحركة الاصلاحية الأخيرة فقد بدأت بجهود مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٣ م) وتحت ضغط الحوادث أبعد الصدر الأعظم محمود باشا نديم حبيب السلطان عبد العزيز ارضاء لدعاة الاصلاح (٢).

فما استقر على كرسيه حتى أعاد المنفيين الذين نفوا لاتهامهم بمشايعة حركة الاصلاح، وأعاد تأسيس ميزانية الدولة على أساس ثابت وضيّق على السلطان عبد العزيز وحاشيته فلم يدهم بالمال وبت في المشاكل الخارجية وتوجه الى الاصلاحات الداخلية فاهتم بربط البلاد البعيدة بالدولة فوضع مشروع خطاً حديدي يربط العراق باستانبول وأنشأ خط بين بغداد وطرابلس واختار مهندساً فرنسياً لذلك كلفه بوضع المشروع وتخطيطه واكتشاف أقرب طريق الى ذلك ورسم الخرائط له في نظير مائتي ألف ليرة ودبر المال لذلك المشروع بالاتفاق مع انجلترا على دفع ثلاثة ملايين من الليرات في نظير نقل بريد الهند على هذا الخط كما وضع مشروع انشاء الخطوط التلغرافية في بلاد الحجاز وإنشاء طريق حديدي بين دمشق وبغداد ومد الاسلاك التلغرافية بين دمشق والحجاز واليمن، وفعلاً احضرت الخشب والادوات لانشاء خط بين القدس وجدة ورأى أن ذلك لا يكلف الدولة كثيراً فتلغرافات الحجاج تعوض النفقات في سنين قلائل .

ووضع المكاييل والموازين على أساس عشري ووحدها بين أجزاء الدولة وعارض أشد المعارضة في منح الخديو اسماعيل باشا فرماناً يبيح له عقد القروض مع الدول الأجنبية وقال : « انه اذا أبيع له ذلك تدخل الأجانب في شؤون القطر المصري وضاع استقلاله الاداري والسياسي معاً وتدخل الأجانب يوما في شؤون تلك البلاد بحجة حفظ أموالهم » فعل هذا مع السلطان وكان قد وعد اسماعيل باشا باصدار هذا فرمان (٣).

نمط جديد في الوزراء لم يألفه عبد العزيز ولذلك لم يلبث مدحت في الوزارة إلا خمسة وسبعين يوما اعتزل العمل بعدها وضاعت كل مشروعاته وخسرت الحكومة مائتي ألف ليرة للمهندس الفرنسي واطع مشروع خط بغداد من غير أن تستفيد شيئاً .

ثم رأيناه وزيراً للعدل في وزارة أسعد باشا ثم في وزارة شرواني زاده محمد رشدي باشا فمكنه من هذه الوزارة الأخيرة ان يكف على وضع النظم واللوائح لاصلاح الدولة .

(١) انظر جرجي زيدان (الانقلاب العثماني) روايات الهلال .

(٢) د . سيد رجب حراز «الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب» ١٩٧٠ م ص ٥٠ .

(٣) د . حسين مؤنس «الشرق الاسلامي في العصر الحديث» القاهرة ١٩٣٨ م .

وكتب مدحت الى عبد العزيز كتابا أجل فيه نظره الاصلاحية حيث قال (١): «لقد صرحتم جلالتم في خطاب العرش بانكم تلتزمون خطة الاصلاح المنشود ومع هذا فقد ساء الحال وانتجت كثرة تغيير موظفي الدولة القلق والاضطراب وضل أكثرهم الطريق ولم يسيروا وفق مقصدكم بل خرجوا عن جادة الاستقامة وأفسدوا ما أحدثه الاصلاح واختلت مالية البلاد وحدا ذلك بالناس الى نشر الأراجيف في داخل البلاد وخارجها وخاف الناس أن ينتج هذا انقراض الدولة .

وقد اضطرتنا وطنيتنا الى عدم السكوت والوقوع فيما لا نحمد عقباه، فلجأنا الى اعتباركم الشاهانية .. ولا يخفى على حكمة جلالتم ان الدواء الشافي لهذه العلة هو اجتثاث أسبابها التي نعرفها حق المعرفة فاذا أزيلت الأسباب زال المرض .. فاذا أصدرتم خطأ هامينيا جديدا تتم به اتباع القوانين والنظم والمساواة بين الغني والفقير والكبير والصغير في نظر القانون وأرجعتم المنشآت الخيرية الى أصلها (وكان السلطان استولى عليها) وصرفتم الأموال في سبيل ما خصصها له الواقفون وأعدتم مرجع أمير الدولة الى الباب العالي (الوزراء) فيقر قراراته ويعرضها على جلالتم ولم تستأثروا جلالتم بشيء من حقوق الدولة المالية والملكية ولم تصرف المالية قرشا واحدا إلا برأي الباب العالي، وحددت وظائف كبار الموظفين وأصاغهم وجعل الوزراء مسؤولين عن نتائج أعمالهم وحتمت ذلك على خواصكم ورجال حاشيتكم، اذا تم ذلك كله حصلت النتيجة المطلوبة بعون الله تعالى ووصلت الدولة الى الطريق الذي ترجوه جلالتم .

هذه الأقوال هي نتيجة أفكارنا وربما أخطأنا .. ونحن نطلب من جلالتم تخلص الأمة التي قد أصبحت بمصالحها بين أيديكم من أزمتها الحاضرة وعلى كل حال فالرأي لكم» .

أعد مدحت باشا هذا التقرير وهو وزير العدل وهرضه على الوزراء فانفتحت كلمتهم عليه واتفقوا على أن يرفعه الرئيس الى السلطان عبد العزيز فقابله، ولما سمع كلمة الاصلاح والشورى والدستور، عزل مدحت باشا من الوزارة وأعاد تعيينه والياً لسلانيك وبعد أيام عزل شرواني وعينه والياً لحلب وبذلك أبعد الاثنين اللذين يناديان بالاصلاح ولم يمكث مدحت طويلا في سلانيك فقد تم عزله بعد ثلاثة أشهر، ولكنه شرع بتدبير خلع عبد العزيز بالاتفاق مع حسين عوني باشا (سر عسكر الدولة) وناظر الحربية وشيخ الاسلام وتمت البيعة للسلطان مراد الخامس الذي ما لبث أن ظهر جنونه قبل أن يمضي على بيعته ثلاثة شهور، كان مدحت باشا يلتقي بأعوانه ويدرس قوانين أوروبا ونظمها تمهيدا لوضع برنامجه الاصلاحية وكان يرى : (ان أخذ القانون من أوروبا ووضع لبلادنا أشبه بأخذ الآلات عندهم للنسيج وجلبها الى بلادنا وليس عندنا فرد يقدر على ادارتها والاستفادة من سرعتها) . (٢)

فهذا مجلس المبعوثان يشتم بعض أعضائه في القول : حتى يثير بأقواله مشاكل وغاوف، وكل ولاية تظن أن مبعوثها نائين عنها لا غير وليسوا نائين عن الأمة كلها .

وطلعت الجرائد وضمنها «الجوائب» ترمي مدحت بأفطع التهم هذه تقول أنه ضبطت أوراق تدل على خيانتة وهذه تقول أنه أراد ان يجعلها جمهورية وهذه تقول انه قد أوقع الدولة في مشاكل خطيرة . وقالوا انه يريد فصل السلطة الدنيوية عن السلطة الدينية .

وصدر الأمر الشاهاني بتعطيل الدستور تعطيلاً مؤقتاً ولكنه استمر نحو ثلاثين سنة حين أعلن عبد الحميد الثاني بنفسه «المشروطة» الثانية ١٩٠٨م قبيل خلعته عن العرش نهائياً من قبل الاتحاديين عقب تخلصه من مدحت باشا .

وقد عالج خير الدين باشا التونسي الذي نقله السلطان عبد الحميد من تونس وولاه الصدارة العظمى في استانبول،

(١) المرجع السابق ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق .



ترجمان عثماني كما تخيله رسام أوروبي



لوحة تمثل بعض ضباط الانتكشارية



أمير عثماني
بريشة أوروبية



ضابط عثماني
في القرن
السابع عشر



بحار من
الأسطول العثماني



جندي متطوع في الجيش العثماني



امراة في البلاط .. والزي النسائي العثماني



تاجر عثماني ..
والزي الرجالي
العثماني



حامل السيف .. نموذج للقادة العثمانيين

أحوال البلاد الإسلامية وتناول أسباب تأخرها ووسائل اصلاحها ونعى على المسلمين مقتهم لأساليب الاصلاح الغربية واعتقادهم أن كل ما يصدر عن أوروبا مخالف للشريعة الإسلامية . (١)

وبحث أسس الحضارة الحديثة محبذا نشرها في البلدان الإسلامية وأهمها الحرية الشخصية والسياسة .

وأوضح أسباب القوة والحضارة في المجتمعات وموقف الدولة في المجتمعات ونصح بالأخذ بالنظم الأوربية . باعتبارها لا تتناقض مع الشريعة الإسلامية وجعل من العدالة الأساس السليم الوحيد للدولة ونادى بتحديد سلطة الحاكم بطريقتين :

— القانون الوضعي أو الشريعة السماوية .

— الشورى للعلماء والأعيان

وقال ان الأمة الإسلامية في صدر الاسلام ازدهرت لأخذها بوسائل التقدم وانها لن تستعيد قوتها إلا اذا أدركت سر تفوق أوروبا واقتدت بها .

واهتم بالقوة العسكرية والسياسية والاقتصادية وقال : ان أساس قوة أوروبا ورخاءها هو النظم السياسية القائمة على العدالة والحرية لهذا أكد على أهمية الرجوع الى أهل الحل والعقد في الاسلام . وأوجب تغيير القوانين والأساليب باتفاق العلماء والساسة واتصاهم بروح العصر .

وحاول خير الدين باشا التونسي الذي أصبح صداراً أعظم عام ١٨٧٣م تطبيق الاصلاحات التي دعا اليها في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» الذي نشره بتونس عام ١٨٦٧م .

فنظم المالية ، وقضايا الدين ، ومشاكل الأوقاف ، (الحبوس) وأمور العدل ، كما أنه نظم التعليم في جامع الزيتونة ، وأنشأ الكلية الصادقية لتدريس العلوم القديمة والحديثة .

ولكن الدول الأوربية لم ترض بمحاولته تطبيق المحاكم المختلطة ومعارضته لسيطرة رؤوس الأموال الأجنبية فحرضت الباي ضده واستقال عام ١٨٧٧م .

وكانت حركة اصلاح الجيش العثماني على النظام الأوربي قد بدأت في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ — ١٧٧٣م) الذي تجنب الانكشارية واتجه الى تنظيم وتنسيق أمور البحرية والمدفعية مستعيناً بعدد من الخبراء العسكريين الأوربيين وبينهم البارون الفرنسي «دي توت» . (٢)

واستمرت المسيرة في عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣ — ١٧٨٩) ثم دخلت طوراً حاسماً في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧م) الذي أدرك صعوبة اصلاح الانكشارية فعمد الى إنشاء فرق مشاة جديدة دون مساس بالانكشارية ، واتخذ للجيش زياً أوربياً كما شيد له الثكنات الخاصة ، واستقدم الضباط الأوربيين للتدريب وقد اتبع الولاة خطاه في العراق وفلسطين ومصر .

لكن المعارضة اشتدت ضده وانضم العلماء للانكشارية بحجة أنه أحدث بدعة بتشبهه بالأوربيين ، وحاصرت الانكشارية القصر عام ١٨٠٦م حتي تم الغاء النظام الجديد ، ثم أبعدها الفرق الجديدة الى آسيا الصغرى واستصدروا فتوى بخلع السلطان ثم نصبوا السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ — ١٨٠٨م) محله .

وعندما تولى السلطان عمود الثاني (١٨٠٨ — ١٨٣٩م) أدرك ضرورة القضاء على الانكشارية التي تستمد سطوتها من البكتاشية وهي أكبر الطرق الصوفية آنذاك ، ثم انتهز فرصة فشلهم في اخاد ثورة المورة التي اضطرته للاستعانة

(١) ساطع الحصري «البلاد العربية والدولة العثمانية» .

(٢) د . عبد الكريم رافق — العرب والعثمانيون ص ٤٣٨ .

بقوات محمد علي ، واستصدر فتوى بآبادتهم لضلالهم ، فحاصر ثكناتهم في ١٥ حزيران يونيو ١٨٢٦ وشتت فلولهم في « الواقعة الخيرية » .

وتابع مسيرة الإصلاح العسكري مستعينا بالضباط الانكليز لتدريب البحرية وبالضباط الالمان وفي مقدمتهم «فون مولتكه» لتدريب المشاة كما أنشأ أكاديمية للعلوم العسكرية وعدداً من المدارس العسكرية العالية والثانوية والاعدادية ، ثم أنشأ جهازاً تنظيمياً لها باسم «نظارة المكاتب العسكرية» ، وأمر بارتداء الزي الأوربي ، وإزاء المعارضة الشعبية اكتفى بفرضه على رجال البلاط والحكومة .

وقمت اصلاحات عسكرية هامة جدا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي استقدم عدداً من الجنرالات الالمان المتخصصين ومنهم : فون دركولج ، وفون هوفد ، وكامب هوفد ، حيث قاموا بتدريب مختلف الفرق العثمانية على أحدث الأسلحة وطبقاً لمتطلبات العصر .

كما أرسل السلطان عبد الحميد بعثات عسكرية الى المانيا وقام باقتناح عدد من الاكاديميات والمدارس العسكرية العليا والثانوية والاعدادية والابتدائية بحيث توفر للجيش العثماني احتياجاته من مختلف المستويات .

كما قام بتجهيز الجيش بأرقى الأسلحة الحديثة وأنفق على تجارب الغواصة في استانبول ، قبل أن تملك بريطانيا غواصة واحدة كما استدعى خبيراً بلجيكياً اسمه جان ديكر لاقامة مركز لتلغراف مجهز بأقوى الخطوط الهاتفية ، لربط استانبول بجميع الولايات عبر خطوط زاد طولها على ٣٠ ألف كيلومتر ، كما افتتح مدرسة في قصره لاعداد موظفي التلغراف لادارة الشبكة الهاتفية للأغراض العسكرية والمدنية وأصبح بالامكان متابعة الأمور بدقة بدقيقة وأصدار الأوامر وتوزيع الاختصاصات وتوفير الاحتياجات والتجهيزات وتيسير اتصالات القادة بين مختلف الجهات والولايات مما أدى الى تحقيق عدة انتصارات بعد سلسلة من الهزائم العسكرية .

وقد أكد الدكتور سعد زغلول عبد ربه في بحثه حول محاولات البرتغاليين المتكررة للاستيلاء على مواقع استراتيجية على سواحل البحر الأحمر (١) وخشية الأحباش منهم حالت دون تحالف الأحباش مع البرتغاليين للوصول الى الأماكن الاسلامية المقدسة ، وأكدت السيطرة الاسلامية التامة على هذا البحر الاستراتيجي حيث عمل الأحباش في مطلع القرن السابع عشر على طرد البرتغاليين والتبرؤ من مبعوث البلاط البرتغالي اليهم .

ويعلل د. أحمد رمضان في دراسته عن « البحر الأحمر في التاريخ » اهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر وتخصيص فرق وأساطيل لحمايته بانه نتيجة لاهتمامهم بتجارة الشرق الأوسط وأنشأوا قلاع الطور وعيذاب وأسوان على سواحله وأن ضعفهم أدى لضعف سيطرة مصر على هذا الممر الخطير الذي استمر « بحيرة مصرية » عبر العصور التاريخية .

كما يستخلص الدكتور/ محمد أنيس في دراسته عن التنافس بين انكلترا وفرنسا في الجزء الثاني من البحر الأحمر في أوائل السبعينات من القرن الثامن عشر من خلال الوثائق البريطانية : أن الصراع انتهى بحملة نابليون بونابرت على مصر مما أرسخ في وجدان بريطانيا قناعتها بأهمية العناية بمصر والبحر الأحمر ، فكان الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٣م نتيجة طبيعية لتلك السياسة البريطانية الجديدة .

وقد تعرض عبدالحميد قبيل وبعد سقوطه الى حملة اعلامية مفرضة استهدفت ترميغ سمعته وازالة الهالة والمهابة عن شخصه . فقد تضافرت الصهيونية والدول الغربية بما تملكه من صحف واذاعات ووسائل اعلام الى ترويع عشرات الفضائح المنسوبة الى مصادرها في قصر يلدز نفسه او المتنفذين في الاستانة .

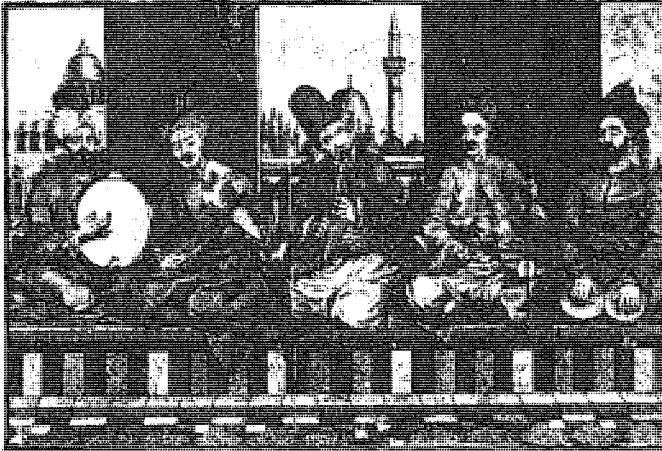
(١) د. حسين مؤنس - الشرق الاسلامي في العصر الحديث ص ٢٥٨ .



الحمام التركي في يافا

نماذج من حملات التضليل

— عملية التشويه وغسيل الأدمغة ما زالت مستمرة بمختلف الوسائل: المسرحيات، الروايات، الأفلام، واللوحات الفنية.. وفي معرض حول الحياة العربية الإسلامية أقيم في الأكاديمية الملكية للفنون بلندن عام ١٩٨٤م قدمت عدة لوحات «هادفة» تصور عصر الحريم والعري والاختلاط وأجواء الطرب والفجور أو بطش الولاة وجور جباة الضرائب للإساءة للعهد العثماني.



أرباب الطرب وآلاتهم الشرفية



سيدة نبيلة بشياها الأنيقة وعقود اللؤلؤ



الوالي والسردار والقاضي.. بالفراء وحياة البذخ

ولم تكن المعلومات التي ينشرونها تخلو من الاثارة ووصف ما يدور بين القهرمانات والجواري والخصيان، وإلصاق نهم الشنوذ والخوف والجبن بعبده الحميد، وإيثاره الغلمان على النساء، ووجود ثلاثة آلاف جارية في يلدز بينهن العربيات واليونانيات والفارسيات والافريقيات والأرمنيات والتركيات، وأعمارهن تتراوح بين العاشرة والسابعة عشرة فقط. كما يتم اهداء من تتجاوز هذه السن الى المقربين.

وتنسج الروايات اسطورة حول مذابح الأرمن (١) تقول: ان عبد الحميد الذي كان شغوفاً بصغار الأرمنيات، كان يحب استشارة العرافين قبل أن ينزل الى مجلسه العام وذات يوم أكفهر وجه أحد العرافين، من طائفة الدومة، فلاحظ عبد الحميد تردده وأرغمه على البوح بما رآه في الرمل، فطلب منه الأمان فأمنه وقال: يا مولاي ان احدى الجواري الأرمنيات حامل من صلبك وستلد ذكرا يكون السبب في خراب الخلافة الاسلامية وفي قتلك وان الفساد سيعم من أرض الحجاز الى أعالي الصرب.

فاعتكف عبد الحميد في جناحه وجمع القهرمانات وعزل الجواري الارمنيات وقام طبيب القصر — وهو من الدومة أيضا — باجهاض اكثر من ثلاثين أرمنية ومات منهن خلال الاجهاض ١٣ جارية، وان الطبيب ساعد احدى الحوامل على تهريبها وإيصالها الى الدومة باعتبارها من أم يهودية وأب أرمني وقد فشلت حملات عبد الحميد للبحث عنها فقام بتدبير مذابح الأرمن. بينما يوضح عبد الحميد المسألة الأرمنية فيذكر سفر بيير كيار لباريس تاركا الارمن الذين أحبهم كثيرا:

تركهم في حفظ جناب الله وصونه، ثم في مرحمتي وشفقتي، وسافر. قال هذا الكلام مسيو اهارونيان وجوبانيان افندي وكثير من الفرنسيين.

هذا الفدائي الذي ثار باسم الشعب الأرمني المظلوم، أي بيير كيار، ترك راتبه في استانبول — وهو على كل حال ليس كثيرا — واختار العودة الى فرنسا، وأشاع الأخبار عن مذابح الأرمن.

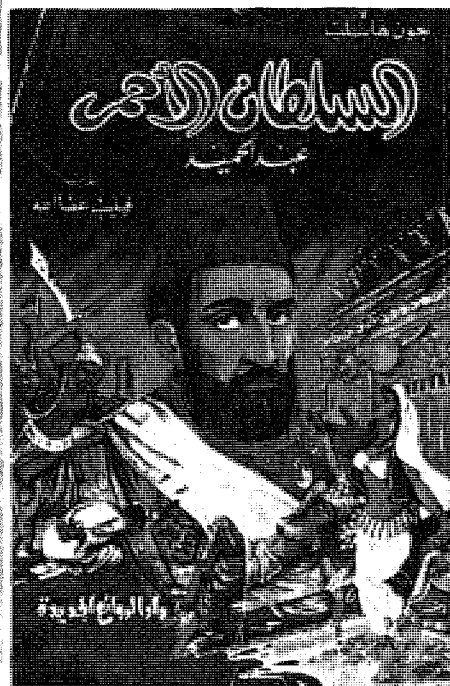
حتى ذلك الوقت كانت أوروبا العظيمة غير دارية بهذه الفجائع، وحكوماتها تتلقى هذه الحوادث بصمت مطبق. لست انا قائل هذا الكلام بل كان من بين المشتركين في حفل التكريم الذي اقيم في استانبول. وسمع بنفسه هذا الكلام.

حينئذ قلت لجميع السفراء — ولا سيما السفير الانجليزي — بلهجة حادة: ان هذه مسألة أمن داخلي، وان الجيش يظهر هذه الاماكن من الاشقياء. ثم اضفت قائلا: ولن اسمح بارسال ملحقين عسكريين، فان ظهور ضابط انجليزي في هذه المنطقة سيثير النزاع من جديد بين الشعب الذي هدأت أحواله.

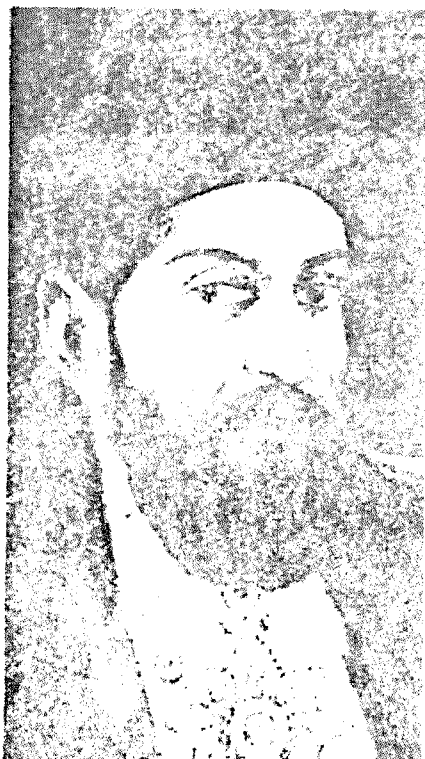
خرج السفير الانجليزي من عندي والحيرة والدهشة تقلبانه. ذلك لأنني كنت أعلم في تلك الايام بانباء تصادم انجلترا وروسيا في الشرق الأقصى، فلا روسيا ولا انجلترا، ولا أيضا فرنسا التي تعمل حسابا لالمانيا، يستطيعون التدخل بشكل جدي وبالفعل لم يتدخلوا، ولكن انجلترا بذلت أقصى ما في وسعها بعد ذلك بسنوات لاثارة المسألة الأرمنية، لكي تبعد عن الأذهان اعمال تدخلها في مصر وكانت تعمل جاهدة على تركيز انتباه العالم على تركيا.

وعندما عرف الأرمن انهم لن يستطيعوا الوصول الى متبغاهم بالاعمال التي قاموا بها في الاناضول: دفعوا بعصباتهم وجمعياتهم الى استانبول، وعملوا على اثارة الفتن والمتاعب فيها، ونجحوا في هذا لكن الدول الكبرى كانت تعرف اني لن اعطي الاستقلال الذاتي لهؤلاء الأرمن المبعثرين الذين لا يكونون أكثرية في أي مكان قط. وكانت

(١) ساهم جورجي زيدان في كتابه «الانقلاب العثماني» وغيره من مؤلفاته التي تناول فيها التاريخ العثماني بترويج العديد من أمثال هذه الأساطير كني من الدس الحادف للاساءة لسمعة عبد الحميد وغيره من خلفاء آل عثمان.



الأجهزة الإستعمارية الحاكمة غرست صوراً مشوهة للسلطان عبد الحميد الثاني في أذهان الأجيال المعاصرة



تعرف أنني سأستطيع أن أضع عيني على كل شيء، وهم يفقدون القوة التي تساعدهم على دخولهم الحرب، بسبب ما بينهم من تناقض لهذا كانت المسألة الأرمنية مقلقة لتركيا، فهي ظلت تسمح للدول الكبرى التدخل في شؤون تركيا حتى السنوات الأخيرة. (١)

لكن الصحف الأوربية كانت تضع بصماتها على هذه المسألة أيضا.. كانت تكتب فيها بشكل دائم، وتهاجني وتلقبني بالسلطان الأحمر، وكانت تحرض الرأي العام العالمي ضدي. وهكذا أصبحت المسألة الأرمنية من المسائل التي تشغل الرأي العام العالمي، لكنها لم تكن بالمسألة الجادة عالميا. وفي هذا كان لسعيد باشا خدمات كثيرة.

لم أكن أدهش لهيام الأرمن بحب الاستقلال، خاصة بعد معرفة اثاره الدول الكبرى لهم بلا توقف لكنني أدهش لأن بعض أفراد «تركيا الفتاة» الذين هربوا الى أوروبا واصدروا هناك صحفا ضدي كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية كما أدهش لانهم كانوا يأخذون منهم أموالا أيضا.

كانوا يقولون أنهم يريدون انقاذ الدولة العثمانية من التمزق، ثم يتعاونون مع الذين يعملون على تفتيت الدولة ويتعاهدون معهم.

تري: الى أي مدى كان يصل بهم الأمر لو وقع بينهم؟

هل قيام دولة أرمنية في بطن الاناضول شاهد اثبات على وطنيتهم؟؟

أسجل هذا للاعتبار به، ولمعرفة: من يكون صديقا لمن ناصبوني العداء وبينما يبكي الوطن اليوم: أجد التفكير فيهم أمرا يؤذيني ويغمني... أنهم لم يهلموا عبد الحميد..

ها هم قد هدموا الدولة العثمانية..

كما يتطرق عبد الحميد الى المشكلة الأرمنية مرة أخرى في مذكراته فيقول: شيء مضحك أن نتهم بتعذيب الأرمن واستغلالهم، فالذين يعرفون حقائق الأمور يؤكدون تفوقهم على رعايا المسلمين، ولقد تقلد الأرمن في جميع العهود أعلى المناصب الوظيفية بما فيها منصب الوزير الأعظم، ولا أبالغ اذا قلت ان ثلث موظفينا من الأرمن و معروف أنهم لا يؤدون الخدمة العسكرية مقابل بدل نقدي رمزي وتجارتهم في وضع ممتاز والضرائب تكاد تنحصر فيهم ولذا فلم يعارض الغاء قانون الالتزام سواهم، عندما أراده عبد المجيد بناء على اقتراح رشيد باشا (٢)

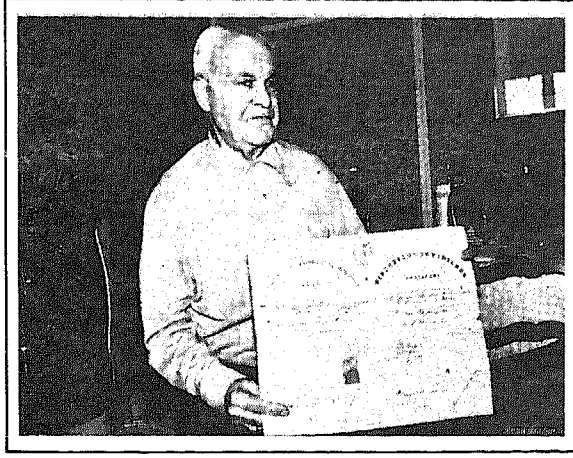
أما الاضطرابات الأرمنية فقد وضع أنها مدبرة فقد عكف خريجو مدرسة (مزيغون) على انشاء منظمات لجمع الأرمن في أمة واحدة، وكشفنا أن المنظمة الثورية الأرمنية في أثينا قررت إعلان العصيان في بلادنا، ثم ظهرت منظمات «أندون ريدجوري» وبمناسبة عيد رأس سنة ١٨٨٢ ألصقت على جدران كنائس الأرمن منشورات تدعو لاعلان العصيان.

ثم أمتنع الأرمن (٣) عن دفع الضرائب في ولاية تفليس، وعندما قامت الدولة بتأديبهم قامت قيامة الصحافة الأوربية.

(١) السلطان عبد الحميد - مذكراتي في السياسة - مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٩٧٧.

(٢) خط شريف كوخانة، تشرين الأول ١٨٣٩ م.

(٣) الأرمن كما هو معروف موطنهم الأصلي ترافيا وهاجروا منها الى أرمينيا واعتنقوا المسيحية على يد القديس غريغوريوس، كان آخر ملوكهم ليفون الخامس دي لوزنيان الذي وقع أسيرا ودفن في باريس سنة ١٣٩٣ وفي عام ١٦٧٨ م قامت لجنة برئاسة الكاثولييكوس أغوب الثاني بشرح القضية الأرمنية لأوروبا وفي عام ١٨١٣ أصبحت ترانسكوكازيا تحت سلطة روسيا القيصرية وتعرضت القضية حتى عام ١٨٣٨ م حين أعلن باسكيفيتش رئيس وزراء روسيا شعار: أرمينيا بدون أرمن، ثم جرت مذبحه عام ١٨٦٧ م وبموجب معاهدة سان ستيفانو أعطى الأرمن استقلالاً إدارياً ثم استبدل بالتنظيم الإداري بموجب مؤتمر برلين وما بين ١٨٩٤ - ١٨٩٦ م حصلت عمليات دامية في أروم =



أرميني يعرض جوازاً من «الجمهورية الأرمنية» التي لم تعمر سوى سنتين ١٩٢٠ - ١٩٢١ م



مسلحون أرمن في لبنان قبل الاجتياح الاسرائيلي ١٩٨٢ م



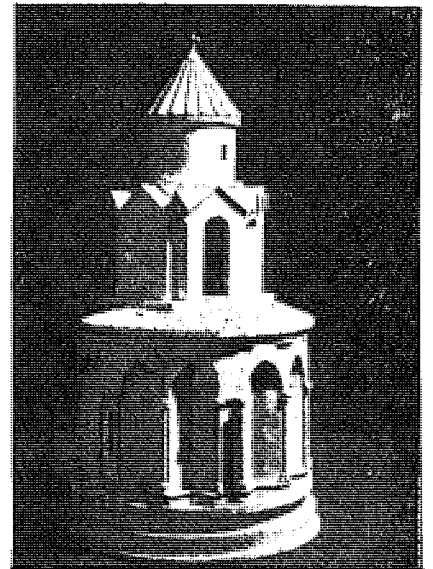
أسرة أرمنية - أواخر العهد العثماني



مقاومون أرمن عام ١٩١٥ م



أحد أفراد الجيش الأرمني السري يتحدث عن إحدى العمليات ضد تركيا



إحدى الكاتدرائيات الأثرية الأرمنية في «أرمنية السوفيتية»

وتعتبر أرمينية الموطن الأول للشعب الأرمني، وتنسب أرمينية، إلى آرام بن حارموس، أو إلى آرميناك بن هاييك، وقد سميت مؤخراً «هايستات»، بحكم تميز أراضيها بالارتفاع، ويرى البعض أن الآراميين والأرمن تمازجوا في العادات والتقاليد كما استخدم الآشوريون لفظة «أرمانيا» أو «أرمينيا» دلالة على أرمينية منذ القرن السادس قبل الميلاد وهي هضبة من آسيا الغربية يبلغ علوها سبعة آلاف قدم ويضم إقليمها سلاسل جبال متوازية معظمها فوهات بركانية خامدة أروعها جبل آارات في وسطها الذي يضم جبلي «الحارث» و«الحويرث»، وآارات معناها «جبل النار» رغم أن الشلوج تكسوه معظم العام، كما تنبع منه عشرات الأنهار وبينها دجلة والفرات وتشكل عدة بحيرات، ولم يكن لأرمينية عبر التاريخ حدود طبيعية لذا فهي دائمة التقلص والإمتداد تبعاً للانتصارات والهزائم، فهي لم تعرف الراحة بل كانت مسرحاً للحروب ولتصادم الحضارات، كما شغل موقعها الاستراتيجي مساحات كبيرة من خطوط المواجهة العربية البيزنطية بين طرابزون على البحر الأسود وملاطية في العمق الجبلي، وقد عرف بنو أمية ومن خلفهم في حكم الدولة الإسلامية كيف يحافظون على صداقة وود أرمينية لإبعاد شبح الروم البيزنطيين عن التخوم العربية، ولم ينتزعوا حقوق الأسر الأرمينية الحاكمة في معظم فترات التاريخ، مما جعلهم يناصرون المسلمين في موقعة «ملاذ كرد» بين السلطان السلجوقي ألب أرسلان والامبراطور البيزنطي رومانوس التي أسهمت في إندلاع الحروب الصليبية (١)

وكان أمير أردبيل في أذربيجان يحكم أقاليم أرمينية كلها بما فيها «واران» والجزيرة ثم إنتقل مركز الامارة إلى دبيل في أرمينية وبعدها إلى خللاط وأحيانا كان يحكمها أمير الجزيرة من مدينة حرّان في شمالي سورية، وقد نشأت منطقة كيليكيا مؤخرًا في العهد العثماني ولعبت دوراً خطيراً ورافقها سقوط دولة البقراذونيين في أرمينية الكبرى، التي أصبحت أراضيها مجزأة الآن بين جمهورية أرمينية الاشتراكية التابعة للاتحاد السوفيتي وعاصمتها «يرفان» منذ انتصار البلاشفة في روسيا ١٩١٧م، وبين كيليكيا التابعة لتركيا التي نشأت كجمهورية منذ عام ١٩٢٤م، وكان التقسيم العربي لأرمينيا — قبل العهد العثماني — على النحو التالي:

الران، جرزان (جورجيا) وقصبتها تفليس، أرمينية الطبيعية: دبيل والنشوى (نخجوان) وقصبتها دبيل، أرضروم وشمشاط وقايقلا وقصبتها خللاط.

ويروي ابن خلدون أن ناحور هاجر مع أخيه إبراهيم الخليل من بابل إلى حرّان مع زوجته «ملكا» أخت «سارة» زوج إبراهيم (عليه السلام) فأنجب منها ثمانية أولاد ماتوا جميعا عدا «قمويل» الذي إنحدر منه الأرمن، بينما يقول المؤرخ الأرمني موسىس دي خورين أن «هاييك» أبو الأرمن إنحدر من سلالة يافث بن نوح ومن نسله أرميناك الذي خلف أرمائيس والد كيغام الذي انحدر منه هارما والد آرام، وأن «هاييك» هو الاسم الحقيقي للشعب الأرمني، وقد اشتقت اللغة الأرمينية من اللسان الهندي الأوربي، وتأثرت بالآشورية واللاتينية والفارسية والعربية والتركية والكردية وغيرها، أما الأبجدية الأرمينية فترجع إلى عهد الملك فرام شابوه (٤١٣ — ٤١٤ م).

ويتطرق عبد الحميد في مذكراته (١) أيضاً إلى مدحت باشا فيوضح أنه كلفه بالصدارة العظمى وأعلن المشروطة بعد أن أقنعه والده السلطان عبد المجيد بأهمية الشورى، كما لمس كفاية مدحت الإدارية، لكنه ما لبث أن اصطدم بالنزعة الاستبدادية لدى مدحت وبغروره وخشونته فابعده دون أية معارضة من الأمة، خاصة بعد أن أثبت التحقيق في مقتل

= وديار بكر وسيواس وغيرها وخاب أمل الأرمن كثيرهم من الشعوب بعد ثورة تركيا الفتاة ١٩٠٨م التي لم تحقق الحريات أو الدستور وعام ١٩٠٩ جرت أحداث أجنبية ثم وقف الأرمن إلى جانب الحلفاء خلال الحرب الأولى فدبر لهم الألمان مجزرة ٢٤ نيسان أبريل ١٩١٥ بالاتفاق مع الاتحاديين وفي ٦ كانون الأول ١٩٢١ قتل الأرمن في روما سعيد حلمي باشا رئيس الحكومة التركية السابق ثم كرت مسحة الانتقام فسقط يوم ١٧ أبريل ١٩٢٢ في برلين بهاء الدين شاكراً أمين عام الاتحاد والترقي وعلي جمال عزمي أحد القادة الاتحاديين كما اغتيل في جورجيا خلال تموز يوليو ١٩٢٢م جمال باشا الشهير بالسفاح. ويناظر عدد الأرمن في العالم خمسة ملايين نسمة معظمهم في الجمهوريات السوفيتية والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وتركيا والبلاد العربية.

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد — الطبعة الأولى ١٩٧٨م — دار الانصار بالقاهرة.



مدينة يرفان عاصمة «أرمينية السوفيتية» ويبدو وراءها جبل أراارات المرتبط بقصة سفينة نوح

السلطان عبدالعزيز اشترك مدحت بالتعاون مع السر عسكر عوني باشا في هذه الحادثة مما حدا بمدحت الى محاولة اللجوء للسفارة الانكليزية ثم الفرنسية، وقد تم نفيه الى أوروبا، بعد تخفيف الحكم باعدامه، ولكنه ظل يتعاون مع الجمعيات الأرمينية. لا يصلح الأموال المشبوهة الى جماعته في استانبول مما أوجب نفيه الى الطائف ثانية حيث قتل في قلعتها، ويؤكد عبد الحميد أن الماسونية نفسها وراء مقتله لأنه استفذ أغراضها ولا بد لها من التعامل مع غيره من الاتحاديين كأنور ونيازي وطلعت وجمال ومن رجال الائتلاف كناظم وعمود شوكت.

(١) عقد في تموز (يوليو) ١٩٨٣ م «المؤتمر الأرميني العالمي» الأول في لوزان بسويسرا، وهي المدينة التي شهدت المؤتمر الذي أسفر عن معاهدة لوزان ١٩٢٢ م، تلك المعاهدة التي بددت أحلام الأرمن بإقامة دولة أرمينية بموجب نصوص معاهدة سيفر ١٩٢٠ م، وقد حظي المؤتمر الأرميني العالمي الأول بدعم من الأرمن المهاجرين للولايات المتحدة الأميركية، الذين قوي نفوذهم بانتخاب جورج دكمجيان حاكماً لولاية كاليفورنيا، كرد على تزايد نشاط «الجيش الأرميني السري» ضد الأتراك والمصالح التركية بمختلف أنحاء العالم، والذي وصل نشاطه إلى الولايات المتحدة نفسها بعد أن نسف مبنى الكنائس العالمي ببيروت، لإنهائه بالسعي لإقامة «دولة أرمينية» داخل الولايات المتحدة مقابل جمهورية أرمينية السوفيتية الذي تربطه بها صلات وثيقة.

وبما يذكر «أن الجيش الأرميني السري لتحرير أرمينية» بدأ نشاطه عام ١٩٧٥ م تحت اسم «مجموعة الأسير كوركين يانيكيان» الذي يعتبر «المؤسس» فقد قام، منفرداً، باغتيال دبلوماسيين تركيين في الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ م، ثم برز من بعده «هاكوب هاكوبيان» الذي قتل في بيروت إثر الغزو «الإسرائيلي» صيف ١٩٨٢ م، وقد بلغ عدد خسائر «الجيش الأرميني السري» خمسين عضواً نصفهم خلال دخول القوات التركية لشمال العراق، كما أن له ٨٢ أسيراً معظمهم في إيران أيضاً، بينما ارتبط بعلاقات جيدة مع المنظمات الفدائية الفلسطينية.

أما قضية الأكراد (١) فقد بدأت مع نهاية دولة الخلافة العثمانية، حيث يحتل الأكراد قلب آسيا الصغرى وتضم منطقتهم الجبلية، جبال طوروس وزاغروس من البحر الأسود حتى سهوب العراق ومن طوروس الى الهضبة الايرانية كما تمتد شمالاً الى أرمينية (السوفيتية) وجنوباً الى خانقين في العراق وكرمان شاه في إيران، بل ان بعضهم يوسعونها الى الاسكندرونة على البحر المتوسط بما فيها الجزيرة في سورية والى تخوم الخليج العربي!

والأكراد يعيشون اليوم في مناطق صغيرة في سوريا والاتحاد السوفيتي كما يعيش معهم داخل « كردستان » مجموعات من الآشوريين والأرمن والتركمان والعرب والكلدانيين، وهم شعب قديم عاصر أكاد وبابل وآشور فقد تحدث « زنيفون » عن « الكاردوخوي » (Kardukois) وهم أسلاف الأكراد. كما عرفت منطقتهم باسم « كاردون » (Kardones) أو كاردوي (Kardoi) وأطلق عليها الأرمن (كاردو) و(كاردوخ) والآراميون (بيت كاردو) والعرب (كرده).

ويزعم البعض أن عددهم لا يزيد عن سبعة ملايين نسمة ويقول آخرون انهم إثنا عشر مليون نسمة، بينما أوصلهم بعض الغلاة الى ٢٥ مليون نسمة إلا أنهم في حدود: ٤٦ مليون في تركيا، و٣٣ مليون في إيران، و١٤ مليون في العراق، و٤٠ مليون في سوريا، و٢٠ مليون في افغانستان، و١٠ مليون في الاتحاد السوفيتي..

وهم يتحدرون من أصل هندي - أوربي، ومن أصل ميدي - إيراني، فقد انتقلوا من جنوبي بحيرة أرميه باتجاه بتان في القرن السابع قبل الميلاد، واختلطوا بالقبائل القرطية والمريديّة ومن هذا الخليط أتى آباء الأكراد ويقال إنهم على قرابة بالخالدين والأرمن والجورجيين وأن لغتهم تشبه لغة الخالدين والجورجيين كما تأثرت بالآيرانيين والأرمن والماردين.

وقد إعتنق الأكراد الاسلام بحماسة وإتبعوا المذهبي السني - عدا أقلية شيعية وحفنة من اليزيديين والمسيحيين واليهود وأهل الحق ومؤلفي علي! وهم حضر ريفيون ورتل، ومجتمعهم الريفي قبلي إقطاعي ويلقب زعيم القبيلة (بك) وزعيم العشيرة (آغا) وعالم الدين (ملا)!

وقد ظهرت أسر حاكمة كردية - عربية، وكردية - فارسية، خلال خلافة العباسيين في بغداد، كما لمع صلاح الدين الأيوبي الذي حكم الدولة الاسلامية على أساس اسلامي وليس عنصرياً.

ثم اجتذب العثمانيون الأكراد الى جانبهم في قتال الصفويين ١٥١٤م، وأدخل السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦م الكثير من الاصلاحات الى كردستان مما أثار أمراء الأكراد فنظموا الثورات ضد العثمانيين لمدة ربع قرن.

وكان عبيد الله النهري - من أكراد العراق - أول من نادى باستقلال الأكراد واحتل جزءاً من كردستان الايرانية بتشجيع من القيصرية الروس.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني إعتد عليهم في الأعمال العسكرية واستخدمهم لقمع الأرمن، كما قاتل الأكراد خلال الحرب الأولى الى جانب الأتراك تلبية لداعي الجهاد.

وقد بدأت الدعوة للقومية الكردية في نفس الفترة التي ظهرت فيها النزعة الطورانية والدعوة للقومية العربية، فقد أسس آل بدرخان جماعة سياسية وأصدروا صحيفة « كردستان » في القاهرة عام ١٩٠٨م، كما إفتتحو نادياً كردياً ومجلة كردية، وفي عام ١٩١٠م أسسوا نادي « هيوى » وأصدروا صحيفة « الشمس » ثم شكلت عدة جمعيات سرية.

وإعترفت معاهدة سيفر ١٩٢٠م بحقوق الأرمن والأكراد في إقامة دولة مستقلة لكل منهما، تنفيذاً لسياسة الحلفاء في تمزيق الدولة العثمانية إلا أن معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م قضت على أحلام دعاة القومية الكردية، ثم تزعم الأكراد الشيخ سعيد النورسي داعياً لاعادة الخلافة التي أسقطتها « الكمالية ».

(١) ادمون غريب - الحركة القومية الكردية - دار النهار للنشر - بيروت ١٩٧٣م.

الفصل الرابع

عمار الجامعة الإسلامية وتطبيقاته الخارجية

كشف السلطان عبد الحميد في مذكراته التي بدأ بكتابتها في مارس ١٣٣٣ في بيلربى باستانبول خلال فترة نفيه وإبعاده عن عرش الخلافة إبان الحرب العالمية الأولى عن خطته في السياسة الدولية التي تميزت بالدهاء، وحلل بدقة أبعاد السياسة العالمية وأهمية الآثار المعنوية للخلافة الإسلامية، كما أوضح دور الماسونية التي عملت على هدم الدولة الإسلامية نفسها عن طريق اسقاط شخص السلطان عبد الحميد الذي بلغ الاندفاع الاستعماري الغربي أقصى سرعته في عهده.

وسياسة عبد الحميد الخارجية اعتمدت على ثلاث دعائم مترابطة فهو قد ادرك مدى الضعف الذي تعاني منه الدولة العثمانية والهزائم التي لحقتها خلال الحقبة الأخيرة، في معظم الحروب التي خاضتها لذا فقد آثر اللجوء إلى المهادنة وحسم الخلافات بالتي هي أحسن تجنباً لما هو أسوأ في سياسته أما الدعامة الثانية فهو يسميها (محاورة العدو بسلاحه) عن طريق تفريق قواه وضربه ببعض والاستعانة ببعض على البعض الآخر فقد تظاهر بالتحالف مع ألمانيا واستقبل القيصر في بلاده ليرغم بريطانيا على استرضائه كما أنه منحها امتياز سكة حديد برلين وبغداد رداً على تقادى بريطانيا في عدائها بعد أن وجد أن بسمارك قلب موازين القوى العالمية ولكنه عارض استثمار ألمانيا لبتترول العراق الذي اكتشفت تحت ستار الحفريات الأثرية ولم يأس في استمالة قيصر روسيا حتى كسب معارضته لبريطانيا في تقسيمها للدولة العثمانية رغم اندفاعها في عدائها للإسلام وقد اسقطه الاتحاديون قبل أن يجنى ثمار سياسته مع روسيا ومساعدته مع ملك رومانيا لاقامة حلف بلقاني ضد روسيا والنمسا.

وكانت الجامعة الإسلامية دعامة. الثالثة حيث نجح في تعبئة مسلمي الهند لمعاودة الخلافة ضد بريطانيا كما حقق نجاحاً مماثلاً مع مسلمي روسيا في بخاري وسمرقند ضد القيصرية.

وقد أدرك عبد الحميد أن الجيش القوي والاسطول المهاب اللذين كونهما عمه السلطان عبدالعزيز لم ينفعاه لخطئه في الاعتماد على ربانة من الانكليز حين عطلوا عمل الاسطول تماماً أيام الحرب الروسية مما حفزه لاستبداهم فثارت بريطانيا واخضعته للأمر الواقع.

ويصف السلطان عبد الحميد الصراع الدولي الذي شهدته الدولة العثمانية في أواخر أيامه فيقول أن التنافس بين الانكليز والروس كان عظيماً في آسيا كما ولدت في أميركا دولة غنية قوية وكانت اسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها وانتظم يهود العالم وسعوا — عن طريق المحافظ الماسونية في سبيل الأرض الموعودة وجاءوا إليّ بعد فترة وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة وبالطبع رفضت. (١)

(١) حاول تيودور هرتزل الزعيم الصهيوني المعروف الاتصال بالسلطان عبد الحميد مراراً في أعقاب انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا عام ١٨٩٧ م، وخلال المقابلة الأولى بينهما في استانبول ١٩٠١ م حاول هرتزل إغراءه بسداد ديون الدولة العثمانية مقابل السماح بالهجرة اليهودية لفلسطين وكان رد عبد الحميد:

«إنصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع فاني لا أستطيع أن أتخلّى عن شبر واحد من الأرض .. فهي ليست ملك يميني .. بل ملك الأمة الإسلامية ..»

لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه .. فليحتفظ اليهود بملايينهم .. وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن .. أما وأنا حيّ فإن عمل المضيع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا أمر لا يكون. اني لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

ولم أكن أستطيع الوقوف أمام هذه القوى بمفردي، طاقاتنا لم تكن تكفي، الشيء الوحيد الذي كنت أستطيع عمله هو أن أفيد من التنافس بين هذه القوى، هذه الافةاء كانت عبارة عن توزيع الأمل، في لقمة كبيرة بعض الشيء، على كل واحدة منها والايقاع بين كل واحدة وأخرى.

ويتطرق عبد الحميد بعد ذلك لموضوع جمال الدين الأفغاني فيقول:
وقعت في يدي خطة أعدّها في وزارة الخارجية الانكليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وانكليزي يدعى بلند، قالوا بأقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحوا على الانكليز اعلان الشريف حسين امير مكة خليفة على المسلمين.

كنت أعرف جمال الدين الأفغاني عن قرب. كان في مصر وكان رجلا خطرا. اقترح على ذات مرة وهو يدعى المهديّة ان يثير جميع مسلمي آسيا الوسطى وكنت أعرف انه غير قادر على هذا، وكان رجل الانكليز ومن المحتمل جدا ان يكون الانكليز قد أعدوا هذا الرجل لاختباري. رفضت فوراً فاتحد مع بلند. (١).

استدعيته إلى استانبول عن طريق أبي الهدى الصيادي، الحلبي الذي كان يلقي الاحترام في كل البلاد العربية.. فقام بالتوسط في هذا كل من منيف باشا حلمى، الأفغاني القديم، وعبد الخالق حامد. جاء إلى استانبول ولم أسمح له مرة أخرى بالخروج منها.

وكما استغل الانكليز غفلة اعضاء تركيا الفتاة عن طريق المحافظ الماسونية بدأ الألمان يفعلون هذا مع الفريق الآخر منهم، وعن طريق المحافظ الماسونية أيضا. وبهذا الشكل سيطر الألمان على تشكيل تركيا الفتاة في سالونيك. وسيطر الانكليز على تشكيل تركيا الفتاة في مناستر.

ولكي أجبر الانكليز على اتفاق معي عهدت بعملية انشاء سكة حديد بغداد. إلى ألمانيا، وكان غضب الانكليز عظيما، ولهذا أيضا جروا علينا مصيبة مقدونيا، لم أهتم لهذا، فقد كانت كل الخيوط في يدي.

ومهما كان الأمر، فانهم قدموا إليّ الاقتراحات التي كنت انتظرها.
كان الانكليز يثيرون عليّ إتحادي مناستر، ويثير الألمان على إتحادي سالونيك. كانوا يعملون على قيام انقلاب بالاستيلاء على الدولة من الداخل. ونجح الانكليز باستخدام إتحادي مناستر كان مصيبة بالنسبة لي. لانهم كانوا سيزيلوني ويصلون إلى مرادهم، ولم أكن أخاف من إتحادي الألمان لان نجاحهم كان سيزيد من خوف انكلترا.

اتحاديو سالونيك الواقعون تحت تأثير المحافظ الماسونية الألمانية تحركوا بكل من أنور ونيازي لضرب شماسى باشا، وأضاع إتحادي مناستر المحاولة.

دبر الانكليز محادثات سرية عن طريق الرجل الذي أثق به أبى الهدى الصيادي، واستطاع الروس أن يلاحظوا أنهم يخدعون وهم غير موجودين. (٢)

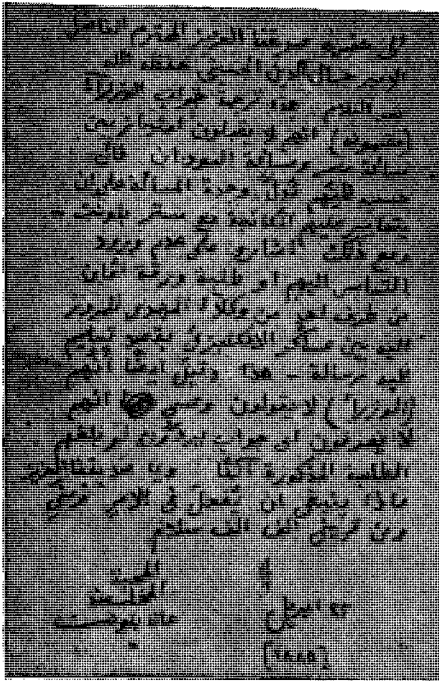
نكبة آسيا فوقهم، والمخربون مثيروا الاضطرابات في داخلهم ولذلك كان على حكومتهم القيصرية ان تظل مفتوحة العين يقظة..

ورغم كل ذلك فقد كتب لي القيصر رسالة خاصة يطلب فيها مني معلومات ولسبب ما أوقف الانكليز مباحثاتهم السرية وأصبحت أرى أن الحرب الكبرى التي انتظرها وشيكة الوقوع، ولكن لم يكن أمامي الا أن أترك الأحداث تسير حسبما تسير، ولم يكن أمامي غير منع إراقة دماء الأخوة..

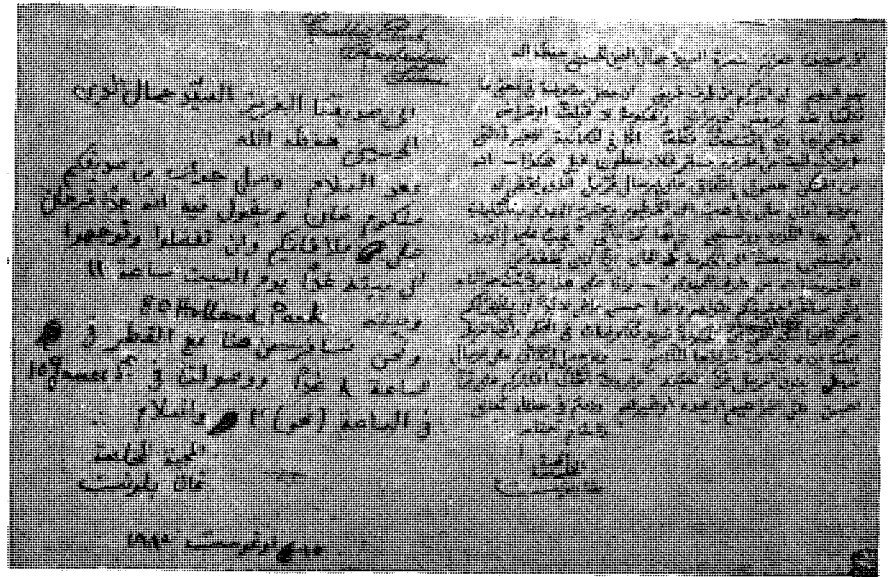
وما حدث بعد ذلك يعرفه كل شخص.

(١) المصدر السابق.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: دار الانصار - القاهرة - الطبعة الاولى ١٩٧٨ م



صور لخطاب ثالث من السيدة بلند الى الافغاني
حول المسألة السودانية ايضا.



صورة لخطابين أصليين من آنا بلند (عان بلونت) السيدة
الانكليزية الى صديقها جال الدين الحسيني (الافغاني)، والخطاب
الأول حول تكليفه بالوساطة لاتحاد الثورة «المهدية» في السودان
والثاني حول الحركة «المهدية» نفسها.

اسقطني اتحاديو سلانيك عن العرش، وتوصلوا إلى اتفاقية مع الانكليز، ودخلوا الحرب كحليف مع دولة تسود
البحار، وكان المسألة حلم..

ويرد عبد الحميد (١) على مناقشة حادة جرت في احدى قمرات الباخرة «قاضي كوي» (٢) بين مجموعة أشخاص،
حيث اتهمه أحدهم وهو الدكتور ناظم بك الذي كان يعمل مع أحمد رضا بك في قيادة النشاط الاتحادي بقوله ان
عبد الحميد أشعل الحريق بسجنه ثم قتله مدحت باشا حتى وصلت الحال إلى ما هي عليه فيتساءل عبد الحميد: (كيف
كانت الظروف وقت توليتي العرش؟ أحاول أن أتذكر.

نعم، تمرد البوسنة والهرسك (٣) هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود (٤) الصرب تعلن الحرب بقوات منظمة
وخطرة... (٥) من هذه البادرة انفجرت الحرب الروسية الفظيعة.

بالطبع ليست من نتائج عهد سلطنتي كل هذه الوقائع الداخلية والخارجية، فقد توليت السلطنة بعد خلع سلطانين
متعاقبين، وأزمة وزارية استمرت ٩٣ يوما وفراغ في السلطنة. والأمة كانت تزعم انها وصلت إلى رشد. عينت على
الفور مدحت باشا في الصدارة العظمى، وكان محل ثقة العموم وبالتالي: أكون قد تركت للأمة المسائل التي اقترحتها
روسيا أو بمعنى آخر قبول الحرب مع روسيا أو رفضها.

- (١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني
- (٢) أحد أحياء مدينة استانبول. ونقع على الجانب الآسيوي منها على ساحل مرمر، يربطها بالجانب الأوربي من استانبول خط ملاحى منتظم
ومتناز.
- (٣) البوسنة والهرسك منطقتان مسلمان تقعان الآن ضمن حدود يوغوسلافيا وعاصمتها بوسنة سراي. وتشكل البوسنة والهرسك جمهورية ذات
حكم ذاتي داخل الاتحاد اليوغوسلافي.
- (٤) الجبل الأسود الآن ضمن حدود يوغوسلافيا. مركزها نينوجراد وتتمتع بالحكم الذاتي كجمهورية.
- (٥) الصرب وهي أيضا جمهورية ضمن الجمهوريات اليوغوسلافية الستة. مركزها بلغراد.

مدحت باشا الذي كان محل ثقة كبيرة وحب بالغ من الشعب، ترأس (المجلس العمومي) الذي شكل لبحث المسألة ومناقشتها. على هذا أكون غير مسؤول عن حرب ٩٣ ولا عن نتائجها لا هي مسؤوليتي الشخصية ولا مسؤوليتي كسلطان

وعندما نتحدث عن الحرب أقول أن القادة الذين عينتهم في ذلك الوقت كانوا من القادة النادرين، ليس في تلك الفترة فقط من تاريخ الدولة وإنما أيضا في الفترات السابقة واللاحقة لها. بما فيها عهد والدي.

وانه لما يחדش انصاف التاريخ وعدالته أن تلقى علي وعلى عهدي مسؤولية فشل هذه الحرب وأسبابها، كانهدام وسائل المواصلات وارتفاع لهيب حركات العصيان التي امتدت داخل الأقليات غير المسلمة في الرومل حتى وصلت داخل ولاية أدرنة. سارعت لنجدة ضحايا هذه الكوارث التي جرتها تلك الحرب. لقد بذلت كل ما في وسعي لايجاد المأوى وسبل الاعاشة ووسائل التخفيف عن هؤلاء المهاجرين اخوتنا في الدين.

ويدلل السلطان عبدالحميد في أكثر من موقف في مذكراته على المستوى الرائع لوعيه السياسي ومتابعته الدقيقة لحقائق الموقف الدولي فيقول:

(عليّ أن أشرح الآن باختصار أحوال العالم في تلك الأيام أيضا، لتظهر أسانيد سياستي التي اتبعتها خلال ما يقرب من ثلاثين عاما.

والشيء الذي لفت انتباهي بادية ذي بدء في السياسة الخارجية وقت اعتلاي العرش كان تأسيس الاتحاد الألماني، بعد انتصار بروسيا الصغيرة ألمانيا العظيمة.

هذه الدولة التي ولدت وأسرعت في التوسع عدة أعوام، أفسدت توازن القوى في أوروبا، وأدت بالدول الأوروبية كلها إلى ضرورة احداث تغيير كبير في سياستها الخارجية.

كما يستشف السلطان عبدالحميد الأحداث السياسية القادمة فيلمح أطراف الوفاق الفرنسي — الروسي — البريطاني الذي ما لبث أن أصبح حقيقة الحقائق في الموقف الدولي إبان اشتعال الحرب العالمية الأولى بعد أن كان التنافس والتطاحن والتآمر هو السائد بين تلك الدول تجاه بعضها في عصر الحميد نفسه، فيقول:

خففت فرنسا — المنافسة مع انكلترا في ذلك الوقت — من حدة تنافسها وكان لم تتركه، وبدأت في البحث عن طرق للتفاهم مع الروس لتأمين أمنها ولهذا السبب أيضا بدأت تراجع من جديد السياسة التي تنتهجها تجاهنا. وبسبب هذا الخوف، بدأت في التأييد المتصل للروس في خلافاتهم مع الدولة العثمانية.

وفي التفاتة ذكية أخرى يلمح عبدالحميد احساس الروس بالخطر الألماني القادم فيقول:

يبدأ الروس يعملون حسابا للألمان، جيرانهم الأقوياء في الغرب وأقامت النمسا من جديد سياسة التداخل بين العدو والصديق، ولكن انكلترا وهي تعتمد على جزرها وعلى اسطولها القوي، لم تكن على وفاق كبير مع ألمانيا بسمارك، بل انها أفادت من نزاع الدول الأوروبية الأخرى مع بعضها البعض واتبعت طريق تأمين مصالح جديدة لها في أراضي الدولة العثمانية في البحر الأبيض وفي آسيا. وسلك جلاستون طريق اقامة دولة غازية، بسياسة اعمل ما تستطيع عمله، واكسب ما تستطيع كسبه.

ويعود بذكرته إلى الوراء فيقول:

في العام الذي توليت فيه العرش، كان الانكليز قد استولوا على الهند وصرفوا جهدهم في تأمين سلامة طريق الهند. وكانوا يحاولون من ناحية أخرى الدخول إلى الصين وإلى آسيا الوسطى.

ويكشف الدكتور فرنر أنه (١) صفحة من تاريخ السياسة العثمانية الألمانية أيام القيصر غليوم الثاني معززا تقديرنا لعبد الحميد فيقول، ان القيصر كان يتعاطف مع المسلمين من خلال الصلات الطيبة التي عقدها معه السلطان عبد الحميد الثاني، لذا فقد قام بزيارته في الاستانة كما زار القدس عام ١٨٩٨ م، وقد ساعدت المانيا الحركة الوطنية المصرية عقب بدء الحرب العالمية الأولى وكان مصطفى كامل قد زار المانيا في أواخر القرن التاسع عشر وأقام علاقات طيبة مع الصحافة الألمانية التي قامت آنذاك بالدعاية للقضية المصرية ضد الاحتلال الانكليزي.

كما استضافت المانيا أثر تقرير أوبنهايمر عام ١٩١٠ م بعض الوطنيين العرب والاييرانيين والهنود وفي طليعتهم الأمير شكيب أرسلان عضو مجلس المبعوثان بتكليف من وزير الحربية أنور باشا عام ١٩١٨ م وكان له الفضل في لفت أنظار الالمانيين للقضية العربية.

وكان العثمانيون قد دخلوا الحرب إلى جانب المانيا منذ عام ١٩١٤ م كما تردد على برلين عدد من القادة الشرقيين أمثال: ليب محرم، محمد فريد، د. منصور رفعت، محمد فهمي، عبد الملك حمزة، وعبد العزيز الجاويش الذي أصدر مجلة «العالم الاسلامي» باللغة الألمانية، كما شكل جمعية الخميس، ومحمد الخضر حسين التونسي (شيخ الازهر فيما بعد) والشيخ صالح الشريف التونسي الاستاذ بجامعة الزيتونة والأمير علي بن عبد القادر الجزائري، فضلا عن الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني خلال الحرب العالمية الثانية.

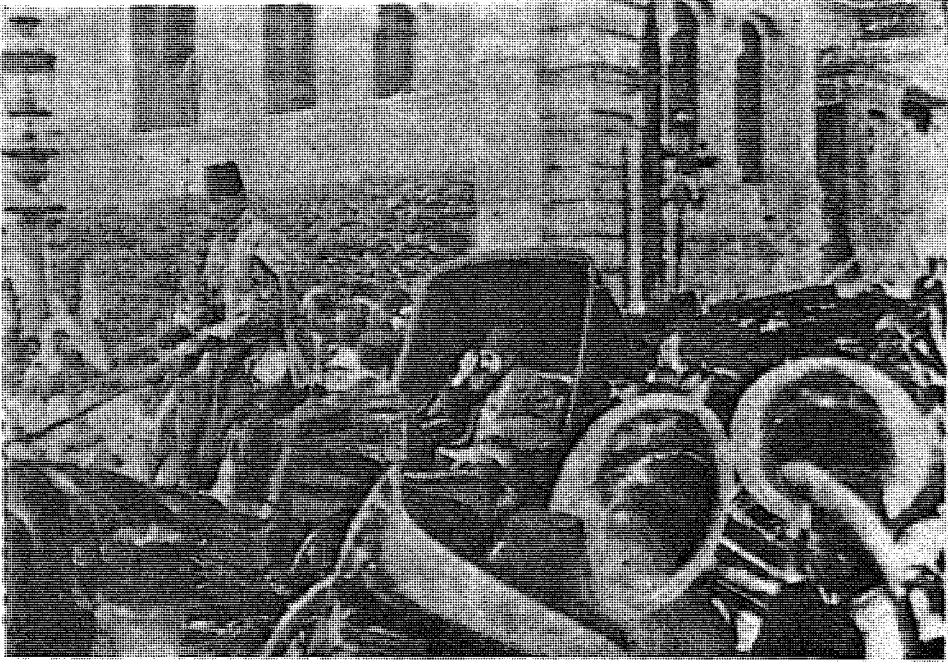
ويرى الدكتور فرنر أنه أن موقف المغرب العربي من الدولة العثمانية أفضل من المشرق العربي عامة، فالمغاربة يرون ان العثمانيين جاؤهم منقذين تلبية لطلبهم لحمايتهم من الاستعمار الصليبي البرتغالي أو الاسباني أو الايطالي، ولذا فقد عمل الكثير من الوطنيين المغاربة مع العثمانيين خلال الحرب الأولى، بينما دخل العثمانيون المشرق العربي فاتحين غازين.

والواقع ان اتجاه الفتح العثماني كان متجهاً نحو أوروبا حتى عهد سليم الأول ولكن بريطانيا وبعض دول أوروبا تمكنوا بعد أن كسبوا صداقة الصفويين في فارس من اغرائهم بنشر الشيعة في العراق مما أدى لاستغاثة العراق السني بدولة المماليك السنية في مصر فلم تنجده، وكان ان لجأ إلى السلطان سليم، فالتفت إلى المشرق وقرر التصدي للغزو الشيعي الذي بات على أبواب دولته.

ولهذا فان الفتح العثماني لسوريا أو العراق وحتى مصر لم يكلف السلطان سليم أية مشقة أو خسارة جسيمة، بل أن شريف مكة آنذاك سارع بارسال مفاتيح الحرمين الشريفين تعبيرا عن مباركته لتنازل آخر خليفة عباسي في القاهرة وهو المتوكل على الله، ومن حينها أصبح السلطان سليم يفاخر بلقب خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين، كما أن التقليد العثماني — منذ ما قبل التنازل بالخلافة للعثمانيين — هو أن تتم مبايعة السلطان في جامع أبي أيوب الانصاري تيمناً بهذا الصحابي المجاهد الجليل، الذي مازال ضريحه قرب أسوار القسطنطينية.

وأستكمالا للأحداث السياسية البارزة التي وقعت في عهد السلطان عبد الحميد يقتضينا البحث التطرق الى ثورة عرابي والاحتلال البريطاني لمصر وموقف الخلافة من هذ القضية، وقد أتهم المؤرخ عبدالرحمن الرافعي عبد الحميد بأنه بدأ عهده بتعطيل القانون الأساسي العثماني، والغاء مجلس المبعوثين وتشتيت دعاة الحرية وأنصارها.. وأنه تعمد احداث حدث يثير الخواطر في مصر التي نظر اليها باستياء لقيام وزارة حرة تقيم نظاما دستوريا فيها، كما أنه لم يكن ليغفر للخدوي توفيق أغفاله الذهاب الى استانبول حين ولايته للحكم لتقديم فروض الطاعة، وأن الوفد العثماني الأول الذي قدم الى مصر في اكتوبر ١٨٨١ م — برئاسة علي نظامي باشا سرياور السلطان عبد الحميد، وعضوية: علي بك فؤاد، عضو شورى الدولة ونجل عالي باشا الصدر الأعظم، وقدرى بك وصفر أفندي وسيف الله أفندي من ياوران السلطان، في أعقاب واقعة عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١، وجد البلاد هادئة ولم يكن بهم حاجة للمجيء فعادوا للاستانة بعد

(١) الدكتور فرنر أنه ألماني الجنسية تعلمذ على يد المؤرخ الكبير الدكتور فيشر وزأبه ورد في محاضرة له بجامعة القاهرة خلال عام ١٩٧٩ م



السلطان عبد الحميد الثاني في موكبهِ اليومي الى قصر الخلافة وقد اضطر لالغائه بعد تعدد محاولات اغتياله

سلسلة مقابلات مع رجالات مصر. (١) ولكن فرنسا وانكلترا استاءتا من حضوره على غير اتفاق معهما وعدتاه تدخلتا في شؤون مصر الداخلية، وطلبتا تقصير مدة اقامته، ثم أرسلت بريطانيا البارجة «انفنسبل» كما أرسلت فرنسا البارجة «ألما» الى الاسكندرية ولم تغادراها الا غداة مغادرة الوفد العثماني لمصر اعلانا لتفؤدهما فيها، ويحمل الرافي عبد الحميد مسؤولية ما حدث بعد ذلك من ارسال بريطانيا للبارجة «انفنسبل» نفسها مع غيرها من القاطع البحرية لضرب الاسكندرية يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢م، اثر تدبيرها لحادث مذبحه الاسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢م والتي بدأت بقتل أحد الماطلين للمواطن المصري السيد العجان وحماية الأوربيين للقاتل مما أدى لانفجار غضب الأهالي حتى بلغ عدد ضحاياها ٤٩ منهم ٣٨ أجنبيا والباقي من المصريين.

ويستطرد عبد الرحمن الرافي في اتهامه لعبد الحميد بأن الوفد العثماني الثاني الذي أرسله خلال الحوادث العربية يوم ٢ يونيو ١٨٨٢م برئاسة مصطفى درويش باشا، المعتمد العثماني السامي لمعالجة أوضاع مصر لم يحضر خالص النية نحو مصر، وأن كلا الوفدين لم يفضا الخلاف بين الخديوي والجيش أو ينقذا مصر من مطامع انجلترا الاستعمارية، فقد كانت رؤية الوفد الثاني للبوارج البريطانية كافية لفهامه بأن الموقف عصيب، فعمد للتظاهر لكل من الفريقين المتخاصمين (الخديو والعرايين) أنه معهم فطلب الأوسمة والنياشين لضباط الجيش مكافأة لولائهم للذات الشاهانية ولعرايي باشا النيشان المجيدي من الطبقة الأولى، بينما انضم درويش باشا علنا للخديو بعد رشوته بخمسين الف جنيه فنصح عرايي بالذهاب للاستانة لمقابلة السلطان ولكن عرايي اعتذر بأن الأمة لا تسمح له بالمغادرة، الا أن الرافي يقرر أن النصيحة بحد ذاتها لم تصدر بنية حسنة وان كان غياب عرايي عن مصر أفضل فيما لو قبل النصيحة.

هذه الاتهامات الصريحة لعبد الحميد في موقفه من مصر وثورة عرايي والاحتلال البريطاني استوقفتنا طويلا، فماذا وجدنا؟

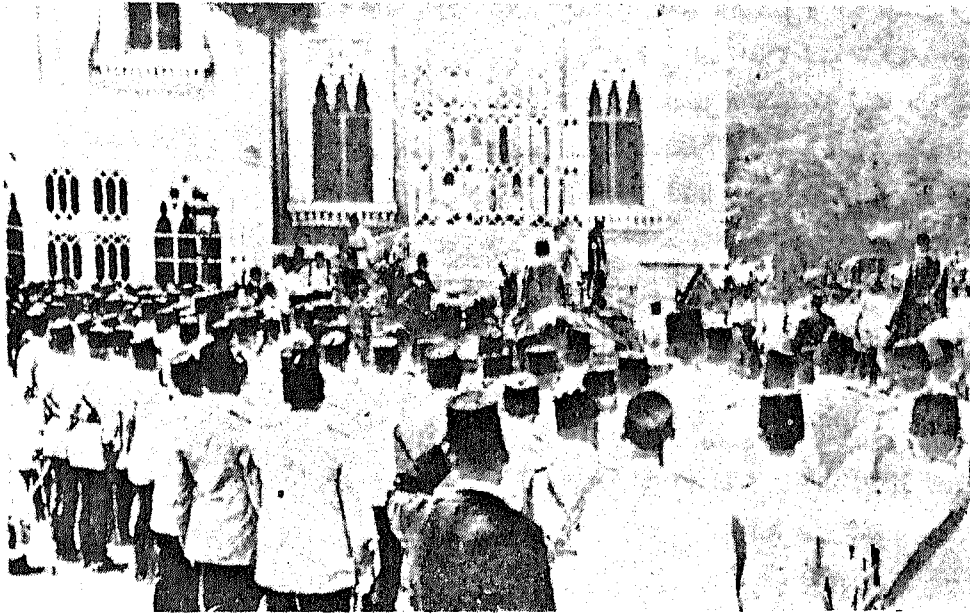
بالنسبة لاتهام الرافي للوفدين العثمانيين بان زيارتهما حفرتا بريطانيا لاحتلال مصر فيما بعد... لا بد من الاشارة الى افتتاح قناة السويس وما نجم عنها من اثارة طمع أكثر من دولة أوربية كبرى في احتلال مصر للسيطرة على هذا

(١) عبد الرحمن الرافي: «مصر - الثورة العربية» العدد الثالث من سلسلة دراسات قومية - مركز النيل للاعلام ١٩٧٩م ص ٨٤.

الموقع الاستراتيجي الذي يعتبر أحد أخطر مفاتيح الطرق البحرية، في العالم وأكثرها حيوية بالنسبة لأوروبا خاصة. بل أن حملة نابليون بونابرت نفسها كانت بداية التوجه الاستعماري لاحتلال المنطقة وسرعان ما اشتعل الصراع الدولي بعدها، فكانت نهايتها على يد الانكليز أنفسهم في أبي قير على النحو المعروف.

وكانت بريطانيا قد بدأت انقضاضها على مصر في عام ١٨٧٥ حينما اشترت اسهم مصر في شركة قناة السويس، وكانت تلك الخطوة - التي سبقت ثورة عرابي بسنوات نذيرا حقيقيا بالهجمة البريطانية الاحتلالية المرتقبة، ولقد شهد الرافعي نفسه في معرض تدوينه لوقائع ثورة عرابي بأن أصابع بريطانيا لم تكن بعيدة عن توجيه الكثير من مجريات الأحداث في خلال تلك الثورة من خلال عملائها في صفوف الساسة والعسكريين على حد سواء وقد ذكر منهم على وجه التحديد اسماء كل من:

(محمد سلطان باشا (١) رئيس مجلس النواب، ومحمد بك الشواربي، وعبد الشهيد أفندي بطرس، وعبد السلام بك المويلحي، ومحمود بك سليمان، وأحمد بك السيوفي من نواب وأعيان مصر، وهم الذين بلغت بهم الجرأة في ممالأة الانكليز الى حد محاولة جمع تبرعات من الأهالي لشراء هدايا وتقديمها لقادة الحملة البريطانية ثم ارسال الهدايا من أموالهم الخاصة، الى كل من: الأميرال سيمور قائد الاسطول الانكليزي الذي دمر الاسكندرية بقنابله، والجنرال ولسلي القائد العام للجيش البريطاني، والجنرال «دروري لو» الذي كان أول من دخل القاهرة بعد سقوط التل الكبير، (لأنقاذهم البلاد من غوائل الفئة العاصية). وقد كافأت بريطانيا أولهم «محمد سلطان باشا» فأنعمت عليه بوسامي سان ميشيل وسان جورج مما خوله الحصول على لقب «سير»، كما احتفى الخديوي ببريطانيا فأنعم عليه بالنيشان



السلطان عبد الحميد الثاني في أحد الاحتفالات الشعبية

(١) وما يذكر أن سلطان باشا أصبح فيما بعد من أغنى أغنياء مصر فقد ورث ابنه محمد «٩٠٠» قطعة أثرية نادرة من المجوهرات المظلمة بفصوص الماس والياقوت والزمرد، وقد صادرتها حكومة الثورة بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م مع بقية ممتلكاته وأطيانه، ومن المؤسف أن هذه المجموعة لم يبق منها في المتاحف المصرية سوى النذر اليسير فقد اختفى معظمها ثم علم مؤخراً أن «٧٥٠» قطعة منها بيعت من قبل «مجهولين» في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية بملايين الدولارات! وكان ذلك نصيب معظم مجوهرات أسرة محمد علي والمجوهرات العثمانية النفيسة والنادرة

المجيدي من الدرجة الاولى ومنع عشرة الاف جنيه «لما أظهره من الصداقة لحكومتنا الخديوية ومعارضته للعصاة في جميع أمورهم وعزائمهم بالمخاطرة على حياته وما حصل له بسبب ذلك من الضرر والتعدي منهم على شخصه وأقاربه واتلاف موجوداته ومقدار جسيم من مزروعاته».

أما زملاؤه من «الاعيان والنواب» فقد حصل كل من الشواربي والمويلحي وسليمان والسيوفي على لقب ورتبة «باشا» وصار الأفندي بطرس (بك) كما تلقوا من الجنرال «دروري لو» وزملاءه الشكر على هداياهم ومواقفهم.

وانعم الخديو على ستين ضابطا من الانكليز بالنياشين كما شرب نخبهم ونخب ملكة بريطانيا والجيش الانكليزي بحضور الدوق أوف كنت مع وزير داخلية رياض باشا خلال حفلة تكريمية على شرفهم.

هذا عن السياسيين، أما الضباط الذين قادهم عرابي فقد كان لبريطانيا بينهم عدة عملاء وأبرز القادة الذين افتضح أمرهم الأمير الای عبدالرحمن حسن الذي كان معهوداً اليه بحراسة المقدمة فغير مواقع الحرس لفتح الطريق للانكليز والأمير الای علي يوسف خنفس الذي كان على قيادة خطوط الخنادق المتوسطة فارشد الانكليز المهاجمين بأن وضع المصابيح في نقطة من الاستحكامات أخلاها من جنودها ليهتدي بها العدو، كما وجد لفيف آخر من ضباط أركان حرب من حزب الخديو توفيق الذين أرشدوا الحملة في مسالك الصحراء. فضلا عن عربان الهنادي الذين اتخذ الانكليز بعضهم عيوناً لهم وجواميس ومرشدين.

وهكذا نجد أن بريطانيا لم تكن بحاجة لارسال عبدالحميد لوفوده العثمانية للقاهرة حتى تقوم باحتلالها لمصر، بل انها — كعادتها — في اضططاع المشاكل وتوجيه الأحداث وانتهاز الفرص تظاهرت باستيائها من «تدخل» عبدالحميد بشئون مصر الداخلية فارسلت بارجتها البحرية للاسكندرية، ولا شك ان هذه الذريعة بحد ذاتها، مع علمنا بتبعية مصر أصلاً للدولة العثمانية وتولية الخديوي نفسه بموجب فرمان شاهاني، تكشف لنا مدى الضيق الذي كان يعانيه عبدالحميد (١) الذي لم يكن قد مضى على تسلمه الخلافة سوى بضعة سنوات حيث وجد الدولة العثمانية «رجلاً مريضاً» فعلا يحتاج الى طبيب بارع ليعيد اليه قوته وشبابه، ولم يكن يملك أن يفرض على بريطانيا أو فرنسا ارادته في حماية شواطئ مصر وباقي البلدان الاسلامية من جيوشهما الطامعة رغم صراعهما للانفراد بالسيطرة على البحر الابيض المتوسط نظراً لأهميته الاستراتيجية (٢)

كما أننا ندرك أن تجنيد عملاء على هذا المستوى الرفيع في المناصب القيادية السياسية والعسكرية، والتغلغل في صفوف القبائل البدوية، لم يكن ليتم في غضون أيام قليلة ولا بد أن يكون قد طبخ منذ سنوات على نار هادئة حتى أتى أكله احتلالاً عسكرياً وسياسياً واقتصادياً استمر قرابة نصف قرن ونيف.

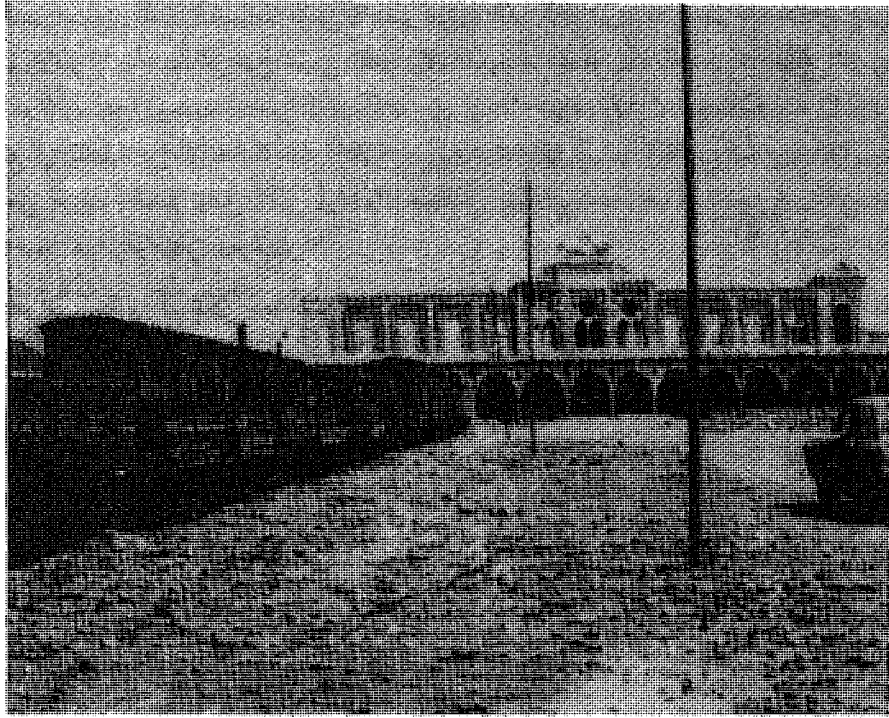
(١) قد يكون عبدالحميد سيئاً في بعض تصرفاته سواء أكانت شخصية أم سياسية، كسعيه لاعادة نفوذ الدولة على ولاية مصر التي حاول محمد علي وخلفاؤه والاستقلال بها ولكنه دون شك لم يكن انساناً غير عادي، ومعنى آخر، أن أي حاكم آخر يجلس في موضعه، ويعاني من طغيان الظروف وسر الأحداث ما عاناه، لم يكن أمامه أن يتصرف بأفضل مما تصرف به عبدالحميد الثاني، لا سيما في ظل الضعف العام الذي كانت عليه الدولة العثمانية حينما استلمها. والذين تناولوا سيرة عبدالحميد من قبل، أو أغلبهم على الأقل انما كتبوا عنه مدفوعين بعدة عوامل، ولم تكن الحماسة والاثارة والاهواء بعيدة عن أحكامهم رغم أن القرن التاسع عشر وقرننا هذا شهد أزهى العصور التي عرفها العالم في كتابة التاريخ، سواء بالنسبة لكثرة اعداد المؤرخين أو لتطور طرائق البحث التاريخي، ووفرة المصادر التاريخية.

(٢) يذكر جيسي لويس الباحث في معهد الادارة الاميركي ومراسل «الواشنطن بوست» سابقاً في دراسة له حول «التوازن الاستراتيجي في البحر الابيض المتوسط» أن أهم ما يميز هذا البحر الصغير الحجم كونه مغلقاً وسواحله غير منتظمة ولا يربطه بالبحار والمحيطات الأخرى سوى مضيقين ضيقين هما: جبل طارق الذي يربطه بالاطلسي والدردنيل الذي يربطه بالبحر الأسود، اضافة الى قناة السويس التي ربطته بالبحر الأحمر، وهو ينقسم الى حوضين غربي وشرقي ولكي تعبر البواخر من الحوض الغربي الى الحوض الشرقي عليها أن تمر بمضيق ماسينا قرب صقلية مما يقلل من نسبة المرونة بالنسبة للسفن والغواصات كما أن اختلاف طبقات الحرارة فيه تسمح للغواصات بالافلات من الرادار الصوتي أدى لانتشار الغواصات النووية وهو مثير انتباه متزايد كمصدر للطاقة والحامات كما أنه يتميز على المحيط الاطلسي بقرب مسافته. وهي ميزة استراتيجية هامة مما حدا بالولايات المتحدة الاميركية وروسيا حديثاً الى الصراع للسيطرة عليه بعد أفول نجم الاساطيل الانكليزية والفرنسية.

الفصل الخامس

شعار الجامعة الإسلامية

وسياسة الربط بالخطوط الحديدية.



مبنى محطة سكة حديد الحجاز بدمشق ما زال قائماً رغم تخريب لورنس للخط وعدم اصلاحه حتى الآن!

كان عبد الحميد يرى أن الاسلام هو الروح التي تسري في جسم البشرية فتحييها وتغزو القلوب فتفتحها ويعتقد أن (القوة الوحيدة التي ستجعلنا واقفين على أقدامنا هي الاسلام، ولسنا كما قال فؤاد باشا أمة تنازع بل اننا أمة قوية بشرط أن نكون مخلصين لهذا الدين العظيم) وكان يوقن بأن بلادنا كانت وستبقى قلعة الايمان وحصناً حصيناً لهذا الدين فاذا زال المفهوم الديني عن الدولة العثمانية فقد دالت دولتنا وانه لمن دواعي الأسف وقوع بعض الشعوب الاسلامية تحت نير الاستعمار للدول الكبرى ولم يبق داخل الدولة العثمانية سوى عشرين مليوناً من المسلمين ومع هذا فقلوب المسلمين جميعاً مرتبطة باستانبول وقد نجح أعداؤنا في التغلب على قوانا المادية لكن قوانا المعنوية ستبقى صامدة.

ويقول: (ان حملات الصليبيين الموجهة ضد الدولة العثمانية لم تتوقف قط ولا يزال جلاستون العجوز يسير على خطى البابا في هذا السبيل).

وكنموذج لهذه السياسة الاسلامية التي رسمها السلطان عبد الحميد والتي سعى فيها بصورة عملية الى تعبئة جميع القوى الاسلامية، لمواجهة الاعداء، اذكر هذه الطرفة الصحفية التي رواها بصورة عفوية جميل عارف في مجلة «آخر ساعة» عام ١٩٦٤م خلال تحقيق صحفي كتبه عن زيارة له الى ساحل الذهب بافريقيا، قال:

ان جماعات الهوسى في منطقة خماسي بساحل الذهب (غانا) نادوا لبناء مسجد في مدينة خماسي بتبرعاتهم الشخصية، يتسع لأربعة آلاف مصلٍ. وكان ذلك أيام السلطان عبد الحميد الثاني، حيث واجهتهم مشكلة عدم وجود كتب دينية او مصاحف، فأرسلوا للسلطان في استانبول بوصفه خليفة لجميع المسلمين في العالم يناشدونه معونتهم وارشادهم، وحينما وصلت رسالتهم لعبد الحميد سارع الى دعوة شيخ الاسلام والمختصين بشئون افريقيا واستعرض معهم الخريطة للتعرف على موقع ساحل الذهب وتحديد موقع غانا ولم يمنعه كونها خارج اطار دولته العثمانية من تقديم المساعدات المطلوبة، فقد أرسل شيخ الاسلام في استانبول نماذج لخطب الجمعة ومعلومات عن العقيدة الاسلامية والعبادات والشعائر الدينية، ولم ينس شيخ الاسلام أن يشطب من الدعاء في نهاية كل خطبة اسم السلطان عبد الحميد الثاني، ووضع نقطة حراء كتب فوقها (فلان بن فلان) بحيث لا تفوت على نباهة الخطيب الغاني ويستبدلها باسم ملك غانا آنئذ.

وقد سأل السلطان عبد الحميد عن اسم ملك غانا وكان (زنكو زنكو) فوجه اليه دعوة رسمية لزيارة استانبول واستقبله بما يستحقه من إجلال وتكريم باعتباره راعياً لمصالح المسلمين في جزء من قارة افريقيا.

والطريف أن جميل عارف الذي زار غانا عام ١٩٦٤ فوجيء خلال أدائه لصلاة الجمعة بأن خطيب مسجد خماسي يدعو بالنصر للسلطان (فلان بن فلان) وعندما استوضح الخطيب الأمر أطلعه على نص الخطبة الواردة من استانبول فاكتشف الخطأ وصححه بوضع اسم الملك (زنكو) حفيد الملك الراحل (زنكو).

وحينما نشرت هذه القصة عبر التحقيق الصحفي بآخر ساعة لفتت نظر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فأوعز لشيخ الأزهر للاهتمام بافريقيا وترتيب زيارات لعلماء الأزهر كما أنشئت بعدها اذاعة القرآن الكريم.

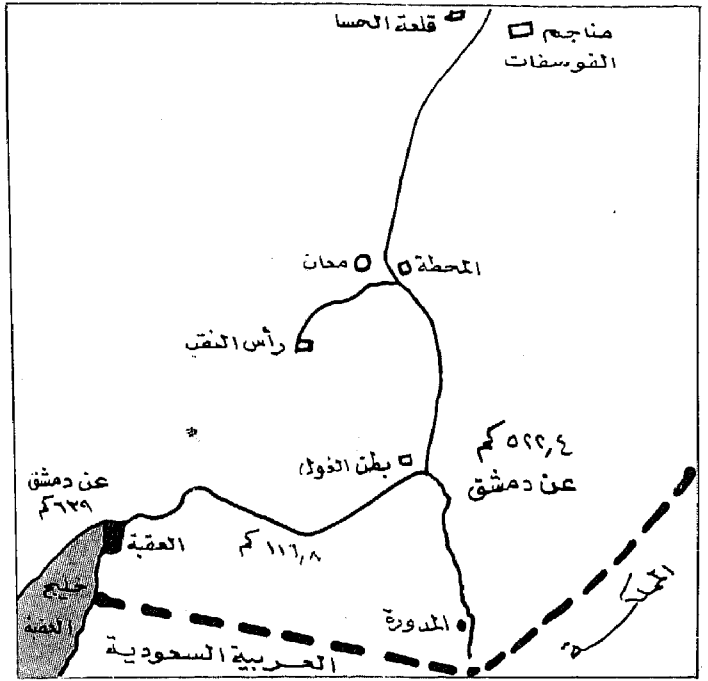
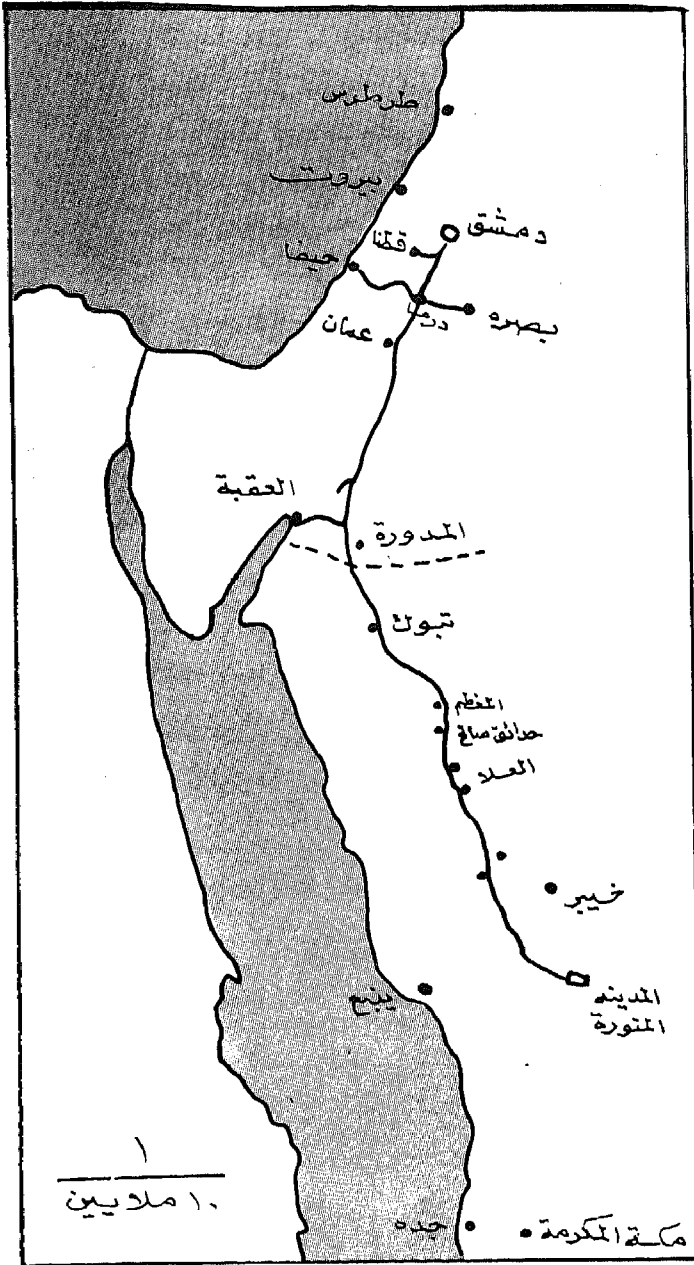
ويقول جميل عارف ان علماء غانا أخبروه أن السلطان عبد الحميد خصص لمسجدهم معونات سنوية انقطعت بسقوط الخلافة العثمانية.

والقصة على طرافتها وبساطتها مؤثر على الإهتمام الذي كان يوليه السلطان عبد الحميد لمختلف الشعوب الاسلامية في شتى أنحاء العالم في شعار دعوته للـ«الجامعة الاسلامية».

وكان الوطن العربي قد شهد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين قيام فكرتين سارتا في خطين متوازيين وكانتا رد فعل ضد الاستعمار وازدياد السيطرة الأجنبية احداها فكرة الجامعة الاسلامية والأخرى فكرة القومية والوحدة العربية.

فقد أضحى العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر هدفا للأطماع الاستعمارية الأوروبية السافرة حيث فتح الفرنسيون الجزائر وأخذوا يدبرون خططهم التوسعية شرقا وغربا حتى غدوا أصحاب السيطرة على الجزء الأكبر من المغرب العربي. واستولت روسيا على القوقاز والامارات الاسلامية وسط آسيا بينما قويت قبضة الاستعمار البريطاني على الهند ودعم سيطرته على اراضي الخليج والجنوب العربي وراحت انجلترا تتحين الفرصة حتى تم لها احتلال مصر والسودان كما بسطت هولندا سيطرتها على اندونيسيا وبدا للعالم الاسلامي ان موجة الاستعمار تسعى الى الاطباق عليه من كل جانب وان الاسلام يحيق به خطر كبير مما حدا بقيادة المسلمين الى التفكير في أحوال المسلمين والبحث عن سر تأخيرهم فاهتدوا الى ضرورة الدعوة الى الاصلاح والحكم الشورى وجمع كلمة المسلمين في جميع أنحاء الأرض للعمل في تكاتف وتساند لصدى تيار الغرب الزاحف عليهم من ثم استيقظت فكرة إحياء الوحدة الاسلامية الكبرى لتوحيد الجهود لمكافحة الاستعمار ونشأت فكرة الجامعة الاسلامية — وهي تقوم على دعوة المسلمين الى الاتحاد والتعاون فيما بينهم لاصلاح أحوالهم والتكثف لمواجهة موجات الاستعمار الأوروبي.

وقد دعت الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بالدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد لأن يتزعم دعوته الجديدة فقد اعتلى عرش السلطنة في وقت كانت الدولة العثمانية في أشد حالات الارتباك في الداخل والخارج.



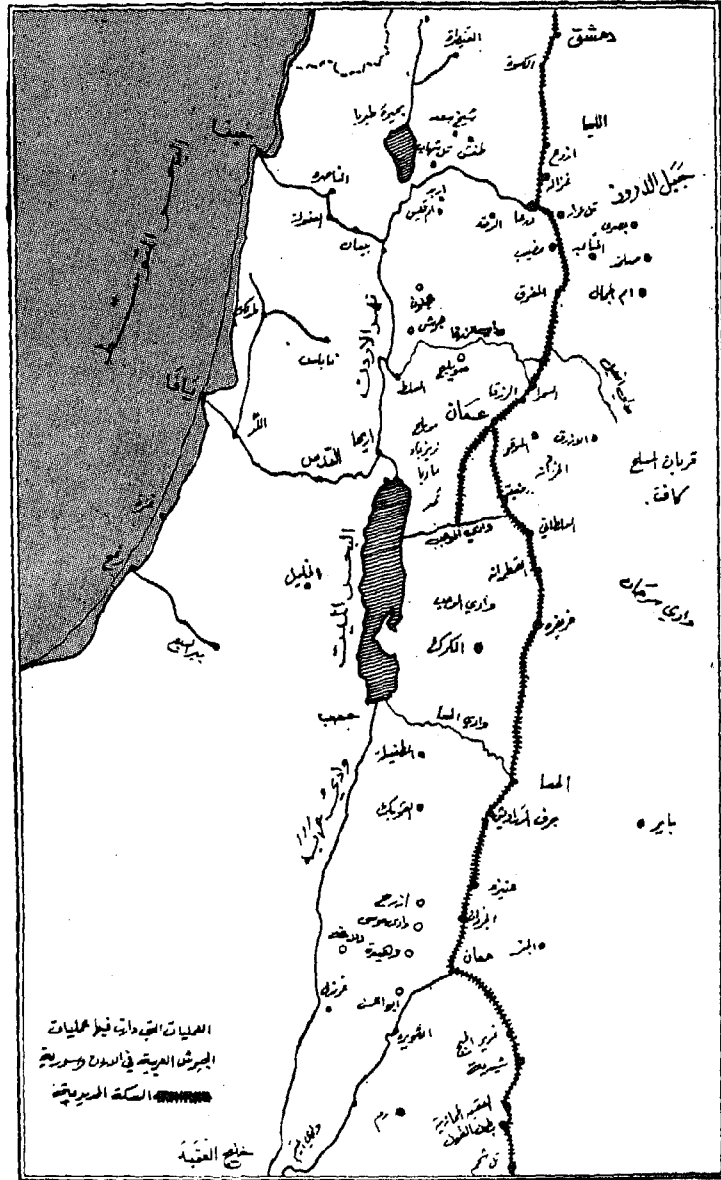
الجزء الأردني من الخط الحديدي الحجازي
الذي جرت تقويته وتحديثه في العقبة

الخط الحديدي الحجازي وفروعه

كانت روح التذمر والتمرد سائدة بين الطبقة المتعلمة من الأتراك والعرب واحتضن السلطان عبد الحميد عدة صحف ومجلات تنشر له الدعاية وتوجه الرأي العام نحو سياسته الإسلامية إذ رأى أن يقوي مركزه عن طريق تشجيع فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها بعض المفكرين .

وانجبه الى إحياء الخلافة الإسلامية حتى يلتف المسلمون في جميع أنحاء العالم حوله بصرف النظر عن اجناسهم وقومياتهم وليعتبره زعيم الاسلام وحامي المسلمين ضد الدول الأوروبية الزاحفة عليهم . لذلك أخذ يستصرخ الأمم الإسلامية في كل رقعة من رقاع العالم للالتفاف حول الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة التي تجاهد في الذود عن الاسلام .

ولكي تنجح دعوته ، أخذ يقرب اليه عدداً من الشخصيات الإسلامية البارزة من علماء وزعماء كشيخ الاسلام أبي الهدى الصيادي والسيد جمال الدين الافغاني وغيرها وأصبحت الأستانة مقصداً لزعماء المسلمين يجاهدون في بلادهم



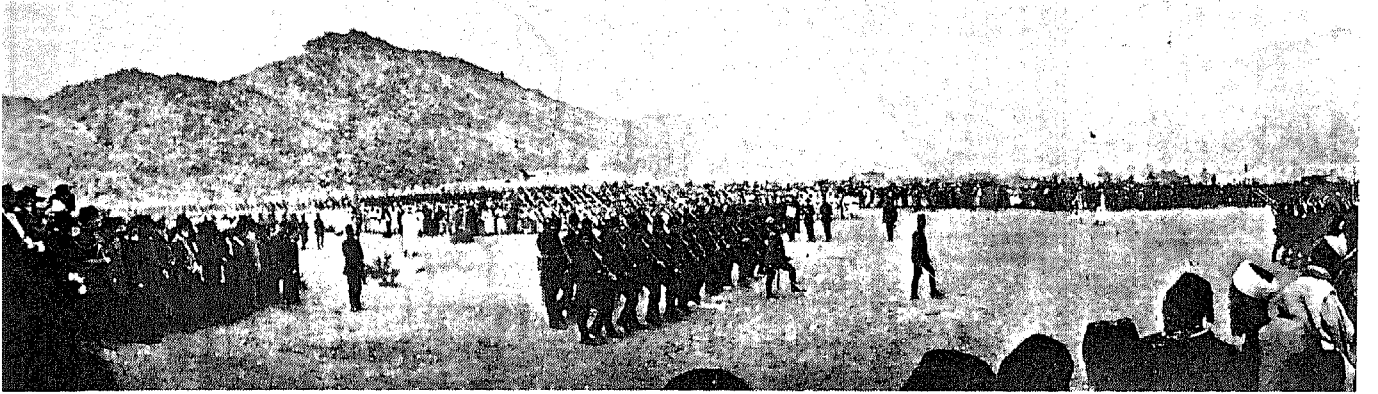
خريطة سكة حديد الخط الحجازي (من دمشق إلى المدينة المنورة)

ضد الاستعمار الأوربي . ولم يكتف السلطان بهذا بل أخذ يرسل دعائه الى جميع الاقطار الاسلامية وخاصة تلك التي وقعت تحت الاحتلال الأوربي والتي تهددها الاطماع الأوربية كمصر والسودان والمغرب والهند وأفغانستان والملايو وغيرها من البلاد الاسلامية وذلك لبث الدعوة للجامعة الاسلامية في أوسع نطاق ونشر رسالة الأمل المحقق في النجاة على يد الخلافة العثمانية من الاستعمار الأوربي .

ولاقت الدعوة الاسلامية نجاحاً كبيراً وعلى الأخص بين الشعوب التي خضعت للحكم الأوربي ، أو كانت مهددة به اذ رأى بعض زعماء الشعوب المحتلة ان يستغلوا فكرة الجامعة الاسلامية للاستعانة بالسلطان الذي هو أمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين في سبيل التخلص من العدوان الأوربي حتى أن الزعيم المصري الشاب مصطفى كامل تأثر بهذه الدعوة في مستهل جهاده وكتب يقول :



«المحمل المصري» تقليد إسلامي لكسوة الكعبة في موسم الحج وسط موكب عسكري



«اننا نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شيء نريد أن نرى أمة شرقية تصدر منها الأنوار الى كل أمة شرقية لأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الظاهرة المقدسة فمملكة الخلافة الاسلامية هي في الحقيقة مملكتنا وقلبتنا التي اليها نلجأ ونحوها نتجه» .

والواقع ان فكرة الجامعة الاسلامية كان لها صدى بعيد في العالم الاسلامي لعدة أسباب منها :

أولاً : كانت الدول الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتنافس على الاستعمار في الشرق وحدثت سلسلة اعتداءات على الشعوب الاسلامية فاحتلت فرنسا تونس (١٨٨١) واحتلت انجلترا مصر (١٨٨٢) وتدخلت فرنسا في شئون مراكش حتى استطاعت ان تعلن عليها الحماية (١٩١٢) مقسمة أرضها مع اسبانيا وكذلك توغل الاستعمار الأوربي في بلاد افريقية اسلامية كالسودان ونيجيريا وزنجبار وغيرها .

ثانياً : كذلك ساعد على انتشار دعوة الجامعة الاسلامية أن العالم الاسلامي أصبح في ذلك الوقت أكثر اتصالاً ببعضه ببعض بسبب تقدم وسائل النقل وانتشار الصحافة في مصر وتركيا والجزائر والهند وفارس وأواسط آسيا وجاوة (اندونيسيا) وكانت الصحف تعالج موضوع الاستعمار وأطماع الدول الأوروبية في العالم الاسلامي وتنشر أنباء الاعتداءات المتكررة فتهيج لها النفوس .

ثالثاً : كانت جهود العلماء ودعواتهم في وجوب إحياء مجد الاسلام قد انتشرت في ربوع العالم الاسلامي وازداد الشعور بان العدوان ، الغربي بغير انقطاع على الشعوب الاسلامية سوف يزيدها ارتباطاً وتماسكاً وبان الوقت قد حان لاقامة جامعة اسلامية تجعل هذه الشعوب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

رابعاً : وهناك أسباب اقتصادية هامة جعلت فكرة الجامعة الاسلامية أقرب الى قلوب المسلمين وهي أن الغزو السياسي الأوربي للعالم الاسلامي كان يسبقه ثم يسير معه التحكم الاقتصادي فتدفقت على هذا العالم رؤوس الأموال الأجنبية في صور شتى منها القروض التي تمنح للامراء والحكام والامتيازات التي يحصل عليها هؤلاء

الأجانب حتى كبلت معظم الأمم الإسلامية بالديون ومن ثم استطاع الاستعمار ان يمهّد لاستقرار سيطرته السياسية وقد استيقظت معظم الشعوب الإسلامية بعد ان هالها ما رآته من استنزاف خيراتها الطبيعية وحلهم التزاحم الغربي الاقتصادي في بلادهم على الدعوة الى التضامن وقام فريق يطالب بالجامعة الإسلامية الاقتصادية لتكون ثروة المسلمين للمسلمين وليست للاوربيين الدخلاء .

وهكذا نجح السلطان عبد الحميد في اذكاء شعور المسلمين للتمسك والسعي للتضامن والتكتل والالتفاف حوله بصفته خليفة للمسلمين وخادماً للحرمين الشريفين وحامياً لحمل الدين ليبلغ من وراء ذلك إلى هدفين: تثبيت دولة الخلافة في الداخل ضد الحركات الدستورية التي كانت تدعو إلى تقييد سلطانه، كما يصبح في الخارج رأس الحركة الإسلامية وزعيم المسلمين الخاضعين للدول الأوربية كروسيا وبريطانيا وفرنسا. بذلك يستطيع أن يجابه تلك الدول ويهددها باثارة المسلمين وإعلانه الجهاد عليها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

واهتم السلطان عبد الحميد إهتماماً خاصاً بالبلاد العربية وهي قلب العالم الإسلامي فأرسل إليها رسله للدعوة له بين العرب ومحاولة إقناعهم بأن الخلافة هي أملهم الوحيد في النجاة من الغرب وأن الجامعة الإسلامية هي سبيل العرب لاستيراد ما كان لهم من مجد خالد وعز تليد.

وعمل السلطان على كسب الشعب العربي عن طريق الاهتمام بكل مؤسساته الدينية والعلمية والتبرع لها بالأموال والمنح ورصد المبالغ الطائلة لاصلاح الحرمين وترميم المساجد وزخرفتها وأخذ السلطان يستميل العرب إليه بكل الوسائل فكون له من العرب حرساً خاصاً وعين بعض الموالين له منهم في وظائف كبرى ومنهم «عزت باشا العابد» (١) — من أهل الشام — الذي نجح في أن ينال أكبر حظوة عند السلطان عبد الحميد وأصبح مستشاره في الشؤون العربية. وقد لعب دوراً هاماً في مشروع سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة وهو بهذا المشروع الذي اعتبره السلطان عبد الحميد وسيلة من الوسائل التي أدت لأعلاء شأن الخلافة ونشر فكرة الجامعة الإسلامية.

وأبدى السلطان عبد الحميد اهتماماً بالغاً بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية مستهدفاً من ورائها تحقيق ثلاثة أغراض هي:

- (١) ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها.
- (٢) اجبار تلك الولايات على الاندماج في الدولة والخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.
- (٣) تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أية جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان لأن مد الخطوط الحديدية يساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية وإيصالها إلى تلك الجبهات.

وكانت سكة حديد الحجاز من أهم الخطوط الحديدية التي أنشئت في عهد عبد الحميد ففي سنة ١٩٠٠ بدىء بتشديد خط حديدي من دمشق إلى المدينة للاستعاضة به عن طريق القوافل الذي كان يستغرق من المسافرين حوالي أربعين يوماً، وطريق البحر الذي كان يستغرق حوالي اثني عشر يوماً من ساحل الشام إلى الحجاز، وقد أشرف على إقامة هذا الخط مهندسون من الألمان وكان يستغرق من المسافرين أربعة أو خمسة أيام على الأكثر ولم يكن الغرض من إنشاء هذا الخط مجرد خدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل وصولهم إلى مكة والمدينة وإنما كان السلطان عبد الحميد يرمي من ورائه أيضاً إلى أهداف سياسية وعسكرية فمن الناحية السياسية خلق المشروع في أنحاء العالم الإسلامي حاسة دينية كبيرة إذ نشر السلطان على المسلمين في كافة أنحاء الأرض بياناً يناشدهم فيه المساهمة بالتبرع لإنشاء هذا الخط وافتتح القائمة بالتبرع بمبلغ كبير وأصدر قراراً بخضم عشرة في المائة من مرتبات موظفي الدولة لصالح المشروع وقام دعائه ينشرون بين الناس مبلغ الحرص من الخليفة على خدمة الحرمين وتسهيل الحج لكل من استطاع إليه سبيلاً. وقد غطت

التبرعات التي جمعت من العالم الاسلامي ما يزيد على ثلث النفقات واكتسب عبدالحميد عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم.

أما من الناحية العسكرية فقد كان المقصود من انشاء هذا الخط أن يسهل نقل القوات والامدادات إلى الجزيرة العربية وخاصة الحجاز واليمن لأن صعوبة المواصلات كانت عاملاً من العوامل التي أضعفت خضوع هذه الولايات العربية للدولة.

وفي أغسطس سنة ١٩٠٨ وصل الخط الحديدي إلى المدينة المنورة وكان مفروضاً أن يتم مده بعد ذلك إلى مكة لكن حدث أن توقف العمل فيه لأن شريف مكة — وهو الحسين بن علي — خشي على سلطاته في الحجاز من بطش الدولة فنهض لعرقلة مد المشروع من المدينة إلى مكة وكانت مقر إمارته وقوته. فبقيت نهاية الخط عند المدينة حتى إذا قامت الحرب الكبرى الأولى عمل الانكليز بالتحالف مع القوات العربية التي انضمت إليهم بقيادة فيصل بن الحسين بن علي على تخريب سكة حديد الحجاز ولا تزال هذه السكة معطلة حتى اليوم والمأمول أن تبذل الجهود لاصلاحها حتى تعود إلى العمل في تيسير سفر حجاج بيت الله الحرام.

وقد وصف السفير البريطاني في القسطنطينية في تقريره السنوي (١) العام ١٩٠٧م أهمية الخط الحجازي فقال: (إن بين حوادث السنوات العشر الأخيرة عناصر بارزة في الموقف السياسي العام، أهمها خطة السلطان الماهرة التي استطاع أن يظهر بها أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة الذي هو الرئيس الروحي للمسلمين، وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الديني وغيته الدينية، ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة). فلا غرو إذا ما لمسنا حق الانكليز على ذلك الخط الحديدي وافتعالهم الأزمات لإعاقته، وانتهازهم أول فرصة لتعطيله ونسفه. لقطع الطريق على القوات العثمانية. (٢)

وكان أول قطار قد وصل إلى محطة سكة الحديد في المدينة المنورة من دمشق الشام يوم ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٠٨م وكان بمثابة تحقيق حلم من الاحلام بالنسبة لمئات الملايين من المسلمين في أنحاء العالم كافة.

فقد اختصر القطار في رحلته التي استغرقت ثلاثة أيام وقطع فيها ٨١٤ ميلاً مشقات رحلة كانت تستغرق في السابق أكثر من خمسة أسابيع كما خففت في ذلك اليوم التاريخي قلوب أولئك الذين كانوا يتطلعون إلى القيام بأداء فريضة الحج المقدسة.

ذلك الحلم الكبير كان وراء تحقيقه رجلاً أولهما: السلطان عبدالحميد الثاني وثانيهما: عزت باشا العابد (الدمشقي) الذي كان السكرتير الثاني للسلطان ومن أقرب المقربين إليه. وقد لا نكون ابتعدنا كثيراً عن الحقيقة إذا أضفنا إلى هذين الأسمين إسم الشيخ أبو الهدى الصيادي (الحلبي) مستشار السلطان وموضع ثقته وصداقته.

كانت سياسة عبدالحميد اسلامية محضة، فأراد أن يجمع قلوب المسلمين حوالبه باعتباره الزعيم الروحي لهم جميعاً فلم يجد وسيلة أفضل من القيام بهذا المشروع الكبير.

قام المهندس التركي مختار بك أولاً بعملية مسح للمنطقة حتى يسير فيها الخط، فعقد عزمه على أن يسير على الطريق القديم التي كانت مواكب الحجاج تسير عليها منذ مئات السنين خاصة وأنها تمر بمواضع تتوافر فيها المياه.

وجه الخليفة نداء إلى العالم الاسلامي يدعو المسلمين إلى التبرع بأموالهم لهذا المشروع الجليل فانهاالت التبرعات من جميع الأقطار حتى البعيدة كالصين وبورما وجاءت أضخم التبرعات من ثلاث جهات:

١ — السلطان نفسه الذي افتتح الاكتتاب بـ ٣٢٠ ألف ليرة ذهب.

٢ — شاه ايران الذي تبرع بـ ٥٠ ألف ليرة ذهبية.

٣ — خديوي مصر.

وقد تألفت في سائر الأقطار الاسلامية جمعيات لجمع التبرعات التي ظلت تتوالى طيلة ثماني سنوات .
وقد نقلت الحكومة مخصصات دائرة الحج الى ميزانية الخط وقدرت بـ ١٥٠ الف ليرة سنويا . وخصصت مبلغ ٦٠ ألف ليرة الذي كانت توزعه على شيوخ القبائل سنويا .

وقد قدرت تكاليف انشاء الخط الحجازي بثلاثة ملايين ونصف مليون ليرة عثمانية مبدئيا ثم تبين أن التكاليف الفعلية أكبر فاصدرت طوابع باسم الخط لالصاقها على المعاملات وفرضت ضريبة المسققات (ضريبة خمسة قروش على كل ذكر وأصدرت شارات وأوسمة خاصة تمنح للمتبرعين وجعلت الألقاب موردا للمشروع وفرضت على الموظفين التبرع براتب شهر واحد .

وبلغ مجموع النفقات عند الانتهاء ثمانية ملايين ونصف مليون ليرة عثمانية وقد منحت الحكومة ادارة الخط امتيازات وسجلت باسمه أراض وممتلكات في مختلف أنحاء البلاد لتسديد نفقات صيانته بعد أن تبين أن وارداته لن تكفي .

وقد نشبت الأزمة بشأن الخط الحجازي بين الدولة العثمانية والحكومة الانكليزية متمثلة في سلطة معتمدها في مصر اللورد كرومر حول قضية طابا ذلك أن الدولة العثمانية حينما اقترب بناء الخط من نقطة تحاذي خليج العقبة عام ١٩٠٦ وقد رسم بحيث يتفرع من الخط الرئيسي خط فرعي يمتد من معان حتى الخليج المذكور، كي يستقبل حجاج مصر وشمال أفريقيا والمغرب العربي، وقد حرصت على فرض رقابة شديدة حول هذه المنطقة باحتلال موقع طابا في رأس الخليج كي تأمن غائلة خطر انكليزي مصري محتمل في المستقبل على الخط، لأن الدولة العثمانية لا تريد أن تكون سواحل الميناء في يد ادارتين مختلفتين مصرية وعثمانية.

الحقيقة أن السلطان العثماني أراد بهذه الحركة أن يبعد الخطر الانكليزي عن الخط الحجازي بفرض تعديل على الحدود المصرية - العثمانية في شبه جزيرة سيناء بحيث يكون خط الحدود الجديد هو الذي يمتد من العريش الى السويس بدلا من رفع الى العقبة على أن يترك لمصر القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء اعتبارا من خط يمتد من جنوب طابا الى جنوب السويس، وبناء على ذلك نقلت الحكومة العثمانية عمودي الحدود من رفع الى العريش نحو الغرب بحيث تكون المساحة التي تلحقها الدولة العثمانية من شبه جزيرة سيناء عبارة عن مثلث ضلعاه خط رفع - العقبة - العريش - السويس، وقاعدته خط طابا - السويس، وقد ادعت حكومة الاستانة ان شبه جزيرة سيناء برمتها تابعة للأراضي الحجازية مباشرة وان تركها للحكومة المصرية لم يكن الا لضرورة حراسة محمل الحج الذي كان يذهب من مصر بطريق سيناء والعقبة ومدائن صالح فلما أصبح المحمل المصري يسلك الطريق البحري من السويس ولم يبق لطريق البر أهمية لذلك رأت الدولة أن تربط ادارته بولاية الحجاز. (١)

لم يكد السلطان العثماني يحرك ساكنا في مسألة طابا حتى رأت الحكومة الانكليزية أن أصابع الألمان الخفية هي التي تحركه أيضا وأنها تهدف من ذلك الى الضغط على الدول التي اقحمت نفسها في قضية مراكش وهي انكلترا وفرنسا واسبانيا كي تعزز موقفها من هذه المسألة ويكون لها نصيب في الرأي عندما توضع أية تسوية لها (٢). كما رأت الحكومة الانكليزية في أزمة طابا صدى من حوادث الكويت بين السلطان عبد الحميد والمانيا وانكلترا. وان الصلة بين الحادثين وثيقة من حيث كونهما من نتائج التغلغل الألماني في المنطقة بينما لم تعر الحكومة الألمانية مسألة طابا أي اهتمام بصورة رسمية. وكما حسمت أزمة الكويت بما يتفق ورغبات انكلترا حسمت بعدها أزمة طابا بمظاهرات

(١) احمد شفيق باشا - المصدر السابق ص ٨١ مذكراتي في نصف قرن ج ٢

(٢) يقول د. علي حسني الخربوطي في «الاسلام والخلافة» ص ٢٧٤ ان الشريف حسين أدرك الأهداف السياسية والعسكرية الدقيقة فبدأ بناهض المشروع حتى إذا قامت الحرب الأولى إتفق مع الانكليز على تخريب الخط الحديدي.

عسكرية حينما أرسل الانكليز الى مياه طابا بالمدرعة «ديانا» لمنع الجيش العثماني من التوغل في سيناء ومنع العثمانيين من احتلالها ولما تأزمت المسألة أكثر من ذلك أرسلت اسطولها الى بيرة للقيام بمظاهرة بحرية ورفعت الى الباب العالي انذارا تدعوه فيه الى اجابة مطالبها في عشرة أيام وهي :

(١) اخلاء طابا

(٢) عودة عساكر رفح الى حدودهم.

(٣) اعادة عمودي رفح الى مكانهما.

فلم يسع السلطان الا الرضوخ أيضا وسحب جنوده من طابا والعريش وأمر بالعودة الى الحدود القديمة.



إحدى محطات الخط الحجازي الذي أقيم لربط المدن الإسلامية بالديار المقدسة

ان مسألة مد سكة حديد الحجاز كان حدثا هاما بالنسبة للعرب والمسلمين، والدول الكبرى مما يدل على دهاء عبد الحميد في خلق هذه الفكرة ولكن هل نال رضى الجميع وقبولهم له ؟ الحق أن الصحف العربية رحبت به وحبرت المقالات الطوال في الاشادة بنفعة وبيان أهميته، وقد بذل عبد الحميد كل ما في وسعه لاختلاق الوسائل لتأمين تمويله، لأن المشروع قام على أكتاف الأموال العثمانية من تبرعات وخصم نسب معينة من رواتب الموظفين واحداث طواع جديدة باسمه ورجب به العرب، والمسلمون وتبرعوا له. الا أنه كان أيضا مصدرا للقلق بين عرب الجزيرة وخاصة عرب الحجاز الذين كانوا يخضعون للشريف حسين بمكة فقد عرفوا السر الكامن وراءها ورغبة السلطان في تشديد سيطرته على بلادهم. وكذا فان زهو عبد الحميد بنجاح المشروع وحركة الجامعة الاسلامية كان يظلمه خوفه الدائم من عرب الجزيرة لأن الخط الجديد كان ضربة قاضية على مصالح البدو القاطنين على طول امتداده اذ كان من شأنه أن يحرم أصحاب الأبل موردا من موارد رزقهم ويحول دون مساهمتهم في نقل الحجاج كما يمنع عنهم الاتاوات والهدايا التي كانوا يتلقونها سنويا لقاء تركهم قوافل الحجاج تمر بسلام الى الأراضي المقدسة. ولذلك ما ان اقتربت أعمال البناء في الخط من مشارف الحجاز حتى بدأ البدو من العرب بأعمال العنف والسطو على معداته، وقد هاجموا المشير كاظم باشا المدير العام للخط وهزموه بعد أن قتلوا مائة من رجال حرسه بحيث اضطرت الحكومة العثمانية إزاء هذه الاعمال الى اقامة أكثر من خمسة الاف جندي نظامي لحراسة منشآته في المكان الذي يصل اليه العمل ومع ذلك نفذ المشروع وانتهى العمل فيه عام ١٩٠٨ عندما تم ايصاله الى المدينة المنورة وكان قد بدىء فيه عام ١٩٠١.

أما أزمة الكويت فان انكثرا وقد خشيت من سيطرة الالمان على وادي الرافدين والخليج العربي ومن القضاء على نفوذها العريق في هذه المنطقة وخافت ان يفلت من يديها زمام طريق الهند بسبب مد الالمان لسكة حديد بغداد فبادرت الى عقد معاهدات مع شيخ ساحل الخليج العربي وخاصة مع أمير الكويت مبارك الصباح الذي كانت معاهدتها معه

في سنة ١٨٩٩ وقد تعهد فيها «بأن لا يؤجر أو يتنازل بأي صورة عن أي جزء من أراضيها لحكومة غير الحكومة البريطانية. (١)

وأما الذي هدفت اليه من هذه الخطوة فهو ان تقف مانعا دون وصول سكة حديد بغداد حتى الخليج العربي، وفي الحقيقة لما جاء «وستمرش» قنصل المانيا في الاستانة على رأس وفد في عام ١٩٠٠ الى الكويت وحاول شراء أرض في مينائها واستجار عشرين ميلا مربعا من الأرض حولها لاقامة محطة للسكة الحديد في رأس كاظمة أبي أمير الكويت استقباله ورفض طلبه تنفيذا للاتفاقية المعقودة (٢) بينه وبين الانجليز. لكن السلطان عبد الحميد ومن ورائه قوة الدفع الالمانية لم يغفر للأمير هذا السلوك فاعز الى والي بغداد بارسال قوة عسكرية عثمانية تحملها سفينة حربية الى ميناء الكويت لاحتلال المدينة (١٩٠١) غير أن الحكومة الانكليزية كانت لها بالمرصاد وسرعان ما ظهر طراد انكليزي ومنع انزال الجنود العثمانيين منها كما تدخل الانكليز ثانية عندما حاول السلطان دعوة أمير الكويت إلى استانبول لاحتجازه فيها ومنعوا تنفيذ هذا الأمر فما كان من السلطان إلا أن أمر أمير حائل بمهاجمة مدينة الكويت، ولما ظهر لالمانيا وللسلطان صعوبة اخضاع أمير الكويت لرغبتها وجعل مدينته منتهى الخط الحديدي حورتا المخطط فجعلت نهاية الخط في رأس هور عبدالله، لكن الشيخ مبارك الصباح أعلن ملكيته على جميع الأراضي الواقعة شمال الكويت الى أبعد من هور عبدالله بعشرين ميلا (٣) بما فيها كاظمة وفيلكة وجزيرة بويان فسارع السلطان الى ارسال طابور من الجند اقام هناك نقطة عسكرية فلم يسع الانكليز الا الاحتجاج وأرسلوا قطعاً من اسطولهم الى الخليج وبدأوا يسلحون الأمير مبارك الصباح الذي أخذ يستعد للحرب، فاضطر السلطان الى الرضوخ في هذه المرة واعترف بتبعية كاظمة وفيلكة وبويان للأمير الكويت (٤).

كانت دولة انكلترا وفرنسا متفتحتين على مناهضة مشروع سكة حديد بغداد لانه يهدد مصالحهما في الشرق على انه وان كان قد بدا من فرنسا بعض التساهل في بادئ الأمر الا انها عادت الى الاتفاق مع زميلتهما في محاربتة ولم يمنع هذا الاتفاق من أن يكون ثمة تناقض في أهداف كل من الدول الثلاث تجاه المشروع. فبينما كانت غاية انكلترا أن تؤمن لنفسها الحصول على امتياز مد وصلة الخط المذكور من بغداد الى الكويت، لم تكن فرنسا لتؤيد وجهة نظرها هذه التي لا تكفل في نظرها اتفاق الدول حول الموضوع وان الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالتوفيق بين حقوق ومصالح الجميع هي جعل الخط دولي الصفة، وقد عبرت فرنسا عن وجهة نظرها ونظر زميلتها روسيا في مذكرة أرسلها سفير فرنسا في الاستانة الى وزارة الخارجية الفرنسية قال فيها أنه ردا على سؤال من السلطان عن سبب رفض فرنسا المساهمة في تمويل سكة حديد بغداد أجاب أن فرنسا ترحب بالمشروع لكنه يستحيل عليها المساهمة فيه ما لم يصبح لها وضع مساو مساواة مطلقة لوضع غيرها فيه، وان فرنسا لا تتأخر عن المساهمة في مالية المشروع فيما اذا روعيت مصلحتها ومصلحة روسيا وانكلترا بحيث تنال كل منها حصة عادلة منه، وان الفرنسيين لا يستطيعون ان يفتروا عن الروس والانكليز ولا يمكن بناء خط بأموال الفرنسيين وغيرهم ويبقى تحت ادارة المان الصرفة ولا يظهر فيه الآخرون الا بدور ثانوي بل يجب ان تكون المساهمة في العمل والادارة والنفوذ على قدم المساواة بين الجميع.

بقيت المسألة معلقة طيلة عهد عبد الحميد والي أن استلم الاتحاديون الحكم بعد انقلاب ١٩٠٨ وكان الانكليز وحلفاؤهم يتحينون كل فرصة لاثارة مشكلة الخط وقد جاءت الفرصة المرتقبة عندما رأت الدولة العثمانية أن الافضل لها

- (١) يقول د. علي حسني الخربوطلي في كتابه (التاريخ الموحد للامة العربية) ص ٢٢٠ ان الخط ساعد على سريان الافكار التحررية وتوجيه الحركة العربية كما سهل أسباب الانتقال.
- (٢) عقدت الاتفاقية في ٢٣ يناير سنة ١٨٩٩م بين بريطانيا ممثلة بالكابتن مد وبين الكويت ممثلة بالشيخ مبارك الصباح وتم الغاؤها في ١٩ يونيو سنة ١٩٦١م في عهد المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح.
- (٣) كاظمة: موقع ساحلي شمالي الكويت جرت فيه معركة ذات السلاسل عام ١١هـ التي سجل فيها المسلمون أول انتصار لهم على الفرس بقيادة خالد بن الوليد.
- (٤) فيلكا جزيرة كويتية مأهولة، تضم مخلفات أثرية هيلينية وفارسية، كما وجدت بها آثار ترجع الى العصر البرونزي وفي حفريات حديثة كشف النقاب عن وجود آثار لقصر عباسي.



الحديوي عباس حلمي يتقدم استعراض الجيش المصري في موكب الحج السنوي

ان تسوي مشاكلها مع بريطانيا والدول العظمى، بعد تأزم مشاكلها في البلقان وخوفها على أوضاعها فبدأت المفاوضات بين العثمانيين والحكومة الانكليزية في مؤتمر لندن سنة ١٩١٢ وانتهت الى اتفاقية ٢٩ تموز (يولية) التي اعترفت فيها الدولة باستقلال الكويت الاداري وبالكف عن التدخل في شئونها بما في ذلك وراثه الامارة وعن كل عمل اداري كالاحتلال والاعمال العسكرية في جميع الأراضي العائدة للامارة كما تضمنت اعترافها بشرعية المعاهدة الانكليزية الكويتية المؤرخة ٢٣ كانون ثاني يناير ١٨٩٩ وتخلت عن كل مدعياتها في جزيرة قطر والبحرين اما فيما يتعلق بمد صلة سكة حديد بغداد - البصرة فقد جاء فيها ما يلي :

«وفي حالة اتفاق الدولة العثمانية مع حكومة صاحب الجلالة على تقديم خط حديد بغداد - البصرة حتى الكويت أو الى حد آخر ضمن المنطقة المستقلة تتفق الحكومتان على التدابير التي يجب اتخاذها فيما يختص بحماية هذا الخط والمحطات التي تقام عليه واقامة الدوائر الجمركية ومستودعات البضائع أو أية مؤسسات أخرى لها علاقة به غير أن هذه الاتفاقية لم توقع لاستمرار الخلاف حول تقديمه حسبما جاء في الفقرة السابقة واعيدت المفاوضات في أوائل عام ١٩١٤، وفي ٩ مارس ١٩١٤ وقعت الاتفاقية مع التعديل الاتي بالنسبة للخط الحديدي :

«تمنح إحدى الشركات الانكليزية امتياز الوصلة الممتدة ما بين البصرة حتى ميناء الكويت (١) كما عقدت انكلترا مع المانيا اتفاقية بتاريخ ١٥ يونية حزيران ١٩١٤ تعهدت انكلترا فيها بأن لا تتخذ أية محاولات تحول دون مد السكة الحديدية أو صيانتها أو مساهمة رؤوس الأموال مهما كان مصدرها في تمويلها وصرحت الحكومة في المادة الثانية من الاتفاقية بانها سوف تضمن قبول عضوين انكليزيين تعتمدهما الحكومة الانكليزية كممثلين لحملة الاسهم الانكليز في مجلس ادارة شركة السكة، كما اتفقت فرنسا و المانيا بموجب معاهدة عقدت بين الطرفين ١٥ فبراير ١٩١٤ على التقاء سكة حديد بغداد بسكة حديد شام - حماة، وتقديمها في حلب وامتدادها الى الأبيض المتوسط حتى الاسكندرونة بالنسبة لسكة حديد بغداد وحتى طرابلس الشام بالنسبة لسكة حديد شام - حماة وتقديماتها، لكن نشوب الحرب العالمية الاولى اوقفت تنفيذ جميع ما ورد في هذه الاتفاقيات.

وهكذا نجد ان السلطان عبد الحميد الثاني بشخصيته القوية وبدهائه الكبير خيب آمال المتآمرين الذين تخلصوا من عمه وعزلوا شقيقه لينصبوه خليفة صوريا ويطبقوا «المشروطية» بأسلوب يكفل لهم استغلال السلطة والنفوذ مستندين الى القوة الخارجية التي كانت تحتفي ورائهم، وبفضل شعار «الجامعة الاسلامية» الذي تبناه عبد الحميد أمكنه الصمود ثلاثة وثلاثين سنة محققا لشعوب الدولة العثمانية العديد من الانجازات الهامة التي ما زال بعضها ماثلاً للعيان.

وقد نجح في أن يحفظ توازن السفينة العثمانية وسط الموج الهادر المتلاطم في بحر السياسة الدولية حتى استسلم لخصومه ضنا باراقة المزيد من الدماء الذكية.

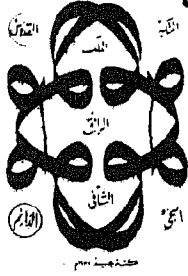
(١) صرح عبد الحميد في مذكراته السياسية ص ٦٧ برغبته في ربط هذا الخط بالخط الحجازي ليعود طريق أوروبا - الهند الى سابق نشاطه - قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح - وليوجد طريقاً تجارياً يخدم الاسكندرية وبيروت وحيفا ودمشق وبغداد والكويت وتمنى على الامان ان يحققوا هذا المشروع رغم أنف الانكليز والا تنجرف الدبلوماسية الالمانية تحت تأثير الانكليز.

البَابُ الثَّانِي

عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية بين التأييد والمعارضة

- الفصل الأول : منور الجامعة الإسلامية في اصفوية الإمامية الإيرانية .
- الفصل الثاني : مشروع الجامعة الإسلامية في عهد عبد الحميد .
- الفصل الثالث : فكرة الجامعة الإسلامية بعد سقوط عبد الحميد .

أشهر الطرق الصوفية



المحمدية الشاذلية
الفيضية الشاذلية
المدنية الشاذلية
الفاسية الشاذلية
الغرمية الشاذلية
الحامدية الشاذلية
الجوهريّة الشاذلية
الهاشمية المدنية الشاذلية

*

النقشبندية

*

الجيلانية

*

المرازقة الأحمدية
الكناسية الأحمدية
السلامية الأحمدية
الانبائية الأحمدية
الخلبية الأحمدية
التسقانية الأحمدية
الشعبية الأحمدية
الشناوية الأحمدية
السطوحية الأحمدية
الببومية الأحمدية
الفرغلية الأحمدية
الزاهدية الأحمدية
الحمودية الأحمدية



القادرية القاسمية
القادرية الفارضية
المولوية
التيجانية
الويطسية
السقيانية
الخليلية
السجادة البكرية
السجادة الوفائية
السجادة العنانية
الرحيمية القنانية
الغفرانية
الهرافية الحنفية
الدمرداشية
الشيكانية التغلبية
العفيفية الهاشمية

السدوقية

البكاشية

الاشراقية

النورسية

البرهانية
السعيدية الشرنوبية
الشرنوبية البرهانية
المجاهدية البرهانية
الشهاوية البرهانية

العروسية الشاذلية
القاسمية الشاذلية
الهندوشية الشاذلية
السلامية الشاذلية
القواقجية الشاذلية
الادريسية الشاذلية
العفيفية الشاذلية

*

السرفاعية

*

الكتانية الأحمدية

*

المرغنية الختمية
المغازية الخلوتية
السماتية الخلوتية
المردانية الخلوتية
الضييفية الخلوتية
المصلحية الخلوتية
المسلمية الخلوتية
الغيمية الخلوتية
العلوانية الخلوتية
البهوتية الخلوتية
الشبراوية الخلوتية
الجنيدية الخلوتية
الصيادية الخلوتية



الفصل الأول

هنر الجامعة الإسلامية

في الصوفية الإسلامية الإشرافية

تأثر السلطان عبد الحميد الثاني منذ نعومة أظفاره باستاذة الدمشقي محمود أبو الشامات (١) شيخ الطريقة الشاذلية، الذي استمر على محبته وتقديره حتى الرمق الأخير من حياته، وكان يجد الراحة النفسية في افصائه اليه بهوموه، وطلب نصيحته، وسؤاله دعواته الصالحات ورضائه.

وعلى العكس تماما من الصورة المربعة التي رسمها له خصومه (٢): صورة الحاكم المستبد، والشهواني الفاسق، والظالم الفاسد المتهتك، فقد عرف عن عبد الحميد حرصه على أداء الصلوات ومواظبته على أداء صلاة الجمعة في مسجد «يلدر» وسط احتفال عسكري تقليدي تشارك به فرق المشاة والفرسان والمدفعية والبحرية والهندسية والموسيقى العسكرية حتى أن الاستخبارات العسكرية الانكليزية استغلت هذا التقليد فرتبت له أكثر من محاولة لاغتياله والاطاحة به، خلال أدائه لصلاة الجمعة.

وقد أفاد عبد الحميد من نزعتة الصوفية — بدون شك فاستقطب «الدرأويش» وتقرّب الى العامة والبسطاء، كما أكرم العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، وقرب النابغين من رجالات هذه الفرق أمثال: أبو الهدى الصيادي الذي تبادل الرسائل مع محمد رشيد رضا صاحب المنار محاولا رده عن مهاجمة «الصوفية» (٣)، كما استقبل جمال الدين الأفغاني في استانبول.

وكان الهداء بين عبد الحميد والدعوة السلفية بسبب من ضراوتها في الهجوم على الطرق الصوفية، ولم يكن مستغربا أن يتصدى «الدرأويش» والعلماء والمتدينون لنصرتهم ومحاولة اعادته للخلافة حينما استهدفته مؤامرة الانكليز وتركيا الفتاة والدومة والماسونية والصهيونية.

والصوفية كما يعرفها حديثاً، شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر الشيخ محمد محمود السطوحى هي: (خلاصة العمل بالاسلام، العمل بالكتاب والسنة والجهاد ضد العدو وضد النفس).

كما يعرف الامام الغزالي التصوف بقوله: (هو علم الصديقين والمقربين). ويقول الامام الشعراني في طبقاته الكبرى: (ان علم التصوف عبارة عن علم انقذح في قلوب الأولياء حتى استثارت بالعمل بالكتاب والسنة، فالتصوف انما هو زبد عمل العبد).

وردد علماء الصوفية ان التصوف هو بغضك الدنيا حبا في الله او موتك في نفسك كي تحيا في الله، أو هو ألا تملك شيئاً، وألا يملك شيء، وهو باختصار: طريق الوصول الى الله تعالى).

(١) سبقت الإشارة الى رسالة السلطان عبد الحميد الثاني لاستاذة محمود أبو الشامات التي كشف فيها أن خلعهم عن الخلافة تم بتدبير من الدومة والماسونية والصهيونية بواسطة أنصارهم في «تركيا الفتاة» و«الاتحاد والترقي» انتقاما لثباته على موقفه في عدم التفريط بأي شبر من الاراضي الاسلامية.

(٢) جرجي زيدان — «الانقلاب العثماني» روايات الهلال.

(٣) شكيب ارسلان — «رشيد رضا».

ويرجع العلماء تاريخ التصوف الى أيام الرسول الكريم، الذي كان يجب أهل الصفة — فقراء الصحابة — ويعتبرهم في الصف الأول من الاتقياء. (١)

أما (الصوفية) فقد ظهرت في القرن الهجري الثاني، وكانت تعني اتباع السلف الصالح في أمور الدين والدنيا، ثم ظهرت الخوانق والزوايا أيام المماليك واقطعوا لها الهبات والعطايا الكثيرة.

وجاءت فترة اختلط فيها الحابل بالنابل وتسلسل البعض للارتفاع بمزايا الصوفية وامتيازاتها، مما أساء للصوفية وشوه فكرتها وأغراضها.

رغم محاربة علماء الصوفية لهذه الفئة فقد أثر عن السيد أحمد الرفاعي قوله: (من لم يكن له عمل لا يحضر مجلسي)، مذكرا بحديث رسول الله حينما أمسك بيد المهاجر الذي خشنت يده من الزراعة بالمدينة المنورة وقال صلى الله عليه وسلم: (هذه يد يحبها الله ورسوله).

الا أن البدع والضلالات تغلغلت في الصوفية حتى اتهمها البعض أنها سبب نقل الحشيش الى مصر وانتشار المخدرات فيها، بواسطة الصوفية الأجانب. كما وصل الفساد الى حد سير الموابك «الصوفية» عرايا في الطرقات لما استغرب منه الحاكم الفرنسي مينولاً وضاعهم كما يقول الجبرتي في تاريخه.

وغير ذلك من المظاهر والاحتفالات التي لم تكن تتعدى «موكب الرؤية» في منتصف شعبان وفي مطلع هلال رمضان، أو خلخال موالد الأولياء وما يمارسونه فيها من «كرامات».

وواكب ذلك انتشار أفكار «الحلاج» و«ابن عربي» و«الجيلي» وغيرهم ممن نقلوا التصوف من العمل الى المنطق والتنظير، بينما أغفلت دعوات: الجنيد والقشيري والسلمي والمكي والغزالي، الى اعتبار التصوف هو التقوى قولاً وعملاً وسيلة وغاية، فعلاً وأثراً.

وصارت الصوفية آنذاك مجازاً وكناية، وشاع استخدام ألفاظ (ليلي، والكأس، والخمرة) في الاشعار تعبيراً عن المشاعر، بحجة أنه نوع من تسريب الطبيعة المكبوتة.

واستمرت حال الصوفية على هذا النحو حتى عصر عبد الحميد الثاني، الذي نشأ في القصور ومن حواليه «المولوية» تحيي في المناسبات والاحتفالات الدينية فيما يشبه (الزار) لكن عبد الحميد وجد الى جانبه بعض العلماء الذين تعمقوا في دراسة وفهم الصوفية ورغبوا في اصلاحها من البدع والضلالات التي علقت بها، واتخاذها وسيلة لتوطيد دعائم الدولة العثمانية التي كانت آنذاك آيلة للسقوط والدمار.

وقد اعتنق عبد الحميد الطريقة الشاذلية (٢)، وحينما اعتلى عرش الخلافة أخذ أنصاره ينشطون في الدعوة الى «الصوفية الامامية» على اعتبار أن الخليفة ظل الله على الأرض، مما يوجب طاعته وطلب رضاه، وتعرف هذه الطريقة بـ «الصوفية الاشراقية». والى علي بن أبي طالب الذي رد على سؤال لأبي الحسن البصري حول صلاح الدين

(١) الشيخ محمد محمود السطوحى هو شيخ الطريقة السطوحية الاحمدية — نسبة الى سيدي احمد البدوي — التي تضم ١٥ طريقة صوفية وتعتبر مع الطريقة الشاذلية — نسبة الى السيد ابي الحسن الشاذلي — وبينهما ١٥ طريقة ايضاً، أكبر طريقتين صوفيتين في مصر، التي تضم نحو ٥ ملايين صوفي موزعين على ٦٨ طريقة حالياً بعد صدور قانون تنظيم الطرق الصوفية الذي شكل بموجبه مجلس أعلى للطرق الصوفية يضم ١٥ عضواً بينهم ١٠ من مشايخ الطرق يتم اختيارهم بالانتخاب المباشر وه ممثلين لوزارات: الاوقاف، الأزهر، الداخلية، الثقافة، والحكم المحلي.

(٢) مما يذكر أن أتباع الطريقة الشاذلية مازالوا منتشرين في مختلف أنحاء العالم وخلال وجود المؤلف في لندن عام ١٩٨٢م صادف إحتفالهم بتشكيل مجلس أعلى لإدارة شؤونهم، برئاسة الدكتور محمد شمس الدين القاسي — نسيب الأمير تركي بن عبدالعزيز آل سعود — كما أسندت الامانة العامة للأستاذ الدكتور زكي بدوي مستشار المركز الاسلامي بلندن، وأمين عام إتحاد المساجد الاسلامية في أوروبا، وقد ذكر في حينه أن عدد أتباع الطريقة الشاذلية في العالم اليوم يناهز الأربعين مليون مسلم. وقد نشرت جريدة «العرب» اللندنية صفحة كاملة تمثل إحتفالاً شعبياً جماهيرياً حاشداً أقيم في سيراانكا للدكتور القاسي بوصفه إماماً للطريقة الشاذلية وقد شارك في الإحتفال كبار الشخصيات الرسمية السيراانكية.

وفساده، فقال كرم الله وجهه: ان صلاحه الورع وفساده في الطمع.

كما يرى علماء الصوفية أن عموم الصحابة التابعين وتابعي التابعين رضوان الله عليهم هم طليعة الصوفية، لقوله صلى الله عليه وسلم: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فقد أقبلوا على الله زهدا وعبادة وجهادا، ولم يلقبوا بالصوفية لأن الصحبة والتبعية أركى وأشرف لهم.

والمتصوفة الاشراقيون، نحوا نحو الفلاسفة في النظرة الى النبوة والوحي ومحدثنا السهروردي عن النبوة كما يراها من خلال مذهب الفلسفي التصوفي الذي نرى فيه تأثراً بمبادئ القرامطة والاسماعيلية (١) فيعتقد شبه توازن بين الأولياء، أو الحكماء المتألهين، وبين الأنبياء فيجعل الاتصال بالعقل الفعال الذي هو مصدر المعرفة والوحي لا يتم لهذين الصنفين — على السواء — الا بعد تطهير النفس بالعبادات البدنية والتأملات الفكرية، ثم يتبدى الصنفان في السير في المراحل العقلية الى أن يصلوا الى مرحلة تقبل الفيض وأخذه عن العقل الفعال (٢)، فالأصل كما يقول به السهروردي يبدأ عند الطرفين عند نهاية التطهر والتجرد وينتهي عندهما معاً بالفيض وهو ما يقول به الفلاسفة في جانب العقل الفعال، ويقول به الاسماعيلية ايضا في جانب العقل الأول أو الامام.

وفي هذا هبوط بمنزلة الوحي فضلا عما فيه من التسوية بين الأنبياء وبين غيرهم من طالبي المعرفة، وهذه هي حقيقة المذهب السهروردي (٣) فالولاية عنده نبوة، ونتيجة لمذهب «الفيض» المستمر عنده، فالنبوة مستمرة والأنبياء لا يخلو منهم الزمان وهذه فكرة شيعية واسماعيلية في الأكثر وهي ان الامامة أزلية وباقية، وان حجة الله في أرضه لا يخلو منه الزمان.

وهو ما يسميه السهروردي بقوله: «لا تظن أن الحكمة في هذه المدة القريبة كانت لاغية، بل العائم ما خلا قط من الحكمة، وعن شخص قائم بها عنده الحجج والبيانات، وهو خليفة الله في أرضه، وهكذا يكون مادامت السموات والأرض (٤)».

وقد تكون هذه النظرية في الامامة، إلا انه يتدرج منها الى رأيه في النبوة، فخليفة الله في أرضه هو ذلك الشخص القائم بالحكمة والذي بها صار مؤيدا بالحجج والبيانات.

ويلاحظ أن الحكمة لم تسند في القرآن إلا الى الأنبياء عليهم السلام، وعلى أنها عطية من الله إختصهم بها

قال تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ

النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»
سورة النساء الآية ٤٤

- (١) يروي شكيب اربلان في كتابه عن «رشيد رضا» ما يعرف بـ«حادثة دمشق» حين اعترض الشيخ صالح الشريف التونسي على ما جاء في درس الشيخ رشيد رضا بالجامع الاموي يوم ٢٨ رمضان ١٣٢٦ هـ الموافق ٢٤ تشرين اول ١٩٠٨ م من (تعريض بالأولياء نفوذ منه رائحة الموهابية) مما أحدث ضجة فاعتقل والي الشام الشيخ التونسي، ثم اضطر تحت ضغط وتهديد جواهر دمشق الغاضبة ان يطلق سراحه، وان يركب بعربة الى جوار الشيخ صالح التونسي طافت بهما شوارع دمشق لتهدئة الخواطر وهذا بالطبع يكشف مدى نفوذ وتأثير الانحاء الدينية الذي كان يرعاه الخليفة عبد الحميد الثاني.
- (٢) ألف أبو الهدي الصيادي كتاباً باسمه سماه «كتاب الحكمة الشرعية في محاكم القادرية والرفاعية» وفيه بيان لحسبه ونسبه باعتباره من الاشراف كما تضمن عرضا لفكره الصوفي.
- (٣) القاضي النعمان محمد — «تأويل الدعائم» قاضي قضاة الميز — دار المعارف — القاهرة ص ٤٤.
- (٤) يعتبر أبو الحسن الشاذلي الذي تنسب اليه هذه الطريقة الواسعة الانتشار في مختلف انحاء العالم الاسلامي من أشهر أقطاب التصوف، بالإضافة الى عبد القادر الجيلاني، أحمد الرفاعي، احمد البدوي، ابراهيم الدسوقي.

ويخاطب الله بها عيسى بن مريم عليه السلام بقوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَعْمَىٰ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ» (سورة المائدة الآية ١١٠)

وكذلك يخاطب الله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (سورة النساء الآية ١١٣)

كما يقول تعالى في محكم تنزيله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (الجمعة الآية ٢)

وهكذا فإن «الحكمة» لم تأت إلا مراداً بها النبوة أو الوحي والتشريع (١).

فاستعمال السهروردي لها في أغلب الظن، ليس إلا بهذا المعنى وبهذا القصد وقد راعى هذا المعنى أيضاً في تفضيله لإمام علي آخر وذلك حيث يقول فإن اتفق في الوقت متوغل في تأله والبحث فله الرياسة، وإن لم يتفق فالمتوغل في التأله المتوسط في البحث «ثم» الحكيم المتوغل في التأله مع عديم البحث وهو خليفة الله (٢).

ثم يعبر عن فكرة استمرار الإمامة، أو النبوة فيقول: ولا تخلو الأرض عن متوغل في التأله أبداً، ثم يفصح عن مراده المتقدم بالحكمة وانها من شرط الإمامة فيقول (ولا رياسة في أرض الله الباحث المتوغل في البحث الذي توغل في التأله) وأخيراً يؤكد استمرار الإمامة، وانها لم تلق من الله فإن المتوغل في التأله لا يخلو العالم منه، إذ لا بد للخلافة من التلقي، لأن خليفة الله ووزيره لا بد له من أن يتلقى منه ما هو بصده.

ثم يعود ليوازن بين الحكمة وبين البحث أو بين العلم اللدني والعلم البحثي فهو يرى أن المتوغل في التأله فحسب، أحق من الباحث عديم التأله، وأن النوع الأول يمثله، أكثر الأنبياء، والأولياء من مشايخ التصوف (٣) فالخليفة هنا يتلقى من الله كما أن النبي يتلقى عن الله.. وكلاهما أيضاً متوغل في التأله قد أوتى الحكمة، وكلاهما لا تخلو الأرض عنه وهذا هو ما يتقابل مع تصريحه بأنه من الممكن عقلاً أن يرسل الله رسولا بعد محمد صلى الله عليه وسلم (٤).

وبهذا فقد وضع السهروردي مذهبه في دائرة الدعوة الاسماعيلية القائلة بأن أبناء علي هم صور للتجلي الالهي (٥) وإن الإمامة مستمرة فيهم كما أنه أفصح عن اتجاهه السياسي الذي كان يخفيه وراء فلسفته مما كان سبباً في مقتله على يد السلطان صلاح الدين السني الذي كان يكافح التيار الباطني والاسماعيلي.

(١) حكمة الاشراف ص ١١.

(٢) سامي الكياي «دراسات في الفلسفة الاسلامية» ص ١٩٨، السهروردي ص ٢٨ دار المعارف لسامي الكياي ونوايغ الفكر ١٣.

(٣) د. ابراهيم هلال «التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة» الطبعة الاولى سنة ١٩٧٥ - دار النهضة العربية.

(٤) سامي الكياي - دراسات في الفلسفة الاسلامية ص ١٩٥ مجموعة في الحكمة الالهية ص ٦١ - ٦٤ هياكل النور ص ٨٨ أصول الفلسفة

(٥) انظر الكشف للزمخشري - البيعة الاولى ص ١١٦ - ص ١٧٤ وبقية التفاسير في الآيات المتقدمة وأمثالها.

على ان السهروردي له آراء صريحة وربما لو أخذت مجردة عن سياق المذهب لقلنا أنها آراء سنية مقبولة وهي أنه يجعل الشرط الأول في النبوة «ان يكون صاحبها مأموراً من السماء باصلاح النوع، وأن يتهاى له» حصول العلوم في أكثر من غير تعلم بشري (١). ولكنه قد مرّ علينا بالنسبة للشرط الأول أنه يشترط في الخليفة ايضاً أن يتلقى عن الله ما هو بصده من الحكمة والتشريع كما أن اضافته الامراء الى السماء لا يمكننا أن نقطع به بناء على ذلك بأنه يريد بالسماء الله سبحانه وتعالى، فقد يريد بها العقل الاول أو الفعال حسب نظريته في الفيض والمعرفة، وخاصة انه يقول بالاتصال، لكل من الأنبياء والأولياء فالنفس اذا تمكنت من الأفعال فاما لقوتها الأصلية كما للأنبياء او لقوة مكتسبة كملكة الابرار والأولياء (٢).

بل تعدى ذلك الى اشراك النائمين من الناس العاديين والمرضى والكهان المخ في ذلك الاتصال فقد يكون ايضاً لضعف العائق، بحسب ضرورة ما، كما في المنام، او فطري كما لكثير ممن ضعفت آلاته فطرة فهو لا قد جعل لهم الاتصال وتلقي الأمر الغيبي مثل الأنبياء، وفي هذا ما فيه من الزاوية بالنسبة ومكانتها الدينية السماوية.

ومهما يكن الأمر بالنسبة للنظرة الصوفية الامامية الاشراقية التي دعا اليها أنصار السلطان عبد الحميد، بهدف تثبيت حكمه وتوطيد دعائم الخلافة، فإن الأثر الذي أحدثته لم ينعكس على السلطان عبد الحميد الثاني وحده، وانما على الخلافة العثمانية نفسها، وعلى شعار «الجامعة الاسلامية» الذي يستمر يستقطب بعض الدعاة والمؤيدين من بعد سقوطها واذا كان الأثر السلبي قد انحصر في تعمد خصوم الخلافة من اتحاديين وماسونيين ومن وراءهم من المستشرقين والمبشرين والصهيونيين، فإن آثاراً ايجابية عديدة ترتبت عليه، بما أحدثه من حوار خصب بين المسلمين مما أدى الى ظهور العديد من الحركات الاسلامية بالدعوات الاصلاحية التي أدت الى ظهور العديد من الحركات الاسلامية والدعوات الاصلاحية التي نادت بفتح باب الاجتهاد (٣) لعلاج أوضاع المسلمين والتصدي لقضاياهم الراهنة.

والحقيقة ان النظرة للربط بين سلطة الحاكم و ارادة الخالق كانت منذ بدء تكوين المجتمعات البشرية في عهد آدم باعتباره أحد أنبياء الله، ثم تطورت عبر العصور حتى كان عهد الفراعنة القدماء الذين اعتبروا سلطة الفرعون مستمدة من سلطان السماء باعتباره — كما كانوا يعتقدون — ابن الاله، ثم نظر الفرس الى أكاسرتهم باعتبارهم على صلة بالاله (أهورا — مزدا)، وحكم قيصر روما أوربا بالحق الالهي قبل المسيحية باعتباره ابن السماء وبعدها باعتباره رئيس الكنيسة وحليف الكهانة (٤)، وحينما جاء الاسلام ألغى هذه النظرة على اعتبار أن العصمة للأنبياء وحدهم أما الخلفاء فهم بشر ولكل بشر شيطان وعلى الرعية أن تقوم الخليفة اذا أخطأ، كما أعلن ذلك أبو بكر منذ بدء الخلافة الاسلامية، رغم أن مذهب الشيعة الامامية يقول بعصمة الأئمة من آل البيت خلافاً للمذاهب أهل السنة، وان كان بعض الخلفاء الأمويين أو العباسيين قد سعوا لتفسير مفهوم (خليفة الله في أرضه) بصورة أوسع مما يحتمله الشرع الاسلامي.

كما يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني وجد في النظرة الصوفية الاشراقية ما يحقق حاجة الدولة العثمانية المتداعية في إلتفاف الرعية حول الخليفة باعتباره «ظل الله في الأرض» تعزيزاً للجامعة الاسلامية.

الا أن الشاب أن «مشيخة الاسلام» كانت تقوم بضبط تصرفات الخلفاء في أواخر عهد الخلافة العثمانية، وبلغ نفوذها حداً كبيراً حتى أن عبد الحميد الثاني نفسه جاء اثر فتوى مشيخة الاسلام بخلع سلفه كما ذهب تطبيقاً لنص فتواها بضرورة خلعه، رغم ما آلت اليه أوضاع تلك المشيخة من هوان وضعف قبيل الغاء الخلافة الاسلامية برمتها. (٥)

(١) أصول الفلسفة الاشراقية ص ١٩ (٤) مجموعة في الحكمة الالهية ص ٩٥.

(٢) مجموعة في الحكمة الالهية ص ١٠٣.

(٣) كان باب الاجتهاد مغلقاً لدى عامة المذاهب الاسلامية باستثناء الشيعة الامامية فلم يعلق باب الاجتهاد عندهم.

(٤) د. محمد عمارة «الاسلام والسلطة السياسية» قضايا الاسلامية — ٤ — دار الثقافة الجديدة ص ٤

(٥) د. علي حسني الحروبوطي — التاريخ الموحد للامة العربية ص ٢١٤ — الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٠

الفصل الثاني

مشرع الجامعة الإسلامية

في عصر عبد الحميد

ظهر تيار «الجامعة الإسلامية» في النصف الثاني من القرن التاسع كرد فعل للغزو العسكري والثقافي الأوروبي للعالم الإسلامي وكمقابل لدعوات التغريب و «الإصلاح» و «الدستور» وغيرها من الشعارات المماثلة. وكانت آمال الكثيرين من أفراد الشعوب الإسلامية – والعرب في طليعتهم – قد خابت نتيجة تردّي الأوضاع وفساد الأمور في الدولة العثمانية خلال الحقبة الأخيرة من حكمها مما أدى الى طمع الدول الغربية بها، وبدء هجومها الاستعماري على أجزائها المترامية الأطراف والتي كانت تنتشر في ثلاث قارات.

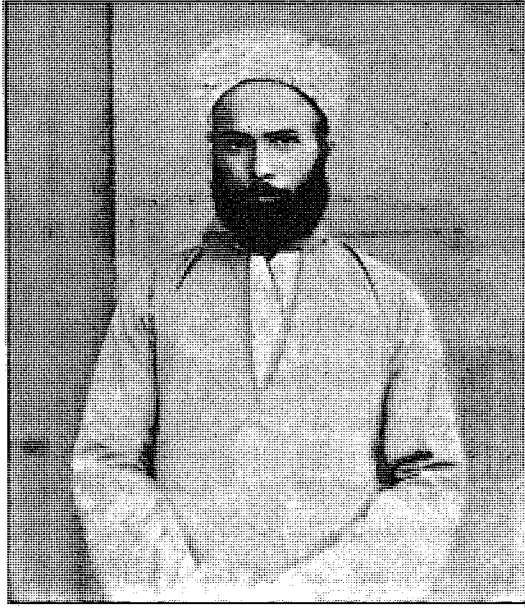
وقد ضعف مركز الخلافة نتيجة لضعف سلاطين آل عثمان، في تلك الفترة، مما هدد الوحدة الإسلامية العريقة التي صمدت في وجوه الطامعين قرونا طويلة بفضل السلطة الروحية والمكانة الرفيعة التي كانت تحتلها في قلوب المسلمين على اختلاف ديارهم ومذاهبهم.

وحينما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش الخلافة وجد في شعار «الجامعة الإسلامية» خير علاج لما تعانيه سلطنته من أمراض وأوجاع فسارع الى تبني هذا الشارح وجند له ما وسعه من طاقات وامكانيات باعتباره يحقق له البديل المناسب فضلا عن الأثر الطيب والتجاوب السريع الذي يمكن أن يصادفه لدى عامة المسلمين من رعاياه، باعتباره يمثل حلا مستمدا من العقيدة الإسلامية السمحة فضلا عن تحقيق الأهداف التالية (١)

- (أ) التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية
- (ب) توطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات
- (ج) تقديم بديل إسلامي للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة.
- (د) التلويح بخطر الوحدة الإسلامية وتعبئة سائر القوى للجهاد ضد الدول الطامعة (٢) لا سيما بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ م (٣).

والأمر الذي لا شك فيه أن صحيفة «العروة الوثقى» التي أصدرها جمال الدين الأفغاني في باريس بمعاونة الشيخ محمد عبده قد لعبت الدور الرئيسي في بلورة المحتوى الأيدلوجي لفكرة الجامعة الإسلامية.. ويرجع الى جمال الدين الأفغاني ومقالاته في «العروة الوثقى» الفضل في أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تقف عند الحد الذي اراده لها السلطان

- (١) د. فاروق أبو زيد. أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ص ١٣٣ – دار الفكر والفن بالقاهرة ١٩٧٦ م
- (٢) د. محمد أنيس – الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٣٨
- (٣) اعترفت معاهدة لندن ١٨٤٠ م بالمركز الدولي المستقل لمصر، التي أصبحت تحكمها اسرة محمد علي مع الاحتفاظ للباب العالي بحقه في الخراج السنوي وسريان المعاهدات العثمانية على مصر، مع السماح لمصر بمقد اتفاقيات تجارية. ولما كانت بعض المعاهدات التجارية التي عقدتها الدولة العثمانية والتي تنطبق على مصر ينتهي أجلها في عام ١٨٧٦ فقد كانت الدول الأوروبية في حل من ان تتباحث مباشرة مع الحكومة المصرية في شروط تجديدها (د. احمد عبد الرحيم مصطفى – علاقات مصر بتركيا – ص ١٧٩ – ١٨١) وبعد عزل اسماعيل وتولية توفيق حاول الباب العالي استغلال الفرصة لاعادة سيادته الكاملة على مصر وذلك بالغاء الامتيازات التي منحت لاسماعيل بقرارات ١٨٦٦ و ٦٧ و ١٨٧٣ لكي تعود مصر مجرد باشوية عادية من باشويات الدولة ولكن انجلترا وفرنسا وقفنا في وجه السلطان وارغمته على اصدار فرمان في ٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ مؤكدا حق الخديوي في التصرف التام في شئون بلاده المالية والداخلية. (انظر نص المعاهدة ضمن الملاحق).



محمد عبده



جمال الدين الأفغاني

تعاوننا لاصدار «العروة الوثقى» من باريس للدعوة للجامعة الاسلامية

عبد الحميد الثاني... فقد منحها جمال الدين الافغاني محتوى تحريرا ومضمونا معاديا للاستعمار (١) رغم ما اثبتته الوثائق (انظر الملاحق) عن صلته بالماسونية.

فالافغاني في «العروة الوثقى» يربط بين الوحدة الاسلامية ومقاومة الاستعمار الأوربي الذي كان يستهدف في نظره القضاء على الاسلام (٢) والتحكم في الشعوب الاسلامية. والافغاني يرى أن هناك قومية اسلامية تجمع بين المسلمين مهما اختلفت اوطانهم ذلك «ان الاصول الدينية الحققة تنشئ للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتحثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى اقصى غاية في المدنية (٣) كما أراد الاخذ بالقرآن دستورا والالتزام بالشورى والعدل.

وهو يرى «أن لا جنسية للمسلمين الا في دينهم (٤)» و «علمنا وعلم العقلاء أجمعين أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية الا في دينهم واعتقادهم (٥)» وكان كثيرا ما يطالب المسلمين بأن «يعتصموا بحال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي بالهندي والمصري بالمغربي وقامت لهم مقام الرابطة الجنسية (٦)».

ومحاول الافغاني أن يستخدم التاريخ ليؤكد به آراءه فيقول «هذا ما أرشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم الى الآن لا يقيدون برابطة الشعوب وعصبيات الاجناس وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا نرى المغربي لا ينفر من سلطة التركي، والفارسي يقبل سيادة العربي، والهندي يدعن لرياسة الافغاني، لا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض وان المسلم في تبدل حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكالها وانتقالها ما دام صاحب الحكم حافظا لشأن الشريعة ذاهبا مذهبها (٧)».

- (١) محمد عمارة - الاعمال الكاملة للافغاني - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٨ - ص ٣٤.
- (٢) د. احمد سويلم العمري - المجمع العربي وتطورات الاجتماعية السياسية مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٥ - ص ٢٠٧.
- (٣) العروة الوثقى - ١٤ يوليو سنة ١٨٨٤ مقال بعنوان (الوحدة الاسلامية).
- (٤) العروة الوثقى - ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٤ مقال بعنوان (الجنسية والديانة الاسلامية).
- (٥) العروة الوثقى - ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٤ مقال بعنوان (الوحدة والسيادة).
- (٦) العروة الوثقى - ٢٤ أغسطس سنة ١٨٨٤ مقال بعنوان (عصبة الجنس وعصبة الدين).
- (٧) العروة الوثقى - ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٤ - مقال بعنوان (أمة واحدة).

وقد كان الأفغاني يعتقد أنه لن تقوم بالشرق قائمة الا اذا كان «الاصلاح يعتمد على أساس ديني» كما دعا الى تحرير الشرق من سيطرة أوربا وما نجم عن ذلك من ضعف وتأخر لعدم مسايرة المسلمين للحضارة الغربية مما أطمع بهم الأجانب (١).

وعلى عكس ما يقول بعض الكتاب (٢) فقد كان ميخائيل عبدالسيد صاحب (الوطن) القبطية يتخذ موقف الدفاع عن الدولة العثمانية ويدعو للحفاظ على روابط مصر بالدولة العلية، وكان من رأيه أنه كلما قويت الدولة العثمانية كلما كان في ذلك حماية لمصر من الاطماع الأوربية.. وكلما ضعفت الدولة زاد الخطر على مصر.. وعلى ضوء ذلك نراه يعتقد أن «كل ما كان موافقا للدولة العلية يكون على مرام الحكومة المصرية لشدة الجامعة والرابطة بينهما... فاذا كانت الدولة العلية عزيزة مهابة أمنت مصر على نفسها من جور الجائر وصارت في أمن متين وحصن حصين بخلاف ما اذا كانت ضعيفة فان ضعفها يطمع الطامعين في التعدي عليها (٣)».

وفي أزمة العقبة (٤) وقف ميخائيل عبدالسيد في صف الخلافة وهاجم تدخل الدول الاوربية وخاصة انكلترا في المسألة وقال أن هذا الخلاف مسألة داخلية لا حق لأحد غير مصر وتركيا في بحثها «ان المسألة العقبة مسألة داخلية... فانها بين الدولة العلية وبين مصر فقط ولكن البعض (يقصد انكلترا) حاول جعلها من المسائل الدولية فتدخلت هذه الدول وتلك ولا نرى وجهاً لتدخل أي دولة من الدول فيها (٥)».

وكانت الوطن سبابة الى نشر خبر انتهاء الخلافة وتفصيل الاتفاق بين مصر وتركيا فهي تبشر «المصريين بأنه بقيت الحدود على مرام جناب السلطان المعظم وعلى مرام جناب خديونا المعظم ودخل في حدود مصر العرب والسويس اما خط العقبة وتوابعها في يد الدولة العلية أما جبل الطور الي السويس فيكون في يد الخلافة ولكنه يبقى تحت ادارة مصر مؤقتا ليكون محطة لضرب الحجر الصحي على الحجاج (٦).

ثم يعلق ميخائيل عبدالسيد على هذا الاتفاق فيحاول التقليل من دور انكلترا في حل الخلاف ويخرج من ذلك بالدعوة الى تأييد ارتباط مصر بالدولة العثمانية معلنا أن مصر بأكملها ليست سوى جزء من الدولة العثمانية فهو يقول: «ومسألة الحدود مسألة بسيطة فان مصر بحدودها وسودانها تابعة للدولة العلية.. واذا نقصت حدود مصر أو لم تنقص فهناك الجهات ليست بمديريات مرهونة لأرباب الديون حتى تتعرض الدول لها... «ويتساءل الكاتب» اذا كانت الحكومة الانكليزية ألزمت مصر على ترك السودان برمته والتنازل عن (مصوع) لايطاليا فهل يجوز التشديد مع الدولة العلية في مسألة العقبة.. والدولة العلية هي صاحبة السيادة على مصر ومصر تابعة للحكومة المصرية وطلبها الباب العالي لحاجة اليها وجب على الحكومة المصرية منحها له «وعلى فرض أن العقبة كانت تابعة للحكومة المصرية والدولة العلية رأت لزومها لاطفاء وقمع الثائرين تعين لى الحكومة المصرية اجابة طلبها بل المتعين عليها مساعدتها بالمال والرجال كما حصل في الحرب الروسية فان مصر (ارسلت نجدة عسكرية اليها كما هو شأن المتبوع المعتصم بالولاء).

وينتهي الكاتب الى تأكيد ولاء مصر للباب العالي باعتبار انه «لا يوجد شيء أفيد ولا أنفع من المحافظة على

(١) د. ذوقان قرقوط - الفكرة العربية في مصر - ص ١٧٦

(٢) د. سامي عزيز - الصحافة وموقفها من الاحتلال البريطاني ص ١٥٩.

(٣) د. علي حسني الخربوطلي - الاسلام والخلافة ص ٢٧٠ - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٩٦٩ م الوطن - ٢ مارس سنة ١٨٩٢

(٤) أزمة العقبة: سبقت الاشارة الى موقف عبدالحميد الثاني حينما حاول فصل شبه جزيرة سيناء بما فيها خليج العقبة وكان ذلك وراء تأخير فرمان تولية الخديو عباس حلمي الثاني ولكن انجلترا ارغمت السلطان على التراجع وصدر فرمان تولية عباس حلمي الثاني معترفا بملكية مصر لشبه جزيرة سيناء حتى العرش اما خط العقبة وتوابعها فصار في يد الدولة العثمانية.

(٥) الوطن ٣ مارس سنة ١٨٩٢ مقال بعنوان «مسألة العقبة».

(٦) الوطن - ٥ مارس سنة ١٨٩٢ - مقال بعنوان (الفرمان السلطاني ومسألة العقبة).



محمد عبده في احدى زيارته للسودان مع احد المفتشين الانكليز وسلاتين باشا

إحكام عروة الوفاق بين مصر والدولة العلية» ولا ريب في أن كاتباً مثل ميخائيل عبد السيد يعتبر نموذجاً للكاتب الذمي (١) الذي يرد الجميل للدولة الإسلامية.

وعموماً فإن نظرة صحيفة الوطن إلى الدولة العثمانية سرعان ما تغيرت كلياً بعد وفاة «ميخائيل عبد السيد» وتولى «نجدي إبراهيم» مسؤولية إصدار وتحرير الصحيفة... فقد كان (نجدي إبراهيم) من انصار الانجليز في مصر.

وأحد أدوات الاحتلال في الدعوة لانكسار سياستها في البقاء في مصر لذلك كان طبيعياً أن تتحول الصحيفة عن مناصرة الدولة العثمانية وتهاجم الدعوة للارتباط بها وإن تعمل في نفس الوقت إلى محاولة فك الارتباط الاسمى بين مصر والدولة العثمانية خدمة للمصالح الانكليزية الساعية إلى تحويل مصر إلى مستعمرة بريطانية مرتدبة رداء الدعوة إلى القومية المصرية.. وتظهر تلك السياسة الجديدة لصحيفة الوطن في اتخاذها موقف الدفاع عن وجهة النظر البريطانية في أزمة طابا... فقد أرجع (نجدي إبراهيم) المشكلة إلى «استبداد السلطان»... وإن الأتراك زرعوا علامات الحدود عند العريش (٢)... ثم يهدد الباب العالي معلناً «أننا لا نقدر على الاستمرار في السكوت عن مثل هذه الأعمال فإنها تشجع المحرضين على النشر وأصحاب الدسائس من أهل مصر الساعين إلى تهيج الخواطر وبعضهم يحتل مراكز عليا في البلاد».

ويلاحظ أن «نجدي إبراهيم» في هذا المقال يذكر — ولعلها المرة الأولى في الصحافة المصرية حتى ذلك الوقت — اسم السلطان مجرداً من عبارات التعظيم والتفخيم المعتادة عند ذكر اسمه في الصحف.. كذلك فهو يقول (الأتراك) بدلاً من (الدولة العلية) وهو بذلك يصور المسألة باعتبارها صراعاً بين قوميتين: التركية والمصرية وأخيراً فهو يشير إلى اعوان السلطان والدولة العثمانية في مصر ويستعدي عليهم سلطات الاحتلال عندما يقول أن بعضهم يحتل مراكز عليا في البلاد.

(١) نسبة إلى أهل الذمة وهم الرعايا غير المسلمين في الدولة الإسلامية.

(٢) الوطن ٢٨ إبريل سنة ١٩٠٦، وقد سبق الإشارة إلى أزمة طابا.

ويرفض (نجدي ابراهيم) اعتبار مسألة العقبة «مسألة دينية اسلامية» (١) وكذلك فهو يعترض على «الاشارة الى كل مخالف للسلطان في امرها اشارتهم الى اعداء الدين والخلافة» وهو يستند في رفضه هذا الى عدة اعتبارات :

الاول : «ان الخلاف عليها — (يقصد العقبة) قائم بين اميرين من امراء الاسلام هما السلطان وسمو الخديو المصري».

الثاني : «ان الحكاية لا تخرج عن خلاف بين اثنين على ملكية الأراضي».

الثالث : «ان الاديان لم توجد لتكون سلاحا في المنازعات والخصومات ولكنها وجدت لاغراض اسمى وأهم لا علاقة لها باختلاف الناس على حدود املاكهم وتباين مصالحهم السياسية والمالية وبقيّة هذه الشئون».

الرابع : ان السلطان خليفة ورئيس ديني لأهل الاسلام جميعهم ولكن بلاد سيناء من أملاك الامارة المصرية - والامارة المصرية مكونة من أمة فيها المسلم وفيها القبطي وفيها الاسرائيلي وفيها الأجناس الأخرى وان املاك الامارة المصرية أملاكها من وجه قضائي أو مدني وليس من وجه ديني فاذا كان للمسلمين من أبناء مصر رئيس ديني فليس يجوز لهذه الفئة أن تهه ما أراد من أملاك الأمة بمجموعها وليس يحق لأفرادها أن يعدوا كل من خالفهم في هذه الهيئة عدوا لدينهم لان المسألة امتلاك حقوق وليست مسألة مذهب ديني وهو أمر يتعلق بالامة المصرية وبالبيت الحاكم في مصر وليست من الأمور المتعلقة بمبادئ الدين».

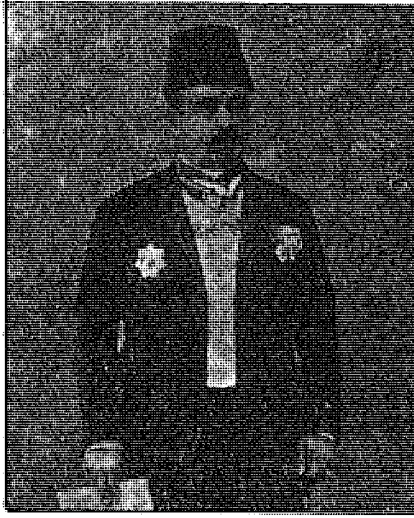
ثم انتهى الكاتب من ذلك كله الى تأكيد ملكية مصر لسيناء فقال «فاذا اتضح مما تقدم فنحن ننطق بلسان مصر وأبنائها ونقول ان بلاد سيناء لمصر وليست لتركيا وان اعتداء تركيا عليها في هذه الأيام لا يجوز وان الأمة المصرية لا تريد التنازل عنها لأحد وكل قول غير هذا مردود وكل حجة غير حجة القانون والعقل في هذه المسألة من أدلة القاصرين».

وكثيرا ما هاجمت صحيفة الوطن دعوة الجامعة الاسلامية وكانت تتحين الفرص للنيل من الدولة العثمانية وسلطين آل عثمان وخاصة السلطان عبدالحميد الثاني، وكان (نجدي ابراهيم) يرى ان الجامعة الاسلامية (وهم) خلفه السلطان عبدالحميد الثاني لتهديد دول أوروبا فهو يقول «أن السلطان عبد الحميد الثاني يهدد أوروبا في بعض الاحيان بذكر هذه القوة الدينية وهو يفعل ذلك اتكالا على جهل أوروبا بالحقيقة... لاعلى قوة صحيحة ناشئة عن رئاسته الدينية لان هذه الرئاسة لا علاقة لها بالسياسة والاحكام ولا تقيم الشعوب الاسلامية لحرب على دولة آل عثمان ولو ان في هذه السيادة الدينية شيئا صحيحا من القوة يمكن للدولة العلية ان تستخدمه على أوروبا لفعلت وما تأخر سلاطينها عن الاستنجاد بهذه القوة من زمان طويل (٢)» ثم افترض نجدي ابراهيم امكانية السلطان اثاره المسلمين الخاضعين لدول أوروبا المسيحية ولكنه قال أن دول أوروبا يمكنها أيضا ان تثير على السلطان الشعوب المسيحية الخاضعة لحكم الدولة العثمانية «وحتى لو حاول السلطان أن يستخدم النفوذ الديني لاثارة الشعوب الاسلامية على أوروبا سهل على أوروبا ان تعامله بعمله وتثير عليه الشعوب المسيحية في بلاده وتمدها بالسلاح والمال فتكون العاقبة عند الدولة العلية أوضح من الوبال... فالذي يقيم في بيت من الزجاج لا يجوز له ان يرشق الآخرين بالحجارة».

ويذكر الكاتب أن الشعوب الاسلامية لا يمكن أن ترضى بأن تستبدل الحكم الاوربي بالاستبداد التركي وطرح فكرة غريبة تقول بان الشعوب الاسلامية اذا خيرت بين نوع الدول التي تحكمها فانها سوف تختار حكم الدول الاوربية لانه اقل ظلما واستبدادا من الحكم التركي ثم تطوع الكاتب ناصحا الدول الاوربية الاستعمارية بأن كل ما يلزمها لتثبيت اقدامها في البلاد الاسلامية هو ان تسير في حكمها على خطة انكلترا.. التي تحكم — في نظر الكاتب بالعدل والحرية : «انك لو سألت المسلمين في جميع البلاد عما يريدون رأيت انه ليس منهم جماعة تريد أن تخلص من رمضاء الاحكام الاوربية بنار المظالم التركية من العبث ان تعد الخلافة قوة في يد السلطان بعد هذا البيان وكل ما يلزم للدول

(١) الوطن ١١ سنة ١٩١٦ مقال بعنوان «الرأي في العقبة».

(٢) الوطن — ٢ يناير سنة ١٩٠٠ مقال بعنوان (الجامعة الاسلامية).



بشارة بك تقلا



سليم بك تقلا

مارونيان من لبنان ساعدهما الاستعمار البريطاني على اصدار «الأهرام» في مصر لتكون منبراً للانكليز ضد الخلافة

الباب العالي في موقفه من مسألة العقبة «ونحن نعلم علم اليقين ان المصريين كلهم مرتاحون من سياسة الخليفة أمير المؤمنين» ثم نبه «تقلا» كبار المسؤولين في مصر أن عليهم أن يعرفوا ان مصلحة مصر في مزيد من الارتباط بالدولة العثمانية واتهم من يهمل العمل من أجل هذا الارتباط بالخيانة في حق وطنه «ونود من المصريين عموماً والقابضين على زمام الأمر منهم خصوصاً أن يعرفوا أن مصلحة مصر السياسية لا تقوم الا بالسلطنة السنية قيام مصلحتهم العلية بالخلافة العثمانية فاذا أهملوا الأولى فقدوا الثانية وهذه جريمة وتلك خيانة وكلاهما ذنب لا يغفر».

ورد (الأهرام) على صحيفة المقطم التي ادعت أن إنكلترا في وقوفها في وجه السلطان في مسألة العقبة «انما تدافع عن مصالح مصر والمصريين» (١) فقال (الأهرام) إذا قيل أن إنكلترا إنما تروم ذلك خدمة لمصر قلنا أن خدمة مصر تقوم بالمحافظة على الرضى السلطاني الشريف. (٢)

ويلاحظ أن موقف (الأهرام) المتشدد في الدفاع عن الدولة العثمانية و (الجامعة العثمانية) قد هبطت حدته بعد الاتفاق الودي الذي تم بين إنكلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ وبمقتضاه اعترفت فرنسا بنفوذ إنكلترا الخاص في مصر مقابل اعتراف إنكلترا بنفوذ فرنسا الخاص في المغرب العربي فقل هجوم الأهرام على سلطات الاحتلال إن لم نقل أنه ندر وتقلص إهتمامها بالرابطة العثمانية واتخذت موقفاً أقرب إلى الحياد من الصراع العثماني البريطاني على مصر. والحقيقة أن شعار «الجامعة العثمانية» كان بمثابة الوجه الآخر للعملة بالنسبة لشعار «الجامعة الاسلامية».

وبدأ «الشيخ علي يوسف» حياته الصحفية مؤيداً متحمساً للجامعة العثمانية وداعية لتوثيق الروابط بين مصر والدولة العثمانية.. فقد كان يرى: «أن دوام ارتباط مصر بالجامعة العثمانية عنوان على حياة البلاد الابدية (٣) وأنه «بقدر ما يكون الجفاء بين مركز مصر السياسي وبين دار الخلافة العظمى يكون التبدل بالأولى إلى مكان سحيق من الضعف والانحلال كما أنها كلما اقتربت منها صفاء روابط زادت حيوية واشتدت أزرا وقويت أملاً في المستقبل».. وهو يؤكد أن تدعيم روابط مصر بالدولة العثمانية لن يمس أبداً إمتيازات مصر الاستقلالية التي منحت إياها بمقتضى الفرمانات الشاهانية ذلك أن «إمتيازاتها الخصوصية أكبر ضامن لها على بقائها مع شدة القرب في دائرة الاستقلال الإداري الذي برهن على مر الأزمنة وكر الحوادث على أنه مفيد لمصر من كل وجه».

(١) المقطم - ٢٥ مارس سنة ١٨٩٢

(٢) الأهرام - ٢٦ مارس سنة ١٨٩٢ - مقال بعنوان (لمحة - من جرى في عنان أمله.. عثرت رجله بأجله)..

(٣) المؤيد - ٩ فبراير سنة ١٨٩٢ - مقال بعنوان (الجامعة العثمانية)

وكان علي يوسف يعتقد أن التضامن بين الشعوب الاسلامية.. والدولة العثمانية أمر ضروري لحفظ هذه الشعوب من الضياع.. وهاجم المحاولات التي تجري في بعض أملاك الدولة العثمانية وخاصة في الولايات العربية للاستقلال عن الدولة وقال أن الخروج عن الولاء للدولة العثمانية لا بديل له سوى الوقوع في براثن الاستعمار الأوربي: «فليس أمام الأقاليم العثمانية إلا أحد أمرين أما الرضى بما عليه من الاجتهاد في تقوية هذه الرابطة والصبر على نيل الأمان والاصلاح بقدر ما تسمح به الفرص وتساعد عليه الظروف وأما الخروج عن حيزهم القديم إلى غايات مسكونة بالوحوش الكاسرة والأسود المفترسة فيقعون في مضغة أفواههم».

وأخذ يضرب الأمثلة التي تؤيد رأيه مثل تمرد حكام تونس على الدولة حتى نالوا استقلالهم عنها فلم يلبثوا أن وقعوا فريسة للاستعمار الفرنسي «فهذه بلاد تونس استكف امراؤها في الأيام الماضية أن تسير تابعة إلى دار الخلافة العظمى وطلبت لها مميزات خصوصية على أمل أن ذلك أدعى لزيادة الاصلاح والكمال وبعد أن حصلت على تلك المميزات لم تلبث زمنا طويلا حتى وقعت فريسة للفرنساوين».

ثم ضرب مثلا آخر بمصر «وهذه مصركم حاربت وأراقت الدماء في مدة حكامها السالفين لنيل الاستقلال بادارة أمورها الداخلية حتى كان لمحاربتها نصيب مهم في زيادة مشاكل الدولة وتأخرها وبعد أن وصلت بشق الأنفس ومداخلة الغرباء إلى نوع من الاستقلال صارت إلى حالتها الحاضرة لا تستطيع أن تحرك صغيرة ولا كبيرة إلا بإشارة المحتلين».. ثم قال أن «ما جرى لهذين الاقليمين جرى لغيرهما أيضاً من البلاد العثمانية مما هو معروف لدى العامة والخاصة».

وفي أزمة العقبة أيد علي يوسف الدولة العثمانية وحل انكلترا مسؤولية هذا الخلاف فقال: «أن انكلترا هي التي خلقت هذا الاشكال وفتحت بابا لتدخل قناصل الدولة في شئون مصر» (١).

وذكر أن انكلترا تريد أن تجعل من «جامعتنا العلية وربطتنا العثمانية اسما بلا مسمى» (٢).

وعندما نشب النزاع بين تركيا واليونان عام ١٨٩٧ حول جزيرة «كريت» فكرت الدولة في إعادة بناء الأسطول العثماني ودعت المسلمين جميعا إلى الاكتتاب لمساعدة الدولة العثمانية في بناء هذا الأسطول.. تحمس «علي يوسف» لهذه الدعوة وقاد في مصر حملة الدعاية لهذا الاكتتاب وبدأ ينشر يوميا على صفحات المؤيد كشفا باسماء الذين اشتركوا في هذا الاكتتاب والمبالغ التي يدفعوها تشجيعا لغيرهم من المواطنين على الاكتتاب ثم كتب يشيد باقبال المصريين على هذا الاكتتاب فقال: «لقد برهنت الأمة المصرية باقبالها الشديد على مشروع الاكتتاب الوطني لاعانة العسكرية الشاهانية إنها تعرف مصلحتها الحقيقية المتوقفة على حفظ العلية وجامعة الخلافة الكبرى» (٣).

وعندما نشبت الحرب بين اليونان وتركيا وقف علي يوسف يؤيد العثمانيين ويدافع عنهم وكانت اخبار الحرب تحتل الصفحات الأولى من (المؤيد) وفي أحد تعليقاته على حوادث هذه الحرب هاجم انكلترا وأعلن أن انتصار الدولة العثمانية هو إنتصار لمصر وطالب بتدعيم روابط الولاء بين مصر والدولة العثمانية فقال «يعلم المصريون كافة أن في سلامة الدولة العلية سلامة مصر وفي المحافظة على حياتها صيانة مستقبل بلادنا المحبوبة.. ويعلم الناس كافة أن انكلترا أشد اعداء الخلافة والدراسة وعملوا ويعملون لتقويض أركان السلطنة العثمانية وأنهم ما اشهروا عدائهم لها إلا من يوم توثيق العلائق والروابط بينها وبين مصر فكل سوء يمس بسلطنة آل عثمان يمس مصر.. ولا محالة ان كل فوز لها لمصر واعلاء شأنها» (٤).

(١) المؤيد - ٩ ابريل سنة ١٨٩٢ - مقال بعنوان «الفرمان العالي»

(٢) المؤيد - ١١ ابريل سنة ١٨٩٢ مقال بعنوان (إلى أي طريق نحن سائرون)

(٣) المؤيد - ٢٠ مارس سنة ١٨٩٧ مقال بعنوان (مشروع الاعانة العسكرية الشاهانية).

(٤) المؤيد - ٢٣ مايو سنة ١٨٩٧



الشيخ علي يوسف : تصدى للأقلام المشبوهة دفاعاً عن الخلافة



عبدالرحمن الكواكبي : دعوة للخلافة العربية بدلا من العثمانية

ومن الطبيعي أن ينجح الاحتلال الأجنبي في كسب بعض الاقلام، علماً أن زبانيته كانوا يعرفون كيف يستميلوا بعض الاقلام الوافدة وأن يشدوا على خصومهم.

وعندما كتب (فارس نمر) في (المقطم) يهاجم فكرة الجامعة الاسلامية ويقول أن المسلمين إذا أرادوا الرقي «فعلهم بأشياء ثلاثة: تعميم المدارس الابتدائية في جميع البلدان الاسلامية وطبع الكتب المفيدة ونشر الجرائد بين العامة وانشاء الجمعيات في كل المدن الكبرى وارشاد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم» (١)

ورد (علي يوسف) على (فارس نمر) فقال إن ما يطلبه فارس نمر لا يمكن أن يقوم إلا إذا وجدت فكرة كبرى توجهه وهي فكرة الجامعة الاسلامية.. ولا بد لهذه الفكرة من يد قادرة على قيادتها مثل الدولة العثمانية: «ليت شعري إذا كانوا يرون من لوازم ترقى الأمم الاسلامية انشاء المدارس في جميع بلدانها ونشر الجرائد الصادرة بين العامة وحثها على قراءتها ونشر الكتب الرخيصة بين الفقراء وانشاء الجمعيات في المدن.. فهل يكون ذلك بلا قوة رئيسية مدبرة تمد العاملين في كل جهة بالمعونة التي تحتاجها، إرشاد وتوجيه وتوحيد جهد الكل حتى يكون العمل حقيقة أساساً متيناً لتحقيق الجامعة الاسلامية.. وإذا كان لا بد من تلك القوة الرئيسية المدبرة فهل الاجدر بها أن تكون في بلد غير دار الخلافة العظمى حتى يكون لمكانها ومكانتها تأثير في نفوس عامة المسلمين إذ هي أرشدتهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم» (٢)

وعندما عاد (فارس نمر) في اليوم التالي يفند آراء علي يوسف ويقول أن الجامعة الاسلامية تثير مخاوف المسلمين وتزيد من عداوة الأوربيين للمسلمين (٣) ورد عليه الشيخ علي يوسف في اليوم التالي قائلاً: «إن هذا يقوي حجتنا في أن تحقيق الجامعة الاسلامية من أنفع الأشياء للمسلمين لأنه إذا كانت دول أوروبا جميعاً اعداءنا ونحن معشر المسلمين ضعاف.. وأنه إذا كانت أوروبا ترى تحقيق الجامعة ضد مصلحتها حتى أنها انتقمت منا بأشد أنواع الانتقام عندما وجه أفراد قلائل منا وجوههم نحو الاستانة العلية عقب الحرب العثمانية الروسية فما ذلك إلا أن تقارب المسلمين بعضهم ببعض وتبادلهم شعار الوحدة العلية وشعورهم بانها طريق القوة.. والقوة دعامة الحياة وسياجها.. وإذا كان الأمر كذلك لم يكن الاشتغال والبحث لتحقيق هذه الجامعة سبباً وراء ما يجلب الضرر على المسلمين وخصوصاً الذين هم تحت

(١) المقطم - ٨ اغسطس سنة ١٨٩٩

(٢) المؤيد - ١٠ اغسطس سنة ١٨٩٩

(٣) المقطم - ١١ اغسطس سنة ١٨٩٩

سلطة دولة مسيحية فيكون هذا السعي مكروها من حيث هو بل الواجب أن يتفق محبو الاسلام والدولة العلية خصوصا على أنجح الوسائل لتحقيق تلك الجامعة» (١)

ولكن موقف الشيخ علي يوسف تغير بعد ذلك.. ولم يعد ذلك الكاتب المتحمس للجامعة العثمانية والدولة العلية وقد اتفق ذلك الموقف الجديد مع بداية عصر (الوفاق) بين الخديو عباس حلمي وسلطات الاحتلال الانكليزي بعد عزل كرومر.. فنرى الشيخ علي يوسف يكتب في عام ١٩٠٧ قائلا أن الجامعة الاسلامية كعقيدة سياسية غير موجودة.. وهو يفسر ذلك بأن الجامعة الاسلامية قسمان: «دينية وسياسية.. والدينية موجودة بوجود العقيدة الاسلامية والسياسية غير موجودة ولم توجد لعدم وجود الرابطة بين الأمم الاسلامية.. وهي المصلحة.. ذلك أن المسلمين إذا أوجدوا جامعة سياسة اسلامية أوجد غيرهم جامعة مسيحية وهكذا فتكون المضرة من ذلك عليهم» (٢)

وأعلن الشيخ علي يوسف أنه «يؤمن بالجامعة الاسلامية من الناحية الدينية ولا يؤمن بها من الناحية السياسية».

وهذا يعني في الترجمة العملية أنه لم يعد يعترف بوجود الجامعة الاسلامية كحركة سياسية.. وهذا يتناقض تماما مع كل ما كتبه من قبل عن الجامعة الاسلامية والرابطة العثمانية وبالذات في رده على (فارس نمر) عام ١٨٩٩.

وعبدالرحمن الكواكبي^(٣) كان أحد رواد فكرة «الجامعة الاسلامية» في العصر الحديث وقد أفرد لها كتابا كاملا سماه «أم القرى» صاغ فيه فكرة الديني والسياسي في قالب روائي داعيا لأن تكون الخلافة عربية وفي قرين بالذات ومركزها مكة وكانت خطته عملية لجامعة إسلامية.

ويخيل للقارئ أن هذه القصة من نسج الخيال فحسب، لكن الكواكبي يقول: أن لها أصلا من الحقيقة وقوله هذا يزيد القصة روعة ويدعم خيالها ما يدير فيها من حوار وما يجعل بين يديها من مقدمة.

فهو يكني نفسه بالفراتي ويقول أن بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب والسياسيين بحثوا الوسائل للنهضة الاسلامية فاخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتتارية ويقول أنه اطلع على كثير من مقالاتهم في هذا الموضوع وأنه قلدهم فنشر ما عثر له ثم دعا لعقد جمعية من سراة الاسلام في مكة مهد الهداية، وقام بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الأفكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرج من بلدته إحدى مدن الفرات، ثم سلك الطريق البحري من اسكندرون إلى بيروت فدمشق والقدس والاسكندرية فمصر والسويس والحديدة فصنعاء فعدن وعمان والكويت وحائل فالمدينة ومكة، فوجد الأفاضل الذين اجتمع بهم في البلاد قد أجابوا الدعوة عدا الأديب البيروتتي ثم سعى في تخير اثني عشر عضواً اضافهم إلى الاعضاء من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجة سراي وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين وكلكتا وليفربول.

ثم تخير دارا في حي متطرف بمكة يعقد فيها الاجتماعات بصورة خفية واستأجرها باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصونة من التعرض وانهقد المؤتمر في اثني عشر اجتماعا غير اجتماع الوداع فكانت مذكرات هامة صار ضبطها وتسجيلها بكامل الدقة وكان هذا الكتاب هو السجل يتضمن كيفية الاجتماعات والمفاوضات والمقررات عدا ما أثرت الجمعية كتمانها.

وراج السيد الكواكبي يسط في الكتاب سجل الاجتماعات في اثني عشر فصلا أرخ لكل اجتماع باليوم والتاريخ.

وأضاف السيد «الفراتي» بعد نهاية الاجتماعات لاحقة بين فيها سبب تعلق الجمعية ببحث السياسة الدينية واحلالها الموقع الأول في مناقشاتها فقال انها بحثت علة الفتور فرأت منها الخلل الديني فاذا زالت العلة زال المعلول. ودار حول النقد الذي يمكن أن يوجه إلى هذا القانون من صلة الدين بإدارة الملك وتحدث بعد ذلك في الخلافة الاسلامية

(١) المؤيد - ١٣ اغسطس سنة ١٨٩٩

(٢) المؤيد - ١٣ اغسطس سنة ١٩٠٧

(٣) من كتاب «عبدالرحمن الكواكبي» للدكتور سامي الدهان - نواحي الفكر العربي دار المعارف بمصر.

على مر العصور حتى بلغ إلى العثمانيين وتكلم عن سلاطينهم ورأى بعد ذلك أن تكون الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة وأن يكون الخليفة عربياً قرشياً مستجعماً للشرائط وأن يكون مركزه «مكة» ترتبط به جميع السلطنات والامارات الاسلامية ارتباطاً دينياً ورسم هيئة الشورى والاتحاد الاسلامي وسوغ ارجاع الخلافة إلى العرب وحل أسباب الغزو التاريخي والأوروبي خلال القرون وبين أنها ليست من أنواع الجهاد ولا من الحروب الدينية وإنما هي غارات قرصان.

هذه هي الخطوط الرئيسية لكتاب «أم القرى» رأينا فيها كيف اختتم الكتاب قصة الاجتماعات والمناقشات حتى وكأنها دارت حقيقة في مكان معلوم وأسلوب محدود لم يفته وصفها في شيء من أدق التفاصيل فهي رواية عظيمة كما قال الاستاذ أحمد أمين، بل انها خطة لجامعة اسلامية قد انعقدت منذ خمسين عاماً وصفها شاهدها وصف عيان وبحث فيها مشكلة المسلمين والاسلام ورسم علل الأمم المحمدية من المشرق إلى المغرب وصف حاذق سياسي إداري عالم كشف عن معرفته للمذاهب الأوروبية والشرقية في الدين والسياسة والعلم وأفصح عن رسوخ قدمه في فهم الدين الاسلامي فهما عميقاً فصل فيه الأمراض عن العبادات والمعاملات وأوضح أنه إمام من أئمة الدين في الاستشهاد بالكتاب والسنة استشهاداً لا يقع الا للمتبحرين في المصادر الاسلامية الغراء الواقفين على تاريخ الاسلام وتقبله على العصور والمتحمسين للعروبة القرشية والخلافة المحمدية والشورى. بينما يتعرض عبدالحميد الزهراوي لنقد فكرة الجامعة الاسلامية ويتساءل: ما هي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرناً اختلافاً سياسياً ودينياً يقتل بعضهم بعضاً ويستعين بعضه على بعض بأهل الملل المخالفة من الأساس؟

فهو يرى أن العمل لهذه الجامعة مضیعة للوقت بسبب عدم امكانية تحقيقها واقعياً، كما يخشى أن يؤدي قيامها إلى تهالك الدول الأوروبية على المسلمين.

ومع أن رفيق العظم يتفق مع الزهراوي في معظم أفكاره، إلا أنه تبنى نظرة أكثر تفهماً لضرورة الجامعة الاسلامية بسبب موقف أوربا المعادي للإسلام فهو يقول: ان دعوى القائلين بخطر الجامعة الاسلامية المتوقع بمعناها الذي يريده اولئك مدفوعة عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الجوامع الجنسية غالباً عندهم الأمم وأخصها الأمة الاسلامية لهذا نرى المسلمين قد مزقهم الأوربيون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية ودون أن يد بعضهم يد المعونة إلى بعض باسم الدين والجامعة الاسلامية لقلبة العصبية الجنسية أو الوطنية على العصبية الدينية، ولتخاذلهم المتأني عن تحاسد أمرائهم الذين أعماهم الجهل وحب الذات والانانية الباطلة حتى عن الاعتصام بالجموع السياسية التي تقضي بها أحياناً المصالح المتحدة بين دول الأرض.

الوجه الثاني: ان المسلمين لو اجتمعوا باسم الدين لمناهضة دول أوربا فلا يكون اجتماعهم خطراً على المدنية كما يذهب إليه سياسيو الغرب بل يكون وفاء بحق القومية ورجوعاً إلى الاعتصام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية الغربية التي اجتاحت ممالك الاسلام وكانت خطراً كبيراً على حياة المسلمين السياسية، وقد أثبتاً فيما سبق أن قوانين الاجتماع الطبيعية تقضي على الشعوب بالذود عن مجتمعاتها وحماية استقلالها ما لم يصبح البشر كلهم في حقوقه الانسانية والتمتع بثمرات الحياة سواء.

ويضيف: أن حركة الفكر الاسلامي القائمة الآن هي نتيجة تبادل الشعور بما تريده أوربا من المسلمين من الاستخذاء والتبعية ونتيجة الشعور بما بلغتة الأمم الأوروبية من قوة السلطان والبسطة في الملك في الشرق والغرب.

فهى — أي هذه الحركة — اذا ظننا الأوروبيون مقدمة للاتحاد الاسلامي أو عين الاتحاد فانما هي اتحاد على معرفة الواجب لا للبحث عن مصدر ترقى أوربا ألا وهو العلم والحرية.

(١) رفيق العظم «الجامعة الاسلامية وأوربا» سلسلة الثقافة الاسلامية القاهرة — دار الثقافة العربية للطباعة.

فأما العلم فقد نشطوا له في كل مكان بقدر ما تساعدهم الظروف وما ينفذ اليهم من خلال حجب الاستبداد من نور المعرفة .

وأما الحرية فهم ينشدونها حيث أوجد الاستعباد، لا فرق في ذلك عندهم بين الدول المسيحية والاسلامية فكما نرى المصريين يطالبون الانكليز بالحرية نرى الايرانيين يحاربون حكومتهم الاسلامية من أجلها، ونرى العثمانيين كذلك يبذلون مع حكومتهم الاسلامية كل جهد ويفادون بكل نفس ونفيس لأجل الحصول عليها والتخلص من ريقة الظلم والاستبداد .

أليس هذا اتحاداً في الشعور بالحاجة إلى الرقي وإلى مسابقة الأمم المتقدمة؟ أليس التمدن والرقي ضد الممجيّة؟ فإذا كان المسلمون همجا متعصبين وبهذا يصممهم الأوروبيون، أفليس في طلبهم الرقي وتراميهم على الدخول في صفوف الأمم الراقية المتقدمة ما يزيل عنهم هذه الوصمة ويسقط حجة اعدائهم في تلك التهمة؟ بل هذا هو الحق الصراح، فليتنصف الساسة الغربيون، وليرجعوا عما يقولون .

بينما يؤكد رشيد رضا على طبيعة الاسلام الثابتة والارتباط بجوهر الاسلام لثلا يبهز العقل بالحضارة الغربية، وقد أصدر «المنار» داعياً إلى اقامة مجتمع إسلامي تحت راية الخليفة العثماني، قاعدته مكة وله فروع في كل بلد اسلامي . وأهدافه :

- توحيد المسلمين وإخضاعهم لنظام وعقيدة وأخلاق ولغة واحدة .
- مصادرة التعاليم الضارة .
- نشر الاسلام .

واعتبرت «المنار» الخلافة جزء لا غنى عنه من برنامجها الاصلاحى . وحل العلماء مسؤولية عدم سيادة الشريعة والخطأ طيلة ثلاثة عشر قرناً فيهم الذين جعلوا مساويء السلطة تلبس ثوب الشرعية بدلا من محاربتهم لها .

وكان من رأيه أن أي تطبيق للشريعة لا بد أن يتضمن احياء الخلافة . وأن أهم مبدأ للحكومة الاسلامية هو الشورى، وأن مفهوم الأمة والواحدة هو الأصل وأن الدعوة للقومية خطر على الاسلام، وأن بإمكان الشريعة أن تتمشى في كل العصور مع ظروف الحياة المتغيرة، وأنه لا بد من فتح باب الاجتهاد ودعم حركة الجامعة الإسلامية ولا ضير في إقتباس الجوانب النافعة من الحضارة الأوروبية .

ورد علي عبدالرازق بكتاب «الخلافة» الذي ينادي فيه بضرورة عودة الخلافة على شكل «خلافة ضرورة» لتنسيق جهود المسلمين في وجه الخطر الأجنبي ريشما تشكل «خلافة حقيقية» حين تسنح الفرصة ليكون الخليفة مجتهداً .

أما شكيب ارسلان فقد كان رأيه : انه لما سقطت الخلافة وتصدعت الوحدة ساءت الحال وتفرق الشمل وزالت الهيبة وذل العرب، وبعد أن كان الناس لهم خدما صار العرب خدما للناس ثم يقول : «هذه هي الخلافة التي يقول بعض الناس اليوم (كتب ذلك سنة ١٩٣٠) انها لم تفد الاسلام بشيء، بل يقولون انها كانت وبالا على المسلمين، وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع، ولا سيما العرب الذين هم كما قال النعمان بن المنذر لكسرى : تراهم كلهم ملوكا وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ملوكا ينتهي أمرها بأن يملك أمرها الأجانب، ولا يبقى لها ملوك .

(١) د. أحمد عبدالرحيم مصطفى — حركة التجديد الاسلامي في العالم العربي الحديث — ص ٦٩ — معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧١ م .



الأمير شكيب أرسلان في برلين (١٩١٥م)



الأمير شكيب أرسلان في الخامسة والعشرين من عمره (١٨٩٥م)

ومن شواهد شغفه بموضوع الخلافة أنه يكتب عن حكمها وشروطها، فيذكر أن المسلمين اتفقوا — الا الخوارج والمعتزلة — على وجوب نصب الامام لحراسة الدين والدنيا، فكان هذا المنصب جامعا بين السلطة الروحية — لكن بدون العصمة التي يقول بها الكاثوليكيون في البابا — وبين السلطة الدنيوية وهي ما يسميه النصارى بالسلطة الزمنية — لكن بدون الامتيازات التي تسجلها القوانين الأوروبية للملوك — ولا نبالي بما يتشدد به بعض الطاعنين في الاسلام من أنه جمع بين السلطتين فكان في ذلك عائقا للمجتمع عن الترقى، في التحامل، مخالف لسنة الله في خلقه، اذ أن الدين متصل بالدنيا في كل مجتمع بشري، والدنيا ممتزجة بالدين بدون فكاك ولا يتصور وجود أحدهما دون الآخر. (١)

وارسلان لا يقرّ اشتراط كون الخليفة من قريش ويستأنس لذلك بأن الخلفاء الراشدين كانوا يعهدون الى ذوي الكفاية من الأمة دون أولادهم وأن روح الاسلام الحقيقي هي مراعاة الكفاية والأهلية دون أي اعتبار آخر، وهو يتذكر أن اشتراط القرشية في الخلافة هو رأي الجمهور من الفقهاء ومع هذا يخالفه بحجة أن حصر الامامة في أسرة أو عائلة، أو عشيرة لا ينطبق على هدى الخلفاء الراشدين الذين كان يمكن كلا منهم ان يعهد بالخلافة لولده، ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

فاذا وقف في وجه شكيب الحديث المعروف: «الناس تبع لقريش» (٢) رد بأن هذا كان في زمن كانت الرئاسة فيه لقريش، فكانت أولى بهذا الأمر من غيرها وكان العرب في صدر الاسلام تطيعها أكثر من سواها، ولا يستلزم هذا أن يكون الأمر أبدا سودا في يد قريش، مهما تقلبت الأحوال وتبدلت الأطوار.

ثم يذكر أن هناك رواية للحديث تقول: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان» (٣) وهذه الرواية

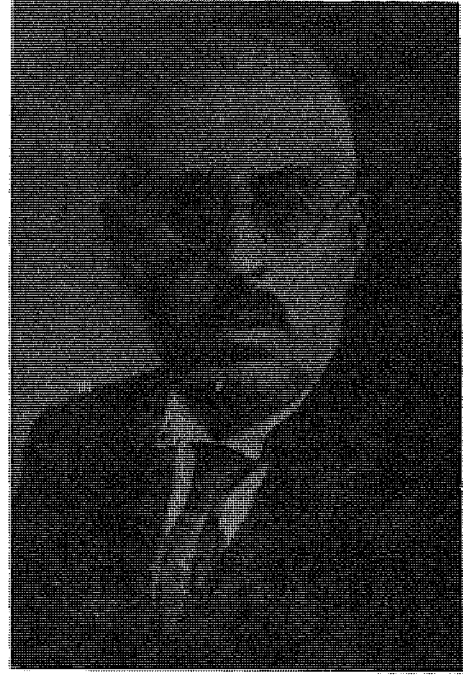
(١) عن عبدالله بن عمر (١) أخرجه البخاري.

(٢) الشورى ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٠.

(٣) عن أبي هريرة (١) أخرجه البخاري.



الأمير شكيب أرسلان في المغرب (١٩٣٠م)



الأمير شكيب أرسلان في جنيف (١٩٢٠م)

جاءت في صحيح مسلم وهو أحد المسانيد المعول عليها والتعليق على هذا الشرط قد حل الاشكال (١) ويكون معنى هذا هو الحكم من شكيب على سلالة قريش بأنها لا تقيم الدين.

ويقول شكيب مؤكداً اتجاهه: «ولعمري ان الذين يزمون بأن الخلافة لا بد أن تكون في قريش، ويذهبون الى أن كل خلافة ادعاها غير قريشي فهي غير صحيحة، مهما كان من فضله وكفايته، قد يجدون في قول عمر (٢): (لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته، أو لاستخلفته) ما لا ينطبق عليه جزمهم وما جعلهم يتفكرون. (٣) فهل تراه في هذا الاتجاه متأثراً بنزعة العثمانية لأن العثمانيين كانوا خلفاء ولم يكونوا قرشيين.

ومهما يكن من أمر فقد كان أرسلان واضح المعادة لما صارت تركيا من علمانية بعد الغاء الخلافة ولذلك شرع يعرض بمصطفى كمال ويحمل عليه فهو تارة يذكرنا بما أقدم عليه في أول الأمر من استعانة بالقوة الدينية في معركة التحرير لتركيا حينما أبرق الى السيد احمد الشريف السنوسي وهو في (ماردين) يقول له: «ابتدأت المعركة، أدركونا بقراءة صحيح البخاري». (٤)

وتارة يذكر أن مصطفى كمال كان في أول أمره يشهد الجمع ويحضر قراءة الموالد ويجعل شعاره الاسلام، ويتحدث عن اخوانه المسلمين وعن استرجاعه القدس قائلاً: «انشاء الله» لأنه مسلم.

ولكن لما انعقدت معاهدة لوزان وتم الصلح مع تركيا، وظن مصطفى كمال انه قد أمن المستقبل قلب ظهر المجن ونسي ما كان يقوله وجاهر بعكس ما كان يجاهر به من قبل. (٥)

(١) المصدر السابق ص ٢٦، ٢٧.

(٢) يشير الى قول عمر بن الخطاب وهو طمئن على فراش الموت.

(٣) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٤٩ الطبعة الثالثة.

(٤) الفتح ١٧ ابريل سنة ١٩٣٠.

(٥) شوقي أو صداقة اربعين سنة ص ٢١٥.

ولذلك يعتبر شكيب معاهدة لوزان بدء تنكر الحكام الاتراك للاسلام فيصفهم بأنهم أولئك المسلمون الجغرافيون الذين تواطأوا مع الأجانب في لوزان على إلغاء الشريعة الاسلامية من بلادهم أملاً بالخطوة عند الأوروبيين وطمعاً في الاندماج فيهم ثم لبسوا بعد ذلك القبعة تأكيداً لاندماجهم في الأمم الافرنجية . (١)

ولنلاحظ انه يكثر من ذكر اسم «انقرة» حينما يريد أن ينقد تركيا وانقرة هي العاصمة التي اتخذها مصطفى كمال مقراً لحكومته وكان شكيب يريد بذلك أن يحمل مصطفى كمال وحكومته تبعه هذا الاعراض عن المسلمين والتنكر للاسلام ، ولذلك نراه يحفظ تقديره للشعب التركي ، ويكتب مقالا تحت عنوان : « لا نرضى ان تقال كلمة سوء بحق الاتراك » ويشير فيه الى مهاجمة الحكومة الكمالية ، ثم يقول : « الا أنني لم أرض قولاً في وقت من الأوقات أن تقال كلمة سوء واحدة بحق الأمة التركية نفسها التي لا يجوز العدل أن يؤخذها المؤاخذ بأعمال حكومتها الحاضرة وهي تنكر من هذه الأعمال ما ينكره العرب وأشد مما ينكره العرب » .

ويمضي ارسلان في التنويه بماضي العثمانيين وجهودهم في نشر الاسلام وخدمته ويذكر علماء الاتراك المسلمين في التاريخ ، ويذكر جهود العثمانيين في انشاء المساجد والمدارس وغيرها . (٢)

وكان ارسلان رجلاً بعيد النظر خبيراً بأمراض الأمة الاسلامية وأسباب عللها ، وكان يرى أن تألب أوروبا ضد الاسلام هو أكثر خطر على المسلمين ، ولذلك يسمى هذا التألب « الحملة اللاتينية ضد الاسلام » ويذكر أن الدول الأوروبية تختلف في كل شيء الا في عداوة الاسلام ، فالاسلام عندهم هو العدو العام .

واسبانية وفرنسة تتعاونان على قهر المغرب مع ما بينهما من أحقاد وخلافات ، والانجليزيون أن الاسلام أخطر عليهم من البلشفية ، وفرنسة وإيطاليا واسبانيا متمالئات على الاسلام كدين ، بعد أن حملت عليه الدنيا .

وشكيب يعلن ويكرر أن من لم تكن له دنيا لم يكن له دين وأن من لم يكن له سلطان فليس له قرآن (٣) وكان شكيب في هذا الرأي ينظر من بعيد الى الأثر الاسلامي الذي يقول : (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

كانت الخلافة موضع اجلال المسلمين ، ولم يقتصر احترامها وتأثيرها على شعوب الدولة العثمانية فحسب ، ولهذا فقد كان الغاؤها مطلباً أوروبياً أساسياً .

وكان من رأي ابراهيم المويلحي انه « لا وطن في الاسلام » بل الدين هو الوطن وشريعته الغراء هي الحكومة ودولته الزهراء وهي الخلافة . (٤) وهو يرى ايضا ان الخلافة « الخلافة هي مرجع المسلمين في أمورهم الدينية والدنيوية » .

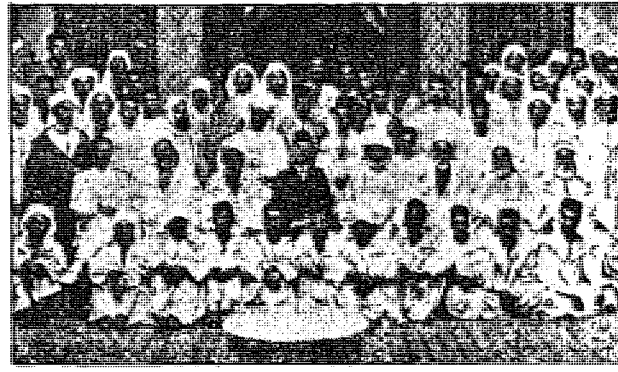
وكان « ابراهيم المويلحي » يرى أن جهود السلطان « عبد الحميد الثاني » في الدعوة للجامعة الاسلامية وتوحيد كلمة المسلمين قد أثمرت نتائجها وباتت الدول الأوروبية تعمل حساب الدولة لدرجة انها صارت تستعين بنفوذ الخليفة في تهدئة ثورات بعض الشعوب الاسلامية المحكومة لها « لقد ادركت الدول الأوروبية تأثير مقام الخلافة على نفوس المسلمين في أنحاء الأقطار وما أيقنت به من اجتماع قلوبهم على تقديس هذا المقام والأخذ بالطاعة في ما يأمر به والامتناع عما ينهي عنه حتى تحولت الدول من السعي في مقاومة ذلك النفوذ في البلاد الاسلامية التي تحت سلطتها الى الاستفادة منه والاستعانة به والانتصار بسلاحه في سلمها وحربها وهذه الدولة الانجليزية لما قدمت على أهل الترانسفال بجميع قواها الحربية رأت لنفسها من أسباب الوقاية والظفر ان يطلب من الخليفة أمير المؤمنين اشارة للمسلمين من أهل

(١) الفتح ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٩ من مقال بتوقيع « الامضاء محفوظ » .

(٢) الفتح ١٥ ذي الحجة ١٣٥٠ .

(٣) المصدر السابق ١٠ رمضان ١٣٤٩ .

(٤) مصباح الشرق - ٢٢ مارس ١٩٠١ مقال بعنوان (يجاربون القرآن - لا السلطان) .



لقطتان من الحفل التكريمي الذي أقامه شعب المغرب للمجاهد شكيب أرسلان

الأمير شكيب أرسلان يتوسط المجاهدين المغربيين علال الفاسي ومحمد بنونة

(كمبرلي) ليقيموا على سكوتهم ولا يشتركوا مع أهل الترنسفال في عداوتهم وهذه الدولة الألمانية التي تقود الأمم الغربية الى جهاد الصين رأت الاستعانة المعنوية بنفوذ الخلافة الإسلامية مما يرد عنها غضب المسلمين من الصينيين ويكفيها غائلهم بما لم يكفه سن السيف ونيران المدافع فطلبت من الخليفة أمير المؤمنين ارسال وفد الى أهل تلك البلاد يشير عليهم بالسكون فما أعظم هذا المقام مقام الخلافة وما أعز شأنه.. لم يتقدم (روبرتس) بجيوشه في ارض الترنسفال الا وبه حاجة الى نفوذ الخليفة معه ولا أقام (والدرس) بجنوده في ارض الصين الا وهو في حاجة للانتصار به . (١)

أما مصطفى كامل فكان يعتقد أن الارتباط بالعثمانيين يعتبر مصدرا لحماية مصر من بريطانيا وكان يسعى جهده للافادة من نفوذ الدولة العثمانية وحققها الشرعي في السيادة على مصر لاجرا انجلترا بين الدول ودفعها للجلاء عن الأراضي المصرية . لذلك كان يحرص دائما على الدفاع عن الدولة العثمانية ويدعو المصريين الى أن يسبق ولاؤهم للدولة العثمانية . وقد اعتبر أن خبر انقلاب قد حدث في عصر الخديو عباس حلمي الثاني هو «توثيق روابط الاتحاديين مصر والدولة العلية» . (٢)

وان الأمة المصرية بأسرها تؤمل من صميم الفؤاد «بقاء الصلة بين عابدين وبلدز قوية متينة . وأن يظل ارتباطها الأكيد بالدولة العلية صاحبة السيادة الحقيقية على مصر والمصريين» .

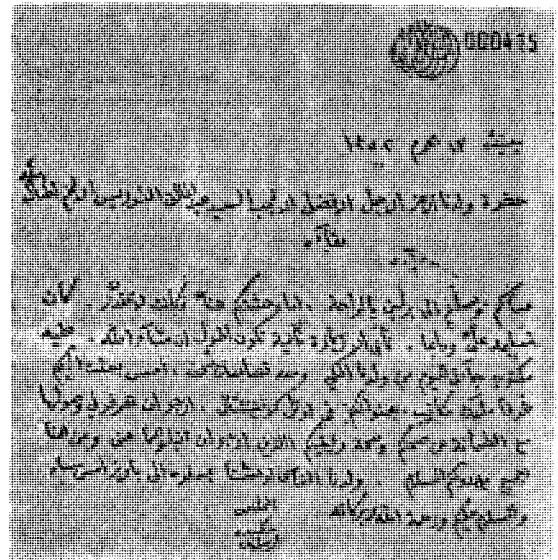
(١) مصباح الشرق - ١٥ مارس سنة ١٩٠١ مقال بعنوان (نهضة تنتهز) .

(٢) اللواء - ٨ يناير سنة ١٩٠٠ مقال بعنوان (الأمة والأمير) .

أرسلات ... وثائق من المغرب



غلاف مجلة «ليزانال نورماروكان» الاستعمارية الفرنسية الصادرة بطنجة عام ١٩٣٢ م



رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى الأستاذ عبد الحالق الطريس



بطاقة احتفال المغرب بذكرى الأمير شكيب أرسلان

عدد خاص بقضية التزوير ضد امير الاسلام

العدد 65

الأحد 29

الاشتراكات: 25 داخل المغرب سنة، 12 30 خارج المغرب سنة

العدد 2

العدد 25 سنويا لاسبانيا 80 سنين لفرانك

الامارات بتدق عليها مع الإدارة

ألمانيا الأندلس: ALHAYAT Plaza de España 68 Apartado 184 Tetuán (Marruecos) تطوان - المغرب

ما يخص التحرير يوجه باسم الرئيس للسلطة: الشماس لوزاني وما يخص الإدارة يوجه باسم المدير

جريدة اسبانية حرة تدافع عن العالم العربي

الأمير شكيب أرسلان

في يوم من أيام الأمس كما نأجدها ومثلت وقتها خطبا بين يدي الأمير المجلد كان ذلك يوم الاستقلال الحبيب الذي أتته أعالي تطوان لربيع الساعة في العالم الإسلامي، أفرقا بجماعة العروبة والاسلام، وتقدموا لضمها، اليه بعد من أجل انتماء بالاسلام على العنصر، ونحن نمر بمرح من بولام بنود منذ إرسال الكلمات بين الماهرين، وظننا عناية مشددة من يد ترفيق خيلا، أبعثت في شرح الوفاة لاندن الناس انما انتمى لينا، وما المرأة شيء بسيط من خمسة آلاف ومجوده

«سنترال» الاسلام

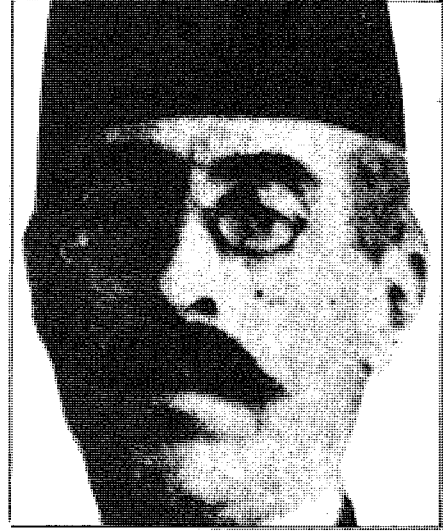
«أو اولا انه كان العالم الاسلامي ابراهيمية واحدة وسلكة عطية غير عبرة ولا مودة كما كان ايام تلك الزمان، ولكن التفرقات المغربية والاختلافات لثبات والافراس الشخصية تعطلت على تقويض هذا الجهد التاسع، حتى كادت تأتي اليه من لسانه لولما جاء من قوة روحية وتعاليم يدين بها لغيره ان يكون له المخرجت القامرة، ففهم ليهت به الامم والفرق لم تستطع ان تقدم بأكمل شيء، بل لاندن يقرنا، وكيفي الترحم في ظاهريه، وذلك القبة الهيبا

والتمير والواجب الكبير طردك المحرم لكب لعدولك

العدد الخاص الذي أصدرته جريدة «الحياة» المغربية دفاعا عن الأمير شكيب أرسلان



مصطفى كامل : نعلق صادق براءة الخلافة



شكيب أرسلان : رجل السيف والقلم

ويرى مصطفى كامل أن حماية الاسلام من دسائس اعدائه رهن بتحقيق شرطين :
الشرط الأول : ان يقوم من بني الاسلام رجال يضحون بحياتهم لخدمة الاسلام ويهبون أعمارهم لإحياء وإعلاء شأنه فيكونون فينا كالجزيوت والفرير الذين يقضي الواحد منهم عمره لخدمة دينه ونشر مبادئه . (١)

الشرط الثاني : «التعلق الصادق براءة الخلافة الاسلامية العثمانية» وعندما حاول البعض أن يوقع بين مصطفى كمال والسلطان كتب مصطفى كامل يعلن إخلاصه للسلطان فقال «إني كما يعلم عموماً من أول يوم ناديت فيه بحقوق بلادي لم اتحول عن المبادئ التي اتخذتها أو الخطة التي سرت عليها حيث رسخ في نفسي واعتقدت اعتقاداً لا تنزعه من قلبي الحوادث والأيام ان سلامة بلادي وإعلاء شأن الاسلام أمران لا يتحققان الا بالعمل على إجلاء الانجليز عن مصر أولاً .. وبجمع كلمة المصريين حول أمير البلاد وثانياً بتوثيق عرى الارتباط بالاتحاد بين مصر والدولة العلية وثالثاً احترام وتقديس مقام الخلافة العظمى والسلطنة السنية رابعاً . (٢)

وفي عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني كتب مصطفى كامل يهنئ الخليفة : وقال ان له امنيتين لدى الخليفة ، الأولى أن يسعى جلالة مولانا أمير المؤمنين مستعيناً بالله الذي هو خليفة رسوله ويستعمل نفوذه الديني المقدس في جعل الاتحاد الاسلامي المعنوي اتحاداً اسلامياً مادياً مؤلفاً من جميع امارات الاسلام وممالكه ليقوى على احتمال صدمات تيار الاتحادات الاوربية لأن انجلترا أصبحت حليفة اليابان وكلتاها دولتان ضخمتان والروسيا حليفة فرنسا .. والمانيا حليفة النمسا واطاليا وكلهن يسعين الى اجتذاب الولايات المتحدة اليهن فعدم وجود اتحاد اسلامي أمام هذه الاتحادات العظمى أمر لا تخفى نتيجته على ذكاء جلالة مولانا أمير المؤمنين . (٣)

أما الأمنية الثانية فهي «مضاعفة الاهتمام بحرية الدولة العثمانية ليرى المسلمون منشأتها تجري في البحر كجوارى الدول الأخرى فيرفعون رؤوسهم اعجاباً وفخراً اعتماداً على الله وعلى قوانا» .

(١) اللواء - ٥ مارس سنة ١٩٠٠ مقال بعنوان (كيف يحمي الاسلام) .

(٢) اللواء - ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ مقال بعنوان (كيف يحمي الاسلام) .

(٣) اللواء - اول سبتمبر سنة ١٩٠٢ مقال بعنوان «عيد الخليفة والاسلام» .

وفي أزمة طابا كان من الطبيعي ان يقف مصطفى كامل في صف الدولة العثمانية وكانت حجته في ذلك هو تدخل انجلترا في المسألة فهو يقول «نحن لا نعرف كيف تدعي انجلترا لنفسها حق حماية مصر ضد تركيا وهي «هي» صاحبة السيادة الشرعية على وادي النيل (١) وأعلن مصطفى كامل ان «تركيا تحتل في «طابا» ارضا عثمانية (٢)» أما المسلمون الذين اتحت لهم فرصة التعليم في معاهد غربية فقد عاد معظمهم ليعيشوا غرباء عن مجتمعاتهم وظهر ذلك بوضوح في الشام والعراق ومصر.

ويرى احمد لطفي السيد ان «الجامعة الاسلامية لا أثر لها في مصر ولا نظن لها وجوداً في غير مصر. (٣)

ورغم ذلك فهو يقول بأن فكرة الوحدة الاسلامية قد تحول احياناً بخواص بعض الناس «الذين لا يزالون بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر في الأمور العامة بشيء من التدقيق.. ولكن تلك الفكرة لم تخرج عن حيز الخواطر التي تظهر وتختفي تبعاً للحوادث».

ويبرر لطفي السيد انتشار فكرة الجامعة العثمانية في مصر بأنه «كلما رأى المصريين اتفاق رجال السياسة الاوربية على شيء يضر بمصلحة مصر او يبعد ميعاد استقلالها او يفيد استمرار الاحتلال الى الأبد قارنوا بين مصر وبين غيرها من ولايات.

أما جرجي زيدان (٤) فقد لعب دوراً هاماً في الدعاية المضادة لعبد الحميد وتهيئة الاذهان لقبول الغاء الخلافة وساهم بقلمه عبر العديد من الروايات والمؤلفات والمقالات واستقطب مجموعة من الاقلام في صفحات «الهلال» وفيما يلي مقتطفات من كتبه :

تحت عنوان لا يصح إلا الصحيح كتب في الهلال سنة ٢٠ ص ٤٧٦ عن عبد الحميد يقول :
وأقرب الشواهد على ذلك ما كان يقوله بعض المتعلمين في عصر الاستبداد عن عبد الحميد وفيهم من ألف كتاباً في ذكر فضائل العصر الحميدي الانور.. ونسب لذلك الطاغية سعيًا حيداً في بث العلوم وانشاء المدارس فعدد ما أتاه من الاصلاح في الدولة والأمة كانوا يفعلونه تملقاً يلتمسون به رزقا مغموساً بالدم . وقد يتبادر الى ذهن القارئ ان حقيقة عبد الحميد لم يخفها ذلك التمويه ، وان الناس كانوا يعرفون حقيقة الرجل الغريب الأطوار . لكن الواقع ان كثيرين كانوا ينخدعون بتلك الاقوال ويعتقدون فضل عبد الحميد فلما حكم عليه بالخلع بعد حادثة ١٣ ايلول تصدى بعض الكتبة لاقامة الحجة وانكروا على الأحرار عملهم . وتوالت التلغرافات على الأستانة من أنحاء العالم الاسلامي يطلبون الى الدستوريين الا يلحقوا الأذى بشخص ذلك المخلوع .

وما يصح على عبد الحميد يصح على المقدمين من رجاله وأمثالهم ، فقد كان بعض كتاب الصحف يصورونهم أجمل الصور وينسبون اليهم أفخر الفضائل . فلما انقلبت الحكومة ظهرت الحقيقة .

وحول الجامعة الاسلامية والنقاش الدائر حولها كان لابد لرجل كجرجي زيدان ان يدلي ببلوه فقال :
الجامعة هي الاستمسك بمبدأ أو اعتقاد أو غرض يجتمع حوله جماعة من الناس يشتركون في الأخذ به والدفاع عنه . والاجتماع فطري في الانسان لكثرة حاجاته وعجزه عن القيام بها وحده . فاضطر الى الاستعانة على قضائها بالاجتماع مع أبناء جلدته للتعاون وتبادل النفع . فهو يتدفع الى الاجتماع بأسباب مع الآخرين أقدمها القرابة او جامعة النسب ، وتعرف بالعصبية ، ويدانيها في القدم جامعة اللغة . والتفاهم يقرب القلوب ويوحد الأغراض .

فاذا تكاثرت الأقوياء وتشعبت القبيلة الى فروع أقام كل منها في بلد واشترك وأبناؤه في الدفاع عن ذلك البلد وهي

(١) اللواء - ٧ مارس سنة ١٩٠٦ مقال بعنوان «مسألة العقبة» .

(٢) اللواء - ١٧ مارس سنة ١٩٠٦ .

(٣) الجريدة - ٧ مايو سنة ١٩٠٧ .

(٤) انضم جرجي زيدان لجمعية «شمس البر» التي أنشئت في بيروت عام ١٨٦٩ م كفرع لجمعية «الشبان المسيحيين» في انكلترا ، والتي ضمت بالإضافة اليه من العرب : د . يعقوب صروف ، د . فارس غر ، سليم البستاني ، بطرس البستاني ، جوزيف اسبر . ثم =



جرجي زيدان : تولى الدعاية المضادة للخلافة
العثمانية تمشياً مع ماسونيته وخدمة للانكليز



لطفى السيد : تجاهل وجود أي أثر
للجامعة الاسلامية في مصر

جامعة الوطن، مع بقائهم مشتركين في جامعة اللغة أو النسب لأنهم من أصل واحد. ويغلب في أهل القبيلة الواحدة ان يدينوا بدين واحد ومهما كثرت فروعها فهي تجتمع بجامعة الدين زيادة على اللغة والنسب. وقد يتفق وجود أمة أخرى في بلد آخر تتكلم بلسان غير لسانها لكنها تنتمي بمثل دينها فتجتمع معها جامعة الدين. وقس عليه سائر الجامعات وهي عديدة — فأهل البلد الواحد يقسمون الى جامعات يجتمع بعضهم بجامعة المهنة وآخرون بجامعة الجنس أو اللون أو الزواج أو العزوبة فيكون المتزوجون حزباً واحداً تجمعهم جامعة الزواج وكذلك العزاب والكهول، مع اشتراك كل فرد من احدى تلك الجامعات بصفة أخرى مع جامعة أخرى فيكون شريكاً مع بعض الناس في جامعة النسب، ومع غيرهم بجامعة الدين وغيرهم بجامعة اللغة. وهكذا من حيث المهنة والعادة والسن والطول والقصر وغيره. كأن يكون طبيباً فيجتمع مع الأطباء بجامعة المهنة أو محامياً فمع المحامين أو طويلاً فمع الطوال أو قصيراً فمع القصار أو أسمر اللون فمع السمر أو أبيض فمع البيض، وقس عليه.

فتتضارب الجامعات وتتقاطع على شكل عجيب فأهل القاهرة مثلاً تجمعهم مدينة القاهرة ولكن ابن هذه المدينة

= هاجر الى مصر عام ١٨٨٣ م فعمل محرراً في صحيفة الزمان اليومية لصاحبها ملكان صرافيان الأرمني الذي هاجر الى قبرص وكانت الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة بعد أن عطل الاحتلال البريطاني جميع الصحف الأخرى. وفي عام ١٨٨٤ رافق الحملة الانكليزية النيلية الى السودان مترجماً وكانت الحملة تستهدف انقاذ «غوردون» من ثورة المهدي. وفي عام ١٨٨٦ زار لندن بعد أن ضمه الدكتور فاندريك الى المجمع العلمي الشرقي ببيروت كما عين بعده عضواً في المجمع الآسيوي الملكي البريطاني). وفي سنة ١٨٩١ م أنشأ مطبعة التأليف بالاشتراك مع نجيب متري التي انفرد بإدارتها بعد سنة وسماها مطبعة «الهلal» بينما أنشأ الآخر مطبعة المعارف. ثم صدر الهلal في ١٨٩٢ م كما عكف على التأليف والنشر فألف في التاريخ «التمدن الاسلامي» مستفيداً من مؤلفات المستشرقين «فول كريم»، جولد تسيهر وجوستاف لوبون. وقد اتهمه محمد حسين هيكل في مقال له بجريدة عام ١٩١٢ بأنه لم يكن دقيقاً في ضبطه للحوادث وتحريره للتاريخ في كتابه «تاريخ آداب العرب» كما اتهمه مرة أخرى بأنه لم يدخل روح العرب كي يستطيع أن ينثرها أمام نظره وفتش فيها ويعرف دقائقها. كما تعرض لحملة نقدية مماثلة من المصلح الهندي الشيخ شبلي النعماني. بينما قال طه حسين في «اعلام الفكر والأدب» ص ١٨٧ ان جرجي زيدان هو الذي نقل الى الأدب العربي مذهباً من مذاهب الأدب الأوربي هو القصص التاريخي. كما كتب الدكتور زكي نجيب محمود في قصة «الأدب في العالم» الجزء الثالث ص ٤٣١: (وأخيراً جاء جرجي زيدان ففتح بالتاريخ نحواً جديداً أتبع فيه أسلوب الفرع في جمع النصوص وبحثها والاستنتاج منها ودراسة الأسباب والنتائج).

يجتمع مع ابن الاسكندرية على غير المصري ويجتمع مع أهل الشرق على أهل الغرب . والمصري المسلم يجتمع مع المصري غير المسلم بجامعة الوطن ومع السوري والعراقي بجامعة اللغة ومع الفارسي والهندي بجامعة الدين . واعتبر هذا التفرع كل بلد ودين ولغة فترى الجامعات عديدة يشترك بها الناس بعضهم على بعض أو مع بعض على التقاطع والتضارب . ولو رسمنا تلك العلاقات خطوطاً بين الانسان ومن يشترك معهم بجامعة أو غير جامعة لرأينا كلاً منها مركزاً تنبعث منه الخطوط انبعاث الأشعة من جسم منير حتى تتقاطع وتشبك بالخطوط المنبعثة من جسم آخر على شكل مرتبك متقاطع .

فالجامعات عديدة لا يمكن حصرها ولا يخلو انسان من اشتراكه في عشر أو عشرات منها ، ولكنه لا ينتبه لهذه الجامعة او تلك الا اذا اضطر الى الاجتماع لدفاع او هجوم فاذا خاف أهل عصبية أو قبيلة من عدو يسطو عليهم اجتمعوا عليه بجامعة النسب وهم الأهل والأقرباء . فاذا لم يفهم ذلك استعانوا بجامعة الوطن أو الدين أو اللغة أو غيرها . بهذا المنطق يتناول جرجي زيدان شعار الجامعة الاسلامية فيهبط به من شعار روجي الى شعار مادي مما يزي به فيقول :

واذا أمعنت النظر فيما عدناه من الجامعات العديدة رأيت مرجعها عند العمل الى جامعة لم تذكر في جملتها مع انها أساسها كلها نعني «جامعة المنفعة» او المصلحة وهي اشتراك الجماعة في عمل يعود نفعه عليهم . وهي الأصل في قيام الناس بالاحزاب والعصبيات فاذا توسموا لأنفسهم نفعاً في عمل مع جماعة تذرعو الى التقرب منهم او استخدامهم بجامعة تجمعهم بهم . فاذا رأوا بقاءهم على هذا الاجتماع مضر بمصالحهم أغضوا عن تلك الجامعة وانتحلوا سبباً يجمعهم بجامعة أخرى . فالجامعة الحقيقية انما هي جامعة المنفعة والتاريخ غاص بالشواهد على ذلك .

كان العرب قبل الاسلام منقسمين الى قبائل تجمع كلا منها جامعة النسب العدنانيون في جانب والقحطانيون في آخر . ويقسم العدنانيون الى عشرات من القبائل والبطون وكذا القحطانيون . وكل قبيلة أو بطن يجتمع بعصبية على سائر العرب ويجتمع مع بطن آخر من قبيلته على البطون الأخرى من القبائل الأخرى كما هو مشهور في ايام العرب وحروبهم .

فلما جاء الاسلام حامت القبائل حوله وجعلوه جامعتهم الكبرى وأغضوا عن عصبية النسب .

واقترى بالنبي خلفاؤه الأولون لا سيما عمر بن الخطاب فان جبله بن الایهم ملك غسان بعد ان أسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة ان فزاريا وطىء ازاره فانحل ، فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزاري فشكاه الى عمر فأراد عمر ان يهشم أنف جبلة فقال : كيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟ فأجاب عمر : «ان الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية» فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار .

فالاسلام جمع بين العرب والعجم كما جمعت النصرانية في بلاد الشام ومصر بين الرومي والقبطي والنبطي والعربي وغيرهم . على انهم كثيراً ما كانوا يجنحون الى احدى هذه الجامعات اذا رأوا فيها منفعة فالمسلمون مع اغفالهم الجامعة العربية وتسمكهم بالاسلام كانوا يعودون الى تلك الجامعة لاكتساب بعض القبائل العربية النصرانية في العراق أو الشام ممن كانوا على ولاء الروم أو الفرس . وكان هؤلاء مع اجتماعهم بجامعة الدين والدولة مع الروم والفرس لما رأوا تغلب العرب انحازوا اليهم بجامعة النسب واللغة . ولو لم يتوسموا بذلك الانحياز خيراً لأنفسهم لتمسكوا بجامعة الدين التي تجمعهم بالروم أو جامعة الوطن التي كانت تجمعهم بالفرس . لكنهم كانوا ناقلين على الفرس لما كانوا يسومونهم اياه من الاضطهاد فلما رأوا قوة المسلمين وإقبال دولتهم تقربوا اليهم بعصبية النسب ونصروهم ودلوهم على عورات الفرس . وكثيراً ما كان عرب الشام والعراق عوناً للمسلمين في حروبهم يرشدونهم وينصحونهم ويحملون اليهم أخبار أعدائهم فلما خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم لقيه الروم فقاتلوه فجاءه رجل من العرب نصراني وقال له اني لست من دينكم ولكنني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنوكم وان صبرتم هربوا وتركوكم وقد نفعتهم هذه النصيحة .

ولم يكن عمر يجهل تلك الرابطة فحرص المسلمون على فتح الشام والعراق . ولما رأى ما كان من نصرة عرب العراق لهم عرف فضلهم فلما هم المسلمون بوضع الجزية على أهل اللغة وفي جملتهم عرب تغلب وإياد والنمر وهم نصارى ، أبى هؤلاء الجزية وبلغ عمر ذلك فاستشار أصحابه فقال له بعضهم : انهم عرب يأنفون من الجزية قوم لهم نكاية فلا تعن عدوك عليك فوافق ذلك ما في نفسه ففرض عليهم الصدقة كما تفرض على المسلمين ولكنه شرط عليهم ألا ينصروا أولادهم .

فلما استقر الاسلام وانتشر المسلمون في الارض تفرعت الجامعة الاسلامية باعتبار البلاد فنشأت العصبية الوطنية عندهم وأقدم ما ظهر منها في أيام عثمان بين الشام والكوفة ثم حدث الانقسام الوطني السياسي بعد قتله . ثم ما بين الحجاز والشام ومصر في أيام معاوية . وهكذا حتى أصبح لكل بلد عصبية خاصة مع اختلاط البلد الواحد من أمم شتى وذهبت عصبية النسب بتوالي الأجيال وظلت الجامعة الوطنية — ناهيك بانقسام الجامعة الدينية الاسلامية الى الشيعة والسنة والى الفرق الاسلامية مما لا يمكن حصره ومرجعه الى جامعة المنفعة .

واعتبر ذلك في امم أوروبا كيف جمعتها الدولة الرومانية وهي في ابان مجدها ، فلما ذهبت انقسم أهل أوروبا الى فرق كل منها مستقلة بنفسها . وما زالوا يتحاربون ويتخاصمون حتى اقتضى قيامهم لمحاربة المسلمين في الحروب الصليبية فتذرعوا الى ذلك بجامعة الدين فاتحدوا بها وحلوا على الشرق بخيلهم ورجلهم . فلما فرغوا وعادوا الى بلادهم وأفاقوا من غفلتهم وأخذوا في تكوين الدول استقلت كل منهم على حدة واتخذت لنفسها جماعة تفصلها عن سواها — نعني جامعة الوطن ، فتألفت أمم فرنسا وانكلترا وألمانيا وغيرها ولكل منها لغة خاصة ووطن خاص وهي مع هذا تتذرع عند الحاجة الى الاجتماع حسب أصولها فتجنح ايطاليا واسبانيا وفرنسا الى الجامعة اللاتينية وترجع المانيا والنمسا وانكلترا الى الجرمانية . وهي لا تفعله الا عند الاضطرار إلتماسا لمصلحة . فيكون الباعث الحقيقي لانتحال تلك الجامعة والمنفعة وانما يظهرون باحدى الجامعات الأخرى توسلا الى اجتماع الأيدي .

وكثيراً ما يخلق الناس جامعة لا حقيقة لها ويتواطؤون على الاجتماع بها لما يتوسمون من النفع بواسطتها . وأكثر ما يكون ذلك في الأمور الدينية او الاعتبارية كأن ينتحل بعض الرؤساء أرباب المطاعم معبودا يعظمه ويعبده ويضرب به على وتر الدين فيدعو عصابته الى الاجتماع باسمه والنهوض لقهر أمة أخرى يزعم انها أهانتة فتسعفه وتحارب وتناضل حتى يفنى معظمها . فاذا ظفرت عاد الظفر على ذلك الزعيم بنيل الرئاسة وشرف الفتح .

وقد ينتحل بعض أصحاب المطاعم أمرا اعتباريا آخر يعظمه في عيون أتباعه فيضرب به على وتر الشرف أو عزة النفس ، فيزعم ان أعداءه أهانوا شرف أمته أو حزبه ويدعوهم لرد شرفهم بالسيف وهو انما يطلب الكسب لنفسه . كذلك كان يفعل أكثر القواد العظام في كل العصور فيجمع أحدهم رجال حول خرقة منصوبة على عصا يسميها الراية ويوهم أتباعه أن الدفاع عنها دفاع عن الوطن أو الدين فيستمتتون دون حمايتها حتى يظفروا وانما يكون الظفر له .

وقص عليه تعظيم الزعماء بعد موتهم رغبة في الاجتماع حول اسمهم والعمل بوصاياهم وكثيراً ما يرفعون قدرهم الى مقام القديسين ويروون عنهم أقوالاً لم يقولوها وينسبون اليهم فضائل لم يأتوها ، وهم لا يفعلون ذلك الا اذا توسموا من ورائه منفعة لهم . فكم قدس الناس رجالا يستحقون الاغفال لمنفعة توسموا في تقديسهم وكم أغفلوا رجالاً يستحقون التقديس لم يروا في تقديسهم منفعة .

وإزاء الرصيد الكبير من التأييد والالتفاف حول شعار «الجامعة الاسلامية» يجد جرجي زيدان نفسه مضطرا لتدبيج المزيد من المقالات والمساجلات على هذه الوتيرة محاولا التشكيك بمصدر هذا الشعار فيقول :

متى عرفنا أن الباعث الأصلي للتكاتف على القيام بأمر من الأمور انما هو جامعة المنفعة ولأن سائر الجامعات لا يتخذها القائمون بهذا الأمر إلا وسيلة للاجتماع لم تعد تفرنا الدعوة باسم الدين أو اللغة أو الوطن لعمل من الأعمال وإنما ننظر الى الباعث الحقيقي عليها فإذا وجدنا فيه مصلحة حقيقية لنا أو لذوينا تساوي المنفعة التي سيجريها

الداعون الى ذلك الفعل وافقناهم .

ونستفيد منه أن جمع الكلمة على مشروع عام لا يتم لنا الا اذا كان للمجتمعين كافة نفع من وراء نجاحه ولا بأس من أن ندعوهم باسم الوطن أو الدين أو غيرهما من الجامعات الكبرى أو الصغرى بعد أن نبين للقائمين به وجه النفع الشخصي لكل منهم أفراداً أو اجمالاً ، فاذا تبين لهم ذلك جابونا باسم الجامعة التي ندعوهم بها وافقونا على تقديسها وكتبوا ما يتوقعونه من النفع وهو الباعث الحقيقي على الاجتماع .

وما يذكر أن نخبة من الشباب التونسي التفت حول شخصية خير الدين باشا التونسي ، والي تونس ثم الى الصدر الأعظم في عهد عبد الحميد وعرفت بمجموعة «الحضرة» (١) التي استمر نشاطها من ١٨٨١-١٩٠٦م وتركت الأثر الثقافي والسياسي العميق في البلاد حيث دعت لحياء الشخصية التونسية الاسلامية وورثتها «المدرسة الصادقية» التي عمقت اتجاهات خير الدين في أذهان الشباب التونسي بقيادة علي باش حبة ثم قام بعدها الحزب الحر الدستوري بقيادة الشيخ عبد العزيز الثعالبي قبل أن يتولى رئاسته مؤخراً الحبيب بورقيبة ويتطور اتجاهه - تبعاً لتطور الأحداث نفسها - من اتجاه وحدوي اسلامي عثماني مثله أصدق تمثيل علي باش حبة في جريدة «التونسي» الى السعي للمزاوجة بين العالمين الاسلامي والأوربي خلال عهد بورقيبة ، وما كتبه علي باش حبة في «التونسي» :

(يظن بعضهم دائماً ازعاجنا عندما يتحدث الينا عن الجامعة الاسلامية والجامعة العثمانية ، كأننا أنكرنا في وقت ما وجودهما ، ولكن كل مسلم في التعريف به متمسك بالجامعة الاسلامية ، ومن التفاهة تكرار تلك الحقيقة ، فقد كان يظن فيما مضى ، والحق يقال ، ان الجامعة الاسلامية منظمة سرية منضبطة متمكنة من وسائل عمل ومعادية في اتجاهها لأوروبا ، ولكن تلك الاسطورة البالية تلاشت اليوم ، وكل الناس ، تعلم أن الجامعة الاسلامية ما هي الا شعور أخوي واسع أفضى الى الجامعة العثمانية فكانت له في آن مظهراً جلياً . خمسة قرون من الجهاد والفتوحات والعظمة أحاطت الأسرة العثمانية المالكة من الاكابر ، وأقرت سلطان استانبول خليفة ، فكان الوفاق الديني القوي بين المسلمين بينهم وبين من اعتبروه حامل لواء الرسول . وكانت القسطنطينية في نظرهم عاصمة الاسلام ودار الخلافة ، وانها للمسلمين بمثابة روما للمسيحيين . فالتونسيون نصراء الجامعة الاسلامية والاتراك ، ثم انهم يكتمون ذلك الشعور وليس بينهم من عزم على الاعتقاد بأن النفوذ التركي تقلص من هذا القطر الى الأبد) .

وتظهر هذه السياسة نفسها في جريدة تونسية آخرآ اسمها «الاتجاه الاسلامي» التي كان يديرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي عقب حادثة الزلاچ (٢) حيث تكررت الدعوة للجامعة الاسلامية أو الخلافة الاسلامية ، تحت راية الخليفة العثماني ، كما تأسست بيعة الخلافة كما ورد في جريدة «تقويم المنصور» سنة ١٣٤٢ هـ وعندما انعقد مؤتمر الخلافة في مصر عام ١٩٢٦ شارك فيه عبد العزيز الثعالبي .

(١) الحضرة مجلة تونسية عبرت عن مجموعة الحضرة التي تأسست في أغسطس سنة ١٨٨١م (انظر جهاد وعودة في «تونس» مسألة العروبة وقضاياها السياسية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ص ٤٧) .

(٢) حادثة الزلاچ ١٩١١ - ١٩٢ : نار الأهالي بنونس على الحماية الفرنسية عندما أرادت إلحاق مقبرة الزلاچ بممتلكات البلدية بعد أن كانت وقفا للأسر التونسية معتبرين ذلك تحدياً لأحكام الوقف في الشريعة الاسلامية .

الفصل الثالث

فكرة الجامعة الإسلامية

بمدرسة قوط عبد الحميد

وفكرة «الجامعة الإسلامية» رغم الضربة العنيفة التي أصيبت بها حينما خلع عبد الحميد إلا أن أنصارها استمروا في دعمها.

ونفس الدعوة للوقوف بجانب الدولة العلية في حربها الطرابلسية يقول بها (عبد الرحمن الرافعي) الذي يكتب يطالب الشعب المصري «بمعونة اخواننا المجاهدين بجوارنا لأننا أول من يسأل عنهم ونحن الآن أمام مسألة حياة أو موت فلنكن من الأحياء يكن معنا الله (١)». ولقد تحمل الكتاب والمفكرون الاسلاميون في مصر، وفي غيرها الكثير نتيجة لمواقفهم المؤيدة للخلافة ومنهم عبدالعزيز جاويش. وعلى صفحات (العلم) أيضا قام الشيخ عبدالعزيز جاويش بالتصدي للرد على لطفي السيد عندما كتب يهاجم الذين يدعون لمساعدة الدولة العثمانية في الحرب الطرابلسية.. فوجه اليه خطابا مفتوحا بدأه مخاطبا لطفي السيد ومطلقا عليه اسم (عدو الاسلام) وقال: «أي عدو الاسلام نقتم منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين ونستنفر الموحدين لاغاثة الموحدين فماذا كنت تريد؟ أردت أن نتقدم الى البابا بيد مبسوطة ورؤوس خاشعة وأبصار مغموضة وأدعية ضارعة أن يدفع عنا بلاء أمة تقول بصليبه وتدين بذهبه اذن لقد ضل عقلك وخطل رأيك فلقد نشر امام النصرانية — يقصد البابا — ذلك المنشور الذي بارك فيه الحملة الايطالية على طرابلس — ثم دعا فيه أهل المسيح باسم المسيح وشفاعة المسيحية — أن يستيحيوا المحارم وألا يكون فيهم غير ظالم... ذلك قول خليفة المسيح في الأرض وممثل المسيحية في العوالم البشرية» (٢)

وقال جاويش أن ذلك يؤكد أن الايطاليين هم الذين أعلنوها حربا دينية لا المسلمين ولا رجال الحزب الوطني كما قال لطفي السيد في إحدى مقالاته: «اذن من الذي دعا باسم الدين أنحن مسلمي مصر أم بابا روما». ثم تساءل الشيخ عبدالعزيز جاويش «خبرنا ماذا كنت تريد من مخالفتك الاجماع ومناهضتك أهل البر والمروءة؟؟ أردت أن يضع الفرنجة على رأسك الأكاليل أم أردت أن تجهز بمعاداة العالم الاسلامي لتتطابق بين العمل والعقيدة.. لقد ضلّت والله مذاهبك وشاهت غاياتك ومآربك».

«إن واجبي نحو ديني ووطني، هو كل شيء في حياتي، أما أطفالي فلهم الله».

عبد العزيز جاويش هذا، الذي مات ولم يترك الا أطفاله الستة والديون الوفيرة التي قام بسدادها بعض خصومه السياسيين.. هو ثالث أقطاب الحركة الوطنية المصرية، بعد مصطفى كامل ومحمد فريد.. وهو أول رئيس لتحرير «اللواء» بعد مصطفى كامل.

عبد العزيز جاويش، هو الذي افتتح أول مقالة له، بعد أن ترأس تحرير جريدة اللواء في يوم ٣ مايو ١٩٠٨ وبعد أن ترك منصبها هاما في نظارة المعارف بقوله: «بعونك اللهم، قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة، ومطيتها الدهان والتدليس، في أسواقها النافقة تشتري نفيسات النفوس بزيوف الفلوس، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس.

(١) العلم — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩١١ — مقال بعنوان (الوطنية الانسانية)
(٢) العلم — ٣١ أكتوبر سنة ١٩١١ — مقال بعنوان (الى مدير الجريدة أي عدو نفسه).



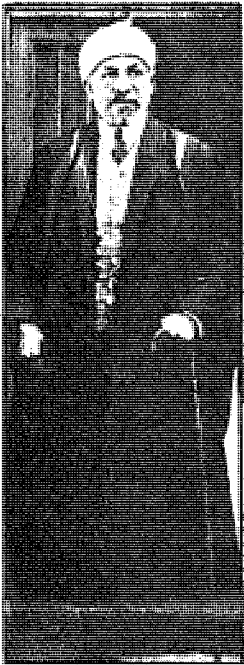
مجموعة من رجال مصر مع عبد العزيز الجاويش



الاميران ابراهيم حليم وعباس حليم مع عبد العزيز الجاويش واللجنة المؤلفة لبحث مستقبل مصر خلال الحرب الاولى في لقطة ببرلين.



السيد احمد شريف السنوسي «الكبير» مع الشيخ عبد العزيز الجاويش في لقطة مشتركة لهما بانقرة اثر استيلاء القوات الإيطالية على طرابلس الغرب وبرقة.



الشيخ عبد العزيز الجاويش، احد القلائل الذين حافظوا على ولائهم للخلافة



الشيخ عبد العزيز الجاويش في لقطة تاريخية نادرة يبدو فيها تلميذه في جامعة اكسفورد — آنذاك — امبراطور اليابان حاليا مع بعض زملائه وتلامذته.



لجنة اصلاح الازهر مع الشيخ عبد العزيز الجاويش في لقطة تاريخية



د. طه حسين وقريظته سوزان
(الفرنسية الأصل) وابنه مؤنس
في لقطة خلال زيارتهم لمدرسة
«هالي العليا» للبنات ببباريس
في نوفمبر ١٩٥٠م

وبينك اللهم استقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول حياة الجهد بالرأي، حياة الارشاد العام، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة، استقبل هذه الحياة، بعد أن قضيت في سابقتها ثمانني حجج بلغت فيها ذلك المنصب، الذي كنت فيه ما بين محمود عليه ومرجوه فيه، استقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر منبريا في ميدانها، فأما الى الصدر وأما الى القبر، موقنا بما أعد الله لعباده الصالحين المخلصين من السر والفتح المين عارفا أن :

الحي لا يموت الا مرة...

والموت أحلى من حياة مرة...

«وكيف لا نقدم من أنفسنا قربانين بين أيدي أهرام هذا القطر ونيله»، أم كيف لا نصرف كل مرتخص وغال في سبيل تحريره، وقطع اليد الغاصبة له جزاء بما كسبت.

فلنتمسك بهذا المبدأ الشريف ما حيينا، ولنعتصم به ما بقينا، ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فستنزل المقت والسخط على من دخل بلادنا وقبضوا بأيدي جبروتهم على نواصينا واستخدموا في سبيل اصابة غرضهم افرادا.. واذا ما لاقوكم قالوا انا لكم، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا... انا معكم انما نحن مستهزئون

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَاَرَبَتْ بِجَنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » ﴿١٦﴾

سورة البقرة الآية ١٦

ويسأل الله عبدالعزيز جاويش في افتتاحية اللواء: «لسانا ناطقا بالصواب، والحكمة وقلما لا جولة له في ميادين القحة ولا علم له بمعاهد الفحش والسباب... فما أحوج الأمة الى كلمة يستمعونها... وجيل عقله بعونها.. وما أضمن الجرائد أن تتضامن وتتعاون على البر والتقوى.. وما أخلقها أن تجتمع حتى تكون يداً واحدة على اعدائها يحذرونها ويخشون بطشها.. وما أحرأها، أن تعلم أنها بتفرقها وتحاذلها انما تشمت عدوا مبينا وتكمد صديقا شفيعا.. فأرسل اللهم على قادة هذه الأمة ومرشديها من عندك.. روحا يجمع شتيها ويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الزلل وآراءها من الخطأ والخلط».

وفي يوليو ١٩٠٨ تقيم النيابة العامة الدعوة على الشيخ عبدالعزيز جاويش رئيس تحرير اللواء... لأنه وقف الى جانب زعيم سوداني اسمه الشيخ عبدالقادر في بلدة «الكاملين» بالسودان.. ولأنه كتب عن «دنشواي أخرى في السودان».

وتبرىء المحكمة الشيخ جاويش من تهمة نشر «الخبر الكاذب» وتعاقبه بغرامة قدرها عشرون جنيها، لأنه أهان وزارة الحربية، ولكن محكمة الجنج المستأنفة تبرئه من التهمتين. وتصبح محاكمة الشيخ جاويش مظاهرات يومية دائمة، يعبر فيها الشعب أصدق تعبير عن وقوفه الى جانب كاتبه الأول.

وفي ٢٨ يونيو ١٩٠٩ يكتب عبدالعزيز جاويش تحت عنوان «ذكرى دنشواي» يقول :

«سلام على اولئك الذين كانوا في ديارهم آمنين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان فأزعج نفوسهم وأحرق حصادهم فلما هموا بصيانة أرزاقهم، التي تعمل في سبيلها أجسامهم وداباتهم وأرضهم، وقاموا عليها نحول يتعهدونها بالسقي والخفارة ويرقبونها في البكرة والعشي... قيل انهم مجرمون فسيقوا بالسلاسل والأغلال، صلبوا على مرأى ومسمع من زوجاتهم وأمهاتهم وعيالهم وأصدقائهم وجيرانهم».

ثم أخذ الشيخ جاويش يستعدى شيوخ حزب الأمة على لطفي السيد فقال : «أي عدو نفسه.. تزعم أن لك حزبا من ذوي التفكير.. والرأي فهل هذا كل آراء حزبك ومبلغ تفكره.. اذا فلتعز مصر في شيوخ من أبنائها راهقوا لثمانين من عمرهم فهم زمرك الطائشة الرعناء كالكرة بين أقدام اللاعبين».

واخذت صحيفة (العلم) تنشر في أعدادها التالية برقيات وخطابات تصل اليها من أفراد الشعب المصري تستنكر آراء وخطة لطفي السيد في الحرب الطرابلسية..

ولقد استمر الاتجاه المؤيد للدولة العثمانية والجامعة الاسلامية مسيطرا على كتابات الجزء الاكبر من الصحفيين المصريين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول تركيا الحرب في صف المانيا وضد انجلترا فكان أن فرضت انجلترا حمايتها على مصر وقطعت أخر خيط بالدولة العثمانية حيث بدأ الاتجاه الداعي للوطنية المصرية أو القومية المصرية يسود الحركة الوطنية المصرية وقد تجسد ذلك باوضح ما يكون في ثورة ١٩١٩.

ولكن فكرة الجامعة الاسلامية سرعان ما طرحت على الرأي العام المصري من جديد وذلك حين فصلت الحكومة التركية الجديدة بعد الحرب منصب الخلافة عن منصب الدولة.. ثم الغت منصب الخلافة نفسه وطردت الخليفة العثماني من تركيا.. في الثالث من آذار (مارس) ١٩٢٤م. واستمرت المناقشات بين مؤيد ومعارض لما ينطوي عليه مضمون شعار «الجامعة الاسلامية» من اثار تنعكس على الأمة.

فقد كتب الدكتور طه حسين في صحيفة «السياسة» يعلق على فصل الخلافة عن الدولة فأكد أن المسلمين جميعا قد فهموا الخلافة على أنها منصب ديني وسياسي معا... فان «المسلمين على اختلاف آرائهم وتباين مذاهبهم واحزابهم في الخلافة قد اجمعوا في جميع العصور والامكنة على أن الخلافة منصب سياسي وديني معا وكذلك فهم المسلمون الخلافة ولا يزالون يفهمونها: فهي سلطة دينية لانها مستمدة من القرآن، سياسية لأنها مدبرة لحياة الناس.. وقد تغيرت العصور واختلفت الازمان ولم يستطع المسلمون أن يفرقوا بين الدين والسياسة وان يعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله... لان الاسلام لا يرى ان لقيصر في الارض شيئا وهو يرى ان الله وحده هو المسيطر على ما في الأرض وهو المسيطر على ما في السماء (١)».

وقال الدكتور طه حسين أن المسلمين يواجهون اليوم تناقضا حادا بين ايمانهم بالخلافة من ناحية وبين تطورهم في الحياة المدنية بما يخالف هذا الايمان من ناحية ثانية : «ان إيمان الأمة الاسلامية كلها بنظرية الخلافة وسلطانها وان كل شيء يجب أن يرجع الى الخلافة سواء كان دينيا أو سياسيا يتناقض مع اخذهم بالحياة الذي قضى بأن يتطور وجودهم العلمي تطورا يخالف حياتهم العقلية فأصبحوا مدنيين في العمل دينيين في التصور والنظر».

(١) السياسة - ٥ نوفمبر ١٩٢٢ - مقال بعنوان (مسألة الخلافة).

ثم تحدث طه حسين عن تفكير الاتراك في الفصل بين منصب الخلافة وبين السلطة السياسية في تركيا بحيث يتحول منصب الخلافة الى منصب ديني فقط وقال : «لقد نشأت في البلاد الاسلامية فكرة جديدة لا عهد للاسلام بها وهي فكرة السلطة الزمنية والسلطة الدينية والفصل بين هاتين السلطتين».

وفي حالة الفصل بين السلطتين في تركيا فان طه حسين يرى أنه أصبح من غير الضروري عندئذ أن تدن البلاد الاسلامية جميعا للخلافة التركية حيث لم يعد هناك مبرر لاحتفاظ الاتراك «فاذا فقد الخليفة قوته السياسية وأصبح شيئا يشبه شيخ الاسلام أو البابا فليس هناك ما يدعو الى أن تدن له البلاد الاسلامية بل ليس هناك ما يدعو الى أن ترضى البلاد الاسلامية المختلفة بأن يحتفظ الترك لانفسهم بهذا المنصب الديني الجديد».

وفي رأي الدكتور طه حسين أنه لم يعد هناك ما يمنع في هذه الحالة من ان يكون اختيار الخليفة بالانتخاب «لقد كان الاتراك يحتفظون بالخلافة لأن الخلافة سلطة سياسية تؤيدها القوة وكانوا أهم أصحاب القوة في العالم الاسلامي فاذا اصبحت الخلافة سلطة دينية فليس ما يمنع من أن يعود الأمر شورى بين المسلمين كما كان قديما وكما هو الآن عند الكاثوليك فينتخب الخليفة انتخابا كما كان ينتخب في صدر الاسلام وكما ينتخب البابا الآن.. فالاسلام لا يعرف توارث الخلافة وانما اضطرته اليها قوة الملوك وعصبيتهم فاذا زالت هذه القوة والعصبية زالت وراثة الخلافة وعاد الامر الى نصابه القديم».

وطالب طه حسين بوجود «هيئة اسلامية منظمة تنتخب الخليفة كلما خلا منصب الخلافة وهذه الهيئة الاسلامية يجب أن تمثل البلاد الاسلامية كلها تمثيلا دينيا»، تلك صورة من المناقشات الهادئة التي تناولت موضوع الخلافة وفصل الدين عن الدولة، الا أنها زادت سخونتها بتأثير الاحداث.

وعندما قامت الجمعية الوطنية التركية بعزل الخليفة العثماني (وحيد الدين) وطردته إلى سويسرا تصدى (أمين الرافعي) في صحيفة (الأخبار) للحكومة التركية وأخذ يكتب سلسلة من المقالات يهاجم فيها الحكومة التركية لهذا القرار.. فالخليفة لم يعينه الاتراك وحدهم وإنما «العالم الاسلامي» كله قد بايع الخليفة الحالي وحيد الدين وارتضاه لهذا المقام الجليل وليس من حق الجمعية الوطنية التركية نقض هذه البيعة من جانبها في حين أن جميع المسلمين مرتبطون بها (١)».

وهاجم قرار الغاء الخلافة وخاصة توقيته «فليس من حسن السياسة أن يصدر ذلك القرار المشؤوم في الوقت الذي يسعى فيه الانجليز وغيرهم لاسناد الخلافة الى بعض صنائعهم حتى يكون ذلك المقام الجليل العوبة في أيديهم».

وأعلن «أمين الرافعي» أن مصر مستعدة لاستقبال (الخليفة) إذا رغب في ذلك : «هذا وان مصر لترحب بمقدم جلالة الخليفة وهي لا شك ستقوم بواجبها المقدس نحوه ونحو أسرته الكريمة» (٢) ولم يكن أمين الرافعي نسيجا وحده بل كان واحدا من الكتاب والعلماء الذين هزتهم جرأة مصطفى كمال بالغائه للخلافة.

وطالب علماء الدين (٣) في مصر بدعوة الخليفة إلى المجيء إلى مصر كما نرجو من علمائنا أن يدعو جلالة الخليفة للحضور إلى مصر ليعيش وأسرته في بلد اسلامي ويكون متصلا بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لأن فكرة إبعاده إلى سويسرا لا يقصد منها سوى الخيلولة بينه وبين المسلمين

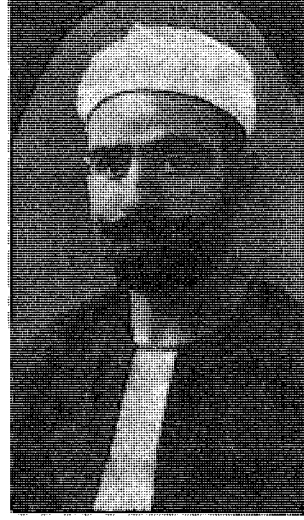
(١) الاخبار - ٣ مارس سنة ١٩٢٤.

(٢) الاخبار - ٤ مارس سنة ١٩٢٤.

(٣) الاخبار - ٥ مارس سنة ١٩٢٤.



علي عبد الرازق: بعد المحاكمة.. بالظربوش!



علي عبد الرازق: قبل المحاكمة.. بالعمامة

وكان للأزهر موقف مستهجن في تلك الظروف من إلغاء الخلافة الإسلامية خلفاً لمشاعر معظم العلماء والمفكرين الإسلاميين فقد نشرت مشيخة الأزهر بياناً اعتبر تبريراً لما أقدم عليه مصطفى كمال، مما أدى إلى تصدي عدد من الأزهرين أنفسهم بمشيخة الأزهر لهذا الصدد.

ونشرت الأهرام مقالا بعنوان (الخلافة الإسلامية ومشيخة الأزهر) بقلم (محمد قنديل الرحاني) المحامي الشرعي وهو رد على بيان كانت مشيخة الأزهر قد أصدرته بعد عزل الخليفة ونفيه. وذكر الشيخ الرحاني جانباً من بيان المشيخة الذي قالت فيه «إن الإمام يصير إماماً بالبيعة من أهل الحل والعقد أو استخلاف إمام قبله ولا بد مع هذا من نفاذ حكمه في رعيته خوفاً من قهره وسلطانه فإن بايع الناس الإمام ولم ينفذ حكمه فهو بمعزله لا يصير إماماً بالبيعة أو الاستخلاف وستقاد الأمة أيضاً بطريق التغلب وحده فإذا تغلب شخص على الخليفة واغتصب مكانه انعزل الأول وقد وجد التغلب مع البيعة أو الاستخلاف كما حصل لأكثر الخلفاء في العصور الماضية وهذا كله مستفاد صراحة من نصوص السادة الخنفية.»

وتصدى الشيخ الرحاني لتفنيد ونقد هذا الرأي الذي قالت به مشيخة الأزهر فقال: «تقول مشيخة الأزهر المحترمة: «إنك أجملت إجمالاً وأهملت إهمالاً ونأثيت في حكم الله تعالى في الخلافة والخليفة عن جادة الإفصاح إذ أن عمل الكمالين مع الخليفين (وحيد الدين) و (عبد الحميد) ليس من باب التغلب سلطان قاهر على خليفة إسلامي بانتزاع سلطانه قهراً أو غلبة بل هو مروق (خروج جماعة من الملتزمين للإسلام على خليفتهم) والحكم الشرعي في ذلك وجوب محاربة الخوارج على الخلافة ومقاتلة الفئة الباغية على الخليفة فان تقاعس المسلمون وأحجم المؤمنون وتقاعد الموحدون السنيون على كثرتهم البالغة مئات الملايين عن نصرة الخلافة والخليفة غضب الله عليهم جميعاً وأثموا فرداً فرداً يا مولانا الشيخ الأكبر» (١)

ثم قال الشيخ الرحاني: اللهم لا حول للإسلام والمسلمين ولا قوة للخلافة الإسلامية وأمير المؤمنين إلا بك وحدك فهنيء لدين الإسلام من أمره رشداً وامنحه ولياً مرشداً وأبعد الأيدي السياسية عن التدخل في شؤون دينك الذي أصبح سلعة يبيعها زيد ويشتريها شهاب الدين ووفق علماء دينك إلى الدفاع عنه بغيرة وصرامة.»

(١) الأهرام - أول إبريل سنة ١٩٢٤ مقال بعنوان (الخلافة الإسلامية ومشيخة الأزهر) بمناسبة قضاء مصطفى كمال على الخلافة الإسلامية في استانبول ورفضه لعروض مبايعته بالخلافة وأصراره على إعلان الجمهورية العلمانية.

وواضح أن الشيخ الرحاني يتهم مشيخة الأزهر بالرضوخ لبعض (الأيدي السياسية) ويقصد بها في ذلك الوقت الملك فؤاد الذي كان يطمح في منصب الخلافة لنفسه .

وكان من الطبيعي أن يثير هذا المقال ثائرة مشيخة الأزهر (١) فطلبت الشيخ الرحاني للتحقيق أمام رئاسة الحكومة الشرعية العليا بتهمة اهانة الأزهر اذ ينشر (الاهرام) تحت عنوان (مقالات الخلافة الاسلامية والشيخ محمد قنديل الرحاني) مقالا يقول فيه «ان الأزهر رأى في هذه المقالات خطا بالأزهر فحول الشيخ الى التحقيق أمام رئاسة المحكمة العليا ولكن المحكمة بعد التحقيق اتضح لها سلامة نية الشيخ الرحاني وقرر حفظ الشكوى المقدمة ضده من مشيخة الأزهر» .

وخلال الحرب الأولى يعد الشيخ علي عبد الرازق كتابه الذي قال فيه : ان الاسلام دين عبادة فقط ولا علاقة له بالدنيا وشؤونها ولا بالمجتمع والسياسة مما يسلب الخلافة صفتها الشرعية ، وقد نشره عام ١٩٢٥ في غمرة الحوار الدائر حول الغاء الخلافة .

وهكذا لم يكن الشيخ (علي عبد الرازق) صاحب كتاب (الاسلام وأصول الحكم) هو أول من اصطدم بالأزهر عندما تصدى لمناقشة قضية الخلافة الاسلامية ولكن الفرق بين الرجلين ان الشيخ الرحاني كان يدافع عن بقاء الخلافة بينما كان الشيخ عبد الرازق لا يجد لها أي مبرر للبقاء . (٢)

ورغم ما أثاره اعزل الخليفة العثماني (٣) في المصريين من عطف على الخلافة الا أن ذلك لم يغير شيئاً من طبيعة التطور السياسي الجديد الذي سارت فيه الحركة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ حيث تبلورت الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ (الحالية من أية ارتباطات دينية) .

ويؤكد لطفي السيد (٤) أن الجامعة الاسلامية ليست «موجودة وجوداً حقيقياً كما أنها ليست مقصداً من المقاصد التي يسعى المسلمون لتحقيقها» . ويرى لطفي السيد ان الدين ليس بكاف وحده ليجمع بين الأمم .. اذ لا يجمع بين الناس سوى المنافع ، فقد علمنا التاريخ وطبائع البشر أنه لا شيء يجمع بين الناس الا المنافع فاذا تناقضت المنافع بين قبيلتين استحال عليهما أن يجتمعا لمجرد قرابة في الجنسية أو وحدة في الدين .. وان أبلغ مثال على ذلك هو انشقاق المسلمين على أنفسهم في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مما هو مشهور ومؤثر وعندما انتشرت في مصر الدعوة للاكتتاب لصالح إنشاء أسطول عثماني بعث لطفي السيد بمقال الى (الجريدة) وكان وقتها في زيارة لأوروبا هاجم فيه الدعوة لهذا الاكتتاب وقال ان مصر أحق بكل دعم «ان كان الغرض من هذا التبرع الدفاع عن الأمة العثمانية وتقويتها فان تقوية مصر والدفاع عنها أوجب علي المصري من كل واجب يميزه واما اذا كانت قيمة المساعدة أدبية صرفة معناها ارتباط الأمة المصرية بالأمة العثمانية فذلك أبلغ في العبث من المساعدة الحقيقية المادية» .

(١) الاهرام - ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ .

(٢) يؤكد الدكتور محمد ضياء الدين الرس في كتابه (الاسلام والخلافة في العصر الحديث) بان مؤلفه الحقيقي هو المستشرق مارجوليوت وليس علي عبد الرازق .

(٣) تم إسقاط عبد الحميد الثاني وفق مسرحية من إعداد المخابرات البريطانية على النحو التالي:
أعلن مجلس النواب القرار بعد الفتوى الشرعية العجيبة بعزله وتحت ضغط من الاتحاديين . ثم استدعي الصدر الاعظم توفيق باشا الى المجلس لابلاغ القرار للخليفة ولكنه اعتذر فانتخب الاتحاديون وفدا عجيبا يندى له الجبن ، سيظل يذكره التاريخ أبدا ، فقد كان مؤلفا من الفريق البحري عارف حكمت وآرام أفندي الارمني وعمانوئيل قراصو اليهودي السابق الذكر نائب سالونيك وأسعد طوبطاني الأناطولي الخائن ودخل الوفد على السلطان عبد الحميد فوجدوه واقفا وكأنه بانتظارهم هادىء الاعصاب متزنا فقرأ الفتوى الفريق عارف حكمت أمامه ، فأجابه السلطان الخليفة : «ذلك تقدير العزيز العليم» . فتقدم أسعد طوبطاني وقال له لقد عزلتكم الامة ولكن عبد الحميد غضب وقال :
تقصد أن الأمة خلعتني ... لا بأس ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي (ويقصد قراصو) الى مقام الخلافة ؟

وفي عام ١٣٢٨ هـ أرسل إلى سالونيك مع نسائه وأولاده وبعض المرافقين والخدم وبقي هناك تحت حراسة الاتحاديين حتى حرب البلقان إذ جرى نقله إلى قصر (بكلربكي) في استانبول بعد أن توسط له الامبراطور الالماني (ولهم الثاني) إلى أن توفي رحمه الله في ذلك القصر .

(٤) الجريدة - ٧ سبتمبر سنة ١٩٠٩ مقال بعنوان (عليكم انفسكم) .

وعندما وقعت الحرب الإيطالية الطرابلسية ١٩١١ وقادت صحف الحزب الوطني الدعوة الى مساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد الايطاليين في ليبيا كتب لطفي السيد مجموعة من المقالات بعنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف) اعترض فيها على «هذه الحركة التي ابتدأت بفكرة الجهاد الديني، والتي هي من أكبر الأخطار على مصر لأن أي حركة من حركات التشيع أو اظهار المساعدة (الحرية الدينية) من شأنه أن يزيد مركز مصر ارتباطاً على ارتباطك.. فالمصريون لا يجهلون انهم أحق الناس بالمساعدة من كل وجه، فمن العبث أن يكون المرء غريقاً ثم هو يتشبث بمساعدة غيره، مساعدة لا تنفع الغير ولكنها تضر به ضرراً بليغاً».

وعلى ذلك يرى لطفي السيد «انه يجب على المصريين لمصلحة بلادهم ألا يجعلوا الدين — في هذه الظروف — قاعدة لاعمالهم السياسية — بل يجب عليهم ان ينفوا عنهم اليوم كما نفوا عنهم في الماضي كل تهمة من تهم التعصب الديني (البانييسلامسم والفاناتسم) ولقد علموا ان هذ التهمة كانت من أكبر الذرائع التي تذرع بها الانكليز الى البقاء في مصر ويتذرعون بها الى اليوم» ثم أعلن لطفي السيد انه يقول ذلك تطبيقاً لمذهبه الذي طالما نادى به وهو أن اعمالنا السياسية يجب ان تكون قاعدتها المنفعة وذلك لأننا في زمان هو كذلك ولأن التدين الحاضر الذي نستمد منه كل قوة هو كذلك.. والغرب يحارب بهذا السلاح فمن الخطر الشديد علينا ان لا نقلده فيه».

ويرد لطفي السيد على كتاب الحزب الوطني «الذين يدعون الى الجهاد الديني والخطباء الذين يخطبون بما يفيد فما بالهم يجرون بعيدا الى طرابلس.. وطرابلس تحتلها دولة مسيحية — كما أن مصر تحتلها دولة مسيحية فلماذا يختارون أن تكون طرابلس هي مسرح الحرب الدينية ومصر أقرب ما يكون» (١).

ثم يلخص لطفي السيد موقفه من المسألة كلها فيقول: «نظريتنا هي تقوية شخصيتنا وإثبات شعور الحرية في نفوسنا والاتفات الى داخليتنا واصلاحها..

وبذلك نكون قد ساعدنا أنفسنا قبل ان نتشدد بمساعدة لا تفيد ولكنها تضر بنا من الوجهة السياسية. وبالرغم من وطأة الاحتلال البريطاني وتأثيرها على حرية الرأي فان الكتاب والمفكرين كانوا ينادون بالاسلام وبالجامعة الاسلامية.

ويكتب علي فهمي كامل — شقيق مصطفى كامل ونائب الحزب الوطني مقالاً بعنوان: (النجدة — النجدة) يهيب فيه بالمصريين ان يقدموا العون للدولة في حربها ضد الايطاليين في طرابلس «فاي أهل الغيرة العربية والحمية العلية والنخوة الاسلامية نكتب سائلين النجدة — النجدة.. فان فقرا مع الكرامة هو العز كل العز فإنا ندعو الأمراء وكبار الأغنياء الى تشكيل اللجان في كل مكان جعاً للاعانات فان النفوس متعطشة لمثل هذا التبرع» (٢).

أما نجيب عازوري (٣) الماروني اللبناني فقد رد على مشروع الجامعة الاسلامية بصورة عملية فدعا عام ١٩٠٤م إلى تأسيس حزب اسماء «جامعة الوطن العربي» ثم أصدر من باريس مجلة أسماها «الاستقلال العربي»، كما عمل في الصحافة المصرية وشارك في عدة مؤتمرات عربية، وفي كتابه «يقظة الأمة العربية» يطرح فكرته فيقول: لا شيء أكثر تحرراً من برنامج «جامعة الوطن العربي» فهي تريد قبل كل شيء لمصلحة الاسلام والأمة العربية، فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية، واقامة امبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة الى خليج السويس، ومن المتوسط حتى بحر

(١) الجريدة — ٢١ أكتوبر سنة ١٩١٩ مقال بعنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف).

(٢) العلم — أكتوبر سنة ١٩١١ مقال بعنوان (النجدة — النجدة).

(٣) نجيب عازوري (١٨٩٨ — ١٩١٦) ولد في قرية بلبنان، والده جريس حنا عازوري، التحق بمدرسة الفرير في بيروت وتابع دراساته العليا في العلوم السياسية بباريس، ساند اخوان ملحة عضواً (المبعوثان) والبطريك حايك لتبؤ منصب مساعد حاكم القدس (١٨٩٨ — ١٩٠٤) ثم غادرها الى باريس واصدر الاستقلال العربي «وعاد بعد سقوط عبد الحميد لخوض الانتخابات فحكم عليه بالاعدام لقيامه بنشاطات تمس أمن الدولة، فهرب الى القاهرة ورئيس تحرير جريدة «مصر»، أسس محفلاً ماسونيا بهدف مشابه للكاربوناري (تحرير الوطن) كما أسس حزب «جامعة الوطن العربي» واتصل بالعديد من رجالات الدول الكبرى، وقد خدع بعض العربيين بعنوانين كتبه ومقالاته الحافلة بالحقد الصليبي والدفاع عن كل ما هو غربي، وتبرير الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي والأميركي للبلدان العربية عامة.



نجيب غازوري: جامعة
الوطن العربي في خدمة
الماسونية والصليبية!!



أحمد لطفي السيد: النفعية
قاعدة لأعمالنا السياسية!!

عمان ، وستتخذ الحكومة شكل السلطنة الدستورية المرتكزة على حرية كافة المذاهب ، ومساواة كافة المواطنين ، أمام القانون ستحترم مصالح أوروبا وكافة الامتيازات والمزايا التي منحها اياها الاتراك حتى اليوم .

وستحترم أيضا الحكم الذاتي في لبنان ، واستقلال امارات اليمن ونجد والعراق ، وتفتح عرض الامبراطورية العربية إلى أمير من العائلة الخديوية المصرية يعلن بصراحة أنه سيبدل كل طاقاته وكافة موارده لهذه الغاية وتتخلى « الجامعة » عن فكرة الجمع بين مصر والامبراطورية العربية في ظل ملكية واحدة لأن المصريين لا ينتمون الى العرق العربي ، فهم من عائلة البرابرة الافريقيين واللغة التي كانوا يتكلمونها قبل الاسلام لا تشبه العربية قط .

أضف إلى ذلك قيام حدود طبيعية بين مصر والامبراطورية العربية يتوجب احترامها حتى لا تدخل في الدولة الجديدة ينزور التنافر والهدم . كما أن الخلفاء العرب لم ينجحوا في السيطرة طويلا على هذين البلدين) .

تلك هي أفكار نجيب غازوري ، أحد رواد « القومية العربية ومؤسس جامعة الوطن العربي في القرن العشرين » ، كما يصوره بعض المؤرخين والباحثين سامعهم الله .

ولكي نقطع الشك باليقين فلنقتطف هذ العبارات من كتابه السالف الذكر (١) الذي تضمن شرحا للسياسات : الروسية ، البريطانية ، الفرنسية ، الألمانية ، النمساوية ، الإيطالية ، الأميركية ، البابوية ، والتركية فماذا يقول في كل منها :

حول السياسة الروسية يقول : ص ٨٣ « ان قدسية روسيا القيصرية بالطبع ، خيال هؤلاء الطيين ، هي في تجسيدها للارثوذكسية ، الدين الحقيقي الذي يجب أن يهيمن على كل الأرض من اجل اتمام نبوءة الانجيل عندما يتحدث عن راع واحد وقطيع واحد ، والقيصر الابيض ، ابن الشمس ، هو القائد المنظور لهذا الدين العالمي » .

ثم يقول : « من المؤكد أن الاجتياح الروسي النشيط للهدفين البعيدين : كوريا والدردنيل ، سيتوج بالنجاح طالما أنه ليس من دولة كبرى واحدة تمثل أوروبا كلها تقف في طريق روسيا لتتخذ حرية العالم فتتوب بريطانيا عن أوروبا وتراقب بثبات السياسة التوسعية الروسية وهي التي لها مصالح على جانب كبير من الأهمية في آسيا . وكان عليها أن تقصف بالمدافع خمس مرات على الأقل خلال سبعين سنة لارغام الدب الشرقي على التراجع إلى وكره ، كما أنها انقذت آسيا خمس مرات من عبودية شاملة .

وينتقل إلى السياسة البريطانية فيقول ص ١٠٣ : « تستمر بريطانيا العظمى الدولة الأوربية الكبرى بعد روسيا من حيث اهتمامها الكبير بالقضية الشرقية ، كما أن سياستها تتعارض في كافة أهدافها مع السياسة الروسية فالانكليز هم الأعداء الأكثر يقظة والأكثر فاعلية في وجه الغزو الموسكوفي . تستمر بريطانيا منذ معركة واترلو التي انقذت فيها أوروبا

(١) نجيب غازوري - يقطعة الأمة العربية - تعريب وتقديم د. احمد بوملحم المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

من الاستعباد تكافح الخطر الروسي الأعظم والأكثر تهديدا بنفس المهارة والثبات اللذين أديا من قبل الى الانتصار على عبقرية نابليون» .

بل انه يقول : « لا نؤاخذ انكلترا على احتلالها لقبرص لأن هذه المحطة تسمح للأسطول البريطاني برد أي اعتداء روسي وبالدفاع عن الدردنيل وخليج الاسكندرية ووداي الفرات ، المفاتيح الثلاثة لآسيا والبحر الأبيض المتوسط ولا يحتاج على وجودها في مصر فمهما نتمكن من السهر على حرية البحر الأبيض المتوسط وآسيا بموافقة شطر من العالم » .

وعن السياسة الفرنسية يقول ص ١١٥ : « تقدم فرنسا من بين كل الدول الأوروبية ، المساعدة الأسخى والأكثر عفوية للمظلومين والتعساء فالأمة الفرنسية بجوهرها هي أمة الفروسية ، وهي التي بادرت إلى الحملات الصليبية الخطيرة التي عادت نتائجها بفوائد على العالم بأسره .

لقد بذلت الغالي والنفيس من أجل استقلال اليونان وبعث ايطاليا ، كما غزت الجزائر من أجل اقامة مستعمرة انتاجية لها فيها فحسب بل وفوق ذلك كله من أجل تحرير للمتوسط من القرصنة البربرية التي كانت تشله وتهدد التجارة الدولية . لقد قامت بحملة إلى سوريا وخلقت الحكم الذاتي في جبل لبنان دون أن تتمركز في البلاد كما كان يمكن لها أن تفعل . وأخيرا هي التي حمت الارساليات . ان الخدمات التي لا تحصى التي أدتها على مر الازمان لقضية الحضارة تعطيها الحق في ان تتمتع بمحبة كل الشرقيين وجبلهم دون تمييز في العرق أو في الدين » .

بل انه يقول : « لا يملك أحد الحق في حكمنا الا فرنسا ، ولن يهتف بحرارة لأية دولة غيرها في الأقطار العربية يوم يتقرر تجزئة الامبراطورية التركية » .

وعن السياسة النمساوية يقول ص ١٣٩ : « النمسا هي الدولة الوحيدة من بين الدول الأوروبية الكبرى التي ليس لها سياسة استعمارية والتي لا تغذى أي أطماع في ممتلكات السلطان الآسيوية » .

ان جميع البعثات النمساوية في سوريا وفلسطين هي مؤسسات خاصة للاحسان ، انشئت بمبادرة الامبراطور المحسن فرانسوا جوزيف » .

وعن السياسة الألمانية يقول ص ١٤٣ : « كانت زيارتا القيصر (غليوم الثاني) للقسطنطينية خلال خمس سنوات كافيتين ليحصل الالماني على مجموعة من امتيازات المناجم وسكك الحديد في مختلف قطاعات الاناضول ولتنمو تجارة النمسا — المانيا ، التي تشغل الآن المرتبة الأولى في آسيا الصغرى » .

وعن السياسة الايطالية يقول ص ١٤٩ : « لم تستطع ايطاليا ، التي تأسست كدولة منذ عهد قريب ، اكتساب الحقوق التاريخية وخلق المصالح الهامة في آسيا العثمانية ، ومع أنه لم يمض سوى نصف قرن على ايطاليا فلقد ارتقت بقليل من الزمن الى مصاف الدول الأوروبية الكبرى في التجارة والصناعة والعلوم والآداب ، وهي من أكثر الدول الأوروبية تحرراً .

وعن السياسة الاميركية يقول ص ١٥٥ : « لم تكن الولايات المتحدة الاميركية بالقضية الشرقية بشكل واضح ، الا منذ مذابح ارمينيا ، فهي لا تغذي أطماعها في السيطرة على تركيا الآسيوية كالدول الأوروبية ، ولا مصالح لها ترتبط مباشرة بحل القضية الشرقية ، بل بالأحرى تحركها عاطفة لدى رؤية الناس المضطهدين بلا سبب والبؤساء الذين يعيشون في بلد غني خصب أبقت خلافاً الدول الأوروبية تحت عبودية الاتراك البرابرة .

يعود الاحسان الاميركي إلى سنة ١٨٦٠م حين يؤرخ تأسيس وبعثات الاحسان على اختلاف أنواعها : جامعات ومعاهد ومدارس ومستشفيات ومي�ام .

وعن السياسة البابوية يقول ص ١٦٣ : « تتألف الكنائس الكاثوليكية في القسم التركي (البلدان العربية) من الموارنة واليونانيين والمكانيين الكاثوليك والسريان الكاثوليك ، والكلدان الكاثوليك ، واللاتين والكنائس الأربع الأوائل

هي بدون استثناء من أهل البلاد وإداراتها على التوالي وطنية تماما . يحترم الفاتيكان استقلالها الداخلي كثيرا ولا يتدخل في شئونها الخاصة الا في المسائل الخطيرة جداً .»

ويقول : «تقوم سياسة الكرسي الرسولي على مساعدة الكنيسة الموحدة احتواء للكنائس المنشقة في كل قطر . لقد نجحت هذه السياسة تماما في وادي النيل وأرمينيا» .

ثم يكشف تعصبه للكاتوليكية فيقول : يحار السلطان الذي يرى في الأرمن عنصر تفكك في امبراطوريته ، كيف يتجه اذا اعتنق هؤلاء الكتلثة ووجدوا في أوروبا حماية أشد ، وفي البابوية تشجيعا معنويا كبيراً ، ومن جهة أخرى اذا بقي هؤلاء ارثوذكسا فلن يجدوا في ظل الامبراطورية المسكوفية سوى موظف عينه القيصر لتحتوي روسيا جميع الابرشيات في الأناضول ولتتخذ منها ذريعة لاستخدامها للتدخل في كل لحظة بالشئون الداخلية التركية .

ويقول : «أخذت الكنائس الكاثوليكية في البلدان العربية على عاتقها مهمة احتواء الكنيسة الارثوذكسية المقابلة لها . فرسالة اليونان الملكانيين الكاثوليك هي في هداية اليونان الارثوذكس والسرمان الكاثوليك والكلدان الكاثوليك يجب أن يعيدوا الاتحاد ، على التوالي مع السريان الأرثوذكس ، أما الموارنة فليس لديهم كنيسة منشقة وبالتالي لا يهتمون بهذا الأمر» .

وعن السياسة العثمانية يقول ص ١٨٢ : «يعتبر عبد الحميد من بين جميع الطغاة الذين سيطروا على تركيا ، أكثرهم اضرازا ببلاده ، لذلك سيكون آخر ملك من السلالة العثمانية ، لقد خسر منذ توليه العرش على التوالي كلا من رومانيا (نهائيا) والصرب والجبل الأسود ، وبلغاريا ، ومنطقة كارس ، وناطوم وقبرص ومصر وتونس ، ورومانيا الشرقية ، وتساليا ، وكريت وتشكل هذ البلدان اكثر من نصف الامبراطورية وسيشهد عبد الحميد تفكك ما تبقى من امبراطوريته قبل وفاته» .

ويقول : «لقد حاول عبد الحميد أن يسحق نهضويو البلغار والبوسنة بمجازر رهيبة لكن وحشيته كلها لم تنته الا بالمعاهدة المذلة في سان ستيفانو التي كرست استقلالها جميع الشعوب في الجزء الأوروبي من امبراطوريته .

لقد أراد ان يخضع الالبان للخدمة العسكرية فأصبحوا أكثر استقلالاً من قبل كما قادت وحشيته الى خسارة كريت . وأخيرا أراد ان يفني الأرمن بواسطة الأكراد ، لكن هؤلاء وهم على تماس بضحاياهم تذكروا أنفسهم منذ عهد قريب ، وقد كانوا أحراراً في ظل أمير اسمه بدرخان وفهموا أن افنائهم لجيرانهم الأرمن لا يفيد الا في جعل سلاسل عبيديتهم أثقل وهكذا من جبال أرمينيا وكردستان اجتاز التيار سهول الفرات ومن هناك انتشر في كل البلدان العربية» .

ويقول : «من جهة أخرى ، يحاول عبد الحميد السيطرة على البطريركية المارونية بمحاولات خادعة ، ويهدف إلى القضاء على الحكم الذاتي في لبنان شيئا فشيئا وهو الذي يشكل الطريق الوحيد للحرية في البلدان العربية ، ويريد ايضا السيطرة على مختلف التجمعات للمحافظة على استقلالها في سوريا والعراق والجزيرة العربية . لذلك يحاول بالقوة ودون جدوى إخضاع دروز حوران والسلفيين في نجد والخليج الفارسي (كذا) والقبائل المتمردة في اليمن والتي يشكل استقلالها نداء الحرية الموجهة الى العرب في سوريا والعراق» .

ويقول : «لقد اجتمعت في مكة في السنة الأخيرة (١٩٠٣م) جمعية مؤلفة من بعض العلماء للتداول بشأن انشاء خلافة عربية محضة دينية مركزها مكة ، قررت الجمعية ان يتولى هذه المكانة العالية مسيحي غريب (كذا) ، أفضل من ان تتركها للقذر عبد الحميد لأنه ورد في كتاب الاسلام المقدس ، أن أميرا كافرا عادلا خير من أمير مسلم غير عادل ، وعلم السلطان بوجود هذه الرابطة وأخذ علما ببعض مقرراتها ، ولمنع هذه الحركة الخطيرة من الانتشار حول قبر النبي العربي أمروالي الحجاز أن يرتكب مجزرة بين الحجاج ، ليجعل رحلة الحج بالنسبة لجميع المسلمين المتقنين محفوفة بالمخاطر .



أحمد أمين:
دعوة للتوفيق بين
الاسلام والحضارة
الحديثة

وقد كتب الدكتور أحمد أمين مقالا أكد فيه أن الحاجة إلى الجامعة الاسلامية ما زالت قائمة، بل أشد، لأن المسلمين لا يزالون متفرقين رغم الضربات المتتالية التي كالتها لهم مختلف الدول الأوروبية التي تسعى لمواجهة خطر الجامعة الاسلامية. (١)

ويرى الدكتور أمين أن وسيلتنا لتحقيق هذه الجامعة هو العلم والتوفيق بين الاسلام والحضارة الحديثة وإذا كانت المحاولات قد فشلت حتى الآن فذلك لأن الغرب حاول فرض حضارته بالقوة كما رافقها الاستغلال والاستعمار مما أدى إلى كراهيتها بعكس قبول المسلمين لحضارات اليونان وفارس، كما أن رواسب الحروب الصليبية وضعف العالم الاسلامي أدبنا إلى الحذر من الاقبال على الأشياء المادية كالاختراعات ورفض الشعارات البراقة.

وقام نقاش عنيف بين شعاري الجامعة الاسلامية والجامعة العربية وبينما يرى محمد شفيق غربال أنه لا تعارض بينهما لأنهما يستهدفان مصالح مشتركة ويصدران عن ثقافة دينية وتاريخية رغم العوامل الطارئة الناجمة عن العهد العثماني ويرد ساطع الحصري في كتابه (العروبة أولا) مدافعا عن القومية العربية موضحا لمقوماتها مؤكدا أنها لا تنطوي على انكار الدين وان كانت الدعوة لها شيء والدعوة للاصلاح الديني شيء آخر، وهو يقدم اللغة على الدين كأساس للقومية يليها التاريخ المشترك قبل الرابطة الدينية.

كما يتقدم عبد الرحمن البزاز بمفهوم «عربي» للاسلام يوحد فيه بين الدين والقومية، مستهدفا ازالة التناقض الذي شعر به المثقفون عند منتصف هذا القرن بين القوميين العرب وبين المتمسكين بالعقيدة الاسلامية، فأراد ان يحدد علاقة القومية العربية من حيث هي شعار وحركة بالشرعية الاسلامية من حيث هي دين وحضارة وفلسفة وحياة.

ولم ينكر البزاز وجود تعارض بين الطرفين لكنه يراه تعارضا ظاهريا نجم عن سوء فهم للاسلام بسبب التأثير بالمفاهيم الغربية التي تحدد الدين في اطار ضيق لا يتجاوز حدود التعبد، وسوء فهم للقومية حين اعتبرها البعض دعوة عنصرية عصبية وسوء تفسير لطبيعة الاسلام العالمية.

ولم يقتصر الحوار بين مؤيدي ومعارضتي شعار الجامعة الاسلامية على رعايا الدولة العثمانية من المسلمين والذمين فحسب، بل تعداهم إلى الكثير من المستشرقين الأوروبيين والأمريكيين الذين اندفع معظمهم للإدلاء برأيه في هذا النقاش المحتدم ساعيا لموازاة الفريق المعارض، ومنهم على سبيل المثال المستشرق «ستيوارت لوثروب» الذي كتب دراسة مطولة عن الجامعة الاسلامية شرحها فيه بقوله:

«ان معناها الشامل ومفهومها العام، اما هو شعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الاسلامي وهي قديمة بأصلها ومنشأها منذ عهد صاحب الرسالة.

ثم استطرد إلى الكلام عن الدعوة السلفية وسقوطها بعد استيلائها على الأماكن المقدسة في الحجاز فقال: لما سقطت السلفية دون مبتغاها أخذ الاضطراب السياسي يشتد في العالم الاسلامي اشتدادا واسعا في الهند وافغانستان وغيرها.

ولم تكن أوربة حتى ذلك العهد قد حاولت فتحا كبيرا في العالم الاسلامي سوى استخلاصها بعض الاصقاع من

(١) ستيوارت لوثروب: جمال الدين الأفغاني عن كتاب «حاضر العالم الاسلامي» نقله إلى العربية الاستاذ عجاج نويهض وفيه فصول وتعليقات لشكيب ارسلان.

تركيا الأوربية وجزائر الهند .

واما هول الفتوح العظمى فلم يكن قد ظهر بعد غير أن اشباحه كانت تقترب شيئاً فشيئاً وما كاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى تبدلت الحال تبدلاً تاماً عندما فتح الفرنسيون الجزائر، واستولت روسيا على القوقاس وبسطت انكلترا نفوذها على الهند من أقصاها مما جعل قادة المسلمين الحكماء في كل صقع يوقنون كل الايقان أن الاسلام انما يحيق به خطر عظيم وبلاء شامل من جراء انتشار سيطرة الغرب عليه .

وفي هذه الغضون اخذت الجامعة تسير في تيارات مقاومة الغرب وصدّه وعدائه وهي ما برحت تسير هذا المسير حتى اليوم .. وما انفكت روح العداء للغرب تهيج في الجزائر بالثورة المعروفة بثورة (الكابيل) سنة ١٨٧١ وهم رجال الدين المعروفون بالأولياء في كل بلاد أفريقيا الشمالية يستثيرون المسلمين ويستفزونهم للحرب والجهاد، ومن هذا النوع كانت ثورة « المهدي » في السودان المصري وهي الثورة التي دامت طويلاً وفتت في عضد الانكليز فتاً كبيراً وأنزلت بهم خسائر فادحة .

وانفجر في افغانستان بركان حقد وعداء للغرب عظيم فتناولت حاسة مسلمي الهند فألهبت صدورهم إلهاباً .

ولما وصلت الحال في العالم الاسلامي الى هذا الحد أدرك قادة الجامعة الاسلامية الحكماء أنه اذا رام العالم الاسلامي حقاً تحرير نفسه من النير الغربي وتحطيم هذه السلاسل الثقيلة التي يرسف فيها منذ عهد بعيد ودك هذه السيطرة المذلة دكاً وجب عليه أن يعمل عملاً منظماً شاملاً ويسعى سعياً أكيداً ثابتاً جامعاً للوحدة العامة والرابطة الكبرى وأيقن هؤلاء أيضاً انه لا بد للعالم الاسلامي — اذا شاء — من دراسة علوم الغرب واكتناه عظمته وقوته وتقدمه ونهجه مناهجه وسلوك سبله في جميع ما يؤدي الى النهضة الصحيحة القائمة على أسس العلم وأركانه فانما هذا هو السبيل الذي لا سبيل الا هو للافلات من ربة استعمار الغرب والتحرر من حكم الفرنجة وفوق جميع هذا أيقن قادة الجامعة الاسلامية ان استقلال العالم الاسلامي عن الغرب النصراني، الاستقلال السياسي، يجب، على كل حال ان يسبقه التجدد الروحي العقلي الأدبي والتربية النفسانية الصحيحة، وانه متى صلحت نفوس المسلمين، وزكت وطابت وأعزت وباتت تعاف الذل، وتأبى الضيم، سهل اذ ذاك كل عمل في سبيل التحرر والاستقلال .

وعند هذه النقطة في الدائرة التقت غاية دعاة الجامعة الاسلامية وغاية الأحرار، اذ ذاك أدرك الفريقان كلاهما استفحال الخطب الجلل والشقاء الأكبر في العالم الاسلامي، وما يعانيه المسلمون من الذل والهوان، فابتغيا تجده الروحاني واصلاحه النفساني، غير أنه نشأ الخلاف بينهم، في وسائل هذا التجدد والاصلاح وكيفيتهما فقال المتفرنجون: ان المسلمين لا مندوحة لهم عن الأخذ عن الغرب واقتباس الأفكار منه واتباع طريقته في جميع ما هو لازم وضروري لبلوغ الغاية العليا .

وقال دعاة الجامعة الاسلامية : ان الاسلام بذاته صالح كل الصلاحية لكي يعتمد منه جميع ما هو لازم لذلك — فلهذا ينبغي أن يقصر أمر الأخذ عن الغرب على محاكاته في انتهاج مناهجه العملية والاستعانة بوسائله المادية فحسب .

وكان مبدأ سير الجامعة الاسلامية السير المنظم على الخط المقررة حوالي منتصف القرن التاسع عشر، اذا كان للجامعة أساسان قامت عليهما هما : الطرق الحديثة النظام، كالطريقة السنوسية .

تلك هي نماذج من الآراء والمناقشات والطروحات التي أفرزها شعار « الجامعة الاسلامية » بين الأوساط السياسية والفكرية في مختلف ولايات الدولة العثمانية، أيام السلطان عبد الحميد، وعقب سقوطه وتولي جماعة « تركيا الفتاة » والاتحاديين للسلطة .

كما أوردنا بعض النماذج الحديثة لكتاب ومفكرين وساسة ممن عاشوا بعد زوال الخلافة، واستمر شعار « الجامعة الاسلامية » بهريقه الأخاذ محل اهتمامهم، سلباً وإيجاباً، وأغلب الظن أن هذا الشعار سيستمر لفترة طويلة في سحره وجاذبيته، تحن اليه القلوب، وتهفو اليه أقلام، بينما تحشاه عقول، وتخطط لتجنب خطره دوائر، هنا وهناك .

ولا غرو فقد كان ذلك الشعار حافزا لظهور وبلورة العديد من الاتجاهات والأفكار: الوطنية والقومية والطائفية والمذهبية، والتي برزت على شكل: مؤسسات أو منظمات أو حركات أو جمعيات أو أحزاب سياسية، لعبت أدوارا هامة في معظم الولايات العثمانية، وكان بعضها يستند في تأييده ودعمه على المصادر الأجنبية التي ما لبثت أن أصبح لها شأنها في البلدان العربية.

تعليمات نابليون بونابرت الى (بوفوازين Beauvoisin) حامل رسالته الى الجزائر

المعسكر العام بالقاهرة في ٢٢ آب (أغسطس) ١٧٩٨م (الموافق ١٠ ربيع أول سنة ١٢١٣هـ).
على المواطن الذهاب الى دمياط والابحار منها على سفينة تركية او يونانية الى يافا حاملا الكتاب المرفق طيه الى أحمد باشا الجزائر ويلتطلب مقابلته لافهامه بصراحة ان المسلمين ليس لهم أصدقاء اوفياء في اوروبا مثلنا وانني قد علمت مع الاسف انهم يعتقدون في سورية انني اعتزم الاستيلاء على بيت المقدس والقضاء على الدين الاسلامي. فعليه ان يؤكد ان مثل هذا الظن بعيد عن رغباتنا ونوايانا. فليطمئن ولينعم بالا وقد سمعت أنه رجل كفء وذكي. وليؤكد له انه اذا أحسن التصرف معنا ولم يتعرض لنا بسوء فهو صديقنا. وان وجودنا في مصر لا ينتقص من سطوته بل يزيدنا قوة وتوطدا.

وفي علمي ان المالك الذين فرقت جوعهم كانوا أعداء له ويجب عليه ان يميزنا عن بقية الاوروبيين لاننا لا نسترق المسلمين بل على العكس من ذلك نفسح لهم طريق الحرية. والخلاصة ان على سفيرنا ان يشرح لاحد باشا ما وقع في مصر ويستحسن ان يبعد عنه فكرة الاستعداد للحرب وان يقنعه بعدم التدخل في الحوادث المقبلة. واذا لم يكن احد باشا في يافا فعلى المواطن (بوفوازين) التوجه الى عكا. ولكن يحسن به ان ينتهز فرصة وجوده في يافا لزيارة الاسر الأوربية وخصوصا وكيل القنصل الفرنسي ليقف على اخبار الاستانة ومجريات الامور في سورية.

(نابليون بونابرت)

نص خطاب نابليون بونابرت الموجه الى أحمد باشا الجزائر (١)

إلى أحمد باشا حاكم صيدا وعكا

معسكر القاهرة في (٢٢ آب (أغسطس) ١٧٩٧م)

لم آت مصر محاربا للمسلمين بل جئت لمحاربة البكوات. وأعتقد اني بالقضاء عليهم قد قمت بعمل عادل يوافق مصالحك. لانهم كانوا أعداءك وانت تعلم حتما انني لما وضعت قدمي في مالطة كان او عمل عملته أن أطلقت سراح ألفين من أسرى الاتراك الذين قضوا عدة سنين في ذل الاسر والعبودية. وماوصلت الى مصر حتى طمأننت خواطر الاهالي وبالغنى في احترام العلماء ورجال الدين ومساجد المسلمين ولم يلق حجاج بيت الله مثل مالاقوا من العناية والرعاية معي ولم يحتفل بمولد النبي بمثل ما احتفلت به من الأبهة الكاملة والاحترام العظيم.

وقد بعثت بهذا الكتاب مع ضابط يستطيع ان يوقفك على ميولي ورغبتى في ان اكون معك على صفاء وسلام لتتعاون معنا على بحث المسائل التي تؤدي لنمو التجارة وخير البلدين وأؤكد انه لا يوجد للمسلمين أصدقاء أخلص من الفرنسيين...

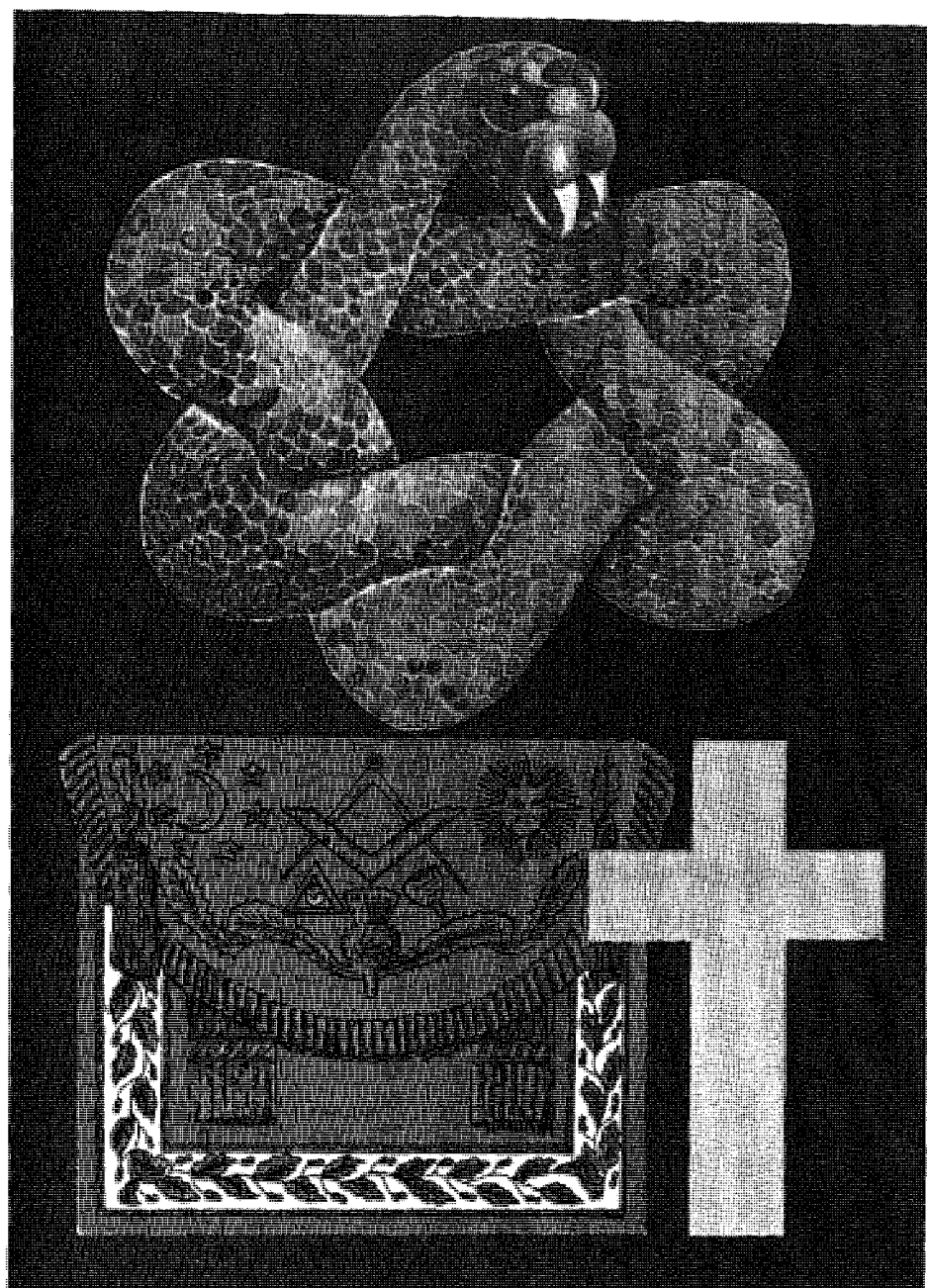
(نابليون بونابرت)

(١) عن الوثائق الفرنسية: قسم مصر. رقم (٣٠٨٧).

البَابُ الثالِثُ

الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي
مقاومة الجامعة الإسلامية بالنعرات العنصرية والطائفية

- الفصل الأول : دور الدراسات التبشيرية والمستشرقين في تدوير "نظام الملّة" العثماني .
الفصل الثاني : إثارة قضايا الأقليات وإشغال الفتن بين أهل الذمة والمسلمين .
الفصل الثالث : الطورانية وشرعة "التربيع" في الأدب والسياسة والفكر .
الفصل الرابع : رد الفعل العربي المتوارفة للقرآن والإسلام الفاسي .



الفصل الأول

دور الإرساليات التبشيرية والمستشرقين في ترميز "نظام الملّة" العثماني .

يرجع «ادوين بلس» تاريخ التبشير إلى صدر النصرانية ويذكر من مبشري القرون الوسطى «ريمون لول» الاسباني الذي اتقن العربية وناقش علماء العالم الاسلامي انذاك .

كما يشير في كتابه «ملخص تاريخ التبشير» الى المبشرين الكاثوليك ودورهم في ثورة البوكسر الصينية وتدخلهم في شئون القضاء .

وينوه ايضا باحتكاك «بيتر هيلينغ» مع مسلمي الساحل الافريقي واهتمام هولندا بجزيرة جاوة اوائل القرن الثامن عشر .

أما التبشير في بلادنا فقد بدأت كتابته تتوافد على العالم الاسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات: الدومنيكان والفرنسيسكان إلى مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام . بدعوى افتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات ثم لحق بها اللعازاريون والكبوشيون والاغسطينيون والكرمليون فكانوا كتائب لجيش لجب وجهته البابوية في غزو فكري يستهدف العالم الاسلامي الذي يسمونه الشرقي الأدنى والوسط تمهيداً لانقضاض الحملات العسكرية الاجنبية على الدولة الاسلامية بهدف تصفية الحسابات القديمة منذ الحروب الصليبية .

وكانت الكاثوليكية أولى الارساليات التبشيرية في الشام منذ القرن السادس عشر ممثلة ب: الكبوشيين راهبات، الارض المقدسة، واليسوعيين مستهدفين جذب اتباع المذاهب المسيحية الأخرى الى الكاثوليكية وتنظيم الموارنة وربطهم بروما وقد نجحوا بذلك عام ١٧٣٦م وارتبط موارنة الشرق بروما وقام المبشرون الكاثوليك بالتدريج بإيجاد اتباع وكنائس كاثوليكية داخل الطوائف الارثوذكسية والأرمنية والسريانية والنسطورية .

ورغم أن الدولة العثمانية لم تعترف بالكنائس الكاثوليكية حتى القرن التاسع عشر وانحصرت رعايتها بالارثوذكس الذين تمتع بطريركهم في استانبول بنفوذ كبير فان الكنائس الكاثوليكية بعد صدام مع الارثوذكس أصبحت تتمتع بالاستقلال .

أما أول دعوة للاستشراق فقد جاءت على لسان البارون «دوويتز» سنة ١٦٦٤ الذي طالب بتأسيس مدرسة كلية لتعليم التبشير يتعلم طلابها اللغات الشرقية .

ثم يذكر ادوار الارساليات البروتستانتية الدانمركية والانكليزية والامانية والهولندية واتصالها ببعض وينوه بدور «كارلي» الذي درس لغات اللاتين واليونان والفرنسيين والهولنديين والعبرانيين وحرص على التبشير فأسس عام ١٧٩٥ جمعية لندن التبشيرية التي شكلت على نمطها في اسكتلندا ونيويورك والمانيا والدانمرك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا . كما تأسست «جمعية التبشير في ارض التوراة العثمانية» وبعدها حققت ارساليات التبشير الطبية نجاحا باهرا وأصبحت تضم اقساماً نسائية وأرسلت للهند والافانول .

وسنة ١٨٥٥ أسست جمعية «الشبان المسيحيين» من الانكليز والاميركان وتفرع عنها «جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الاجنبية»

وكان اليسوعيون قد أسسوا مدارس في بيروت ١٨٣٩م وغزير ١٨٤٣م وزحلة ١٨٤٤م ودمشق ١٨٧٢م، وحلب ١٨٧٣م وبانتقال مدرسة غزير إلى بيروت ١٨٧٥، تحولت إلى جامعة القديس يوسف (اليسوعية).

وفي عام ١٨٧٧م قام القس الاميركي صموئيل زوير باول زيارة له للخليج العربي حيث أسس أول إرسالية اميركية يساعده القس جيمس كانتين وقد أنشأ في البحرين عام ١٨٩١م أول مركز تبشيري تحت ستار طبي ومنه انطلقا لإنشاء فروع للإرسالية في مسقط ودبي والشارقة.

وقد حاولا افتتاح فرع في الكويت لكن الشيخ مبارك الصباح رفض الطلب مراراً حتى تمكن الدكتور ارثوركيرك بينت في اجراء عملية لعين أخت الشيخ مبارك وافتتح أول مستوصف عام ١٩١١ ثم شيدت الإرسالية مستشفى للرجال عام ١٩١٣م تولى ادارته الطبيب الانكليزي ستانلي ميلر الذي شهد «فتنة الأرمن» في أضنة كما شارك فيما بعد بالقاء المناشير البريطانية على السلفيين لردعهم عن الكويت، وبعد وفاته شيدت الإرسالية مستشفى باسمه وتولى إدارته القس ادوين كالفري وزوجته الطيبة اليانور كالفري وكانت تساعد سيدة سورية تدعى «أمنية» وابنتها «بروجينا» وابنها «برجس».

وافتتحت الإرسالية مدرسة كان من طلابها الشيخ فهد السالم ومحمد السيد عبدالصمد ومن مدرسيها استاذ سوري اسمه (اسرائيل) والقس داوونج ومساعد أمين المكتبة يعقوب شماس كما عملت إبنته ممرضة وفي أواخر عهد الإرسالية تولى الدكتور إسكدر الادارة بمستشفى الرجال ثم المستشفى العسكري ولم يبق الآن إلا الكنيسة بأشراف عائلة الشماس^(١) ولا تزال الإرسالية الاميركية نشيطة في البحرين والشارقة وعجمان ومسقط وعمان وبندر عباس بينما استولت الحكومة العراقية الايرانية على مستشفياتها في البصرة، وفي آسيا الغربية كان لـ «هنري مارتين» اليد الطولى في ترجمة التوراة الى الهندية والفارسية والأرمنية، وقد تلقفته الهيئات التبشيرية لتنشره في تلك الربوع.

ومن بعده أخذت الإرساليات تشد الرحال إلى الاناضول مستهدفة استانبول عاصمة الخلافة وأزمير الثغر الاسلامي الكبير ثم يمت وجهها شطر بيت المقدس ووجدت مرتعا خصبا في صفوف النسطوريين واليعقوبيين وكانت الإرساليات الأميركية في المقدمة رغم تأخرها عن إرساليات اليهود الانكليز الذين استهدفوا استانبول وأزمير وسالونيك.

وبعد أن تعددت الإرساليات وتضاربت نشاطاتها اتفقت فيما بينها على توزيع ادوارها بحيث تغطي مختلف انحاء دولة الخلافة الاسلامية فأخذت إرساليات التبشير الاميركية على عاتقها قبائل النصيرية (٢) وما لبثت أن ارتدت إلى جبل لبنان بعد فتنة ١٨٦٠، أما الاستانة فقد أصبحت منذ عام ١٨٤٦ مركزاً لأعمال المبشرين ووكراً أميناً لنشاطاتهم ولا سيما بعد تأسيس الكنيسة البروتستانتية فيها.

ولم يكن اختيار المبشرين لاستانبول بالذات كمركز رئيسي لنشاطهم مجرد مصادفة بل لانها كما يقول «بلس» محط أنظار المسلمين وعاصمة أمير المؤمنين وفيها بيضة الاسلام على اتساع رقعة العالم الاسلامي. ولذلك فقد سعت

(١) — يقول السيد أحد زيد السرحان رئيس مجلس الأمة الأسبق في الكويت، في حديث له ضمن كتاب «رجال في تاريخ الكويت» للزميل يوسف شهاب، إنه حينما تخرج من المدرسة الأحمدية وأراد دراسة اللغة الانكليزية لم يجد غير مدرسة الإرسالية الأميركية التي كانت تقع بالقرب من «قيصرية المعجل» في الكويت، والدراسة فيها مجانية لأن أهداف إنشائها كانت تبشيرية، وأن ناظرها كان القس «دي يونك» ومعه الاستاذ «اسماعيل كدو»، ومن زملائه الكويتيين فيها: عبدالرحمن الرفاعي، حمد البناي وبدر السيد عبدالوهاب النقيب. ويضيف: أن المدرسة تم انتقالها الى غرفة في الكنيسة القليلة وأن استاذها فيها كان السيد «بارني» وكانت الدراسة بعد الظهر ولا علاقة للمعارف بها.

(٢) في تقرير لرئيس إرساليات التبشير الالمانية عام ١٩٠٠م جاء ما يلي: «ان نار الكفاح بين الصليب والهلل لا تنأج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وافريقيا بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام منها قوته وينتشر سواء أكان في افريقيا أم في آسيا. وما ان الشعوب الاسلامية تولى وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة فان كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذ لم نوصول الى قضاء لباثنا فيها. ويجب ان يكون جل ما نتوخاه جمعية إرساليات التبشير الالمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي...».

الرساليات التبشيرية للتواجد فيها بشكل أو بآخر مما يساعدها على رصد الحركات السياسية ومتابعة التطورات أولاً بأول تحت ستار الخدمات الطبية والتعليمية والتبشيرية.

أما في شرق آسيا فثمة إرساليات أميركية واسكتلندية وهولندية ونرويجية وفي الهند مثلاً ركز «كاري» على النقاط الأطفال الفقراء لتربيتهم وإعدادهم للقيام بدور المبشرين بوصفهم من أبناء البلاد نفسها.

وفي الملايو التي اعتنقت الاسلام في القرن الثالث عشر الهجري فقد سعى إلى مزج عقائد أهلها القديمة بالكاثوليكية ثم بالبروتستانتية لضرب الاسلام هناك.

وفي أندونيسيا برزت نتائج جهود الإرساليات التبشيرية مؤخراً وكذلك الحال في جزر الفلبين وفي الهند.

وفي الصين ذهبت إرساليات منذ عام ١٨١٣ واتخذت طابع المعونة الطبية وجاء الأطباء والمرضات بثمرات كثيرة.

ولا يخفى أثر الجهود التبشيرية في العديد من البلدان الأفريقية ولا سيما في البلدان الإسلامية.

وقد تركز نشاط الإرساليات والبعثات الفرنسية في سوريا ولبنان وفلسطين فضلاً عن بلدان شمال أفريقيا.

كما قامت إرساليات إيطالية بنشاط محدود في فلسطين والأردن وسوريا وكان نشاط البعثات والإرساليات النمساوية والاسبانية والدانماركية على نطاق ضيق في فلسطين وسوريا.

واقصر نشاط الإرساليات الروسية القيصرية على فلسطين فحسب. وكان الألمان من أوسع الإرساليات الأجنبية نشاطاً في فلسطين ثم جاء الإنكليز وبعدهم الأميركيون تحت شعار السياحة والتنقيب عن الآثار والتجارة وأعمال الخير الصحية والعملية والانسانية وكان التعاون بينهما قائماً ونشطت جمعيات لندن اليهودية بالقدس والكنيسة التبشيرية وفرسان القديس يوحنا والكنيسة الإنكليكانية وإرسالية المطران نحويات وإرسالية صفد وكانت جهود هذه الإرساليات طليعة للاحتلال الاجنبي الذي تعرضت له مختلف البلدان العربية التي سلخت عن الدولة العثمانية بعد الاجهاز على الخلافة الإسلامية ولعبت دوراً ملموساً في اذكاء الفتنة والثورات الطائفية المتعددة ولا سيما في بيروت ودمشق فضلاً عن العديد من البلدان الإسلامية وكانت وراء انتشار العديد من الافكار والمذاهب والاندية والجمعيات المشبوهة أمثال: شهود يهوه، المعمدانيين، السبتيين، البهائيين، القاديانيين، الماسونيين، الروتاريين، الليونز (الأسود) وغيرهم.

وما يذكر لبعثات التبشير البروتستنتي في لبنان أنها أول من فتح مدارس للبنات (١) حيث افتتحت مدرسة داخلية بإشراف السيدة فورست في عام ١٨٤٧م واستقبلت بالطبع فتيات.

وفي عام ١٨٥١م قدمت الآنسة «آن وتيليس» فافتتحت مدرسة ثانية للبنات لكنها توفيت قبل أن تكمل سنتها الأولى كما أقفلت المدرسة الأولى لتدهور صحة السيدة فورست عام ١٨٥٥م ثم أعادت الإرسالية البروتستانتية افتتاحها في صيدا عام ١٨٦٢م ومع بداية عام ١٨٧٥م اخذت مدارسها تنتشر في معظم المناطق اللبنانية.

وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات أكبر لأن التبشير فيها أكبر أثراً منه في غيرها، وذلك لما يكون فيها من الأحوال المواتية والظروف السانحة لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير مسيحية (٢).

وكان البروتستانت المحليون قد شكلوا في عام ١٨٤٨م الكنيسة الانجيلية السورية وظهر نشاطهم في الطباعة والتعليم ففي عام ١٨٣٤م نقلوا إلى بيروت من مالطة مطبعة عربية لعبت دوراً في نشر التراث العربي وكانت أول مطبعة عربية

(١) حبيب راجي حبيب من مقالة له بملحق النهار اللبنانية بعنوان (فصول لا تنسى في تاريخ تعليم المرأة في لبنان) عدد ١٣ كانون أول ١٩٧٠م

(٢) التبشير والاستعمار ص ٨٦ وما بعدها الطبعة الثالثة ١٩٥٧م.

انشتت في لبنان عام ١٦١٠م حيث اهدتها روما إلى رهبانية ديرقزحيا. كما أنشتت أول مطبعة عربية بحلب ١٦٩٨م تلتها مطبعة الشوير ١٧٣٢م ومطبعة القديس جاجيوس ١٧٥٣م ومطبعة بولاق بمصر ١٨٢١م.

ونشط المبشرون الاميريكون بفتح المدارس ولعل أهم عمل قاموا به افتتاح الكلية السورية البروتستانتية ١٨٦٦ في بيروت بمساعي «دانيال بلس» التي أصبحت الآن «جامعة بيروت الاميركية» والتي احتلت بعديها المثوي قبل عدة سنوات (١٩٦٦م) في تخريج أجيال من الشباب العربي متأثرة بالثقافة الاميركية والفكر الاميركي والحياة الاميركية وزودت الحكومات العربية بكوادر مشبعة بالروح الاميركية لملء الوظائف الحكومية واستلام دفة الأمور وتحت ستار البحث العلمي المجرد تقوم الجامعة باجراء بحوث ميدانية حول الكثير من القضايا الحساسة التي تهم الوطن العربي مستغلة الطلبة العرب لتنفيذ هذه الابحاث بحجة أنها جزء من دراستهم وإرسال خلاصتها إلى العقول الاليكترونية المبرجة لدى الجهات الاميركية المختصة.

ويمول هذه الابحاث عادة شركات رأسمالية لها مصلحة في ضرب وتصفية أي تحرك في المنطقة يهدد المصالح والاستثمارات الاميركية ويكفي أن نذكر شهادة رجل مسؤول كجوزيف سيسكو بهذه الجامعة حيث يقول: (ان الجامعة الاميركية هي أفضل استثمار اميركي في منطقة الشرق الأوسط لذا يجب المحافظة عليها وتوسيعها ودعمها). بل ان المستر بن روز الذي تسلم رئاسة الجامعة الاميركية عام ١٩٤٨ قال: (لقد كشف الاختبار عن أن التعليم أقوى وسيلة (١) استغلها المبشرون الاميريكون في سعيهم لتتصير سوريا ولبنان). (٢)

وهكذا نلاحظ أن الجمعيات التبشيرية التي انتشرت في الولايات العثمانية معظمها انكليزية وفرنسية وأميركية وتغلغل النفوذ الفرنسي والبريطاني عن طريقها وأصبحت هي الموجهة للحركات القومية والمسيطرة على توجيه المتعلمين من المسلمين العرب والأترك وكانت تستهدف:—

١ — فصل العرب عن الدولة العثمانية

٢ — ابعاد المسلمين عن رابطة الاسلام.

وجاء إنشاء هذه الجمعيات نتيجة لما عاناه الأوربيون في الحروب الصليبية بعد أن خذلهم نصارى العالم الإسلامي ولم تنفعهم قوة أوربا في مواجهة الإسلام والمسلمين.

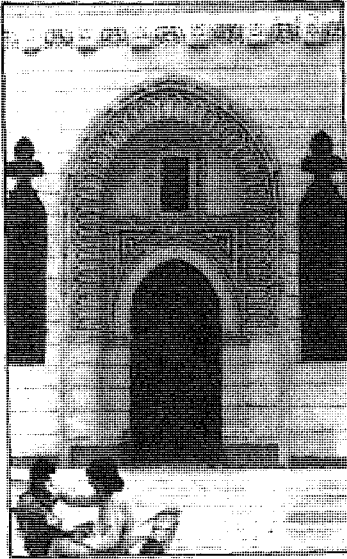
وقد أسسوا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي مركزاً للتبشير في مالطة ثم انتقلوا منها إلى بلاد الشام ١٦٢٥م ولم يتعد نشاطهم تأسيس مدارس صغيرة ونشر كتب دينية محدودة وفي عام ١٧٧٣م ألغيت الجمعيات التبشيرية اليسوعية ولم يبق إلا المبشرين اللعازاريين وانكفأوا في مالطة حتى ١٨٢٠م حين عادوا فأسسوا أول مركز لهم ببيروت وفي عام ١٨٣٤م انتشرت البعثات في الشام (كلية عينطورة) وتم إنتقال المطبعة لبيروت كما نشط إيلي سميث بعد حضوره من مالطا لبيروت ١٨٢٧ وفتح مع زوجته مدرسة للناث وكان تطبيق ابراهيم باشا لنظم التعليم المصرية الفرنسية في الشام فرصة سانحة للمبشرين.

ثم بدأت الفتنة بين المسلمين والنصارى والدروز ١٨٤١ عقب انسحاب ابراهيم باشا بيوم واحد.

وبضغظ من أوربا وضع العثمانيون لجبل لبنان نظاما خاصا وقسم قسمين لمنع الاحتكاك بين الدروز المسيحيين واستمر اشغال الفتنة لانحياز الانكليز لجانب الدروز والفرنسيين لجانب المسيحيين الموارنة وعادت الاضطرابات فتحددت

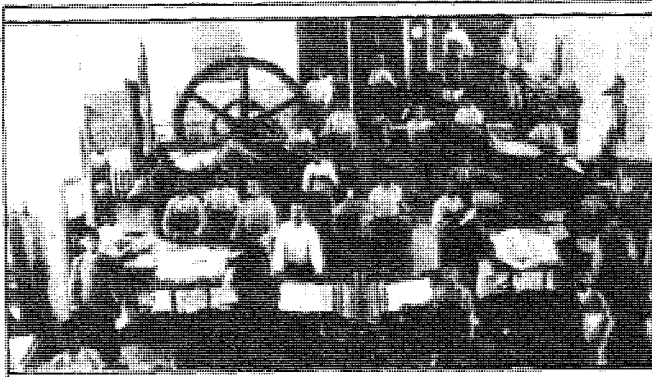
(١) لا يخفى أن اختيار المبشرين لدارعراي باشا بالذات لعقد مؤقرهم إنما يستهدف الاساءة للذكرى ناثر مسلم تحدى الامبراطورية البريطانية في أوج عظمتها، وهو دليل جديد على الحقد الصليبي المتأصل الذي تحلى في العديد من المواقف الماثلة كموقف اللورد النبي في القدس وموقف الجنرال غورو عند ضريح صلاح الدين الايوبي بدمشق.

(٢) حديث خاص مع القس لويس اسكندر (الابن) نشر في الوطن ١٩٧٥/٨/١، كتاب «رسائل وأخبار الاسالية الاميركية في الخليج» الصادر ١٩٠٤ — ١٩١٠م، وكتاب «كنت أول طيبة في الكويت» للدكتور البانور كالفري ترجمة عبدالله الحاتم.



مراكز الفزو الفكري

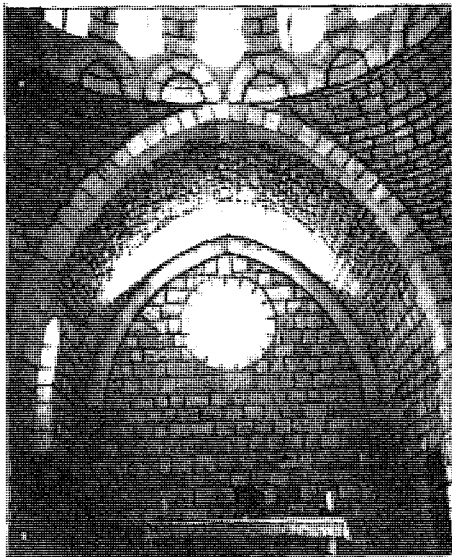
الجامعة الأميركية في بيروت ومثيلتها في القاهرة قامتا بدور كبير في تشويه الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية وخدمة الأهداف الاستعمارية.



المطبعة الكاثوليكية بلبنان أول المطابع في القرن التاسع عشر تمهيداً للغزو الفكري.



جامعة القديس يوسف. الجامعة اليسوعية (الفرنسية) في بيروت. خرجت أجيالاً من أتباع الغرب.



كنيسة عينطورة شيدها
«الآباء اليسوعيون»
في القرن الثامن عشر
كمركز للغزو الصليبي
للبنان

1718 HIC JACENT SUB FRATERNIA TUTELA MESSORUM			
P. LAMBERT	1659	P. NERET	1714
P. de POIRESSON	1673	P. BAYLE	1719
P. DESCHAMPS	1693	F. BUCORNET	1720
T. SAHIBAN	1693	P. TREFFONS	1720
F. RIQUETTE	1694	P. BOHAMOUR	1724
F. CASTANET	1694	P. GERIN	1728
P. GRAVIER	1695	P. LIGIER	1733
F. BARRE	1695	P. de BONNICHES	1743
F. CERY	1702	P. MACCH	1746
F. CHARPENTIER	1704	P. BENSCHIO	1758
P. CUENOT 1760			
PATHES & FRATRES SOCIETATIS ACRIE UT, ET QUI SEMINAT, ANNU. GARDAT, ET QUI NETUS. (1718)			

«الآباء اليسوعيون» في لائحة على مدفن كايلا بكلية عينطورة

عام ١٨٤٥م وزاد نشاط المبشرين وحرص الاكليروس الفلاحين الموارنة على الاقطاعيين الدروز بعد أن امتدت للجنوب، واتسعت الفتنة في تموز ١٨٦٠ حيث هاجم مسلمو دمشق حي النصارى وأوقف العثمانيون الفتنة بالقوة لكن الغرب لم يشأ أن تضيق منه الفرصة فنزلت حملة برية فرنسية في بيروت ومنح لبنان على أثر ذلك امتيازات خاصة ونظام محلي للإدارة على رأسها حاكم مسيحي.

ونشطت الجمعيات برعاية الارساليات المختلفة الاميركية «الفنون والعلوم» ١٨٤٧، جمعت اليازجي والبستاني مع سميث وكورنيلس فان ديك والكولونيل تشرشل ولم ينتسب لها الا النصارى.

والفرنسية أسست الجمعية الشرقية التي فشلت ثم ظهرت «العلمية» بسوريا التي جمعت الدروز والمارونيين مستهدفة للتوفيق بين الطوائف وبعث العروبة والثقافة الغربية.

ثم ظهرت جمعيات بروتستانتية تتهم الترك باغتصاب الخلافة العربية وتثير الكراهية ضدهم.

كما أرسلت روسيا القيصرية والمانية البروسية بعثات وراهبات بدافع العداء التقليدي ضد المسلمين مستهدفة طعن الاسلام ودعم حركات الاستشراق والمستشرقين لتمهيد الطريق لفتح العالم الاسلامي واستعمارهم بينما انشئت جمعية «اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم لبث روح المحبة» منذ عام ١٨٩٥م وسنة ١٩٠٢ أسست جمعية «تبشير الشبان» لاستمالة النساء والبنات والشبان والطلبة.

وسنة ١٩٠٧ ظهرت جمعية تبشيرية خاصة بالكهول.

كما انشئت (منظمة التبشير البروتستانتية في بازل) بسويسرا التي تعتبر منظمة عالمية للتبشير ينتمي اليها أفراد من جميع أنحاء أوروبا وأميركا وقد استقر رأي مؤسسيها على اختيار سويسرا مقراً لأن سويسرا هي الدولة المسيحية الوحيدة التي لم يكن لها مستعمرات وليس لها مطامع عسكرية أو اقتصادية في أي جزء من أجزاء العالم مما يضيء عليها الصفة الحيادية.

وكونها منظمة بروتستانتية لم يمنعها من التعاون مع سائر الهيئات التبشيرية على اختلاف الطوائف المسيحية وحينما طردت المبشرين الفرنسيين من بلادها عقب العدوان الثلاثي ١٩٥٦م عاد نفس المبشرين وأعوانهم إلى مصر بجوازات سفر سويسرية وهكذا أمكن للمبشرين أن يصلوا إلى أعرق مناطق بلادنا من أعالي النيل وأواسط افريقيا إلى ذرى طوروس وزاغروس في شمالي العراق وسوريا والربع الخالي في شبه الجزيرة العربية.

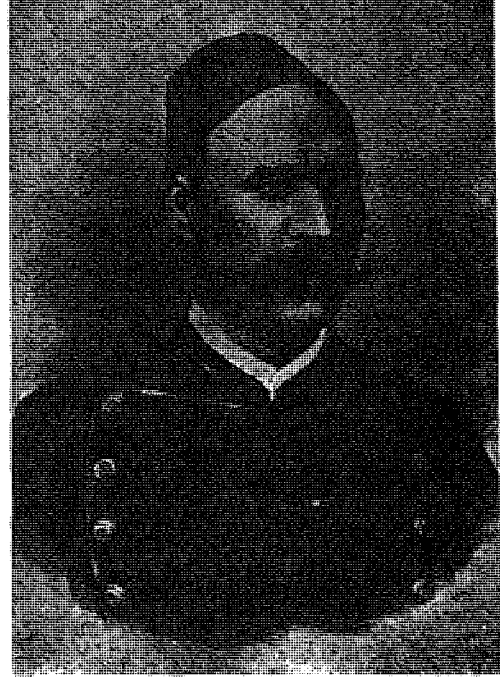
وذكرت مجلة «ارساليات التبشير البروتستانتية» التي تصدرها تلك المنظمة منذ عام ١٨١٦م ولا تزال مستمرة بالصدور ومقتصرة في توزيعها على الاوساط التبشيرية أن ما ينفق على التبشير سنوياً يبلغ ١٣٥ مليون دولار اميركية منها ١٠٥ مليون دولار في البلدان الاسلامية و ٣٠ مليون دولار للاعمال الاعلامية التبشيرية والمراسلين الاداريين في المقر العام بسويسرا.

وقد حرصنا على ذكر هذه النماذج من بدايات الحركة التبشيرية للتنويه بتعدد الحقول التي اختارتها فهي قد استهدفت مختلف قطاعات المجتمع من النساء إلى الشباب، إلى الطلاب وحتى الكهول لم تتركهم لعقائدهم التي شؤا وشابوا عليها.

ولكي ندرك خطورة المرحلة التي قطعها المبشرون الآن لابد من استعراض تاريخ حركتهم بشيء من الدقة والتركيز ومتابعة مؤتمراتهم وتحليل قراراتها وتوصياتها وملاحظة ما نفذ وما استعصى تنفيذه منها، لا سيما وأنهم لم يربحوا معاركهم معنا حتى الآن إلا لكسلنا عن متابعتهم في أوكارهم وتسليط الاضواء على أعمالهم. خاصة وأن الوقائع أثبتت أن معظم الكوارث التي أصيبت بها بلدان العالم الاسلامي كانت بناء على دراسة وتخطيط المبشرين وتلامذة الارساليات التبشيرية.



أحمد عرابي باشا: بعد المنفى



أحمد عرابي باشا: قبل المنفى

ولقد كان مؤتمر ١٩٠٦ الذي عقده المبشرون في القاهرة أول مؤتمر من نوعه وجاء تنفيذا لدعوة كبيرهم صموئيل زويمر رئيس ارسالية التبشير في البحرين آنذاك.

والهدف من ذلك المؤتمر الذي عقد في منزل (عرابي باشا) (١) في باب اللوق بالقاهرة وحضره (٦٢ مندوبا) بين رجال ونساء هو تنسيق جهود الارساليات البروتستانتية لنشر الانجيل بين المسلمين كما يقول زويمر نفسه الذي انتخب رئيسا له. وتناولت ابحاثهم في المؤتمر عدة مواضيع من بينها:

«إعداد ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم، الاسلام في افريقيا، الاسلام في السلطنة العثمانية، الاسلام في الهند، الاسلام في فارس، الاسلام في الملايو، الاسلام في الصين، النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين وبين المسلمين العوام، التنصر، الارتداد، وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين، شئون نسائية إسلامية، تربية المبشرين والعلاقات بينهم، كيفية التعليم في الاسلام.

ولعل نظرة استعراضية خاطفة لهذه العناوين الفرعية للأبحاث التي ناقشها ذلك المؤتمر كافية لتقدير مدى العداء الذي يجابهنا به المبشرون الذين يتسترون برداء الدين، ومن شاء أن يستزيد أو يتيقن من هذه الحقيقة فاننا نحيله إلى كتاب «العالم الاسلامي» لـ «زويمر» نفسه، وللنشرة الخاصة باعضاء المؤتمر التي اعدّها «فليمينغ»، كما يستلفت النظر اختيار زويمر لمنزل عرابي باشا بالذات ليكون مقرا لعقد المؤتمر، وهو زعيم الثورة التي كانت أول تعبير عن الارادة الحرة لشعب مصر التي قمعت بنفي عرابي.

وتجنبنا للاطالة في استعراض نتائج المؤتمر وما تمخض عنه من احداث فظيعة في مختلف انحاء العالم الاسلامي مما يدركه المسلمون ويلمسون آثاره في كل مكان نقتصر على ذكر الوسائل التي ساعدتهم على تحقيق مآربهم ليس للذكرى والتاريخ بل للتنبيه والاشارة لانها ما زالت تستخدم من قبلهم وقبل تلامذتهم وأعوانهم دون تغيير يذكر.

(١) التبشير والاستعمار ص ٦٧ وما بعدها الطبعة الثالثة ١٩٥٧م

ولقد سعى المبشرون الى تبادل الخبرات والمعلومات وحاولوا أن يصبغوا أفكارهم بالقوالب والأشكال التي تستهوي العقل الشرقي وأدركوا مثلاً ان في الموسيقى والفانوس السحري والفصاحة والصوت الرخيم وتجنب الالفاظ الاجنبية ما يأسر الرجل الشرقي فركزوا على ذلك وكان منهم علماء لغويون ينافسون سيبويه في عالم النحو والصرف ويفوقون الخليل بن احمد في بحور الشعر.

كما شاهدنا وما زلنا نشهد الكثير من المبشرين الذين يحفظون القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ويحاجون بها بعض علمائنا. ناهيك عن تقربهم للنفوس الضعيفة بالاغراءات المادية او المعونات الطبية او الخدمات التعليمية ونتيجة لهذه الحملة المركزة المدروسة باتقان فقد الكثير من الشباب المسلم ثقته بنفسه وأحياناً بمقيدته وأصبح يتقبل بسهولة ما يقدم له في أطباق غربية شهية على شكل مؤلفات تاريخية واجتماعية وادبية وفكرية بل ودينية أحياناً .

وانتشرت في ربوع بلادنا بعض المكتبات التي تقدم الكتب الانيقة بأسعار زهيدة وتسعى عن طريق رخص أسعارها الى استجلاب الزبائن لمحادثتهم ومناقشتهم خلال ترددهم عليها .

ولعلا يستهين احد بهذه الوسائل التي تبدو بسيطة وغير فعالة يكفي ان نذكر ان فترة قصيرة من النشاط التبشيري الذي اعتمد على مثل هذه الأساليب كانت كافية للتعرف على أحوال البلاد الاسلامية ودراسة أفكار وعواطف المسلمين بل والحصول على ثقة الكثيرين منهم عن طريق دغدغة مشاعرهم الخاصة وتأليف قلوبهم بمختلف الاغراءات والوسائل .

ويقرر «بلس» ان الاسلام هو العقبة القائمة في طريق التقدم التبشيري في افريقيا، وعلى حد قوله : (الانجيل لا يجد معارضا من جهل السكان ولا من الوثنية ولكن الخصم هو الشيخ صاحب النفوذ). ويرى : ان الملحمة الكبرى بين اوربا والاسلام ستنشعب في غربي افريقيا او في شماليها ويمكن ان نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان .

وهذا القول الذي مضى عليه عشرات السنين نقرأه وكأنه وصف لواقعنا المعاصر، فلا زالت الاحداث السياسية في جنوب السودان وفي «بيافرا» التي اسدل الستار على انفصالها وفي عشرات الوقائع المماثلة تشير الى استمرار المعركة بين الاسلام والتبشير وما أحدث إفريقيا مؤخراً، والنكبات والانقلابات التي أطاحت بنفوذ المسلمين في العديد من الأقطار الإفريقية سوى أمثلة جديدة حية تكشف مدى خطورة النشاط التبشيري الذي يمضي في نشاطه في غفلة من العالم الإسلامي .

ومن ماثور أقوال المستشرقين جيب وميليفان وبن روز وأمثالهم دعاؤهم : (لنبتهل الى الله طالبين ان يمدنا بعون منه لنستطيع تعميد نفوس اولئك الشبان الذين يترددون علينا من الكليات) (١)

وتقول المبشرة حنا ميليفان : (ان المدارس قوة فعالة لجعل الناشئين يقعون تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من ألف قوة أخرى وان هذا التأثير حيي يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة في أوطانهم) (٢)

وعلى الرغم من أن الأهداف الدينية تعتبر في طليعة أهداف الاستشراق فان الاسلام بنوره الساطع نفذ إلى قلوب بعض المستشرقين المنصفين فاعتنقوه كلياً أو خدموا الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية ولعل عدد الذين كسبهم الاسلام بفضل الاستشراق يفوق عدد المسلمين الذين ارتدوا عن دينهم وساروا في خدمة الاهداف التبشيرية .

ومهما يكن الامر فان قراءة أعمال المستشرقين ودراساتها وتبين ما فيها من حق أو باطل ومقارعتهم بالحجة بالحجة

(١) عن تقرير سري من محفوظات ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت .

(٢) ولعل نتائج جهودها لم تعد خافية منذ مطلع السبعينات في بلاد الشام كلها حيث تغلغل تلامذتها في العديد من الحركات والأحزاب لتوجيه دفنها والسعي للسيطرة على المنطقة برمتها خدمة لأغراضها، عن طريق تحالف الأقليات المشوهة .



الفايكان وجه الحملات التبشيرية بعد فشل الغزو الصليبي للعالم الإسلامي.

بسلوك طريق البحث العلمي يظل واجبا من أهم واجبات المثقفين المسلمين في عصرنا الحاضر لثلا نجد انفسنا متخلفين عن مستوى حضارة العصر من جهة ولنتعرف كيف أمكنهم هدم الخلافة الاسلامية من جهة ثانية .

رحم الله العلامة محي الدين الخطيب وأحسن إليه بقدر ما أحسن إلى أمته حينما بادر إلى تنبيهها لخطورة الغارة التبشيرية التي استهدفتها قبل أكثر من نصف قرن... فقد كان كتابه «الغارة على العالم الاسلامي» الذي ترجمه حرفيا عن المستشرق الفرنسي «ا.ل. شاتليه» رئيس تحرير «مجلة العالم الاسلامي» الفرنسية، بالتعاون مع زميله مساعد اليافي، والذي حث الامير شكيب ارسلان كل مسلم على ضرورة اقتنائه في مكتبته، كان ذلك الكتاب بمثابة ناقوس الخطر الذي علا ضجيجيه بين أمة عز فيها السمع والفهم..

ولو أن المسلمين أدركوا خطورة التنبيه لتجنبوا الكثير الكثير من الولايات والمصائب والكوارث والنكسات والهزائم التي منوها بها خلال السنوات المنصرمة. بعد أن وصل المد التبشيري إلى أرضنا لا بأس في العودة الى ذلك الكتاب والكتب التي جرت على نهجه لادراك ماهية التبشير وتسليط الاضواء على اهداف وخطط وأساليب المبشرين (١) .

(١) مما يؤكد بصورة عملية خطورة الدور الذي لعبته هذه المؤسسات التبشيرية تلك المأساة الدامية والفتن المفجعة التي مازال يعاني منها شعبنا في لبنان كشمرة من ثمار الغرسات المسمومة التي زرعتها في تربة لبنان الأخضر والتي تحولت «بفضلها» الى تربة حمراء يسقيها دماء الشهداء والعملاء على حد سواء .

الفصل الثاني

إثارة قضايا اأقليات وإشغال الفتن بين أهل الذمة والمسلمين

جربت أوروبا لعبة إثارة النعرات القومية والخلافات الطائفية والمذهبية والاستقلالية ولا سيما بين العرب والأتراك ونشطت السفارات والقنصليات في استانبول ودمشق وبغداد والقاهرة وبيروت وجدة ولا سيما في استانبول وبيروت في أعقاب خروج جيش إبراهيم من سوريا ونافسهم الأفرنسيون ففعلوا مثلهم .

وتأسست عدة جمعيات لم يقبل عليها في البداية سوى النصارى تحت ستار العلم والفن والادب والفكر ثم انخرط فيها الموارنة والدروز معا . وأعقبتها جمعيات سرية أسسها خريجو المدارس التبشيرية كأحزاب سياسية على أساس فكرة القومية العربية ومعاداة الدولة .

وتأسست جمعية سرية ثورية تركية « الاتحاد والترقي » بزعامة أحمد رضا بك أقامت فروعا لها في برلين ، سالونيك ، استانبول ، بالإضافة الى مركزها في باريس وأصدرت جريدة « الانباء » ولقيت دعما من المحفل الماسوني الايطالي الاكبر في سالونيك وغيره من المحافل الماسونية التي كان أعضاؤها مندجين بجمعية « الاتحاد والترقي » و « تركيا الفتاة » حتى استولوا على الحكم ١٩٠٨ م . تحت شعارات اصلاحية تدعو للحضارة الغربية وتحرك النعرة الطورانية كما اثار الشوكس والاكراد والالبان بعد الروم ، والارمن والعرب .

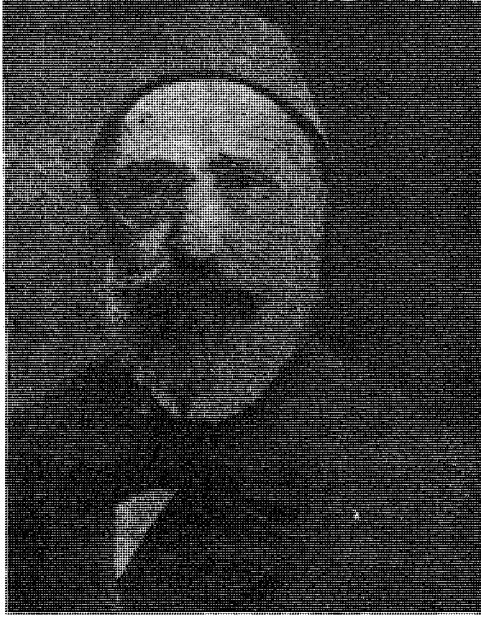
وقد تعصب الاتحاديون ضد العرب خاصة وأتبعوا التمييز ضدهم في الجيش وانتزعوا وزارة الاوقاف وسلموها لتركى وكذلك الداخلية والخارجية كما ارسلوا ولاية اترك للبلاد العربية ممن لا يعرفون العربية وتنكروا للغة العربية دون أن يأنهوا لكونها لغة القرآن الكريم .

ودعا بعض الضباط العرب للتفاهم مع الاقطاب الاتحاديين وكادوا يحققون الوحدة لولا تعصب احمد آغا بك ويوسف اقشورة بك ، من غلاة الطورانيين مما أدى الى تفاقم الوضع وتترك الاتحاديين فتأسس حزب اللامركزية بالقاهرة برئاسة رفيق العظم وجمعية الاصلاح ببيروت والمنتدى الادبي وتغلغل الانكليز والفرنسيون فعقد مؤتمر باريس ١٨ حزيران ١٩١٣ م برياسة فرنسي وتألفت جمعية ترك اوجاغي اي (العائلة التركية) لتترك العناصر العثمانية فشجعوا الجرائد الاحادية وبدأ المتعصبون أمثال : جلال نوري بك في تاريخ المستقبل الذي يرى تحويل البلاد العربية الى مستعمرات ونشر اللغة بالتركية كلفة عربية .

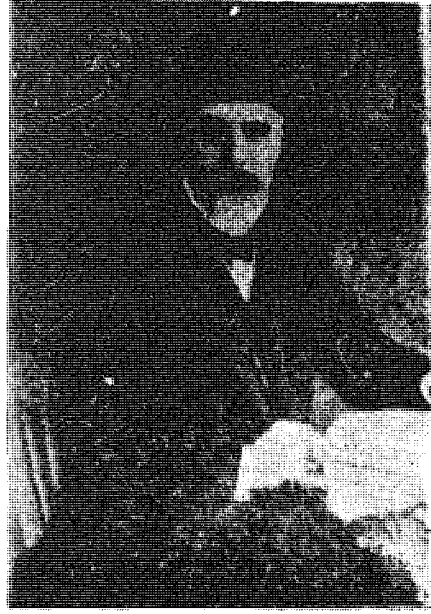
وقد ركز المستشرقون والمبشرون جهودهم على اختلاق ما يسمى بمشكلة الاقليات .

والاقليات هم بالتعبير الاسلامي « أهل الذمة » الذين أوصى بهم الرسول صحابته وخلفاءه ، والمسلمين من بعده عامة ، فلم يسجل تاريخ الدولة الاسلامية على اختلاف عهودها حادثة اضطهاد ديني واحدة ، بعكس غيرها من الدول التي حفل تاريخها بأنباء المجازر — والمذابح الطائفية والمذهبية بين أبناء الدين الواحد .

ولقد طبق الاسلام على « أهل الذمة » داخل مجتمع الدولة الاسلامية فحفظ أعراضهم وأموالهم وأماكنهم وأديانهم وأماكن عبادتهم ومقدساتهم وبذل المسلمون أرواحهم مرارا في سبيل الدفاع عنهم والحيلولة دون الاساءة اليهم . على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .



مدحت باشا: تلامذته الماسونيين تولوا متابعة مخططة بعد وفاته



أحمد رضا بك: تلقى دعم الماسونيين الإيطاليين لجمعية «الاتحاد والترقي».

وقد حددت التشريعات الاسلامية ثلاثة أنواع من الأراضي المفتوحة، لا يدفع عنها «الخراج» وإنما يدفع عنها أصحابها عشر ثمارها وغلاتها وتسمى «الأراضي العشرية» وهي:

- ١ - الأرض التي أسلم أهلها عليها بدون حرب.
- ٢ - الأرض التي ملكها المسلمون بحكم الفتح وتقسيمها على الفاتحين.
- ٣ - الأرض التي كانت تؤخذ كغنيمة بين الفاتحين.

وقد اختلف الفقهاء والمشرعون في تقدير الخراج فقصره بعضهم على جزية الرؤوس المفروضة على أهل الذمة، بينما جعله آخرون ضريبة على الأرض وراعوا في تقديره كمية المحصول ومساحة الأرض وجودتها وكان يؤدي نقداً أو حصة معينة من المحصول أو من كليهما، وساد نظامان لجباية الخراج: المقاسمة أو الإلتزام، وحرص الخلفاء عموماً على عدم إرهاب الرعية بالضرائب.

أما الجزية فقد وجبت على أهل الكتاب كما وجبت الزكاة على المسلمين، ليتكافأ الفريقان بوصفهما رعية واحدة في الدولة الاسلامية، كما تكافأ في التمتع بالحقوق وتساويا في الانتفاع بالمرافق العامة.

وتتشابه الجزية والخراج في أنهما جزءان من «الفيء» الذي يجبى في أوقات معينة من السنة، ولكن الجزية الموضوعة على الرؤوس تسقط بالاسلام، في حين أن الخراج موضوع على الأرض فلا يسقط باسلام المالك.

والجزية تؤدي على قدر طاقة الشخص لذا فقد قسم الخاضعون لها إلى:

- ١ - أغنياء: يدفع الشخص منهم ٤٨ درهماً سنوياً.
- ٢ - متوسطون: يدفع الشخص منهم ٢٤ درهماً سنوياً.
- ٣ - فقراء: يدفع الشخص منهم ١٢ درهماً سنوياً.

وقد أخذت في معظم اليهود الاسلامية على أقساط تسهيلات على الناس لسدادها: كما أعفي منها المساكين، والعاطلين عن العمل، والمشوهين، والطاعنين بالسن، والرهبان، ولم يكلف بأدائها إلا الرجال الأحرار ذوي القدرة البدنية والعقلية العاملين المنتجين، القادرين على الحرب من غير المسلمين مقابل إعفائهم من القتال. وأوصى الخلفاء المكلفين بجبايتها بالرفق والإنصاف وصيانة الأرواح والأموال.

أما نظام الالتزام أو الإقطاع، فيرجع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد درج الحكام المسلمون على إقطاع الجند من أرض الخراج لتدر لهم غلتها وتصير رزقاً وأجراً بعد أن يمضي كل منهم حياته وشبابه في الغزو والجهاد والفتح، ليضمن شيخوخته ومستقبل أسرته.

أما «أهل الذمة» فقد منحهم التشريع الاسلامي الحق في ممارسة حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مكتفياً بأداء المكلفين منهم للجزية، وكانوا يعاملون معاملة المسلمين، كما سمح له بإنشاء المحاكم الروحية الخاصة تبعاً لأديانهم ومذاهبهم، وكان الخلفاء والأمراء والولاة يشاركونهم في أعيادهم واحتفالاتهم ويكرمون ويجالسون أساقفتهم وكبراءهم وقد وصل بعضهم إلى منصب الوزير في عهود مختلفة.

وتاريخ المسلمين حافل بالاعتزاز بعباقرتهم وعلمائهم وشعرائهم وأدبائهم من اولاهم الخلفاء والولاة والحكام على مر العصور - الرعاية والتكريم كما اسندوا اليهم أرفع المناصب حتى أن الفاطميين والعثمانيين اتخذوا منهم ملوكاً ووزراء كما شكل العديد منهم وزارته برئاستهم بينما اصاب الكثيرون اليسر والنجاح في تجارتهم وصناعاتهم.

وبلغ من اطمئنان المسلمين إليهم أن سمحوا بهجرتهم واستقبالهم كما حصل حينما تعرض المسلمون واليهود إلى مجازر محاكم التفتيش الكاثوليكية الاسبانية فاضطروهم للهجرة هرباً بمعتقداتهم.

كذلك فإن السلطان سليمان القانوني منح من باب التسامح والمجاملة فرانسوا الاول ملك فرنسا لقب حامي الكاثوليكية في الديار الاسلامية، فاذا بهذه المنحة السلطانية تجر على البلاد والعباد بعد اسوأ الويلات بدعوى حقوق الاوربيين في «الامتيازات الأجنبية». وكان ذلك بداية سيئة لما عرف بمشكلة «الأقليات» التي تحولت إلى حصان طروادة في الدولة العثمانية.

ولم يعد ينفع «نظام الملة» الذي وضعه العثمانيون لترتيب أوضاع وحفظ حقوق «أهل الذمة» وإزاء الدسائس والفتن التي حولت الذميين الى طوائف واتخذتهم قواعد للوثوب على الأمة الاسلامية والخلافة العثمانية متباكين على حقوقها ومستقبلها ومتناسين لما كانوا وما زالوا يمارسونه حتى الان من تعصب طائفي وتمييز عنصري ضد الاكثريات وليس الاقليات في اميركا واستراليا وافريقيا، بل واوربا نفسها، ومذابح الهنود الحمر بأميركا والانفجارات في ايرلندة وبريطانيا، وضحايا التعصب بين آونة وأخرى في فرنسا وبريطانيا وغيرها من البلدان «الراقية» أكبر دليل على ذلك.

وقد ارسل الله تعالى الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب والصحف وجعل القرآن الكريم آخر الكتب والاسلام آخر الرسالات ومحمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين للناس كافة من أهل الكتب أو أصحاب الديانات أو من غيرهم فهو للبشرية جمعاء ولا نبي بعده إلى يوم الدين قال تعالى:

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (٢٨)

(سورة سبأ الآية ٢٨)

وقال أيضا

« قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَآٰتِيعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

(سورة الأعراف الآية ١٥٨)

وقال جل من قائل

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِعَايَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » ﴿١٩﴾

(سورة آل عمران الآية ١٩)

وطلب الله تعالى من عباده إعتناق الاسلام وحده وترك ما عداه بقوله :

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ﴿٨٥﴾

(سورة آل عمران الآية ٨٥)

وأكد سبحانه ان الاديان السباقة حرفت وبدلت بقوله :

« فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ » ﴿٥٩﴾

(سورة البقرة الآية ٥٩)

وقال تعالى :

« * يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ » ﴿٤١﴾

(سورة المائدة الآية ٤١)

إلا أنه وعد بحفظ القرآن الكريم بقوله سبحانه

(سورة الحجر الآية ٩)

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ﴿٩﴾

ولهذا فقد بقي القرآن الكريم وحده من بين الكتب السماوية سليما من أي تحريف او تغيير كما بقيت العقيدة
الاسلامية وحدها الصحيحة من بين سائر العقائد فهي من وضع خالق الكون والانسان والحياة ولا غرو في أن يكون
الاسلام دين الفطرة وحضارته ارفع واخلد حضارة عرفها الانسان.

وعلى الرغم من امر الله تعالى للمسلمين بنشر الاسلام واعلاء كلمته بين جميع الشعوب عن طريق حمل الدعوة الاسلامية بالقول الحسن او بالجهاد فانه حث على عدم إجبار الناس على اعتناق الاسلام يقول الله تعالى

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ﴿٢٥٦﴾

(سورة البقرة الآية ٢٥٦)

وحينما اقام الرسول الكريم أول دولة اسلامية في المدينة المنورة لم يجد ضيقاً في مخالفة المسلمين مع اليهود ولكن تصرفات اليهود ازاء الاسلام والمسلمين اضطرتهم المرة تلو المرة الى اخراج بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة لنقضهم ليهودهم وتأمرهم مع كفار قريش وايتارهم لعبادة الاوثان على دعاة التوحيد.

وازاء استمرار كراهيتهم وحقدهم كان لا بد للرسول أن يأمر باخراجهم من جزيرة العرب كلها تأميناً لحوض الدعوة الاسلامية فكانوا بذلك نواة لمشاكل الاقليات التي تفاقمت في عهود الضعف ونفذ الاستعمار من خلالها الى العالم الاسلامي.

ولقد سار الخلفاء في شتى العهود الاسلامية على سنة الرسول ونهجه فأحسنوا معاملة «أهل الذمة» وتفاوضوا عن الكثير من اخطاء البعض وتجاوزات الآخرين وكان بين المسلمين كثيرون من أمثال الامام الاوزاعي الذي شفع لنصارى لبنان في العهد العباسي وصلاح الدين الايوبي الذي تفاضى عمن ظاهر الصليبيين على المسلمين من اهل الشام وعبدالقادر الجزائري الذي حقن دماء المسيحيين في دمشق بعد أن كادت تصلها آثار الفتنة في لبنان ولكن هذه المواقف عبر عصور مختلفة — لم تمنع بعض الايدي ان تمتد الى الصهيانية في حلف ضد المسلمين اليوم، وقد بلغت القحمة ببعض الأقليات إلى حد عقد الاتفاقيات العلنية والسرية، والحصول على الأسلحة، وتسليم مقاليد الأمور، والتآمر ضد الأمة والوطن.

وفي حديث لأبي هريرة (ر) عن النبي (ص) أنه قال : [لا تقوم الساعة حتى يقتل فتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة] (أخرجه البخاري)
وعن عبدالله بن عمر (ر) أن الرسول (ص) قال : [تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ، ثم يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي ، فاقتله] (أخرجه البخاري).

والجهاد ضد اعداء الله امر مشروع فאלله تعالى يأمرنا بقول :

« أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ﴿٤١﴾

(سورة التوبة الآية ٤١)

وقال تعالى :

« وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا »

(سورة النساء الآية ٧٥)

ويأمرنا الله تعالى بقوله :

« الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » ﴿٧٦﴾

(سورة النساء الآية ٧٦)

وقال سبحانه :

« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ »

(سورة البقرة الآيات ١٩٠ - ١٩٣)

كما بشرنا بقوله :

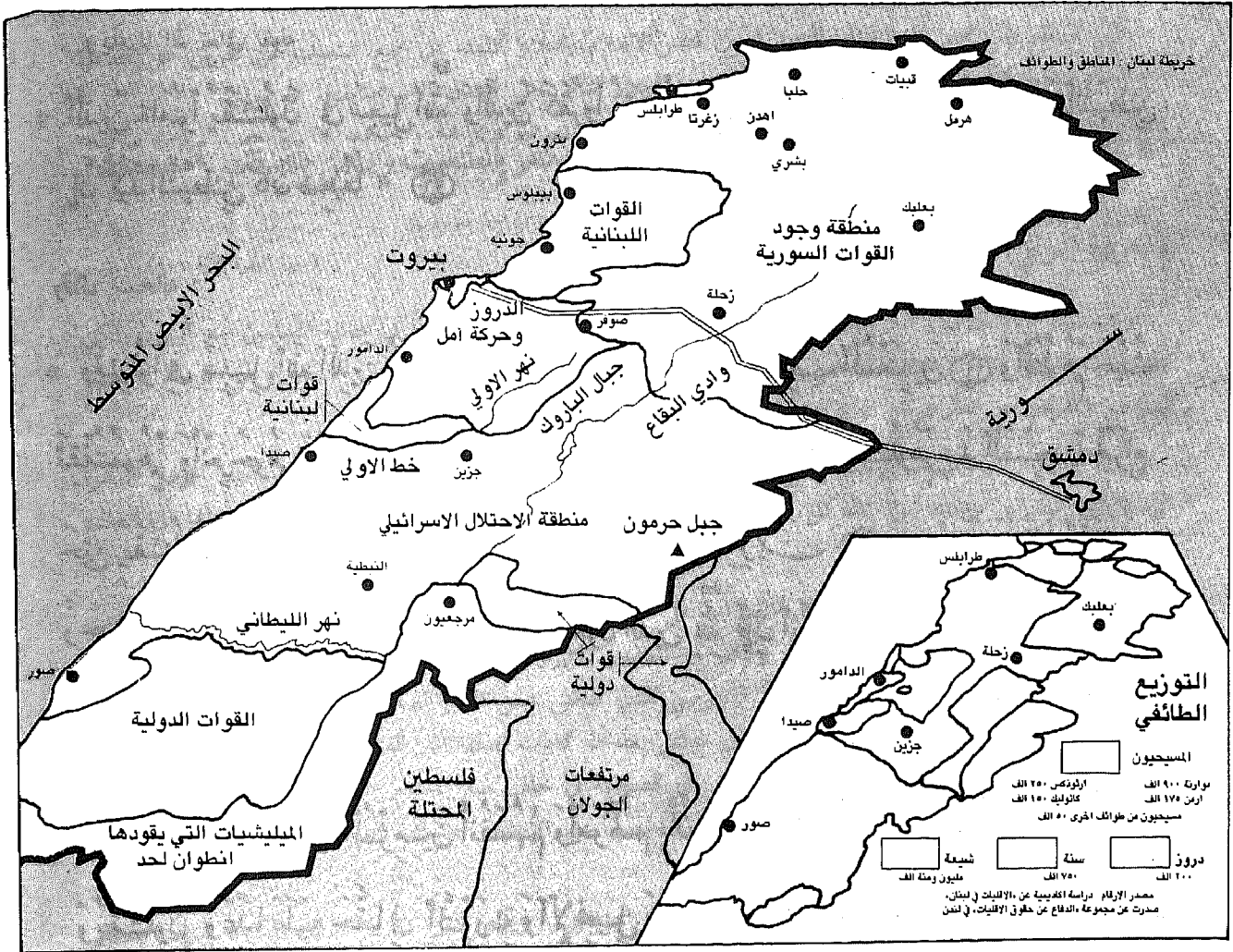
« * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقَاتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ »

(سورة التوبة الآية ١١١)

والتفسير التاريخي لبروز قضية الاقليات واستمرارية وجودها يتصل بالمعطيات الدينية والتاريخية والجغرافية والبشرية التي تميزت بها منطقتنا فقد كانت بلادنا مهد الديان السماوية ومركزا لتلاقح الحضارات الانسانية وممرا للتجارة العالمية ومحورا للقاء المجموعات اللغوية والعنصرية والهجرات البشرية وقاعدة للهجوم والدفاع في الحروب الشرقية والغربية ونافذة تطل على البحار الدولية (الابيض المتوسط، البحر الاحمر، المحيط الهندي، المحيط الأطلسي، والخليج العربي) كما شهدت ميلاد وسقوط العديد من العهود والحضارات والدول والانظمة السياسية الاصلية والدخيلة.

فلا غرابة اذا ما رأينا سلاطين آل عثمان يؤثرون عدم التدخل في أمور العصبية الحاكمة ويكتفون بإعلان ولائها ودفع خراجها لخزينة دولة الخلافة في معظم سني الحكم العثماني الطويل دون ان يأبهوا للمصراعات التقليدية بين القيسية واليمانية أو الجنبلاطية واليزبكية بل حتى ولا لنزاع المارونية والدرزية.

وقد كان التسامح العثماني هو النافذة التي دخل منها التدخل الاجنبي لتغذية الخلافات واشعال نار الفتن وتبرير الحماية ازاء تدهور الاوضاع في السلطنة العثمانية خلال القرن التاسع عشر حين ازداد تأثير الدول الاوروبية ومداخلتها المباشرة في اوضاع الاقليات ولا سيما المسيحية منها بهدف احراز المزيد من النفوذ والمكاسب في تركة «الرجل المريض» الذي قرب أجله.



ونتيجة لدعم أوروبا نشطت الحركات الانفصالية القومية في الاجزاء الأوروبية من السلطنة واستقلت رومانيا وبلغاريا وصربيا (يوغوسلافيا) وألبانيا واليونان كما احتلت بريطانيا قبرص ثم انتقل الهجوم الاوربي الى شمالي افريقيا فسقطت الجزائر والمغرب وتونس وليبيا ومصر والسودان ولم يبق الا الاقاليم الاسيوية فبدأت الضغوط الدبلوماسية الأوروبية لتغيير أوضاع المسيحيين واليهود فيها وحصل عدد من هؤلاء على الجنسيات الأوروبية مما منحهم حق الحماية بموجب شروط «الامتيازات الأجنبية» التي بدأتها فرنسا منذ القرن السادس عشر بحق حماية المسيحيين الاوربيين في الدولة العثمانية وما لبثت ان اتسعت تدريجيا حتى اصبحت الاتفاقيات تشمل فعليا جميع الكاثوليك وضمنهم موارنة لبنان التابعين للبابوية.

وفي اواخر القرن الثامن عشر طالبت روسيا القيصرية بحقوق مماثلة وأصبحت حامية الارثوذكس في الدولة العثمانية ثم أظهرت النمسا وبعدها ايطاليا اهتمامها بالكاثوليك اللاتين وغيرهم من الفئات الدينية المسيحية كما اهتمت بريطانيا بالمسيحيين عموما وعقدت صداقات حميمة مع الدروز في لبنان وسوريا واليهود في فلسطين.

وتكرست حماية الدول لتلك الاقليات عن طريق افتتاحها لمدارس ومعاهد تعلم وتنشر أفكارها بين تلك الطوائف.

وقطف المجتمع العثماني أولى ثمار تلك الحماية والرعاية والعناية حينما اندلعت نيران الفتنة الطائفية في لبنان والشام اعوام ١٨٤٠م و ١٨٦٠ بل و ١٩٥٨م، ١٩٧٥ وما زالت لبنان «تنعم» بخيرات الحماية والرعاية الأجنبية حتى

اليوم كما ينعم بها العديد من البلدان العربية بشكل أو بآخر.

وقد جعلت تلك الحماية للأقليات مركزها حرجا تجاه الاغلبية الاسلامية فأخذت تنظر اليها بحسرة وحذر وتتعامل معها وكأنها مهينة للتواطؤ والتآمر والخيانة مما أدى الى العديد من التفجيرات الاجتماعية المؤسفة.

والملاحظ ان معظم أفراد الاقليات سارعوا للانفتاح على الغرب وتبني عاداته واستيعاب ثقافته والتبشير بأفكاره واتقان لغاته بل وتمثيل وكالاته ومصالحه في احيان كثيرة.

ولم يكتف الغرب بذلك بل عمد عن طريق ارسالياته التبشيرية الى البحث عن نقاط الضعف والسعي لتعميق الشعارات العنصرية والمذهبية والطائفية لاذكاء الخلافات واثارة المتاعب وإيجاد الدرائع التي تبرره تدخلااته الخارجية في شؤون الدولة الداخلية مما اضطر العثمانيين لسد جميع الثغرات والاطاحة بمراكز القوى وهكذا تم التخلص من الامارات العلوية والتركمانية والكردية كما احكمت السيطرة على الدروز واحبطت الامال باقامة مملكة ارضية او دولة مارونية.

وعندما هيمنت الطورانية على مقاليد الامور في الدولة العثمانية تزعم أفراد من الاقليات الحركات القومية وبرزت اسماء: مكرم عبيد القبطي وفارس الخوري البروتستانتية، وشكيب ارسلان الدرزي، وجورج انطونيوس الارثوذكسي.

ورغم الجحود الذي أصاب الحركات والدعوات المستندة الى فكرة الاقليات في أعقاب الغاء الخلافة العثمانية ووقوع الوطن العربي فريسة للانتداب الفرنسي والانكليزي حيث لم يعد ثمة مبرر لممارسة لعبة الأقليات المثيرة رغبة في استقرار الأوضاع لصالح الدول المحتلة وان كانت اللعبة ضرورية من حين لآخر كسلاح يهدد الوحدة الوطنية، إلا أن قيام «اسرائيل» ككيان عنصري في فلسطين جعل من الضروري احياء فكرة الاقليات على أمل اقامة العديد من الكيانات المصطنعة لتبرير بقاء «اسرائيل» في المنطقة، وقد اخذت «اسرائيل» على عاتقها — بدلا من الدول الغربية — تغذية واثارة المشاكل العنصرية والطائفية والاقليمية وظهرت بمظهر المتعاطف مع كل الأقليات المضطهدة ولكي ندرك المدى البعيد الذي وصلته لعبة الاقليات في البلاد العثمانية عامة وفي لبنان بشكل خاص نذكر المواقف التالية:

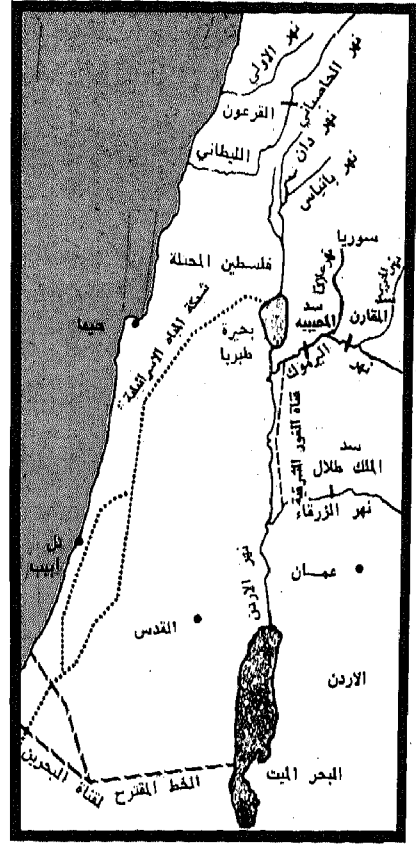
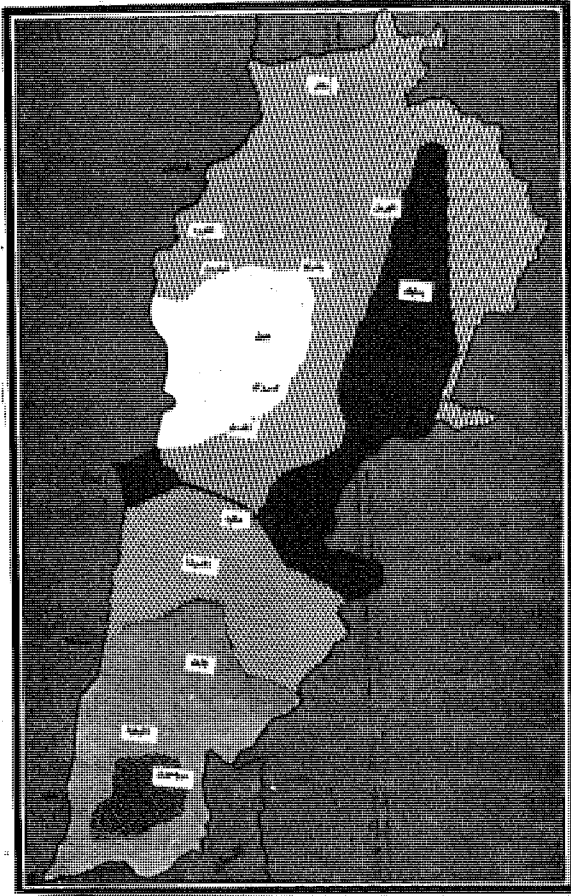
فقد بعث القبط الماروني المعروف في شمال لبنان يوسف بك كرم برسالة الى البطريرك الماروني بولس مسعد (عام ١٨٥٧م) ورد نصها في كتاب «تاريخ لبنان العام» وفيها يشكو من الصراعات الطائفية وتربطها بالمصالح الدولية فيقول:

(لقد اصبحت امورنا في هذه الايام تابعة لانكلترا او فرنسا واذا ضرب احدهم جاره تصبح المسألة انكليزية — فرنسوية وربما قامت انكلترا وفرنسا من اجل فئتان قهوة يهرق على ارض لبنان).

ولم يمض على هذه الرسالة اكثر من ثلاث سنوات حينما اشتعلت الفتنة الطائفية التي إكتوى لبنان بنارها وسقط فيها الالاف من المارونيين والدروز عام ١٨٦٠م (١٢ ألفاً على إحدى الروايات) فقد كانت فرنسا تسليح المارونيين وبريطانيا تسليح الدروز وكلتاهما تتصارعان على النفوذ في لبنان بعد احتضار «الرجل المريض» كما رفع اهالي بلدة كوسب التابعة لقضاء الكورة في لبنان عريضة مهورة بتواقيع عدد كبير منهم عام ١٩٢٠م يطالبون فيها بأن يكون رئيس الحكومة منتخبا في المجلس النيابي لمدة خمس سنين (ومن رجال دولة فرنسا المحبوبة التي طلبنا مساعدتها واشرفها على حكومتنا لثقة الجميع بعادتها ومقدرتها على اجراء الاصلاحات).

وبعث المسيوف. دويارك قنصل فرنسا العام في سوريا رسالة الى وزير الخارجية الفرنسية المسيو جورج بيكو، محفوظة ضمن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ٢٠ أيلول سبتمبر ١٩٠٨م جاء فيها: (ان مجمل الموارنة الذين يشكلون بدورهم الاكثريّة يأملون في التمسك بها وبالعقود الدولية التي تختص بلبنان وهناك قلق عام من خسارة امتيازاتهم والاغلبية الساحقة ترفض اشتراك اللبنانيين في الانتخابات الشرعية).

ورفع بعض المسيحيين اللبنانيين رسالة مؤرخة في ١٢ آذار مارس ١٩١٣ باسم «جمعية بيروت الاصلاحية» الى



القنصل الفرنسي المسيو فرنسوا كوجيه ارسلها بدوره الى وزارة الخارجية الفرنسية وتتضمن الاعراب عن القلق والخوف الذي يعاني منه المسيحيون حيال مستقبلهم ويطلبون من فرنسا التي يكون لها كل اجدال وتقدير حماية مراقبة مصالح المسيحيين وكيانهم في لبنان وذيلت الرسالة بستة توابع للسادة :

رزق الله أرقش (كاثوليكي) جوزيف الهاني (ماروني) بتروتراد (ارثوذكس) نخلة التويني (ارثوذكس) الدكتور ايوب ثابت (بروتستانت) وخلييل زينية (كاثوليكي).

والرسالة نشرت في كتاب باللغة الفرنسية للدكتورة لين لوهياك عن داود عمون وتأسيس دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠م والمؤلفة حفيدة لداود عمون هي ابنته بلانش التي تزوجت فرنسا بعد حصولها على ليسانس الحقوق من باريس (١)

ومشكلة الاقليات لم يكن لها وجود اصلا في ظل نظام «المللة العثمانية» الذي يستمد أحكامه من حقوق أهل الذمة الاسلامي ولكن دول اوروبا بارسالياتها ومستشرقوها اشعلت هذه الفتنة بل ان بعضها ساهم في زيادة هذه الاقليات وتعقيد مشكلاتها كما فعلت روسيا القيصرية في سبتمبر ١٨٦٣م حين استولت القوات الروسية بقيادة الامير

(١) يكشف السفير الفرنسي السابق في لبنان السيد بول مارك هنري في كتابه «بساتنة الجحيم» الصادر عن «منشورات أوربان» بباريس ١٩٨٤م، حول خفايا الازمة اللبنانية التي عايشها وخبرها عن كتب، خطة هنري كيسنجر لحل أزمة الشرق الأوسط فيؤكد إنها: (تعتمد على إعادة رسم الحدود وإقامة عدة دويلات مستقلة ذات طابع إثني — طائفي — أقلوي، على حدود «إسرائيل»)، ويقول: (إن هذه الخطة يترشح لها معظم قادة الصهاينة بمن فيهم أرييل شارون ومناحيم بيغن، وموجها بفترض بالفلسطينيين أن يستقروا نهائياً في لبنان الجنوبي — تحت الرقابة «الإسرائيلية» من جهة والرقابة اللبنانية من جهة أخرى — محصورين بين «إسرائيل» ولبنان صغير بسيطرة مارونية، متحالفة مع دولة درزية صغيرة، أما الحكم العلوي في سورية وشمال لبنان فستكون له دولته المستقلة في إطار «فدرالية» هي سورية بحدودها التاريخية، وأما الجولان فسيكون ثمن الصلقة).

سوماركوف على بلاد الشركس (الداغستان) في القوقاز لعدم وصول اية مساعدات خاصة فاضطر العثمانيون لدعوة الشركس للهجرة الى ديار اخوانهم فتجمعوا على السواحل وانتشروا بينهم الجدري فمات كثير منهم بالوباء كما انتشر القحط وهاجرتون الفا منهم وقدمت لهم الدولة العثمانية المساعدة ثم اندرهم نائب القيصر عام ١٨٦٤م فهاجر منهم ٣٨٠ ألفاً التحق المحاربون الاشداء بالجيش العثماني وبقوا الى رتب عالية منها قيادة الجيش والولاية والوزارة والصدارة العظمى فأخلصوا للسلطان اخلاصهم لوطنهم القوقاز بعد أن أصبحوا مواطنين في الدولة الاسلامية ولكن الدول الغربية عملت على تحريك النعرة القومية فيما بعد وجعلت من الشركس عدة أقليات داخل البلاد الاسلامية.

وقال قال كليمنصو رئيس وزراء فرنسا في مذكراته :

« كان أصدقاؤنا الانكليز أسبق منا في التنبيه إلى موضوع الاقليات المذهبية والعرقية في بلاد المشرق العربي وقد اتفقت وجهتنا نظرنا كلياً حول هذا الموضوع .

كما قال ناحوم جولد مان رئيس الرابطة اليهودية العالمية في خطابه بباريس بمؤتمر اليهود المثقفين عام ١٩٦٨ :

« اذا اردنا لاسرائيل البقاء والاستقرار في الشرق الاوسط علينا ان نفسخ الشعوب المحيطة بها الى اقليات متناثرة تلعب اسرائيل من خلالها دوراً طليعياً وذلك بتشجيع قيام دولة علوية في سوريا، ودولة مارونية في لبنان، ودولة كردية في شمال العراق » .

ويبدو أن لعبة الاقليات لم ينته دورها باسقاط عبد الحميد الثاني ولا بالغاء الخلافة العثمانية، وتغريق الوطن العربي إلى أكثر من ٢٥ دولة بل حتى ولا باقامة كيان « اسرائيل »، فما زالت اللعبة في أولها ومن يعيش يز. (١)

وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم لقضية « الأقليات » وخطورة الدور الذي يمكن أن تقوم به في أي ظرف من الظروف ضد الدولة الاسلامية، على ضوء التجربة العملية التي عايشها بنفسه حينما حالف اليهود في المدينة المنورة، إحتراماً لحلفهم السابق مع بعض قبائل الأنصار، إلا أن اليهود لم يرعوا عهدهم ولم يفوا بوعودهم ومواريهم، بل حاولوا مراراً الغدر بالنبي الكريم وبكبار الصحابة رضوان الله عليهم، مما اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى اتخاذ القرار تلو القرار بإبعاد بني قينقاع ثم بني النضير وبعدهما بني قريظة، حيث أجلاهم عن المدينة المنورة وأبعدهم عن جزيرة العرب (حوض الدعوة الاسلامية)، حيث لاحقهم علي كرم الله وجهه إلى خيبر وتبوك وتيماء وفدك ووادي القرى .

(١) كشف الصحافي البريطاني المعروف ديفيد هيرست، في كتابه «البندقية وغصن الزيتون» الذي نشرته مسلسلاً، جريدة «الانباء» الكويتية خلال شهر مارس ١٩٨٤م، عن بدء تنفيذ المخطط الصهيوني - الاستعماري القديم، المهدف الى تحويل سوريا والعراق ولبنان إلى دويلات طائفية وعرقية، لتبرير وجود الكيان الصهيوني العنصري في فلسطين نقلاً عن صحيفة «كيفونيم» اليهودية الصهيونية - القدس (فبراير ١٩٨٢م) ما يلي بالحرف الواحد:

(أما على الجبهة الشرقية فشمة كل الاحتمالات والأحداث التي تمسح رغبتنا على الجبهة الغربية والتي تحدثت عياناً أمامنا اليوم، إن انحلال لبنان وتجزئته الى خمس مناطق ذات حكومات محلية هو السابقة النموذجية لكافة العالم العربي !.

ثم يأتي دور تفكيك وتجزئة سوريا، وبعدها العراق، إلى أقاليم ذات أقليات عرقية ودينية بما يتسق مع المثال اللبناني .

هذا هو الهدف الرئيسي لـ «اسرائيل» في المدى الطويل على الجبهة الشرقية. ان عملية إضعاف هذه الدول عسكرياً، القائمة حالياً، تمثل هدفاً قصير المدى، وسوف تنقسم سوريا إلى عدة دويلات على أساس خطوط بينها العرقية والطائفية .

ونتيجة لذلك لسوف تقوم دولة علوية، كما سيكون إقليم حلب دولة سنية، وبينهما دولة أخرى معادية للدولة الشمالية، أما الدروز - من فيهم دروز الجولان - وهي المحاولة الحالية، فيجب أن ينشئوا دولة لهم في حوران وشمال الأردن !

ثم إن العراق الغني بالنفط، هو بالتأكيد المرشح لما يأتلف مع أهداف «اسرائيل» ففيه كل أنواع المواجهات الداخلية العربية، مما يساعدنا على البقاء والصمود في المدى القريب، وأن نسرع بإنجاز الهدف البعيد المطلق، وبالتحديد تقسيم العراق الى عناصر متفرقة، كما يحصل لسوريا ولبنان، وسوف تقوم ثلاث دول أو أكثر، حول المدن العراقية الكبرى : البصرة، وبغداد، والموصل، وبحيث تنقسم وتفصل المناطق الشيعية في الجنوب، عن المناطق السنية في الشمال - ومعظم سكانها من الأكراد السنيين - ثم إن شبه الجزيرة العربية كلها مرشح طبيعي للتجزئة !!!) .

ولعل الأحداث الأخيرة في لبنان ولا سيما عقب انتهاء اجتماعات الأطراف اللبنانية في لوزان ١٩٨٤م تؤكد أن المخطط الصهيوني - الاستعماري في طريقه للتنفيذ السريع، على أيدي العملاء الذين لم تعد تستر عورتهم ادعاءات التقدمية والتحررية وغيرها من الشعارات الفارغة التي تخفي وراءها روحاً طائفية حقودة وروحاً تعصبية نتنة !.

وقد حافظ الخلفاء الراشدون على هذه السياسة ، والتزم بها جميع الخلفاء من بعدهم حيث ما زال ممنوعاً على غير المسلمين السكن في الديار المقدسة .

إلا أن هذه السياسة الحكيمة التي رسمها الرسول الكريم بما يتناسب والحدود التي بلغتها الدولة في عصره لم تتطور بما يضمن سلامة الأمن الداخلي للدولة الإسلامية التي إتسعت حدودها بالفتوحات ، وقد دلت أحداث التاريخ عبر العديد من العصور المتتالية إن « الأقليات غير الإسلامية » كانت على الدوام تقوم بدور « حصان طروادة » داخل أسوار الدولة الإسلامية ولطالما لجأ إليها واعتمد عليها خصوم المسلمين في غمرة اشتداد الحروب أو في فترات الضعف ، كما لعب هؤلاء أدواراً خطيرة في إشعال الفتن الطائفية وإثارة الفلال ، مما كان يستوجب اتخاذ قرارات حاسمة من قبل حكام المسلمين لحسم قضية تلك الأقليات ، على النحو الذي رسمه الرسول الكريم في حينه .

وإذا كانت سماحة الاسلام وتساهل المسلمين في التعامل مع هؤلاء لم تنفع في كسبهم ، رغم إتاحة الفرصة لهم بحيث تسلم بعضهم المناصب الوزارية والمسؤوليات القيادية ، كما فتح المسلمون أبوابهم وصدورهم لاستقبال ضحايا الاضطهاد الديني في أوروبا نفسها ، كما حصل مع يهود الأندلس ، ضحايا محاكم التفتيش ، وكانت النتيجة إنهاء الخلافة الإسلامية نفسها على يد طائفة « الدوغمة » التي تنتمي ليهود الأندلس !

إذا كانت السماحة لم تنفع أفلا تدعونا التجارب المريعة إلى رسم استراتيجية جديدة تجاه الأقليات تستلهم سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود يثرب ، بحيث يراعى عدم السماح للأقليات في التمرکز في بقعة واحدة ، ولا سيما في العواصم والشغور التي يسهل إتصالهم المباشر منها بجهات أجنبية ، والتشدد في إبعادهم عن المناصب الحساسة والوظائف التي يمكن أن يشكلوا من خلالها مراكز قوى يمكن أن ترزعزع الأمن الداخلي للدولة في أي ظرف من الظروف ، فضلاً عن الالتزام بالسياسة الإسلامية التي تمنع زيادة عدد المراكز الدينية غير المساجد .

برقية

الصدر الأعظم سعيد إلى مدحت باشا حول فتنة لبنان ٢١٨٦

يحضرني سفير انكلترا تارة وطورا يتوجه الى نظارة الخارجية بسبب ما اتخذوه من الاحتياطات لتأديب الدروز . ان فرنسا تعاون الموارنة وانكلترا تساعد الدروز فالانكليز لا يسرون بما تتخذه من التدابير لتأديبهم وقد وصلت حالة الموارنة الى ما لا تحمد عقباه بسبب غدرهم ولذا فان قنصل فرنسا يسأل عن حركات العساكر وسكناتهم وحركات الدروز توجب الجزاء واذا لم يجازوا وترك حبلهم على غاربهم أنتج تركهم احتقار الحكومة بيد أن تماديه في العصيان يرجع الى وقت بعيد ولم يحن وقت تأديبهم وقد اضطرت الحكومة في هذه الايام الى استعمال القوة لارهابهم ولو كانت القوة كافية فان غرضنا الوحيد هو تحييب ادارة الدولة والموارنة واستعمال القوة لا يوصل الى تلك النتيجة وانتم لا تجهلون هذه الحقيقة ونحن نرى أن ترك المسألة الى زمانها الموافق أليق ونجدد الاصلاح بين المتخاصمين .

وقد قلتم في محركاتكم ان اهالي حوران قد قبلوا اعطاء مبلغ معلوم ومالوا الى الصلح والحكومة ترى من واجباتها الاصلاح بين المتخاصمين ولا تتأخر عن دفع الدية من خزينتها منعا للقال والقليل وتخلصا من اصرار بعض الدول .

والخلاصة فقد أمرنا السرعسكر بارسال ما يلزم من القوة اللازمة اتباعا لامركم بيد أننا ننتظر بكل سرعة حسم المسألة بالسلم وذلك أن ترسلوا عددا من المسموعي الكلمة عند المتحاربين وتتوجهوا انتم اذا اقتضت الحالة لاتمام المسألة بلا حرب ولا اراقة دم ونحن في الانتظار .

الباش وكيل
سعيد

١٣ تشرين اول سنة ٩٥

كتاب ..

ريتشارد للسلطان صلاح الدين الأيوبي .

من ريكاردوس قلب الاسد ملك الانجليز، الى صلاح الدين الايوبي ملك العرب .
أيها المولى: حامل خطابي هذا، بطل باسل صنيدي، لاقى أبطالكم في ميادين الوغى، وأبلى في القتال البلاء الحسن. وقد وقعت اخته أسيرة، فساقها رجالكم الى قصركم وغيروا اسمها. فقد كانت تدعى ماري فأطلق عليها اسم ثريا.
وان لملك الانجليز رجاء يتقدم به الى ملك العرب، وهو اما أن تعيدوا الى الاخ اخته، واما أن تحتفظوا به أسيرا معها، لا تفرقوا بينهما، ولا تحكموا على عصفور بأن يعيش بعيدا عن أليفه.
وفيما أنا بانتظار قراركم بهذا الشأن، أذكركم بقول الخليفة عمر بن الخطاب، وقد سمعته من صديقي الامير حارث اللبناي، وهو «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

جواب ..

صلاح الدين الأيوبي على رسالة ريتشارد (ريكاردوس)

من ملك العرب صلاح الدين، الى ريكاردوس ملك الانكليز
أيها المولى: صافحت البطل الباسل الذي أوفدته رسولا الي، فليحمل اليكم المصافحة ممن عرف قدركم في ميادين الكفاح.
واني لأحب أن تعلموا، بأنني لن أحفظ بالاخ أسيرا مع اخته، لاننا لا نبقي في بيوتنا، الا أسلاب المارك. لقد أعدنا للاخ اخته. واذا ماعمل صلاح الدين بقول عمر بن الخطاب، فلكي يعمل ريكاردوس بقول عيسى: «اعطوا مالقيصر لقيصر، ومالله لله». فرد أيها المولى الارض التي اغتصبتها الى أصحابها، عملا بوصية السيد المسيح عليه السلام.

(١) من «تاريخ سورية في العصور الحديثة» الجزء الأول ١٩٦٢م للدكتور نادر العطار.

الأقليات في المجتمع العثماني

لكي ندرك خطورة هذا الاتجاه الاستعماري يكفي أن ننظر الى تركيبة المجتمع العثماني فمن نفس الزاوية الغربية التي نراه يتألف من عدد كبير من الأقليات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- * الأكثرية السنية التركية (الطورانية) الناطقة
- * الأكثرية العربية الناطقة بالعربية.
- * الأقليات الاسلامية السنية — غير العربية والتركية
- * (الاكرد) (القوقازيون) (الشركس والشوشان) (البربر) (الداغستان)
- * الأقليات العربية الاسلامية غير السنية :

- الشيعة
- الاسماعيليون
- النصيريون (العلويون)
- الدروز

-
- * المسيحيون :
 - روم ارثوذكس
 - روم كاثوليك
 - سريان ارثوذكس (يعاقبة)
 - اقباط الارثوذكس
 - النساطرة (الاشوريون)
 - الموارنة
 - الروم الكاثوليك
 - اقباط الكاثوليك
 - الكلدان الكاثوليك
 - البروتستانت : الانجليكان
 - الكاثوليك اللاتين

-
- * اليهود والطوائف الموسوية :

- الربانيون
- السبتيون
- شهود يهوه
- الدوغة
- السامريون

* أديان اخرى :

- | | |
|------------|-------------|
| — يزيديون | — بهائيون |
| — مندائيون | — قاديانيون |
| — شباك | — بهرة |
-

* الأقليات غير السنة غير الناطقة بالعربية :

* الناطقة باللغة الفارسية :

- شيعة .
 - بهائيون
 - يهود
-

* الناطقة باللغة الكردية :

- | | |
|-----------|-----------------|
| — يزيديون | — سريان ارثوذكس |
| — شباك | — سريان كاثوليك |
| — شيعة | — يهود |
-

* الناطقة باللغة السريانية :

- | | |
|------------------------|------------------------------|
| — النساطرة (الاشوريون) | — السريان الارثوذكس (يعاقبة) |
| — الكلدان الكاثوليك | — السريان الكاثوليك . |
-

* الناطقة باللغة الارمنية :

- | | |
|----------------------------------|----------------------|
| — الارمن الارثوذكس (الغريغوريون) | — الارمن البروتستانت |
|----------------------------------|----------------------|
-

* الناطقة باللغة العبرية :

- اليهود

الفصل الثالث

الطوارنية وترعة التريخ في الأدب والسياسة والفكر

الآداب مرآة صادقة تنعكس عليها أوضاع الأمة — أية أمة — وحين نتصدى لدراسة عصر عبد الحميد والجامعة الإسلامية لابد من الاطلاع على الأدبين العربي والتركي.

وقد جمع الأدب التركي خير ما في الأدبين الفارسي والعربي فقد تعددت اللهجات التركية إلى جفتائية وأذرية وعثمانية وكان للتصوف أثره الواضح في هذا الأدب الذي تأثر في أولى مراحلها بالاسلام ثم تأثر بالأدب الفرنسي خاصة والاوربي بوجه عام، قبل أن يصل إلى مرحلته القومية الحديثة. وقد بلغ الأدب العثماني أروع مراحلها في عهد سليمان القانوني الذي خلف ديواناً باسمه المستعار (محيي) كما اشتهر شعراء الموسيقى في الطرق الصوفية والعسكرية من مولوية، وبكتاشية، وقزلباش، وانكشارية، ثم لمع فيه بعد ركود ضياء باشا وعبدالحق حامد ونامق كمال الدين حاولوا التوفيق بين الاسلام والتغريب قبل أن تأتي جامعة «ثورة الفنون» التي نقت على الثقافتين العربية والفارسية باعتبارها أدبا لانتماج الأدب التركي في الحضارة الإسلامية مما دفع محمد عاكف (شاعر الاسلام) لرد الادب التركي إلى الفكرة الإسلامية قبل أن يظهر ضياء كوك البا وعمر سيف الدين وخالدة أديب وناظم حكمت الذين أنعشوا الفكرة القومية بعد أن ألغى مصطفى كمال الحروف العربية وأحل الحروف اللاتينية منذ عام ١٩٢٨ في اطار مسيرة التغريب الشاملة محققا بذلك أقصى ما طمحت إليه مساعي التبشير والاستشراق ونخوص الجامعة الإسلامية.

وذكر الدكتور حسين مجيب المصري عالم التركيات المعروف في مؤلفته «تاريخ الأدب التركي» أن عددا من سلاطين آل عثمان أولعوا بالأدب والشعر وقرض بعضهم الشعر أمثال: محمد الفاتح ومراد الثاني ومحمد الثاني وابنه الأمير جم وبايزيد بن محمد الفاتح والسلطان سليم الأول ومعظمهم رغم كونهم من الفاتحين المجاهدين الصناديد كان يقرض الشعر الرقيق بالتركية أو الفارسية أو العربية. (١)

وكما ذكرنا فقد بدأ الأدب التركي عامة تعليميا صوفيا ثم زاهدا متجردا وفي عصر الانحطاط جنح للدنيا ولذاتها كما خلي في عصر الفتوحات من رائحة البارود والحث على الجهاد ولكننا نجد أدب المقاومة والكفاح عندما بدأت الدولة العثمانية تتخلى عن فتوحاتها وتركن إلى الدفاع بدلا من الهجوم بعد أن وصلت المسألة الشرقية الى طور الضعف.

وكان ابراهيم شناسي «أول أديب تركي يعتنق الماسونية ويتأثر بمبادئ الثورة الفرنسية حيث نظم الشعر في امتداح رشيد باشا الماسوني الذي أعد جيل قادة الاتحاد والترقي فيما بعد.

وفي عهد السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٠م بدأت تركيا الفتاة ورجاها الماسونيين بانتاج الأدب المقاوم للسلطنة العثمانية وكان من أعلامها: ضياء كوك الب باشا الذي أجاد الفرنسية والفارسية والعربية والتركية وعمل أمينا عاما للقصر السلطاني قبل هروبه إلى أوروبا واصداره (مخبر) و (حرية) ثم شارك في وضع القانون الأساسي أيام عبد الحميد

(١) محمد حرب عبد الحميد من دراسته بعنوان (مقدمات أدب المقاومة الإسلامية في تركيا المعاصرة) نشرت بمجلة البلاغ الكويتية عام ١٩٧٩..

وقد تأثر بعالم الاجتماع اليهودي «دوركهايم» وكان رغم أنه كردي يتحدث عن (طوران) ويدعو للطورانية. (١)
وقد ذكر السلطان عبد الحميد (٢) أنه كان يمد بالمساعدات المادية ويغض الطرف عن ارسال المساعدات إليه من داخل الدولة العثمانية لأنه كان يشجع المعارضة الشريفة ولا يرغب في دفع المعارضين للارتقاء في أحضان الغرب بدافع الحاجة المادية وقد توفي ضياء باشا عام ١٨٨٥ تاركاً أعمالاً أدبية هامة مثل «ظفر نامه» و«تركيب بند» فضلاً عن ترجمته لامليل زولا بلغ رتبة الوزارة في عهد عبد الحميد.

ثم يذكر نماذج من هؤلاء الذين اطلقوا على أنفسهم اسم «تركيا الفتاة» وكانوا يصدرون الصحف التي تأتي خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبي وتوزع بواسطة الاجانب ومضت أعوام لم تحدث آثاراً جدية هامة لأنها لم تكن أعمالاً تنبع من أفكار جدية.

ويؤكد عبد الحميد أنه رأى خطاباً تسلمه أحمد جلال الدين باشا من علي كمال بك في مصر وهو غالباً ضمن محفوظات قصر يلدز وفيه أسماء ومصادر التمويل اسماً اسماً. كما يذكر أن الدكتور عبدالله جودت والدكتور اسحق شكوت والدكتور بهاء الدين شاكرو والدكتور ناظم والدكتور ابراهيم تيمو ينتسبون إلى المحافل الفرنسية والاطالية حتى أن هذه المحافل ايضاً تسلم عائلاً تهم الموجودة داخل البلاد والنقود يدا بيد.

وفي عهد الاتحاديين الذين أسقطوا عبد الحميد حل لواء الأدب الاسلامي سعيد النورسي مع محمد عاكف وأحمد نعيم وقد أسس سعيد النورسي الذي لقب ببديع الزمان «حركة اخوان النور» واستقطب من حوله ملايين المسلمين، حيث نشر مقالاته في جريدة «فولكان» (البركان) وانضم الى حزب الاتحاد المحمدي ثم حاكمه الاتحاديون بعد إسقاط عبد الحميد وشارك فيما بعد في حرب الاستقلال ثم في ثورة الشيخ سعيد النورسي الكردي شيخ الطريقة النقشبندية في ديار بكر عام ١٩٢٥ التي قامت للمطالبة بعودة الخلافة الاسلامية.

وقد حوكم سعيد النورسي لكتابته الرسائل «طلاب النور» التي يحارب بها إلحاد اتاتورك ويدعو للعودة للنظام الخلافة ولقي صنوف الاضطهاد والتعذيب لموقفه من القومية التركية المعادية للإسلام إلا أن أثره الفكري ظهر من خلال جماعة «اخوان النور» التي جمعت رسائله (١٣٠٠ رسالة) في خمس مجلدات بالإضافة إلى ١٣ مؤلفاً آخر، والواقع أنه ما أن انقضت بضعة أسابيع على اعلان الثورة النقشبندية ١٩٢٥م في ديار بكر حتى إمتد لهيبها إلى جميع المناطق الشرقية واندفع الثوار بجحافلهم الضاربة باتجاه انقرة فأجتاحوا في شهر بارة: «خربوط»، و«ماراش» و«تفليس» و«العززية» حتى وصلوا إلى «ديار بكر» نفسها.

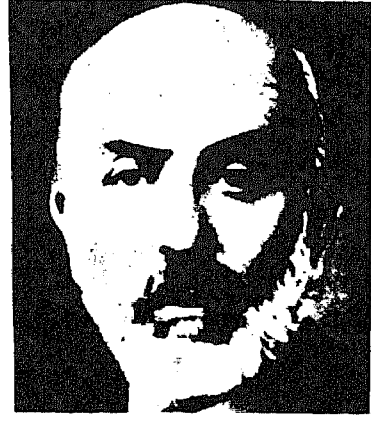
ومما زاد في خطورة هذه الثورة أن قائدها «الشيخ سعيد النورسي» كان على قدر كبير من الحنكة والدهاء فقد استعطف الأتراك أنفسهم وأثار مشاعر مختلف الشعوب الاسلامية حينما اتخذ لثورته راية خضراء على إعتبار أن راية النبي خضراء، كما رفع شعاراً يحظى باحترام الكثيرين (لتحيا الخلافة.. ولتسقط الجمهورية).

ولم يكن أمام مصطفى كمال إلا البطش به فجرد حلقة كبيرة في آذار (مارس) ١٩٢٥ وحاصر المناطق الثائرة وأعمل القتل في رقاب أهلها كما أحرق القرى والمدن وشنق الشيخ سعيد (٣) قائد الثورة مع ٤٥ من كبار رجالاتها

(١) من أشهر منظري «الطورانية» مؤنيز كوهين الذي اتخذ اسماً مستعاراً هو «تكن ألب» على عادة «الدوغة» في اتخاذ أسماء اسلامية لإخفاء يهوديتهم، وقد ركز مؤنيز كوهين في كتاباته على: اليقظة القومية التركية وعن أتراك أذربيجان والقوقاز. كما اشتهر من الكتاب «الطورانيين» الشاعر محمد أمين وهو من تلامذة الأفغاني، والفصصي عمر سيف الدين، والكاتب الملحد الدكتور عبدالله جودت.

(٢) يقول عبد الحميد في مذكراته أن الطلبة الذين عادوا من أوروبا قد تزعموا الانحراف الذي بدأ بهم وأنه كان يمنعهم من نشر الافكار الهدامة والمبادئ المستوردة وكان كالبستاني الذي يجمي أزهاره من الحشرات الضارة.

(٣) سعيد النورسي (الثاني)



محمد عاكف: شاعر الاسلام وخُصم الطورانية توفيق فكرت: الشاعر الطوراني الملحد ضياء باشا كوك ألب: كردي تزعم الدعوة للطورانية!

كما تولت «محاكم التطهير» إعدام كل من ثبت اشتراكه فيها وأُعقب ذلك ترحيل قبائل الاكراد عن مناطقهم وتشيتهم في مختلف انحاء الاناضول منعاً لأي تحرك آخر، إلا أن بديع الزمان سعيد النورسي، الأديب الاسلامي، استمر يقاوم الكمالية ويدعو لعودة الخلافة الاسلامية وتعرض للمحاكمة والحكم باعدامه مرتين، ولكنه مات عن ٨٦ سنة عام ١٩٦٨ م.

وكان الأكراد قد شهدوا في عصر عبدالحميد ثورة الشيخ عبيدالله النهري التي استهدفت استقلال الأكراد (١٨٨١م) وعرفت بثورة شمرينان وأحرز بعض الانتصارات في ايران إلا أن الضغط البريطاني الروسي والتعاون التركي - الفارسي قضيا على الثورة الكردية - بينما ظهرت جمعيات وصحافة كردية حيث تأسست في القاهرة ١٨٩٨م صحيفة «لسان حال ثنائي كردو - ترك» التي نقلت إلى جنيف ثم عادت للاستانة وظهرت في القاهرة ثانية خلال الحرب ١٩١٤م وتكونت عام ١٩٠٨م - «جمعية الدستور العثماني» بمدينة استانبول ثم أسس الطلبة الأكراد ٩١٠ جمعية «هيفي» (الأمل) بعد عام من إغلاق الاتحاديين لجمعية «نشر المعارف الكردية».

وذكر نهبو أن الأكراد قاموا بحركة ثورية ضد الاتحاديين ١٩٠٨م وطالب ممثلوا الأكراد في مؤتمر الصلح بفرساي باستقلالهم ولكن الاتفاقية السرية بين روسيا وبريطانيا وفرنسا - التي فضحها البلاشفة كانت تقضي بتقسيم كردستان بين الدول الثلاث وقد نجح وفد الاكراد للمؤتمر برئاسة الجنرال شريف باشا في توضيح مطالب الأكراد فأدخل عدة مواد في معاهدة سيفر نصت على إعطائهم الحكم الذاتي وإمكانية التحول للاستقلال التام.

وقد مارست بريطانيا سياسة تهدئة أولا ثم حرصتهم ضد الخلافة ودفعهم الكماليون للمقاومة ثم عملوا على تتركيب كردستان فكانت ثورة سعيد النورسي التي سبق ذكرها.

ولا ريب في أن النزعة الطورانية ومحاولات التتركيب فضلا عن إلغاء الخلافة الاسلامية من أسباب ثورة الأكراد ضد تركيا التي اتخذت طابعا إسلاميا من خلال الحركة النقشبندية الصوفية ولعل حل المشكلة الكردية الآن يكمن في العودة إلى العقيدة الاسلامية.

(١) نظم في معهد العلوم السياسية التابع لجامعة فيينا في النمسا خلال ابريل ١٩٨٤م «الاسبوع الكردي» برعاية وزير العدل النمساوي السابق بهدف التعريف بمشكلة الأكراد في العالم، وقد تخللته ندوات حول الموقع «الجيوستاسي» لـ «كردستان»، وأفلام وثائقية تتحدث عن «الشعب الكردي»، وقال منظمو الاسبوع: ان عدد الاكراد في العالم يتراوح بين ٢٠ الى ٢٥ مليون نسمة وهم موزعون في عدة دول مع وجود أقليات رئيسية في ايران وتركيا والعراق وسورية ولبنان.

وكانت «المشكلة الكردية» قد انفجرت مراراً في كل من تركيا وإيران والعراق، وقد توصل العراق الى حلها منذ سنوات قريبة باقامة نظام للحكم الذاتي في اطار الجمهورية العراقية، بعد ان استغل الاستعمار هذه المشكلة مرات عديدة في أكثر من مناسبة، كما كشفت مصادر العدو «الاسرائيلي» عن اسهام «اسرائيل» بتزويد الملا مصطفى البرازاني بالأسلحة إبان اشتعال الثورة، تنفيذاً لاستراتيجية «إثارة الأقليات» وتشجيع قيام «الدويلات» لتبرير وجود الكيان «الاسرائيلي» العنصري في المنطقة.

أما محمد عاكف النزي أعتبر شاعر الاسلام في الدولة العثمانية فقد وقف ينادي بوحدة المسلمين محذراً من التيارات القومية الهدامة كالطورانية وغيرها متصدياً للشاعر الملحد «توفيق فكرت» (١) وللكتاب الطوراني «ضيا كوك الب» (٢) وكان يؤكد أن الدعوة للقوميات فتنة انكليزية استهدفت فتح ثغرات في جدران القلعة الاسلامية الصامدة ومما يسجل له أنه كان قد بدأ بتفسير معاني القرآن الكريم كتبه الشيخ محمد عبده إلى اللغة التركية وأمضى عامين في ذلك ولكنه حينما علم برغبة مصطفى كمال بالغاء الآذان وتلاوة القرآن بالعربية وجعل الصلاة بالتركية توقف عن عمله وأنهى عقده مع رئاسة الشؤون الدينية وحال دون وصول ما ترجمه إلى مصطفى كمال لئلا يستغله في مخططة لتتريك كل شيء.

وقد إمتد تأثيره الأدبي إلى ما بعد الغاء الخلافة وهو رئيس تحرير (صراط مستقيم) و (سبيل الرشاد) اللتين كانتا معبراً عن أفكار الجماعة الاسلامية ومنبراً للدعوة لوحدة الشعوب الاسلامية وهو مؤلف النشيد التركي وقد تأثر بالاغاني ومحمد عبده وتصدى لدعاة الطورانية.

كما تصدى أحمد نعيم الكاتب والصحفي المعروف للفكر القومي الطوراني مؤكداً حرص الاسلام على اذابة الرابطة القومية في الجامعة الاسلامية وداعياً لمحبه العرب وقريش بالذات قائلاً:

إذا ذل العرب ذل الاسلام

أما توفيق فكرت فقد ظهر كشاعر ملحد ورائد لجماعة (ثروت فنون) التي تعرف عليها عام ١٨٩٦م وجمع ديوانه عام ١٩٠٠ بعنوان (رباب شكسته) أي الربابة المكسورة، ودعا لتتريك اللغة التركية والبعد عن تأثير اللغة العربية والفارسية. وقد نظم قصيدة مجداً للتأمر لاغتيال عبدالحميد رغم احتضانه له في مطلع حياته الادبية إلا أن دراسته في أوروبا وأميركا جنت عليه حتى لقد أصبح فيما بعد من كبار رجال الدين المسيحي في أميركا.

(١) محمد توفيق فكرت (١٨٦٧ - ١٩١٥م) شاعر كبير ومجدد في الأدب التركي ومن رواد هذا الأدب، وجد العون من السلطان عبد الحميد في أوائل حياته الشعرية، عرف بالنظرة المتشائمة في كثير من أشعاره، كما عرف عنه الإلحاد، كتب في ابنه أشعاراً كثيرة، وابنه هذا تلقى تعليمًا عاليًا في أوروبا وأميركا، وتنصر وأصبح من كبار رجال الدين المسيحي في أميركا!

(٢) ضياء باشا كوك الب: (أبو القومية التركية)، ومفكر من أصل كردي، ولد في ديار بكر عام ١٨٧٦م، وقد عمل في حقل التعليم في بداية شبابه فتأثر بمدير معهد اليهودي ذي الميول المتطرفة، كما تأثر ببعض الأشخاص الملحدين وأحد الأساتذة اليونان، سافر إلى استانبول عام ١٣١٥هـ ثم انتسب إلى كلية الطب البيطري وكان عمله بالسياسة أكثر من التعلم لذا انتخب عضواً في جمعية «الاتحاد والترقي» وهو أحد منظري منظمة «الشبيبة العثمانية» السرية التي قامت على غط الجمعيات الايطالية السرية (الكاربوناري)، وقد تشكلت في استانبول عام ١٨٩٥م وكان من أهدافها السعي للوصول بالبلاد العثمانية إلى نمط من أشكال الحكم الاوربية والعلمانية، ازداد عدد افرادها بعد عام ١٨٩٧م من ستة أعضاء إلى ٢٤٥ عضواً. من بينهم الشاعر الشهير ناهق كمال، حازت على الدعم المادي من قبل الامير المصري مصطفى فاضل واسترعت انتباه بعض الأمراء العثمانيين، وبعد فرض الحظر على نشاطاتها التخريبية من قبل الوزير العثماني عالي باشا أرسلت دعائمها في باريس حيث بدأ الاحتكاك المباشر بين أفرادها والمجتمع الغربي، وفي كثير من الأحيان كانت تهرب جريدتها «الحرية» الداعية إلى حكم دستوري إلى داخل البلاد التركية، وحينما عاد بعض قادتها البارزين أمثال: مصطفى فاضل وناهق كمال إلى العاصمة ضعف نشاطها وفقدت حيويتها خاصة بعد اعلان العفو العام إثر وفاة عالي باشا ورجوع المبعدين من اعضائها إلى البلاد العثمانية، ولم يبق إلا بعض الاعمال الفردية لبعض الشخصيات أمثال ناهق كمال وضياء باشا.

عمل وهو في السابعة عشرة من عمره موظفاً في أمانة الصدارة العظمى كما نظم الشعر بلغته التركية وباللغة الفارسية أيضاً ونهج في نظم أشعاره - في بدء حياته الاوربية - على المنهج السلفي، وفي عام ١٨٥٥م عينه رشيد باشا «داعية الغرب وصاحب مرسوم التنظيمات في الدولة العثمانية» في الامانة العامة للقصر السلطاني، ثم درس الادب الغربي وخاصة الفرنسي منه فتم تعيينه كاتباً (أميناً) في القصر السلطاني لمدة سبع سنوات ونصف سنة أبعد بعدها نتيجة خلاف بينه وبين عالي باشا - أحد الصدور العظام - ثم عين متصرفاً على قبرص وتقلب في عدة مناصب مثل عضوية المجلس العالي ومتصرفاً على أماسيا، كما كان عضواً بارزاً في جمعية تركيا الفتاة (العثمانيون الجدد) وقد هرب إلى أوروبا عام ١٨٦٩م بناء على دعوة من الأمير المصري مصطفى فاضل باشا وأصدر في لندن جريدة (محرر) و(حرية) له أعمال أدبية هامة مثل «ظفر نامة» و«تركيب بند» وترجمة «أميل» باللغة التركية، عاد إلى استانبول بعد وفاة عالي باشا ويقال أنه اشترك في صياغة مشروع «القانون الأساسي» عند اعتلاء عبد الحميد الثاني العرش، حيث منحه عبد الحميد رتبة الوزارة، كما عينه والياً على سوريا ثم اضنه حيث مات ودفن فيها.

أما محمد أمين فهو شاعر قومي طوراني نما في جو الاتحاد والترقي وألقى أولى قصائده أمام جمال الدين الافغاني ١٨٩٧م في استانبول فأشاد به، وقد عين واليا على الحجاز فاختلف مع الشريف حسين فعين والياً على سيواس وانضم إلى الاتحاد والترقي ١٩٠٦.

ومثل رضا توفيق الطبيب الفيلسوف الماسوني الاتحادي المرتد موقفاً فريداً لاسيما في قصيدته (مدد من روحانيات السلطان عبد الحميد).

ومن الأدباء الأتراك الكبار الذين لمعوا خلال تلك الفترة عبدالحق^(١) حامد (١٨٥٢ - ١٩٧٣) ويعتبر أمير الأدب التركي الحديث، تلقى تعليمه في تركيا وفرنسا، وكان على دراية باللغتين العربية والفارسية بالإضافة إلى الفرنسية. توظف في قلم الترجمة بالباب العالي. كان والده ممثلاً للدولة العثمانية في طهران فسافر بصحبته إليها وبعد وفاة والده عاد إلى استانبول وتنقل في عدة وظائف واشتغل في قنصليات وسفارات الدولة العثمانية في الخارج في عدة بلاد منها باريس وبومباي. عندما كان في بومباي مرضت زوجته فعاد بها إلى بلاده وفي الطريق اشتد عليها المرض ونزلا في بيروت حيث توفيت زوجته، هذا الحادث أثر تأثيراً سيئاً على عبدالحق وظهر هذا التأثير في أشعار الشك التي نظمها بهلته المناسبة بعد ذلك عمل في سفارات بلاده في لندن وبروكسل، وأصبح عام ١٩١٢ عضواً في مجلس الأعيان العثماني، وفي عهد الجمهورية انتخب نائباً عن استانبول في مجلس الأمة التركي عام ١٩٢٨. ومن أبرز أعماله: «مغامرة حب»، «فتاة هندية»، «طارق أو فتح الأندلس»، «مقبر» و «إلهام الوطن».

(٢)

ومن بين الأدباء الأتراك شخصية أثارت الجدل فقد بدأ معارضا وانتهى مؤيداً لعبد الحميد وهو مراد بك (١٨٥٣ - ١٩١٤) صحفي ومؤرخ يعرف بلقب (ميزانجي) نسبة إلى صحيفة ميزان، ولد في تفليس وتعلم في روسيا ووفد إلى الدولة العثمانية فعمل مدرسا للتاريخ في المدرسة الملكية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني حيث اشتهر أمره. كان يجيد الروسية والفرنسية وبجانب لغته الأصلية وهي التركية. عمل في إدارة الديون العمومية فترة طويلة. ثم هرب إلى مصر ومنها إلى أوروبا معارضا للسلطان عبد الحميد لكنه عاد إلى استانبول حيث تولى منصب عضو شوري للدولة. أصدر أثناء وجوده في أوروبا جريدة «الميزان». ولما عاد إلى الدولة استمر أيضا في إصدارها في ثوب آخر، عارض الاتحاد والترقي. لذلك تعلل أعضاء الاتحاد والترقي بأن مراداً يعتبر من أسباب حادث ٣١ مارس، وأنه يعمل لصالح السلطان عبد الحميد، لذلك تم نفي مراد لكنه عاد بعد ذلك إلى استانبول حيث مات ودفن فيها. له كتاب في التاريخ العام من ستة أجزاء وله أيضاً كتاب في التاريخ بعنوان «تاريخ عثماني» وكتب الكتابين قبل انقلاب ١٩٠٨. وله أيضاً «تاريخ أبو الفوارق» وهو تاريخ مفصل للدولة العثمانية لم يصدر منه إلا ستة أجزاء.

(١) عبد الحق حامد: (١٨٥٢ - ١٩٧٣م) يعتبر أمير الأدب التركي الحديث، تلقى تعليمه في تركيا وفرنسا، وكان على دراية باللغتين العربية والفارسية بالإضافة إلى الفرنسية توظف في قلم الترجمة بالباب العالي، كان والده ممثلاً للدولة العثمانية في طهران فسافر بصحبته إليها وبعد وفاة والده عاد إلى استانبول وتنقل في عدة وظائف، اشتغل في قنصليات وسفارات الدولة العثمانية في الخارج في عدة بلاد منها: باريس وبومباي.

عندما كان في بومباي مرضت زوجته فعاد بها إلى بلاده وفي الطريق اشتد عليها المرض ونزلا في بيروت حيث توفيت زوجته، هذا الحادث أثر تأثيراً سيئاً على عبد الحق وظهر هذا التأثير في أشعار الشك التي نظمها بهذه المناسبة، بعد ذلك عمل في سفارات بلاده في لندن وبروكسل، وأصبح عام ١٩١٢م عضواً في مجلس الأعيان العثماني، وفي عهد الجمهورية انتخب نائباً عن استانبول في مجلس الأمة التركي عام ١٩٢٨م. من أبرز أعماله: مغامرة حب، فتاة هندية، طارق أو فتح الأندلس، مقبر، إلهام الوطن.

(٢) مراد بك: (١٨٥٣ - ١٩١٤م) صحفي ومؤرخ يعرف بلقب (ميزانجي) نسبة إلى صحيفته «ميزان»، ولد في تفليس وتعلم في روسيا ووفد إلى الدولة العثمانية فعمل مدرسا للتاريخ في المدرسة الملكية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني حيث اشتهر أمره، كان يجيد الروسية والفرنسية بجانب لغته الأصلية وهي التركية، عمل في إدارة الديون العمومية فترة طويلة، هرب إلى مصر ومنها إلى أوروبا معارضا للسلطان عبد الحميد لكنه عاد مرة أخرى إلى استانبول حيث تولى منصب عضو شوري للدولة، أصدر أثناء وجوده في أوروبا جريدته «الميزان»، ولما عاد إلى استانبول استمر أيضا في إصدارها في ثوب آخر، عارض «الاتحاد والترقي»، لذلك تعلل أعضاء الاتحاد والترقي بأن مراداً يعتبر من أسباب حادث ٣١ مارس وأنه يعمل لصالح السلطان عبد الحميد، فتم نفيه، لكنه عاد بعد ذلك إلى استانبول حيث مات ودفن فيها، له كتاب في التاريخ العام من ستة أجزاء، وله أيضا كتاب في التاريخ، بعنوان «تاريخ عثماني»، وقد ألف الكتابين قبل انقلاب ١٩٠٨م، وله أيضا (تاريخ أبو الفاروق) وهو تاريخ مفصل للدولة العثمانية لم يصدر منه إلا ستة أجزاء.

(١)

أما نامق كمال فقد كان شاعرا ماسونيا عمل في جريدة استاذة ابراهيم شناسي (تصوير أفكار) وحاول مزج الفكر الأوروبي بالاسلامي في مجال العمل السياسي وفي كتاباته الصحفية والتحق بجامعة «تركيا الفتاة» وهرب مع ضياء كوك ألب إلى أوروبا حيث أصدر جريدة (حرية) في لندن وسمح له بعد ذلك بالعودة إلى استانبول فأصدر جريدة عبرت عام ١٨٧٠. عين متصرفا على غاليلي ثم عزل إلى استانبول فأصدر مسرحيته «الوطن» ثم أبعده إلى قبرص عام ١٨٧٣ - وعاد إلى استانبول بعد إعلان المشروطية الأولى وكتب المقالة والشعر والمسرحية والرواية وكان أول من تحرر من شعره من العروض متأثراً في ذلك بالاداب الأوروبية.

من أبرز أعماله الأوروبية: جلال الدين خوارزمشاه، الوطن، عاكف بك (مسرحيات) انتباه، مغامرة علي بك، جزمي (روايات)، بارقة الظفر، السلطان سليم، محاضرة ساستره (دراسات). وكان في بدايته من أنصار عبد الحميد ولم يتحرج من القول: (الدولة العثمانية موحدة في.. الخ) ويعتبر نامق كمال أول من بذر القومية في أدب الأتراك الاسلامي.

ثم تعين ابن نامق كمال كاتباً في (المابين) عام ١٨٨٨ وهي وظيفة هامة تعني عضو بقلم المراسلات بين السلطان والصدر الأعظم.

ومن مدرسة ابراهيم شناسي نفسها الكاتب التركي:

(٢)

أكرم بك (١٨٤٧ - ١٩١٤) وأديب وشاعر. درس بالمدارس المدنية والعسكرية. لم يكمل دراسته والتحق بالخارجية. تعرف على اعلام الادب التركي في وقته ومنهم نامق كمال وتولى رئاسة جريدة تصوير افكار بعد هرب نامق كمال إلى أوروبا (١٨٦٧) يعتبر من مجددي الأدب التركي العثماني. كتب الشعر والرواية والمسرحية وتاريخ الأدب.

أما آخر أفراد تلك المدرسة الشناسية في الأدب التركي فهو: (٣)

أبو الضيا بك وهو أبو الضيا توفيق ١٨٤٩ - ١٩١٣، من الأدباء العثمانيين المعارضين للسلطان عبد الحميد. تعلم في أوروبا فترة وأجاد الفرنسية شغل عدة مناصب هامة في الدولة العثمانية منها مدير المدرسة الفنية وعضوية مجلس الشورى

(١) نامق كمال بك يلقب بشاعر الحرية (١٨٤٠ - ١٨٨٨ م). كاتب وشاعر، عين عام ١٨٦٣ م في جريدة «تصوير أفكار» التي كان يصدرها الكاتب التركي شناسي رائد التجديد في أدب الأتراك واتجاهه نحو الأخذ عن الآداب الغربية، تولى نامق كمال إدارة «تصوير أفكار» بعد سفر صاحبه شناسي إلى أوروبا، التحق نامق كمال بجامعة «تركيا الفتاة» (العثمانيون الجدد)، هرب مع ضيا باشا إلى أوروبا حيث اشترك في إدارة جريدة «حرية» في لندن (عام ١٨٦٨ م)، سمح له بعد ذلك بالعودة إلى استانبول فأصدر جريدة «عبرت» عام ١٨٧٠ م، عين متصرفاً على غاليلي ثم عزل ورجع إلى استانبول فأصدر مسرحيته «الوطن» ثم أبعده إلى قبرص عام ١٨٧٣ م وعاد إلى استانبول بعد إعلان المشروطية الأولى، كتب المقالة والشعر والمسرحية والرواية وكان أول من تحرر في شعره من العروض متأثراً في ذلك بالآداب الأوروبية.

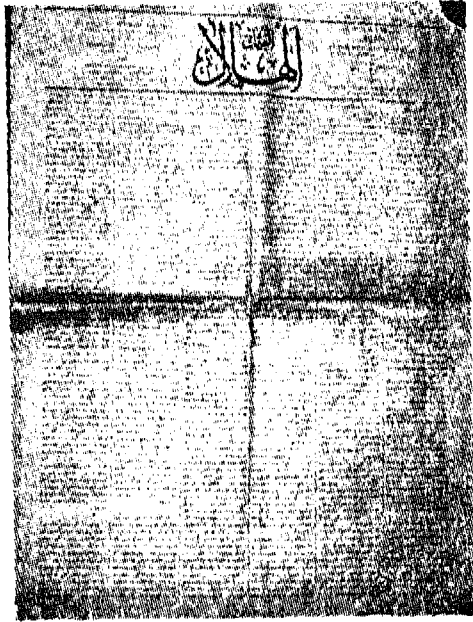
من أبرز أعماله الأوروبية مسرحيات: جلال الدين خوارزمشاه، الوطن، عاكف بك، وروايات: انتباه، مغامرة علي بك، جزمي ودراسات: بارقة الظفر، السلطان سليم الأولى محاضرة سلسرة. يعتبر نامق كمال أول من بذر بذور القومية في أدب الأتراك الاسلامي.
٤ وقد تم تعيين ابن نامق كمال كاتباً في «المابين» عام ١٨٨٨ م وهي وظيفة هامة تعني عضو بقلم المراسلات بين السلطان والصدر الأعظم.

(٢) أكرم بك: (١٨٤٧ - ١٩١٤ م) أديب وشاعر، درس بالمدارس المدنية والعسكرية، لم يكمل دراسته والتحق بالخارجية، تعرف على اعلام الأدب التركي في وقته ومنهم نامق كمال، وتولى رئاسة جريدة «تصوير أفكار» بعد هرب نامق كمال إلى أوروبا (١٨٦٧ م). يعتبر من مجددي الأدب التركي العثماني. كتب الشعر والرواية والمسرحية وتاريخ الأدب.

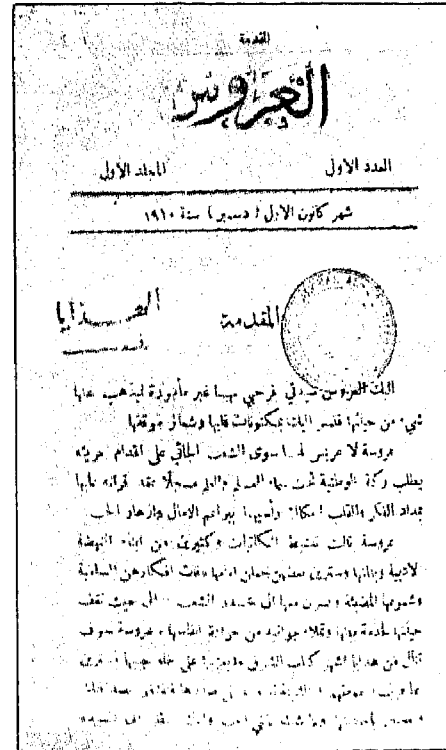
(٣) أبو الضيا بك توفيق: (١٨٤٩ - ١٩١٣ م) من الأدباء العثمانيين الأتراك المعارضين للسلطان عبد الحميد، تعلم في أوروبا فترة وأجاد الفرنسية شغل عدة مناصب هامة في الدولة العثمانية منها مدير المدرسة الفنية، وعضوية مجلس الشورى، أصدر مجلة باسمه هي مجلة «مجموعة أبو الضيا» (كلمة مجموعة في اللغة التركية تعني مجلة). اسمه نسبة لابنه الكبير ضيا، أبعده السلطان عبد الحميد إلى رودس وقونيه. عاد إلى استانبول بعد انقلاب ١٩٠٨ م الذي دبر ضد عبد الحميد، أصبح بعد ذلك نائباً برلانيا عن مدينة انطاكية، كانت له مطبعة مغلقة فأعاد افتتاحها ثم أعاد إصدار جريدة استاذة شناسي «تصوير أفكار»، من أعماله: نماذج من الادب العثماني، الأمة الاسرائيلية، ابن سينا، نابليون، العثمانيون الجدد.

أصدر مجلة باسمه هي مجلة «مجموعة ابو الضيا» (كلمة مجموعة في اللغة التركية تعني مجلة) اسمه نسبة لابنه الكبير ضيا وقد أبعد السلطان عبدالحميد إلى رودس وقونية ثم عاد إلى استانبول بعد انقلاب ١٩٠٨ الذي دبر ضد عبدالحميد وأصبح بعد ذلك نائبا برلمانيا عن مدينة انطاكية وكانت له مطبعة مغلقة فاعاد فتحها ثم أعاد اصدار جريدة استاذة شناسي «تصوير افكار» ومن أعماله: نماذج من الأدب العثماني والأمة الاسرائيلية، ابن سينا، نابليون، العثمانيون الجدد.

ومع سقوط عبدالحميد الثاني وتسلم الاتحاديين الحكم بدأت حركة «التتريك» في مختلف الولايات العثمانية، واستهدفت تعميم اللغة التركية عن طريق تشجيع نشر المؤلفات والمطبوعات لهذه اللغة، وبالفعل فقد صدرت في العراق والشام فضلا عن استانبول عشرات الصحف والمجلات التركية على سبيل المثال: فقد كانت الجرائد التركية التي تصدر بالقاهرة هي: أناضولي (يصدرها: آدنة لي سليمان وحيد) أرناؤوطي (الزعيم الألباني درويش هيمما) جورجيونة (علي حافي) أنين المظلوم (مصطفى راغب فريات (أحمد توفيق)، غيرت (رضا)، حق (جمعية الاتحاد والترقي) خواطر (الدكتور ابراهيم تيمون مؤسس جمعية الاتحاد والترقي)، انتباه زهرات أفندي، (وهو أرميني انتدب مبعوثا بعد اعلان الدستور) قانون أساسي (محمد أمين الشارح الطوراني النزعة)، لاوارا ولاق لاق الهزليتين (كلاهما لافرام غالانتي) ميزان (مراد بك الدغستاني)، نصيحت (خير الدين قبطان)، عثمانلي (طرسوسلي زاده منيف بك) سنجاق (علي صائب) شفق (جمعية الشفق) شواري امت (أحمد رضا بك)، تورك (فوزي بك)، بنى فكر ١٩٠٥ (أحمد اغايف)، (الداعية الطوراني) حق صريح (صالح جمال)، اجتهاد (دكتور عبدالله جودت) (من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي)، قوفومار (خير الدين قبطان)، ميزان عدالت (ليون فهمي) المونيتور العثماني بالفرنسية (ليون فهمي أيضاً)، شواري عثمان، قسم منها بالعربية (جمعية الشورى العثمانية التي كان من أعضائها رفيق العظم ورشيد رضا)، تعقيب استقلال (عبدالكريم هادي)، أميد (الأمل، قسم منها بالعربية — بدر خان محمد صالح) ببيلديرم (الصاعقة أحمد آغايف) وغيرها من الجرائد التي بلغ مجموعها تقريبا أربعين صحيفة بعضها باللغة العربية مثل: جهينة (علي حافي)، الخلافة والأمل (كلاهما لمصطفى راغب) وكلها كانت تنطق بلسان جماعة «تركيكا الفتاة» وقد اختلفت تواريخ تأسيسها بين عام ١٨٩٥ — ١٩٠٧.



مجلة «الهلل العثماني» عام ١٩١٢م



مجلة «العروس» عام ١٩١٠م



مجلة الانسانية



مجلة الأهالي

بينما نجد الظاهرة معكوسة تماما خلال عهد عبد الحميد الثاني فقد ارتفع عدد الصحف العربية آنذاك من ٢٩ الى ١٦٨ صحيفة في لبنان ومن ٣ الى ٨٧ صحيفة في سورية، ومن صحيفة واحدة الى ٣١ في فلسطين ومن صحيفتين الى ٧٠ صحيفة في العراق كما استحدثت ٦ صف في الحجاز وأصبح عدد الصحف في المنطقة العربية عام ١٩١٤ عشرة اضعاف ما كانت عليه عام ١٩٠٤ حيث بلغ عددها في الشام ومصر والعراق اكثر من ١٣٣٣ صحيفة ومجلة، عدا عن الصحف التي كان يصدرها المنفيون والمهازيون وتوزعها الحكومات الاجنبية في الدولة العثمانية مستغلة الامتيازات الأجنبية وعدم قدرة البوليس على تفتيش بريدها الدبلوماسي.

وكان الشرق قد عرف اول مطبعة في الشوير بلبنان عام ١٧٣٢م بينما بلغ عدد المطابع في الشام آواخر القرن التاسع عشر أكثر من ٣٠ مطبعة وفي مصر انشئت الطباعة خلال حملة نابليون بونابرت ثم لعبت مطبعة بولاق منذ عام ١٨٢٢م دورا كبيرا في نشر التراث والفكر العربي.

وعلى العموم فان حركة التتريك التي نفذها الاتحاديون شملت أيضا المباحث والتأليف التاريخية فبدأت بالالتفات إلى ما نشره المؤرخون الأوروبيون عن تاريخ الأتراك قبل الاسلام. وقد لعبت مؤلفات لوقوك ولاثون قاهون التي كان يغذيها المستشرقون بوجه خاص دورا هاما في هذا المضمار حيث وجد الكتاب فيها مباحث عديدة تبرهن على أن الأتراك كانوا متقدمين في الحضارة تقدما بينا قبل ظهور الاسلام. ولذلك صاروا يقتبسون منها ما يتعلق بتاريخ الأتراك «السابق للإسلام والمستقل عن الاسلام»

لكن هذا لم يمنع بعض الكتاب من الاهتمام بالمباحث المتعلقة لخدمة الأتراك للحضارة الاسلامية ونشر الرسائل والمقالات للبرهنة على أن الأتراك أهل حرب وضرب فقط — كما يزعم بعض المؤرخين — بل أنهم كانوا أهل علم وحضارة أيضا.

لقد ظل الأتراك العثمانيون حكومة وشعبا مرتبطين بفكرة الجامعة الاسلامية ارتباطا شديدا وبعيدين عن الشعور بالقومية التركية بعداً كبيراً واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى آواخر القرن التاسع عشر بل حتى آواخر العقد



محمد نامق كمال بك: تحول من كاتب إسلامي إلى داعية للطورانية!

الأول من القرن العشرين، يعزز هذا الرأي اشعار نامق كمال نفسه الذي يعتبرونه ابو الوطنية فقد كان لا يفرق بين شهداء صدر الاسلام وشهداء الحروب العثمانية، وعلى منواله الشاعر عبدالحق حامد الذي استمد رواياته ومسرحياته من البطولات الاسلامية غير أنه بعد ذلك بدأت فكرة الطورانية تعمل عملها في النفوس وصارت تستولى على الأذهان وتستهوئ القلوب بسرعة واخذت تقتحم الموانع التي تقوم في سبيلها الواحدة بعد الأخرى. إلى أن أصبحت سيدة الموقف تماماً بقيام «الدولة التركية» مقام الخلافة العثمانية.

وكان الاتحاديون قد عملوا على استبعاد الكلمات العربية وغيرها من اللغة التركية وأحلوا محلها الفاظاً من اللغات الأوروبية ونشروا مقالات وبحوثاً تثبت فضل الاتراك على الدين والأدب والثقافة وطرّدوا العرب من الوظائف الكبرى التي شغلوها في أيام عبد الحميد بل اتجهوا نحو فرض اللغة التركية وعجمتها على العرب وأصبحت اللغة التركية رسمياً — هي لغة الدولة ولغة التعليم حتى لقد كان النحو العربي يعلم باللغة التركية في مدارس الشام ولقد احتج احد الكتاب الاتراك حينئذ على أن العرب لم يأخذوا باللغة التركية إلى الحد الذي ينسبهم لغتهم العربية وقال:

ان العرب ما يزالون يتحدثون بلغتهم ويجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت الحكم التركي. ومن واجب الدولة أن تنسبهم لغتهم وتجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم وإذا لم ينس العرب لغتهم وتاريخهم وعاداتهم عملوا على إثارة القلاقل، والمتاعب.

وما قاله ضيا باشا كوك ألب في احدى قصائده «الطورانية»:

الذين يبغون اللغة العربية فليذهبوا إلى بلاد العرب والذين يبغون اللغة الفارسية فليرحلوا إلى ايران والذين يبغون اللغة الافرنجية فليذهبوا الى بلاد الفرنجة، «فان كل من لا يدرك هذه الحقيقة، فهو جاهل: نحن اتراك فينبغي أن تكون لنا لغة تركية..»

وأعقب هذه القصيدة وتلك الدعوة كتابات ودعوات عديدة الا أن هذه الكتابات والدعوات كانت تظهر في أوقات متقطعة وبقيت مبعثرة متفرقة فلم تولد حركة تستحق اسم «التيار» حتى حدوث انقلاب الدستور، وقيام مشروطة الحكم «سنة ١٩٠٨م».

وأما بعد ذلك فقد أخذت الفكرة تنتشر بسرعة وولدت عدة نزعات وتيارات عرفت بالاسماء التالية: تبسيط اللغة، تصفية اللغة، تترك اللغة.

- ١ — قامت دعايات قوية للعدول عن استعمال التراكيب العربية والفارسية للتقريب بين لغة الكتابة ولغة الكلام.
- ٢ — قامت دعوة ملححة لتترك القواميس والدواوين العربية والفارسية التي اتخذت الكتابات الادبية بقصد زخرفة الكلام.
- ٣ — قامت دعوة للبحث عن كلمات تركية أصيلة لتحل محل الكلمات العربية والفارسية المستعملة في الكتابات الادبية والعلمية.

إن الدعوة الأولى انتشرت بسهولة واثمرت ثمراتها بسرعة وساعدت كثيراً على تبسيط اللغة بصورة فعلية.

كانت التراكيب العربية والفارسية تعتبر — قبل ذلك — من ضرورات الأدب الرفيع ولهذا السبب كانت اللغتان العربية والفارسية تدرسان في جميع المدارس الابتدائية والثانوية عندما بدأت حركة تبسيط اللغة حذفت الدروس المذكورة من مناهج الدراسات الابتدائية.

وأما الدعوة الثانية، والثالثة خاصة، فقد اصطدما بعراقيل عديدة لأن الكتاب والمفكرين اختلفوا في تعيين مدى التصفية والتترك التي يجب ان تخرج من دائرة لاستعمال من غير ان تعوض بغيرها أيها يجب أن تبقى مستعملة كما هي وأيها يجب ان تستبدل بكلمات تركية أصيلة..

إن آراء زعماء التجديد — لم تتحد في أجوبة هذه الاسئلة.. لان جماعة منهم كانوا يلتزمون مبدأ التصفية المطلقة والتترك التام ويقولون بوجود الاستغناء عن جميع الكلمات العربية والفارسية والاستعاضة عنها بكلمات تركية بحتة.

ولكن جماعة أخرى منهم كانوا يلتزمون خطة الاعتدال في هذا المضمار كانوا يدعون إلى الاقتداء بسواد الناس فيقولون: ان هناك كثيراً من الكلمات العربية والفارسية التي لاكتها الألسنة التركية وتعود عليها الخواص والعوام على حد سواء هذه الكلمات دخلت في صميم اللغة وأصبحت الكلمات التركية على الرغم من أصولها العربية أو الفارسية، فيجب علينا أن لا نتعرض إلى أمثال هذه الكلمات ولا نشغل أنفسنا بمحاولة تتركها — ويجب ان تحصر عمليات التصفية والتترك في حدود الكلمات التي ليست من هذا القبيل.

إن رأي هذه الجماعات هو الذي ساد حتى قيام الجمهورية لأن زعماء الحركة القومية التركية — وعلى رأسهم ضياكوك ألب — الذي كان يعتبر الدماغ المفكر للقومية التركية — كان يلتزم هذا الرأي ويدعو إلى العمل به على الدوام.

ولكن في الدور الثالث من الأدوار التي ذكرتها، أي بعد قيام الجمهورية انتقل زمام الأمور إلى الرأي الأول وصارت الحركة تتجه اتجاه «التصفية المطلقة والتترك التام» هذه الحركات تقوت بوجه خاص بتأثير مصطفى كمال لأنه إلتزم هذه الخطة وأخذ يسعى لتنفيذها بكل ماله من نفوذ مادي ومعنوي ولذلك الفت الحكومة لجنة رسمية لاصلاح اللغة وصارت هذه اللجنة تشغل بنشاط كبير وحماسة شديدة، تجمع الكلمات التركية المستعملة في مختلف نواحي البلاد من جهة، وتدرس الكلمات المستعملة في مختلف اللغات واللهجات الطورانية من جهة أخرى وتقتصر الكلمات التي يجب أن تقوم مقام العربية والفارسية المستعملة قبلاً مستنلة إلى أبحاثها هذه ورأت اللجنة أن تلجأ إلى اختراع بعض الصيغ الجديدة ايضاً لتسهيل إيجاد الكلمات التركية التي ترى لزومها لها.

وبلغ تعصب القوم ضد الكلمات العربية والفارسية حداً غريباً جداً لأنهم صاروا يرون استعمال بعض الكلمات الأفرنجية عوضاً عن الكلمات العربية التي كانت مستعملة قبلاً فقد أبطلوا استعمال كلمة «الرهن» التي كانت شائعة بين الناس ودارجة في القوانين وقرروا التعويض عنها بكلمة «ايبوتيك» في جميع الدوائر الرسمية على سبيل المثال.

ثم أوصل مصطفى كمال نزوعه إلى التتريك التام إلى الحد الأقصى في إحدى الخطب التي أعدها لاستقبال أحد السفراء وعندما أبلغت الحكومة الخطبة المذكورة إلى الجرائد التركية بصورة رسمية اضطرت إلى تذييلها بشرح يتعلق بمعاني ٣٢ كلمة من الكلمات المستعملة فيها.

وكان عدد غير قليل من رجال الفكر والأدب لا يحبذون هذه الخطبة ولكنهم ما كانوا يجراًون على مخالفتها بسبب تمسك «مصطفى كمال» بها تمسكاً شديداً.

وسارت الأمور على هذا المنوال إلى أن اخترع البعض نظرية جديدة ساعدت كثيراً على الحد من قوة اندفاع هذه الحركة، هذه النظرية عرفت بتعبير «شمس اللغات» إذ زعم أصحابها أن اللغة التركية بمثابة الشمس لمجموعة لغات العالم التي تولدت منها، وانفصلت عنها كما انفصلت النجوم السيارة عن الشمس، وبهذا الاعتبار يمكننا أن نجزم بأن الكلمات التي تنسب الآن إلى العربية والفارسية كلها منحدرة من أصول تركية.

تلك النظرية — على مخالفتها البصارخة للحقائق العلمية — لم تخل من فوائد عملية لأنها فتحت الباب للملاحظة التالية، فمادامت هذه الكلمات منحدرة من أصول تركية فلماذا تبذل الجهود للاستعاضة عنها بكلمات جديدة.

إن حركة التتريك للغة لم تتوقف بذلك تماماً. الا أنها اكتسبت شيئاً كثيراً من الاعتدال وأخذت تسير سيراً وئيداً.

إن التطورات التي حدثت في اللغة من وجهتي: المفردات والتراكيب، بسبب إنتشار فكرة القومية التركية أثرت في الشعر أيضاً بطبيعة الحال إلا أن حركة الاستتراك في الشعر لم تكتف بهذه التأثيرات غير المباشرة، بل إنها تناولت الأوزان أيضاً — فقد ادت إلى تحرر الشعر من أوزان العروض وإنصرافه عنها إلى «أوزان البنان» أسوة بالشعر الشعبي التركي.

وأخذ بعض الشعراء يتلفتون إلى الأشعار الشعبية منذ عهد التنظيمات، وكما جرب عدد غير قليل منهم أن ينظموا من وقت إلى آخر بعض الأشعار على وزن البنان، واستطاع بعضهم أن يبدع بعض القطع من الشعر الرفيع على هذا الوزن، إلا أن هذه المحاولات لم تتوصل إلى شكل يؤدي إلى إحداث تيار ظاهر إلا بعد انقلاب المشروطية الثانية (١٩٠٩م).

وكان قد ظهر في أواخر القرن التاسع عشر شاعر أخذ على نفسه ألا ينظم إلا على وزن البنان المعروف بين سواد الشعب، وهو محمد أمين الذي نشر كثيراً من الأشعار على هذا النمط، ثم جمعها في ديوان: «أشعار تركية»، إلا أنه لم ينل قبولاً حسناً من بيئات الشعر والأدب إلا بعد انقلاب المشروطية الثانية، وفي الدور الثاني من الأدوار الثلاثة المذكورة آنفاً.

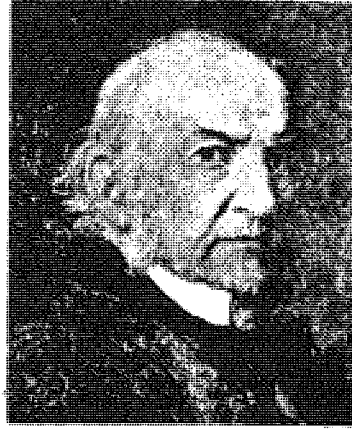
وكانت إحدى القصائد الحماسية التي نشرها الشاعر المذكور تبدأ بالعبارات التالية: «أنا تركي. ديني سام، تراثي عظيم، قلبي مملوء بالنار...» وربما كان ذلك أولى الأشعار والكتابات التي تقول «أنا تركي في مقام التفاخر والمباهاة.

إن نزعة الاستتراك التي ظهرت بين الشعراء بهذه الصورة بقيت في بادئ الأمر ضعيفة ومحصورة في دائرة ضيقة إلا أنها أخذت تتقوى وتتوسع بسرعة بعد إنقلاب المشروطية الثانية ولا سيما بعد نضوج فكرة القومية التركية واستفحال «الوعي القومي» عند الأتراك العثمانيين.

لقد ازداد عدد الذين ينظمون الشعر على وزن البنان، إزدياداً مطرداً كما زاد عدد الذين ينجحون في هذا المضمار نجاحاً كبيراً وزاد عدد الأشعار الرقيقة والريقة المنظومة على هذا الوزن.



اللورد كرومر: ملك مصر
غير المتوج لمدة ربع قرن كامل.



جلادستون:
لن نقوم لنا
قائمة ما دام
القرآن بن
أيدي المسلمين!

وفضلاً عن ذلك أخذ بعض الأدباء يحملون على أوزان العروض حلات شديدة، صاروا يقولون أن هذه الاوزان انما نشأت من طبيعة اللغة العربية، وهي غير ملائمة لطبيعة الكلمات التركية، وأخذوا يذكرون بعض الكلمات التركية التي لا تنطبق على أي وزن من أوزان العروض، وخلصوا من ذلك إلى القول بأنه لابد من إحداث انقلاب في أوزان الشعر تمثيلاً مع التطورات التي حدثت والتي لا تزال تحدث في اللغة من حيث المفردات والتراكيب.

وأثمرت آراء هؤلاء ودعاياتهم ثمراتها النهائية بعد إعلان الجمهورية، حيث اكتسح وزن البنان ميادين الشعر إكتساحاً، وقضى على أوزان العروض قضاء مبرماً، فقد هجر الشعراء أوزان العروض بأجمعها بصورة نهائية، وصار الجيل الجديد منهم لا ينظم إلا على وزن البنان.

وخلافاً لما يعتقد الكثيرون من أن محاربة الأتراك للغة العربية كانت بدافع من نزعتهم القومية فأنا نشير إلى مقولة «جلاد ستون» رئيس وزراء بريطانيا — خلال العهد الحميدي — حيث وقف في مجلس الوزراء رافعا القرآن الكريم بيده مخاطباً زملاءه بقوله: (مادام هذا الكتاب في أيدي المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به فلن نقوم لنا قائمة، فلا بد من العمل على إنتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم).

ونتيجة لذلك بدأ «دانلوب» في عزل الأزهر عن التعليم متجنباً خطيئة «نابليون» في تحديه العلني للشرعية الاسلامية، حيث نجح «كرومر» في انشاء مدارس جديدة تفتح الدولة أوسع المجالات لخريجها، بينما تغلق الأبواب في وجوه خريجي الأزهر وأمثاله من المدارس والجامعات الاسلامية، وقد تعمد «دانلوب» تخفيض أجر مدرس اللغة العربية أو الشريعة الاسلامية ورفع مرتبات مدرسي باقي المواد، كما عمد إلى تأخير حصص اللغة والدين إلى نهاية الجدول الدراسي فقد عمد إلى تشويه المنهج، وتحريف الكتب المدرسية، بما يخدم الاغراض الاستعمارية، فأصبح الطلبة ينظرون إلى جرأة «مصطفى كمال» في إلغاء الخلافة الاسلامية على أنها حركة «إصلاحية»، كما يصفون عبدالحميد في حفاظه على الشريعة الاسلامية بالرجعية ويعتبرون تلامذة الغرب الذين تجسسوا على الدولة العثمانية أبطالاً، وتأمروهم مع الدول الاستعمارية حركات ثورية.

ولم يقتصر هذا الوضع على بلد واحد بل عم سائر البلدان الاسلامية، التي رزحت تحت وطأة نفوذ أية دولة غربية. ونشطت الارشاليات في إنشاء المدارس والمعاهد العلمية التابعة للمؤسسات الأجنبية، أو الأديرة الكنائسية وزاد في الطامة صراع تلك المؤسسات فيما بينها: بين أرثوذكسية، وكاثوليكية، ولا تينية، وبروتستانية، وجزويتية، وأصبح خريجوها يتصارعون فيما بينهم حول انتماءاتهم المذهبية وكأننا في حاجة إلى مزيد من المشاكل الطائفية.

ولم يكن لقناصل الدول الكبرى في مدن وثغور الدولة العثمانية من شغل إلا رعاية تلك المدارس الاجنبية، وإعداد طلابها لضمهم إلى الحركات والتكتلات السياسية، والمناهضة للخلافة، وتقديم التسهيلات والمعونات والحماية للمتورطين منهم تحت ستار الامتيازات الاجنبية، مما جعل التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة.

الفصل الرابع

رد الفعل العربي

استمرار لغة القرآن وإحياء الفصحى

استمرت العربية لغة رسمية في الدولة العثمانية بوصفها لغة القرآن الكريم حتى أواخر عهد الدولة العثمانية حين عمد الاتحاديون الذين حكموا الشعب العربي إلى التثريك فجعلوا التركية اللغة الرسمية للبلاد وكان من شروطهم فيمن يتولى أعمال الدولة أن يكون على معرفة باللغة التركية وهذا نص أحد قوانينهم في ذلك: (يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لأجل تقاليد مأموريات الدولة).

وزادوا على ذلك فسلبوا اللغة العربية الروافد التي كانت تمدها فاغلقوا المدارس، واستولوا على الاوقاف، التي كانت محبوسة عليها، ولم يبق في هذا الظلام الاشعاع نور ينبثق من بعض الجوامع والمعاهد في العواصم الاسلامية.

ونتيجة لذلك دخلت الالفاظ والتراكيب التركية ساحة اللغة العربية، فقد كان الموظف والعامل والفلاح والجندي يسمعون في كل لحظة كلمات تركية، وقد تضطروهم حياتهم المعيشية إلى استعمالها، وظل كثير من هذه الالفاظ سائدا في بعض أوساطنا إلى وقت قريب، ولا يزال بعض هذه الالفاظ يجري على ألسنة العامة والخاصة إلى الآن، مثل كلمة: عرضحال وكلمة برنجي بمعنى الاول، وكلمة مخزنجي، وغيرها من الكلمات الكثيرة التي تنتهي بالمقطع (خانة) مثل اجزخانة، وكتبخانة، ومن الكلمات التي تنتهي بالمقطع (جي) مثل بوسطجي، وعربجي، وقهوجي.. الخ. (١)

وقد كان من ذلك أيضاً ان بعض كتابنا يضمن كتاباته تعبيرات تركية، ونجد أمثلة من ذلك فيما كتبه محرروا «الوقائع المصرية» في سنواتها الاولى وما يذكر أن هذه الصحيفة كانت تحرر من أول صدورها باللغة التركية، ثم حررت بالتركية والعربية، وأخيراً اقتصر تحريرها على اللغة العربية.

وقد سبقت الإشارة إلى سياسة الاتحاديين في تشجيع صدور عشرات الصحف والمجلات باللغة التركية، في مختلف الولايات العثمانية.

ولكن الشعر العربي بدأ في منتصف القرن التاسع ينهض في الشام ومصر والعراق، متأثراً بالشعر القديم، في ألفاظه وأساليبه ومعانيه وطريقة نظمه، وكان يمثل هذه الحقبة ناصيف وإبراهيم اليازجي.

فلما أطل مطلع القرن العشرين، وكان التبرم بالحكم العثماني قد بلغ مداه، في الاقطار العربية، أخذ الشعور الوطني في النمو، واتسع نطاق التعليم وجاءت الحرب بويلاتها، واتقدت الثورة ضد الاتراك، وتفجرت المشاعر، كان الشعر هو المعبر عنها، فتغير أولا في مضمونه، وأفصح عن الروح الاجتماعية، مع استمرار العناية بجزالة اللفظ وقوة السبك، ومن شعراء هذه الفترة: شكيب أرسلان وأخوه نسيب، وداود عمون، وشبلي الملاط، وبجانهم عاش جماعة من الشعراء الذين إتصلوا بالثقافة الغربية، ومنهم: بشارة الخوري الملقب بـ (الاخطل الصغير) وسليمان البستاني الذي ترجم (إلياذة هوميروس) شعراً، وقد حاول بعضهم أن يجدد في أسلوب الشعر.

ثم جرى شعراء لبنان خلف المهجر فجددوا كما جدد هؤلاء في أسلوب الشعر وفي معانيه، وكان من أبرز ما ظهر في هذه الفترة الشعر الرمزي.

أما في سوريا فقد حافظ الشعراء طويلاً على المنهج القديم وعنوا بالفخامة في ألفاظ الشعر وأساليبه، ولم يثوروا على الوزن والقافية يستوي في ذلك الشعراء الذين عاشوا في أواخر العهد العثماني أمثال: خليل مردم وشفيق جبري وخير الدين الزركلي، والشعراء المحدثون أمثال: أنور العطار، وأحمد الطرابلسي، وعمر أبو ريشة، وبدوي الجبل، وكانت الأماني التحريرية، والعمل على اليقظة، وتجديد الحرية، والتجاوب مع أحداث الثورة، التي قادها الشريف حسين سنة ١٩١٦م، وثورة سوريا التي حدثت في سنة ١٩٢٥م، هي كل موضوعات الشعر العربي آنذاك.

وهذه نماذج من قصائد الشعراء في تلك الحقبة:

١ - لبراهيم اليازجي قصيدة ذاعت وشاعت يقول فيها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
ألستم ممن سطوا في الأرض وافتتحوا
في القوم وما قومي سوى عرب

ثم يلتفت إلى الأتراك ويقول:

صبراً يا أمة الترك التي ظلمت
لنطلبن بحد السيف مأربنا

ثم يلتفت إلى العرب ويقول لهم:

فأسمعوني صليل البيض مارقة
في النقع إني إلى زناها طرب

٢ - للشاعر العراقي جميل صدقي عضو المبعوثان في عهد عبد الحميد قصيدة يقول فيها:

نحن في دولة تداركها الله
وعدها بالأصلاح جم ولكن
رب قوم من العدالة محرومين

٣ - خير الدين الزركلي من قصيدة قبلت إثر إعدام بعض شبان العرب (١٩١٥ - ١٩١٦م):

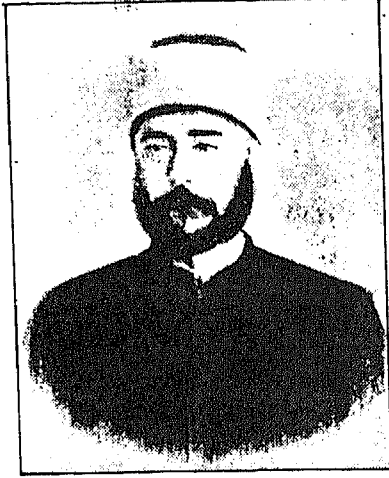
نعم نادب العرب شبانها
بكى كل ذي عزة تربيه
وجاءهم حديث القلوب
نعمت لغة العرب من أحكموا

٤ - لأنور العطار من قصيدة بعنوان (بردى) وهو نهر دمشق الشهير يقول فيها:

برداي الحبيب يا فرحة الروح
أنت نجواي إن أظلني الشجر
وردك المعذب من أمانيك أحلى
أنت تجري في خاطري وضلوعي

٥ - على أن هؤلاء الشعراء قد يتركون الطريقة القديمة في النظم وينظمون على وزن جديد ومن ذلك قول خير الدين الزركلي في (دمشق) بعدما خربها الفرنسيون عند دخولهم لها سنة ١٩٢٠ واضطروا الملك فيصل للتنازل عن عرشه:

أبكي دياراً خلقت للجمال
أبكي تراث المعز والمزغال
أبكي جلال الملك كيف استحال



عبد الرحمن الكواكبي: إقتبس أفكار «ألفري» حول الاستبداد



محمد عبده: دعوة للإصلاح مع مهادنة الانكليز!

وكان في مصر رأيان: رأي يقول انه لا أمل في الاصلاح الحقيقي الا بزوال الاحتلال اولا، ورأي يرى ان الاصلاح الحقيقي الداخلي هو الوسيلة لجلاء الانكليز، على الرأي الثاني كان الشيخ محمد عبده وأصحابه وعلى الرأي الاول كان مصطفى كامل وأصحابه، وبينهما حرب، فكان الأولون يتهمون الآخرين بالرعونة بينما يتهم الآخرون الاولين بالرجعية والضعف.

ولم يكن الشيخ محمد عبده بدعاً في هذا الاتجاه فقد كان احمد خان داعية «الاصلاح» في الهند مثله، حيث رسم خطته لإصلاح الشؤون الاجتماعية والدينية لمسلمي الهند، مع مسالة الانكليز حتى لا يجاربوا دعوته الاصلاحية.

واقنع محمد عبده بهذه النظرية، سار عليها قولاً وعملاً، وقد استفتي مرة في الاستعانة بالاجانب فكانت فتواه: (قد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على جواز الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعة المسلمين، وان الذين يعملون الى هذه الاستعانة لجمع كلمة المسلمين وتربية أيتامهم ومافيه خير لهم لم يفعلوا إلا ما اقتضته الاسوة الحسنة بالنبي (ص) وأصحابه، وأن من كفرهم أو فسقهم بين الأمرين، إما كافر أو فاسق، فعلى دعاة الخير ان يجدوا في دعوتهم، وأن يمشوا على طريقهم، ولا يحزنهم شتم الشائين، ولا يغيظهم لوم اللائمين، فאלله كفيل لهم بالنصر اذا اعتصموا بالحق والصبر).

فهو في هذه الفتوى يعبر عن مذهبه ويبرر موقفه، والقارىء لهذه الفتوى يشعر بما يشعر به من مرارة وغيظ.

على كل حال هذا مفتاح لفهم سياسته وما لاقى في حياته من عناء وفي اصلاحه من اتهامات، وفي شخصه وفي طريقه من عوائق.

رأي الشيخ محمد عبده ان آمال عباس في الاصلاح يجب ان تستغل ووضع خطة للتقرب اليه وتوثيق الصلة به، مع حسن علاقته ايضاً بالانكليز، فيكسب السلطتين ويعتمد عليهما في تحقيق أغراضه «الاصلاحية» ويتم له ما يريد، ولكن الحوادث أكدت له أن الجمع بين صداقة السلطتين كالجمع بين الماء والنار، وان ارضاء احدهما إغضاب للآخرى لا محالة.

وقد تقرب محمد عبده من عباس بواسطة محمد ماهر باشا، ورحب الخديو واخذ الشيخ محمد عبده يحرك مجلس إدارة الأزهر للإصلاح، وبدأ بالمسائل الشكلية من زيادة رواتب المدرسين، وتنظيمها، ووضع لائحة تنظيم الجراية، ومساكن الطلبة، والاشراف الصحي عليهم، والامتحان فلما تعرض لشيء من الأساس وهو ماذا يدرس في الأزهر، وإختيار الكتب، وطرق التدريس وبرامج الدراسة، زادت العقبات في سبيله، واضطر اخيراً الى الانسحاب، فكانت معالجته سطحية، لا علاجاً لأصل الداء.



الخديو عباس حلمي الثاني:

صادقه محمد عبده لإتجاهه الإصلاحى.



وكان الشيخ محمد عبده إلى ذلك الحين يتفق ورأى الانكليز في أن الخديو ليس له ان يستبد بتصرف الامور، أو أن يكون حكومة داخل حكومة، وأن ليس من مصلحته ولا مصلحة مصر أن يحارب جماعة تركيا الفتاة خدمة للسلطان عبدالحميد، وأن من الخير للخديو أن يوجه أنظاره الى ترقية الشؤون المصرية، كالتعليم واصلاح المحاكم الشرعية، واصلاح الأزهر فهو بذلك يخدم بلاده.

وظهر عدااء الخديو فاندفع محمد عبده الى كثرة الاتصال بالانكليز، حتى لقد هم الخديو بعزله، من الافتاء، فانتهر اللورد كرومر الفرصة، وقال انه لا يوافق على عزله من منصب الافتاء، مهما كانت الاحوال، ما دام موجودا.

وهوجم محمد عبده بعنف، وشهرت به الصحف الهزلية، فلم يربداً من الاستقالة، ثم توفي في يوليو ١٩٠٥م.

وفي الشام طلع الكواكبي وكان ظهوره بكتابه «ام القرى» «وطبائع الاستبداد» مما نقل عن الغرب، ولم يكن يعرف لغة اوروبية، إنما يعرف العربية والتركية والفارسية، فاستفاد مما نقل إليها، وبما كان يترجم له، وظهر أثر هذا الاقتباس في كتابه «طبائع الاستبداد»، الذي اقتبس كثيرا من أقوال الكاتب الايطالي ألفيري (١٧٤٩ - ١٨٠٣م) الذي بحث بحثا مستفيضا في الاستبداد، وعلاقته بالدين، وتغنى بالحرية، فقد ساح ألفيري في أوروبا نحو سبع سنوات، ودرس كتب فولتير وروسو ومنتسكيو، وتشبع بأرائهم الحرة، وتشبع بالحرية، وكره الاستبداد، أشد الكره، ووجه أدبه للتغنى بالحرية، ومناهضة الاستبداد، وأنطق بذلك أبطال رواياته، وبثه في كتاباته، ولكن الكواكبي هضمها وعدلها بما يناسب البيئة الشرقية، والعقلية الاسلامية، وزاد عليها من تجاربه وآرائه.

وقد بحث بحثا مستفيضا في علاقة الاستبداد بالدين، ونقل عن الفرنج رأيهم في أن الاستبداد في السياسة متولد من الاستبداد في الدين، أو مساير له، فكثير من الاديان تبث في نفوس الناس الخشية من قوة عظيمة، تدرك كنهها العقول، وتهدهم بالعذاب بعد الممات، تهديدا ترتد منه الفرائص، ثم تفتح بابا للخلاص والنجاة، بالالتجاء الى الاحبار والقسس، والمشايخ، بالذلة والاعتراف امامهم، وطلب الغفران منهم، والمستبدون السياسيون يتبعون هذه الطريقة، فيستريحون الناس بالتعالي والتعظيم، ويزلونهم بالقهر والقوة وسلب الاموال، حتى لا يجدوا ملجأ الا التزلف لهم، وتلقهم، وعوام الناس يختلط عليهم في أذهانهم: الاله المعبود والمستبدون من الحكام فتشابه عندهم استحقاق التعظيم، وينزهونهم عن سؤاها عما يفعلون، ولا يرون لهم حقا في مراقبتهم على أفعالهم، كما أنه ليس لهم حق في مراقبة الله فيما فعل، ولهذا أضفوا على المستبد صفات الله، كولي النعم، والعظيم الشأن، والجليل القدر، وما إلى ذلك، وما من مستبد سياسي الا يتخذ له صفة قدسية يشارك فيها الله تعالى، أو تربطه برباط مع الله، ولا أقل من أن يتخذ بطانة من أهل الدين، يعينونه على ظلم الناس باسم الله والدين.

وقد كان الكواكبي في هذا يقرأ نتائج القرائح الاوربية، التي كتبت ضد الاستبداد، وينظر الى الدولة العثمانية، فيطبق عليها آراءه واحكامه ومطالعته.

واشار محمد سعيد العريان في مهرجان الكواكبي بدمشق الى تأثر الكواكبي بما كان يجري في بلاط القياصرة في روسيا وغيرها، ومقارنتها باستانبول فقال : (١)

(ومن تلك الصور التي كانت تتداعى للناس في مرآة الحوادث، خلال ذلك النصف الثاني من القرن الماضي، وكانت تتداعى لأعين الناس صورتان متشابهتان أعظم التشابه، احدهما في بلاط السلطان عبد الحميد، والأخرى في بلاط الغير).

(اما في بلاط السلطان عبد الحميد فكان الخليفة الذي يزعم أنه باسم الله يحكم ويستبد ويسيطر، وبأسمه يخنق ويفرق ويحرق، وباسمه يظلم ويفتك ويهتك، ومن حوله ذو لحى وعمائم، بينهم أبو الهدى الصيادي، يزعمون للخليفة ولأنفسهم، وللناس، أن هذا اللون الفاسد من الحكم، هو شرع الله، وهو الدين، وباسم الله وباسم الدين يجب ان يذل الناس، وأن تطاطب الرؤوس وان يعيش البشر، كالرقيق او كقطعان الماشية، ليس لها حرية ولا رأي ولا ارادة، لان الحرية والرأي والارادة هي حق الخليفة الجالس على عرش الله وحده، وليس لها عزة ولا كرامة ولا نعمة، لان العزة والكرامة والنعمة حق أبي الهدى الصيادي، دون سائر المحكومين من رعية الخليفة).

هذه الصورة في بلاط السلطان عبد الحميد لعهد الكواكبي كانت تقابلها صورة اخرى مشابهة في بلاط قيصر روسيا.

كان ثمة القيصر وكان في بطانته راسبوتين، وكان الخنق والاغراق والاحراق، وكان السفك والفتك والهتك، وكانت الشهوات والمبازل، وكان الملايين من المحكومين كالرقيق او قطعان الماشية بلا حرية ولا رأي ولا ارادة، وبلا عزة ولا كرامة ولا نعمة، وكان ذلك كله بفتوى راسبوتين، هو الدين وهو شرع الله، وكان القيصر هناك مثل السلطان هنا، هو ظل الله على الارض.

من هاتين الصورتين المتقابلتين في استنبول وبطرسبورج كان تقاوج اراء وكان اصطخاب مذاهب وكان ازمة العقيدة التي زلزلت ايمان الملايين بالله وبالديانات وانشأت الخصومة بين الدين والحرية.

(٢) كما ذكر احمد نجيب هاشم في المناسبة ذاتها كيف كان الكواكبي يجتمع بتلاميذه ومريديه يوميا في قهوة «سبلند بار» فيبحث فيهم من روحه وافكاره التحررية وكانت حلقة تلاميذه في ازدياد مستمر يجتمع فيها المريدون على اختلاف اديانهم يجمعهم حب الوطن الذي هو اصل من اصول العقائد والأديان.

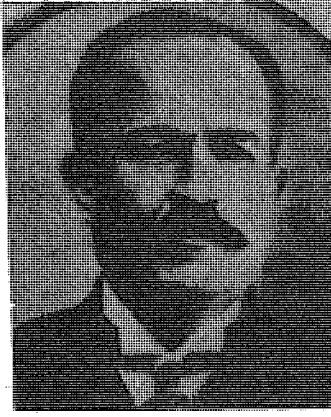
اما نشاطه الآخر فتمثل في المقالات التي نشرها في الصحف المصرية وضمنها رأيه في وجوه اصلاح المجتمع العربي والاسلامي وقد جمع هذه المقالات فيما بعد في كتابين اسم احدهما (طبائع الاستبداد) والآخر (ام القرى).

والكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) يهدف الى نقد الحكومات الاسلامية يتجلى ذلك في مباحثه التي تدور حول تعريف الاستبداد ونشأته وعداء المستبد للحق والحرية وعلاقة الاستبداد بالدين وخشية المستبد من العلم وارتياحه لشقاء الشعب وأثر الاستبداد في فساد الاخلاق وفقدان الثقة بين الناس وانعدام عاطفة الحب بين افراد المجتمع واستحالة التربية الصحيحة في ظل الاستبداد مشيرا الى عناية الحكومات العادلة بتربية الامة بانشاء المدارس وتنظيم خططها وتدرج مراحلها الى المرحلة الجامعية والاكثار من المكتبات والاشادة بالتوايع وتشجيع الاندية والمسارح ثم وسائل التخلص من الاستبداد.

فهذا الكتاب الذي يتحدث في جرأة وصراحة عن الاستبداد في عصر يسوده الاستبداد، واذا كان الكتاب في ظاهره

(١) مهرجان عبدالرحمن الكواكبي - المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ١٩٦٠ - من كلمة تأبينية للاستاذ محمد سعد العريان في ذكرى الكواكبي بدمشق.

(٢) سبلند بار، مكان شهير في وسط القاهرة يرتاده الراغبون بتعاطي المشروبات الروحية، وعشاق جلسات السمر والسهر، ولا يزال على حاله الى الآن.



جورجي زيدان



عبد الرحمن الكواكبي



جمال الدين الأفغاني

نقد للحكومات الاسلامية، فهو في باطنه تبصير للشعوب الاسلامية والعربية بواقعهم المؤلم وإيقاظهم للثورة على الاستبداد والمستبدين .

وقد كانت العلاقة وثيقة بين عبد الرحمن الكواكبي وبين الخديوي عباس حلمي الثاني ، الذي طمع في منافسة عبد الحميد، فقرب اللاجئين السوريين الى مصر، وأكرم الكواكبي الذي أثنى عليه كثيراً في مقدمة كتابه «طبايع الاستبداد»، كما قام برحلة طاف فيها بالبلاد العربية بايعاز منه للدعاية له بشأن حصوله على الخلافة الاسلامية، كما كرر الكواكبي مديحه للخديوي عباس حلمي الثاني وأعلن عن اختياره للقاهرة مركزاً في كتابه «أم القرى» على ان مصر دار العلم والحرية، خصوصاً وان «جنابه السامي» من آل بيت حازوا بين سائر ملوك الأمم وأمرائها قصب السبق في الاطلاع على أحوال الدنيا، فاجتهدوا في الترقيات السياسية والعمرانية والعملية والتنظيمية والمدنية على حد تعبير الكواكبي .

ولكن الكواكبي مات في الرابع عشر من يونيو ١٩٠٣م بالقاهرة عقب عودته من زيارة لعباس حلمي الثاني نفسه . (١)

ومن الأخطاء الهامة ان جمال الدين الافغاني (١٨٣٩ — ١٨٩٧م) كان يدعو الى (توحيد البلاد الاسلامية تحت راية دولة واحدة) .

فقد كتب جرجي زيدان «يؤخذ من مجمل اقواله — أي الأفغاني — ان الغرض الذي كانت تصونحوه اعماله والمحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في سائر اقطار العالم في حوزة دولة واحدة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى . (٢)

وقبل سنوات نشر الدكتور عبد اللطيف حمزة مقالا تحت عنوان «الجامعة الاسلامية والجامعة العربية» قال فيه : اقترنت فكرة الجامعة الاسلامية بظهور جمال الدين الافغاني ، الذي يقول المؤرخون انه جاء يبشر بدولة اسلامية عريقة في ظل خلافة عثمانية .

وخلال نصف القرن الذي مضى بين كتابة جرجي زيدان وبين كتابة عبد اللطيف حمزة نشرت مئات ومئات من الكتب والمقالات التي تكرر وتردد هذه الرواية بشتى المناسبات ومختلف العبارات .

ولكن من يراجع المصادر الاصلية ، فيستعرض مقالات «العروة الوثقى» ويعين النظر فيها لا يجد فيها ما يؤيد الرأي المذكور بوجه من الوجوه .

ففي العدد التاسع من «العروة الوثقى» ص ١٤٦ مقالة بعنوان «الوحدة الاسلامية» ويبدو العنوان للوهلة الاولى مؤيدا للرواية الآتفة الذكر ولكن الآراء المسرودة في المقالة ذاتها لا تدل على ذلك ابدا كما يتضح من التفاصيل التالية :

(١) (مهرجان عبد الرحمن الكواكبي) من كلمة تأيينية في مهرجان الكواكبي بالقاهرة للاستاذ احمد نجيب هاشم ..

(٢) جرجي زيدان «مشاهير الشرق ج ٢ ص ٦١» .

”وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ“

(سورة الأنفال الآية ٤٦)

ثم يذكر كيف أظلت راية الاسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى الى توتكاني على حدود الصين في عرض ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء، ويصف ما كان للمسلمين من مكانة عالية في الحكم والعلم والعمران، وبعد ذلك يشرح كيف وقفوا في سيرهم، بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد ان كانوا فيها أساتذة العالم، وأخذت ممالكهم تنقص اطرافها، وتتمزق حواشيها، مع ان دينهم يفرض عليهم ألا يدينوا لسلطة من يخالفهم، بل الركن الأعظم لديهم طرح ولاية الأجنبي عنهم وكشفها عن ديارهم بل منازعة كل ذي شوكة في شوكته، ثم يتساءل: هل نسوا وعد الله لهم بأن يرثوا الارض وهم العباد الصالحون؟ وهل غفلوا عن تكفل الله لهم باظهار شأنهم على سائر الشؤون ولو كره المجرمون؟ وهل نسوا ان الله اشترى منهم — لاعلاء كلمته — أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؟

ثم يحيب على هذه الأسئلة بقوله: لا.. لا.. ان العقائد الاسلامية مالكة لقلوب المسلمين وحاكمة لارادتهم. وجاء في العقائد الدينية والفضائل الشرعية عامتهم وخاصتهم (١) ومع ذلك يبحث عن أسباب الضعف الذي اعترى المسلمين فيرى ان أعظم هذه الأسباب هو تحالف طلاب الملك فيقول: ظهر الفساد في نفوس أولئك الأمراء بمرور الزمان وتمكن من طباعهم حرص وطمع باطل، فانقلبوا مع الهوى وضلت عنهم غايات المجد المؤئل وقنعوا بألقاب الامارة وأسماء السلطنة وما يتبعها من مظاهر الفخفة وأطوار النفخة ونعومة العيش مدة من الزمان، واختاروا موالاة الأجنبي عنهم، المخالف لهم في الدين والجنس ولجأوا الى الانتصار به وطلب المعونة منه، على أبناء ملتهم، استيفاء لهذا الشبح البالي، والنعيم الزائل.

ألا قاتل الله الحرس على الدنيا والتهالك على الخسائس ما أشد ضررها وأسوأ أثرها، نبذوا كلام الله خلف ظهورهم وجحدوا فرضاً من أعظم فروضه، واختلفوا والعدو على أبوابهم، وكان من الواجب عليهم ان يتحدثوا في الكلمة الجامعة حتى يدفعوا غارة الابعاد عنهم ثم لم ان يعودوا لشؤونهم ماذا أفادتهم المغالاة في الطمع والمنافسة في السفاسف؟ أفادتهم حسرة دائمة في الحياة وشقاء ابدياً بعد الممات وسوء ذكر لا تمحوه الأيام.

وينتقل بعد ذلك الى الأحوال الحاضرة فيقول :

الانفاق والتضافر على تعزيز الولاية الاسلامية من أشد أركان الديانة المحمدية (٢) والاعتقاد به من أوليات العقائد عند المسلمين لا يحتاجون فيه الى استاذ يعلم، ولا كتاب يثبت ولا رسائل تنشر.

إن عامة المسلمين فضلاً عن علاهم تتصاعد زفرائهم وتفيض عينهم من الدمع حزناً وبكاء على ما أصاب علتهم من تفوق الآراء وتضافر الأهواء ولولا وجود الغواة من الأمراء ذوي المطامع في السلطة بينهم لاجتمع شرفهم بغربهم وشمالهم بجنوبيهم ولبي جميعهم نداء واحداً. ان المسلمين لا يحتاجون في صيانة حقوقهم الا الى تنبه افكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع واتفاق ارائهم على القيام به عند لزومه وارتباط قلوبهم الناشئ عن الاحساس بما يطرأ على الملة من الأخطار.

وبعد التوسع في هذا الموضوع يخاطب رجال المسلمين مما يلي :

(١) المقطعات المذكورة في هذا البحث منقولة عن الطبعة الثالثة من « العروة الوثقى » التي نشرتها المكتبة الأهلية ببيروت سنة ١٩٣٣ م.

(٢) الشيخ رشيد رضا — « تاريخ الامام محمد عبده » الجزء الاول ص ٣٠٧.

أيا بقية الرجال ويا خلف الأبطال ويا نسل الاقيال هل ولي بكم الزمان؟ هل مضى وقت التدارك؟ هل آن أوان اليأس؟

لا، لا معاذ الله ان يقطع أمل الزمان منكم ان من أدركه الى بيشاور دولاً اسلامية متصلة الاراضي متحدة العقيدة يجمعهم القرآن لا ينقص عددهم عن الخمسين مليوناً وهم ممتازين بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة أليس لهم ان يتفوقوا على النهضة والاقدام كما اتفق عليهم سائر الامم؟ ولو اتفقوا وليس ذلك ببدع منهم فالافتاق من اصول دينهم هل أصاب الخدر مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم البعض؟ أليس كل واحد ان ينظر الى اخيه بما حكم الله في قوله: «انما المؤمنون» أخوة فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب.

وبعد العبارة الأخيرة مباشرة يسارع الى توضيح ما يقصده من كلمة الوحدة فيقول: لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الارض في الجميع شخصاً واحداً فان هذا ربما كان عسيراً، ولكنني أرجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهد لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته وبقائه وبقاءه. الا ان هذا يعود كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات.

وبعد ذلك يكرر «هذا أوان الاتفاق. هذا أوان الاتفاق». ويلاحظ مما سبق: ان جمال الدين الافغاني في مقاله هذه كان بعيداً جداً عن التفكير في جمع المسلمين في حوزة دولة واحدة.

وفي «العروة الوثقى» مقالة أخرى تتصل بموضوعنا هذا إتصلاً وثيقاً هي المقالة التي كتبها بعنوان «إنحطاط المسلمين وسكوتهم وسبب ذلك» ص ٨٥ ويصدر الافغاني هذه المقالة بالآية الكريمة التالية:

«وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾»

(سورة آل عمران الآية ١٠٣)

ثم يقول فيها:

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريتهم وبعيدهم، ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين على كل واحد منهم، إن لم يقيم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الاثم، ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب، ولا يباح المسالمة مع من يغالبهم في حال من الأحوال، حتى ينالوا الولاية الخالصة لهم، من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم، على من يخالفهم، الى حد لو عجز المسلم عن التخلص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه، وهذه القواعد ثابتة في الشريعة الاسلامية، يعرفها أهل الحق، ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل مكان.

«المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف بين جنبه يذكره بما تطالبه به الشريعة، وما يفرض عليه الأمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم».

ثم يقول: «.. لم يبق من جامعة المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الاعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل. فالعلماء، وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا

تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غفلة عن حال العالم الحجازي فضلا عما يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين احدهم وآخر اما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لا أنساب بينهم وكل نظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذلك الهجران بين العلماء كذلك بين الأمراء والولاة من المسلمين «أليس من العجيب ان لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانين وغيرهم من طوائف المسلمين في الشرق» .

«حتى التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح ان يقال : لا علاقة بين قوم منهم وقوم، ولا يلد الا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع اقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحج العام، وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الأسف وانقباض الصدر، اذا شعر مسلم بضياء حق على يد أجنبي عن ملته لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته» .

ويلاحظ من كل ما سبق ومن كل ما ورد في هذه المقالة أن ما يطلبه الافغاني لا يتعدى حدود التعارف والتعاقد والاتفاق وتبادل السفراء .

«والعروة الوثقى» تتناول هذه المواضيع في مقالات كثيرة أخرى وفي كل تلك المقالات تلتزم خطة مماثلة لما سبق وصفها آنفاً — من حيث الأساس :

ان مقالات «العروة الوثقى» تستنهض هم الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً للتخلص من الحكم الأجنبي وتدعو الى «الاتفاق» بين سلطنة ايران وامارة الافغان من ناحية وبين ايران وآل عثمان من ناحية ثانية، وبين جميع هؤلاء وبين الروس من ناحية ثالثة.. لطرد الانجليز من مصر ومن الهند ولكنها لا تدعو الى اتحاد بين الدول الاسلامية، ناهيك عن الدعوة للوحدة الاسلامية تحت راية خليفة إسلامي واحد!

ونستطيع أن نؤكد: انه لا يوجد في «العروة الوثقى» اي بحث يؤيد مزاعم القائلين بان جمال الدين الافغاني كان يدعو الى توحيد البلاد الاسلامية تحت راية دولة واحدة .

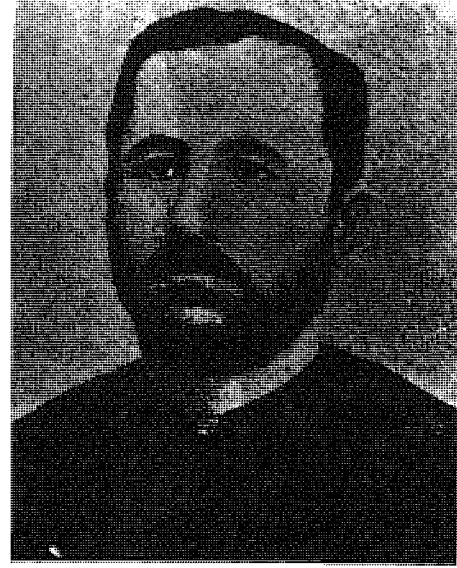
وقد يخطر على البال سؤال ألا يمكن ان يكون الافغاني قد دعا الى ذلك بعد نشر «العروة الوثقى» او ان يكون فعل ذلك شفهيًا في اجتماعات سرية؟

وهذا الاحتمال حملنا على استقصاء الأمر عن كتابات المتصلين به اتصالاً مباشراً، اذ راجعنا تاريخ الامام محمد عبده الذي ألفه الشيخ رشيد رضا صاحب المنار وقفنا فيه على العبارات الآتية :

«أما ما اشتهر عن السيد جمال الدين الافغاني من كونه يريد بالجامعة الاسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فلم أره في شيء من «العروة الوثقى» ولا في غيرها مما كان يرويه عنه الاستاذ الامام وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله بل قال في المقالة التي وضع لها عنوان «الوحدة الاسلامية» التي نشرت في العدد التاسع من «العروة الوثقى»: لا أتمس بقولي هذا ان يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً فإن هذا ربما كان عسيراً ولكن أرجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهد لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته وبقائه بقاءه الا ان هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات. (١)

ومن المعلوم أن الشيخ رشيد رضا كان من أخص تلاميذ الامام محمد عبده وأعز أصدقائه وأهم مؤرخي حياته وجامعي أرائه، والنص الصريح الوارد في كتابه الآنف الذكر في هذا المضمار، لا يترك أدنى مجال للشك في أن ربط

(١) على عادة الماسونيين اعتاد الأفغاني أن يطلق تعبير «الديانة المحمدية» بدلاً من كلمة «إسلام» اسوة بتعبير «المسيحية» كناية عن «النصرانية» .



محمد رشيد رضا

فكرة وحدة البلاد الاسلامية بتعاليم السيد جمال الدين الافغاني من الأخطاء الشائعة التي لا تتفق مع حقائق الأمور بوجه من الوجوه.

ولا شك في أن هذه الرواية تولدت من رغبة البعض في استغلال شهرة الأفغاني في تأييد الفكرة التي تخلوهم ومن اعتماد بعض المؤرخين والصحافيين على ما كتب وشاع دون العناية بأصول البحث العلمي.

ولعله من المفارقات الغربية التي تكمل سلسلة الألفاظ التي أحاطت بجمال الدين الأفغاني وسيرته أنه في الوقت الذي اعتبر في البلاد العربية رائدا من رواد الجامعة الاسلامية وداعيا للوحدة الإسلامية ومناوئا شديدا للنزعات القومية نرى أن نظرة المفكرين الأتراك اليه تعتبره في طليعة مروجي القومية التركية وخادميها.

إن «يوسف أقجوره» الذي يعتبر في طليعة فلاسفة «الطورانية» ينظر إلى الأفغاني باعتباره من أباء فكرة القومية التركية، ولذا نراه عندما استعرض مراحل نشوء الفكرة القومية عند الأتراك، في «القومية التركية» (ترك بيلليفي)، التي نشرها عام ١٩٢٦م، خص جمال الدين الأفغاني بفصل هام، وأشار فيه إلى مقالته الفارسية ضمن مجموعته «مقالات جالية» والتي تناول فيها موضوع القوميات وصدرها ببضعة أسطر عربية هذا نصها:

(لا سعادة الا بالجنسية (أي القومية) ولا جنسية إلا باللغة ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج إليه طبقات أرباب الصناعات والخطط)

وهذه العبارات صريحة في مخالفتها لما عرفه العرب من آراء جمال الدين الأفغاني في «العروة الوثقى» والتي اعتبر فيها النعرة الجنسية في مكانة الشريعة الاسلامية.

ولم يكن يوسف أقجوره وحده من بين مفكري ودعاة القومية التركية الذين تأثروا بجمال الدين الأفغاني بل إن محمد أمين «شاعر الترك» وصاحب ديوان أشعار تركية الذي نبذ العروض وتغنى بمجد الأتراك قال: (كان السيد جمال الدين الأفغاني يقبل الزوار يومي الجمعة والاحد من كل أسبوع وأنا كنت من أوظب المواطنين لزيارته وأستطيع القول أنه هو الذي جبل شخصيتي المعنوية وإذا كنت أؤمن بالأرواح الأبدية لا أتردد في القول بأن الأستاذ العظيم إذا ترك لحمه وعظمه إلى التراب في مقبره فانه أهدى روحه إليّ أنا، إن روح جمال الدين لا تزال تعيش في أنا).

وعرف عن محمد أمين انه كان يحفظ الكثير من أقوال الأفغاني ويرددها وكأنها أحاديث نبوية شريفة وكان يفاخر بأن الأفغاني أعجب بالكثير من أشعاره وشجعه على المثابرة في نظم أمثاله.

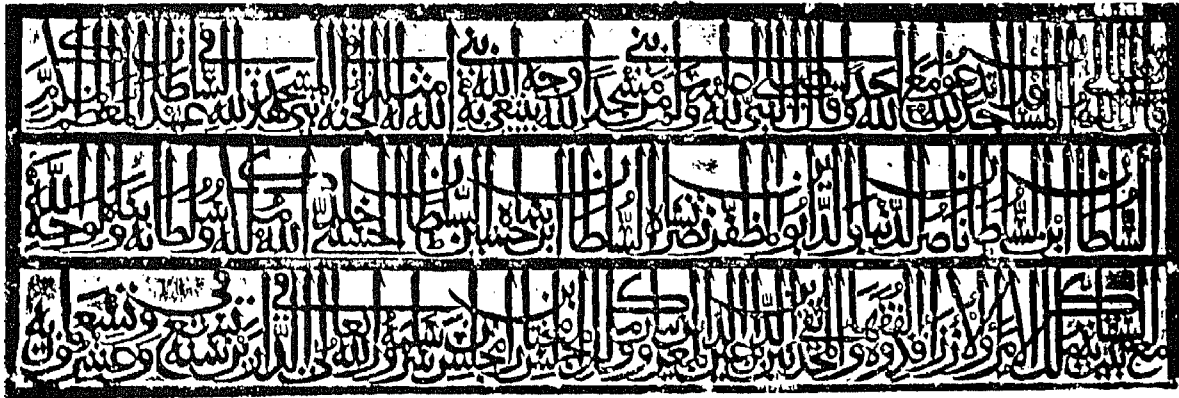
ولقد تطرق ساطع الحصري إلى هذا التناقض في موقف الأفغاني من القومية والاسلام فقال: (أعتقد أن ما جاء في مقالة جال الدين الأفغاني «الفارسية» عن القومية يكفي لظهار الخطأ الذي كان تورط فيه في مقالاته المنشورة في «العروة الوثقى» عن الجنسية والديانة والاسلامية ولذلك لا أرى داعياً لإطالة البحث في هذا المضمار).

ولعل من طريف ما يذكر ان مترجماً مصرياً محترفاً (محمد رفعت) أقدم في عام ١٩٢٢م على ترجمة كتابه «الدولة والثورة» للنين، رئيس الجمهورية الروسية آنذاك تحت عنوان (مذكرات لينين عن الحرب الأوربية ماضيها وحاضرها) وقد ذكر المترجم أنه قام بترجمته للكتاب (انسجاماً مع نزعته الوطنية العثمانية أو «الجامعة الشرقية» لأن لينين هو العدو الألد لدول الاستعمار وهو مع تركيا وله فضل عظيم عليها).

كانت الدعوة «للتغريب» وهي نقيض الدعوة للجامعة الاسلامية وقد تمثلت مشكلة التغريب بالحضور الثقافي الأوربي على يد من تلقوا العلم في الغرب وبينهم عدد من الكتاب المسيحيين أمثال: منصور فهمي ومحمود عزمي وشبلي الشميل وسلامة موسى وفرح انطون وفارس نمر وجرجي زيدان.

وتلقى هؤلاء تشجيعاً ودعماً من إدارة الانتداب البريطاني أو الفرنسي وتمحورت القضايا التي طرحت حول تأسيس الدولة على أسس عصرية، أي فصل الدين عن الدولة، ومحاربة الداعين إلى العربية العامية، والمتحدثين عن حضارات اقليمية خاصة لكل شعب عربي، كالفينيقية، والفرعونية، والأشورية، والبربرية، إلى جانب دعوة البعض منهم إلى المزج بين المدنية الغربية والمدنية العربية، أو بين العقل الأوربي والقلب العربي، بحيث نأت الافهام والقرائح عما يمت بصلة إلى شعار «الجامعة الإسلامية». (١)

وإذا كان المشرق العربي تحت النفوذ المباشر للدولة العثمانية، بعكس المغرب العربي وشمال أفريقيا فإن نظرة سريعة نلقيها على الواقع الثقافي، في كليهما، اليوم، ترشدنا إلى المسؤول الحقيقي عن أزمة اللغة العربية، فبينما تنعم أجيال المشرق بلغة الضاد الفصحى، ما زالت الجهود المضنية تبذل في الجزائر وتونس ومراكش في سبيل التغريب والقضاء على الرواسب الاستعمارية، إلا أن الرسائل قد نجحت، والاعجاب بالفكر والثقافة الغربية، ومحاكاة المجتمعات الحديثة، مما أتاح للقوى الاستعمارية العسكرية تنفيذ خططها الاحتلالية بسهولة، وبأقل خسائر ممكنة، ذلك أن تشجيع الرسائل للغة العربية الفصحى، كان خطوة مرحلية للقضاء على الخلافة العثمانية، ولم تلبث معاهد الاستعمار أن سعت لنشر اللغات الأوربية.



(١) في لقاء صحفي مع المؤرخ الكويتي المعروف سيف مرزوق الشملان نشرته مجلة «المجتمع» الكويتية على عدة حلقات خلال شهر مارس ١٩٨٤م أبدى وجهة نظره في الدولة العثمانية فقال: «إن العثمانيين كانوا حاة لا غزاة ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها وقفت وقفة الأسد أمام الغرب ولولاها لاجتاح الغرب البلاد العربية. وكذلك قامت الدولة العثمانية بجهد كبير في نشر الاسلام في أوروبا، كما أنها وقفت بقوة أمام أطماع اليهود في أرض فلسطين، وذهب السلطان عبد الحميد ضحية رفضه منح اليهود فلسطين وطناً قومياً رغم إغراءات اليهود الكثيرة له، حيث خلع عن عرش الخلافة الإسلامية عام ١٩٠٩م.»

البَابُ الرَّابِعُ

المُواجهَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
وَمُخَصَّصِ الْخِلاَفَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ

الفصل الأول : مفاظ عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية

الفصل الثاني : استياء الصهيونية والإستعمارة بالاسونية العالمية واستقلال الإمارات الأُمنية

الفصل الثالث : الدعوة وتغيير الإمارات الأمنية لحماية مَصْرَمُ الخلافة .



الفصل الأول

مفظا عبق الحمى

على فلسطين والربا الاسلامى

لعل الموقف الذى وقفه السلطان عبد الحمىء من فلسطين والصمود الذى أبداه تجاه جمىء المحاولات التى بذلها زعماء الصهىونية العالمىة كافىان فى نظر الباحث العربى المسلم لتثمين دور السلطان عبد الحمىء فى الحفاظ على وحدة الأراضى الاسلامىة وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السىاسىة والمالىة والعسكرىة التى كانت تعاني منها الدولة العثمانىة إبان تلك الفترة، والتى استغلتها الصهىونية أبشع استغلالا لتنفيذ وعىءها له بأسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والاغراءات اليهودىة.

ولم يكن «تودور هرتزل» هو الوحيد الذى سعى لمقابلة عبد الحمىء وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهىونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهىونية إلى بغىءها، إلا بعد أن نجحت فى مخططها لابعاد عبد الحمىء، عن عرش الخلافة الاسلامىة.

وقد روى الشىخ طه الولى (١) أنه زار، مع أخىة فؤاد الولى، - قبل وفاته - فى ١١ أىلول (سبتمبر ١٩٦٧) الشىخ على شىخ العرب، فى بىءه بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية :

كان ذلك عام ١٩٠١ م ونحن فى قصر يلندز باستانبول، وإلى جانبى الشىخ محمود الجىزاوى امام جامع العرب فى دار السعادة، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمىر المؤمنىن السلطان عبد الحمىء الثانى فاستقبلهم تحسنى باشا رىس الكتاب وهم :

- مزراحى قراصو ملىر أحد البنوك

- جاك ولم أعد أذكر باقى اسمه

- لىون ولم أعد أذكر باقى اسمه

وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفىا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ :

- الوفاء بجمىع الديون المستحققة على الدولة العثمانىة.

- بناء أسطول لحماية الدولة.

- تقديم قروض بخمسة وثلاثىن ملىون لىرة ذهبىة، دون فائدة، لانعاش مالىة الدولة وانماء موارءها.

مقابل :

(١) الشىخ طه الولى، عالم وبحاءة لبنانى فاضل، يعمل أمىنا للمكبة العامة بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامىة فى الكرىء، أما شقىبه فؤاد فقد كان رحمه الله، استاذا للتارىخ فى كلىة التربىة والتعليم بمىنة طرابلس الشام بلبنان.



موسى كاظم أفندي :
«العالم الباطني» الذي أفتى بخلع
عبد الحميد متواطئاً مع الماسونيين



لقطة تاريخية لادخول السلطان عبد الحميد خطه مواجه للماسونيين الأربعة الذين خلعوه عن الخلافة وبينهم
اليهودي قره صو، والأرمني آرام والأرناؤوطي طوبطائي والكرجي حكمت.

— اباحة دخول اليهود الى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

— السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس، أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه : قل لهؤلاء اليهود الوقحين :

— ان ديون الدولة ليست عارا عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

— ان بيت المقدس الشريف افتتحه للاسلام أول مرة سيدنا عمر (ر) ولست مستعدا أن أتحمّل تاريخيا وصمة بيع

الأراضي المقدسة لليهود وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

— ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتسب وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام.

وأخبرهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

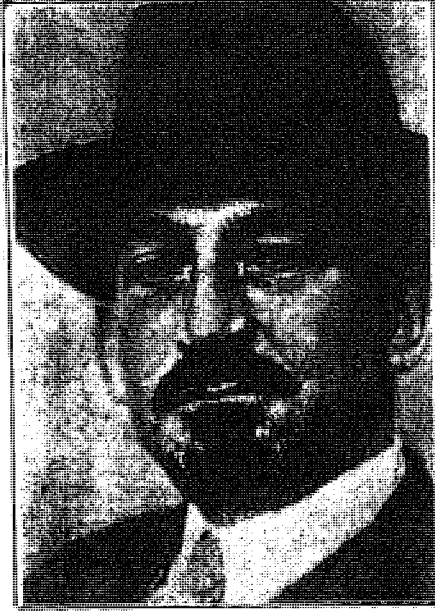
ويستمر الشيخ على شيخ العرب في روايته فيقول : ان عبد الحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم الا الزائرون لمدة محدودة.

ويقول : ان اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدوغة» وهم المتظاهرون بالاسلام من يهود أسبانيا، فاطاحوا بعبد الحميد عام ١٩٠٨ ولم تكن «المشروطية» (٣) غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناذاة بـ «الارتجاعية» لاجراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبد الحميد الثاني لانتزاع موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين.

(٢) الشيخ علي شيخ العرب، أحد الشيوخ العرب الذين قرّبهم اليه السلطان عبد الحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٣) المشروطية، دعوة إلى اباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.



لقطة تاريخية لاجد زعماء «الاتحاد والترقي» يلقي خطاباً يتدد فيه بالسلطان عبد الحميد بعد خلعهم .
حاييم وايزمان : تحويل «الوكالة الصهيونية» الى دولة !

وقد بعث السلطان عبد الحميد برسالة إلى شيخه محمود أبو الشامات (شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق) بعد خلعهم من الخلافة، نشرتها مجلة «العربي» وجاء فيها: (١)

(انني لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية «الاتحاد والترقي» المعروفة باسم (جون تورك) وتهديهم اضطرت واجبرت على ترك الخلافة.

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً... (١)

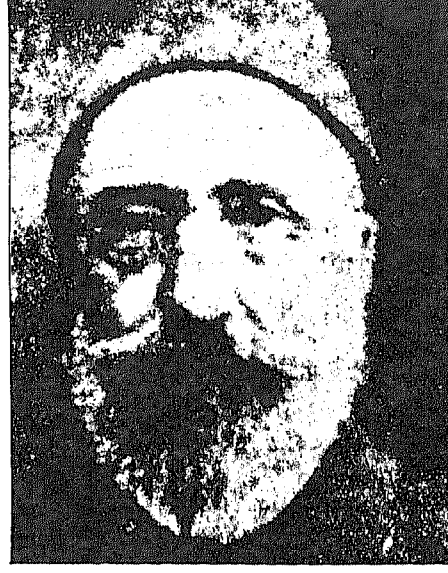
وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني انهم سيبعدوني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير..

وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا قد وجه مذكرة الى سفيره في الاستانة عام ١٨٤٠ قال فيها :

(٤) الارتجاعية، دعوة لتطبيق الشريعة الاسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ «الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارت الذي أدى إلى الاطاحة بحكم السلطان عبد الحميد بعد ان تم تدبير مجزرة كبرى في استانبول نسبت للارتجاعيين وصورت على انها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبد الحميد والانقضاء على المشروطية الثانية كما حصل في اعقاب المشروطية الاولى.

الا أن الوثائق اثبتت كما سوره في الباب القادم أنها تمت بتدبير من الاتحاديين والماسونيين والانكليز وقد وردت - اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من انور باشا وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني - ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد.



بن جوريون .. حوّل الحلم الى حقيقة

مدحت باشا .. مات قبل ان تنجح مؤامره ضد الخلافة

عبد الحميد الثاني في أوج قوته وسلطانه

«يقوم بين اليهود والمبعضين الآن في كل أوروبا شعور قوي بان الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعروف جيداً أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات كبيرة.. ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداداً كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود. فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل.

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الامبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الاقطار بقانون واحد بسيط منها».

وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الاستانة طالبه فيها باقناع السلطان باباحة هجرة اليهود وقال :

(سيكون مفيداً جداً للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوروبا وأفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين.

لكن اليهود يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فاني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حماية بريطانيا وإن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية).

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأميركي في الاستانة ليبدل نفوذه ومساعدته لدى السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصاً بعد قرار الولايات المتحدة الأميركية عام ١٨٨٢م وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبد الحميد اخفق في اقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام ١٨٨٧م بذلت فيها كل جهودها واغراءاتها المالية ووعدوها العلنية والسرية بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبد الحميد ثبت على رفضه القاطع.



طلعت باشا : «حكيم» الاتحاديين وأبرز محمود شوكت باشا : قائد الانقلاب نيازي بك : أحد الثلاثة الذين حكموا أنور باشا : اكتشف استغلال الصهيونية لمؤامرة الاتحاديين بعد فوات الأوان ! استانبول بعد عبد الحميد الثاني

وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية اثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار (مارس) ١٨٨١م وحلة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية ايواء بعض اليهود الممارين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا (١).

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية (البيلوا) في عام ١٨٨٢م من ايصال ٢٠ مستعمرا يهوديا إلى فلسطين اعتبروا (رواد) الهجرة اليهودية وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلا ذريعا ولولا مساعدات البارون ادمون دي روتشيلد لماتوا جوعا ومرضا.

وقيل أيضا ان السير موسى مونتيفوري خاطب ابراهيم باشا والى محمد علي على الشام ليمسح لهم بهجرة اليهود الى فلسطين، وأبدى استعدادا لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن ابراهيم باشا رفض هذا العرض.

وفي عام ١٨٩٦م اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على اذن لمقابلة مع قيصر المانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، اذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزا، وتستطيع أن تلعب دورا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال اذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حي القيصر.

وعندما أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مندوبا سريا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتححرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن — كما جاء في مذكراته — مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبد الحميد رفض العرض.

وقد أرسل «المسيو كريسي» (١) مقالا حول القضية الصهيونية يشير فيه الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي

(١) انظر: د. صالح مسعود بويصير — «جهاد شعب فلسطين» — رسالة دكتوراه بالازهر — دار الفتح — بيروت.

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي المساء بقلم صحفي انكليزي يدعى (كريسي) وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣م ص ١٩

١٩٠٠ - ١٩٠١ قال كريسي :

(كان الدكتور هرتزل (١) في ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبي في جريدة «نيوفري» في فيينا، فأرادني أن أسمى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم (امبراطور ألمانيا) والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الامبراطور إلى فلسطين.

فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الاستانة أكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا (العابد) الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزارب من الذهب وقد قبلت أن أهتم شخصياً بقضية الدكتور هرتزل وخصوصاً أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ. وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الاسلام (جال الدين أفندي) وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فان هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدّمات باهرة واليك بيانها :

— ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في انحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ (إذا لم تخني الذاكرة) ٣٣ مليون ليرة انكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية.

وفي هذه الأثناء قبل (أي هرتزل) أن يعقد للدولة العثمانية قرضاً بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام. ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح).

يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ - ١٨٩١ م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاه «آحاد هاعام» (١٨٥٦ - ١٩٢٧ م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ - ١٩٠٤ م).

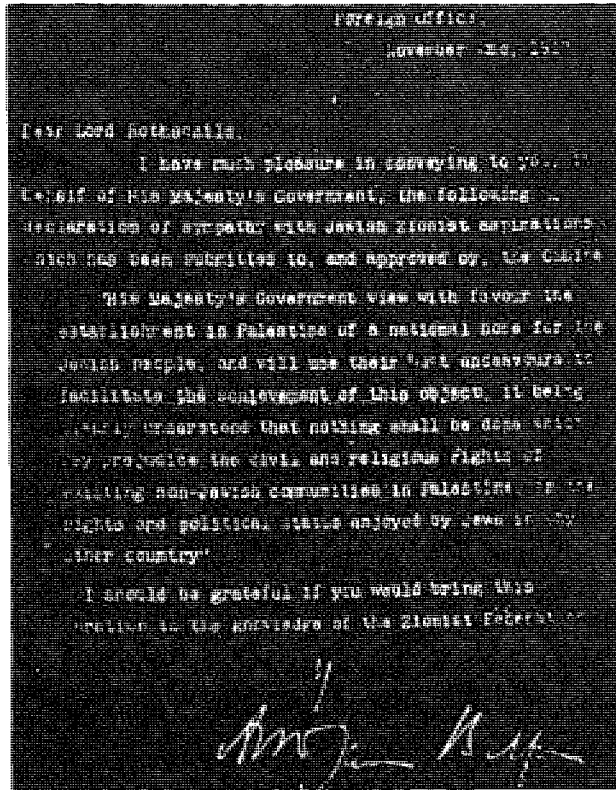
ورواد الصهيونية هؤلاء جميعاً يتفقون على فكرة الاستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام ١٨٩٥ م ما يلي : (يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكنم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بنهجير السكان المعدمين - الفلسطينيين - عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا - فلسطين - بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور) «يوميات هرتزل : ط ٢، بيروت ١٩٧٣ م».

وفي عام ١٨٩٨ م سئل هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترحة إقامتها في مؤتمر بال ١٨٩٧ م وما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال : (عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع). «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

أما الكاتب «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل» الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود : الماضي والحاضر والمستقبل» الذي

(١) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بودابست (١٨٦٠ - ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «ديريودنشتات» أي الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب (أغسطس) ١٨٩٧ م كما قابل السلطان عبد الحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين. والمعروف ان الصهيونية بقيت مفتقرة الى التخطيط حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.



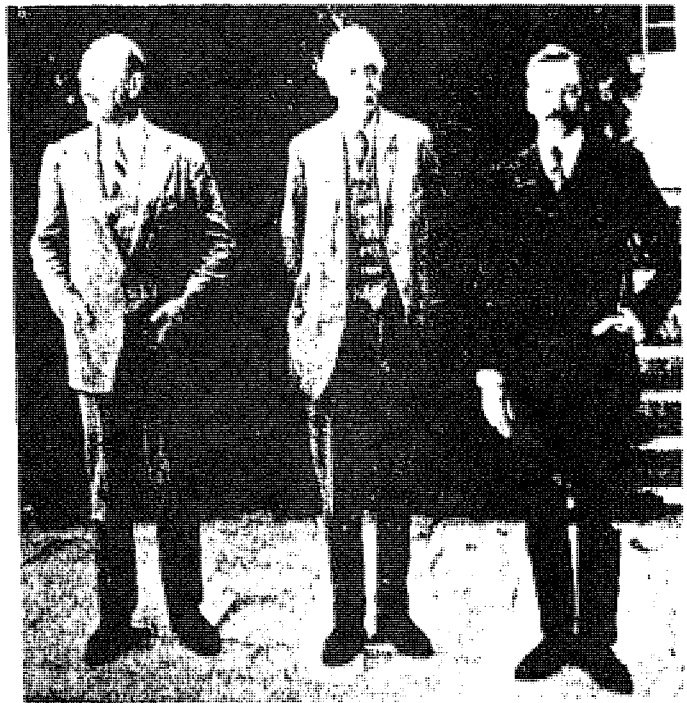
صورة وثيقة «وعد بلفور» ركيزة الكيان الصهيوني بفلسطين (فلسطين) والجنرال اللنبي «بطل» الصليبية الجديدة م!



— الثنائي الصهيوني البريطاني آرثر بلفور وونستون تشرشل في لقطة جامعة عام ١٩١٧م!



حاييم وايزمن ومجموعة من الصهاينة مع اللورد بلفور خلال الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٥م.



اللورد بلفور يتوسط السر هيربرت صموئيل (أول مندوب سام بفلسطين) والجنرال اللنبي «بطل» الصليبية الجديدة!

أصدره عام ١٩١٩م، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ومن جبال لبنان إلى نهر مصر (النيل)».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام ١٨٥٥م بقدم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني - قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية - وفي عام ١٨٧٠م أنشئ أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضاً بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام ١٩٠١م تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كاييت» تنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي. (١)

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني على يد الاتحاديين عام ١٩٠٩م أصدر «الاتحاديون» تشريعاً يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ - ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلادنا فلسطين: مصطفى الدباغ».

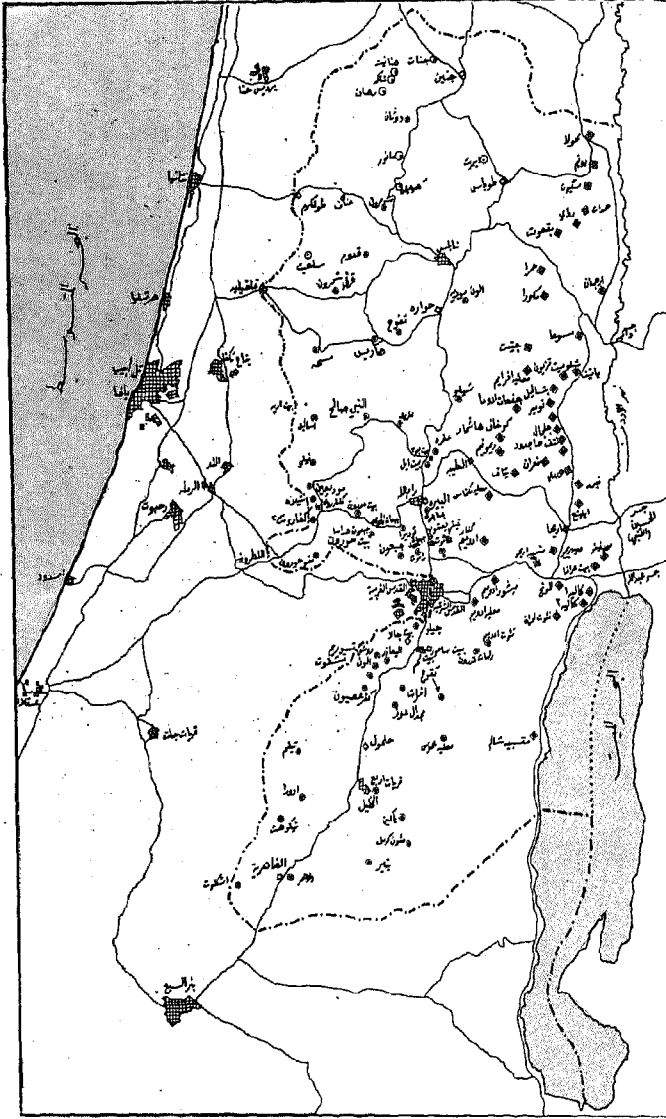
وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف» مونتفيوري، وقد نجح الصهاينة في تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ «سياسة الخطوة خطوة»، حتى إلتهمت «إسرائيل» غزة وسيناء والضفتين والجولان ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الخاصباني والليطاني واللوزاني ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزاً للـ «الخيبة العربية» التي جسدها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان (أبريل).

(١) لا يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتقر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم إنفصاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيته عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إنفصاحه لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأمريكي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائياً.

وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م حينما وقف الجنرال داويت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درساً بليغاً أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة - التي قد لا تحدثها «إسرائيل» - ثانية، مما حدا بهم لبرجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والأعلامية والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأمريكي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونة المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعائها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جرائهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتداب الفرنسي والانكليزي، ولعل الأشد إيلاً أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى الله وخشية العاقبة!

ولقد أكد الكاتب الأمريكي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءاً بحرب ١٩٤٨م، وحتى غزو لبنان ١٩٨٢م، بل حتى اليوم، لولا التورط الأمريكي التدريجي في الإنحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معزراً قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعاً أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأمريكي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبتها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام ١٩٤٨م دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد نوايا الشرق والغرب على قضيتنا العربية. الإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزت التضحيات.



مناحيم بيحن : «بطل» رسالته الارهاب والقتل !



أرييل شارون : «بطولات» في ذبح العزل

١٩٧٥م والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لاقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عصري. (١)

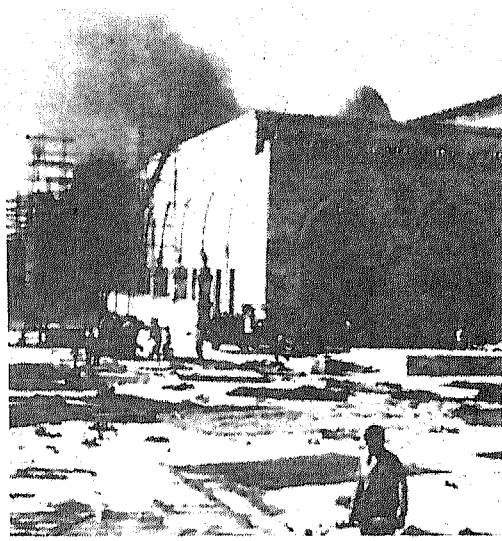
(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٧م كان اليسار العربي يقف جنبا إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الإتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقد هما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الاسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان إستنزاف قوى وطافات هذه المنطقة.

ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي - الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» «والعرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي - الاسرائيلي» منذ عام ١٩٥٦م حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبدالناصر وبن جوريون يدعوانهما فيسهما باسم «الحركة الديمقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «واسرائيل» ودول عدم الإنحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م أجهض تلك المحاولة.

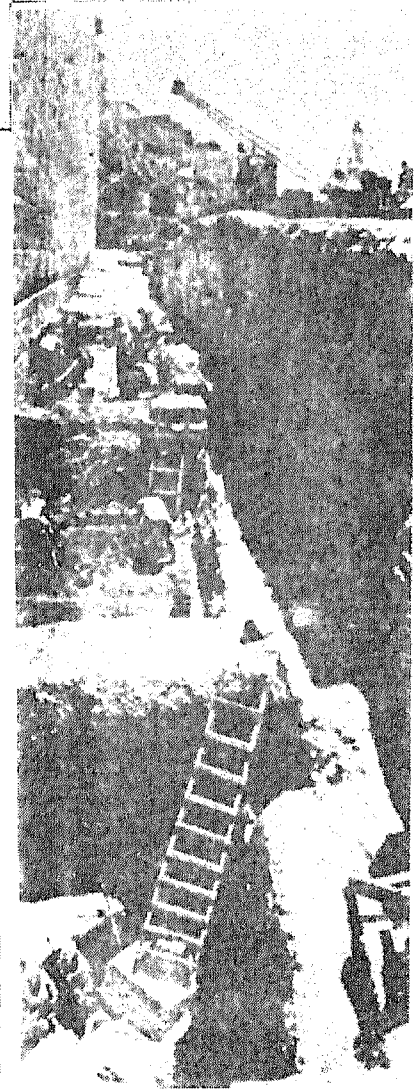
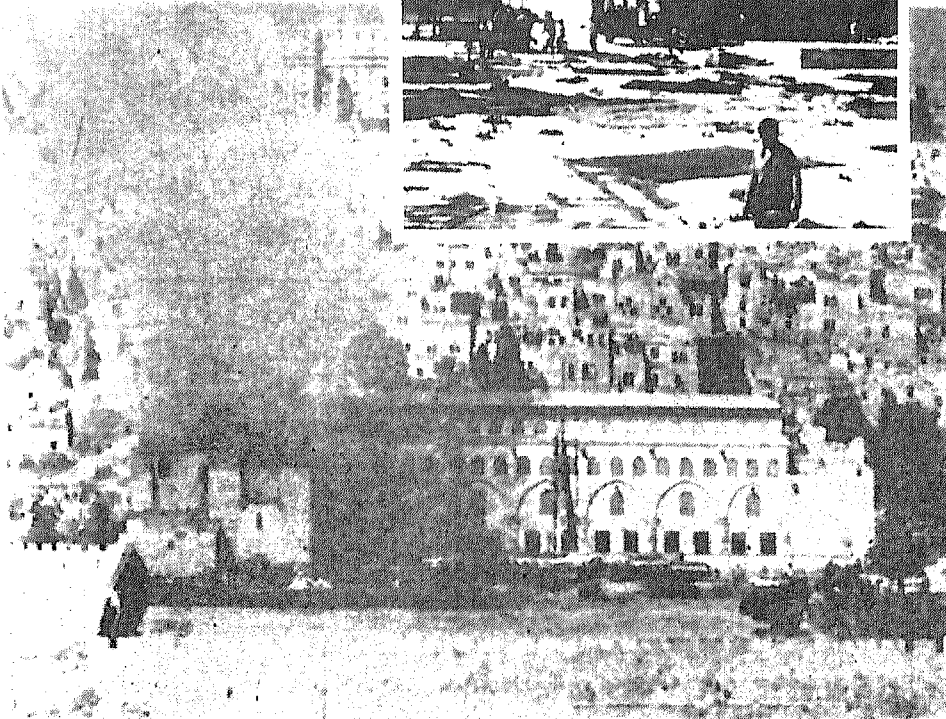
وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على اجيته «الاسرائيلية» لا نجد بينهم إلا الايدي العذرة المملوطة بالدماء، بل إن بن ضحايهم أبطالاً حقيقيين للسلام، وأوهم : «ناتان يالين - مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة إلى =



منظر عام للقدس



حريق المسجد الأقصى .. ماذا بعده؟



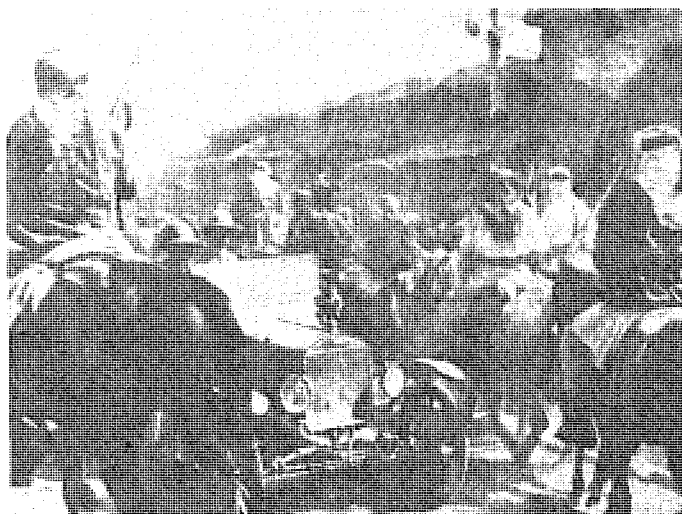
الحفريات «الأثرية» استهدفت تهديم الأقصى لبناء «هيكل سليمان» على أنقاضه .



الجيش العثماني ينسحب من القدس بعد حكم ٤ قرون
(١٥١٧ - ١٩١٧ م)



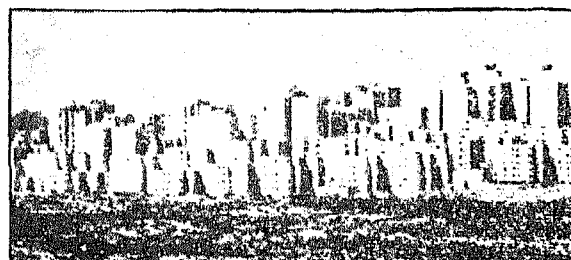
لقطة تاريخية نادرة لقيصر بروسيا غليوم الثاني في مدينة القدس خلال زيارتها
في عهد عبدالحميد



الحى اليهودي في القدس .. ثم مضطرد لالتهام عروبة وإسلام القدس



جنود بريطانيًا بقيادة النبي دخلوا القدس بمساعدة الأعراب !



المستوطنات الصهيونية في دولة الاحتلال الاسرائيلي حتى عام ١٩٨٣ م

ونشرت مجلة «المشرق» (١) تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الاستانة أيام عبد الحميد فقال:

(لما كان اللورد «غوش» الاسرائيلي (أي اليهودي) سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسوسونها كما يشاؤون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً عظيماً من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح).

وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام ١٩٠١م، ولكن عبد الحميد رفض مقابله وقال للصدر الأعظم:

(انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، أني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك الأمة الاسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروثها بدمائها فليحفظ اليهود بأموالهم وملائينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فان

فلسطين عام ١٩٤٨م! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو الخطير في عصابة «شترن» أيضاً، أما ثالثهم فهو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الاسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد نزوحه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبر شؤون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولاذاعة وتلفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبهين من رفاق هنري كوربال وبينهم: «كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، «وجوزيف حزان»، «وجويس بلو» و«ريون اسطبولي» و«وموريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتيا هوييليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية - «الاسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الخافلة عبر أنشطة عصابات «شترن» و«أرغون» و«الهاجاناه»، وتلك هي «الحماة الاسرائيلية» الودعة!!

وعلى الجانب العربي من عسانا نجد من أبطال «السلام».. إن تاريخ «الحوار العربي - الاسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في فلورنسا بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب - آنذاك - الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام ١٩٥٨م بترتيب من هنري كوربال الذي جمع فيه وفوداً من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي الحزب الشيوعي الاسرائيلي «راكاح» وبعد عدوان ١٩٦٧م إلتقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كوربال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية» و«حركة الضباط الأحرار» مع «كوربال» و«أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبدالناصر وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبدالناصر عام ١٩٧٠م

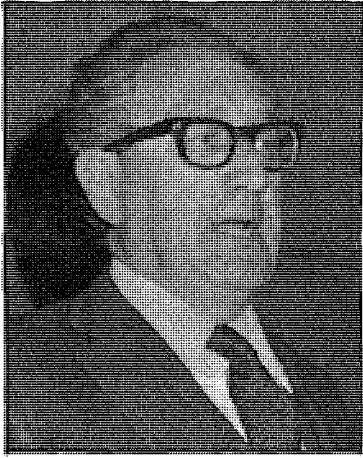
ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءاً بممثل المنظمة في لندن سعيد حامي الذي لقي مصرعه في يناير ١٩٧٨م ومروراً بنعيم خضر وبعز الدين قلبي اللذين إغتيلوا في أبريل ١٩٨٣م.

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في دكاكار «أبو خليل»، وكان عراب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولا شوايسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي بيار مندس فرانس الذي استضاف أطراف الحوار مراراً في قصره الصيفي.

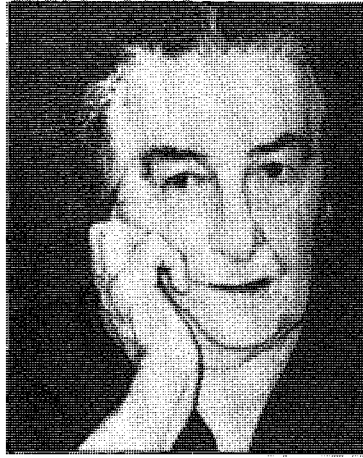
وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور ابراهيم ماحوس قبيل عدوان يونيو ١٩٦٧م باجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما إعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موسى دايان في الرباط ١٩٧٦م تمهيداً لعقد إتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن إغتيال أنور السادات عام ١٩٨١م.

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن إتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموارنة وقادة «العدو الاسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون إجتماعات حضرها بيار الجميل وولده بشير وأمين مع شخصيات «اسرائيلية» أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام ١٩٧٥م.

وقبلها كانت إجتماعات «الشونة» بين جولداماير والملك عبدالله التي أدت إلى إغتيال الملك عبدالله في المسجد الأقصى عام ١٩٥٠م. وهكذا نجد أن أقصى اليمين إلتقى مع أقصى اليسار في «حوار» وذي لترسيخ كيان «اسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفاً زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.



هنري كيسنجر : صهيوني في البيت الأبيض



جولدا ماير : تشجيع الهجرة والاستيطان والتوسع



ونستون تشرشل : ربط بريطانيا بمصالح الصهيونية

عمل المبعوض في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من الدولة الاسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريع أجسادنا ونحن على قيد الحياة). (١)

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان انذارا بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه :

«أما إذا رفض فسواصل البحث، وصدقني اننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

ووفقا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للترك فاذكروا ذلك دوما» (٢) وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين فوجهت انظار الحكومة لتبنيه الاهالي إلى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الاستانة ، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبدالقادر القباني ما يلي :

(٣)
«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس، لأن تلك الأقطار كانت لحداً لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بصالح الدولة والأمة معاً إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط).

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية بكفي ان نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في شرطين يومين منذ عام ١٩١٩ من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود وهم : روتشيلد، ومونتاغو، شارب وبيكلي، وجونسون.

(٢) انظر نص رسالة عبدالحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

(٣) تكررت في الآونة الأخيرة محاولات نفس المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي كما نجح الصهاينة في نفس العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى بفلسطين المحتلة كما هاجوا مؤخراً طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسؤولية أمام الله والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «ماتير كاهانا» زعيم حركة «كاخ» قد خيره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الإغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء والكنمان، وقال الشيخ العلمي أنه تعرض لأربع محاولات إغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

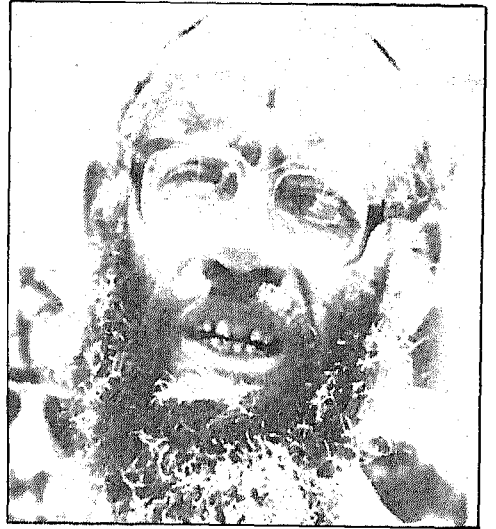
كما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب واضطهاد العلماء المجاهدين الذي يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم باحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشي دابان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من =

rich only set back by the peace agreement but which seems inevitable in the long run (15).
The Western front, which on the face of things seems more problematic in fact is more complicated than the Eastern front, in which most headline capturing events have been taking place recently. Lebanon's total dissolution into five provinces serves as a precedent for the entire Arab world including Egypt, Syria, Iraq and the Arabian peninsula and is already following that track. The dissolution of Syria and Iraq later on into ethnically or religiously unique areas such as Lebanon, is Israel's primary target in the Eastern front in the long run, while the dissolution of military power of those states serves as the primary short-term target. Syria will fall apart, in accordance with its ethnic and structural into several states such as in present day Lebanon, so that its coast will be a Shiite Alawi state, a Sunni state in the Aleppo area in Damascus another Sunni state hostile to its northern neighbor and the Druzes who will set up a state, also even in our Golan, and certainly in the Hauran and in northern Jordan. This state will be the guarantee for peace and security in the area in the long run, and that air is already within our reach today (16).
Iraq, rich in oil on the one hand and internally torn on the other, is a secure candidate for Israel's targets. Its dissolution is even more important for us than that of Syria. Iraq is stronger than Syria. In the short run it is Iraq over which constitutes the greatest threat to Israel. An Iraqi Syrian war, or an Iraqi Iranian one will tear Iraq apart and cause its downfall at home even before it is able to organize a struggle on a wide front against us. Every kind of inter Arab confrontation will assist us in the short run and will shorten the way to the higher aim of breaking Iraq up into denominations as in Syria and Lebanon. In Iraq, a provincial division on ethnic religious grounds as in Syria in the Ottoman times is possible. So, three (or more) states will exist around, be three major cities Basra, Baghdad and Mosul and Shiite areas in the south will separate from the Sunni and Kurdish north. It is possible that the present Iranian Iraqi confrontation will deepen this polarization (17).
The entire Arabian peninsula is a natural candidate for dissolution due to internal and external pressure, and the matter is inevitable especially in Saudi Arabia whether its economic might based on oil remains intact or whether it is eroded in the long run. The internal rifts and breakdown is a clear and natural process in light of present political structure. Jordan constitutes an immediate strategic target in the short run but not in the long run, for it does not constitute a real threat in the long run after its dissolution and the termination of the lengthy rule of King Hussein and the transfer of power to the Palestinians in the short run.
There is no chance that Jordan will continue to exist in its present structure for a long time and Israel's policy both in war and in peace ought to be directed at the liquidation of Jordan under the present regime and the transfer of power to the Palestinian majority. Changing the regime east of the river will also cause the termination of the problem of the territories densely populated with Arabs west of the Jordan, whether in war or under conditions of peace. Migration from the territories and economic demographic freeze in them, are the guarantees for the coming change on both banks of the river, and we ought to be active in order to accelerate this process, in the nearest future. The autonomy plan ought also to be rejected as well as any compromise or division of the territories far given the plans of the PLO and those of the Israeli Arabs themselves. The Shefar'am plan from September 1980, it is not possible to go on living in this country in the present situation without separating the two nations, the Arabs to Jordan and the Jews to the areas west of the river. Genuine co-existence and peace will reign over the land only when the Arabs understand that without Jewish rule between the Jordan and the sea they will have neither existence nor security. A nation of their own and security will be theirs only in Jordan (19).
Within Israel the distinction between the areas of '67 and the territories beyond them, those of '48 has always been meaningless for the Arabs and nowadays has no longer has any significance for us. The problem should be seen in its entire without any divisions, as since '67. Under any future political situation or military constellation it should be clear that the solution of the problem of

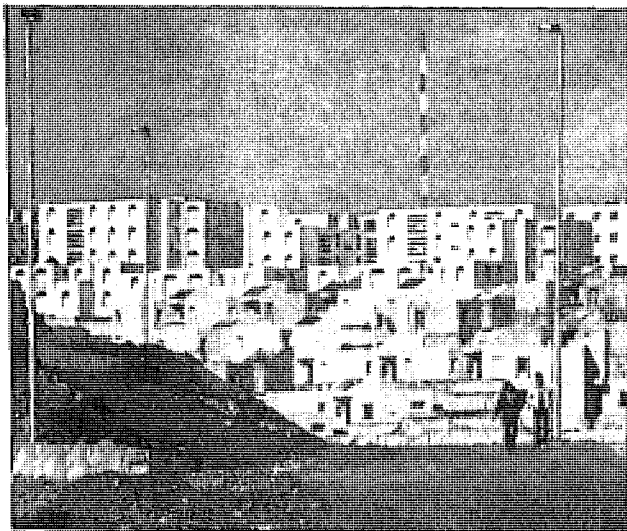


مائر كاهانا الحاخام الإرهابي الذي حاول مع زبانيته نفس الأقصى عدة مرات... كما هدر دم العرب!!

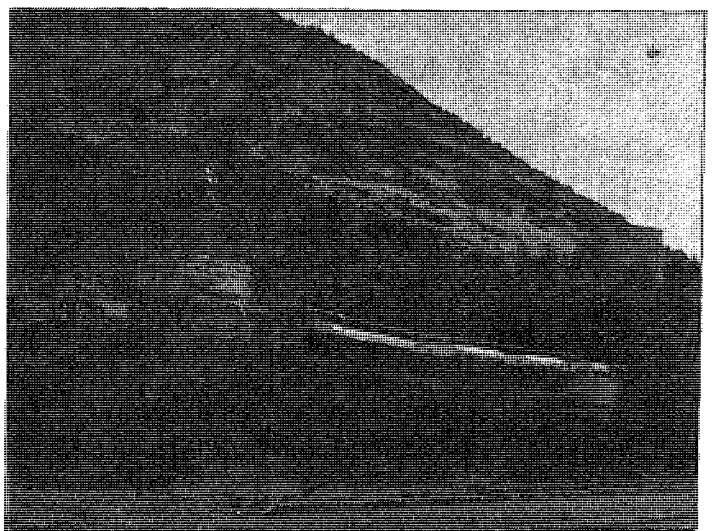


الحاخام رابي موشى ليفنر زعيم منظمة غوش اينوميم الإرهابية الصهيونية التي مارست «بطولاتها» على العزل والنساء والأطفال!

— صورة لاحدى صفحات وثيقة مهمة حول: استراتيجية (اسرائيل) في النماينات وتتضمن بعض المقاطع المهمة جدا.



المستوطنات «الاسرائيلية» انتشرت أخيراً في الضفة وغزة والجولان وتمركزت حول المقدسات الاسلامية



السفينة التي نقلت أول دفعة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين بعد استلام الاتحاديين للسلطة في استانبول ١٩٠٩م.

وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبد الحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢م وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل عبد الحميد دهائه السياسي لاجراء سيناء من ولاية مصر فأصدر (فرمان) التولية بحدود مصر دون اشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبد الحميد وكادت تعلن الحرب حتى اضطرت في ٨ نيسان (ابريل) ١٨٩٢م إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

ويقول عبدالرحمن الرافعي في كتابه (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية) أن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبد الحميد وأن الشواهد تشير إلى خشية من النفوذ البريطاني في مصر وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لاسكان اليهود في سيناء. (١)

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبد الحميد بدهائه السياسي البعيد تعتمد اثاره بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء واعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الانكليز واليهود الا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسمياً ودولياً.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود بالهجرة المحدودة فقط وليس اقامة وطن قومي في فلسطين — أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل — بعد فشل محاولته الأخيرة — الا أن يلجأ لسلح التهديد والوعيد صراحة.

ولم يكن السلطان عبد الحميد بفاقل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارساتها في الدول الكبرى ولكنه في الوقت نفسه لم يملك الا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي اخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

== فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو ١٩٨٤م نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صحيفة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!! كما كشفت صحيفة «النايمز» البريطانية وصحيفة «لومباتان» الفرنسية أن ضباطاً في الجيش «الاسرائيلي» يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» — أي جبهة المؤمنين — ستاراً لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الاسلامية بفلسطين!

(١) كلف فيليب م كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام ١٩٨٠م لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في «اسرائيل» يرئسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فرداً بينهم البروفسور حاييم بن شامار رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسوك كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانستر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، البروفسور سيمور ليبست استاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا. وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣٥ مليون يهودي في «اسرائيل» و ٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و ٢٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفاً، وفي جنوب افريقيا ١٣٠ ألفاً.

ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦٧ مليون عام ١٩٣٩م الى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م. وينتظر التقرير الى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجياً لدفع عرب الضفة الغربية الى اعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي الى مزيد من إضعاف الاقتصاد «الاسرائيلي» وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!

ويقول التقرير إن «اسرائيل» تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١ — اقامة سلام آمن.

٢ — ترتيب جبهتها الداخلية.

٣ — تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر «الدياسبورا».

كما يعترف التقرير بأن «اسرائيل» تجد نفسها حالياً محاصرة بعدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطراً داخلياً على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

الفصل الثاني

استياء الصهيونية والإستعانة بالماسونية العالمية

واحتفال الامتيازات الأجنبية

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب الله المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة اسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها (من الفرات إلى النيل). وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لاغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

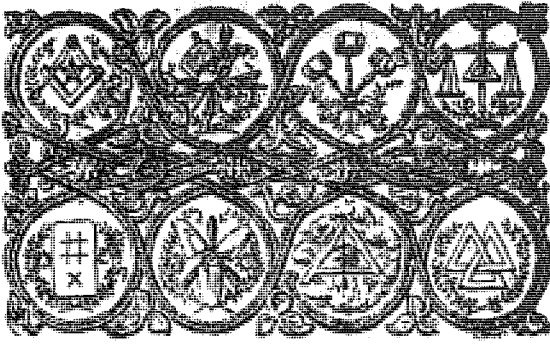
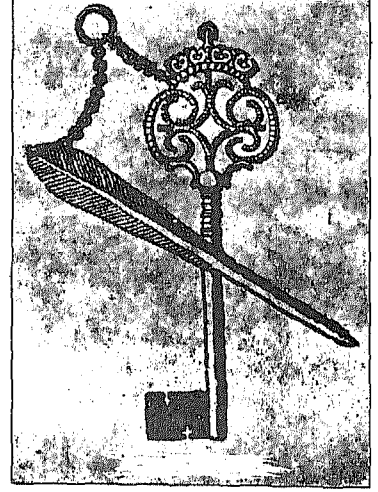
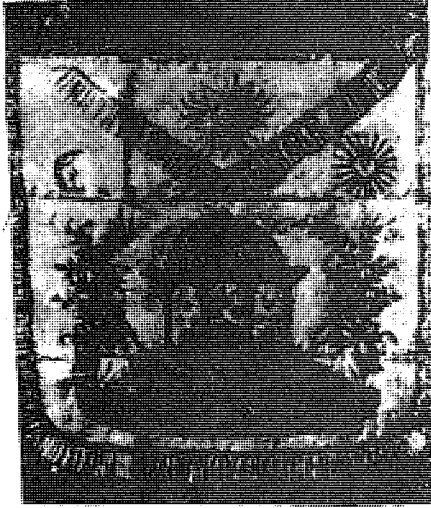
فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافلها الشرقية والغربية، وكانت السببة اليهودية الروسية (روكزيلان) التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم سلطان» أول بؤرة صهيونية وأول خرق للشريعة الاسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا حينما منح لقب (حامي النصارى العثمانيين) وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام ١٥٥٣م الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد. (١)

ولم يتوقف دور روكزيلان عند هذا الحد بل انها بعد زواج ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم ابراهيم باشا ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد (مصطفى) ابن صرتها، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم.

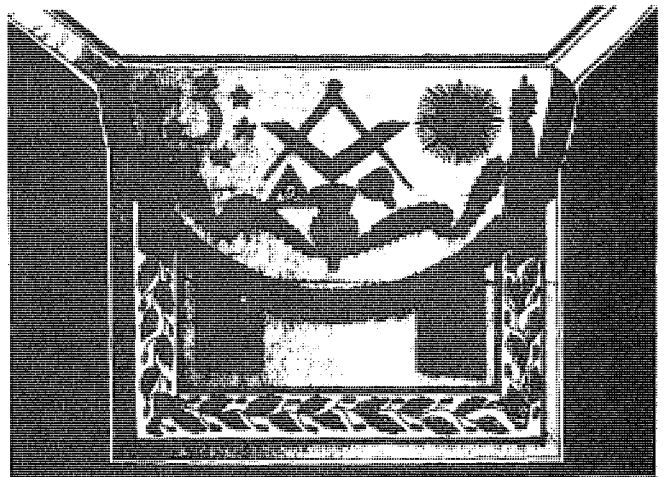
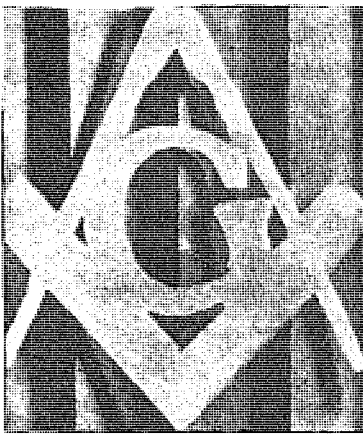
وكانت روكزيلان سبباً في استعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هرباً من ظلم القيصرية كما استعطفته ثانية لقبول ايواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفتيش الاسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول وجزر المتوسط وموانيء الشام ومصر، وهم الذين سببوا فيما بعد دمار الدولة العثمانية، فال خليفة عبد الحميد الثاني حفيد سليمان القانوني على يد اليهودي قره صو جزاء سمنار ولم يشفع له عند الصهيونية ازاء رفضه لعروض هرتزل، ما حققه البارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمال الخطوط الحديدية العثمانية ١٩٠٥م حتى أنه أوصي قبيل وفاته بانفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي لليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سمنار لخلفاء المسلمين، وقد أعطى قره صو أربعمئة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الايطالي وسلمها لثري اسمه (نجيب دراغا) الذي اعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على احداث مجزة ٣١ مارس (١) التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الايطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو بعدها بقوله: (ان الاتحاديين نفذوا بأربعمئة ألف ليرة انكليزية مالم ينفذه عبد الحميد بخمسة ملايين).

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانينات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة ورجال الاقتصاد الايطاليين بفضيحة بنك «امبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «رييتو كالفلي» قتيلا في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فرايز» في لندن عام ١٩٨٢م.

وقال بازينزا إنه يؤلف كتابين ويصور فيلماً عن أهم الفضائح السياسية مما سيحدث هزة كبيرة، والمعروف أن بازينزا يرتبط بصداقات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هيج وكبار الساسة في أميركا وإيطاليا، بحكم علاقاته القديمة مع الماسونية والمافيا وفروعها في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية!!.



الماسونية
شعارات
والفكاز
وموامرات





خير الدين باشا التونسي : كفاءة كبيرة استعان بها
عبد الحميد للإصلاح



نور الدين باشا : أحد أبطال الإسلام في عصر عبد الحميد



رؤوف أذرباي : أحد أمراء البحر الأبيض المتوسط وقائد
البارجة «حميدة»

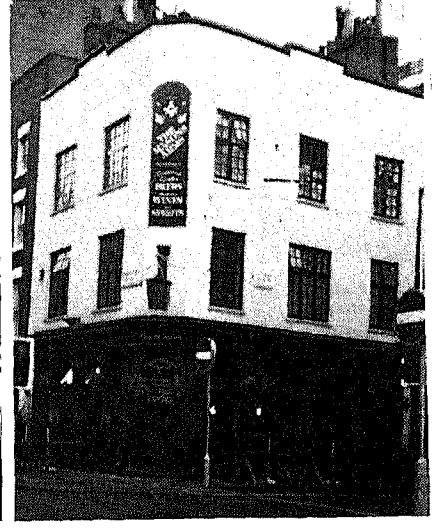
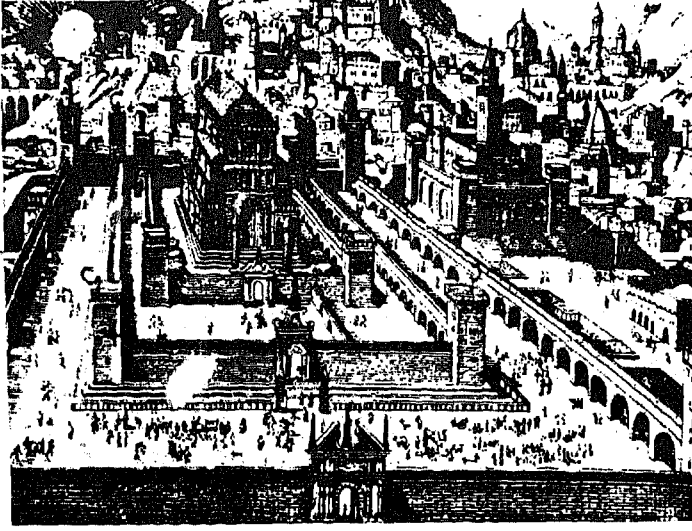
وقد اعترف الكاتب الشيوعي التركي الهامي سوسيال بدور الماسونية في الاطاحة بعبد الحميد قائلا : (ان اجبار عبد الحميد على قبول المشروطية ١٩٠٨م ثم الاطاحة به عن العرش نهائيا كان من فعل الماسون، الذين لعبوا أخطر أدوارهم في الحادثتين، وأن كبار رجال الاتحاد والترقي كلهم تقريبا من الماسون). وبالفعل فقد كان أحمد رضا بك (رئيس مجلس المبعوثين) الاتحادي ماسونيا من أب انكليزي وأم عسافية، ودوره مشهود في اثارة الاقليات ومجزرة ٣١ مارس.

وكما ضبظت في بيت سعيد باشا القبرصي المعروف بتبعيته للانكليز النسخ الأصلية لجميع المقالات التي نشرتها جريدة «البركان» السرية وسلمت لرئاسة المحكمة العرفية فلم يتم شيء معه بضبط من الاستخبارات البريطانية وهو أحد رجال الماسونية.

وكان محمود طلعت باشا الصدر الأعظم الاتحادي، ووزير الداخلية استاذاً أعظم لمحفل سالونيك، وكذلك كان جمال باشا ناظر البحرية ومانياس زاده توفيق وزير العمل، ومدحت شكري العضو الدائم والأمين العالم للجنة المركزية الاتحادية، وعمانوئيل قره صونائب سلايك والاستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزوتا، ومحمد جاويد النائب ووزير المالية، والدكتور رضا توفيق الطيب والنائب والكاتب، جميع هؤلاء كانوا من أعضاء الاتحاد والترقي ومن الماسونيين في وقت واحد.

وقد نظمت الماسونية العالمية المؤامرة الأرمنية الأولى بتشجيع من كال ادوارد السابع ملك بريطانيا الماسوني الذي قدم ١٣ ألف ليرة ذهبية للمنظمة الأرمنية «الطاشناق» لقتل عبد الحميد وتم القبض على الأرمن بالباب العالي فتدخل السفير حمايتهم بحجة الامتيازات الأجنبية وتم له ما أراد.

ثم رتب الماسونية المؤامرة الأرمنية الثانية للتخلص من عبد الحميد فكلف يهود سويسرا اليهودي ادوارد جورج الفرنسي الجنسية بالتعاون مع منظمة الطاشناق الأرمنية أيضا، لادخال عربة صنعت خصيصا ووصلت استانبول قطعة قطعة وتم تركيبها لتكون «قنبلة جحيم» تحت كرسي القيادة حيث تنفجر في الوقت الذي يخرج فيه السلطان عبد الحميد صلاة الجمعة بجامع يلدر، وقد ذهبت ضحيتها عشرات الأرجل والأيدي البشرية وبقي عبد الحميد وحيداً ليركب عربته ويدخل بها قصر يلدر، وكشفت لجنة التحقيق برئاسة نجيب ملحم عن وجود نشرة تحتوي ٢٢ مادة من دستور المنظمة الصهيونية العالمية، كما ألقى القبض على كريستوفر ميكائيليان وابنته رويينا وقسطنطين قبوليانا وهو يهودي روسي اضطر لقطع شرايينه والموت انتحاراً.



احد المحافل الماسونية المنتشرة بكثرة في بريطانيا مشروع «هيكل سليمان» كما نشرته «النايم» الاميركية ١٩٩٧م
والمعروف أن الماسونية تتكون من ثلاث فرق: رمزية، ملوكية، وكونية والأخيرة لا يدخلها إلا اليهود الذين يخططون
للأولى والثانية.

وغاية الماسونية:

- ١ — إعادة اليهود — قادة الماسونية — الى فلسطين، وقد عادوا.
 - ٢ — إقامة هيكل سليمان وبناء عرش داود في القدس مكان المسجد الاقصى وقد قطعوا شوطا بعيدا في هذا المجال.
 - ٣ — اتحاد فلسطين قاعدة ومنطلقا للسيطرة على الكون وإقامة حكومة عالمية.
- وقد انتشرت الماسونية في الدولة العثمانية إنتشاراً فظيعاً، ففي سالونيك التي كانت المنبع الأساسي لفكر الاتحاد والترقي كان هناك:

- محفل مقدونيا — بزورتا التابع للمحفل الأعظم
 - محفل فريتاس التابع للمحفل الأعظم الفرنسي
 - محفل برزافنتزيا التابع للمحفل الأعظم الأسباني.
 - محفل لابور — لوكس التابع للمحفل الأعظم الايطالي.
 - محفل بروميس التابع لمشرق أثينا.
 - محفل مقدونيا التابع لمشرق أثينا.
- وقد نشرت جريدة «آق آسيا» الماسونية في عددها ١٩٠٣م ص ٨٦٠ (الصراع ضد الدين، سيحل بعد فصل الدين عن الدولة وأخذه شكل نظام خاص).
- ومن مقررات مؤتمر بلفورت عام ١٩١١م: (يجب الانسى أننا أعداء الدين وأنا سنصرف كل جهودنا في محافظتنا، وسنزيل كل مظاهر الدين).

وجاء في (أنى سببازانت ذي كاسيل أوف آيتمز) لندن عام ١٨٨٢م: (الاحاد واحد من أجد الشعارات الانسانية التي يتغنى بها أبطال العالم. ليس هناك فلسفة قط وليس هناك دين قط، منح الانسانية حقيقة تضارع الاحاد، فليحيا هؤلاء العاملون المحبون للتقدم الذين نسوا الله وفكروا في الانسان في سبيل صلاح العالم).

وفي كتاب (الخطوط العريضة لتاريخ الماسونية في تركيا) جاءت العبارة التالية:

(لا بد من القول أن الماسونية قد أدت خدمات جليلة لجمعية الاتحاد والترقي وبقدر هذه الخدمات بقدر ما كانت

خدمات جمعية الاتحاد والترقي في تنظيم الماسونية التركية وتطورها وذلك عقب اعلان المشروطية).
ومن أمثلة رعاية «الاتحاد والترقي» للتنظيمات الماسونية قيام المحافل التالية خلال العهد الاتحادي:

- محفل الهلال العثماني وأسس في ١٤ فبراير سنة ١٩١٠ في بيروت.
- محفل الحرية والاعتدال: أسس في ١٧ يونيو ١٩١٠ في زحلة.
- محفل الناصرة: أسس في ٢٩ مايو ١٩١٠ في الاسكندرية.
- محفل الفلاح: أسس في ٢٩ مايو ١٩١٠ في الاسكندرية.
- محفل المروعة: أسس في ٢٩ مايو ١٩١٠ في الاسكندرية.
- محفل شمس المشرق: أسس في ٢٩ مايو ١٩١٠ في الاسكندرية.
- محفل الكمال: أسس في ١٧ يوليو ١٩١١ في القاهرة.
- محفل لايفديلت: أسس في ١٧ يوليو ١٩١١ في القاهرة.
- محفل نور الهدى: أسس في ١٧ يوليو ١٩١١ في القاهرة.
- محفل الوحدة العثمانية: أسس في ٦ أغسطس ١٩١٠ في حمص.
- محفل الاتحاد والخلد: أسس في ١٩ أغسطس ١٩١٠ في القدس.
- محفل معبد سليمان: أسس في ١٤ ديسمبر ١٩١٠ في القدس.
- محفل مرج عيون العثماني: أسس في ١٠ أغسطس ١٩١٠ في مرج عيون.
- محفل الجبل: أسس في ١٧ فبراير ١٩١١ في بيروت.

وتقول بروتوكولات حكماء صهيون: (يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، ان فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، كي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو ارواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه.

ولقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونييتشة بالترويج لارائهم وأن الأثر الهدام الفذ تنشره علومهم في الفكر غير اليهودي وأوضح لنا بكل تأكيد).

(لما جاء داروين يصادم الكنيسة بنظرياته، دخلت الصهيونية العالمية المعركة على اتساعها، دخلت بعلمائها الثلاثة الكبار ماركس وفرويد ودوركهائم تحطم كل ما تبقى من مفاهيم الدين، ثم قامت تعمق الهوة التي تبتلع المسيحية كعقيدة باشاعة ألوان من الفساد الخلقي البشع).

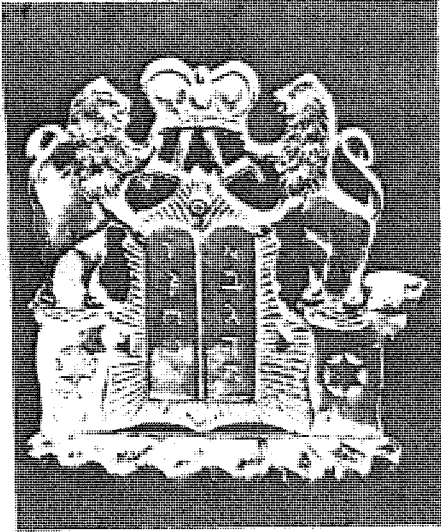
وأوجدت الصهيونية بالتعاون القوى الأوربية الطامعة بالأندية السياسية والجمعيات السرية، وأمدت الصحف العثمانية والعالمية بالدعم الذي يربطها بمخططاتها ويحدها للمسايرة، ان لم يكن خدمة شعاراتها. (١)

(١) أصدر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي في دورته الخامسة والعشرين المنعقدة بمكة المكرمة ما بين ٢٣ اغسطس حتى أول سبتمبر ١٩٨٣م قراراً حول منظمة «شهود يهوه» ناشد فيه الحكومات الاسلامية «العمل على مطاردة هذه التحلة الخبيثة وتطهير بلاد الاسلام من اتباعها بشتى الوسائل».

وقد ورد في كتاب «نصف الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة اسرائيل» لمؤلفه أنيس فاخوري، حول هذه المنظمة المسيحية المتهودة ما يلي: «وبعد اكتشاف العالم الجديد ونشوء الدولة الأميركية كدولة برتستانتية متحررة، ظهر فيها أكثر من سبعين شعبة انجيلية محسوبة على البروتستانت ولكن أكثريتها وقعت فريسة للتفسير اليهودية فيما يتعلق بصلوة التوراة بالانجيل حتى أن بعضها بنى ولا زال تبني الكثير من الطقوس والتقاليد اليهودية الصرفة، إن من حيث التمسك بيوم السبت أو من حيث التسمية كشهود يهوه».

وأهاب المؤلف فاخوري — وهو مسيحي لبناني — بالمسيحيين من محبي السيد المسيح أن يقفوا في وجه المخططات الصهيونية الآتمة ليكونوا عوناً في إحقاق الحق وازهاق الباطل.

ومما يذكر أنه كان لهذه المنظمة الخبيثة نشاط في الخليج العربي عموماً بين الخمسينات والستينات، فقد كان أفرادها يحملون الكتيبات والمنشورات ويجولون في الطرقات ويطلقون أبواب البيوت لتوزيعها، وقد وردت هذه المعلومات ضمن دراسة حول «المنصرية الصهيونية في التوراة» للامام أحمد زين السقايف نشرتها سلسلة جريدة «الأبناء» الكويتية خلال شهر مارس ١٩٨٤م.



من الرموز الماسونية المعبرة وتبدو بوضوح نجمة داود



الانضمام للماسونية يقتضي أن تعصب عينك كي لا ترى أو تسمع أو تتكلم !!

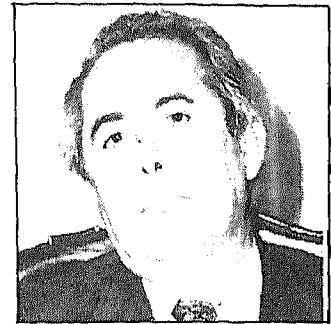
الماسونية : مؤامرات متصلة وآخرها فضيحة المحفل الإيطالي B2



ماريا غراسيا جلي : ابنة الاستاذ الأعظم لجأت الى الأرجنتين للاحتباء بالماسونيين !!



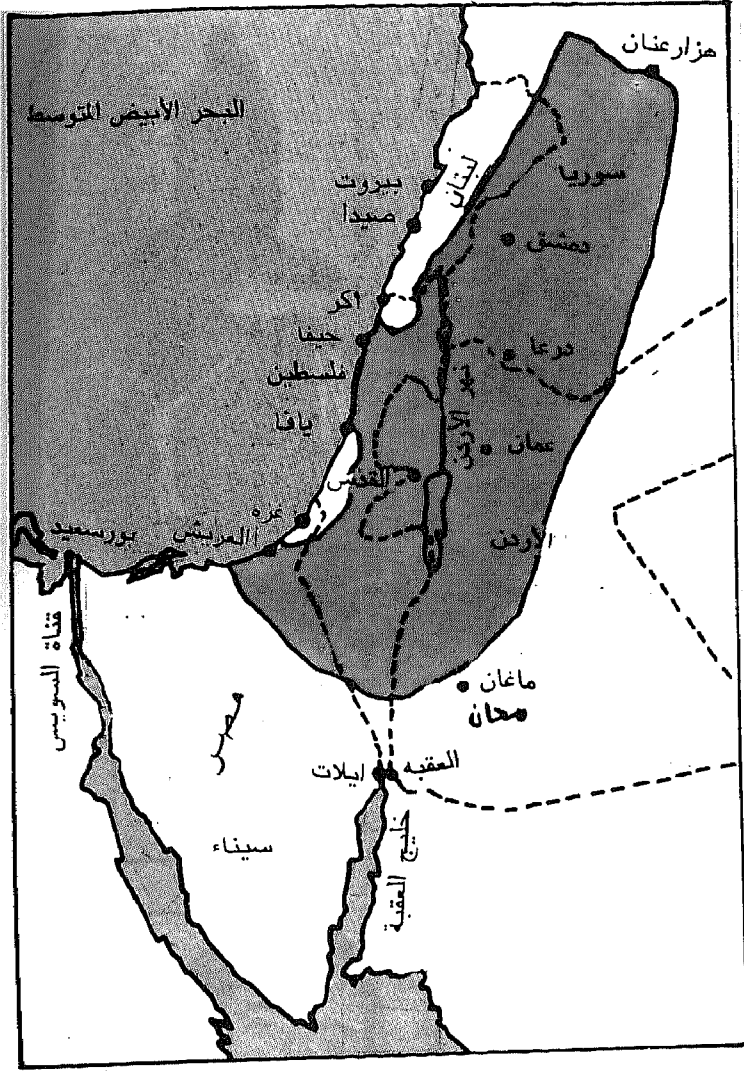
روبرتو كالفي : كان جندياً بالجيش الإيطالي في الأربعينات وأصبح مدير بنك « الرب » قبل « انتحاره » في لندن !



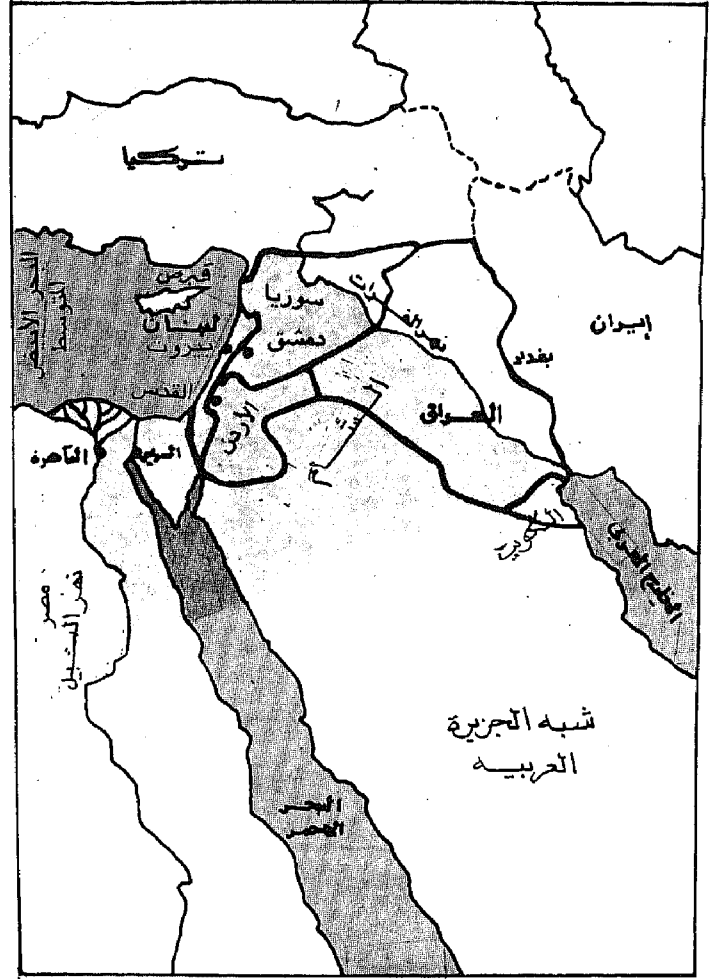
الادميرال توريسي : رئيس أركان الجيش الإيطالي وأحد زعماء المحفل الماسوني



ليشوجلي : الاستاذ الأعظم للمحفل الإيطالي الهارب الى سويسرا



هرتزل وأحلام "مملكة سليمان وداود" ١٩٠٢ م



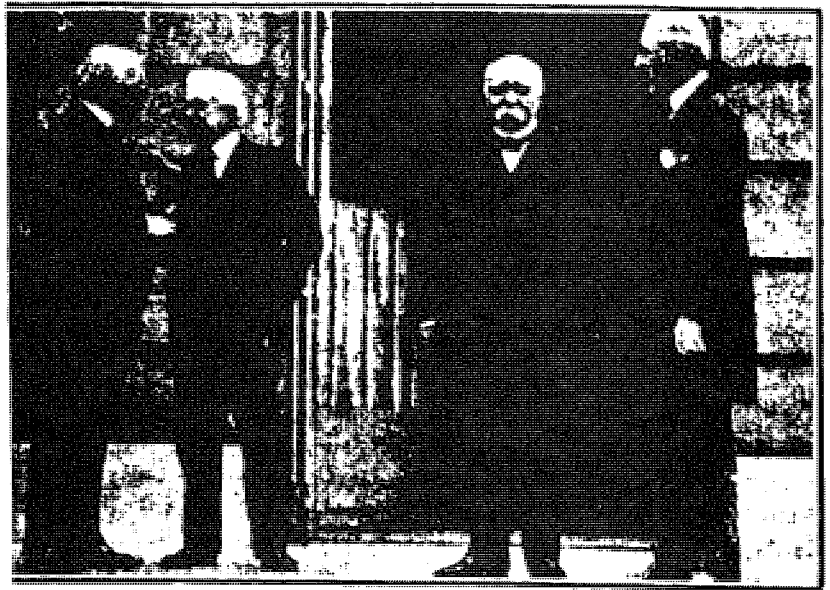
الحدود كما بتخيلها تيودور هرتزل (١٩٠٤)
(بلادك يا إسرائيل من النضرات إلى النيل)

كما استغلت أجهزة الاعلام العالمية اذاعات ووكالات أنباء لترديد الأخبار التي تخدم أغراضها. ونجحت عن طريق عملاتها المنتشرين في مختلف الدول وبعضهم كان يشغل رئاسة الوزارة أو وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات أو يملك التأثير داخل القصور الحاكمة في بريطانيا أو روسيا أو فرنسا، أو ألمانيا فضلا عن قصر «يلدر» نفسه، في أن توجه الأحداث وتتحكم في ردود الأفعال بحيث أمكن تغيير السياسة الاستراتيجية للعدول عن الخطط السابقة للعديد من الدول، كما حصل في بريطانيا. وهكذا تجد الصهيونية نفسها بعد ان وضعت مقررات مؤتمرها الاول في بازل موضع التنفيذ محاصرة بمطامع الدول الاوربية المتنازعة بعد ان اطمأن الجميع الى قرب زوال الخلافة. ويحار الصهيونية في امرهم وهم يحاولون ايجاد موطن لهم بين تلك المصالح المتضاربة.

واذا ألقينا نظرة على ما حدث في المؤتمرات الصهيونية التي عقدت بعد ذلك نجد انها قد عقدت معظمها في اغسطس في بازل، الا المؤتمر الرابع الذي عقد في عام ١٩٠٠ فقد عقد في لندن للتأثير على الرأي العام الانكليزي ثم عقد المؤتمر الثامن في (لاهاي) وبعد ذلك في هامبورج وفيينا وبراج وزوريخ، وجنيف، وبعد احتلال الصهاينة



امبراطور بروسيا غليوم الأول عقد مع رئيس وزرائه
بسمارك صداقة وطيدة مع العثمانيين .



ويلسون (أميركا)، كليمنصو (فرنسا)، أورلندو (إيطاليا)، ولويد جورج (بريطانيا) الأربعة
الكبار الذين اقتسموا العالم بعد انهيار الخلافة العثمانية إثر الحرب الأولى

لارض فلسطين، بدأ المؤتمر الصهيوني بعقد جلساته في القدس منذ المؤتمر الثالث والعشرين عام ١٩٥١ برئاسة ناحوم جوللمان... الذي أقصى عن منصبه بعد تزايد النفوذ الاسرائيلي في المؤتمر عام ١٩٧٢ لانه اعترض على الحملة الاسرائيلية ضد الاتحاد السوفيتي حول قضية هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل وفيما يلي ملخص موجز لأهم المؤتمرات الصهيونية .

ففى ٢٩ آب (أغسطس) ١٨٩٧م افتتح المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة د. تيودور هرتزل . ثم عقد المؤتمر الثاني (بازل — أغسطس ١٨٩٨م) وكان مايزال يعاني من عقدة استمرار عبدالحميد .

وقد أسفر عن انشاء بنك اعتبر الادارة المالية للشركة اليهودية وحدد رأس ماله الاسمى بليونى جنيه استرليني وبدأ نشاطه يظهر الى حيز الوجود عام ١٩٠٢ وقد حاول هرتزل بعد ذلك الحصول على فرمان من السلطان عبدالحميد في اثناء زيارة الامبراطور غليوم الثاني للاراضي المقدسة يمنح اليهود استقلالا ذاتياً بفلسطين ألا أن هذا الامل انهار حينما إلتمس هرتزل الاذن بالمشول بين يدي امبراطور المانيا في القدس ليلتمس تأييده فتهرب من الموعد ورفض السلطان عبدالحميد طلب هرتزل بعد ان اكتشف المؤامرة الصهيونية .

اما المؤتمر الثالث (بازل — اغسطس ١٨٩٩) فقد عني بتنظيم الموارد المالية وعكف على مناقشة ميثاق الصهيونية العالمية وسياسة الصندوق المالي للاستيطان وفي المؤتمر الرابع (لندن — اغسطس ١٩٠٠) بدأ الغزل الصهيوني البريطاني في لندن فاجتمع هرتزل بوزير خارجية بريطانيا حينئذ في محاولة للحصول على تأييد بريطانيا للمنظمة الصهيونية .

وخصص المؤتمر الخامس (بازل — ديسمبر ١٩٠١) لاحياء الشخصية اليهودية مع بدء الاستيطان .

فشهد تفاقم الخلاف حول الثقافة العبرية وضرورة الاهتمام بها في المقام الاول تمهيدا لانشاء وطن قومي في فلسطين واقترح حايم وايزمان تأسيس جامعة عبرية .

ووافق المؤتمر على تأليف لجنة ثقافية لبحث المشروع وتقرر انشاء البنك الوطني اليهودي «لتمويل عملية شراء الاراضي من عرب فلسطين» .

وشهد المؤتمر السادس (بازل — اغسطس ١٩٠٣) وداع يهود العالم هرتزل — بالهجوم على نشاطه وهو آخر مؤتمر شهده هرتزل اذ توفي في يوليو ١٩٠٤، ثار عليه اعضاء المؤتمر ثورة عنيفة ووجهوا اليه نقدا عنيفا لمفاوضته «فون بليفه»

المتهم بالتحريض على ذبح اليهود (فقد حدثت مذبحة قتل فيها عدد من اليهود في مدينة كيشينف الروسية وكان فون بيليفيه وزيرا للداخلية).

وذلك للحصول على وعد بأستييطان اليهود كذلك هاجمه اعضاء المؤتمر لانه وافق على فكرة وزير المستعمرات البريطانية (جوزيف تشمبرلين) بأن يستوطن اليهود هضبة قريبة من مدينة نيروبي عاصمة كينيا مع وعد بالاستقلال الذاتي وتعيين حاكم يهودي.

اما مفاوضات هرتزل مع فون بيليفيه وزير الداخلية الروسي وصاحب النفوذ فكانت حول استخدام نفوذ بيليفيه لدى السلطات حتى تصرح لمن يريد من اليهود بالهجرة الى الخارج على شرط ان تتوقف حملة الدعاية الصهيونية على الفور ضد روسيا ووافق وزير مالية روسيا «دي ويت» على انشاء فرع للبنك اليهودي ولقد هاجم اعضاء المؤتمر هرتزل لأنه لم يضع في اعتباره فلسطين.. وهي الهدف الأول والأخير.. وجاوب «نارداو» صديق هرتزل الحميم ان يعمل على تخفيف حدة المؤتمرين وعدائهم لمشروع الوطن اليهودي في افريقيا فقدم لاعضاء المؤتمر فكرة ان هذه الاراضي لا تزيد عن كونها ملجأ يلوذ به اليهود من الاضطهاد مؤقتا للتدريب على شؤون ادارة وطنهم الاصلي في فلسطين مستقبلاً ولكن هذه الحجج لم تقنع المتطرفين ولا سيما مندوبو روسيا.

ولكن المؤتمر قرر ان هذا المشروع غير مقبول غير انه من الممكن ايفاد لجنة لمعاينة الاراضي الافريقية والنظر في صلاحيتها للاستعمار على شريطة ألا يتحمل نفقتها البنك اليهودي.

وأجرى الاقتراع على القرار فلما وافقت عليه الاغلبية انسحب اعضاء الوفد الروسي الى قاعة مجاورة وارتفعت اصواتهم بالنحيب كأنما فقد اليهود فلسطين الى الأبد وبعد ذلك اجتمعوا وهرتزل فأكد لهم انه لن يحيد عن رأيه في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين فاقنعوا وعادوا في اليوم التالي الى قاعة المؤتمر.

والمؤتمر السابع (بازل — اغسطس ١٩٠٥) أول مؤتمر يعقد بعد غياب هرتزل.

وقد أختير «ماكس نارداو» رئيسا بعد وفاة هرتزل لكنه رفض وانتخب مجلس تنفيذي يتألف من سبعة اعضاء من بينهم اربعة يؤيدون الصهيونية على اساس الايبدأ العمل في فلسطين الا بعد الحصول على ضمانات سياسية وثلاثة يؤيدون الاستمرار في شراء الاراضي والمثابرة على العمل حتى تتاح الفرصة للحصول على وطن قومي في فلسطين تكفله الدول العظمى.

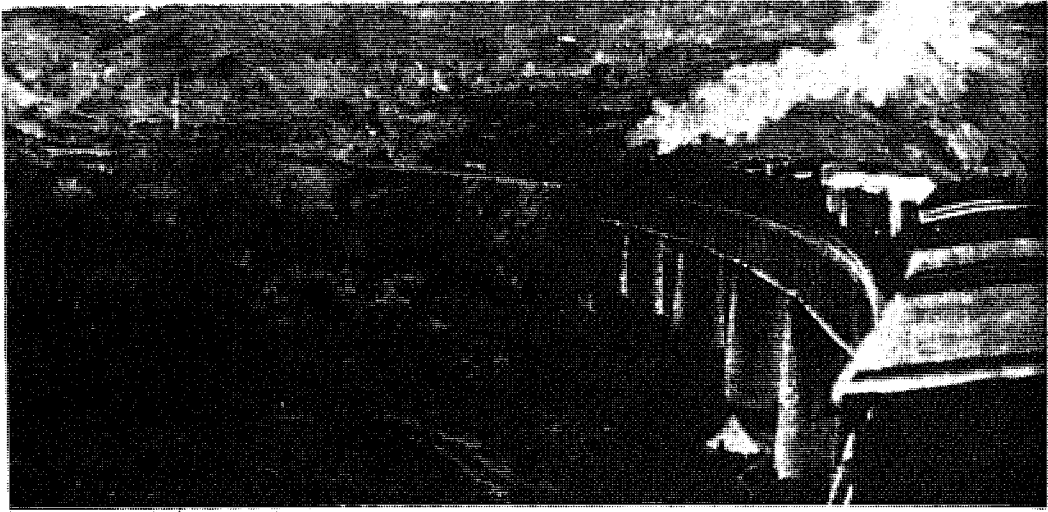
ثم توالى المؤتمرات الصهيونية حتى تحقق حلمهم المنشود واستولوا على ارض فلسطين بالغدر والخديعة.

لقد وظف اليهود نفوذهم لدى حكومة الاتحاد والترقي لخدمة الحلفاء سراً مع استمرار بعض اقطابهم في المراهنة على الاتحاديين والمانيا ولكن الموقف بات واضحا اثر خدمات اليهود وحلة غاليلوي ١٩١٥م.

وهي حملة الحلفاء في الحرب الكونية الاولى للاستيلاء على الدردنيل، والقسطنطينية والاتصال بروسيا عن طريق البحر الاسود، انتهت بالفشل، مما ادى بالحلفاء الى شن حملة برية قاومها الاتراك مقاومة قوية ثم قام الحلفاء بمحاولات بحرية اخرى للنزول على شاطئ شبه الجزيرة الغربي، استمرت شهورا عديدة انتهت بنجاح الحلفاء في ٩ كانون الثاني، يناير عام ١٩١٦.

وقد لعب فيها المتطوعون اليهود دورا هاما كما اسهم نظام التجسس اليهودي في فلسطين بتقديم مساعدات هامة لحملة الجنرال النبي على القدس فضلا عن اختراعات وايزمن في مجال المتفجرات التي وضعها في خدمة بريطانيا ضد المانيا التي كانت تحتكر هذا النوع من الاسلحة الحربية.

وفي عام ١٩٥١م إنعقد بمدينة القدس لأول مرة المؤتمر الثالث والعشرين واستمر انعقاد المؤتمرات الصهيونية بعد ذلك فيها.



الخط الحديدي من البصرة الى بغداد إلى برلين أراد الألمان إصاله لكافة في الكويت

ويمكننا لمس اعتراف الحلفاء بخدمات الصهاينة من تطورات الاتفاقيات والمعاهدات، ونلاحظ تطورات الاتفاقيات والمعاهدات فيما يلي:

- أ - بدأت المفاوضات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون عام ١٩١٥ م.
- ب - عقدت اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في ربيع عام ١٩١٦.
- ج - نشبت الثورة العربية بقيادة الملك حسين في الخامس من حزيران، يونيو ١٩١٦.
- د - صدر وعد بلفور عن وزارة الخارجية البريطانية في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧. (١)
- هـ - سمع الملك حسين باتفاقية سايكس بيكو، كانون الاول، ديسمبر عام ١٩١٧ ثم «الوكالة اليهودية» في صك الانتداب البريطاني على فلسطين.

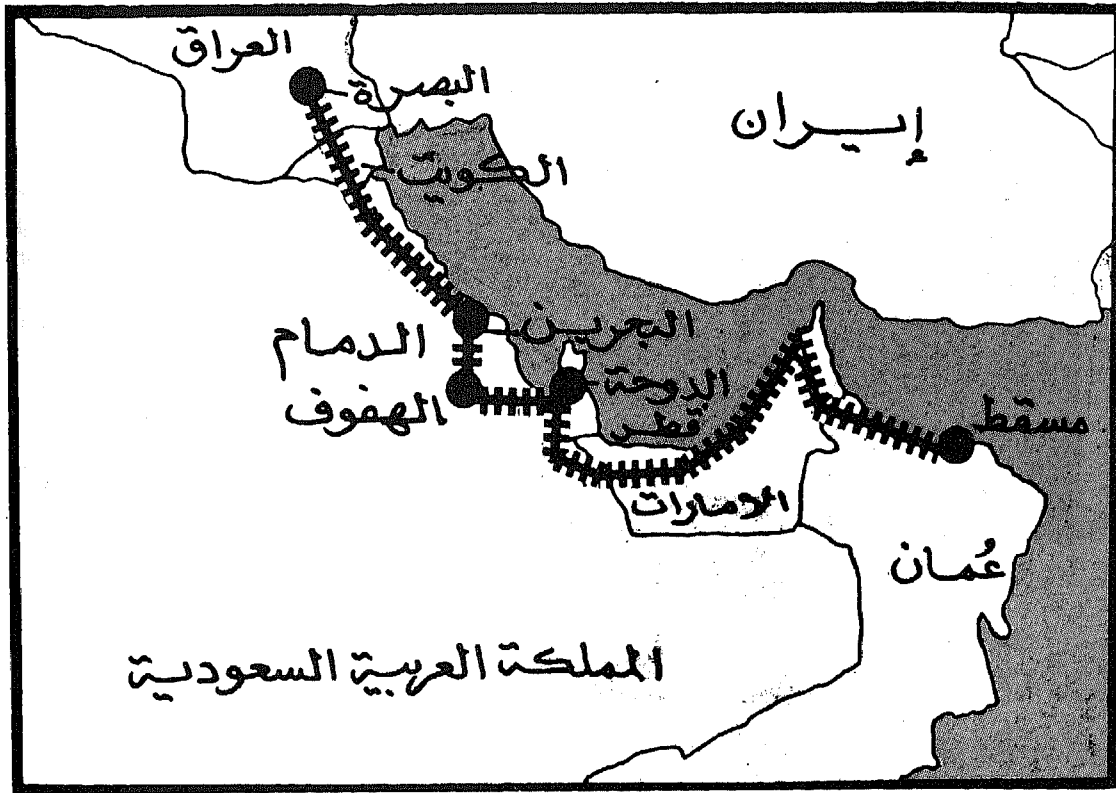
فقد ورد في صك الانتداب على فلسطين ان.. (وكالة يهودية مناسبة سوف يعترف بها كهيئة عامة لارشاد ادارة فلسطين والتعاون معها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما قد يؤثر على اقامة وطن قومي يهودي وعلى مصالح السكان اليهود في فلسطين..) واستنادا لهذا النص المدبر اعتمدت المنظمة الصهيونية «الوكالة اليهودية» في تمثيل الشعب اليهودي وذلك في الاجتماع الصهيوني الذي عقد في كارلسباد في شهري آب وايلول، (أغسطس وسبتمبر) من عام ١٩٢٢. راجع للتفصيل كتاب «تاريخ الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٤٧» ص ٦٤ للدكتور الن تايلر ترجمة بسام ابو غزالة.

«ان فلسطين اليهودية التي ستخلقها بريطانيا العظمى وتساعد امريكا تعني ضربة مميتة الى السيطرة الاسلامية الروسية التركية على الشرق ويجب ان يكون من الواضح كل الوضوح ان ثمة ارتباطا كلياً بين المصالح الامريكية والبريطانية والصهيونية في وجه المصالح التركية الروسية».

كذلك جرى حديث في الرابع من ديسمبر عام ١٩١٨ بين اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا ووايزمان صرح الاخير على اثره بقوله:

«وقد بينت للورد ان اقامة مجتمع يضم اربعة او خمسة ملايين من اليهود في فلسطين سيكون قاعدة

(١) انظر نص وعد بلفور ضمن الملاحق والوثائق في نهاية الكتاب.



مشروع الخط الحديدي بين دول مجلس التعاون الخليجي

اقتصادية كافية يستطيع اليهود منها ان ينتقلوا بطريق الاشعاع الى الاجزاء الباقية من الشرق الادنى وان يسهموا اسهاما ضخما في اعادة بناء تلك البلاد التي كانت مزدهرة في يوم من الايام».

ويمضي وايزمان في حديثه الذي عثر عليه ضمن مجموعة الوثائق الصهيونية قائلا لبلفور «لكن هذا العمل يتطلب اول ما يتطلب تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين تنمية حرة وغير مقيدة بحيث نتمكن من اسكان اربعة ملايين او خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد — فنجعل من فلسطين بلادا يهودية في ظل التاج البريطاني».

«وقد اقنعت اللورد ان ما يسمى بالاستعمار ليس الا الصهيونية بعينها» بل ان هذا المعنى الذي قاله وايزمان أكدته ايضا ونستون تشرشل في مذكراته حين قال عندئذ:

«واذا اتيح لنا في حياتنا — وهو ما سيقع حتما — ان نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الاردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحو من ثلاثة ملايين او اربعة ملايين من اليهود فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقة البريطانية».

وقد افلح الصهيوونيون في اقناع بريطانيا بولاء الحركة الصهيونية لها وبان وجود اليهود في فلسطين سيحولها من ارض عربية الى قطعة من الغرب فتضمن الدول الاستعمارية وجودا مستديما في المنطقة.

ولقد قدم عوني عبدالمهدي في مذكراته عدة قرائن لدحض الرسالة التي أوردها وايزمان في كتابه (التجربة والخطأ) ص ٣٠٦ على انها «اتفاقية فيصل — وايزمان» ويعتبرها (من جملة الادعاءات الكاذبة التي اذاعها على الناس وايزمان ولورنس) ومن هذه القرائن:

- ١ — لم يترام الى علمه — بوصفه سكرتيرا لفيصل — أن مقابلة تمت بينهما.
- ٢ — لم ينكر المقابلة الصحفية في جريدة (لوماتينيه) بين فيصل ورئيس تحريرها.

٣ - ان الرسالة المزعومة كتبها لورنس بالا اتفاق مع وايزمان وفرنكفورث ووقعها لورنس بامضائه عن فيصل بالانكليزية، وحينما أنكر فيصل الاتفاقية لم يطلب اليه أحد تكذيب ما جاء في مقابلة (لوماتينية) .
ويصف عوني عبدالهادي لورنس، بأنه كان يلعب على الحبلين، يتظاهر للعرب بأنه عربي صميم وصديق حميم بينما يعمل لليهود، ولعب دورا في اقناع فيصل بتوقيع اتفاقية مع وايزمان).

وتعلق الدكتورة خيرية قاسمية على الموضوع بقولها: (مما زاد في توثيق العرى بين فيصل ولورنس اعتقاد الأول بأن مصيره كله ومصير عائلته بل مصير الأمة العربية يعتمد اعتمادا كاملا وشاملا على نتيجة الحرب، ولذلك اصبح في ميسس الحاجة الى انكلترا لتعونه في مجهود العرب الحربي - ضد تركيا وكان يؤمن بأن الانكليز بحاجة ماسة للعرب، فاعتتم فرصة قنوم لورنس فوضع ثقته فيه، واستغل لورنس الفرصة ليستفيد من فيصل ويؤثر فيه).

بينما كتب وايزمان (١) الى ديفيد لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩م، حول الحدود الشمالية «لفلسطين يهودية» مطالباً ببناء الأردن وشلالاته، ومياه الليطاني، وواديه في جنوب لبنان وذلك لأغراض الري والكهرباء، لعدم كفاية ما يسقط من المطر، وإذا كان لا يرد الحاق الضرر بمستقبل فلسطين الاقتصادي. (لهذه الأسباب أرى من الضروري أن يضم حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني الى مسافة نحو ٢٥ ميلا فوق المنحنى ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية لضمان السيطرة على منابع الأردن واتاحة اعادة تحريج هذه المنطقة).

ويختم كتابه بقوله: (ان الصهيونيين مطلعون تماما على اهتمامك الشديد يا سيدي، بمشكلات فلسطين الحالية، وامكانياتها في المستقبل، ذلك الاهتمام الذي يشاركك فيه زملاؤك البارزون، وهم يثقون بأن الحكومة البريطانية لن توافق أبدا على أي تنازل لا يمكن أن يعتبر من وجهة نظر الصهيونية سوى كارثة خطيرة، انهم واثقون بأن الحكومة البريطانية لن تفرط أبدا بمصالح الوطن القومي لليهود الحيوية).

وكانت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين فرصة للصهيانية لزيادة هجرتهم وتشيد مستعمراتهم وتقوية عصاباتهم بينما انصرف العرب الى المؤتمرات حتى قبيل قيام الجامعة العربية.

ونذكر اهم المؤتمرات التي عقدت واشترك فيها العرب من فلسطين وغير فلسطين:

١ - مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ اشترك به فيصل ممثلا عن الحجاز وقد فشل فيصل في معالجة القضية، كما ان مفاوضاته قد اعتبرت من قبل العرب غير قانونية لانه انفرد بها ولم تكن له صفة عربية عامة.

٢ - المؤتمر السوري في لندن ١٩١٩

٣ - المؤتمر العربي/ الاول في دمشق في ٨ حزيران/ يونيو ١٩١٩

٤ - المؤتمر العربي/ الثاني في دمشق في ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٢٠

٥ - المؤتمر الفلسطيني/ في حيفا في ١٤ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٢٠

٦ - المؤتمر الفلسطيني/ في حيفا في ٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٢١ على اثر حوادث يافا، ارسل وفدا الى اوربا فسافر واتصل بالاتحاد السوري في جنيف وعقدوا مع المؤتمر العربي الفلسطيني في ١٥ آب وبحنوا قضية اتحاد هذه البلاد مع الأقطار العربية الأخرى. سافر بعد ذلك الوفد الفلسطيني الى لندن واتصل بالمسؤولين وتبادل المراسلات مع وزير الخارجية البريطانية حينذاك وقد دارت المفاوضات حول مشروع الدستور ومشروع حكومة فلسطينية يشترك فيها العرب وقد اختلفت وجهتا النظر وكانت

(١) وايزمن - في رسالة لديفيد لويد جورج، نقلا عن محفوظات وايزمن في معهد رحيوت باسرائيل نشرتها «جوش أوبزيرفر أند ميدل إيست ريفيو» ٧٣/١١/١٦ - رقم ٦٤ ص ٢٢



القضية الفلسطينية في صور

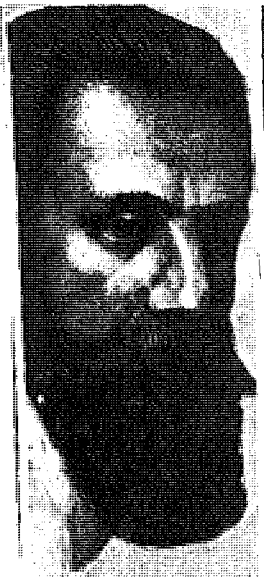
لقطة تمثل لقاء ثلاثي كامب ديفيد: محمد أنور السادات، مناحيم بييجن، وجيمي كارتر.



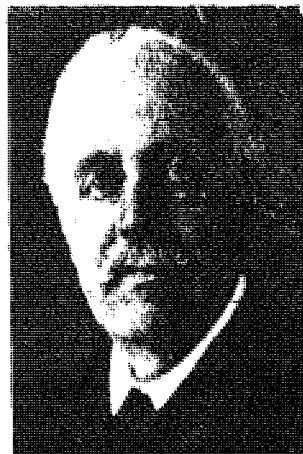
ديفيد بن غوريون يعلن قيام «إسرائيل» في ١٤ مايو ١٩٤٨ م



خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان.. مرحلة جديدة لتصفية القضية



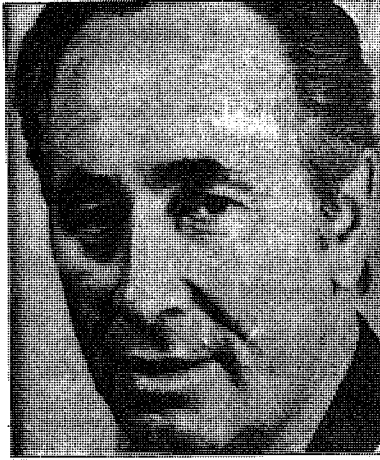
تيودور هرتزل..
أبو الصهيونية..
هل تكتمل أحلامه
ما بين الفرات
والنيل؟



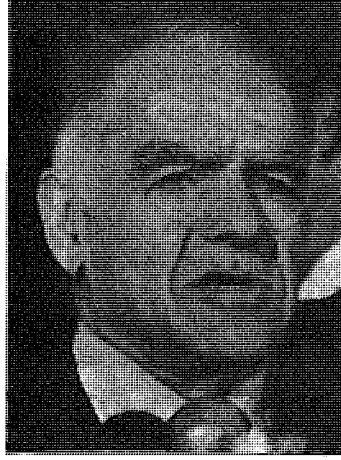
آرثر بلفور.. صفقة مع الصهيونية
على حساب عرب فلسطين



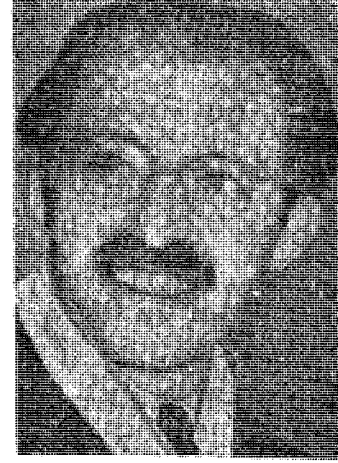
المؤتمر اليهودي
في المغرب.. نقلة
جديدة للحوار في
اللقاءات السرية



شمعون بيريز «زعيم المعارضة الاسرائيلية»



اسحق شامير «رئيس وزراء العدو»



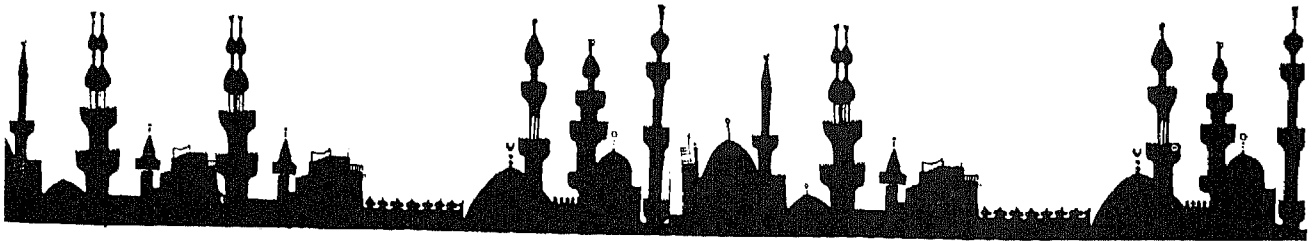
مناحيم بيجين .. إرهابي في شبابه ..

وجهان لعملة صهيونية واحدة

وسفاح في شيخوخته

مراسلات تشرشل مجحفة بحق العرب فرفضها الوفد الفلسطيني، وهكذا فشلت هذه المفاوضات وقد نشرت المراسلات المتبادلة بين الفريقين فيما بعد في «الكتاب الابيض» يحمل رقم ١٧٠ وهو الكتاب الابيض الذي ظهر في حزيران (يونيو) ١٩٢٢.

- ٧ - المؤتمر الفلسطيني / في نابلس في ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٢٢ .
- ٨ - المؤتمر الفلسطيني / في يافا في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٣ ارسل وفداً الى لندن - وهو الوفد الفلسطيني الثالث الى أوروبا وكان قد ارسل وفداً في حزيران (يونيو) عام ١٩٢٢ والثاني ارسل في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٢٢ الى لوزان بمناسبة تحضير معاهدة الصلح مع تركيا سنة ١٩٢٢ ولكن لم يسمح له بدخول قاعة المفاوضات .
- ٩ - المؤتمر الفلسطيني / في القدس في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٨
- ١٠ - المؤتمر الاسلامي الكبير في القدس في ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨
- ١١ - المؤتمر الاسلامي العام في القدس في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣١
- ١٢ - مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في يافا في ٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٢
- ١٣ - مذكرة الاحزاب الفلسطينية في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥
- ١٤ - المؤتمر العربي / مؤتمر بلودان ١٩٣٩
- ١٥ - المؤتمر البرلماني العربي في القاهرة في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٩ م
- ١٦ - مؤتمر لندن ١٩٣٩ م اشتركت فيه وفود من جميع البلدان العربية بما فيها فلسطين .



الفصل الثالث

الدعوة وتسخير الإمبريالات الأجنبية

لحماية مصوص الخلافة

واستغلت الصهيونية سماحة الاسلام والدولة العثمانية في معاملتها لأهل الذمة واستقبالها ليهود الأندلس الهاربين من محاكم التفتيش الكاثوليكية الاسبانية الى سالونيك وغيرها من المرافئ والجزر المتوسطية، فعمدت الى طائفة «الدعوة» وأوكلت اليها مهمة تدمير الخلافة العثمانية.

فما هي الدعوة؟ وكيف نجحت في مهمتها السياسية؟
الدعوة (١): كلمة تركية تعني «الهداية» أو «العودة الى الحق» اطلقت على فئة من يهود الأندلس الذين لجأوا للدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الاسلامية.

وهم يسمون ايضا «الرجعيون» أو «السباتايون» نسبة الى «سباتاي سيفي» المولود بأزمير عام ١٦٢٦م ونجل المفتش الأسود الذي تتلمذ على يد الخاخام «اسحق داليا»، في وقت كان يظن فيه عدد من اليهود والمسيحيين أن المسيح المنتظر سيظهر عام ١٦٤٨، مما حفزه الى التخطيط للدعاء بأنه المسيح المنتظر. فصار يصوم كل يوم ويغتسل تطهيراً لنفسه واستعداداً للمهمة المقدسة، مستغلاً ذكاه وثقافته الدينية الواسعة في قهر المناقشين وخداع المقربين حينما ادعى النبوة عام ١٦٤٨م.

وقد حكم عليه رئيس الخاخامين جوزيف ايسكابا بالاعدام لكنه كان واثقاً من حماية الدولة العثمانية له وعدم تمكينها لأحد في الحاق أي ضرر به فأصدر بيانه.

وكان بيان «المسيح الموعود» كما يلي:
«سلام من ابن الله سباتاي مسيح اسرائيل ومخلصها الى كل فرد من بني اسرائيل، لقد نلت شرف ومعاصرة منقذ بني اسرائيل ومخلصهم الذي بشر به أنبياؤنا وآباؤنا. فعليكم أن تجعلوا أحزانكم أفراحاً وصيامكم افطاراً ولها فلن تخزنوا بعد اليوم فأعلنوا عن فرحتكم بالطنبور والأورغ والموسيقا، واشكروا من الذي وعدكم فوفى بوعده وواظبوا على عبادتكم، كما في السابق، أما أيام المصائب والمآثم فاجعلوها بسبب بعثتي أيام شكر ومسرة.
ولا تهابوا شيئاً فإن حكمكم لن يقتصر على أمم الأرض بل سيتعداها الى جميع المخلوقات في أعماق البحار فكل هؤلاء مسخرون لكم ولرفاهيتكم. سباتاي سيفي».

وحينما نشر سباتاي بيانه المكشوف، كان يدرك خطورة ادعائه النبوة في دولة اسلامية فعمد الى الحذر.

أيقن سباتاي أن التوفيق لن يحالفه في أزمير فرحل عام ١٦٥٠ الى استانبول فلقى العون والمساعدة من حاخام مزيف واستقبل بالترحاب، لكنه لم يستطع ترسيخ قاعدته كما أن دعواه رفضت فلم يرق له البقاء فرحل الى أثينا ثم عاد الى أزمير فاستانبول ثم كرر الرجوع الى أزمير عام ١٦٥٩ ولبث في بيت أبيه لا يقوم بأي عمل سوى أنه يجيل النظر، وظل يرقب حلول عام ١٦٦٦، لكنه ما لبث أن رحل عام ١٦٦٣ الى القاهرة فالقدس، الا أنه خشي على نفسه ولم يبشر أحداً هناك بدعوته وادعائه النبوة وأن يصاحبه قصة أسطورية تناسب الوعي الهابط في المجتمعات اليهودية آنذاك.

(١) مصطفى طوران (يهود الدعوة) - دار السلام - ترجمة كمال خوجة الطبعة الاولى - عام ١٩٧٧ م ص ٥.



«شهود يهوه» و«الروتاري» و«الليونز» .. تعددت الأسماء .. والصهيونية واحدة !!

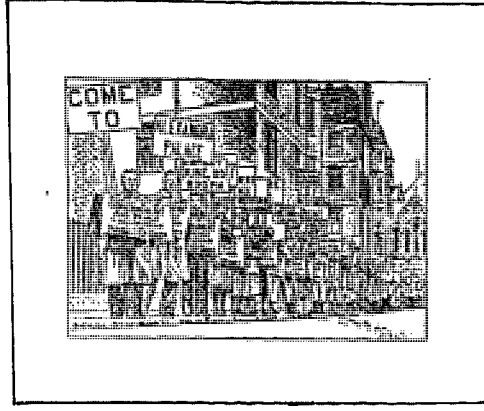
وفي بولونيا ظهرت فتاة يهودية جميلة وذكية اسمها (سارة) كانت تسكن في منزل أخيها صموئيل في امستردام، جربت مختلف أنواع المغامرات ولما سمعت بأن شاباً وسيماً في أزميز ادعى المسيحية طمعت في أن تستغله لتكسب الشهرة، فاختلقت رؤيا نشرتها بين اليهود تقول هذه الرؤيا بأن نوراً سيسطع عليها عام ١٦٦٦ وستتزوج من المسيح الذي سيظهر في ذلك العام.

وبعد مدة طرق الخبر مسامع سباتاي فعمد الى استغلاله واختلق هو بدوره رؤيا أوحى اليه بالزواج من فتاة بولونية وقد اعتبر اليهود السذج هذا الحديث معجزة من معجزات سباتاي.

أرسل سباتاي في طلب سارا فجيء بها فتزوجا في القاهرة.. وبعد هذا الزواج الاسطوري تشاء المصادفات أن يلتقي «المسيح المزيف» دعماً لم يكن منتظراً عندما كان سباتاي في طريقه الى القدس عرج على غزة والتقى برجل اسمه ابراهيم نطحان، وابراهيم نطحان هذا تزوج من ابنة رجل غني فأصبح غنياً عرض على سباتاي أن يكون — ابراهيم — رسوله الذي يبشر بدعوته فوافق سباتاي على هذا الاقتراح.

وهكذا أمكن لسباتاي أن يعزز دعوته بالدعم المادي بعد زواجه الاسطوري. وفي ايلول (سبتمبر) من عام ١٦٦٦ قدم سباتاي الى أزميز فلم يلق بين الحاخامين قبولاً حسناً باديء ذي بدء لكنه وجد فرصة العيد عندهم فأعلن عن دعوته فتجمع حوله أنصار كثيرون ولم تمض مدة قصيرة حتى أصبح يهود أزميز طوع يديه وبدأت شهرته تنتشر في الآفاق الى أن وصلت رودوس وأدرنه وصوفيا وصارت الوفود تشد اليه الرحال من المانيا. وتقليدا لما ذكر في المكتبة المقدسة عندهم كانت تنتاب كل من قدم اليه نوبة صرع يقذف فيه الزبد من فمه ويلقي بنفسه على الأرض تحت أقدام سباتاي.

وفي هذه الفترة جرت له مراسيم لبس التاج فصار يستقبل زواره بمواعيد ومراسيم معينة وكان له ضعف باستقبال النساء على وجه الخصوص وقد أثرت هذ المظاهر في بعض فئات الشعب التركي فجاء اليه درويش بكداشي على رأس



صفحة من أحد كتب شهود يهوه تمثل مظاهرة قام بها شهود يهوه في لندن عام ١٩٣٩ .

عدد من أتباعه فأعلنوا عن إيمانهم به وولائهم له .

وبموجب عقيدته التي آمن بها قسم سباتاي العالم الى ثمان وثلاثين منطقة عين لكل منطقة منها ملكاً وغير بعض العادات اليهودية وصار يوجه رسائله ويذيلها بتوقيع (ابن الله الأول والوحيد سباتاي سيفي) .

بهذه الجرأة النادرة بلغ الحد «بالمسيح المزيف» في مزاعمه المتناقضة لكل الأديان ، لم تتدخل السلطات الادارية العثمانية في كل ما جرى وما صدر من المسيح المزيف وهذا يدل على استقلالية اليهود وعلى التسامح وحرية الاعتقاد في الدولة العثمانية .

وكانت الدولة في ذلك الحين وعلى رأسها السلطان محمد الرابع ورئيس وزرائه فاضل أحمد باشا مشغول بحرب كريت .

ولما كان الأمر في طريقه الى تجاوز اليهود الى فئات أخرى فقد عرض قاضي أزمير على رئيس الوزراء ضرورة اعتقال سباتاي ، فأمر بالقاء القبض عليه ، وأرسل عن طريق البحر الى استانبول ، وفي التحقيقات التي أجرتها الدوائر المسؤولة أنكر سباتاي كل ما اسند اليه ، فنال قسطاً من العذاب وسيق الى سجن « زندان فابي » .

بدأت الوفود تتكاثر حتى صارت ادارة السجن عاجزة عن استقبالهم لمشاهدة سباتاي ، فأمرت السلطات بنقله الى سجن « جناق قلعة » .

وكان الفضول هو الحافز الرئيسي لمعظم زواره ، ولم يخل الأمر من المغرضين . وفي هذه الأثناء ظهر حاخام يهودي آخر بولوني ، اسمه ناحيم كوهين وكان رجلاً ذكياً ومطلعاً على كتب استحضر الأرواح ، قدم الى « جناق قلعة » وأبلغ سباتاي بأنه هو الآخر مسيح منتظر وأن الكتب المقدسة تبشر بمسيحين لا مسيح واحد . (١)

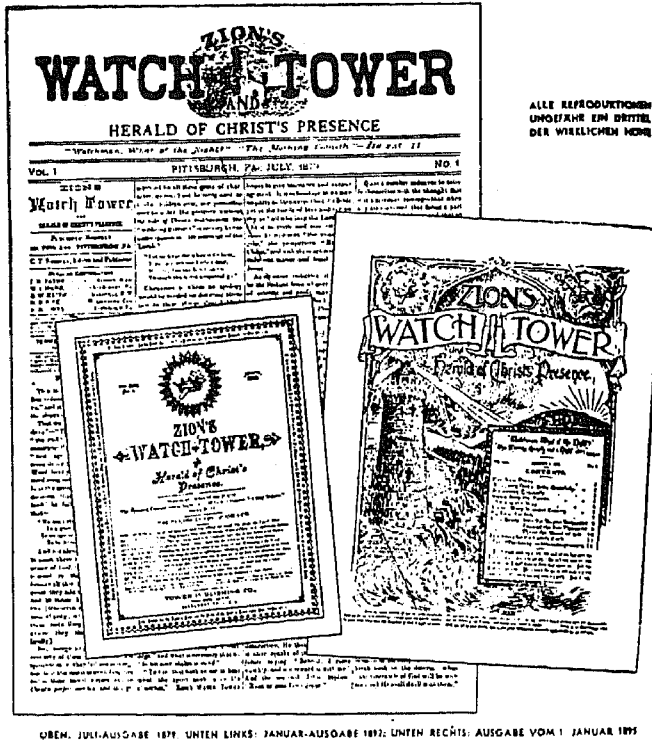
جرى بين هذين الرجلين نقاش حاد استمر ثلاثة أيام انتهى بحدوث شجار عنيف بينهما في اليوم الثالث . وبالطبع فان ظهور منافس جديد يدخل على اللعبة تشويقاً آخر .

وبدأت وفود اليهود تأتي تباعاً الى جناق قلعة المعتقل الجديد لسباتاي سيفي ، وكان حراس السجن يفضون الطرف عن هؤلاء الزوار مقابل حصولهم على رشوى نقدية منهم .

لكن ازدياد التوافد الى المدينة كان سبباً في نقص المواد الغذائية وارتفاع الأسعار مما حدا بأهالي هذه المدينة الى

(١) انظر المرجع السابق .

ANSICHT DER TITELSEITE ALTER ORIGINALE



ALLE REPRODUKTIONEN
UNGEFÄHR EIM DRITTEL
DER WIRKLICHEN GRÖßE



SIEGEL DER GESELLSCHAFT, 1884



SIEGEL DER GESELLSCHAFT, 1956

مجلات ومطبوعات بجميع اللغات ، ورسوم وأفلام ومسلسلات ، بعض وسائل الغزو الفكري

تقديم شكوى الى القصر، كما قدم ناحيم كوهين (المسيح الجديد) بدوره شكوى ماثلة إدعى فيها ان سباتاي يسعى الى انشاء دولة داخل المملكة العثمانية. وكان على الحكومة العثمانية ان تضع حداً لهذه الظاهرة فأمرت بنقله الى قصر أدرنة، وظن اليهود بأن سباتاي سيظهر ويقلب الأمور رأساً على عقب وفعلاً ظهرت معجزة انقلبوا فيها هم رأساً على عقب.

فالمسيح المزيف ما لبث ان واجه الامتحان والأكاذيب لا بد لها من نهاية..

وفي القصر حيث كان يجلس مصطفى باشا القائم بأعمال رئيس الوزراء وشيخ الاسلام يحيى أفندي منقري زاده وإمام القصر محمد أفندي واني اما السلطان فكان يجلس في غرفة مجاورة يسمع ما يقال.

وبواسطة الترجمان قيل لسباتاي تدعي انك المسيح فأرنا معجزتك سنجدك من ثيابك ونجعلك هدفاً لسهام الهرة من رجالنا فان لم تغرز السهام في جسمك فسيقبل السلطان ادعاءك.

فهم سباتاي ما قيل له فأنكر ما أسند اليه وقال لهم: تقولوا عليه وكان السلطان يسمع كل ما يقال في المجلس عندئذ امر محمد الرابع بأن يعرض عليه الاسلام.

فلما رأى الخاخام والمسيح المزيف انه اصبح بين خطر الموت وبين الاسلام فضل بأن يفتدى «بأمبراطورية العالم» وينجو بجلده فتبرأ من شخصية المسيح المزيف ودخل في شخصية المسلم المزيف محمد عزيز أفندي.

ذكرت هذه الحادثة في تاريخ نشانجي عبيدي باشا المسمى بكتاب (الوقائع) وفي تاريخ محمد افندي السلحدار وفي تاريخ راشد افندي كذلك في كتاب التاريخ السياسي لمؤلفه كامل باشا. (١)

طبع كتاب كامل باشا المسمى بالتاريخ السياسي للدولة العلية عام ١٩٠٩/١٣٢٥، رومى. يقول كامل باشا في فصل دور السلطان محمد الرابع تحت عنوان «يهودي يدعي انه المسيح». (٢)

(وفي عام ١٠٧٧ قام حاخام في أزمير اسمه سباتاي سيفي فأدعى انه المسيح، وكان لبياناته وهو في زيارة القدس أثر في قلق اليهود المقيمين هنا، والمقيمين في أوروبا، ووردت أخبار بعض الحاخامين في تأييده، وبعضهم في معارضته، فجيء الى دار السعادة (استانبول) وأودع السجن، ثم سيق الى سجن القلعة السلطانية ايام سفر كوبرلي (رئيس الوزراء) الى كريت. ثم إن رجلاً آخر يهودياً، إدعى بمثل ما يدعى به سابقه، قدم الى القصر القائم بأعمال رئيس الوزراء فذكر زيف ادعاء سباتاي، فجيء به واستخدم في أعمال البستنة في القصر، بعد ان أعلن إسلامه، وخلال عشر سنوات من الزمان دخل كثير من أتباعه دين الاسلام. ثم انه حدث ان أعلن أحد أبناء شيوخ الاكراد انه (المهدي المنتظر) فجيء به فرجع عما ادعاه من قبل وأجاب جواباً صحيحاً، لكل سؤال وجه اليه، فعين رئيساً داخلياً للخزينة الهمايونية).

أما (تاريخ راشد) فيورد هذا الحدث على النحو التالي (٣):

«ثم انه ظهر في أزمير حاخام آمن به بعض اليهود فأحدث الفتنة بينهم فطرد، وأبعد الى بوغاز حصار فعمل على ترتيب فتنة جديدة فجيء به الى الركاب الهمايوني في ادرنه فمثل أمام شيخ الاسلام، ووالي افندي، والقائم بأعمال الباشا، واستفسر عما اسند اليه من الترهات فأنكر فلما عرف انه تقرر قتله أظهر رغبته في قبول الاسلام.

ولكن قصة سباتاي لا تنتهي بل ربما بدأت مع بدء تسميته محمد أفندي. فقد عين (محمد أفندي) رئيساً للاذنين فأنتشر الخبر بين مريديه انتشار النار في الهشيم فاعتكفوا في بيوتهم، أما رجال الدين اليهودي (الحاخامين) فكانت فرحتهم عظيمة اذ أنقذوا اليهود من التمزق واما المسلمون فقد قبلوا في بيئتهم عنصراً غربياً لا يعلم أثرهم في المستقبل إلا الله».

وبعد أن نقد سباتاي نفسه بقبوله الاسلام، أرسل الى مريديه تعميماً قال فيه: لقد جعلني الله مسلماً، أنا وأخوكم (محمد البواب) هكذا أمرني فامتثلت، لقد ذكرت الكتب اليهودية المتقدمة بأن المسيح سيتبع من قبل المسلمين، وقد أعلن سباتاي بتعظيمه هذا الى أتباعه أنه سيستمر في مهمته بالتكيف مع الوضع الجديد.

ويصف أخوه هذه الحال فيقول: «إن الجسم القديم لسباتاي قد صعد الى السماء فعاد بأمر من الله تعالى في شكل ملاك يلبس الجبة والعمامة ليكمل رسالة المسيح». وظهر المكر اليهودي، حيث تفتقت ذهنية سباتاي عن حيلة جديدة.

فقد أراد سباتاي جمع مريديه تحت كسوة جديدة، لذلك تقدم الى المفتي للسماح له بدعوة اليهود الى الاسلام، ولما حصل على ما أراد استأنف دعوته السابقة واستهدف هذه المرة تأسيس مذهب المسلم في الظاهر السباتائي في الباطن.

وهكذا جاء أتباع المزيف من كل مكان ولبسوا العمائم والجلب، فأطلق الأتراك على أتباع هذا المذهب الجديد «الدوغة» ولم يكن يحظر بياهم أنهم ازاء فئة يهودية خطيرة ستودي بالخلافة، وانما حسبوا أن الدوغة طائفة هداها الله.

وبعد أن أسلم أنصار سباتاي (الدوغة) كلهم (في الظاهر) تركت الدولة له حرية التجول، وبهذا ضمن لنفسه

(١) هذه الكتب كلها مخطوطة بالتركية.

(٢) المجلد الثاني ص ١٠٣ من الكتاب المذكور.

(٣) تاريخ راشد ١٤٤/١ من وقائع عام ١٠٧٧/١٦٦٦.

حرية العمل، فانصرف الى تنظيم عقائد انصاره وعباداتهم، وجمع هذه الأمور كلها في ١٨ مادة وعين أيام أعيادهم والمادتين السادسة عشر والسابعة عشرة أهم خواص الدوغة واليك نص المادتين:

المادة ١٦: يجب أن تطبق عادات الأتراك بدقة لصرف أنظارهم عنكم ويجب ألا يظهر أحد من الاتباع تضايقه من صيام رمضان ومن الأضحية ولمن ينفذ كل شيء يجب تنفيذه امام الملاء.

المادة ١٧: أن مناكحتهم (يعني المسلمين) ممنوعة قطعاً. ولم تكن السلطات العثمانية لتغفل عما يفعله هذا المسيح الزائف... فقد علمت الدولة بأن سباتاي يجمع أنصاره حيث يقومون بأداء طقوس خاصة، فنفته الى قضية برات في البانيا مع عدد قليل من رجاله، فبقي هناك خمس سنوات، وكانت زوجته سارا قد توفيت فتزوج هناك بامرأة اسمها يوهيفيد من سلانيك فسمها عائشة.

وأخيراً مات الحاخام المسيح المزيف «سباتاي سيفي» أو المسلم المزيف محمد أفندي في ٣٠ من أيلول عام ١٦٧٥ عن عمر يناهز تسعة وأربعين عاماً ودفن على ضفة هناك.

لكن اتباعه أحيوه في شخص خلفائه ولا يزال المؤمنون به يقفون على ضفاف البحار والأنهار وينادون سباتاي سيفي نحن بانتظارك.

وكانت وفاة سباتاي بداية لمرحلة جديدة في تاريخ «الدوغة»

توفي المسيح المزيف سباتاي سيفي (محمد عزيز أفندي) عام ١٦٧٥ لكن دعوته لم تنته بوفاة، كان هناك عبدالغفور أفندي (جوزيف بيلوسوف) والد زوجته، وعبدالله يعقوب حليبي (جوزيف كيزيدو — أخو زوجته) وقد استقرا في سلانيك فقبل وفاة سباتاي زاره يعقوب حليبي في برات حيث كان طريح الفراش وأخذ موافقته على خلافته من بعده، وبعد الوفاة انتقلت زوجته يوهيفيد الى بيت أبيها وأخيها في سلانيك وبعد ذلك جمع الأخ يعقوب مع أخته يوهيفيد أنصارهما (الدوغة) وكانت أسرهم تتجاوز المئتين.

لم يكتف الدوغة بالتميز عن الناس بعقائدهم بل صاروا يعرفون بحللهم أيضاً، فנסأؤهم يلبس أحذية صفراء، أما الرجال فيضعون على رؤوسهم قبعات صوفية بيضاء لفت عليها عمام، وكانوا يصلون في الأعياد فقط، ولا يصومون ولا يهتمون بالاغتسال، وبذلك كانوا يراعون تماماً ما ذكره سباتاي في المادة السادسة عشرة من قواعده، فقد وجدوا ان استمرار دعوتهم داخل الدولة العثمانية لا بد أن يصاحبه مراعاتهم لبعض الشعائر الاسلامية. وطلب كسابقه مراعاة عادات المسلمين المرئية، لكن فئة منهم لم تر ضرورة لمثل هذه الأمور، فاجتمعوا تحت راية رجل اسمه مصطفى حليبي، وكان هذا قد تنازع مع يعقوب حليبي في قضية من قضايا الطلاق، وبذلك انقسم السباتائيون عام ١٦٨٩ الى فئتين بعد مضي أربعة عشر عاماً على وفاة «مسيحهم» ولقد سميت فئة يعقوب حليبي باسم «اليقوبيون» أو حزب «حمدي بك» كما عرفت فئة مصطفى حليبي بـ «القرة قاش» أو «المؤمنون» أو «حزب عثمان بابا».

وبعد مضي واحد وثلاثين عاماً من هذا الانقسام أي عام ١٧٢٠، حصل انشقاق داخل حزب القرقاش وانفصلت عنه جماعة سمت نفسها بـ «البابو» أو حزب «أبراهيم أغا»، وبذلك أصبح للسباتائية ثلاث طوائف مختلفة ولكي نميز بوضوح بين هذه الطوائف الثلاث، فنذكر الحقائق التالية: (١)

لليعقوبيون اسم آخر هو حزب «حمدي بك» الذي تولى رئاسة البلدية في فترة من الفترات، وتنفيد هذه الفئة بالعادات الاسلامية، والعبارات المرئية ويعيشون حياة خاصة محافظة شديدة، وقد ظهر من هذه الفئة بعض الشخصيات المرموقة في الدولة العثمانية، تولوا مناصب هامة مثل «أمين الترسانة، وكتخدا القصر والمدينة، قائد الشرطة»، ويتميزون

عن غيرهم بعدم لبسهم أحذية عالية الكعاب، أما الرجال فيحلقون شعورهم بالموس أما القرقاشيون فقد انقسموا، كما سنفصل فيما بعد الى فئتين.

وقد أسس هذا الحزب من قبل مصطفى جليبي ويسمون بالمؤمنين أو ذوي الطرق العشرة، أو جماعة عثمان بابا، والفرق بينهم وبين اليعقوبيين أنهم لا يرون ضرورة في التقيد بالشعائر الاسلامية.

وبعد أن انفصل مصطفى جليبي عن يعقوب جليبي، بدأ يفكر في ابتداع خرافات يتمكن بها من ربط قلوب المؤمنين بمبادئه فادعى ان الدوثة عبدالرحمن افندي المدعو عثمان ولد بعد موت سباتاي، ان مبادئ وأفكار سيفي قد انصبت في جسم عثمان أفندي فولدت بولادته من جديد، وعندما بلغ عثمان السادسة والعشرين من عمره أعلنه مصطفى جليبي وكيلًا وممثلاً لسباتاي سيفي، كان عثمان طويل القامة، أسمر اللون، أزرق العينين عليه سيماء البلهاء، فأصبح العوبة بيد مصطفى جليبي، ولما بلغ الأربعين أعلن مسيحاً عليهم ثم ترقى حتى وصل الى مرتبة «الألوهية»!

لكن أحد المنتسبين الى هذا الحزب، وهو ابراهيم، اعترض على هذا التطور، فانضم القرة قاشيون الى فئتين مختلفتين، وكما هي عادة المخادعين لا بد من اختلافهم يوماً فأسس ابراهيم أغا حزبه.

ويسمى أنصار هذا الحزب بأصحاب المصيدة أو البابو، واحتدم الصراع على اثر وفاة عثمان أغا عام ١٧٢٠ حول صحة كونه مسيحاً فطلبت هذه الفئة نبش قبره، للتأكد ان كان مسيحاً مزيفاً، لكن القرقاش لم يرضوا بذلك مدعين بأن هذا العمل إهانة كبيرة له.

وازاء هذا الخلاف انفصلت جماعة ابراهيم أغا من القرقاش، والفرق بينهم وبين سابقهم هو عدم اعترافهم بمسيحية عثمان أغا.

وأصحاب المصيدة هؤلاء أكثر معقولة من غيرهم، لكنهم يراعون ويطبقون مبادئ سباتاي ومعتقداته بحذافيرها.

هذه الفئات الثلاث لا تناكح اتباع الأديان الأخرى، كما أنها لا تناكح بعضها بعضاً، أما الحياة السباتائية الخاصة فتتخصص بالمتزوجين منهم فقط فلا يعرف المرء عندهم شيئاً من هذه الحياة الا بعد زواجه، أما ماهية الحياة الخاصة فلا نعرف عنها الا القليل، ويمكن أن تكون ذات علاقة بما سنذكره في «وليمة الخاروف» أو «عيد القلوب الأربعة».

وقد حافظت طوائف الدوثة المختلفة على التقيد بنظام داخلي مراعاة لظروفها يقف الرئيس حائلاً تجاه اي تطور يطرأ على العادات والتقاليد فأذا قام احد المنتسبين الى فئة سباتائية بتغيير شيء من طريقة ملبسه أو حياته المعاشية تعرض لاتخاذ اجراءات صارمة مثل الابعاد والمقاطعة قبل جميع الافراد حتى من افراد أسرته وللرئيس الحق في اتخاذ القرارات في كل الامور ويستشير احياناً في بعض الملهمات وقد فقدت هذه الاجراءات شدتها على مر الزمن. حتى سمح فيما بعد للسباتائيين عام ١٨٨٤ دراسة للغات الاجنبية عن هذه الطوائف الخطيرة ودورها في تخريب المجتمعات الاسلامية.

للسباتائيين أعياد تزيد عن العشرين يحتفل بأحدها في اليوم الاول من ايام الربيع اي في ٢٢ آذار وإليكم ما كتبه السباتائي رشدي قره فاشرزاده عام ١٩٢٤ في جريدة «الوقت» عن هذا العيد.

ويحتفل بعيد الخروف في ٢٢ من آذار وهو عيد ليلى حيث يؤكل لحم الخروف لأول مرة من عام جديد وذلك بمراسيم خاصة حيث تقتضي العادة ان يوجد في الحفلة الواحدة رجلان وامرأتان على اقل تقدير ويمكن ان يزيد العدد على شرط ان يكون الجنسان متساويان اي مع كل رجل امرأته حيث تلبس كل امرأة أفخر الثياب وتزين بأثمن الحللى وتقوم بتهيئة الطعام على الطاولة وبعد الطعام يبدأ اللهو وفي فترة من فتراته تطفأ الانوار ويبقى الجميع في ظلام دامس... ويعتبر كل مولود يولد بسبب من هذه الليلة مولوداً مباركاً!

ويذكر شاب سباتائي من حزب ابراهيم أغا عن هذا العيد في مقال نشره عام ١٩٢٥ في مجلة «الدنيا المصورة»:

«اعتقد ان الاحتفال باطفاء الانوار ما يزال من العادات المتبعة لدى القره قاش وأغلب ظني ان العائلة التي انا فرد منها كانت الى عهد قريب تمارس هذه العادة ولم اشترك في أي احتفال كهذا بسبب كوني عازبا ولما أظهرت رغبة في حضور الاحتفال منعوني وقالوا : «ان هذا الاحتفال للمتزوجين فقط».

وقد ذكر البروفسور ابراهيم غالانتي في كتابه (وثائق من عادات ومنظمات السباتاي) المنشور بالفرنسية عام ١٩٣٥ في استانبول ان عادة اطفاء الانوار عادة قديمة، قدم العصور أخذها السباتائيون، كما أخذها النصيريون (العلويون) من الأمم الغابرة...

ونشرت جريدة «المساء» التركية في عددها الصادر بتاريخ ٤ من مارس ١٩٣٥، خبرا من مراسلها في مرعش يقول فيه :

(ألقت سلطات الأمن على جماعة من الرجال والنساء يمارسون عادة اطفاء الشموع وضبطتهم بالجزم المشهود كما عثرت في الغرفة المجاورة لصالة الاحتفال على بعض الآلات الموسيقية وعلى دجاجة سوداء قطع رأسها).

نستدل من هذا الخبر ان الدجاجة قد اخذت مكان الخروف في الاحتفال وان هذه العادة متبعة حتى في هذه الايام. وعلى الرغم من السرية البالغة التي يحيط بها السباتائيون طقوسهم الا أن عقيدتهم «تعرضت لبعض الافشاءات لسبب أو لآخر».

في عام ١٩٢٤ افشى السباتائي محمد رشدي قره قاشزاده ببعض أسرار الجماعة التي يتنسب اليها وذلك في سلسلة مقالات ولقاءات عبر جريدة «الوقت» التي نشرتها بحذافيرها وعلى أثر ذلك نشرت جريدة «الوطن» التابعة للدولة والتي يرأس تحريرها الصحفي احمد امين بالمان، سلسلة مقالات بعنوان «صفحات من الاسرار التاريخية».

حاولت ايهام الناس من خلالها ان ما ينشره محمد رشدي عن السباتائيين هو ما إندثر وعفا عليه الزمن ولم يبق فيه اي اثر لذا فأن هذه السلسلة من المقالات التي كتبت من قبل سباتائي لم يكن لها اي حظ من الحقيقة.

ثم صدرت بعض المقالات عن السباتائيين في مجلة «الدنيا المصورة»، «والجريدة المصورة»، «واخر ساعة» ونشر ابراهيم علاء الدين غوسه عام ١٩٣٩ خمس مقالات هامة في جريدة الايام السبعة (١) ثم جمعها في كتاب واحد وكانت تلك الافشاءات بمثابة ضربة متأخرة لدى البعض ربما بدافع الخوف من الانتقام الرهيب لدورهم الفظيع في اسقاط الخلافة...

فقد وجه محمد رشدي قره قاشزاده كتابا مفتوحا عبر جريدة «الوقت» الى دوفة سلانليك يقول فيه :

ايها السادة

(منذ اكثر من ثلاثة قرون عشنا نحن الدوفة في كنف الشعب التركي العريق الكريم وتحت جناح رحمته وبقينا على حالة شديدة من التعصب لمذهبنا باطننا يخالف ظاهرا في كل افعالنا وحركاتنا).

«لقد اصدر مجلس الامة قانونا بمنع الخنازير البرية من الاضرار بالمزروعات فهل تظنون ان امة تفكر بمثل هذه الدقة في الامور ان تبقى في بيتها عنصرا غريبا عنها يمتص خيراتها؟ ليس لنا الا اتباع احد سبيلين اما ان نلتحم بموجب قانون خاص، بالشعب التركي التحاما تاما نشاركهم في الافراح والمصائب واما ان نبحث عن امكانات مادية ومعنوية خارج حدود هذا الوطن نصنع فيها كيانا خاصا بنا.

ولم تقتصر الافشاءات على ذلك بل انها كشفت جانباً من شعائرهم.

ونشرت «الجريدة المصورة» في عددها رقم ١١٦ في عام ١٩٢٥ - مقالا هذا نصه :

(١) اقتبسنا بعض المعلومات من هذه المقالات

(دوغة سالونيك الذين يعيشون بين ظهرانينا ويتكلمون بلغتنا يحسون في الظاهر باحساسنا لكنهم في الحقيقة يأخذون الحيلة والحذر تجاه الاتراك لا يناكحون الا من كان منهم يحبون حياة خاصة بهم من المهد الى اللحد في أعراسهم ومأتمهم وفي كل صفحة من صفحات عيشهم الاجتماعية منها والعائلية هل تعرف حقيقتهم؟

ان منهم أذكىاء، ورجال فكري جديرون بالتقدير خاصة في المجالات الاقتصادية والتجارية، وأثرهم في الحياة الاقتصادية في البلاد، وعلى الأخص في بعض المدن (١)، لا يمكن انكاره أبداً.

ما حقيقة لون الدوغة الذين يشعرون الاتراك بعلاقتهم الحميمة لكنهم في حياتهم الاقتصادية كما في الحياة العائلية يحذرون من الاتراك حذر الغراب).

وفي الجزء التالي من المثال يذكر بأنه عشرين مذكرات شاب من الدوغة على دعاء مكتوب بلغة أجنبية، وأن هذا الدعاء يحفظه كل تلميذ من تلاميذ الدوغة حسب ما ذكره له أحد كبار الدوغة ثم يورد النص الأصلي من الدعاء مع ترجمته، ويبدأ الدعاء بالبسملة الخاصة:

ومعناها:

«بالاسم المبارك لسباتاي سيفي المبارك»

ثم يدعو بالدعاء الموجود في قسم أغنية من الأغاني من التوراة، ويتضمن المعنى:

«فليقبلوني بأفواههم، فان حبك أعظم من الخمر، ان زيتك عطرًا، ان حبك زيت مصبوب وعليه فإن العذاري يحببنك».

وعندما احتلت اليونان منطقة سلانيك قام عدد من الدوغة فيها براجعة الحاخام واعلموه برغبتهم بالعودة الى اليهودية، لكن الحاخام رفض طلبهم ويحتمل ان يكون سبب الرفض هو عادة إطفاء الانوار وانجاب اطفال غير شرعيين.

وقامت المحاولة الثانية عام ١٩١٨ عندما احتل الحلفاء مدينة استانبول اذ كان لليهود والارمن امتيازات تجارية خاصة حصلوا عليها من المحتلين فأراد بعض الدوغة الاستفادة من هذه الامتيازات لكن الحلفاء رفضوا اعتبارهم يهودا.

وقد كشف بعض الباحثين مؤخرًا معلومات جديدة وغريبة وموثقة عن «الدوغة» اورد ابراهام غالانت في كتابه «وثائق عن عادات ومنظمات السباتاي» بعض العادات التي لا تزال متبعة من الدوغة منها:

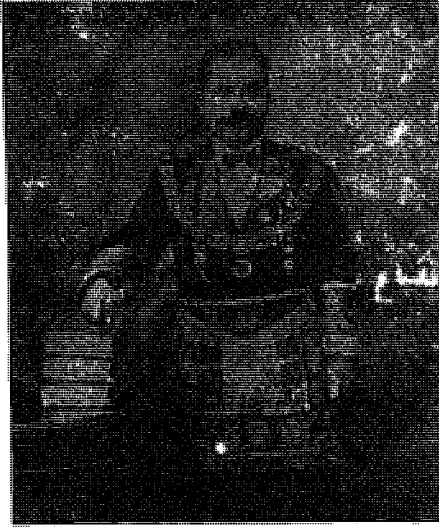
- ١ - عادة ذبح الخروف واكل لحمه في اليوم الاول من السنة اليهودية في ذكرى (فداء اسحق)
- ٢ - عادة حلق الشعور بالموسى لدى اليعقوبيين للرجال وتجديد الشعور الى صفائر رفيعة للنساء.
- ٣ - لكل فرد من الدوغة اسم يهودي غير اسمه.
- ٤ - الالتحاء سمة من سماتهم.
- ٥ - لا يؤكل لحم الخروف في اول كل سنة الا بعد اجراء الطقوس الخاصة بذلك اليوم ومن يأكل لحم الخروف في غير أوانه يكون معرضاً للموت طوال ذلك العام.

يقول علاء الدين غوسة في كتابه:

«كنت مديراً لمدرسة ليلية تابعة للسباتيين بقية (ماكري) وكان طباط المدرسة سباتايا امرته في احد ايام الربيع ان يطبخ لحم خروف فرفض فشكوته الى الهيئة الادارية فلم افلح في شكواي ولم اتمكن من اطعام احد لحم خروف قبل اوانه».

- ٦ - لا يجوز لاي واحد من الدوغة انشاء علاقات جنسية مع امرأة ليست من الدوغة ومن يفعل كان من اهل النار.

(١) خاصة في استانبول وأزمير.



بطرس البستاني «المعلم» الذي خرج العلمانيين من أبناء جلدتنا

جورج الخامس ملك بريطانيا ١٩١٢ - ١٩٣٦ م على يديه
تم تمزيق دولة الخلافة

- ٧ - لا يجوز للدعوة المبادرة الى اداء التحية لغيرهم.
٨ - الذهاب الى ساحل البحر او الى ضفة نهر والقيام بالنداء التالي :
« سباتاي سيفي نحن بانتظارك »

وقد شنت مجلة «سبيل الرشاد» العثمانية حملة صحفية على طائفة الدعوة بعد أن ظهر للعيان الدور الخطير الذي بدأت تلعبه في مساندة الاتحاديين.

نشرت مجلة «سبيل الرشاد» في عددها رقم ٢٠٦ الصادر بتاريخ ٢٩ من أغسطس سنة ١٩١٢ مقالا بعنوان «يد الله مع الجماعة» كان هذا المقال يخاطب الدعوة، ويطلب منهم تصفية النيات والوقوف مع المسلمين قلبا وقالبا أيام كانت الحرب مستمرة في طرابلس الغرب، وظهور بوادر حرب في البلقان. نص المقال المنشور في المجلة المذكورة هو:

«الأتراك الذين أقاموا حكمهم في بلدان كثيرة فتحوها وقعوا في أخطاء كثيرة جلبت لهم بعض الاضرار، ومع ذلك فقد كانت لهم مزايا عظيمة واعظم هذه المزايا اعتبار المسلمين سواسية كاسنان المشط لا فضل لتركي على غيره.

لذلك فكل طائفة لا تلجأ الى الشقاق والنفاق تعيش في الدولة العثمانية بهناء مادية ومعنوية وفي ظل هذا التماسك تكسب الدولة قوة على قوتها.

وفي ولاية هامة من الولايات العثمانية تعيش طائفة صغيرة أصلها من بني اسرائيل لا تدري في أي وقت من التاريخ اعلنت اسلامها.

اننا نعرف افراد هذه الطائفة كمسلمين، يتكلمون بلغتنا، ولم تبق لهم أية رابطة بجماعة اليهود مع أنهم يجاورونهم في مساكنهم كما أنهم لا يزاوجونهم فاليهود يتكلمون فيما بينهم بالاسبانية اما الآخرون فبالتركية.

فمن المعروف لدينا ان كل من دخل الاسلام يعتبر «دومة» أو على الاصح مهتدياً، لكن صفة الاهتداء تكون مؤقتة تزول بالانخراط في صف المسلمين فلا يبقى بينهم وبين المسلمين اية علامات فارقة.

اما هذه الطائفة المهتدية فبقيت على صفة «الدومة» وتبنتها وتمسكت بها... ففي العبادات والمناكحات التي هي أهم الاوصاف المميزة لجماعة المسلمين تسلك هذه الطائفة مسلكا خاصا بها وهذه حال تدعو لاسفنا الشديد.

هذه الطائفة التي تسمت تسمية اسلامية لا تزال تعتمد طريقا خاصا بها في الزواج الذي هو أهم عامل في تماسك المسلمين ببعضهم وكان من الأجدر في عصرنا هذا نبذ العقائد الجاهلية الباطلة لا السعي الى ترويجها.



إدوار الشامن «دوق كنت» الاستاذ الأعظم
للماسونية الانكلوساكسونية



جورج السادس ملك بريطانيا ١٩٣٧-١٩٥٢م
في عهده تم إعلان «إسرائيل»

كان أملنا كبيرا في هذه الطائفة الصغيرة الذكية النشيطة الفعالة التي اتخذت سلاتيك مقرا لها، أن تكون مع المسلمين الآخرين قلبا وقالبا فهم يعرفون جيدا ان ذراع أخوة الاسلام ممدود لهم في كل الأوقات».

فالمسلمون، كما يفهم من مقال هذه المجلة، كانوا يعرفون هذه الطائفة المسماة بالدوثة، ولكن من يقع في البحر يستنجد بالافاعي، لذلك فالمسلمون يدعونهم الى الاسلام والى الوحدة بالحكمة والموعظة الحسنة.

اما الدوثة فلم يأبهوا لاي شيء، حيث كانوا مشغولين في ابتكار وسائل لابتزاز المسلمين سياسيا واقتصاديا، أما من الناحية الاجتماعية فعمدوا الى حرف الشباب وجعلهم يقلدون الدوثة في مآكلهم وملبسهم وفي المقال التالي الذي نشرته مجلة «سبيل الرشاد» في عددها الصادر في ١٨ من شباط عام ١٩١٩ نرى أن الدوثة يسعون الى هتك حجاب المرأة المسلمة، يقول الكاتب:

«ايتها المرأة المسلمة المسكينة.. ما أكثر اعدائك.. ان عفتك وعصمتك قد اصبحتا شوكة في أعين فاقدتي هاتين التعمتين، لذلك فهم لا يتوقفون لحظة عن تهجمهم عليك بارك الله فيك فما امتنك من انسانة...

ليستك عرفت كم من المؤامرات يدبرون لهدمك وكم من القوى والاموال يبذلونها لن يستطيعوا مغالبة الاسلام طالما اعتصمت برداء عفتك وبقيت مثالا حيا لشعائر الاسلام انهم يريدون ازالة الحياء من وجهك وتمزيق حجابك وقطع الروابط بينك وبين أهلك.

لذلك فهم يلينون لك بالقول، يبحثون عن المدينة والدوق والجمال ويضعون لك امثلة من القرن العشرين.

فمن هؤلاء من هو فاقد لدينه ومنهم من هو مفتقر للعفة والحياء ومنهم من تقطعت صلته بأهله واسرته.

فمن الطبيعي أن يناصبك هؤلاء العداء لانهم غرباء عن مجتمعتك، يحتل توازنهم بصمود فيفتشون عن سبل الراحة منك ولن يتأتى لهم هذا الا بجعلك تشبهين بهم. ايتها المرأة المسلمة المسكينة.. تخطئين وتظنين ان كل من يحمل اسم مسلم هو مسلم.. فما اكثر المسلمين منهم المنافيين وما أكثر اللامذهبيين، وما أكثر من يحمل في طياته دينا آخر، انهم يظهرون الاسلام كي يضمنوا بقاءهم بين المسلمين ويحصلوا به على مكاسب ضخمة يلقبون اولادهم القابا اسلامية وليست لهم اية علاقة بالاسلام بل ملأت قلوبهم الاحقاد، يتخذون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الاسلامية فان وجدوا فرصة سانحة انتقموا من الاسلام وفعلوا كل شيء من شأنه افساد الحياة الاجتماعية الاسلامية. «ولكن صمت

«الدوئمة» عن صحيفة «سبيل الرشاد» ما لبث ان انقطع ليعقبه هدير صحفها ومجلاتاها في استانبول بعد أن سيطر الاتحاديون».

وبعد أن توقفت الحرب واعلنت الهدنة صار الدوئمة يشددون في مقالاتهم في الصحف والمجلات على تدريس الشباب والبنات بشكل مختلط في الجامعات فباللغز سيزول الحياء من وجه الشباب وتنعدم البراءة في الأسر الاسلامية أولا ويحال دون ظهور شبان مثقفين من أسر متماسكة بالدين ثانيا.

كانوا يعلمون أن الأسر المتمسكة بدينها لن ترسل بناتها وبناتها الى الجامعات التي يكون فيها التدريس مختلطاً، وقد تحقق ما توقعوه اذ أعلنت الجمهورية فلم تجد بين رجالها أناساً متدينين.

إنضم الى الدوئمة في سعيهم هذا بعض المثقفين المتسمين باسماء اسلامية عبر «المجلة الجديدة» ومجلة «الاجتهاد» لصاحبها الملحد عبدالله جودت.

وقد تصدت لهم مجلة «سبيل الرشاد» فقالت في عددها رقم ٤٠٦ الصادر بتاريخ ٣٠ من نيسان ١٩١٩ بعنوان: التدريس المختلط في الجامعة: الذين شهروا منافع لهم في التهجم على دين هذا البلد ومقدراته جعلوا هدفهم في الأعوام الأخيرة النيل من حجاب المرأة المسلمة لاحداث فوضى اجتماعية في هذا المجتمع.

ففي السنوات الست الأخيرة عمل أناس مجهولو المذهب منافقون ليست لهم أية علاقة بالاسلام على الظهور بمظهر المناصر للحق، بغية إحداث تغيير عائلي واشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وبذلوا كل جهد ممكن في سبيل الاسراع في خراب هذا الوطن. وانتقل الدوئمة في أواخر عهد الدولة العثمانية من دور التكتّم الى مرحلة المجاهرة. وبدأوا يتخذون خطوات لم تخل من التحدي لتقاليد المجتمع العثماني.

حاول الدوئمة مرارا الجمع بين الرجال والنساء تحت سقف واحد فلم يوفقوا واليكم نموذجاً من هذه المحاولات:

في الوقت الذي دخلت فيه الدولة العثمانية الحرب العامة وبالتحديد أيام اغراق بع الزوارق البحرية في زونفلداق أرادوا تنظيم حفلة ليلية في أحد المسارح ليعلموا في هذه الحفلة إلغاء الحجاب وقضاء ليلة متمعة يشترك فيها الرجال والنساء.

ولكي تكون حفلة السمر هذه عظيمة بذلوا كل الجهود الممكنة وهياؤا نساء أكثرهن من سالونيك يحملن أسماء اسلامية.

وكان من المقرر ان تقوم هؤلاء النسوة بتمزيق الحجاب وهن على خشبة المسرح و يعلن الثورة الاجتماعية.

لكن حكومة ذلك العهد حالت دون هذه الثورة وفرقت كل ما كانوا قد جمعوه في هذا السبيل.

زاد الدوئمة من حدة دعاياتهم فنشروا رسائل وكتب وعلنوا الحرب على الحجاب عبر «المجلة الجديدة»، مدعين بأن الحجاب ليس من الاسلام في شيء، واختلقوا الأكاذيب في سبيل إقناع الناس بأنه «عادة يونانية».

ولم يكتف هؤلاء بمهاجمة الحجاب بل ضموا اليه كل الشعائر الاسلامية.

وقد أغترت فئة من النساء في اول الامر فصرن يترددن على محافلهم ومجتمعاتهم حتى وصلن اخيرا الى الهاوية والسقوط.

ولم يجرؤ واحد من الناس هذه الفترة العصبية على التعرض لهؤلاء في أية صحيفة أو مجلة اذ سرعان ما يقوم اصحاب «المجلة الجديدة» بتقديم شكوى لدى أقطاب الدولة (١) ليصار الى مصادرة الصحف والمجلات التي تعترض سبيل الدوئمة والتككيل بأصحابها.

(١) الاتحاديون

اما علاقة الدوغة بالاتحاديين فهي ثابتة ثبوت علاقتهم بالماسونية ..

«أصحاب المصيدة هم اذكى الاقوام والاجيال التي تعيش في مدينة سالونيك انتسب معظمهم الى منظمة الاتحاد والترقي» وخلاصة القول : انهم قادوا الجانب الاكبر من ثورة تركيا الفتاة (١)... هذه الثورة قام بها من حيث الاساس اليهود الدوغة الذين اظهروا اسلامهم لكنهم ظلوا في الحقيقة يصارعون الاسلام ، وبقيت علاقاتهم تقتصر على الافعال الظاهرة فقط » .

هؤلاء النين لبسوا حلل المسلمين زورا وظلوا يهوداً في الحقيقة ومسلمين في الظاهر، كان لهم نصيب كبير في مقدرات الشعب التركي وتطوره في الوضع الحالي وكان قادتهم يجتمعون في محافل سالونيك لتوحيد جهودهم ضد الخلافة . وقد نشرت مجلة «المحارب» بتاريخ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ مقالاً للكاتب الفرنسي جان برون قال فيه :

وما كتبه الاتحاديون نجده في مذكرات رجل اتحادي اسمه غالب باشا الذي كان المفتش العام لقوات الدرك في استانبول . وقد نشرت مذكراته في مجلة «الحياة» في عدديها رقم ٦ و ٨ عام ١٩٦٦ .

فحول أحداث ٣١ من اذار المؤسفة (٢) يذكر غالب باشا انه خشى انه يناله سوء من العصاة فيعتصم بداره وفي اليوم الرابع من بدء العصيان يمم وجهه شطر مخازن آل ايبكجي السلانكلي (٣) .

لم استطع مغادرة بيتي حتى يوم السبت الرابع من نيسان . ولم أتمكن من الحصول على أية معلومات صحيحة عما يحدث . الأيام الاربعة التي قضيتها في البيت كانت مملّة ومعزّنة ، أما الصحف فكانت تزيد المرء كدرا على كدره .

كتبت الصحف انه في اليوم الثالث من نيسان تحركت بعض الوحدات العسكرية من سالنيك لكن هذه الاخبار لم تعرف درجة صحتها . خرجت في اليوم الرابع من شهر نيسان من داري وعبرت الى الجهة الغربية من استانبول ومررت بطريقي الى مخازن آل ايبكجي التجارية فشعرت بان رجلاً ذا لحية جعداء يتعقبني حيث كانت هذه المخازن تحت المراقبة الدائمة . ويبدو ان آل ايبكجي ذوى المكانة الرفيعة في قيادة الدوغة كانوا يحتضنون الاتحاديين خلال وجودهم في سالونيك .

أما المقال الثاني على لسان الاتحاديين فاخترناه من كتاب محمد رؤوف ليسكوفيكلي الذي كان عضواً في جمعية الاتحاد والترقي يعمل وفق ما تخطط له هذه الجمعية ، ولما قبض عليه عام ١٨٩٥ ابعده الحكومة الى سالونيك (ان صح ان يقال عن ارسال مثل هؤلاء لسالونيك ابعادا) فاعتبر هذا الابعاد ، شرفاً ينسبه الى نفسه فيصبح أحد أبطال الحرية .

عاش ليسكوفيكلي في سالونيك برعاية الدوغة وفي عام ١٩١١ نشر مذكرات عن كفاحه من اجل الحرية وجمعها في كتاب واحد وأسماه : «كيف كانت جمعية الاتحاد والترقي» لكاتبه القائمقام الاداري محمد رؤوف ليسكوفيكلي ويقع الكتاب في (١١٢) صفحة يقول ليسكوفيكلي في الصفحة ٧٩ من كتابه عن الدوغة الذين احسنوا اليه في محاولة لتجزئة احسانهم وهكذا نجد أن دوغة سالونيك عرفوا كيف يتقربون الى الفئة التي يراهنوا على ايصالها للحكم حتى ان ليسكوفيكلي يقول في مذكراته :

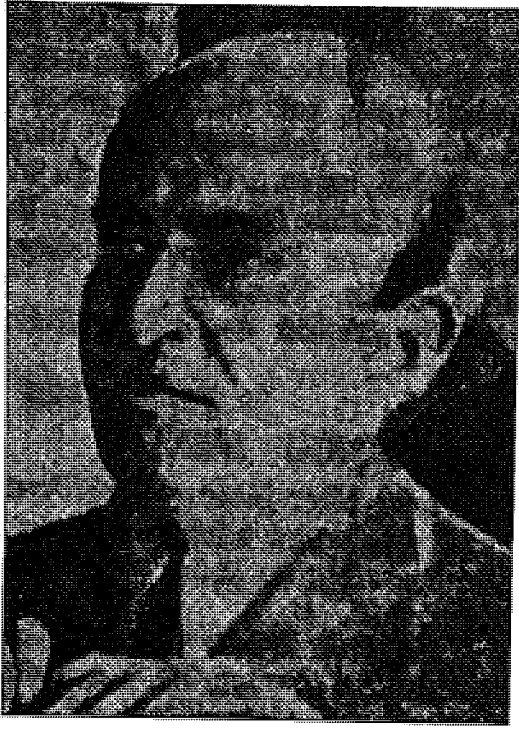
«والغريب ان الدوغة النين يقيمون حصراً في تلك المدينة (سالونيك) ويتهمون بالطمع الشديد لاشتغال أكثرهم بالتجارة هؤلاء كانوا اشد صراعا من اجل الحرية من غيرهم من المسلمين» .

ويستطرد ليسكوفيكلي في ابداء اعجابه بالدوغة فيقول :

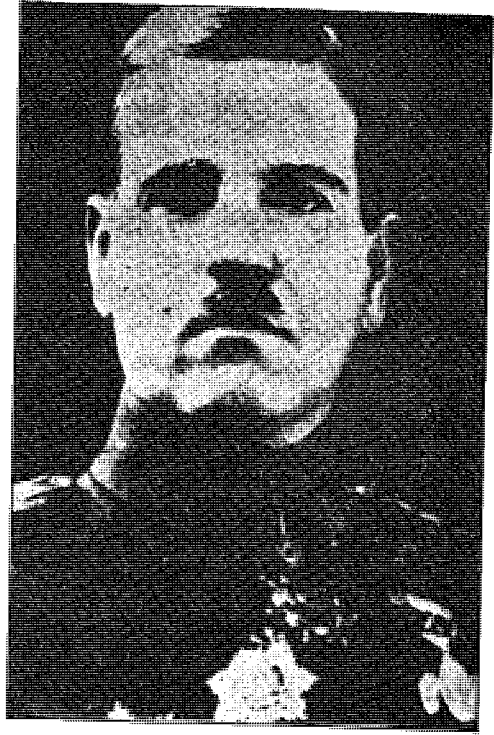
(١) او ثورة الدستور التي تحققت على يد مدحت باشا ورفاقه .

(٢) الحوادث التي سبقت خلع السلطان عبد الحميد

(٣) اسرة من الدوغة لها حالياً باع طويل في مجال الاعلام بتركيا وجريدة «مليت» اي القومية هي احدى صحف الدوغة اليسارية لصاحبها عبيد ايبكجي كما ان للمدير العام السابق للاذاعة والتلفزيون بتركيا اسماعيل جم ايبكجي هو احد افراد هذه العائلة .



جاويد بك وزير مالية الاتحاديين يهودي في قمة الماسونية !



علي فؤاد باشا

وكما سنذكر في الصفحات التالية فاننا لقينا، أثناء صراعنا من أجل الحرية مساعدات وتضحيات جساما من الدوغة، ان حبيهم الشديد للحرية الذي مع حرص هذه الجماعة على جمع المال والثروة، أوقع الشبهة في قلوب بعض أعضاء الجمعية فترة من الوقت. والواقع ان بعض الجهلة من المسلمين في سالونيك كانوا لا يحسنون الظن باخوانهم في الدين (اي الدوغة) بناء على بعض المظان الباطلة التي تدور حولهم منذ أزمان بعيدة. ثم يمضي في دفاعه أكثر فأكثر فيقول :

حتى ان بعض الجهلة ذهبوا بسوء ظنهم هذا شوطا بعيدا فشككوا في صحة عقيدتهم وسلامة اسلامهم. ولقد لقي هذا الظن الباطل رواجاً لدى من لم يطلع على الحقيقة من المسلمين في الممالك العثمانية الأخرى. الأمر الذي يدعو الى الاستطراد والتفصيل خارج هذا الموضوع.

الدوغة هم من اليهود الذين تشرفوا بالدين الاسلامي المبين قبل مائتي عام ومن ناحية التقيد بالاحكام الدينية ليست هناك اية فروق بينهم وبين غيرهم من المسلمين. وتعلقهم الشديد بالاسلام وبالدولة العلية العثمانية على وجه الخصوص وجبهم لها وصدقهم وتفانيهم في سبيلها حقيقة ثابتة بكفاحهم من أجل الحرية ولم نشهد عليهم أية أحوال او تصرفات تفسح المجال لشبهات تحول حولهم كما يظنه بعض الناس.

ويسعى لتبرير امتناعهم عن التزاوج مع المسلمين فيقول :
اذن فما سبب فهم المسلمين الخاطيء لاخوانهم الدوغة ؟ في رأينا هناك سبب واحد هو عدم مصاهرتهم للفرق الاسلامية الأخرى والواقع ان الدوغة يأخذون جانب التعصب الشديد لبعضهم في مسألة التزاوج وبذلك يحافظون على قوميتهم ذات النطاق المحدود.

ان هذه الحال لا بد أن تلفت انتباهنا لكننا اذا رجعنا الى الدوغة وسألناهم عن هذا التعصب وهذا التشدد فلن يتوانوا عن تقديم الأسباب الكافية لرفع الظنون المتولدة عن امتناعهم عن التزاوج. يقولون :

(اننا اذا لجأنا الى مصاهرة اخواننا في الدين ممن ليسوا منا لفقدنا الاخوة المتبادلة المبنية على التعاون والمشاركة فيما

بيننا ومن جهة اخرى فان بعض المسلمين من غيرنا يأخذون جانب اللامبالاة في جبههم لعيالهم لذلك نرى الكثيرين من هؤلاء يفارقون رفيقات حياتهم دونما سبب وحيال هذا الوضع فان الحب الذي نكنه لأولادنا يمنعنا من ان نرهم بأحضان كل انسان).

السبب الثاني الذي ذكره لا نستطيع ان نعتبره سبباً لا لأنه من الجنون ان نجزم بعدم وجود اناس من الأنوم الأخرى المسلمة يهجرون زوجاتهم ولا يطلقونهن دون اي سبب كما ان الانسان يمكنه التحكم في هذا الأمر فيختار المهر الذي يريده او البنت التي يريد.

وبعد ان يورد التساند القائم بين الدومة سبباً لانعدام العوز والحاجة فيهم ويذكر بصورة مقتضبة عدم تزواج فئات الدومة الثلاث فيما بينهم يقول مبدئياً اعجابه بالمستوى الحضاري المتقدم الذي بلغته الدومة :

ويجدر ان نذكر هنا مدى تقدم الدومة في العلم والعرفان والتجارة فالمؤسسات العلمية في سالونيك بلغت درجة عالية من التكامل والرقى لدرجة تفوقت فيها على المؤسسات العلمية في استانبول كل ذلك بفضل مساعي الدومة .

لقد خرجت مدرسة الترقى للذكور ومدرسة فيضية للاناث عدد كبيراً من الطلاب والطالبات بحيث يمكن ان تكون هاتان المدرستان في المستقبل جامعتين تفتخر بهما امتنا . ان فوز طلبة سالونيك بالدرجات العليا في كل المسابقات التي تجرى في المدارس الحكومية ان دل على شيء فاما يدل على هم اخواننا الدومة وعزائمهم القوية في التقدم والرقى .

وبعد كيل المديح لعلم وذكاء الدومة وبيان انهم اصحاب اليد الطولى في المجال التجاري في سالونيك وحتى في استانبول يقول :

«وجلة القول ان الدومة عنصر خير في بلادنا من كل الوجوه لا شك في ذلك» .

وهكذا تجد ان الدومة دخلوا في الاسلام دخولاً ظاهرياً لكنهم بذلوا كل الجهود الممكنة لافساد المجتمع الاسلامي وتقزيمه من الداخل وقد أوضحنا علاقة الدومة بثورة الدستور وبالأتاحيين وذلك على لسان أحد الدومة .

والآن نتساءل : هؤلاء الدومة ، أصحاب العقائد الباطلة ، الذين بدأوا في أزمير واستقروا في سالونيك ثم رحلوا منها أخيراً الى استانبول بأي وضع هم الآن ؟ وهل هم الآن على خطتهم السابقة تجاه الاسلام والمسلمين ؟ اذا حصل تغير في خططهم فما مبلغ التغيير وماهيته في هذه الخطط ؟ وهل يمكن التمييز بينهم وبين المسلمين الحقيقيين في ذلك البلد (١) بلد حرية الافكار وبلد العلمانية .

ان سيطرة «الدومة» ومن ورائهم الصهيونية العالمية على «الاتحاد والترقي» لم تكن خافية على الدول الأوروبية ، واذا كانت في البداية محل ارتياح فانها لن تلبث أن تصبح محل انتقاد .

وفي عام ١٩١٠م أرسل السفير البريطاني لدى الاستانة مذكرة الى حكومته يبين فيها سيطرة اليهود على «الاتحاد والترقي» و«تركيا الفتاة» قال فيها : ان الجمعية تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً ثنائياً يهودياً تركياً ، فالأترك يمدونها بالقوة العسكرية ، واليهود بالعقل المدبر والمال والنفوذ الاعلامي في اوربا .

ان اليهود يبدون الآن في موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة ، وهم يعملون للسيطرة الاقتصادية والصناعية ويبدون تصميمهم على مقاومة اي مشروع هام لا يكون لهم فيه دور ولا يقع تحت سيطرتهم .

كما يكشف السفير الانكليزي في الاستانة في رسالة سرية بعث بها الى وزير الخارجية البريطانية عام ١٩١٣م أبعاد المؤامرة الماسونية اليهودية الرامية للسيطرة على المنطقة الاسلامية عبر محافلها وتغلغلها في مراكز النفوذ بغية القضاء على الخلافة الاسلامية والوصول الى الحلم اليهودي القديم ، وما جاء فيها : (٢)

(١) - مصطفى طوزان (يهود الدومة) ترجمة عن التركية كمال خوجه - توزيع دار السلام عام ١٩٧٧م الطبعة الاولى ابتداء من ص ٥ .

(٢) أفصد تركيا .

أسس محمد أورفي باشا عدداً من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا ، وقدم الى القسطنطينية في ربيع ١٩٠٩م هذه الغاية لكنه اصطدم ببعض الصعوبات ، فلما حدث تمرد وحدات الجيش يوم ١٣ نيسان ١٩٠٩م اعتراه الخوف فعاد مسرعاً الى مصر.

وفي فقرة أخرى :

ان انتصار القوات المقدونية على عبد الحميد في آذار ١٩٠٩م واحتلالها القسطنطينية كان يعني انتصار الماسونية المستوحاة من ايطاليا .

ثم يقول :

ان طلعت بك وزير الداخلية وهو رجل من أصل غجري وموطنه كيرجال في منطقة أدرنة ، وجاويد بك وزير المالية ، وهو من أصل يهودي ، هما التجسيد الرسمي للسلطة الخفية للجمعية ، وهما الوزيران الوحيدان في مجلس الوزراء اللذان يحسب لهما حساب في الحقيقة ، وهما يمثلان ايضا قمة الماسونية في تركيا .

أرجو ان تحافظ على سرية هذه الرسالة كل المحافظة وبما ان معظم ما ورد فيها يتعلق بمصر خاصة فافترض بانك سترسل نسخة منها بصورة سرية الى غورست .

ولعله من المفيد ايضا أن تبعث بنسخة منها الى ايران بل والى حكومة الهند ايضا ، لأنه عندما يفهم وجهاء المسلمين في الهند بأن حركة تركيا الفتاة متأثرة تأثراً عظيماً بالماسونية السياسية اليهودية والاتحادية فسيكون هذا رداً على ما يحتمل أن يقوم به الاتحاديون الشوفينيون من دعاية للجامعة الاسلامية موجهة ضد بريطانيا ، ولدى من الأدلة ما يحملني على الاعتقاد بأن زميلي السفير الألماني يدرك مدى توجيه الماسونية اليهودية واللاتينية (أي الايطالية والفرنسية) لجمعية الاتحاد والترقي ، وأنه قد اطلع حكومته بصورة سرية على هذه الناحية من سياسة الاتحاديين). (١)

صديقك المخلص

جيرارد لاوئر

ولنا ان نذكر اخواننا الباحثين بانه يمكنهم أن يحصلوا على معلومات وافية في هذا الشأن من آل قره قاش ، وآل قبانجي وآل ديلبر وآل ايبكجي وآل شامل وسائر الأسر السالونيكية المعروفة ..

ولقد حاولنا البحث عن وسيلة أخرى يمكنها ان تنير للباحثين سبيلهم في الوصول الى الحقيقة ..

ولعلنا نذكر بان من الصفات الهامة للدونمة عدم مصاهرتهم للأقوام الأخرى ودفن موتاهم في مقابر خاصة بهم ..

(١) لعل من المناسب الإشارة الى سلسلة الحوادث الاجرامية ذوات الاهداف السياسية التي وقعت في ايطاليا خلال السنوات الاخيرة والتي ثبت خلال التحقيق فيها وجود علاقات متشابكة بين كل من المخابرات الايطالية والمخابرات الاميركية ، والمحافل الماسونية في كل من ايطاليا والولايات المتحدة وبريطانيا ، وبين عصابات المافيا الايطالية - الاميركية ، وغيرها من الاجهزة السرية الدولية ، والتي كان من ضحاياها رئيس الوزراء الايطالي الأسبق الذي اتهمت بقتله الالوية الحمراء ، ومرافق البابا المصري مايكل سيندونو الذي افتضحت علاقته مع «المحفل الماسوني بي ٢» في ايطاليا ومع المافيا الايطالية ، بعد ان كان رئيساً «لمصرف الرب» التابع للفايكان ، حيث أسس مؤسسة «سيكوماركت» التابعة لشركة «بيركنز» الاميركية ، وهي المعروفة بارتباطاتها مع المخابرات المركزية الاميركية . وقد تكررت فضائح هذه المجموعة الماسونية المافياوية الايطالية الاميركية وكان من بينها سرقة ما يعادل ٢١ مليون دولار بالعملة الايطالية ، وهي التي اشارت اليها صحيفة «بايزي سيرا» الايطالية مذكرة ببطلها : ستيغان بالاس وأنتوني جيلبيرنو الطالبين الاميركيين في الجامعة الاميركية بروما ، اللذين إختفى جميع شهود قضيتهما على الطريقة «المافياوية» عام ١٩٧٩م ، وما زالت ايطاليا تشهد سلسلة من الحوادث المماثلة بحكم التعاون المافياوي الاميركي الايطالي الذي تنظمه المخابرات الايطالية والمخابرات الاميركية من خلال خضوعهما لنفوذ المنظمة الماسونية العالمية ، والتي لم تعد تتورع عن اللجوء لاسلوب السرقات والجرائم في سبيل الوصول الى اغراضها السياسية .

لذلك سمعنا من عدد ممن نشق بهم أن الدومة يفضلون دفن موتاهم في مقبرة (وادي ببل) الكائنة في القسم الآسيوي من استانبول .

ذهبنا الى المقبرة المذكورة ورأينا هناك قبوراً فخمة مطلية بالقيشاني ولقد استرعت انتباهنا احجار الشواهد — حيث لم يطلب من الزائر قراءة الفاتحة في كتابات أكثرها — التي تبين كنية المدفون تحتها ، ويذكر فيها ان كانت امرأة بانها بنت فلان وزوجة فلان . انها كانت واضحة وبلغة لدرجة انها تمثل السجل الأساسي او ان شئت فقل شجرة الأسر السالونيكية .

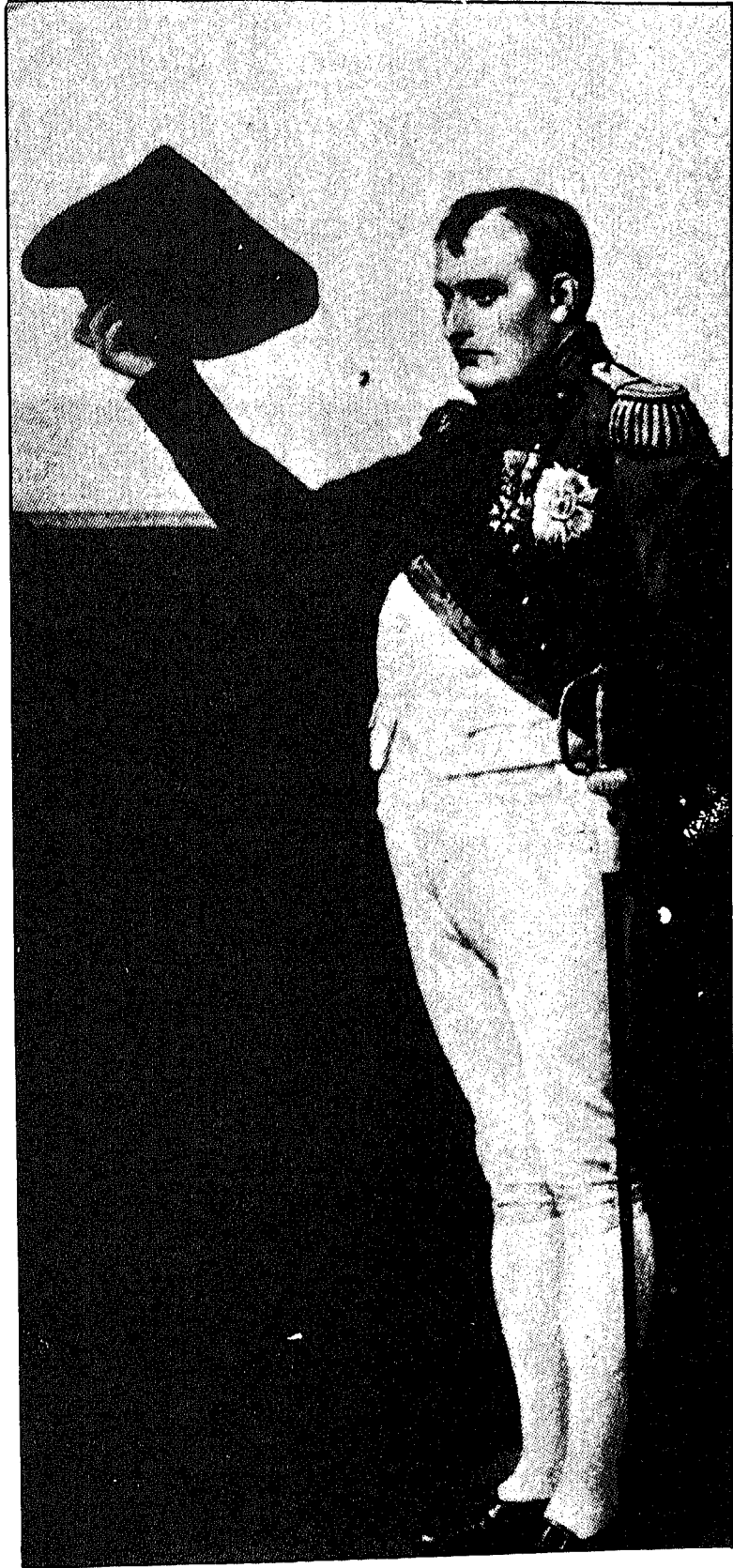
ومن الواضح أن يصل الباحث في نهاية المطاف الى أن هذا العنصر يمكنه أن يفاخر الدنيا بأنه سيطر على مقدرات تركيا فكرياً وسياسياً واقتصادياً انه امر واضح وضوح الكتابات على شواهد القبور .



البَابُ الخَامِسُ

الصليبية الجديدة ودورها في إلغاء الخلافة

- الفصل الأول : المستشرقون وبعث الروم الصليبية في الاستعمار الأجنبي
الفصل الثاني : بريطانيا والخلفاء و"الكلمة" أمسترونج والمخابرات وراي "أنا تورك"
الفصل الثالث : الإنكليز وثورة "العرب"
لورنس وتترنج فيصل بعد الحسين .



نابوليون بوناپرت

الفصل الأول

المستشرقين وبعض الروم الصليبية

في الاستعمار الأوربي

تمكن الأوربيون من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها، اتخذوا لهم نقاط ارتكاز رئيسية في افريقيا ومدوا نفوذهم إلى قلب العالم الاسلامي في غضون قرنين ونصف القرن ابتداء من السابع عشر وحتى أواخر التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين كان العالم الاسلامي برمته تحت النفوذ الغربي بشكل أو بآخر.

وكانت الروح الاستعمارية مدفوعة بتوجيهات المستشرقين من مستشاري وزارات المستعمرات أو الخارجية أو الحرية أمثال المستشرق الفرنسي «هانوتو»، مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في مطلع القرن الماضي الذي كتب مقالا نشرته صحيفة «المؤيد» الصادرة آنذاك وما جاء فيه :

- ١ — انه ليست للمسلمين أصالة في الثقافة وليست لهم قيم ذاتية.
 - ٢ — على المسلمين أن يأخذوا بالحضارة الأوروبية الارية المسيحية.
 - ٣ — الخطر كمين في اتحاد المسلمين ضد الأوربيين فديار المسلمين التي تحتلها فرنسا يعتبرها الجزائريون وبقية المسلمين «دار حرب» والخطر في الداخل والخارج، كما يعيد «هانوتو» إلى الأذهان بواعث الحروب الصليبية محرضا على إسترداد بيت المقدس من المسلمين البربريين — على حد تعبيره — ولهذا لم يكن مستغربا موقف اللنبي في القدس أو غورو في دمشق إزاء التعبئة النفسية التي شحنت بها نفوس جنود الاحتلال إضافة إلى الموروثات الصليبية كقصيدة «رولان» الشهيرة التي يقول فيها :
- «ان فرسان شارلمان قد اسقطوا الاصنام الاسلامية فالعرب يعبدون ثلاثيا مؤلفا من : محمد وأبولون وتيرافاجان» ولقد كرر أمثال هذه الفرية باسكال وماليرانس وفولتير ورنان وأضاف عليها شبنكلر وزويمر ومارجليوث وغيرهم .

وكانت الدولة العثمانية قبل عهد السلطان عبدالحميد الثاني بعدة قرون قد بدأت تعاني من آثار الضعف الفكري والجمود التشريعي منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (١) حينما قام بعض العلماء ينادون بسد باب الاجتهاد وكان ذلك نذير ضعف للدولة ومع أنه وجد بعد ذلك مجتهدون غير أن الضعف الفكري أخذ يستفحل فأثر ذلك على كيائها حتى تسرب التفكك إليه واستولى عليها الوهن وما أن جاءت الحروب الصليبية حتى كانت الدولة في حال لم تجعلها قادرة على الثبات أمام الصليبيين ووقعت في حروب متتالية استمرت زهاء قرنين، ثم انتقل الحكم إلى المماليك الذين أهملوا أمر اللغة العربية وأهملوا أمر النواحي الفكرية والتشريعية فاعلق باب الاجتهاد وضعف فهم الاسلام.. وكانت غزوة التتار فزادت الطين بلة.. ولكن الدولة الاسلامية إستمرت قوية الشكيمة مرهوبة الجانب رغم سقوط بغداد، وانتقال الخلافة للقاهرة، وتسلمت الدولة العثمانية حكم أكثر أنحاء العالم الاسلامي في القرن التاسع الهجري ال (١٥م) وضمت إليها البلاد العربية في القرن العاشر الهجري وإمتد سلطانها وعينت بتنظيم الجيش واشتغلت بالفتوحات، وأهملت أمر اللغة العربية، ولم تكن بالفكر والتشريع، فانخفض مستواها ولم تلحظ ذلك لانها كانت في

(١) انظر: عبدالمقدم زلوم (كيف هدمت الخلافة) ١٩٦٥م



كنيسة القديس بطرس في روما أحد معقل التبشير

عنفوان مجدها وقوتها العسكرية، وظهرت «المسألة الشرقية» التي كانت تعني في بدايتها إلقاء خطر زحف العثمانيين على أوروبا (في التاسع حتى الثاني عشر الهجري (أل ١٥ — ١١١٨م)

ونتيجة لاساءة تطبيق الاسلام وفقدان الاجتهاد، إختل الميزان، منذ منتصف الـ ١٢ هجري، وبدأت كفة أوروبا ترجح مع مطلع الـ ١٣ هـ (الـ ١٩م)، حيث شهدت أوروبا تحولات فكرية ملموسة، وزال عن معظمها الاستبداد وظهرت النهضة في أعقاب الانقلاب الصناعي وظهور المكتشفات، وأصبحت المسألة الشرقية تعني الإبقاء على الدولة العثمانية أو اقتصادها.

ووقف العثمانيون مبهورين إزاء ما شاهدوه في أوروبا، فجمدوا لعدم فهمهم للاسلام فهما صحيحا، ولم يعرفوا كيف يرجعوا للمنهل الصحيح، في الوقت المناسب، وعندما عازمت الدولة على طبع القرآن الكريم أفتى (الفقهاء) بتحريم طبعه.

ثم قام طلبة المدارس التبشيرية مع العائدين من جامعات الغرب بمحاولاتهم للتوفيق بين الاسلام والحضارة الفرنسية بحجة أن الغرب اخذ حضارته في الاسلام، وتحت شعار العصرية أمكن تحويل الأمة كلها إلى مجموعة متناقضة في الافكار.

وبدأ انقضاؤ الغرب على الدولة، فظهرت فكرة «القومية» البلقانية، والتركية، والعربية، والأرمنية، والكردية، ودخل العثمانيون الحرب الأولى، ليخرجوا مهزومين، طاوين معهم الراية، التي طالما خفقت عالياً لمدة ثلاثة عشر قرناً ونيف من الزمان.

وأدى تنافس القوميين العرب والأتراك إلى إنجياز القوميين العرب إلى انكلترا وفرنسا، ضد الدولة العثمانية، ولما أحس رجال «الاتحاد والترقي» بذلك ألفوا جمعية: «ترك أو جاغي».. أي (العائلة التركية) وجعلوا غايتها محو الاسلام وتترك العناصر العثمانية ثم صاروا يشجعون اصدار الكتب والجرائد الاحادية، ومن ذلك كتاب جلال نوري بك «تاريخ المستقبل» الذي يقول فيه: (ان المصلحة تقضي على حكومة الاستانة باكره السوريين على ترك أوطانهم وأن بلاد العرب لا سيما العراق واليمن يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين وما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية إلى اقطار تركية لأن النشء العربي الحديث صار يشعر بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب ان نحتاط لها من الآن).

وقد غلبت القومية التركية على الجامعة الاسلامية عند بعض الشباب الأتراك أمثال أحمد آغا بك، يوسف اقشورة

بك وغيرهما فتفوهوا بكلمات قاسية ضد العرب ومجدوا الترك . مما أدى إلى صلب الاتحاد والترقي بالنعرة الطورانية وانفصال العرب والالبان والأرمن وبعض الترك عنها فتأسست جمعيات وأحزاب أخرى .

وفي استانبول استهدفت الحملة الدولة نفسها ، فعمدت إلى تغيير نظام الحكم ، وتغيير الأحكام الشرعية ، ووضع النظم الغربية مكانها ، وبدأت عملية «التغريب» عام ١٨٣٩م بإسناد الخلافة لعبدالمجيد الأول وهو ما يزال دون السادسة عشر من العمر حيث عين رشيد باشا سفير السلطنة في لندن وزيراً لخارجيته وكان مشبعاً بالأفكار الغربية فبدأ بالدعوة للحكم الدستوري البرلماني وأعدت وثيقة دستورية عرفت بـ (خط كلخانة) عرضها على الباب العالي في ٣ نوفمبر ١٨٣٩م إلا أنها ظلت حبراً على ورق رغم إلحاح انكلترا في القيام باصلاحات دستورية مما أدى إلى اصدار (خط همايون) ١٨٥٥م الذي أكد حقوق الرعايا الواردة في خط كلخانة كما فصل للنصارى حقوقاً وسمح للمسلمين بالارتداد عن دينهم وأباح تجنيد النصارى وتقليد الأجانب مما كان له صدى سيئاً أدى إلى عدم تنفيذه .

ثم جاء مدحت باشا عاشق الحضارة الغربية فصمم على إيجاد دستور وفق الأفكار الغربية خلال توليه وزارة العدل وفي وزارة محمد رشدي باشا أيام الخليفة عبدالعزيز .

فأمر بعزله وإبعاده وعينه والياً لسالونيك ورجع إلى استانبول واتفق مع حسين عوني باشا سر عسكر الدولة على خلع عبدالعزيز واتصلا بناظر البحرية وشيخ الاسلام وقبل تنفيذ المؤامرة في مطلع ١٨٧٦ بعث مدحت بمذكرة مفصلة للدول الأوروبية عدا روسيا أعلن فيها خلع السلطان (لنقص في قواه العقلية) وتعيين مراد الخامس خليفة باعتباره (رجلاً مستنيراً نشأ على الطريقة الأوروبية) فضلاً عن اعتناقه للماسونية ، إلا أنه أصيب فعلاً باختلاط عقلي فخلع في ٣١ سنة ١٨٧٦م .

ورقي أخاه عبدالحميد الثاني في سبتمبر ١٨٧٦م وتول مدحت باشا مقاليد الصدارة العظمى واستوحى الدستور البلجيكي في نشره للقانون الاساسي في ٢٣ ديسمبر مع استبدال بعض العبارات كلفظ (العثمانيين) مؤكداً على الحرية والتمثيل الشعبي (مجلس مبعوثان ومجلس اعيان) ، والحصانة النيابية والتشريع والميزانية والمحكمة العليا ، ونظام اللامركزية ولكننا نجد أن الدستور لم ينفذ فقد أقيل مدحت في ٥ شباط ١٨٧٧م باعتباره مرتكباً للخيانة العظمى لصلته بالانكليز .

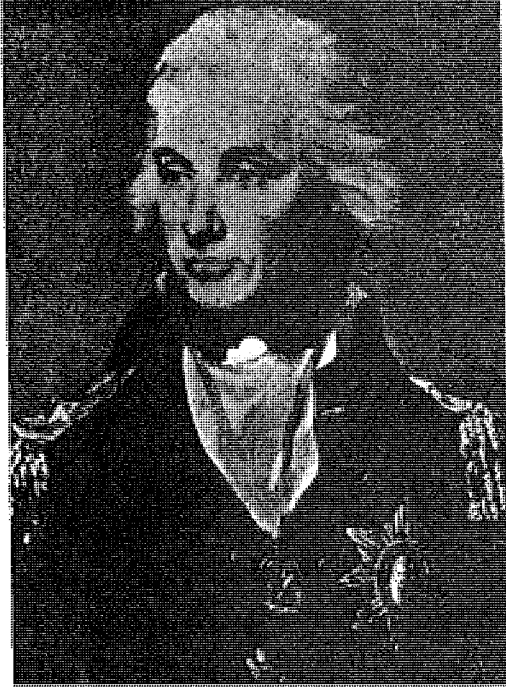
وحاول دزرائيلي (اليهودي) رئيس وزراء بريطانيا آنئذ الضغط على بسمارك في مؤتمر برلين ١٨٧٨م .

ثم ثارت جمعية «تركيا الفتاة» ١٩٠٨م فخضع عبدالحميد مؤقتاً وما لبث أن ألغى الدستور الذي اضطرا لاعلانه فترة ولكن الثورة اندلعت في سالونيك ثانية ، وانتهت بخلع عبدالحميد الثاني وتعيين أخاه محمد رشاد الخامس ١٩٠٨م الذي أعاد الدستور .

وبتطبيق الدستور أفرغ الخلافة من مضمونها ودك في صرحها الشامخ أول اسفين حيث بدأت «البرلمانية» ولم يعد للخليفة من سلطات الخلافة سوى الاسم بينما كانت فتاوى شيخ الاسلام والعلماء تعتبر تغريب القوانين «اصلاحاً» منذ بدايته في عام ١٨٥٧م بإلغاء الحدود وإصدار قانون الجزاء . ثم اصدار قانون الحقوق والتجارة ثم فصل القضاء إلى محاكم شرعية وأخرى نظامية ، وإصدار أصول المحاكمات وقانون المعاملات ثم مجلة الأحكام العدلية ، التي جاءت تقليداً للقانون المدني الفرنسي ١٨٦٨م .

أما الغزو السياسي الذي تعرضت له الدولة العثمانية بشدة وتركيز في عصر عبدالحميد الثاني ، منذ أن تغلبت روسيا في عهد كاترين (١٧٦٢-١٧٩٦م) على العثمانيين فانتزعت مدينة آزوف وشبه جزيرة القرم واستولت على الخوض الشمالي للبحر الأسود وأنشأت مدينة سيواستبول وميناء أوديسا ، وأصبحت روسيا عاملاً هاماً في السياسة العثمانية واعتبرت نفسها حامية للمسيحيين فيها ، ثم اقتطعت تركستان ١٨٨٤م وأكملت احتلالها للقفقاس . (١)

(١) عبدالله عبدالرحمن «الرجل الصنم كمال أتاتورك» عن مذكرات ضابط تركي سابق ص ٣٨٦ وص ٤٩٤



القائد البريطاني نلسون خصم نابليون

القائد الفرنسي كليبر مساعد نابليون

نابليون بونابرت بالعمامة بعد أن تظاهر بالاسلام
لكسب ود الشعب في مصر والشام

وعام ١٧٩٨م هاجم نابليون مصر وهدد الشام كما اعقبته حملة فريزر البريطانية عليها.
واحتل الفرنسيون الجزائر ١٨٣٠م، ثم تونس ١٨٨١م، ومراكش ١٩١٢م، واحتل الطليان (طرابلس الغرب) ١٩١١م.
وكانت بريطانيا قد استولت على عدن ١٨٣٩م بعد ان ربطت الخليج بمعاهدات على غط معاهدة مسقط ١٧٩٨م.
كما استولت على مصر ١٨٨٢، وعلى السودان ١٨٩٨م، وسيطرت هولندة على جزر الهند الشرقية، ووقعت أفغانستان وإيران تحت ضغط روسي بريطاني كما خضعت الهند للانكليز، ورغم مقاومة المسلمين في الصين والهند وإفريقيا، ورغم ثورات «المهدية» في السودان، و«السوسية» في ليبيا، ثم انقسام العالم الاسلامي.
ونجحت ثورة البلقان ١٨٠٤م في الاستقلال ١٨٧٨م، كما بدأ تحريض اليونان ١٨٢١ حتى استقلت ١٨٣٠م، بينما رحل الجركس والبوشناق والشاشان والارناؤوط إلى الدولة العثمانية، فرارا بدينهم، في وقت كانت فيه الحركات القومية تنشط في تركيا والبلاد العربية ولم تنته الحرب الأولى حتى تم للحلفاء اقتسام الدولة العثمانية بعد أن نجحت الحركات الوطنية في وضع موائيق الاستقلال في الأجزاء التي تضمنتها الاتفاقيات المعتمدة من الحلفاء أنفسهم، بينما لم تشهد ألمانيا نفسها وهي حليفة الدولة العثمانية في الحرب مثل هذه التجزئة الاجرامية.

الفصل الثاني

بريطانيا والحلفاء و"الكمايلية"

أرمسترونج والمخابرات وراء "أنا تورك"

بالنسبة للأتراك لم تكن الحال بأفضل مما كانت عليه لدى العرب، فقد نجح الغربيون في اختراق صفوفهم وغزو عقولهم، حتى خرج من بينهم من يضرب الخلافة العثمانية في عقر دارها، وعرف الكابتن هـ س أرمسترونج كيف يختار مرشحه لرئاسة تركيا العلمانية ووجد ضالته المنشودة في مصطفى كمال (١) الذي تعززت علاقته به في فلسطين وسورية يوم أن كان أرمسترونج نفسه في أسره ورعايته، وقد كشف أرمسترونج، على عادة ضباط الاستخبارات المدربين كل العقد النفسية لفريسته، ولمس نزوعه الشديد للرئاسة، تعويضا عن نشأته الوضيعة وأصله المشكوك فيه، (٢) فأغرقه بسيل متواتر من البطولات الوهمية، التي صنعتها له الاستخبارات البريطانية، لتنسج من حوله هالة تقربه إلى السلطان وتفرضه على المتريعين في الحكم من رجال الباب العالي، ممن لم يكن يفوتهم ملاحظة طموحات مصطفى كمال غير العادية، حتى أن أنور باشا «كان مرة يحتفظ بجيبه بقرار ترقية مصطفى كمال إلى رتبة باشا، وقد أخر صدوره فترة لانه موثق أن حصوله على الباشوية سيثير شهيته للتطلع إلى الصدارة العظمى ثم السلطنة وربما الخلافة.

. وتبدو معرفة أرمسترونج العميقة بشخصية مصطفى كمال وأهليتها لما سيوكل إليها من مهمات، ليس من خلال فحشه وتهتكه الفاضح وجراته في خرق التقاليد والآداب إلى حد خدش حياء ابنة السفير الفرنسي، نفسه ولكن في نقمته على الجنس التركي نفسه باعتباره يشعر بدمائه السلافية نتيجة لسلوك والدته خلال وجودها في سالونيك بين الدوغة والصربين والمقدونيين والسلافيين والأروام.

ولذا نجد أرمسترونج في كتابة عن مصطفى كمال يوضح أسباب تسميته ب «الذئب الاغبر» مذكرا براءة زعيم العثمانيين سليمان شاه التي اتخذت شعارها صورة رأس «ذئب أغبر» ويصف وجوه المغوليين المسطحة وعيونهم المشقوقة وكأنه يريد أن يوضح اختلافها البين عن (سحنة مصطفى كمال ذي العينين الزرقاوين الشاحبتين، والشعر الذهبي في لون الرمال).

ومضى في تقربه لمصطفى كمال فيبالغ في وصف أمه المحجة شديدة التدين ذات النزعة المحافظة والفكر الثاقب والحكم الصائب على مختلف الامور، وهي التي عرفها مجتمع سالونيك، ولاكت الألسن سمعتها، قبل ميلاد مصطفى كمال، وبعد أن نسبته لعللي رضا الذي رضي بزواجه منها، ونقلها إلى بيته الوحش المتهم، كما يصفه أرمسترونج نفسه.

بل ان أرمسترونج يضع إصبعه بصراحة على بداية العقد النفسية عند مصطفى كمال حينما يشير إلى الزواج الثاني لوالدته من أحد الروديسين الميسورين، وانقطاعه عن زيارتها ولجؤه إلى أصحابه من الرهبان المقدونيين، الذين تلقفوه فلقنوه مبادئ اللغة الفرنسية، مع صديقه المقدوني «فتحي». فإلتهما كتب فولتير وروسو ومؤلفات هوبز و جون

(١) ترجمة: عبدالله عبدالرحمن - عن كتاب لضباط تركي سابق لم يعلن اسمه، بعنوان «الرجل الصنم كمال أنا تورك» ص ٤٦ - مؤسسة الرسالة ص ١ - ١٩٧٧ م.

(٢) د. رمضان (١٨٧٩ - ١٩٤٣) طبيب ومؤرخ وسياسي تركي - شغل منصب نائب وزير خارجية في عهد مصطفى كمال كتب مذكراته وأودعها فرنسا وبريطانيا مشترطا عدم نشرها قبل عام ١٩٦٠ م ونشرت بتركيا عام ١٩٦٨ م فأحدثت ضجة كبيرة لما حوته من فضائح كمايلية وصدورت، وهو مؤلف (التاريخ التركي المفصل والمصور) في ١٤ جزءا.

ستيورات ميل وغيرها من الكتب المنوعة! حتى أصبح ينظم الشعر الملتهب بمشاعر القومية، ويخطب في زملائه بالكلية العسكرية، فيحدثهم عن فساد السلطان، قبل أن يتجاوز العشرين من العمر، ثم انتقل إلى استانبول وانغمس في ملاحيقها وحاناتها، وراح يشرب ويقامر ويغازل، قبل أن يسجن لانضمامه إلى «جمعية وطن».

ويشهد ارمسترونج بعلاقة «الاتحاد والترقي» بالدوغة والماسونية في معرض تأريخه لحياة مصطفى كمال فيذكر كيف (دعى لحضور أحد اجتماعاتها في بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية، والجمعيات الماسونية الإيطالية إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية، وقد دأب الاتحاديون على الاحتماء بحصانة اليهود، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر، وكان بعضهم كفتحي المقدوني صديق مصطفى كمال القديم، قد انضم إلى جماعة الماسون (البنائين الأحرار).

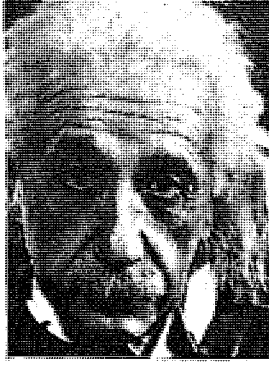
ويروي كيف استعانوا على تأليف جمعيتهم الثورية وتنظيمها باقتباس أساليب المنظمات الماسونية، وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوفيرة من مختلف الجهات ويتصلون باللاجئين السياسيين الذين نفاهم السلطان إلى خارج البلاد.

ويكشف ارمسترونج كيف وقع الاختيار على مصطفى كمال وحده، من دون بقية أقرانه، لتنفيذ آخر خطوة في الخطة البريطانية فيقول: (إن طبيعته كانت تميل إلى أن يكون الأمر النهائي، فلم يظهر أي احترام لزعماء الاتحاديين، وتشاجر مع: أنور وجمال وجاويد اليهودي الأصل، ونيازی الألماني المتوحش، وطلعت الدب الكبير، الذي كان موظفا صغيرا في مصلحة البريد.

وبعد أن تحول مصطفى كمال من مجرد ضابط صغير نائر على الأوضاع إلى قائد عسكري يملك رصيда من الأتجاد والانتصارات لقب بـ «الغازي» بفضل نفوذ رجال الاستخبارات البريطانية، ويذكر لنا أرمسترونج صفحة جديدة من حياته الخاصة بعد كشفه عن مجونه وفسقه، وأهليته لنسف الخلافة الاسلامية، فينتطرق إلى زواجه الاسطوري من «لطيفة» تلك الفتاة الازميرية الموسرة التي عادت لتوها من باريس لتقدم خبراتها الادارية وثقافتها العصرية واجادتها لعدة لغات فضلا عن أنوثتها وسحرها مع قصر أبيها الفاخر في أزمير إلى الغازي مصطفى كمال، الذي أوقعته في حبائلها بتمنعها ودلالها فتخلص من «فكرية» التي أرسلها إلى ميونيخ للعلاج من المرض الذي نقله إليها، ثم دبر أمر انتحارها كما تخلص من «صالحة» ليقوم بزواج خاطف من «لطيفة» بعد أن أفسد حياة «سعاد» وعشرات البنات والنساء والغلمان وغيرها، كما تؤكد ذلك بعض الوثائق التي تركها أحد زملائه من الضباط المتقاعدين (١) وقد كانت لطيفة نفسها ضحية من ضحاياه، فيما بعد، حيث طلقها بقرار وزاري، وتركها فريسة للأمراض والأوجاع، بعد تحذيرها للصمت عن كل شذوذه، ولم تبق بجانبه إلا «عفت»، تلك الفنانة التي كانت له معلمة ومؤرخة، حتى استطاعت أن تقود ذلك الوحش — على حد تعبيره — بأسلوب الخضوع والعبودية له.

ولكن «لطيفة» هانم أشاكي كيل «لم يمنحها قانون حماية مصطفى كمال من أي هجوم أو نقد من التلميح بن سطور مذكراتها التي نشرتها صحيفة «الحرية» التركية في حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ م من تسليط بعض الأضواء على حياة أتاتورك الخاصة وأفراطه في الشرب، محاولة إلقاء المسئولية على أصحابه وزملائه أمثال: «قلج علي» و «نوري جنكر» و «رجب هدى» الذين كانوا يعتمدون اهدار وقته وهم مجموعة من القتلة والأشقياء المعروفين الذين ضمهم إلى حاشيته لحراسته وأصبح بعضهم يرفع الكلفة معه إلى أبعد الحدود بعد تنفيذهم للعديد من المهمات الاجرامية التي كلفهم بها للتخلص من بعض خصومه.

(١) ترجمة: عبدالله عبدالرحمن — عن كتاب لضابط تركي سابق لم يعلن اسمه، بعنوان الرجل الضم كمال أتاتورك — مؤسسة الرسالة ط ١ — ١٩٧٧ م.



اينشتاين

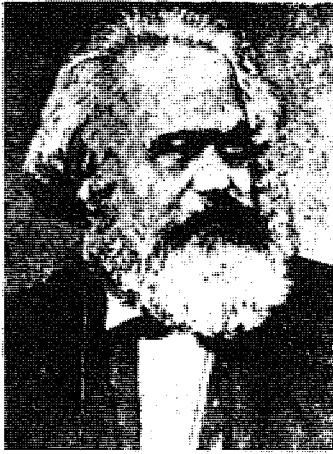


نيتشه

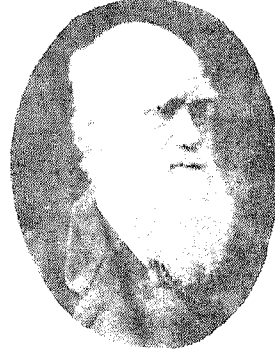


زويغر

في خدمت
الماسونية والصهيونية



ماركس



داروين



فرويد



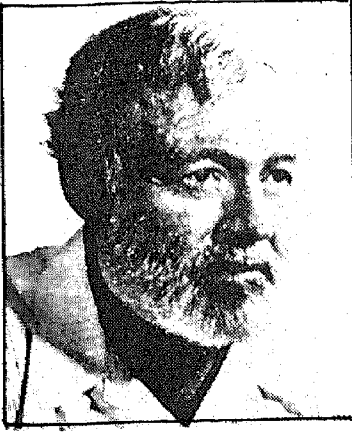
نابليون



واشنطن



فولتير



ارنست هنجواي :
مصطفى كمال
خان الاسلام
والمسلمين !



الملك عبد الله
شهد بذكراته بمواقف
عبد الحميد وتصرفاته

ويؤكد (١) د. رضا نور، الطبيب والمؤرخ التركي، (٢) أن مصطفى كمال مولود غير شرعي لسيدة من سالونيك تدعى زبيدة، عرفت بسوء سيرتها ونسبت ابنها الى أحد حراس الجمرك في سالونيك واسمه علي رضا أفندي الذي تزوجته فيما بعد ويقول ان الناحية الانثروبولوجية تظهر أن شقته وزرقه عينيه وجمجمته السلافية (دوليكوسفال) تجعل من المستحيل أن يكون من أبوين تركيين فنمط الجمجمة التركية «براكتيفال» وبدافع من شعوره بهذا النقص حرص على لقب «أتاتورك» واعتبره أفضل الألقاب باعتباره «أبوالأتراك» كما أنه كان يردد: (ما أسعد من قال انني تركي).

قد كان يعرف بمصطفى فقط حتى دخوله المدرسة الرشدية العسكرية حيث خاطبه أحد أساتذته بمصطفى كمال لئلا يختلط الأمر باعتبار أن كليهما يدعى مصطفى.

والمعروف أن أمه تزوجت ثانية وكان عمرها ٣٥ سنة فضعفت علاقته بها، ولذا فقد لزم مصطفى كمال الصمت حول والديه طيلة حياته وكان يردد بدون مناسبة: (لقد ولدت كالأخوين وكبرت، وإذا كان هناك من تمايز أو فرق في ولادتي فانه ينحصر في كوني تركيا) «مما يشير بوضوح الى العقدة التي كان يعانيها».

لقد أملى اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا في وزارة ديفيد لويد جورج على عصمت باشا مبعوث مصطفى كمال إلى بريطانيا عام ١٩٢١م الشروط التالية للموافقة على استقلال تركيا:

- ١ - أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام.
- ٢ - أن تلغى الخلافة الاسلامية.
- ٣ - أن تتعهد باخاد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.
- ٤ - أن تختار تركيا لها دستورا مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية والقائم على قواعدها.

فاختارت تركيا دستور سويسرا المدني ونفذت ما أملته عليها بريطانيا من شروط وما تفرع عنها من استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ومنع إقامة الاذان باللغة العربية ومنع تعليم الدين والقرآن في المدارس.

وقد ألف المؤرخ الألماني اليهودي «أميل لودفيغ» كتابا بتمجيد مصطفى كمال حيث سماه «الذئب الأغبر» وفيه يقارن بينه وبين نابليون ويفضله عليه لانه ألغى الخلافة، وخلص بذلك الدولة من الأعباء المرهقة لتركاة الدولة العثمانية.

ويروي المرحوم الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين في مذكراته (١) شهادة بعض من لقيهم في ألمانيا أو

(١) الحاج محمد أمين الحسيني - الحلقة العاشرة من المذكرات - مجلة فلسطين العدد ١٤٧ - حزيران (يونيو) ١٩٧٣ م - «الرجل الضم كمال أتاتورك» ص ٤٩٠ تأليف ضابط تركي سابق وترجمة عبدالله عبد الرحمن.

(٢) د. رضوان (١٨٧٩ - ١٩٤٣) طبيب ومؤرخ وسياسي تركي - شغل منصب نائب وزير خارجية في عهد مصطفى كمال كتب مذكراته وأودعها فرنسا وبريطانيا مشروطا عدم نشرها قبل عام ١٩٦٠م ونشرت بتركيا عام ١٩٦٨م فأحدثت ضجة كبيرة لما حوته من فضائح كمالية وصدورت. وهو مؤلف (التاريخ التركي المفصل والمصور) في ١٤ جزءاً.

أوروبا من الشخصيات حول بعض الأحداث الجارية ومنهم «الميرالاي كمال بك أخرى» من رئاسة أركان أتاتورك خلال حرب الاستقلال الذي لقيه بألمانيا فأكد له عام ١٩٤٣م — أن اللورد كرزون وقف موقف المتصلب حينما تباحث مع اينونو حول مصير الخلافة وأبدى مخاوفه من تجمع المسلمين حول «النواة» وعودة «المسألة الشرقية» وعندما رجع إلى مصطفى كمال رضخ للضغط البريطاني وقبل بشروط كرزون.

كما يذكر أيضا شهادة الداماد ذو الكفل باشا أحد أصحاب السلطان العثماني الذي لقيه في القاهرة ١٩٤٩م فأكد له رواية كمال أخرى وزاد عليها أنه كان يشاهد في تلك الفترة كبير الخاخامين في الدولة العثمانية «حاييم ناحوم» يتردد كثيرا على دوائر الدولة عارضا وساطته ويكثر من السفر إلى انكلترا وأميركا والمعروف أنه كان رئيساً لـخاخامي اليهود في سالونيك حيث كان (الدوفه) يعيشون فسادا ثم أصبح رئيساً للخاخامين في استانبول وعندما سقطت الخلافة انتهى دوره هناك فانتقل إلى القاهرة رئيساً للخاخامين، بعد أن ورثت القاهرة مركز الزعامة الإسلامية من استانبول، التي أصبحت مدينة عادية في دولة تركيا العلمانية، وكان ناحوم يقيم في بيته بالقاهرة ناديا للقمار يرصد ريعه للحركة الصهيونية في فلسطين، بل أنه مع كونه من كبار «رجال اليهودية» العالمية أصبح عضوا رسميا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ويضيف الحاج أمين الحسيني أن المرحوم عبدالرحمن عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية — أكد له «شروط كرزون» نقلا عن صديقه الشاعر العثماني محمد عاكف الذي هاجر لمصر في تلك الفترة وسرعان ما تألفت في الهند «جمعية الخلافة» التي ضمت مسلمي الهند الذين كانوا أقوى أنصار الدولة العثمانية ولم يتوانوا عن مساعدة مصطفى كمال قبل إلغائه للخلافة، فأرسلت الجمعية وفدا برئاسة مولانا محمد علي خان الزعيم الذي دفن بالأقصر ونصحوا مصطفى كمال وعرضوا عليه بيعته بالخلافة بعد أن امتنع عن مقابلتهم لولا وساطة صديقهم أديب ثروت بك أحد العسكريين الكماليين في المجلس الوطني التركي، وقد استمع أمين الحسيني لهذه الرواية من أديب ثروت ومحمد علي خان معا لدى اجتماعهما في المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٩م) عقب إلغاء الخلافة.

ويقدم الجنرال كاظم قره بكير باشا في كتابه (الخلافات السياسية) مطبعة قانديز ١٩٥٥م، وثيقة سياسية ترجع إلى يوم ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠م يكشف فيها أن مصطفى كمال سعى للتقرب من البلاشفة عن طريق ضرب مسلمي قفقاسيا حيث سلمهم فريسة سهلة للروس مستهدفا فصل تركيا بواسطة اذربيجان وارنستان وكورجستان بعد أن شغل الجيوش التركية في تلك الجبهة ١٨ يوما لافساح المجال لبريطانيا في باقي أنحاء الدولة العثمانية، محققا بذلك أمرين، فهو من جهة تقرب إلى روسيا البلشفية ومن جهة أخرى خدم مصالح الانكليز، وكانت أوامره كلها بترتيب من القيادة البريطانية نفسها.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي ينفذ بها مصطفى كمال خطط بريطانيا بل أنه سبق أن نفذ كل ما طلبه منه كما تكشف الوثائق التي تركها ضابط تركي متقاعد من أعوانه الذي رافقوه منذ البداية، معددا هذه المناسبات كما يلي:

- ١ — ترك الموصل
- ٢ — ترك الجزر اليونانية والتنازل عن مصر وقبرص.
- ٣ — التنازل عن التعويضات من اليونانيين.
- ٤ — جعل استانبول منطقة دولية ثم ألغى القرار بتنازلات أكبر.
- ٥ — عمد تحصين المضائق أو وضع جند حولها وتجريد المنطقة الممتدة من مضيق البحر الاسود حتى مضيق «جنه قلعة» بعرض ٣ كلم من الجنود والسماح ببقاء اليونانيين في استانبول مع احتفاظهم بثروتهم.
- ٦ — الابتعاد عن الروس.

٧ - الغاء الخلافة.

٨ - اعلان العلمانية.

وهناك تصريح لرفعت باشا الى جريدة «الجمهورية» قبل وفاته يقول فيه : ان مصطفى كمال باشا ذهب الى الأناضول باذن من الانكليز بينما ذهبت أنا اليه بركوبي الباخرة مع ١٨ فارسا حيث قمت بإدارة فرقة الجيش في «سمسون» ، وقد قام وقد انكليزي مؤلف من ثلاثة أشخاص بوداع مصطفى كمال باشا عند مغادرته استانبول. وقد حدثت مشادات عنيفة في المجلس مع جولاق صلاح الدين باشا حول هذا الموضوع.

وسمعت من أحد أهالي قونية بأن «هارينجتون» القائد العام لجيش الاحتلال الانكليزي في استانبول هو الذي ارسل مصطفى كمال الى «سمسون».

وعندما أرسل عصمت الى لوزان ونحوله لإجراء محادثات «هدنة مودانية» لم يسأل المجلس اطلاقا ولم يعرفه ادنى اهتمام.

بينما كان هناك الكثيرون في المجلس من مدنيين وعسكريين يستطيعون ادارة مباحثات الهدنة ومباحثات لوزان بكفاءة وقابلية من ناحية مهنتهم ولكن ارسال هؤلاء لم يكن يلائم هدف مصطفى كمال ذلك لان هارينجتون كان موجودا في «مودانية» وكان هو قد أرسل الى الأناضول بسعي منه.

لذلك فقد كان من الضروري ارضاءه وكان زمن القفز من سياسة التقرب للروس الى سياسة التقرب للانكليز قد حان وقته.

وفي لوزان كان عليه ان ينحني للسياسة الانكليزية.

وقد كتب ارنست همنجواي :

«حتى ما قبل بضعة اشهر كان العالم الاسلامي ينظر الى مصطفى كمال باعتباره صلاح الدين الايوبي الثاني. وكان يأمل منه ان يوجه الاسلام في حرب ضد المسيحيين ويكون رائدا أمام جميع البلدان الشرقية في حرب مقدسة. ولكن العالم الشرقي بدأ الان يفقد تدريجيا ثقته به وقد قال لي المسلمون الذين تحدثت معهم : لقد خاننا مصطفى كمال. ولم يعد أحد يتكلم عن الجهاد (١) .

ان هذا القائد المظفر مصطفى كمال أصبح بهذا الوضع عندما ظهر بهويته المدنية وذلك أنه يأخذ المكاسب المادية المقدمة اليه ويقدم التنازلات التي يعتبرها دعاة الاسلام إهانة لهم.

وعندما يحصل على مكاسب يحاول فرزها وإخفاءها وبعد أن يتأكد منها يحاول وضع الخطط للحصول على المزيد منها».

وهمنجواي الذي كان مراسلا حريبا يغطي نشاط الحلفاء ويتابع انتصاراتهم يكشف في مقالته هذه التي أرسلها لجريدته من استانبول المحتلة عقب الحرب العالمية الاولى. ان مصطفى كمال كان راضيا للنفوذ الغربي وينفذ التعليمات التي تأتيه من جيوش الاحتلال.

كما يتطوع ارمسترونج لكشف مؤامرة بريطانية نفسها تجاه الخلافة فيذكر واقعة قدوم الزعيمين الهنديين «آغا خان» و «أمير علي» الى استانبول مطالبان باحترام مقام الخليفة العثماني باعتباره خليفة المسلمين «ليعطيا الفرصة لمصطفى

(١) همنجواي في مقاله بعنوان (رسائل من استانبول المحتلة زمن الحرب العالمية الاولى) بجريدة The Toronto Daily Star في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢.



مصطفى كمال: ألقى الطربوش واعتبر «البرنطة»
إعجاباً بحضارة الغرب!!



فيصل بن الحسين، ملك سورية ثم العراق.



ملك الحجاز الشريف حسين.

كمال لينبش تاريخ آغا خان الذي يعيش في انكلترا ويمشي في ركاب سياستها حتى أعطاه الانكليز من الدعاية خلال الحرب ما جعله بمثابة زعيم مسلمي الهند لمنافسة «خليفة المسلمين» نفسه كما اقتضى الامر، كما زاد الانكليز على ذلك بترتيب طلب السلطان وحيد الدين اللجوء الى هارنجتون وارسل سيارة اسعاف لاجراجه من قصره وابعاده على ظهر البازجة البريطانية بحماية الهجرة البريطانية، الامر الذي استغله مصطفى كمال لتصوير الخلافة وكأنها في خدمة بريطانيا فأطلق تصريحه:

(ان انكلترا — العدو الماكرة للدودة — حين فشلت في القضاء على تركيا بواسطة اليونان عمدت الى دسائسها المألوفة فاستخدمت صنيعتها آغان خان كي يظاهر الخليفة ويشطر الأتراك الى معسكرين) (١)

مبررا لنفسه الانفراد بحكم تركيا — بعد إلغاء الخلافة — مستعينا بثلاثة من رجاله:

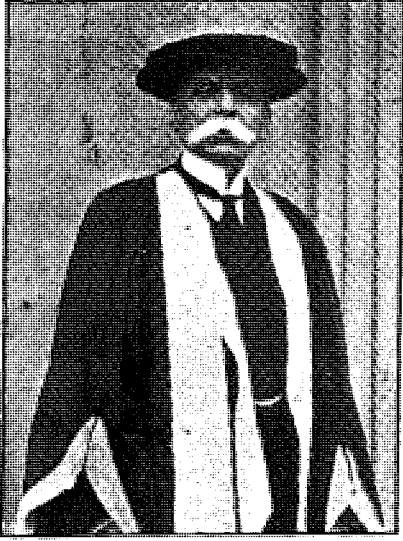
١ — عصمت اينونو الذي اختص بشؤون الحكومة والحماية الوطنية (ثم خلف مصطفى كمال في رئاسة الجمهورية بعد وفاته).

٢ — فوزي: الذي اختص بشؤون الجيش.

٣ — ضياصفت السكرتير العام لحزب الشعب وهو يهودي «دوغمة» قدير حاضر البديهة كان يسرد على مسامعه أنباء اليوم الهامة وشؤون الحزب.

قد جمع مصطفى كمال بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الجمعية الوطنية ورئاسة حزب الشعب ورئاسة مجلس الوزراء والقيادة العليا للجيش، وكان يباشر مهامه بتعصب المؤمن بنفسه ورسالته، وعاش في «شاه كايا» حياته الضارية الشاذة، حتى بلغ السابعة والأربعين، فبدت عليه علائم الكهولة، ثم انزوى في مقره ليوكل عصمت اينونو كل تلك السلطات في شخصه، وأصبح ينازعه سلطانه ويصطدم معه أحيانا فيوفق بينهما فوزي، حتى أحس صديقه القديم فتحي سفير تركيا بباريس آنذاك بمدى الهاوية التي يقود عصمت البلاد اليها، فأنشأ مصطفى كمال حزب «الجمهوريين الأحرار» المعارض كصمام أمام برئاسة فتحي، يعاونه أحد عشر نائبا وثلاثة من الكماليين مع شقيقته مقبولة وبدأت التجربة الحزبية على الطريقة الانكليزية (المحافظين والعمال) وشهدت الجمعية الوطنية تبادل الاتهامات العنيفة داخلها بينما تشابك أذرع عصمت وفتحي خارجها. ولكن الأمر تطور الى استخدام المسدسات.

(١) هـ.س. ارسترونج — الذئب الأغبر مصطفى كمال ص ١٩٨



«السير» أمير علي : كافأه الانكليز بلقب «سير»!



السلطان عبدالمجيد : آخر خلفاء بني عثمان



«السير» أحمد خان : صنيعه الانكليز لضرب الخلافة .

وأدى إطلاق الحرية والانتخابات الى بروز المعارضة المكبوتة ووجود رصيد للفئات الاسلامية ، وتفجرت ثورة حقيقية ، فكشر الذئب الأغبر عن أنيابه باعتباره حاكما على شعب بدائي متوحش — كما يقول ارمسترونج — وأعلن مصطفى كمال في عام ١٩٣٢م أن على الشعب أن يترك السياسة جانبا ، في الوقت الحاضر ، وليضع همه في الزراعة والتجارة ، وأنه ينبغي أن يحكمه عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما أخرى ، وبعدها يستطيع الناس التمتع بحرية الرأي ، ويصفه ارمسترونج بمديح أقرب الى الذم بقوله : (انه يعيش — بعقلية امبراطور — في داره بقرية (شان كايا) أشبه برئيس قبيلة بدائية سلاحه سبوره وقطعة من الطباشير) .

ومما يجدر ذكره أن مصطفى كمال الذي أوصلته الماسونية الى رئاسة الجمهورية التركية وسمح لمحافلها العديدة بالنشاط حتى ضمت جميع الذين يشغلون مناصب رفيعة في الحكومة والجيش ما لبث أن أمر باغلاق محافلها و باغلاق سائر المنتديات التركية بعد أن خشي خطر «حمد الله صبحي» قطبها الأعظم ، الذي منعه من الحصول على درجة المشرق الأعظم نظرا لعدم قدرته على تسجيل معلومات عن شجرة عائلته حسب التقاليد الماسونية .

ولم يكتف مصطفى كمال بهذا الخطر بل رد الاهانة لحمد الله صبحي كوجا من ، حينما اعتدى على زوجته في حفل علني لتحطيم مكانته وتبريغ كرامته .

وقبيل وفاة «مصطفى كمال» استدعى السفير البريطاني في أنقرة وأعلمه برغبته في ترشيحه لوراثته في رئاسة تركيا مما أكد ان ولاءه لبريطانيا وحدها كان يفوق أي ولاء آخر..

وكان مصطفى كمال قد رأى ان الحكومة المركزية الاتحادية والسلطان وحيد الدين في استانبول واقعان تحت سيطرة الاعداء (الانكليز) ، وأنه يجب ان تقوم حكومة وطنية في الاناضول ، فقام بعقد مؤتمر في «سيواس» نوقشت فيه الوسائل والاساليب الكفيلة بالاحتفاظ بالاستقلال تركيا واتخذ المؤتمر قرارات وانتخب لجنة تنفيذية واختار مصطفى كمال رئيسا لهذه اللجنة وارسل انذارا الى السلطان يطلب عزل رئيس الوزراء فريد واجراء انتخابات لبرلمان جديد فتولى احمد علي رضا ونجح رجال المؤتمر بالاكثارية الساحقة في البرلمان الجديد وانتقلوا الى انقرة التي صارت مركزا لعملهم .

ثم ذهب النواب الى العاصمة واعربوا للخليفة وحيد الدين عن ولائهم في كانون الثاني ١٩٢٠م وحاول مع الانكليز الضغط عليهم فنشروا ميثاقهم الوطني وسر الحلفاء ولا سيما الانكليز بقرارهم الذي حقق رغبتهم على لسان أهل البلاد باعلان (تركيا حرة مستقلة داخل نطاق حدود مقررة) ، وتبع هذا الميثاق موثيق وطنية في كل جزء من اجزاء الدولة العثمانية طبقا لاتفاقيات الحلفاء .

ودعا مصطفى كمال لانتخاب (الجمعية الوطنية الكبرى) التي انتخبته رئيساً (للحكومة الشرعية) فسحق جيش الخلافة وتفرغ لمحاربة اليونان وفي مطلع ايلول ١٩٢١م ارسل عصمت اينونو لمقابلة هارنجتون والاتفاق على التفاصيل ثم نجح في إلغاء السلطنة وفصلها عن الخلافة في ١ نوفمبر ١٩٢٢ أسوة بفصل الكنيسة عن الدولة في الغرب، بعد أن جمع الجمعية الوطنية وفرض قراره عليها بقوة المسدسات، رغم المعارضة العلنية، ثم قام بتأليف «حزب الشعب» وبعد ازمة وزارية أسندت إليه الجمعية الوطنية تشكيل الحكومة فجعل نفسه أول رئيس للجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م بعد نشره لاجواء الرعب واسكاته لكل معارضة ورفض تنصيب نفسه خليفة، بعد الغائه للخلافة وترحيله للسلطان عبدالمجيد الثاني في ٣ مارس ١٩٢٤م. وفي تلك السنة أخرج حسين بن علي من الحجاز إثر إعلانه لنفسه خليفة للمسلمين، وحبس في قبرص للحد من مطامعه في الخلافة، كما عمل الانكليز على فض مؤتمر الخلافة بالقاهرة، وإلغاء جمعية الخلافة في الهند، وبدأ العملاء يصدرون كتبهم وآراءهم حول افتقار الاسلام الى أصول الحكم!

ثم احتدمت المناقشات بين انصار الجامعة العربية وانصار الجامعة الاسلامية وكان مصطفى كمال قد وقف مرة يفتح جلسة البرلمان التركي بعد فصله للسلطنة عن الخلافة وقبيل انقضاؤه نهائيا على الخلافة نفسها فقال:

«نحن الآن في القرن العشرين، لا نستطيع أن نسبر وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون — أي القرآن الكريم» .. ويصفق له أنصاره من الماسون والدوفاة وعملاء الانكليز ويقول قائلهم: سلمنا البلاد لأيدي أتاتورك الامينة، وتركيا الكعبة للعرب، وتأخذ النشوة فيقول: «ستطيع برأس كل خليفة يحاول أن يدخل أنفه في أمور الدولة»، ولقد اعترفت الماسونية بجميل صنع «مصطفى كمال» فجاء في دائرة المعارف الماسونية ما يلي:

«ان الانقلاب التركي الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة وأبطل المحاكم الشرعية وألغى دين الدولة الاسلامية، أليس هذا الاصلاح هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة فمن يماثل أتاتورك من رجال الماسون سابقا ولاحقا».

وعقب سقوط الخلافة في تركيا قام نظام رئاسي بزعامة مصطفى كمال الذي عرف بعدها بلقب «أتاتورك» — (أبو الاتراك)، وفي مصر تحولت السلطنة الى ملكية ثم الى جمهورية بعد ثورة ١٩٥٢م، بينما قامت الملكية في العراق، وتحولت الى جمهورية، وفي الاردن قامت إمارة تحولت فيما بعد الى مملكة، وكذلك الحال في السعودية، كما نشأت إمارات في مشيخات الخليج العربي، في حين تحولت باقي البلدان العربية (العثمانية) الى جمهوريات على النمط الغربي.

وقد طبق الاستعمار الغربي فيها جميعا النظام الرأسمالي في الاقتصاد، والديمقراطي في الحكم، وجعل اليهود رأس حربة لهم، وحلت الاحكام الغربية محل الشريعة الإسلامية.

وكان قد بدىء منذ عام ١٨٨٣م بتطبيق القانون المدني الفرنسي، عقب تطبيق الدولة العثمانية نفسها للقوانين الغربية، منذ عام ١٨٥٦م وألغيت «مجلة الأحكام الشرعية»، وتم تقسيم المحاكم الى شرعية ونظامية.

وفي عام ١٨٧٨م. كادت تطبق الدستور الفرنسي بواسطة مدحت باشا وحركته «الاصلاحية» الا أن عبدالحميد الثاني ألغى المشروطة الاولى، رغم انتشار الثقافة ونظم التعليم الغربية المستوردة، ورواج الافكار والمعارف غير الاسلامية.

ورب سائل يسأل كيف رضى المسلمون بسقوط الخلافة، ولم يصدر عنهم أكثر من قصائد رثاء، أو دموع مؤمنين، أو أدعية متصوفة، اللهم الا من محاولة ثورية قادتها الطريقة النقشبندية، وبضع وفود ومؤتمرات نادى بعودة الخلافة الاسلامية.

والجواب: ان سقوط الخلافة لم يتم في يوم وليلة، فقد خطط الخصوم، وعمل لذلك المتآمرون سنوات طويلة،

فافسدوا الدولة من الداخل، وأثاروا الفتن والقلق، وإصطنعوا الثورات والحركات الاصلاحية، وأعانوا دعاة «التغريب»، حتى لم يبق من الحكم الاسلامي الا الرمز، وهو الخلافة، ثم فصلوا السلطنة عن الخلافة، ولم يعد للخليفة الا بضع شعرات ينسبونها للرسول، مع البردة والخاتم والسيف، بينما صار الأمر والنهي بيد الصدر الأعظم الذي أصبح رئيساً للجمهورية، ثم أطلقوا السهم الأخير فقتلوا بالخليفة للاحتفاء ببارجة بريطانية ولسان حاله يقول:

(فيك الخصام وأنت الخصم والحكم).

ولم يدخر الغرب في معركته ضد الخلافة سلاحاً من الاسلحة بدءاً بالارساليات التبشيرية والغزو الفكري، ومروراً بالفتن واشعال الثورات الطائفية والمذهبية والعنصرية، باصطناع الجوايس والاعوان، من مختلف الفئات والأجناس، وبشراء اليتم وببيع الاعراض، حتى انتهى به الامر الى اشعال حرب عالمية ذهب ضحيتها عدة ملايين، وكانت «الخلافة» نفسها احدى اسباب اندلاع الحرب العالمية. (١)

وبهذه المناسبة فان المؤرخ الفرنسي «دين جروسيه» ذكر في كتابه «وجه آسيا» الصادر بباريس عام ١٩٥٥م أن تصفية «الدولة العثمانية» بدأت بمعاهدة «كارلوفجه» عام ١٦٩٩م وانتهت عام ١٩٢٠م، أي أنها استغرقت نحو ٢٢٠ سنة بينما ذكر لورد كيروس المؤرخ الانكليزي في كتابه: «ان الدولة العثمانية كانت في ضخامة الامبراطورية الرومانية حيث كانت تساويها تقريبا في المساحة لكن الدولة العثمانية حافظت على وجودها ضعف المدة التي احتاجتها الامبراطورية الرومانية في هذا الشأن». (٢)

لقد كان سقوط عبد الحميد الثاني مقدمة ضرورية لاسقاط الخلافة الاسلامية، وقهر شعار «الجامعة الاسلامية» والتخلص من شبح «الجهاد» الذي كان يقضّ المواجه الصليبية الغربية.

والدول الاوربية الكبرى والامبراطوريات المختلفة، التي تضافرت جهودها عبر سنين طويلة لم تخل من الاختلاف فيما بينها الى حد اشعال الحرب، قبل أن تصل الى الهدف النهائي، وهو إلغاء الخلافة الاسلامية، وكان لكل دولة مطمع ووسيلة، مما أطال بعمر الدولة العثمانية، لتضارب المطامع واختلاف الوسائل، حتى قامت الصهيونية بواسطة الماسونية بدور «المنسق» وكانت «الدوغة» هي الاداة التي أجهزت على الخلافة الاسلامية.

وفي حين أعلنت روسيا القيصرية الحرب ووصلت الى مشارف استانبول لتتعم بدفع مياه البحر الابيض المتوسط وهو أحد أحلام الامبراطورية الروسية، وكاد أن يتم لها ذلك لولا فزع الدول الأوربية، ومسارعتها لعقد مؤتمر برلين ١٨٧٧م للحفاظ على سلامة الامبراطورية العثمانية.

نجد فرنسا وقد ركزت جهودها على الارساليات والمؤسسات التبشيرية، التي عمدت الى خطتها الخبيثة في اثار «الاقليات»، وتغذية «القوميّات»، وإثارة الفتن الدامية، لطنع الوحدة الداخلية، وبلغت ذروة تأمرها باحتضانها للمتطرفين المتتورين، وسعيها لعقد المؤتمر العربي بباريس ١٩١٣م، الذي أدى الى سفك دماء مجموعة جديدة من العناصر العربية.

وانتهزت النمسا الفرصة لابتلاع البوسنة والهرسك، فضلا عن تشجيعها للحركات الانفصالية القومية، في البلدان العثمانية الاوربية، وكانت ايطاليا في مرحلة المخاض إبان ولادة الوحدة الايطالية، في حين انطلقت المانيا «غليوم» و«بسمارك» تبحث لها عن دور عالمي في السياسة الدولية مما أدى الى تحالفها مع السلطنة العثمانية، وفوزها ببعض العقود والمنافع الاقتصادية، مقابل تعزيزها للقوات العسكرية، وشدها لأزر الخلافة العثمانية.

أما بريطانيا العظمى آنذاك فكانت تمارس سياستها ببراءة ودهاء، تغذيها الاحقاد الصليبية، والمطامع الصهيونية،

(١) انظر: بقي الدين النبهاني «الخلافة» الطبعة الاولى - القدس

(٢) انظر: عبد القدير زلوم «كيف هدمت الخلافة» ١٩٦٢م.



جامع أبي صوفيا : كنيسة حولها العثمانيون الى مسجد وجعله
مصطفى كمال متحفاً



اللورد اللنبي:
فتح القدس بجيش من الأعراب!



البارون روتشيلد:
انتزع وعد بلفور وسعى لتحقيقه

ساعية الى احياء أمجاد «ريتشارد قلب الأسد» باستعادة «القسطنطينية»، و«مملكة بيت المقدس»، وقهر الاسلام، وتحطيم القوى الاسلامية.

اما عبد الحميد الثاني فلم يكن يملك الا الايمان والدهاء والمناورات، وتوحيد القوى تحت شعار الجامعة الاسلامية، محاولا استغلال الخلافات وتضارب المصالح في اثار النزاعات وإسالة لعاب البعض ضد البعض الآخر للحصول على الحظ الاوفى من المطامع الاستعمارية.

وقد نجحت جهود الدول الاوربية مجتمعة تساندها المؤامرات الصهيونية الخفية في تقويض دعائم الخلافة الاسلامية وتم ذلك على أربع مراحل:

١ - أدى تصميم عبد الحميد الثاني للحفاظ على وحدة الديار الاسلامية وعدم التفريط بشبر، منها ولا سيما بالنسبة للديار المقدسة الى اعتباره الخصم الأول، والعقبة الكؤود فنولت الصهيونية ترتيب مؤامرة للتخلص منه تنفيذاً لقراراتها ووعيدها بعد أن حظيت بموافقة وتشجيع الدول الاوربية بما لها من نفوذ في بلاطات القياصرة

والاباطرة والملوك ، وما بذلته من طاقات وعقول ونفود لخدمة تلك العروش .

٢ - بدأت الماسونية والدوغة عملية التغريب من خلال « الاتحاد والترقي » كما نجحت في ابعاد الشقة بين العرب والأتراك وقسمت العثمانيين الى قوميات ومذاهب متنازعة ، الى حد هدر الدماء الذكية ، في أكثر من فتنة أو ثورة عنصرية او طائفية .

٣ - مع اندحار الاتحاديين وحلفائهم الالمان في الحرب العالمية الاولى بدأت تبرز المؤامرات الاستعمارية الفرنسية والانكليزية ، وبرزت الخيوط والاصابع الأجنبية وتكشفت اوراق العديد من الجواسيس والعملاء ، الذين حالقوا الاجنبي على دولتهم الاسلامية واخذوا يطالبون بحصصهم من الغنائم والمناصب الموعودة .

٤ - كانت « الكمالية » في تركيا وغيرها من « الكماليات » في الولايات العربية هي المرحلة الرابعة في الاجهاز على الدولة الاسلامية ، في حين اتخذ « مصطفى كمال » موقفاً صريحاً من الخلافة الى حد رفضه « للبيعة » ، وإشارة للتغريب والعلمانية ، وطمس كل ما يمكن ان يربط تركيا بالاسلام واللغة العربية ، نجد الامارات والممالك والجمهوريات التي قامت في بلاد الشام والعراق ومصر وغيرها عملت على اقامة نوع من « الكمالية » العربية ، لأنها لم تكن تملك مثله التخلي عن العربية ، وهذه المرحلة الرابعة كان العقل المدبر فيها الاستخبارات البريطانية ورجالها من الانكليز والأتراك والعرب ، وفيها استكمل تنفيذ المخططات والأهداف البريطانية ، فقد وصل (النبني) الى القدس وخطب العالم بقوله : (الآن انتهت الحروب الصليبية) .. وكان من حوله بضع مئات من بدو الحويطات ، لم يفقهوا ما يرطنه ذلك الضابط الانكليزي بلكنته الأجنبية .

كما دخل الجنرال الفرنسي (غورو) بعده الى دمشق وركل ضريح صلاح الدين بقدمه صائحاً بكل «فروسية» :
(ها قد عدنا يا صلاح الدين .. فأين أحفادك منك) .

أما مصطفى كمال فقد خضع لشروط كرزون المذلة وعلى رأسها إلغاء الخلافة الاسلامية وقدم من عنده هدية فوقها ، حينما حول « أيا صوفيا » الذي دوخ أوروبا بالفتح والجهاد قرونا طويلة من مسجد جامع الى متحف للمأثورات العثمانية ..

ولقد أثبتت الأحداث التي تلت ذلك أن بريطانيا وحدها لم تكن بعيدة عن المشاركة في تخطيط وتنفيذ مختلف المراحل التي رسمتها للإطاحة بالخلافة الاسلامية مستخدمة بذلك : الصهيونية ، والماسونية ، والدوغة ، والكمالية .

وكان لرجالها الدور المؤثر - عبر تلك المراحل وفي مختلف الولايات العثمانية فقد لعب الكابتن هـ . س أرمسترونج (١) ملحقا الحربي في الجيش الهندي دورا خطيرا منذ إلحاقه بقيادة (سيرتشارلز ميللز) حيث ساعده أسره مع باقي فرقته من قبل الجيش العثماني في العراق على معرفة البلدان العربية التي سارها على قدميه ، من أقصى الجنوب حتى استانبول ، كما أفاد من محاولة هربه ، وفشله وضبطه ، في التعرف على عدد من الضباط العثمانيين ، الذين أهلتهم معرفته لهم للصدور والبروز ، وتخطي زملائهم ، في الترقيات والمناصب القيادية ، بدعم من نفوذ الاستخبارات البريطانية ، التي صنعت لهم بعض الانتصارات والبطولات الوهمية ، تعزيزاً لمكانتهم ، وتهينة لهم لما ستوكله اليهم من أدوار ، في المرحلة التي تلي الحرب العالمية ، حيث عاد أرمسترونج الأسير «الخير» ليتولى الاشراف على جميع أسرى الحرب الآخرين ، ثم اختير ممثلاً للاتهام في المحاكمات العسكرية الكمالية ، التي أجريت لقادة معسكرات الحرب بتهمة تهجمهم على الأسرى الموضوعين في حراستهم ، كما تولى أرمسترونج بعد ذلك مهمة ضابط الاتصال بين بريطانيا ومصطفى كمال ، وعين عام ١٩٢٧م . ولدة ثلاث سنوات ملحقا بلجنة التعويضات البريطانية لتركيا الكمالية . (١)

(١) جمال باشا: هو أحمد جمال باشا ولد عام ١٢٩٠هـ في استانبول وهو ضابط في الجيش العثماني ، وواحد من الثالوث الذي حكم الدولة العثمانية ، خلال الحرب العالمية الأولى . انضم إلى اللجنة السرية للاتحاد والترقي وهو ضابط ركن . أصبح عضوا في الادارة العسكرية بعد حركة ١٣٢٧هـ ، ثم حاكما إداريا قويا لاحدى الولايات ، ثم تقلد منصب قائد قوى الامن في استانبول ، ثم وزارة الأشغال العامة . ==

وهكذا نجد أن دور ارمسترونج في تركيا أشبه بدور لورنس في البلاد العربية، بالنسبة لصلاته مع العائلة الهاشمية، وتنصيبه لفصيل ملكا على سورية، ثم تعويضه عنها بملكية العراق، وكأنها جزء من الممتلكات البريطانية.

وكانت المفاوضات تدور بين روسيا (القيصرية) وانجلترا وفرنسا في مارس ١٩١٥ أثناء الحرب الاولى، وفي مذكرة جوابية رفعتها فرنسا وانكلترا لروسيا عرضتا ما يلي: (صيانة الأماكن المقدسة في البلاد الاسلامية والبلاد العربية تحت حكم دولة اسلامية مستقلة).

ورد الروس: (إن اتخاذ قرار حاسم في مستقبل العلاقات بين الدول الاسلامية المقرر تأليفها على أنقاض الدولة العثمانية وفصلها عن دولة الخلافة ليهم حكومة صاحب الجلالة القيصر) .. (وترغب من كل قلبها في نزع الخلافة من الترك الا أنها في الوقت نفسه ترغب من كل قلبها في تأمين حرية الحج وعدم التعرض له بأقل ما يسوء المسلمين).

ولقد أهمل الحلفاء العرب، واهتموا بالضباط والأتراك، حتى الشريف حسين بن علي كان أضعف من ان يكون له تأثير، وكل ما كان يريده الانكليز هو ان يسخروه بأعمال تخريبية ضد الجيش الاسلامي العثماني.

وكان بين الضباط اثنان عرفا بكرههما للامان هما: مصطفى كمال وجمال باشا، أما الأول فكان ضابطاً صغيراً لا قيمة له وان كان ذكياً طموحاً، بينما جمال باشا أحد ثلاثة، مع طلعت رئيس الوزراء وأنور وزير الحربية، بوصفه قائداً للفيلق الرابع وحاكماً لسوريا. كانوا يحكمون الدولة العثمانية، عقب سقوط عبد الحميد الثاني.

وإثر اضطراب الحلفاء للانسحاب من الدردنيل في ديسمبر ١٩١٥ حاولوا الاتصال بجمال باشا ومفاوضته للثورة على الخلافة، وحصلت بينهما مفاوضات فعلية قدم فيها شروطه، وبتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٥ أرسلت وزارة الخارجية الروسية الى سفارتيتها في باريس وروما برقية رقمها (٣٦٩١) جاء فيها: ان الأخبار الواردة اليها من الدوائر الأرمنية في استانبول تفيد أن جمال باشا يرغب القيام بحركة عداء لحكومة استانبول اذا حققت الشروط التالية:

- أولاً: أن تتعهد الدول المتحالفة بالاعتراف بسياسة الدولة العثمانية برئاسة السلطان على اتحاد السلطنة المؤلف من: سورية، فلسطين، العراق، عربستان، كيليكية، أرمنية، وكردستان.
- ثانياً: أن يتولى السلطنة احمد جمال باشا، وأن يتولى السلطنة من بعده أولاده وأحفاده.
- ثالثاً: يتعهد أحمد جمال باشا أن ينادي بأن السلطان الحالي وحكومته أسرى بيد الألمان ويعلن الحرب عليهم.
- رابعاً: في حال اعلان جمال باشا ثورته هذه وزحفه لمقاتلة الحكومة يتعهد الحلفاء بتقديم السلاح والغذاء والعناد الحربي اللازم لجيوشه.
- خامساً: ان تقدم الدول الى جمال باشا المساعدات المالية اللازمة إلى نهاية الحرب.
- سادساً: يرضى جمال باشا بترك المضائق واستانبول للحلفاء.
- سابعاً: يتعهد جمال باشا أن يترك الطريق حرة لمساعدة الأرمن.

ويبدو أن روسيا فاوضت الانكليز والفرنسيين فلم يقبلوا الشروط جمال باشا في حين أن روسيا قبلتها وبتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩١٥ أرسل مستشار الشعبة الثانية في الخارجية الروسية برقية الى شعب روسيا في بخارست رقمها (٦١٣٠) جاء فيها:

= وحينما نشبت الحرب العالمية كان جمال أحد المشاهير من الرجال ذوي النفوذ، إضافة الى طلعت وأنور، وبعد المحاولة الفاشلة لمهاجمة مصر خلال الحرب عين حاكماً لسورية، فسحق الاقلية الارمنية وقام بإعدامات عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ م، ثم خدم الدولة بعد الحرب حتى اغتيل من قبل الارمن، وهو راجع من باريس ممثلاً للأفغان، وقد اغتاله الأرمن أثناء مروره بمدينة تفليس بجمهورية (جورجيا).

(وفي الامكان تقديم أي وعد بما يقترحه جمال باشا واذا اقتضى الأمر ففي مقدورنا الحصول على وعود من الحلفاء بتحقيق ما يريده).

ولكن يبدو أن الحلفاء لم يوافقوا، وبتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩١٥ أرسل سفير روسيا في باريس برقية الى حكومته جاء فيها:

(أخذنا برقيتكم ٦٣٩١، أبلغت نسخة من محتوياتها للمسيو بريان فأظهر اهتماماً كبيراً بهذه الأخبار وصرح أنه سيعرضها غداً على مجلس الوزراء قبل ان يفوت الوقت وقد قال لي في هذه المناسبة ان هذه الشروط وان كانت موافقة لنا الا انها على كل حال لا تتفق مع مطامع الانجليز الذين لا يقبلونها).

ثم عاد الفرنسيون فرجعوا عن قبول الشروط فبتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩١٥م أرسل السفير برقية ملحقة ببرقيته الاولى جاء فيها: (الذي علمته أن الوزراء الفرنسيين عارضوا هذا الاتفاق بكل شدة حتى أنهم لم يجمعوا عن المجاهرة بمعارضتهم هذه). ثم قال: (والمؤكد هو أن الفرنسيين هنا يقدرّون بعض اقتراحكم وليسوا في حالة يجهلون معها أهمية أحداث ثورة في السلطنة العثمانية بل هم يعتقدون أن هذه الثورة مفيدة جداً لهم في الحرب العالمية، الا أنهم لا يرون في الاقتراحات المقدمة لمفاوضة جمال باشا الا تحقيقاً لأمانيتكم في الاستيلاء على استانبول والمضائق دون أقل ضمان للسيادة الفرنسية على الشرق).

وبعد ذلك رفض الانكليز دخول هذه المفاوضات، وبتاريخ ٢٧ يناير ١٩١٦ أرسل سفير روسيا في لندن برقية الى وزير خارجيته جاء فيها: (أجابني «نيكولسن» أن الحكومة البريطانية بعد فحصها القضية من جديد وتقليبها على سائر وجوهها ترى من الضروري عدم اشتراكها في هذه المفاوضات والتنازل عنها بصورة نهائية).

ويبدو أن حرص جمال باشا على وحدة البلاد الاسلامية أدى الى رفض الحلفاء لشروطه رغم رغبتهم في تمزيق الدولة وإلغاء الخلافة.. فضلاً عن مراسلات حسين — مكماهون ومؤامرات الحلفاء مع عارف باشا، وصلات الانكليز بالداماد فريد عن طريق ملحقهم الحربي: ه. س. ارمسترونج. (١)

وحتى ربيع ١٩١٥م كان مصطفى كمال مجرد ضابط عثماني صغير مغمور يجاهر بأفكاره الغربية وثورته على الفكر الاسلامي وميله للانكليز وكرهه للالمان، وفجأة أصبح ضابطاً شهيراً بعد الدعاية التي كسبها عقب معركة (أنافورطة) ضد الانكليز، ولم يلبث أن عاد من الدردنيل الى استانبول ليبدأ معركة داخلية مع الدولة ليجعلها تترك الألمان وتسير مع الانكليز، وأخذ يبيث أفكاره بين الناس بل إنه خاطب الوزراء علناً بآرائه هذه، بمن فيهم وزير الخارجية نسيم باشا، الذي اضطر الى السعي لاستصدار قرار بابعاده الى القفقاس، بعد أن جرؤ على تهديده علناً، ثم بدأت الحوادث تسير لتصنع من مصطفى كمال شخصية غير عادية.

والحادث الأول:

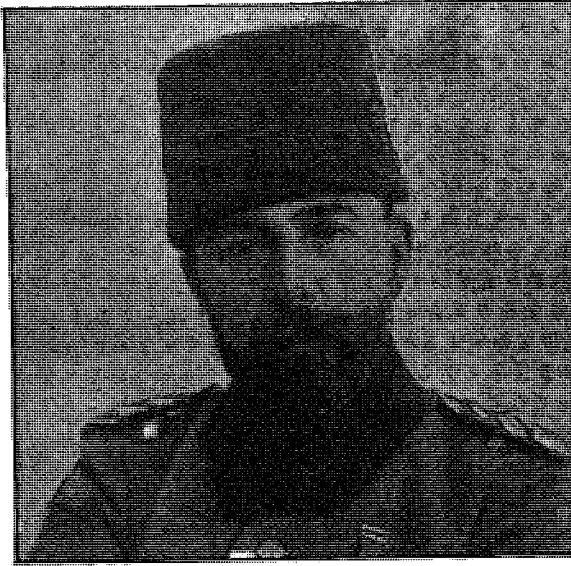
خلال وجوده في القفقاس فقد حصلت محاولة انقلاب نظمها الميجر يعقوب جميل بك ورفاقه وظن أن له ضلع فيها، خاصة وأنه أبرق لاستانبول رافضاً تسليمه الدكتور حلمي بك قائلاً:

(إنه أصبح منذ الآن تحت حمايتي).

الحادث الثاني:

بعد هزيمة العثمانيين في أرضروم وسقوط بغداد بيد الانكليز (مارس ١٩١٧) اخذ يطالب الحكومة علناً بالانسحاب من الحرب.. فكان أن رقي الى رتبة جنرال وعين في إحدى قيادات الجيش الرابع تحت إمرة فولنكهين وكان دائم المعارضة لخطته ويدعمه في مناقشات القيادة أحمد جمال باشا.

(١) ه. س. ارمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال» ص ٥ كتاب الهلال ١٩٥٢م.



جمال باشا : أحد الثلاثي الاتحادي الطوراني



لويد جورج : حقد صليبي لا حدود له

الحادث الثالث:

تجاوز حذر المعارضة والتمرد إلى السعي لتسلم الحكم، فحينما توفي السلطان محمد رشاد الخامس وخلفه محمد وحيد الدين في ٣ يوليو ١٩١٨م، سعى لمقابلته محاولا استغلال صحبته له خلال زيارتهما لألمانيا عندما كان ما يزال ولياً للعهد. وبعد عدة مقابلات عين قائدا لجبهة سورية.

الحادث الرابع:

عندما أصدر أوامره متحملا مسؤولية تسليم الشام كلها ابتداء بنابلس ثم دمشق وحلب للانكليز والانسحاب إلى الاناضول رغم معارضة القائد العام الألماني فون ساندروز.

وقد حرض لورنس الزعماء العربي فطلبوا منه استخدام نفوذه لاقتناع الحكومة بعقد صلح منفرد مع الحلفاء كما كثرت حركات سفر الانكليز في خليج الاسكندرون وفي ١٤ نوفمبر دخلت ثلاث نساكات وانزلت احداها قارباً نقل ضباطاً انكليز وفرنسيين للبر قابلوا قائد الموقع التركي ثم عادوا من حيث اتوا.

وبعدها أرسل إلى السلطان طالباً تولية عزت باشا لرئاسة الوزارة، واستلامه هو لوزارة الحرية ومقترحا أسماء عدد من الوزراء الآخرين، وقد عين عزت باشا بعدها رئيساً للوزراء كما عين الذين طلبهم وقد أجابه عزت على برقيته بقوله: (أمل ان نلتقي كرفيقين بعد عقد شروط الهدنة).

واضطر أنور للاستسلام وطلب الهدنة واحتل الحلفاء الدولة العثمانية.

ولوحظ ان الانكليز عاملوا الخلافة المهزومة غير معاملتهم لألمانيا المهزومة، خلافا للقانون الدولي، فقد مزقوها قطعاً، وقسموها حسب مؤامراتهم واتفاقاتهم السرية مع حلفائهم، دون الرجوع إلى الحلفاء أنفسهم، بينما في برلين تم الامر بموجب اتفاقيات ومعاهدات.

ولم يؤخذ رأي أهل البلاد، وحتى معادياتهم مع حسين فقد كانت باطلة اصلاً، لأنه لا صفة رسمية له، والمفروض أن يتم الاتفاق مع الخليفة المهزوم، ولكن الحلفاء كانوا قد حددوا مصير «الرجل المريض» سلفاً.

فقد وعدت ايطاليا في الاتفاقية السرية التي أمضيت في لندن ٢٦ ابريل ١٩١٥ أن يعطى لها مكافأة لدخولها حرب الاقليم التركي (أصاليا) والاقاليم المتاخمة له الواقعة على المتوسط.

وبعد ذلك بسنة اتفقت انكلترا وفرنسا وروسيا في معاهدة (سايكس - بيكو ١٩١٦م) على تجزئة الدولة العثمانية وعلى أساس المعاهدة وضعت شروط الصلح مع مصطفى كمال فيما بعد.

وفي ٢٧ ابريل ١٩١٧م اشتركت انكلترا وفرنسا وروسيا في عقد معاهدة ووعدت ايطاليا بموجبها باعطائها اقليم ازمير وغربي الاناضول حتى قونية.

وعندما انتهت الحرب سارعت انكلترا لاحتلال استانبول والبلاد الاسلامية، بينما سارعت فرنسا لاحتلال لبنان وحاولت انكلترا صدها عن سوريا لكنها احتلتها عام ١٩٢٠م، بينما احتلت ايطاليا في ابريل ١٩١٩م مدينة أضاليا وما جاورها، وعارضتها انكلترا في احتلال ازمير والساحل الغربي للاناضول باعتبار ان روسيا لم توقع تلك المعاهدة، مما يجعلها باطلة، وأوعزت انكلترا باحتلال ازمير نيابة عن الحلفاء واستمرت مناورتها ٤ سنوات حتى انتهت الامور لصالحها بعد مؤتمر لوزان الثاني.

وقد انفرد الانكليز بعقد الهدنة عن الحلفاء مع العثمانيين في ٣٠ نوفمبر ١٩١٨، ثم اخبروا حلفاءهم بعد احتلالهم الفعلي لأهم البلاد التركية، وتركوا لفرنسا وايطاليا المشاركة باحتلال شكلي.

وكان البعض يحسبون الظن بالانكليز، على اعتبار انهم سيكتفون بخروج العثمانيين، بينما كان الانكليز يأملون أحداث التغيير الجذري بالغاء الخلافة، واقامة الجمهورية، بالطرق الشرعية القانونية، دون حاجة لانقلاب عسكري أو ثورة مسلحة، فطالبوا بعزل عزت باشا وتولية توفيق باشا بوصفه أحد رجالهم منذ أن كان سفيراً في لندن.

ثم ارادوا حل مجلس المبعوثان (النواب) لأنه يمثل وحدة الدولة بايجاد فراغ سياسي وقد حله السلطان فجأة، دون تعيين موعد لانتخابات جديدة، وحل الداماد فريد باشا (الجنرال الانكليزي) محل توفيق باشا.

وفي هذه الآونة تظاهر مصطفى كمال باعتزله السياسة، ولزم الصمت لتجنبه البطش به انتظاراً لفرصة قادمة.

وكان السلطان والداماد يسميان لارضاء الانكليز بمختلف الوسائل رغم كراهية الشعب والجيش لهم. وصار الجنرال هارنجنون القائد العام لجيوش الحلفاء، والمندوب السامي لبريطانيا في استانبول، يميلان ارادتهما على السلطنة.

ووضحت مظاهر الفراغ السياسي فالبرلمان حل والوزارة مشلولة والخليفة سجين قصره، والشعب توزع إلى جماعات سياسية متعددة مختلفة، واستمرت المناقشات والخطب طيلة ستة أشهر (من نوفمبر ١٩١٨ حتى ابريل ١٩١٩).

وأخذ الانكليز يثيرون فكرة استقلال تركيا وحدها، وخلق دولة حديثة عصرية، ونمت النعرة القومية والنزعة الانفصالية تحت شعار الاستقلال، ثم تحرك مصطفى كمال بحذر وسرية (حيث كان الجميع يحسبونه صديقا للسلطان) وبدأ مؤامراته للقضاء نهائيا على الخلافة واقامة جمهورية تركية.

ورأت بريطانيا أن تحقيق مطامعها بالانفراد عن حلفائها يقتضي الاستعانة بجهود فئة من الاتراك أنفسهم، بعد أن تحركت حليفاتها ايطاليا لاحتلال ازمير، وأصررت حليفاتها فرنسا على اخذ سيليسيا، كما احتل الطليان أضاليا وما جاورها وبعض أجزاء من يوغوسلافيا.

كما استعانت باليونان لاحتلال ازمير ودفعت بمصطفى كمال إلى الاناضول مزودا بسلطات واسعة بحجة ضرب العائنين بالامن.

وكان دخول اليونان لأزمير وما رافقه من هرج وفوضى ونهب وسلب و وحشية واستفزاز للعثمانيين خطة مدبرة، وقد فوجيء السلطان بوصول مصطفى كمال إلى ازمير بدلا من الاناضول، رغم عدوله عن إرساله الى الاناضول، وأمره باعتراض سبيله واعادته.

وقد جمع مصطفى كمال الولاة وأخبرهم بأنه سيقوم بتدابير ضد اليونان بموافقة السلطة، ونظم مظاهرات سلبية وحذر

من التعرض للنصارى لتحريك حاسة العدالة في الحلفاء ودفع النبلاء الانكليز والاشراف الغربيين لوضع حد للتدخل في الشؤون القومية.

وأرسل للسلطان برقية قال فيها: (سأبقى في الأناضول إلى أن يتحقق استقلال البلاد). وكانت تلك البداية الحقيقية للثورة تحت سمع وبصر الانكليز حماة الخلافة والسلطنة في اسطنبول!

وتبنت بريطانيا القرارات القاسية التي اتخذها مؤتمر باريس وخطب لويد جورج - رئيس وزراء بريطانيا آنذاك - في ٨ نوفمبر ١٩١٩م قائلا: (ان شروط الصلح قد واقفت عليها الدول المتحالفة أتم الموافقة وعلى الاخص في قضية الامبراطورية العثمانية، وأن أوربا كلها مجمعة اجماعا تاما على أن الحكم العثماني الضار الكريه ينبغي أن ينتهي في الأرض التي يسكنها اليونان والأرمن والعرب وأن الموانئ الواقعة على البحر الأسود والبحر المتوسط ينبغي أن تفتح في وجوه الأمم كلها).

ولم تكن بريطانيا متحمسة فعلا لهذه الشروط ولكنها قصدت اتخاذها وسيلة تهديد لاثارة الاتراك ضد السلطان ودفعهم لجانب مصطفى كمال، ولذا فقد دعت لعقد مؤتمر لندن في شباط (فبراير) ١٩٢١م لإلغاء هذه المعاهدة فيما بعد ثم انضم القادة الشبان إلى مصطفى كمال، واستعدى كلا من رفعت باشا وزير البحرية السابق من عشاق الافكار الغربية، وعلى فؤاد (قائد الجيش بانقرة).

واتفقوا على تكوين جيش وطني واحد وتنظيم عصابات غير نظامية وقيادة المقاومة، كما عين علي فؤاد للغرب، وكاظم قره بكير للشرق، ومصطفى كمال للوسط، واشتروطوا على مصطفى كمال عدم المساس بالخلافة، وعدم مساس حقوق السلطان.

(١)

وعادت بريطانيا لافتعال حوادث تصنع من خلالها بطولات وهمة لمصطفى كمال لتعزيز شعبيته وسطوته على رفاقه. فقد نجحت سمسون من احتلال الانكليز وبقيت سيواس بيد الاتراك كما جعل الانكليز اليونانيين كبش فداء في معاركهم مع مصطفى كمال وتظاهروا باحتجاجهم على نشاطه وشطب السلطان اسمه من قائمة ضباط الجيش بينما كان يدعو الناس للعصيان تحت نفوذ الانكليز.

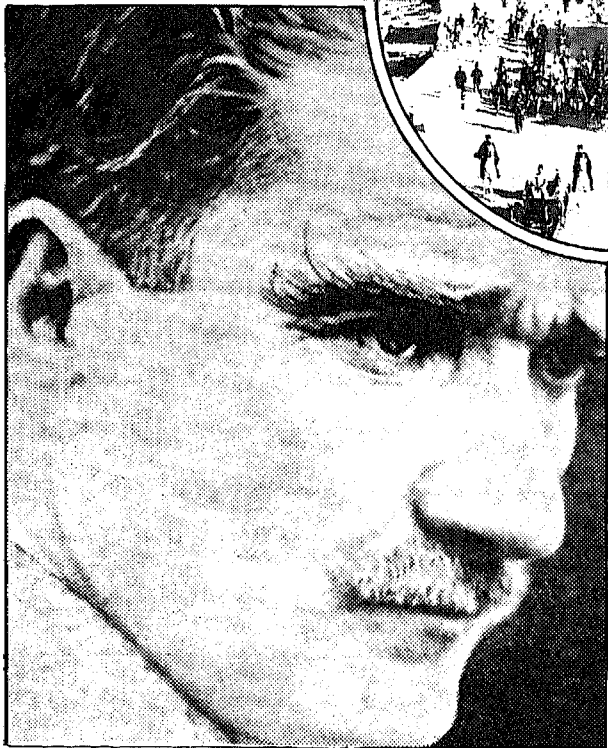
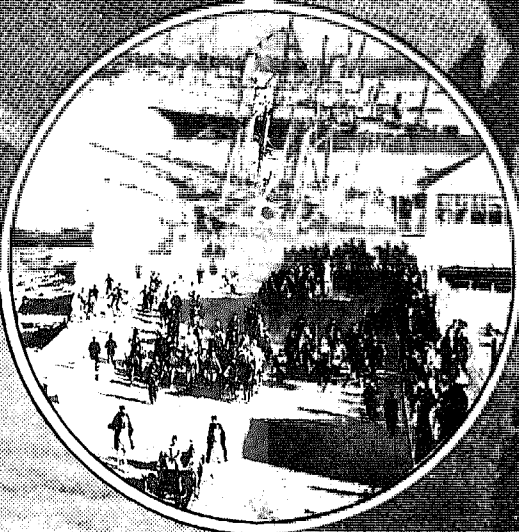
واجتمع نواب الاقاليم الشرقية في أرضروم، وانتخبوا مصطفى كمال رئيسا للجنة النيابية التنفيذية، مع إصرارهم على الولاء للسلطان، والحرص على بيعته.

وحاول السلطان القضاء على الثورة ولكن الحلفاء منعه، ورفضوا المعاونة والتدخل بشؤون تركيا الداخلية، كما أفسلوا مؤامرة السلطان للقبض على مصطفى كمال، بينما كان في طريقه إلى سيواس وتمكن من ترؤس المؤتمر في ٤ آب (أغسطس) ١٩١٩، رغم المعارضة الانكليزية الاستعمارية وتزعما: رؤوف بك، بكر سامي بك، كاظم قره بكير ورفعت فؤاد، وثلاثة من الباشوات.

وأسفر المؤتمر عن فصل استانبول عن باقي البلاد، وشكل الوزارة علي رضا وزير الحرب السابق، واعترف بها مصطفى كمال باسم الامة فاستهجن السلطان موقفه وطالبه بحل اللجنة.

واستطاع صالح باشا وزير البحرية بعد اجتماعه مع اللجنة في مؤتمر أماسيا ١٨ نوفمبر ١٩١٩ التوفيق بين النواب

(١) قال الاستاذ مصطفى صبري شيخ الاسلام في تركيا وهو الذي كان معاصراً لمصطفى كمال بعد أن أخرج من البلاد والتجأ الى مصر «نساء الانكليز مع مصطفى كمال ليجمعوا منه بطلا في حين تشددوا في معاملة الخليفة وحيد الدين حتى أعجزوه وذلك لتنظيم الفتنة بمصطفى كمال في أبصار المسلمين وبصائرهم» ثم قال «والرجل من لا تجد انكلترا مثله ولو جدت في طلبه من حيث أنه يهدم مآدبات الاسلام وأدبياته ولا سيما أدبياته في اليوم مالا تهدم انكلترا نفسها في عام فلما تبنت كفايته وقدرته من هذه الجهات فرق كفايته وقدرته في طرد اليونان من الأناضول استخلفته لنفسها واتسجت من بلادنا...».



والحكومة بعدم المساس بالسلطنة أو الخلافة وموافقة استانبول على قرارات أرضروم وسيواس كلها، واختلفوا على حل اللجنة، ثم انتقل مصطفى كمال إلى أنقرة ليقم بها، وجرت انتخابات، وفاز عن أنقرة، وطالب بعقد جلساته فيها، بحجة سيطرة الانكليز على العاصمة استانبول، واجتمع البرلمان في ديسمبر ١٩١٩ باستانبول، وانتخب رؤوف بك رئيساً له، وأقر في ١٨ يناير ١٩٢٠ الميثاق الوطني (ميثاق ملي) الذي أكد مقررات أرضروم وسيواس.

وبدأ مصطفى كمال مسيرته لاسقاط حكومة علي رضا باشا واحلال وزارة قومية مكانها لكن المجلس عزله فأخذ يسعى لاختار الحكم عن طريق القوة بعد أن فشلت كل مناوراته السياسية.

وأخذ المال والسلاح يتدفق على أنقرة تحت سمع وبصر المندوب البريطاني والمفوض الفرنسي، وضغط الحلفاء لاقصاء علي رضا عن الحكم واحلال صالح باشا مكانه، وبدأت في الاتفاق نذر جديدة، فقد صرح اللورد كيرزون - وزير خارجية بريطانيا آنذاك - بمجلس اللوردات في ١٠ مارس ١٩٢٠ (ان الحلفاء لم يعد في وسعهم أن يرضوا بالاستخفاف بالاوربيين إلى الحد الذي وصل بهم في استانبول، وفي الوقت الذي يضطهدون المسيحيين وتقوم المذابح في كل مكان).

وامتلاً القرن الذهبي بسفن الانكليز، وصرح رؤوف بك أن الانكليز ينوون القبض على النواب والوطنين واعادة وزارة الداماد فريد باشا.

واتخذ هنري ولسن القائد العام للحلفاء تدابير لاحتلال استانبول عسكريا وشاركت انكلترا وفرنسا وإيطاليا في العقوبات، الا ان بريطانيا وحدها أرسلت قواتها البحرية ولم تمكن حليفاتها من ذلك.

وألقي القبض على بعض النواب: رؤوف بك، فتحي بك، والامير سعيد حليم، ثم نقلوا إلى مالطة، وهرب بعض النواب والضباط من استانبول، وفرضت رقابة على الصحف وأيد السلطان الاجراءات، واستقال صالح باشا، وألف الوزارة الداماد، فكان انكليزيا اكثر من الانكليز، وصدر حكم باعدام مصطفى كمال وانصاره، فألقى القبض على بعض الانكليز في الاناضول، وهاجم الانكليز في اسكي شهر، كما هاجم الحامية الايطالية وأنزل بها خسائر فادحة، وجلوا عن اسكيشهر وقونية ولم يحدث أي اشتباك مع الانكليز.

وصار مصطفى كمال مقابلاً للانكليز تجاه الرأي العام، ودعا لانتخابات ففاز الكماليون، وعقد المؤتمر القومي بأقرة ٢٣ ابريل ١٩٢١، وبدأ يضع أسس الجمهورية التركية ويحول أنقرة إلى عاصمة.

وانتخب مصطفى كمال رئيساً للمجلس القومي، وللجنة التنفيذية التي ضمت ١١ وزيراً واعتبر الاتفاقيات والمعاهدات بين استانبول والدول الاجنبية ملغاة، ووضع مصادر الدخل تحت تصرف حكومة انقرة.

وأرسل الخليفة جيشاً أيدته جميع المقاطعات عدا انقرة.

وأرسل الخليفة جيشاً أيدته جميع المقاطعات عدا انقرة، وأسر عدة فرق كمالية، بينما حياة مصطفى كمال معلقة، والقضاء عليه قاب قوسين أو أدنى، أذاعت بريطانيا شروط الصلح بموجب معاهدة سيفر في باريس التي وقعها الداماد والسلطان قبل سنة ونصف، فهاج الرأي العام ضد الخليفة ورئيس وزرائه.

(١) عبدالمجيد الثاني: (آخر الخلفاء العثمانيين) ولد في استانبول في ٣٠ مايو من عام ١٢٨٣ هـ إلتم داخل القصر حتى أصبح عمره أربعين سنة حكم أثناءها أبوه عبدالعزيز وثلاثة من أبناء عمه. وحينما تسلم العرش ابن عمه الرابع محمد السادس في عام ١٣٣٦ هـ أصبح عبدالمجيد ولياً للعهد. وقد اختير خليفة من قبل (المجلس الوطني الكبير) بعد إلغاء السلطنة وفقد لقبه كولي للعهد بعد مغادرة محمد وحيد الدين (السادس) العاصمة بضغط من مصطفى كمال وعلى الرغم من تجريد الخليفة من كافة السلطات السياسية فإن عبدالمجيد الديبلوماسي والمثقف كان الرمز الحي لارتباط تركيا بالماضي الاسلامي العثماني إذ إنفت حولته الفوى الاسلامية والمناوطة لمصطفى كمال الذي لجأ الى بتر الصلة التركية بالماضي وأعلن الجمهورية العلمانية ونفى عبدالمجيد في اليوم التالي لإعلانها. توفي في ٢٣ آب من عام ١٣٦٠ هـ في باريس.

وصرح لويد جورج في مجلس العموم: (ان غرض الحلفاء هو تحرير الأمم غير التركية من النير التركي). فانقلب الناس من تأييد الخليفة إلى الالتحاق بمصطفى كمال، واستعادت أنقرة زمام الموقف باعتبار مصطفى كمال المنقذ من الاحتلال لأن المعاهدة تعني تقسيم الدولة العثمانية على الاوربيين وتتضمن مواداً في منتهى الفظاعة.

ومن نصوص معاهدة سيفر على سبيل المثال:

١ - بلاد العرب: جردت تركيا منها، فالحجاز مستقلة، وفلسطين وسوريا وما بين النهرين يقرر مستقبلها الحلفاء.

٢ - تركيا الاوربية: غربي دلماسيا لليونان مع تراقية الغربية وسيمونا وجزر ايجه وامبروز وسيندوس، كما تعطى جزر الديد وكانيز بما فيها رودس لايطاليا.

٣ - استقلال أرمينية وتمكين ولسن بتعيين الحدود.

٤ - تمنح كردستان (شرقي الفرات) حكماً ذاتياً محلياً، تتم تعديلات في الحدود مع ايران في المنطقة الكردية، مع امكانية استقلال الاكراد خلال سنة.

٥ - مضائق القسطنطينية تحت اشراف دولي، مجردة من السلاح، والقسطنطينية وحدها تحت السيادة التركية، مع تحديد الجيش التركي ب ٥٠ ألف فقط، تحت توجيه وإرشاد الحلفاء، مع السيطرة المالية لانكلترا وفرنسا وايطاليا، وابقاء الامتيازات القديمة، وزيادة نصوص مهينة، واعطاء الأقليات حقوقاً وامتيازات، ولا سيما الأرمن واليونان والاكرد والنصارى عامة.

ولم تكد الامور تسير لصالح مصطفى كمال وحركته حتى أعلنت بريطانيا دعوتها لعقد مؤتمر لندن، لحل «المسألة الشرقية»، وإعادة النظر بشروط الصلح، التي عقدت بباريس، تلك المعاهدة التي عارضتها اصلاً فرنسا وايطاليا باعتبارها جعلت الميراث العثماني كله من نصيب الانكليز.

وخلال المؤتمر حضر وفدان من أنقرة واستانبول معاً، ورغم توحيد مواقف الوفدين، وتوقيع بكير سامي وزير خارجية الكماليين للمعاهدة، فقد خذله مصطفى كمال، وأعلن رفضه للمعاهدة، فدارت عداوات جديدة بين أنقرة وباريس، انتهت باتفاقية ٢٠ اكتوبر ١٩٢١، تنازلت فيها عن سوريا، وجلت فرنسا عن كيليكيا.

وتنازل مصطفى كمال عن باطوم لروسيا الشيوعية، مقابل معاهدة صداقة في ١٦ مارس ١٩٢١، وتنازلت ايطاليا عن أضاليا، وجلت في يناير ١٩٢١.

وبقيت مشكلة اليونان، فتحوّلت الحرب من عصابات إلى جيوش نظامية، وكاد الجنرال بولاس يقضي على الكماليين، لولا الاوامر بتوقف الجيش اليوناني عن الهجوم، والانسحاب في ٧ سبتمبر ١٩٢٢، بضغط دولي، فارتد عليهم الاتراك وثأروا لتخريبهم وفضاعتهم مما أدى إلى منح مصطفى كمال لقب «الغازي» وهو لقب لم ينله الا القادة الفاتحون المجاهدون من العثمانيين، وفي تراقية وقف الاتراك قرب جناق قلعة واستعد هارنجتون للقائهم وعندها طلبت بريطانيا من القوى الانكليزية والفرنسية والايطالية الانسحاب فانسحبت الحامية الفرنسية وتبعها الايطالية، وبقيت المسألة بين الكماليين والانكليز ورغم اسطولهم وطائراتهم لم يحصل اشتباك، ووافق الحلفاء على طرد اليونان من تراقية ولم يبق في تركيا إلا الانكليز.

الفصل الثالث

الإنكيز ونورة "العرب"

لورنس وتترنج فيصل بعد الحسين

حاولت بريطانيا ضرب العثمانيين مرات عديدة، وبوسائل مختلفة وعلى فترات متفاوتة فقد كانت تطمع بالحصول على نصيب الأسد في تركة «الرجل المريض»، بعد أن وصلت المسألة الشرقية إلى دور الضعف العثماني، ومرحلة اقتسام الغنائم، فشجعت الحركات والثوار وأمدتهم بالسلاح والمال لضرب العثمانيين من الداخل، وتزعم آل سعود الدعوة السلفية وعملوا للاستيلاء على البلاد العربية، وإزالة ما أحدثته المذاهب الأخرى، وأغاروا على الكويت ١٧٨٨م في عهد عبدالله الأول، ثم تقدموا إلى الشمال، فحاصروا بغداد، واستهدفوا كربلاء لمنع زيارة قبر الحسن، ثم استولوا على الحجاز، (١٨٠٣-١٨٠٤م) والشام وحصص وهاجوا دمشق ثانية عام ١٨١٠م كما هاجوا النجف وبسطوا سلطانهم على أكثر سوريا، حتى حلب.

وقد شنت فرنسا حملة معاكسة للنفوذ السلفي السعودي، فشجعت محمد علي، الذي ساعدته على حكم مصر، على تجريد حملة تلبية لطلب السلطان العثماني، فأرسل ابنه طوسون لمحاربتهم، وتمكن من فتح المدينة ١٨١٢م، كما ضرب إبراهيم الدرعية بعد حصار طويل عام ١٨١٨م، ثم ساندت فرنسا محمد علي فاقترح إبراهيم الشام ١٨٣١م، وتوغل في الاناضول، وكاد يستولي على الاستانة، لولا تدخل بريطانيا، وقيام التحالف الرباعي عام ١٨٤٠م، الذي تعهدت فيه بريطانيا وروسيا وألمانيا بالدفاع عن وحدة الدولة العثمانية، ضد المطامع الفرنسية، فانسحب إبراهيم وقنع بتبعيته للخليفة العثماني، في ولاية مصر.

وقد تعرض التوسع السعودي لعوامل من الانحسار، في أوائل القرن التاسع عشر، نتيجة عدة حملات من قبائل الشمال، في الجزيرة العربية، والشمال الشرقي، وبسبب هجمات محمد علي، حاكم مصر، وبعض الهجمات العثمانية الأخرى، ضد سلطة السلفيين هناك، لمنعهم للمحمل المصري والشامي، وهدمهم للقباب وبدأ الهجوم السلفي المضاد الذي قاده آل سعود عام ١٩٠٢م بقيادة عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود (١٨٨٠ - ١٩٥٣م)، الذي اعتبر مؤسس المملكة العربية السعودية، فقد استعاد الرياض من آل رشيد، الموالين للسلطان عبد الحميد الثاني، ثم استولى على مقاطعتي شرقي الجزيرة العربية (نجد والاحساء)، بمعاونة كويتية، خلال الحرب العالمية الأولى، حيث دفعت لهم خمسمائتي جنيه استرليني، وسهلت حصولهم على السلاح، من الكويت التي كان يحكمها الشيخ مبارك الصباح، على ألا يواصلوا هجومهم غربا باتجاه الحجاز، الذي كان يحكمه ابتداء من عام ١٩٠٤م الحسين بن علي شريف مكة، وزعيم الاسرة الهاشمية رغم الشعور بخطرهم مما أدى إلى تحديدهم فيما بعد، وتطويق حسين في الحجاز، بجماعة الاخوان السلفية عام ١٩١٣م، وانتهازهم فرصة تخلي بريطانيا عن الهاشمين عقب الحرب العالمية الأولى، بعد أن خدعت حسين بوعودها، وكانت ثورته عام ١٩١٦م ضربة قاصمة للخلافة، التي ما لبثت أن سقطت في استانبول عام ١٩٢٤م، ليستقط بعدها حسين بيد السعوديين عام ١٩٢٥م، بعد فشله في انشاء خلافة عربية، بدلا من الخلافة العثمانية، بينما أعلن عبدالعزيز آل سعود ملكا على الحجاز، وسلطانا لنجد، عام ١٩٢٦م كخطوة سبقت اعلان توحيد أجزاء شبه الجزيرة العربية باسم «المملكة العربية السعودية» في عام ١٩٣٢م (١)

(١) عبدالعاطي محمد «الدبلوماسية السعودية في الخليج والجزيرة العربية» - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ابريل ١٩٧٩م.



الشيخ مبارك الصباح الكبير :
حاكم الكويت وصقر الجزيرة



الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود :
مؤسس المملكة العربية السعودية

وكانت بريطانيا قد بدأت منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨م بالتخلي عن سياستها القديمة في المحافظة على كيان الدولة العثمانية، والطمع باحتلال اجزائها واحدا تلو الآخر، ابتداء بمصر وعدن، بعد أن كان يمنعها من ذلك الخوف من وقوع استانبول ومضيقي البوسفور والدردنيل تحت قبضة روسيا القيصرية، التي لم تخف طمعها في الوصول إلى المياه الدافئة .

وبعد أن كانت بريطانيا تكتفي بتشجيع واحتضان المناوئين للدولة العثمانية من العرب والأتراك وجدت نفسها أثر الهزائم المتتالية التي مني بها الحلفاء في مطلع الحرب العالمية الأولى مضطرة للسعي الجدي لفصل العرب عن تركيا، والاجهاز على الدولة العثمانية، مما أدى إلى محاولة لورد كتنشر - وزير الحربية البريطانية - للاتصال بالشيخ حسين عن طريق ابنه عبد الله . وتجدد هذه المحاولات بواسطة «ستورز» و «ونجت» و «مكماهون» حتى تم الاتفاق على أنه : (إذا عاونت الأمة العربية انكلترا في الحرب ضد العثمانيين، تعهدت بريطانيا بمنع وقوع أي أذى على بلاد العرب، وقد يمكن أن يتولى منصب الخلافة، في مكة والمدينة، عربي من أصل عريق، وبذلك قد تتمخض بعون الله كل هذه المتاعب والمساوئ عن حدث فيه الخير).

وقد بادرت دار الاعتماد البريطاني في مصر في نوفمبر ١٩١٤ م إلى تزويد عبدالله بن حسين بكتاب يتضمن فحوى رسالة كتشتر مؤكدا: (ضمان انكلترا للشريف إستقلاله وكافة حقوقه وامتيازاته من اعتداء العثمانيين عليها، وأن انكلترا كما دافعت عن الاسلام في شخص الأتراك في الماضي، فانها ستعمد الان إلى الدفاع عن الاسلام في شخص العرب النبلاء).

واندفعت بريطانيا في أبريل من عام ١٩١٥ م إلى أبعد من ذلك حينما خولت حكومتها السير «ريجنالد ونجت» سردار الجيش المصري وحاكم السودان أن يذيع تعميم حكومته بأن تجعل شرطا أساسيا للصلح عند انتهاء الحرب: (أن تبقى شبه جزيرة العرب والأماكن المقدسة الاسلامية في حوزة دولة مستقلة ذات سيادة) فطلب من السيد علي الميرغني أن يخاطب الشريف حسين بهذا الصدد، ولم يلبث المعتمد البريطاني في مصر السير «هنري مكماهون» أن نشر في يونيو ١٩١٥ م بلاغا بهذا المعنى، وتم طبعه ونشره بواسطة الطائرات البريطانية، على المدن والموانئ الحجازية، بينما عقدت بريطانيا اتفاقا مع عبدالعزيز آل سعود، في ديسمبر ١٩١٥ م لحمايته من العثمانيين، فضلا عن حمايتها لامارات الخليج العربي، وعمان، وجنوب الجزيرة العربية، واليمن الجنوبي، ولم يبق مع العثمانيين الا آل الرشيد أمراء حائل، والامام يحيى في اليمن الشمالي.

ومع عودة فيصل بن الحسين من زيارته الأولى للاستانة، مر بدمشق، في مايو ١٩١٥ م وأقسم بين الولاء لمبادئ جمعية «العربية الفتاة»، متعهدا بالحصول على موافقة بريطانيا على «بروتوكول دمشق» الذي تضمن: (اعترافها باستقلال البلاد العربية، من مرسين وأضنة إلى الخليج فالمحيط الهندي - عدا عدن - ثم البحر الأحمر والبحر المتوسط مع إلغاء الامتيازات الأجنبية، وعقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة، ومنح بريطانيا افضلية اقتصادية) وقد تلقى حسين رسالة مكماهون في ١٠ مارس ١٩١٦ م بموافقة بريطانيا على ذلك.

وأعقب ذلك إشعال حسين لثورته في الحجاز ١٠ يونيو ١٩١٦ م ولكن الكثيرين من رواد «الاصلاح» أصيبوا بخيبة الأمل عندما علموا أن الاسطول الانكليزي هو الذي أسقط ثغور: جدة ورايح وبنع والوجه وغيرها من موانئ الحجاز، وأن ثغور بورسودان كان القاعدة التي انطلقت منها قوات بريطانيا لدعم ثورة حسين بالحجاز، والمسماة بـ «الثورة العربية»، في عرف مؤرخي التاريخ الحديث والمعاصر.

وازداد شعورهم بالخيبة أكثر فأكثر حينما وجدوا ضباط انكلترا وفرنسا أمثال: كاترو وغورو، والنبسي وكوكس ولورنس يتجهجون بانتصاراتهم على العثمانيين، ولا يتورعون عن الاساءة إلى مشاعر المسلمين، كما فعل النبسي في القدس وغورو عند ضريح صلاح الدين، رغم أنهم كانوا بضعة ضباط يقودون العشائر العربية المؤثرة بأمر حسين بن علي.

وتكرست الخيبة عندما تأكد للعرب أن علمي بريطانيا وفرنسا أخذتا مكانيهما غالباً مكان علم الدولة العثمانية، ولم يكن ثمة مجال لأي علم عربي...

وكيف يمكن لبريطانيا أو فرنسا، أو غيرها، أن يحترموا وعودهم للعرب، اذا كان المتصدرون للزعامة على ذلك المستوى ممن تعاملوا معهم، وحسبنا الاشارة إلى المواقف التالية:

يؤكد الشيخ هاني أبو مصلى أحد زعماء الدروز في الشام في مذكراته (ص ٣٩): أن الشيخ فؤاد الخطيب (١) أفشى لضباط الارتباط البريطاني المكلف بالاتصال بفيصل (ملك سوريا آنئذ) أسرار المفاوضات التي دارت بين لجنة

(١) فؤاد باشا الخطيب شاعر معروف شارك في ثورة الحجاز ١٩١٦ م وتولى منصب نائب وزير الخارجية في حكومة الملك حسين بن علي ثم إنتقل مع فيصل إلى سوريا وشغل الوزارة باعتباره أحد رواد الثورة العربية.



عبدالله بن الحسين : طموح لزعامة «سورية الكبرى»



الشراف حسين بن علي : زعيم الأسرة الهاشمية



فيصل بن الحسين : ضحية الوفاق الفرنسي - الإنكليزي

سوريا المؤلفة من: الأمير عتادل أرسلان وسعيد بك حيدر وساطع بك الحصري ولجنة تركيا التي عينها مصطفى كمال، بهدف توحيد الجهود وتنسيق العمل بين الكمالين في تركيا، وبين العرب في سوريا، لمقاومة الاستعمار الفرنسي، مما دفع بريطانيا لتحذير فيصل، حرصا على التزاماتها تجاه فرنسا، في معاهدة سايكس - بيكو، الأمر الذي أدى إلى تردد فيصل في توقيع الاتفاق مع الكمالين، وقد علق مصطفى كمال بقوله: (لا خير في الذين لا يريدون الخير لأنفسهم) (١) * (٢)

ويصف فايز الغصين (في مذكراته) السير برسي كوكس حاكم العراق العام الإنكليزي والذي بطش بالمجاهدين العراقيين، الذي كان حاكما عاما للهند بما يلي:

(هو من رجال الإنكليز البارزين وقد خدم أمته خدمات جليلة، وعين مفوضا ساميا للعراق، بعد تتويج جلالة الملك فيصل ملكا على العراق، وهو متواضع للغاية، وأهل العراق يضرّون المثل في عدله وأمانته وسعة صدره ومعاملته للسكان معاملة لطيفة وحسنة).

وتحت عنوان الاعتراف بالجميل ص ١٥٨ في مذكرات الغصين يعترف بما ناله في «تكريم» الإنكليز بقوله:

(يجب على الإنسان أن لا ينكر الجميل وأن يشكر المنعم على إنعامه ولذلك فاني أذكر أن السير برسي كوكس أحسن إلى غاية الاحسان فقد مد لي يد المعونة يوم وصولي البصرة وعاملني بكل لطف وإنسانية، وكذلك المس «بل» والكبتن «مسور» معاون الحاكم العسكري والكبتن «ايدى» فانهم جميعا أحسنوا إلي غاية الاحسان وأدوا إلي جيلا أذكره لهم دائما ولا أنساه ما دمت حيا).

والطريف أن فايز الغصين يصرح على غلاف مذكراته بما يلي:

(تنفيذا لرغبة جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق المعظم ساهمت الحكومة العراقية بدفع مائة وخمسين دينارا ثمن مائة وخمسين نسخة من هذه المذكرات).

ويتحدث الملك عبدالله بن الحسين (٣) في مذكراته ص ١٥٩ عن مقابلته لتشرشل في القدس فيقول: (تلقيت دعوة

(١) الجنرال أندريا «ثورة الدروز» ترجمة وتعليق حافظ أبو مصلح المكتبة الحديثة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٠ م

(٢) فايز الغصين «مذكراتي عن الثورة العربية» - مطبعة الترقى بدمشق ١٩٥٦ م

(٣) عبدالله بن الحسين - «مذكرات الملك عبدالله» - نشر أمين أبو الشعر المطبعة الهاشمية - عمان - الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م



لورنس مع عرب الحويطات بزعماء عودة أبو تابه في طريقهم لـ «فتح» القدس!

من السير «هربرت صموئيل» (١) المندوب السامي البريطاني بالقدس لزيارة القدس ومقابلة وزير المستعمرات البريطانية (مستر تشرشل) فقبلت الدعوة وتعين اليوم.

ولما وصلنا السلط في طريقني إلى القدس لقيني فيها الكولونيل لورنس ومعه أحد ضباط قوة الطيران البريطانية لمرافقتي إلى القدس وأثناء الليل أخبرني لورنس بملخص ما يريد تشرشل أن يفاتحني به من عدم امكان رجوع الملك فيصل إلى سوريا وتوجهنا في صباح اليوم التالي إلى القدس.

وكان لورنس معي في سيارتي وكانت سيارة عسكرية بريطانية يقودها جاويش بريطاني. وكان معي في الموكب رجالات سوريا وفلسطين) ثم يصف المندوب السامي البريطاني اليهودي صموئيل بقوله:
(أما السير هربرت صموئيل فلا بد لي هنا من ذكر دماثة) أخلاقه وجم أدبه وكماله فهو سياسي محترم كامل ولقد كان له ذلك الموقف الذي لا أنساه له. وهو موقفه عندما أبلغني أن المطلوب من والدي المرحوم ترك العقبة والسفر إلى قبرص فقد كانت الدموع ملء عينيه وهو يفيض إليّ بالنبأ برقة حاشية وتأثر عميق).

غير أن هذه النماذج بالطبع لم تكن وحدها في الساحة العربية وإن كانت تشكل آنذاك أغلبية كبيرة، فقد كان إلى جانبها عدد آخر من القادة المفكرين والضباط العسكريين، ممن كانوا على جانب كبير من الوعي والادراك لحقيقة الأخطار التي تواجههم، أمثال القائد العسكري عزيز علي المصري، والأمير شكيب أرسلان، والشيخ محمد رشيد رضا وعشرات غيرهم، وعلى سبيل المثال سنورد مما ذكره الأمير شكيب أرسلان (٢) حول موقف الشيخ رشيد رضا من الإنكليز حيث قال: كان يترامى إلينا من وقت إلى آخر اخبار عن مصر وما يعمل الإنكليز فيها (اثناء الحرب العالمية الأولى) فجاءنا في احدى المرات ان السيد رشيد هو من المغضوب عليهم عند الإنكليز لأنهم رغبوا اليه في بث الدعاية الإنكليزية ببلاد العرب فلم يستطيع أن يجيبهم علنا وأظهر شيئا من الموافقة لهم على مقاصدهم، على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك، فوافقوه على ذلك، الا أنهم فيما بعد قبضوا على كتب منه تتضمن التحذير من الإنكليز أنفسهم، فقبضوا عليه وفكروا في نفيه الى مالطة، في جملة من نفوهم وكادوا يفعلون، الا أنهم عادوا فكروا ان نفي مثل الشيخ رشيد قد يقربه من الاتراك، ويزيد الضرر بسياستهم، فتركوه في مصر، لكن تحت المراقبة الشديدة..

(١) هربرت صموئيل أول مندوب سامي بريطاني إختارته الحكومة البريطانية من اليهود لتسهيل تنفيذ وعد بلفور للصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين.

(٢) د. ابراهيم احمد العدوي «رشيد رضا».



عزيز علي المصري : نأوا المتآمرين على عبد الحميد بعد أن اكتشف أهدافهم . الكولونيل لورنس : شارك في صنع مآسي العرب الحالية !

والخلاصة ان السيد رشيد لبث إلى نهاية الحرب تحت مراقبة الانكليز، ولم يكن كغيره من اعداء الاتراك محلا لثمة الحكومة الانكليزية، ولا ممن كانوا آلات في أيدي الانكليز يحركونهم كيف شاؤوا.

ولما ينش الانكليز من استمالة رشيد رضا إليهم وعجزوا عن الحصول على تأييده فيما عزموا عليه من خداع العرب لجأوا إلى أمراء العرب، خارج مصر، لعلهم يجدون ثغرة ينفذون منها لتحقيق مآربهم، وكانت سلطات الاستعمار البريطاني في مصر قد دخلت عن طريق ممثلها هنري ماكماهون، في مفاوضات مع شريف مكة الامير حسين لكسبه الى جانبهم ضد تركيا، ولتحول دون اصداره قراراً يؤيد فيه الدعوة إلى الجهاد، التي اعلنتها تركيا ضد انكلترا وحلفائها، وساعدت سياسة جماعة الاتحاد والترقي المتهورة، كما نعتها بذلك رشيد رضا، على اتمام المفاوضات بين الشريف حسين والبريطانيين.

وقلب شريف مكة لرشيد رضا ظهر المجن، بعد أن ادرك اختلافه معه في الرأي، وأنه لن يكون من أنصاره الداعين له، وكان رشيد رضا مخلصاً في النصيح لشريف مكة، إذ كان هذا من أشد الناس عداوة لجماعة الاتحاد والترقي، ولمس بنفسه عن كذب طيشهم ونزقهم، ولكن بفضل نظرته السياسية الواسعة عرف ان العدو الحقيقي هو الاستعمار البريطاني، الذي عمد إلى استغلال الوقعة بين العرب والأتراك، لتحقيق مآربه الشخصية، دون اعتبار لأي وعد أو اتفاق، وأمر شريف مكة بمنع دخول «المنار» إلى الحجاز، وشرح رشيد رضا هذا العمل قائلاً: والسبب الذي جرأ أمير مكة بالامس على عدم موالاة الترك وعدم الاهتمام بوحدة العرب هو الاتفاق الذي عقده مع الانكليز قبل الثورة واعتقاده أن قوتهم لا تعلوها قوة في العالم وأثبتت الأحداث ان رشيد رضا السياسي كان على حق في تحذير زعماء العرب من الاعتماد على انكلترا، والوقوع في حبال وعودها البراقة، وأمانها الخادعة. إذ سرعان ما بدأت تنتشر في جو البلاد العربية المؤامرات التي دبرتها انكلترا، وحلفاؤها، بالعرب والتي كان اخطرها اتفاق سايكس بيكو السري لتقسيم البلاد العربية، بعد الحرب العالمية الاولى.

وكان الشعور الوطني في الشام قد إلهب اذ ذاك نتيجة خيانة انكلترا للعرب، وانسحاب القوات البريطانية من سواحل الشام، والسماح للقوات الفرنسية باحتلال المنطقة الغربية، تنفيذاً لمؤامرة سايكس — بيكو، وزاد الموقف في الشام توتراً ذهاب فيصل الى فرنسا للتفاوض معها في مستقبل الشام، وعاد دون ان يحصل على نتائج مشرفة، وفي ذلك الوقت كان المؤتمر السوري الممثل لسكان الشام قد انعقد، وأشار رشيد رضا على فيصل بالاستعداد للحرب لأن فرنسا سوف تلجأ إلى الغدر والقوة الغاشمة.

ولكن فيصلاً أهمل العمل بنصائح رشيد رضا، واعتقد، كما اعتقد أبوه من قبل ان في الامكان الاعتماد على فرنسا،

ولذا قاطعه رشيد رضا، ثم حدث ما توقعه، إذ زحف الفرنسيون من منطقة الساحل على سائر أرجاء الشام، وطردوا فيصلاً من البلاد، وعلق رشيد رضا في مذكراته على هذه الاحداث قائلا: ولقد عاشرت (اي فيصل) زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها، ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة، الا استحالة اخراج فرنسا وانكلترا من البلاد العربية، الآن، ووجوب العمل مع احدهما، وخدمة البلاد بمساعدتها في ظل وصايتها.

وكان أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني الذي انعقد في جنيف خلال آب (اغسطس) ١٩٢١م قد قرروا قبل انتهائه ان يسعى بعض اعضائه إلى مقابلة أعضاء عصبة الأمم، وشرح القضايا العربية وكسب تأييدهم واشتهر رشيد رضا نائب رئيس المؤتمر، في تلك المقابلات التي تمت مع أعضاء عصبة الأمم بالشدة في القول، والايمان في الحديث، بكل ما يدلي به من آراء، فأوضح لمستتر «فشر» المندوب البريطاني آراء العرب كلها تجاه انكلترا، في هذه العبارات: (ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين ما لا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين، ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم، فاذا أراد أحد ان يقول قولاً صادقاً لا رجوع فيه قال «كلمة انكليزية» وقد إنقلب هذا الاعتقاد إلى ضده بل خسرت اوربا كل ما كان لها من نفوذ أدبي).

ورغم هذه المواقف المشهودة لرشيد رضا الا أننا لا نملك الا أن نذكر الواقعة التالية التي تلقى بعض الظلال حول شخصيته الفكرية وانتمائه السياسي، شأنه في ذلك شأن معظم المتصلين بجمال الدين الأفغاني، فقد وقف رشيد رضا يقول في خطبة مرتجلة في إحتفال الأرمن بالقاهرة، بشهداء الحرية: (يعلم كثير من الأرمن الحاضرين أنني من مؤسسي إحدى جمعيات الأحرار الماسونيين التي سبقت غيرها الى التآليف بين جميع العثمانيين بالفعل، قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في اوربا، بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية الماسونية، التي من بعض أعضاء إدارتها أحد خطباء الارمن، في هذا الاحتفال) وعلق فارس ثمر على هذا الكلام بقوله: (ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير «المنار» في عشر سنين).

أما شخصية توماس ادوارد لورنس (١٨٨٨ – ١٩٣٥م) ما زالت تشغل الكثير من الباحثين فقد استطاع ذلك الضابط الانكليزي ان يخطف الاضواء من حول الكثير من قاداته وزملائه، وأن ينسج لنفسه هالة اسطورية إرضاء لمجموعة عقد نفسية صاحبت نشأته العائلية.

ولعل أحدث المؤلفات حول لورنس هو كتاب المؤرخ الفرنسي «بنوا ميشان» المسمى (لورنس الجزيرة العربية أو الحلم المحطم) (١).

ويقدم عرضاً لحياة لورنس (٢) منذ لقائه في صباه مع المستشرق وعضو الاستخبارات البريطانية الشهير د.ج. هوجارت الذي جنده للعمل في الاستخبارات البريطانية تحت ستار إهتمامه بالعاديات الاثرية، وأوكل إليه التعرف على طبيعة البلاد العربية وتقاليده شعوبها تمهيداً لخوض بريطانيا للحرب العالمية الأولى.

(١) انظر نص حديث الأمير الجزائري مع المؤلف في عدد «مجلة الكويت» ضمن مجلدات عام ١٩٦٩م، وزارة الاعلام – الكويت.

(٢) تضمنت الوثائق البريطانية المحفوظة في دار المحفوظات البريطانية Public Record Office، ثلاث إشارات للقاءات تمت بين الفريق عزيز المصري مع مسؤولين بريطانيين، اللقاء الأول كان مع الكابتن روسل في ١٦ أغسطس ١٩١٤م، واللقاء الثاني مع الكولونيل كلايتون «رئيس المخابرات البريطانية في القاهرة» – آنذاك – بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩١٤م، واللقاء الثالث مع السيد جريفس مراسل صحيفة «التايمز» في القاهرة بتاريخ ٦ ديسمبر ١٩١٤م.

ثم تزوج الفريق عزيز المصري وهو شركسي واسمه الكامل (عزيز علي عرفات) من الأميركية فرنسيس دريك عام ١٩٢٣م خلال لقائهما في إيران وأثمر زواجهما ولداً سمي «عمر» وهو يحمل الجنسية الاميركية الآن! وكان الشريف أحمد السنوسي قد وسط المجاهد عمر المختار لمحاولة اقناع عزيز المصري بتسليم الأسلحة لليبيين حينما تلقى أوامر أنور باشا بالانسحاب بجيشه الاتحادي من الحرب الليبية – الإيطالية، إلا أن عزيز المصري واصل إنسحابه الى السلم، وأمر جنوده بحرق جميع الأسلحة التي كانت بحوزتهم، قبل صعودهم معه الى الباخرة الألمانية التي نقلتهم الى استانبول، خلافاً لما كان متوقفاً منه، بعد أن وقف العرب في المشرق والمغرب معه في أزمتهم حينما إعتقله الاتحاديون، بحجة قيادته لنشاط الجمعيات السرية العربية. =

ثم يتابع نشاط لورنس منذ دخوله بيروت عام ١٩٠٩م حينما كان في الحادية والعشرين من العمر وطوافه بمختلف المدن والقرى والبادي بينما كان اللورد كتشنر وزير الحربية البريطاني يبدأ اتصالاته بالشريف حسين عبر ابنه عبد الله لاثارته ضد العثمانيين وهي المهمة التي تابعها ستورز في القاهرة فيما بعد حيث اصطحب معه لورنس لبدأ اتصالاته المباشرة بالشريف حسين وبابنه فيصل الذي توطدت علاقته به وراهن عليه رغم اختلافه مع زميله سان جون فيليبي الذي كان يفضل اعتماد بريطانيا على عبدالعزيز آل سعود.

ولد توماس ادوارد لورنس في ١٦ آب سنة ١٨٨٨ في مقاطعة ويلز كان والده إيرلندياً اسمه توماس روبرت تشابمان غير اسمه الى لورنس وهجر زوجته وتزوج من سارة مادن، مربية أطفاله الاربعة، ورزق من زواجه غير الشرعي الثاني خمسة أولاد، ثانيهم (لورنس)، ولهذا منع من دخول الجيش كضابط محترف، وفي العاشرة من عمره كسر رجله، فتأثر نموه الجسدي، وهرب في السادسة عشرة لينخرط في سلاح المدفعية، فأعاده والده ليعيش في كوخ، بحديقة المنزل، ثم درس في اكسفورد، وأعد أطروحة عن «القلع الصليبية في الشام».

تعرف عام ١٩٠٩ على استاذة هوجارت، أجد كبار العاملين بالمخابرات البريطانية، فساعده على الذهاب للشرق، ودراسة القلاع الصليبية، مزودا بتوصية من اللورد كيرزون وزير الخارجية آنذاك، ثم عاد لينال إجازته الجامعية ١٩١٠، وبعد سافرا الى سوريا ضمن بعثة تنقيب إلى كركميش الحثية، ورغم تفاهة عمل البعثة مدد لها هوجارت عملها حتى ١٩١٤ لاهداف سياسية فشارك لورنس في مسح سيناء، وحصل على رتبة ملازم ثان في القسم الجغرافي، بأركان الحرب البريطانية، ولعب دورا غامضا خلال الحرب العالمية، ثم عاد إلى لندن ليعيش حياة عادية.

وعندما توفي لورنس عام ١٩٣٥م جمعت أوراقه السرية ومخطوطاته، ووضعت في مكتبة بودليان بأكسفورد، واشترط على واضعيها ألا يتم التصرف بها قبل نهاية القرن الحالي، الا أن معلوماتها تسربت مؤخرا بواسطة بعض الباحثين الصحفيين.

يقول اللورد ويفل أن الجنرال اللنبي قضى عمره وهو يتساءل: (هل كان لورنس ممثلا حقيقيا أم بهلوانا ومهرجا؟؟)

وكثيرون مع اللنبي وبعده تساءلوا وما زالوا يتساءلون: من هو توماس ادوارد لورنس؟؟ أين حدود الأكاذيب في اسطوريته؟ وحدود الحقائق في حياته؟ هل كان مجرد ضابط في المخابرات البريطانية؟ أم كان يجمع صفة دونكيشوت الى صفة (جيمسون؟) ويحلم ان له رسالة تتجاوز تحطيم اخلاق وتزمت وقيم المجتمع الفيكتوري إلى خلق عالم آخر موسوم ببقاء الصحراء والبداءة؟ هل كان شاذاً؟ لماذا كان يكره النساء؟ لماذا كان يميل دائما إلى تمجيد نفسه وتحقيرها في الوقت نفسه؟ لماذا كان يحاول ان يبهز الآخرين بشخصيته ثم يغرز السكين في الخفاء بهذه الشخصية ويعمل فيها تمزيقا وتعذيباً؟ ما هو دوره الحقيقي في الثورة العربية ما هي علاقته باليهود والحركة الصهيونية؟.

ينسب المؤرخ الفرنسي بنوا ميشان للورنس العديد من الأعمال العسكرية الهامة التي اخذها على عاتقه دون الرجوع للقيادة البريطانية كسقوط ميناء العقبة الذي حققه بألفي مقاتل من العجيلة والحويطات مما كفل النصر للجيش البريطاني في معركة القنطرة ضد العثمانيين كما يصوره كبطل اسطوري في حرب الصحراء ويصوره بالصديق المخلص للعرب حينما رفض تنفيذ أوامر اللنبي في دفع البدو الى مهاجمة العثمانيين بينما يهاجم اللنبي القدس بقواته مما أدى الى تعلق البدو به حتى صار يعرف بـ «لورنس العرب» كما يمنحه شرفاً أكبر بادعائه ان لورنس أمر الفرقة الاسترالية بالتراجع قليلا ليتمكن فيصل من دخول دمشق قبل الجميع، رغم أن الأمير سعيد الجزائري كشف في حديث شخصي

== وقد رفض الفريق عزيز المصري ان يجيب عن أسباب إحراقه للأسلحة بدلاً من تسليمها للمجاهدين الليبيين حينما سأله السيد عبد المالك بن عبد القادر بن علي في مقابلة نشرها في كتابه «الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية» جـ ٢ ص ٤٠ و ٤١ مما يؤكد الشبهات التي إكتنفت سيرته مع بقية الرعيل الذي زامله في تلك الأنشطة السرية التخريبية ضد الدولة العثمانية.



عودة أبو تابه، استغل الانكليز بساطته ونفوذته لتحقيق مآربهم



الملك فيصل الأول، توج مرتان، على عرش سورية ثم العراق.



الملك عبدالله بن الحسين مع اللورد كليرن



فيصل بن الحسين لدى تويجه ملكاً على سورية في ٨ مارس ١٩٢٠ م.



للملك فيصل يسلم الراية إلى لواء المشاة الأول بحضور وزير الحربية يوسف العظمة.



الكولونيل لورنس
في «طبعته»
العربية !!

- ١ - وصفي الأناسي ٢ - عادل
- العظمة ٣ - احمد مريود ٤ -
- رشيد الحسائي ٥ - شكري
- القوتلي ٦ - رياض الصلح ٧ -
- المير بهجت الشهابي ٨ - المير
- مصطفى الشهابي ٩ - سعد الله
- الجباري ١٠ - عفيف الصلح
- ١١ - مسلم المطار ١٢ - عزة
- دروزة ١٣ - زكي التميمي ١٤ -
- حسن البرازي ١٥ - توفيق
- حياتي ١٦ - المير فايز الشهابي
- ١٧ - رفيق التميمي ١٨ -
- الدكتور أحمد فديري ١٩ - عوني
- عبدالمهدي ٢٠ - ميم الماضي
- ٢١ - توفيق البازجي
- ٢٢ - الدكتور سعيد طليح.



مجموعة رجال بلاد الشام في لقطة تذكارية بفضة دمشق ١٩٢٠ م وهم:

وثائق الحكومة العربية
بدمشق ١٩١٨م

صورة من القرار الذي اتخذته لجنة من اعضاء مجلس الادارة في ١٠ تموز ١٩٢٠. والقاضي بالطالبة باستغلال لبنان بالتنسيق مع حكومة سورية ودون الاشارة الى الانتداب الفرنسي .

اوتيف مديرة الانار - بيروت - لبنان ، وثيقة رقم ٦٦٧٦ .

۱- احوال :
 ۲- خطه کاتب و این نامه مندرج است در مجموعه کتب خطی کتبخانه مجلس شورای اسلامی در تهران و در آنجا
 ۳- تاریخ تحریر آن به سال ۱۲۸۰ قمری و طبع آن به سال ۱۳۰۰ شمسی است.
 ۴- در این نامه شریف الدین قزوینی به بیان احوال و وضعیت خود و خانواده و همچنین احوال و وضعیت
 ۵- کلماتی است که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :
 ۶- کلماتی که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :
 ۷- کلماتی که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :
 ۸- کلماتی که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :
 ۹- کلماتی که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :
 ۱۰- کلماتی که در این نامه به کار رفته است و این کلمات عبارتند از :

[illegible]

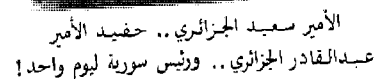
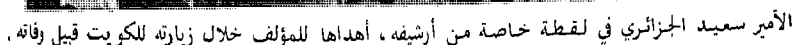
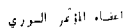
صورة من برقية حكومة دمشق العربية الى رؤساء البلديات في المناطق .
الوزير مديرية الاكاد - بيروت - لبنان - وليقة رقم ١٥٨٥٣ .

وَرَوَى الْقَلِيبُ فِي الْمَدِينَةِ بِمَدِينَةِ

ناظرین سے عرض
وہیں حکمران
عبد المجید

مذہبی حجتہ: رُکوع و سجدہ
المان نیرفونے

فریادِ مریضِ صفا
فصیح
فانم



أدلى به إلى قبيل وفاته أنه تعمد أن الجيش العربي يسبق لورنس في دخول دمشق ليرفع العلم العربي وليعلن استقلال سوريا لوضع بريطانيا وفرنسا أمام الأمر الواقع بعد أن كشف الوطنيون العرب مؤامرة الحلفاء في اتفاقية سايكس - بيكو

ويختتم الكتاب فصوله باظهار «فروسية» لورنس وما عاناه من عذاب الضمير نتيجة لخداعه حسين وفيصل وغيرهما بوعود مكماهون وغيره، كما يبرر الكتاب وعد بلفور بأن الرئيس الأميركي ويلسون انتهز فرصة زيارة بلفور لأميركا عام ١٩١٧م حين جاء يطلب دعم أميركا لبريطانيا في الحرب العالمية فاشترط عليه اصدار وعد باقامة وطن قومي لليهود وتحت تأثير الصهيوني التشيكي لوريس برانديز الذي عينه ويلسون رئيساً للمحكمة العليا. ويقول بنوا ميشان ان لورنس رفض وسام الحرب واعتبر الانكليز رفضه إهانة للملك بدافع تعاطفه مع العرب وخذلانهم، بل إنه ألف «أعمدة الحكمة السبعة» وكشف خيانة بني قومه إرضاء لضميره ثم مات في حادث دراجة هوائية ومن ورائه سيارة سوداء مازالت لغزاً محيراً.

ولكي نقطع الشك باليقين بالنسبة لاسطورة (لورنس العرب وملك العرب غير المتوج وصانع ملوك العرب) نذكر بالحقائق التاريخية التالية :

يذكر لورانس في «أعمدة الحكمة السبعة» ص ٢٠٨ أنه كان يعلم أن وعود بريطانيا ستبقى حبراً على ورق في حالة كسبهم الحرب، ولكنه كان يرى أن الحماسة العربية هي أفضل أداة تستخدم في الحرب في الشرق، لذلك كان يؤكد للعرب أن بريطانيا ستحترم وعودها، ولما عرض نوري الشعلان ملفاً حقيقياً لمستندات متناقضة، طالباً منه معرفة أي التعهدات تستحق الثقة أجابه لورنس : «أنه يتوجب الركون إلى آخر متناقضاتنا».

ومن الأقوال المأثورة تصريحه لرجال الصحافة: (أني أؤيد الصهيونية، اني اعتبر اليهود النقلة الطبيعية للخميرة الغربية الضرورية جداً لدول الشرق الأدنى) وتأكيده مرة ثانية :

(اني أؤيد الصهيونية وان اليهود لابد أنهم سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة جداً، كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالههم).

وعن وعد بلفور قال :

(ان المشروع يعطي العرب أكثر مما كان هو يتمنى أن يحصل لهم عليه) بينما وصل إندفاعه الصهيوني إلى حد غاطبة مطران القدس بقوله عن وايزمان : (انه رجل عظيم لا تستحق أنت ولا أنا أن نسمح خذاه) اما عن الوحدة العربية التي كانت «الطعم» الذي أغرت به بريطانيا حسين بن علي ورجال الثورة العربية فهو يقول : (لا أمل بقيام وحدة عربية لا في الحاضر ولا في المستقبل). لكن لورنس بدافع من تعصبه لانكليزته خاطب وزير مستعمراته تشرشل بقوله : (ان التسليم بمطالب فرنسا - في سوريا ولبنان - وصمة عار في تاريخنا).

وقد بدأت الحركات السرية ضد الخلافة العثمانية نشاطها الفعلي عام ١٨٥٩م، حينما اكتشف السلطان عبدالمجيد - والد السلطان عبد الحميد الثاني - (١٨٣٩-١٨٦١م) مؤامرة تستهدف عزلة واغتياله فألقى القبض على جميع زعمائها وزج بهم في السجون.

وفي حزيران (يونيو) ١٨٦٥م قام نافع كمال وآية الله بك وأربعة من رفاقهما بتأسيس جمعية «تركيا الفتاة» أو بالأحرى «تركيا الحديثة» على غرار جمعية «الكاربوناري» التي تأسست في مملكة نابولي بإيطاليا عام ١٨٠٧م مستهدفة توحيد إيطاليا وتأسيس حكومة دستورية بها، وسرعان ما ضمت بين صفوفها الأمير مصطفى فاضل - شقيق الخديوى اسماعيل - الذي حرمه السلطان عبدالعزيز من وراثة باشوية مصر - كما أبدى كل من مراد الخامس وعبد الحميد الثاني اهتمامها به قبل توليها للسلطنة.

وفي منتصف مايو سنة ١٨٦٧م غادر زعماءها استانبول للاقامة بباريس بدعوة من مصطفى فاضل، وظهرت عام



الملك حسين

حسين شريف ملك الشرق



الملك علي



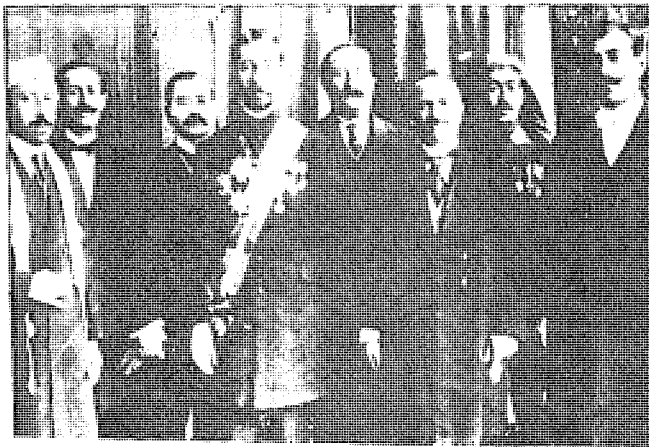
الملك
عبد الله



الشريف ناصر



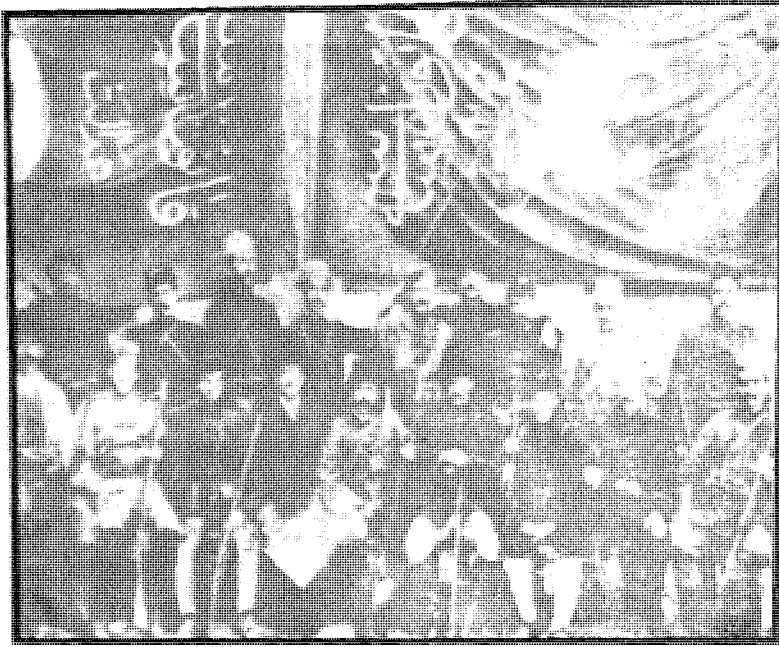
الملك فيصل



— الملك فيصل الأول في بيروت عام ١٩١٩م يحيط به: نسيب البكري، تحسين قدري، عمر الداعوق، كامل الأسعد، أحمد قدري، رفيق التميمي، والشريف جميل بن ناصر.



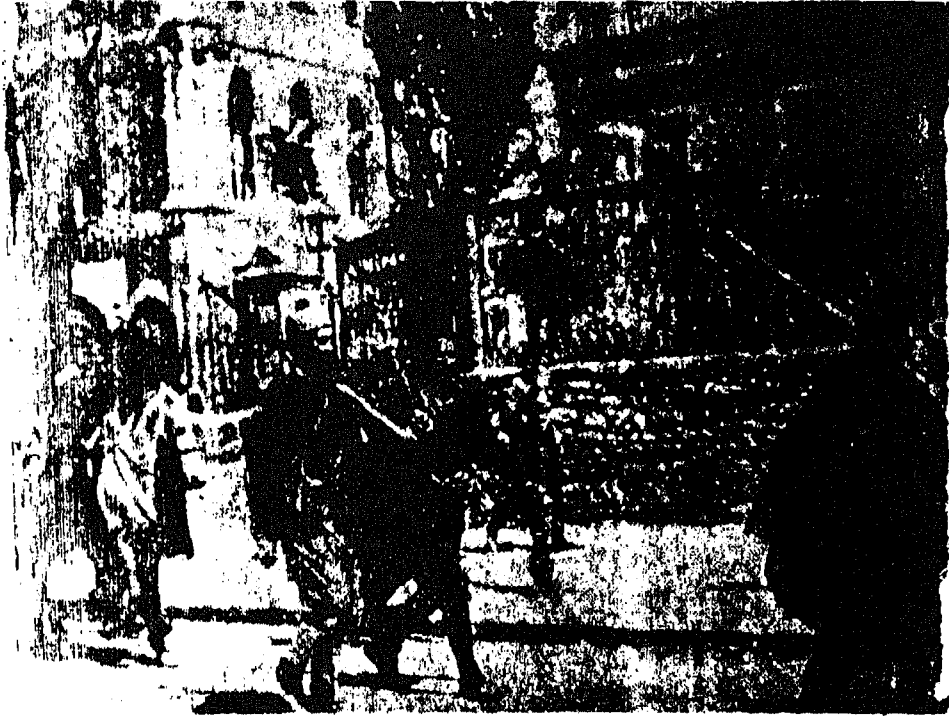
الشريف زيد



قادة الاتحاديين الذين تزعموا الانقلاب ضد عبد الحميد الثاني تحت الشعارات الماسونية للنزعة العربية :
حرية ، عدالة ، مساواة !!

طلعت باشا : عجري بلغاري تعصب للطورانية !!

١٨٦٨ م جريدة «حرية» التي رأس تحريرها في لندن رفعت بك، ثم ظهرت «المخبر» و «المعلم» وغيرها من الصحف التي كانت تتسرب إلى استانبول عبر الحقائق الدبلوماسية الغربية، ثم ظهر مدحت باشا كقائد لتركيا الفتاة داخل استانبول نفسها حيث تمكن بدرايته وبمقدرته الادارية من الوصول إلى منصب الصدر الأعظم في آب (اغسطس) سنة ١٨٧٢ م ولكنه اصطدم بالسلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦ م) فأعفاه من منصبه بعد شهرين ونصف، مما أدى إلى تواطؤ مدحت باشا مع السير هنري اليوت السفير البريطاني في استانبول ١٨٧٥ م ضد عبد العزيز للتخلص منه و اعلان الدستور، فكتب إلى حكومته : (ان كلمة الدستور أصبحت تجرى على كل لسان في العاصمة استانبول). وفي ٢٩ مايو ١٨٧٦ حصل مدحت باشا ورفاقه على فتوى بعزل السلطان عبد العزيز (لاسرافه وعجزه عن تصريف شؤون الدولة) وبعد خمسة أيام أعلن عن (انتحاره) بعد أن عين مكانه ابن أخيه (السلطان مراد الخامس) الذي لم تنفعه ماسونيته إزاء احتلال قواه العقلية فتم عزله في ٣١ آب (اغسطس) ١٨٧٦ م وتعين أخاه الأصغر (عبد الحميد الثاني) فأعاد تعيين مدحت باشا صدرا أعظم وأعلن في ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٦ م المشروطة الأولى (الدستور) مما حقق الحرية والبرلمانية (مجلس النواب، ومجلس الأعيان)، ولكن مدحت باشا عزل في ٥ شباط (فبراير) ١٨٧٧ م وتم نفيه خارج البلاد (لخطورته على أمن الدولة) في وقت كان يتعرض فيه لنقمة خصوم المشروطة (العلماء) وأنصارها (نامق كمال وضيا بك) ثم جرت انتخابات عامة واجتمع أول برلمان عثماني في ١٩ آذار (مارس) ١٨٧٧ م حيث ضم مجلس الأعيان ٢٥ عضوا، معيناً، كما ضم مجلس النواب (المبعوثان) مائة وعشرين عضواً، منتخباً، يمثلون مختلف الولايات العثمانية، ولكن عبد الحميد أمر بتعطيل المجلس ١٤ فبراير ١٨٧٨ م، أثر عبور الاسطول البريطاني للدردنيل، وتعرض قادة «تركيا الفتاة» للملاحقة، مما أدى إلى تحولها إلى حركة سرية وفي عام ١٨٨٩ م أسس الطالب الألباني ابراهيم تيمو مع أربعة من زملائه في كلية الطب العسكرية باستانبول جمعية «الاتحاد العثماني» واستقطبت عددا من طلبة المدارس والمعاهد الدينية، وكان يوجههم من باريس عضو المبعوثان الماروني اللبناني خليل غانم، الذي كان يصدر هناك «تركيا الفتاة» وأحمد رضا بك مدير معارف بروسة السابق الذي أصدر «مشورت» واتفق جماعة باريس وجماعة استانبول على العمل معا تحت اسم «جمعية الاتحاد والترقي العثمانية» ونشرت «مشورت» في ٣ كانون الاول ١٨٩٥ برنامج الجمعية. وكانت الشخصية الثالثة مراد بك استاذ التاريخ الذي لجأ الى مصر وأصدر جريدة «الميزان»



صورة نادرة لإنيازي بك ممتطياً حصانه خلال العصيان الذي فرض «المشروطية الثانية»

وقد أعدت اللجنة المركزية للجمعية في استانبول برئاسة الحاج أحمد أفندى تدبير الانقلاب ضد عبد الحميد الثاني، وكان مقرراً أن يقوم كاظم باشا باحتلال الباب العالي في آب (اغسطس) ١٨٩٦ م ولكن الشرطة قبضت على المتآمرين وتم نفيهم وتفرقهم إلى ولايات مختلفة.

وأسهمت مكاتب البريد الأجنبية في تسهيل الاتصالات بين الاتحاديين المتباعدين في مختلف الأنحاء، كما قامت بنشر مطبوعاتهم وترويج أفكارهم ولكن النزاع على القيادة بين صفوفهم أتاح لعبد الحميد فرصة اقناع مراد بك للعودة إلى استانبول وإيقاف نشاطه، لكن فرار بعض أقرباء عبد الحميد إلى باريس واتصالهم بأحمد رضا وزملائه بعث النشاط في باريس في الوقت الذي تمت تصفيته في استانبول. ثم ظهرت مجموعات في جنيف والقاهرة، وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٠٤ م أسس مجموعة من طلبة المدارس العسكرية والمدنية باستانبول «الجمعية الانقلابية» وساعدت الظروف السيئة التي كان يعيشها الضباط والجنود على انتشار السخط بين صفوف الجيش، فأسس مصطفى كمال ومجموعة من زملائه في دمشق «جمعية الوطن والحرية» خريف عام ١٩٠٦ م وظهرت لها فروع في يافا والقدس، كما تأسست في سالونيك في أيلول (سبتمبر) ١٩٠٦ م جمعية «الحرية العثمانية» وسط ظروف غامضة، ولم تلبث أن اندمجت في العام التالي مع تنظيم «الاتحاد والترقي» بباريس، وكان اليهود الشرقيين (السفرديم) يشكلون نصف سكان سالونيك تقريباً. (١)

وقد وضع ضباط مقدونيا خطة للثورة في عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني يوم ٣١ آب (اغسطس) ١٩٠٨ م، إلا أن بعض الأحداث الخارجية حتمت سرعة التنفيذ، فأبرق بعض الضباط مطالبين عبد الحميد باعادة دستور ١٨٧٦ م، وحاول عبد الحميد تدارك الموقف فعين يوم ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٠٨ م سعيد باشا صدراً أعظم (معروف بميله الإصلاحية) بينما كان أنور باشا وعدد من الضباط قد سبقوه لإعلان الدستور في مقدونية مهددا بالزحف على استانبول، فأمر عبد الحميد باعادة الدستور وأجرا الانتخابات والغاء الرقابة على المطبوعات والغاء الجاسوسية وسط فرحة غمرت شعوب الدولة العثمانية وتم اطلاق سراح المعتقلين السياسيين كما جرت انتخابات المبعوثان وضم المجلس ٢٨٠ نائباً من

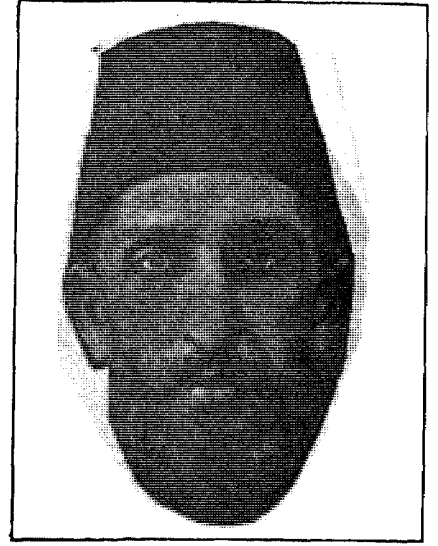
(١) عبد القديم زلوم «كيف هدمت الخلافة»



الجنرال النسي « بطل » الصليبية الجديدة!



جمال باشا : طمع في إقامة سلطنة وراثية لأولاده



لقطة تاريخية للسلطان عبد الحميد

الأتراك والعرب واليونانيين والبلغار والصرب واليهود والأرمن (١)، وافتتح السلطان عبد الحميد المجلس في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨، ورغم نفوذ الاتحاد والترقي في «المبعوثان»، إلا أنه واجه معارضة من حزب «الأحرار» وحزب «الاتحاد الحر» وغيرهما من الأحزاب المتنادية باللامركزية.

وفي هذه الظروف الداخلية السيئة أعلنت بلغاريا استقلالها كما ضمت النمسا مقاطعتي البوسنة والهرسك واتحدت كريت مع اليونان، وسط عجز الاتحاديين عن أي تدبير.

وفي ٥ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ أعلن بمسجد «أيا صوفيا» عن تشكيل تنظيم «الاتحاد الاسلامي» المؤيد للسلطان عبد الحميد الثاني، فرد الاتحاديون يوم ١٢ نيسان (ابريل) باعلان جمعيتهم السرية حزبا سياسيا علنيا.

وتتابعت الأحداث المشبوهة من حركة التمرد العسكري المؤيد للسلطان في الثكنات إلى احتلال البرلمان، وقتل ضابطان اتحاديان ووزير العدل ونائب عربي كما اعتدي على وزير البحرية، وقمت استقالة الصدر الأعظم حسين حلمي باشا وتولى توفيق باشا مكانه، في الوقت الذي اندلعت فيه مذابح الأرمن في كيليكيا وبينهم بعض المبشرين الاميركيين.

وزحف محمود شوكت يرافقه نيازى بك وأنور باشا بجيشه من سالونيك إلى استانبول فوصلها يوم ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ م وفي ٢٧ نيسان اجتمع أعضاء المبعوثان والأعيان في جمعية وطنية بسان استيفانو وقرروا خلع السلطان عبد الحميد الثاني على أساس فتوى من شيخ الاسلام (٢) وأعلنوا تولية أخاه الأصغر السلطان محمد رشاد الخامس، الذي ظل العوبة بيد الاتحاديين طيلة فترة حكمه.

(١) كان توزيع أعضاء (المبعوثان) على النحو التالي: ١٩٢ نائبا من الأتراك، ٦٠ نائبا عربيا، ١٨ نائبا يونانيا، ٤ نواب بلغار، ونائبين لكل من

الصرب والأرمن واليهود
(٢) طالع نص الفتوى ضمن الملاحق في نهاية البحث

E

APR 18 1949

141A

[illegible]

1994

البَابُ السَّادِسُ

الحلم الفرنسي القديم بإمبراطورية الشرق

الفصل الأول : الجمعيات التركية السرية في رعاية فرنسا .

الفصل الثاني : الجمعيات العربية السرية في أمضات «الأم الحنوت»

الفصل الثالث : المؤتمر العربي الأول في عاصمة «النور والحرية» .

الفصل الرابع : جمال باشا و قضية «الشهراء» في بيروت و دمشق .



نابليون بونابرت

الفصل الأول

الجمعية التركية السرية في رعاية فرنسا

في رسالة بعث بها السفير الانكليزي الى وزير الخارجية البريطانية عام ١٩١٣ قال : (١)

(ان العنصر التركي يعد ستة ملايين نسمة في امبراطورية عدد سكانها نحو ثلاثين مليون نسمة. ولا بد أن يضيع في أكثرية السكان (العرب واليونان والبلغار) خاصة وأنه أدنى مستوى من هذه الأكثرية في الذكاء والتعليم والكفاءات المالية والقابليات التجارية وهو لا يستطيع أن يحافظ على مركزه عنصرا سيدا متغلبا الا بصفاته القتالية، أي بالجيش فقط.

وبما أن العنصر التركي لا يستطيع أن يتألق بالانجازات الفكرية، أو التجارية فان غريزته تقوده الى أن يظهر تفوقه بنشاطه العسكري.

والأتراك يغازلون بمعونة اليهود اخوانهم الهنغارين الذين ينتمون مثلهم الى العنصر الطوراني.

ويقلد الأتراك الاتحاديون الثورة الفرنسية وأساليبها اللادينية وطريقتها في خفض مستوى الأغنياء الى مستوى الفقراء ويعود ذلك الى توجيه الماسونية اليهودية من ناحية والى حقيقة كون اللغة الفرنسية هي اللغة الأوربية الوحيدة المنتشرة.

وقد أدى تطور الثورة الفرنسية الى العداوة بين انكلترا وفرنسا، واذا تطورت الثورة التركية على نفس النهج فانها ستكون معادية لمصالح بريطانيا.

ان سياسة الاتحاديين، الى الآن، قد أبعدت تماما تقريبا العثمانيين وخاصة السوريين والعرب الذين فقدوا، كما فقد اليونانيون والبلغار كل أمل في تأسيس نظام دستوري حقيقي، وأصبحوا يخشون بطش الأتراك (الشديد).

وهذه الرسالة تكشف عدة أمور هامة، فهي فضلا عن اعترافها بمعونة اليهود الاتحاديين الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني، تبرز اهتمام الانكليز بما لمسوه من ميل الاتحاديين الأتراك الى فرنسا وتشبعهم بأفكارها نتيجة الدور الذي لعبه المحفل الماسوني الفرنسي في اعدادهم وتوجيههم وتعبئتهم، وهي تكشف جانبا من الصراع الخفي بين الفرنسيين والانكليز استعدادا لوراثة التركة الكبيرة التي يترقبون أن يخلفها لهم «الرجل المريض».

والواقع أن فرنسا سبقت بريطانيا في التطلع الى ميراث الدولة العثمانية، والسعي بمختلف الوسائل للتعجيل بالقضاء عليها، يشجعها على ذلك أسبقيتها في الحصول على الامتيازات الأجنبية، منذ عهد السلطان سليمان القانوني، الذي منح ملكها فرنسوا الأول لقب حامي النصرانية في الدولة العثمانية كما أن حملة نابليون على مصر استهدفت قطع الطريق على بريطانيا للوصول الى درة التاج البريطاني (الهند)، وكان للفرنسيين دور تخريبي كبير في ساحل الشام خلال القرن التاسع عشر، كما احتلت فرنسا الجزائر والشمال الافريقي في وقت مبكر نسبيا، وكانت الاراساليات التبشيرية الكاثوليكية أسبق من غيرها، كما احتضنت فرنسا أوائل البعثات التعليمية وعملت على تشكيل أقدم الجمعيات السرية وقامت برعاية أول مؤتمر عربي في باريس عام ١٩١٣م فلا غرابة أن يلفت النشاط الفرنسي نظر السفير البريطاني.

(١) د. صالح مسعود بو بصير «جهاد شعب فلسطين» - رسالة دكتوراة بالازهر.



الأمير سعيد الجزائري
في لحظة تاريخية مع
بعض الوجهاء والأعيان
بدمشق قبيل دخول
غورو

والى جانب «الثورة الفرنسية» التي عملت المحافل الماسونية الفرنسية على ترويض شعاراتها، كان هناك رافد فكري آخر يغذي الحركات السرية وهو جمعية «الكاربوناري» (١) الإيطالية التي حملت شعاراتها المحافل الماسونية الإيطالية، ثم ظهرت بعدها بقية المؤامرات الغربية.

وقد ذكر الماحور «يونيغ»

«أن الذي خول اعطاء هذا التصريح — وعد بلفور — لم يكن يحلم بأن هذه القوة العربية الصغيرة التي كانت في أبي اللسن والعقبة سوف تتمكن قبل مرور خمسة أشهر من الاستيلاء على حلب التي تبعد ٥٠٠ ميلاً وأنه لما أطلع على الوثيقة لأول مرة في وزارة الخارجية توضحت لها هذه الجهود الجبارة التي بذلها العرب في عملية سباقهم مع الحيلة البريطانية نحو دمشق». وهذا مما يؤكد صدق رواية المرحوم الأمير سعيد الجزائري للمؤلف.

وليس هناك أي دليل للقصة التي تتردد غالباً بأن دخول القوات إلى دمشق قد تأخر إلى أن يتاح للأمير فيصل هذا الشرف إذ أن فيصلاً كان لا يزال في معسكره في الأزرق، ولم يدخل دمشق إلا في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨ وتولى الشريف ناصر ونوري الشعلان قيادة القوات العربية التي دخلت دمشق.

وكان الأميران سعيد وعبد القادر من أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري في استقبال القوات العربية وقد بلغ عدد الجزائريين في نهاية الحرب حوالي ٢٠ — ١٥ ألفاً وقد شك الانكليز بأمر الجزائريين حين نشوب الحرب لصلتهم بفرنسا.. ولاقى بعضهم النفي والاعدام.. ولكن فيما بعد استخدم الأخوان كوسطاء للصلح مع شريف مكة وانحاز عبد القادر إلى فيصل، ولكنه تخلف عن الاشتراك في عملية جسر اليرموك (وكان هذا بدء النزاع مع لورنس) كما أرسل سعيد ثانية في أغسطس (آب) ١٩١٨ بعروض جديدة للصلح وفشل، واتهم الأخوان بميوهم إلى تركيا إلى آخر

(١) جمعية الكاربوناري: كبرى جمعيات المقاومة السرية في إيطاليا، وقد تأسست في نابولي وكان شعارها: (الاتحاد والحرية والاستقلال). انتشرت سريعاً في صفوف العسكريين والمثقفين واتخذت العنف وسيلة لتحقيق المطالب الشعبية، فاهبت الثورات في شمالي وجنوبي إيطاليا (١٨٢٠م — ١٨٢١م) وأحبطتها الجيوش النمساوية ثم تجدد هيب الثورات في أنحاء إيطاليا بعد اندلاع ثورة فرنسا ١٨٣٠م لكن فرنسا خيبت الرجاء لسمي لويس فيليب لكسب ود الدول الأوروبية تعزيزاً لمركزه الخاص بفرنسا، فانفرد النمساويون بالإيطاليين، ثم تحرخوا عام ١٨٣٢م، فتعاونت فرنسا والنمسا معاً على التوار واعادت سلطة البابوية على ولاياتها. وفست هزيمة الكاربوناري بعدم شعبيتها وباحتياجها لمنهج واضح وفائد ماهر، وافقت كلمة الإيطاليين على طرد العدو الخارجي.

لحظة، وفي مقابلة شخصية مع أكرم رضا الركابي نقلًا عن مذكرات لوالده لم تنشر بعد قال :
«ان اسباب النهب والفضى في دمشق كانت لدخول بعض العصاة من المناطق المجاورة وبعض صعاليك المدينة حتى وبعض كبار التجار.. وكان رضا الركابي قد تأخر في الوصول الى دمشق فلما جاء الى السراي ووجد الفوضى.. عهد الى محمد علي التميمي بادارة الأمن العام لقمع الفوضى، كما نصب المشانق ارهابا وكان الناس حديثي العهد بمشانق جمال باشا..»

بعد مغادرة لورنس دمشق قتل عبد القادر في ظروف غامضة، ويذكر مراسل «التيمس» أن عبد القادر ذهب الى فيصل وطلب منه الخروج للقائه ومعه سلاحه فأطلق عليه الحراس الرصاص. ولكن «يالي» يذكر في تقريره أن عبد القادر قتل في شوارع دمشق على يد قوات الشريف في محاولة للقبض عليه بعد أن استسلم أخوه للشرطة.. وكان فيصل يخشى نفوذهما. بينما يذكر أنيس صايغ في كتابه «ألهاشميون والثورة العربية ص ١٣٢» ان الذي خطط للقتل هو لورانس وأجل التنفيذ بعد رحيله حيث أشرف على جريمة الاغتيال ضابط بريطاني كان مع الثورة العربية هو كبير كبرايده.

في مقابلة خاصة مع أكرم رضا الركابي قال : أن دور لورنس مبالغ فيه وأنه منذ استلام رضا الركابي الحكم اراد لورنس أن يتدخل فقال له : «ان تدخلك كان في الصحراء اما هنا فنحن دولة منظمة وعملنا مع كورنواليس ضابط الارتباط ومنذ ذلك الوقت لم يرجع لورنس الى دار الحكومة»..

ويذكر عوني عبد الهادي في «أوراقه الخاصة» انه :

(كان على فيصل منذ لحظة وصوله باريس ان يعتمد على لورنس، ليس كترجمان فقط، رغم شكوك الحسين وشكوكنا نحن، وكان قد رافقه في فرنسا منذ وصوله الى مرسيليا في ١٩١٩/١١/٢ وغادرها بناء على طلب الحكومة الفرنسية، عاد واستقبله على المركب الذي أقله الى انجلترا في ٩ ديسمبر (كانون أول) وبقي في لندن برفقته الى أن غادرها في ١١ يناير (كانون ثان) ١٩١٩، ولازمه كظله في باريس، ونزل في نفس القصر الذي نزل فيه).

ويقول عوني عبد الهادي : أن ثقة فيصل الزائدة بلورنس جعلته يعتمد على تأكيدات به بأن الاتفاقية مع وايزمان لا تبغي الا ايجاد وطن روحي لليهود والسماح لهم بالعيش في سلام في فلسطين وأنه ليس لديهم مطامع سياسية.

وضمن مجموعة أوراق عوني عبد الهادي عدة رسائل بخط فيصل كان قد أرسلها الى الحكومة البريطانية خلال عام ١٩٢٠ تثبت فكرته الحقيقية حول معنى الاتفاقية.

وقد أبرز الصهيونيون رسالة فيصل لوايزمان أمام لجنة شو ١٩٢٩ (صورة عن الرسالة وليس الأصل وتوقيع فيصل عليها بالانجليزية) وقد طلب عوني عبد الهادي بصفته عضو الوفد العربي أمام اللجنة المذكورة من فيصل في بغداد توضيحا حول الرسالة، وكان رد رستم حيدر رئيس ديوان الملك (وكان عضوا في الوفد الحجازي ١٩١٩) : «أن جلالته لا يذكر أنه قد كتب أي شيء من هذا النوع وقد تحدى عوني عبد الهادي الوفد الصهيوني ١٩٢٩ إبراز الرسالة الأصلية. وكذلك لم يجد الصحفي البريطاني «جيفرز» أي أصل عربي (ان كان لها اصل) بن أوراق فيصل».

وهذا ما يدفع الى إتهام لورنس بوضع هذه الرسالة دون علم فيصل وتوقيعها بالانكليزية نيابة عنه، وكان فيصل قد شكها بمرارة الى سكرتاريته في باريس من محاولات وايزمان للتقرب منه.

وذكر عوني عبد الهادي في مقابلة شخصية : أن لورنس كان في مؤتمر فرساي يترجم بعض فقرات خطاب فيصل دون أن يعرف أحد من الوفد العربي ما يقوله لجلههم بالانجليزية كما أنه لا يعرف العربية أحد في المؤتمر غير لورنس وليس من الواضح اذا كان لورنس قدم ترجمة رسمية للخطاب رغم أن الوفد العربي اشترط ان تكتب الترجمة حتى لا تتكرر مأساة اتفاقية فيصل — وايزمان.

الفصل الثاني

الجمعيات العربية السرية

في أُمّضان «الأمّ الحنون»

كانت أولى الجمعيات التي استهدفت نفس الخلافة «جمعية النهضة اللبنانية» التي شارك قاداتها بمؤتمر باريس وانخرطوا في الجمعيات اللاحقة داخل الدولة والمهاجر.

وقد ورد اسم هذه الجمعية في كتاب «إيضاحات» وفي (مذكرات عزيز بك) الذي كان رئيس مخابرات جمال باشا أثناء الحرب والأسماء الواردة في الكتابين تدل على أن أعضائها جميعهم مسيحيون لبنانيون. وبعض البيانات الواردة فيهما تفيد أن أعضائها كانوا يتمنون خدمة مصالح فرنسا وإخراج لبنان وسورية من الدولة العثمانية وإقامة حكومة فيها تحت حماية فرنسا. وقد رأينا أن نبدأ بها بحثنا عن الجمعيات القومية ولولم يصح عليها القول إنها جمعية عربية قومية، فهي جمعية عربية على كل حال. وقد كان لأعضائها نشاط سياسي بالتعاون مع الأحزاب والحركات العربية الأخرى التي كانت تهدف إلى الإصلاحات في نطاق الدولة إلى الاستقلال. ولا سيما الجمعية العربية الفتاة وجمعية العهد.

ومما ورد في كتاب «إيضاحات» عنها أنها أول ما تأسس من الجمعيات وإنها تأسست في جبل لبنان الذي كان خارج نطاق السلطة العثمانية، وإن مؤسسها جماعة من آل الخازن. وأن أعضاء فرعها في بيروت هم دعبيس المر، وخلييل زينية ويوسف الغليون، وأنه كان لها فرع في مصر رئيسه اسكندر عمون ومن أعضائه داود عمون. وأنه كان لها فرع في باريس رئيسه شكري غانم ومن أعضائه خير الله والكونت حريصاني وزوين الخوري وأنه كان لها فرع في أميركا رئيسه نعموم مكرزل وأنه كان من أهدافها إلحاق بيروت بلبنان وتوسيع حدوده إلى البقاع. وإن من غاياتها تهديد السبيل لفرنسة في سورية، وإن خير الله كان يكتب المقالات في «الطائر» بكل ذلك بايعاز من فرنسا وإن فرنسا أرسلته مرتين أو ثلاثاً إلى لبنان وسوريا لبث الدعاية لها. وإن ممن ينتسب إليها رزق الله أرقش وسعيد عقل. وإن قنصل فرنسا في بيروت خصص مبلغاً من المال لجريدة «الاتحاد العثماني» (١) التي تسلط عليها رزق الله أرقش وادخل في تحريرها سعيد عقل وإن الجمعية اتصلت بحزب اللامركزية والجمعية الإصلاحية البيروتية ووحدت مجهوداتها معهما وكان ذلك بتحريض من فرنسا. وقد عزا كتاب «إيضاحات» معظم هذه البيانات إلى اعترافات أدلى بها عبد الغني العربي أثناء التحقيق معه في الديوان الحربي العرفي العالية.

وكثير مما جاء في هذه البيانات جاء في كتاب عزيز بك مع بعض زيادات، من ذلك أن جريدة الاتحاد العثماني كانت جريدة الشيخ أحمد طيارة فسلمها إلى رزق الله أرقش فعهد هذا بتحريرها إلى سعيد عقل، ومن ذلك أن من أعضاء فرع مصر شبلي شميل وداود بركات ويوسف صيدناوي والفونس زينية وسليم شبل وإن من أعضاء فرع باريس شارل دباس.

ولقد كان رزق الله أرقش وخلييل زينية من أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية وكان اسكندر عمون نائب رئيس حزب اللامركزية وشبلي شميل وداود بركات من أعضاء هيئته المركزية. وكان اسكندر عمون ونعموم مكرزل وشارل دباس وشكري غانم من شهود المؤتمر العربي في باريس والخطباء فيه، والمؤتمر وحزب اللامركزية والجمعية الإصلاحية

(١) محمد عزة دروزة - نشأة الحركة العربية الحديثة - المكتبة العصرية - صيدا الطبعة الثانية (منقحة) القسم الأول من الجزء الأول ص ٥٠٨ - ٥١٠.



أعضاء المنتدى الأدبي في استانبول عام ١٩١٠ م



أعضاء حزب الاستقلال في دمشق عام ١٩٢٠ م

كانت تهدف الى الاصلاح على أساس اللامركزية وتؤكد الرغبة في بقاء الرابطة العربية التركية تحت لواء الدولة العثمانية وتتحفظ تجاه المطامح الاجنبية وترسم وقاية البلاد العربية منها.

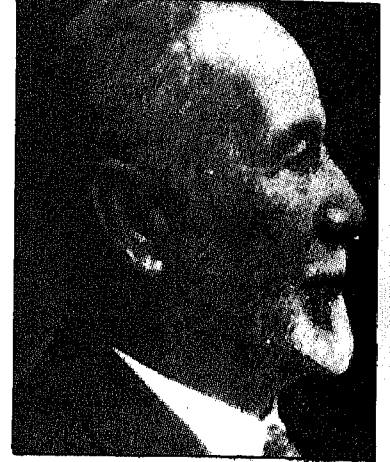
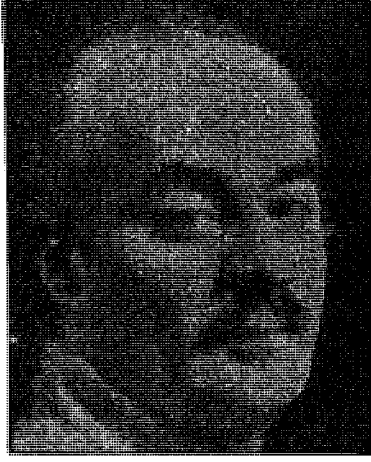
ولقد أوردنا في سياق بحث الجمعيات الاصلاحية نقلا عن كتاب «ايضاحات» نص وثيقة مصادرة من القنصلية الفرنسية في بيروت عليها توقيع ميشيل التويني ويوسف الهاني وبترو طراد وأيوب ثابت وزرق الله أرقش وخليل زينية، والاثنان الاخيران ممن ذكرت اسماءهم كاعضاء في فرع الجمعية البيروتية وهما مع الاخرين من اعضاء الجمعية الاصلاحية البيروتية والمندمجين في حركتها، وقد ذكروا في المذكرة انهم اندمجوا في هذه الحركة للتمويه على الحكومة العثمانية من جهة وادخال أساس لوضع رقابة اوربية على جميع بلاد الشام من جهة أخرى ولكنهم مع ذلك يعتقدون ان الاصلاحات لو تمت ولو بمساعدة أوربا فأنها لا تحل المسألة ولا تتحقق بذلك رغبة النصارى الحقيقة في سورية بسبب نزاع التعصب الاسلامي ضد النصارى ولان النصارى مرتبطون بفرنسة بصورة لا تقبل الانفكاك، كما ان اكبر آمالهم ان تستولي فرنسا على البلاد الشامية.

والمستبدر ان هذه الوثيقة مما استند اليه كتاب «ايضاحات» في تهمة الجمعية بالضلوع مع فرنسا. غير ان هؤلاء الموقعين ليسوا كل الاعضاء الذين كان منهم افراد من اركان حزب اللامركزية ومن اركان المؤتمر العربي الذين كانوا يترجمون الاصلاح واللامركزية مع استمرار الارتباط بالدولة العثمانية والاخاء التركي العربي ويتحفظون أشد تحفظ تجاه المطامع الاجنبية ويترسمون وقاية البلاد منها كما قلنا وقد نبه اسكندر عمون في خطابه في المؤتمر الى ان العرب لا يريدون الانفصال عن الدولة وانما يرون الاصلاح المركزي الذي يقيها من الانهيار والتدخل الاجنبي بحيث يمكن القول ان في تعميم التهمة لجميع الأعضاء تحجياً لا سند له.

وقد أدرجنا ضمن الملاحق في نهاية هذا البحث عدداً من الوثائق الفرنسية التي أمكن الرجوع إليها وبينها:

- ١ - وثيقة الاتهام الرئيسية للشبان العرب التي استند عليها الديوان العرفي بعالية في اصدار حكمه بأعدامهم خلال ولاية جمال باشا على سورية عام ١٩١٥ - ١٩١٦ م.
- ٢ - وثيقة حول موقف النصارى العثمانيين ومطالبة بعضهم بالحماية الفرنسية على لبنان وفرض الاستعمار الفرنسي على باقي اجزاء سورية. (١)

(١) وردت هذه الوثائق ضمن مذكرات جمال باشا باللغة الفرنسية كما سبق اعلانها خلال إدانة «شهداء ٦ مايو ١٩١٥ - ١٩١٦ م» في كتاب أصدرته السلطات العثمانية آنذاك، أُرْ حُصِّصَها على الوثائق بعد مصادرتها من مكاتب القناصل الفرنسيين والانكليز في بيروت ودمشق وتسرب الوثائق من مكتب السفير الفرنسي بالقاهرة عقب اندلاع الحرب العالمية الاولى.



جبران خليل جبران : نشاط سري في الجمعيات التخريبية !

يوسف كرم تزعم الفتنة الطائفية بلبنان

سليم علي سلام : بيع الأراضي للوكالة الصهيونية

٣ - كتاب السفير الفرنسي بالقاهرة حول مساعي رفيق العظم وحزب اللامركزية لجعل سورية امانة لآل

العظم وترشيح حقي العظم لتولي امانة سورية (١) .

٤ - كتاب اتهام فايز الغصين بالاتصال بالقنصل البريطاني بدمشق . (٢)

وفي الفصل الرابع شرح واف لمضمون هذه الوثائق ونتائجها .

وتصف الدكتور خيرية قاسمية في كتابها (عوني عبد الهادي أوراق خاصة) شكري غانم بأنه كان فرنسيا أكثر منه عربيا، فلقد غادر لبنان الى الجزائر وهو في السابعة وعاش حتى بلغ سن الشباب وتزوج هناك من فرنسية ثم غادرا معا الى باريس حيث قضى حياته وألف مسرحيته (عنتر بن شداد) التي عرضتها (الأوبرا) بباريس عشرات المرات، كما كلفته الخارجية الفرنسية باصدار جريدة عربية في باريس (المستقبل العربي) بإشراف (فلانديك) أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي مع زميله جورج سمته .

ويذكر عوني عبد الهادي أنه اختلف معه لرفضه نشر مقال يضر بالمصلحة العربية واصراراه على النشر تنفيذاً لتعليمات الخارجية الفرنسية .

كما يذكر عوني عبد الهادي أن الخارجية الفرنسية عرضت عليه استخدامه مع زميله جميل مردم بك والشيخ جوزيف الخازن في بث الدعاية لها في البلاد التي تقترح فيها جاليات سورية فقبلا ورفض، وتم ارسال جميل مردم بك الى اميركا وحيدا بعد اعتذار جوزيف الخازن في آخر لحظة، وكانوا جميعا أعضاء في جمعية «العربية الفتاة» التي انشأوها بباريس عام ١٩١١م وقامت فيما بعد بترتيب عقد مؤتمر باريس العربي عام ١٩١٣م .

ولقد كانت الجمعية «العربية الفتاة» هي المقابل العربي لجمعية «تركيا الفتاة»، لكنها رغم تشابه الظروف في النشأة وطبيعة النشاط والأهداف ومع وفرة وزيادة الطاقات العربية على التركية، أخفقت في الوصول الى نفس النتائج التي حققتها رديفتها التركية، رغم أن أفرادها أصابوا حظا كبيرا من التنعم بالحكم والمناصب في معظم البلدان العربية (٣) .

- (١) وثيقة السفير الفرنسي وردت ايضا في مذكرات جمال باشا وتم اعاد حقي العظم استنادا إليها مع غيرها من الوثائق .
- (٢) كتاب الاتهام (ضمن الملاحق) مأخوذ حرفيا من مذكرات فايز الغصين نفسه وفيها اعتراف بقبض ليرات ذهبية انكليزية واشادة بجزرالات وضباط الانكليز وفروسياتهم وشهامتهم في اكثر من موضوع داخل صفحاتها .
- (٣) راجع ضمن الملاحق أسماء مؤسسي وأعضاء جمعية «العربية الفتاة» وبينهم عدد ممن تسلموا أرفع المناصب في البلدان العربية في ظل الانتدابين الفرنسي والانكليزي .

ومثلما أفرزت «تركيا الفتاة» حزب الاتحاد والترقي وغيره من الجمعيات «الطورانية» المدنية والعسكرية، كذلك فإن «العربية الفتاة» أفرزت حزب «الاستقلال» وحزب «اللامركزية» فضلا عن جمعية «العهد» و«المنتدى الأدبي» وغيرها من الجمعيات العربية السرية والعلنية.

واستقطبت الرعيل السياسي الذي كان منه معظم رجالات الحكم في الشام والعراق في ظل الانتدابين الفرنسي والانكليزي عقب الحرب العالمية الأولى.

وفي هذه الأسماء من كان عسكريا ومن كان مدنيا وإن كان المدنيون هم الأكثر، وفيها من كان عراقيا وفيها من كان من مختلف أنحاء الشام اي لبنان وسورية وفلسطين وهم الأكثر، وفيها من كان حجازيا وهو الأمير فيصل.

ولقد كان للجمعية شفرة حرفية تتمثل في هذه الكلمات «بزغ فجر وطنك مت لعضد شخص احي ثقة ظنس» وتجمع هذه أحرف الهجاء وكان لكل حرف منها رقم معين فالواحد مقابل الباء والاثنان مقابل الزاي والثلاثة مقابل الغين والاربعة مقابل الفاء والخمسة مقابل الجيم والستة مقابل الزاء وهكذا. فاذا اريد كتابة جملة مثل هذه الجملة مثلا «حق العرب في الاستقلال» تكتب هكذا: (١)

٢١، ٢٤، ٢٠، ١٣، ١٤، ٢، ٤، ٢٢، ٢٠، ١٣، ٢٠، ٢٨، ١٢، ٢٤، ١٣، ٢٠، ١٣.

ولقد كان من أهم مظاهر نشاط الجمعية في باريس الدعوة الى المؤتمر العربي في باريس الذي سنشرح ظروفه وسيرته في الفصل التالي، حيث كان أكثر أعضاء هيئتها المركزية من اللجنة التي تألفت للدعوة اليه وساهمت في عقده، وحيث نعتقد ان فكرة المؤتمر كانت فكرتها هي.

ثم نقلت الجمعية مركزها في اواخر سنة ١٩١٣ الى بيروت وكان محمد المحمصاني يتولى سكرتيريتها العامة، مع قيام فرع لها في دمشق كان يتولاه الدكتور احمد قدوري ولما دخلت الدولة الحرب الى جانب الالمان في اواخر تشرين الأول ١٩١٤ انتقل المركز الى دمشق مع بقاء فرع للجمعية في بيروت.

وقد كان «للعربية الفتاة» نظام داخلي استهدف تحقيق الضمان الاجتماعي بين أعضائها، كما نص على وجود مجلس شورى منتخب ولجنة عليا لادارة الجمعية فضلا عن لجنة احتياطية تباشر اختصاصاتها في حالات الطوارئ الى جانب وجود هيئة مركزية منتخبة لادارة المراكز والفروع واللجان.

وكانت اللجنة العليا تقرر قبول الأعضاء المرشحين من الفروع واللجان بعد أداء اليمين ثم تبلغهم بكلمة التعارف التي يتبادلها الأعضاء فيما بينهم عند اللزوم. (٢)

وبالنسبة لموارد الجمعية كانت تعتمد على تبرعات الأعضاء وتأسيس شركات وطنية واستثمار مبالغ احتياطية، وقد حددت اللائحة عقوبات للمخالفات التي تبت بها محكمة منتخبة حفاظا على سرية مبادئ الجمعية.

(٣) وما يذكر أن «العربية الفتاة».. لم تكن أولى الجمعيات العربية، بل سبقتها «الجمعية اللبنانية» وكان جميع أعضائها من الرعايا المسيحيين الذين توزعوا فيما بعد لتأسيس وقيادة معظم الجمعيات والأحزاب السياسية والعربية الهادفة لتقويض الخلافة العثمانية، وكان ضمن أعضائها رزق الله أرقش وجوزيف الهاني اللذان طالبا القنصل

(١) د. خيرية قاسمية - «عوني عبد الهادي أوراق خاصة» ص ١٥ و ١٦٥ مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية.

(٢) محمد عزة دروزة - نشأة الحركة العربية الحديثة - المكتبة العصرية - صيدا - الطبعة الثانية - القسم الاول من الجزء الاول ص ٥٠٠.

(٣) نشرت مجلة «الصياد» اللبنانية في عددها ٢١٥٨ بتاريخ ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٨٤م وهو ثاني اصداراتها في لندن دراسة عن «جبران خليل جبران.. السياسي الذي تنقل في أكثر من موقف.. والذي بدأ حياته في جمعية سرية» للكاتب شبل كرم، وما جاء فيه: «إن جمعية الحلقات الذهبية» التي شارك جبران بتأسيسها وتسلم رئاستها وكتب مبادئها بخط يده، وكان الأكثر ثورية من سائر أعضائها، في حين كان أمين الرمحاني مؤسسه «لجنة تحرير سوريا ولبنان» وصاغ مبادئها، وقد ربطا الأنشطة بأهداف ونشاطات الجمعية المماثلة. التي كان يرئسها شكري غانم في باريس... حيث إحتكا بباريس بكل من: خير الله وغانم وسمنه قبل عودتهما لأميركا. =

الفرنسي بفرض الحماية الفرنسية على مسيحي لبنان ووضعه تحت الادارة الفرنسية مباشرة، كما كان من أعضائها اسكندر عمون ونعوم المكرزل وشكري غانم من شاركوا في اللجنة التحضيرية لمؤتمر باريس العربي ١٩١٣م. ومنهم ايضا - فيما بعد - احمد طيارة صاحب «الاتحاد العثماني» التي كان ينفق عليها القنصل الفرنسي ببيروت، والذي سلمها لزميله رزق الله أرقش فمهد بها الى سعيد عقل ليتولى تحريرها تبعا للتوجيهات الفرنسية. وكان من أعضائها داود عمون نائب رئيس حزب اللامركزية في القاهرة وشبلي الشميل وداود بركات عضو ادارة حزب اللامركزية ايضا كما ساهم رزق الله أرقش وخليل زينة بتأسيس وادارة جمعية بيروت الاصلاحية التي سنكشف عن نشاطها بعد قليل، ولا يفوتنا أن نذكر شكري غانم الموظف في الخارجية الفرنسية وخير الله بطرس خير الله الذي كان ينفذ تعليمات فرنسا ويروج لها في كتاباته بجريدة «الطائر» الفرنسية. وقد تعرض عدد من أعضائها فيما بعد الى أحكام اعدام وجاهية أو غيابة عندما كشف جمال باشا وثائق القنصليتين الفرنسية والانكليزية بعدد دخول الاتحاديين في الحرب العالمية ضد الحلفاء. والملاحظ أن عدداً من قادتها انخرطوا في جمعية «العربية الفتاة» التي أصبحت قطب الرحي بين الجمعيات العربية.

هذا فضلاً عن السجن والتشريد وقد احزنت هذه الاعمال المواطنين العرب. وأثارت سخطهم وخوفهم. وقد نشرت الخبر جريدة «الشرق» الصادرة في دمشق حينذاك محدة التهمة في (ان الذين اعدوا ينتسبون الى حزب اللامركزية وانهم يرغبون فصل سوريا وفلسطين والعراق عن الدولة العثمانية وجعلها دولة مستقلة). وكان الحسين وابنه فيصل قد قاما بمحاولة أخيرة لتسوية الأمور مع الاتحاديين فاتصل الشريف حسين بالمسؤولين الكبار في الاستانة وطلب منح سورية نظام حكم لا مركزي ومنح أسرة الحسين بن علي مكانة ممتازة في الحجاز كما طلب العفو عن رجال الحركة العربية. وكذلك حاول فيصل الذي كان في دمشق حين صدور الحكم على الزعماء السعي لدى جمال باشا لتخفيف تلك الأحكام عن المتهمين السياسيين في بيروت ودمشق لكن الحكومة رفضت ذلك. وكان رجال العرب الذين أفلتوا من المشانق ولم يكتشف أمرهم قد أخذوا يتصلون بالشريف حسين الذي بين لهم ان الحل الوحيد هو إعلان الثورة على الحكم العثماني وكانت هذه الأحداث القاسية منطلقاً لقيام الثورة العربية ضد الاتراك، ماعدا اليمن التي ظلت على الحياد. وهكذا إنحاز العرب الى جبهة الحلفاء ضد تركيا في الحرب العالمية الاولى.

وقد ابتدأت الثورة في ٩ شعبان الموافق في ١٠ حزيران، يونيو ١٩١٦ عندما اطلق الحسين رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني ثم اذاع (منشور الثورة) الذي حمل فيه على جمعية الاتحاد والترقي واستنفر فيه العرب للثورة على تركيا وبذلك أحبط «الجهاد المقدس» الذي كان قد أعلنه الخليفة العثماني.

== وبصيف: (إن هذه الجمعيات كلها إنشئت عن جمعية «سوريا الفتاة» التي ظهرت مناشيرها عام ١٨٩٩م وكان مؤسسها جبل معلوف كما عاونه: يوسف شديد أبي اللع، شبل دموس، وعيسى الخوري، ومن مبادئها: السعي لاستقلال سوريا بعدوذا الطبيعية، وفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية فصلاً تاماً، وتوحيد طريقة التعليم في الأنحاء السورية كافة من رأس العقبة إلى عرشي مصر). وقد ذكر موسى الخوري: (أن من أعضاء «جمعية الخلفاء الذهبية»: د. نسيم الخوري، رشيد عبدالنور، أسعد مدري، ونجيب مشاقة، ميشال نجم معلوف، د. جورج جريج، القس شبل معلوف، جورج صوابا، خليل الحجار، إلياس صباغ، ودع شاكرا، ابراهيم خوري، ميخائيل برني، فيليب نجم معلوف، موسى عساف، حافظ سعيد، وأدولف نحاس).

كما ذكر د. جميل جبر: (إن هذه الجمعية التي اتخذت شكل رابطة أدبية سياسية إتبع في دستورها الطريقة الماسونية، من حيث السرية، وعرف منتسبوها باسم «الحراس»).

كما أيد نزعتها السرية هذه الشاعر خليل حاوي في أطروحته للدكتوراه بجامعة كامبردج وقال: (إن حفلاتها كانت مموهة بحيث لا يعرف أحد من هو مؤسسها ومن هو نصيرها، وكانت خطبها سياسية غريضة تحت السورين على الثورة ضد الحكم العثماني). وأشار أيضاً إلى علاقتها بباقي الجمعيات السرية في الوطن والمهجر كجمعية «بيروت الإصلاحية» والجمعية «العلمية السورية» وجمعية «العربية الفتاة» التي تعتبر بمثابة الأم لكل تلك الجمعيات والأحزاب بما فيها جمعية «العهد» وحزب «اللامركزية» وقال د. حاوي: (إن جميع أعضاء الجمعية كانوا ماسونيين، وأن الجمعية لم تقبل في صفوفها إلا من كان ماسونياً).

وما يذكر أن هذا الرعيل من «الوطنيين» لعب دوراً خطيراً في البلاد العربية عقب انهيار الخلافة الإسلامية، فقد استعانت سلطات الانتداب البريطاني أو الفرنسي بأولئك الماسونيين الذين تربعوا على كراسي الحكم والوزارة، كما عمد الاستعمار إلى تسليط هؤلاء «الفلاسفة» لفسيل أدمغة الأمة بأديهم وشعرهم وقصصهم ومسرحياتهم ورواياتهم وأفلامهم، فلم يتركوا فرصة لم يخرجوا فيها «الخلافة» أو ينفذوا لطنع الإسلام تحت ستار الإصلاح والتجديد والتحديث والتطور.

الفصل الثالث

المؤتمر العربي الأول في عاصمة «النور والحريّة»

كان انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣م بمثابة رد فعل عنيف للنزعة الطورانية عقب نجاح مؤامرة الاتحاديين في الاطاحة بعبد الحميد الثاني وأكدت وقائعه جنوح آمال المؤتمرين لمناشدة «الضمير الأوربي» لمعانة العرب لتمكينهم من بناء دولة حديثة ولم يكن المؤتمر تكتلاً مستمراً، غير أنه شغل حيزاً كبيراً في مجال الحركة العربية العلنية من جهة. وكان مظهرها من مظاهر التكتل العربي أو رديفاً له أو نتيجة له أو ممثلاً له من جهة أخرى بحيث يكون إيراد سيرته في هذا البحث صحيحاً.

ولقد سجلت ظروف وسيرة المؤتمر في كتاب خاص نشره المرحوم محب الدين الخطيب السكرتير الثاني في (اللجنة العليا لحزب الأمة اللامركزية) في القاهرة سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م، أي بعد قليل من انعقاده، فصار هو المرجع الرئيسي له، والمستفاد من التسجيلات التي وردت فيه أن الفكرة انبثقت في أوائل عام ١٩١٣، عند خمسة شبان كانوا طلاباً في مدارس باريس العالية وهم: عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وتوفيق ثابت من بيروت وعوني عبد الهادي من نابلس وجميل مردم بك من دمشق. ونحن نعرف يقيناً أن هؤلاء الشبان كانوا أركان الجمعية «العربية الفتاة» السرية التي سبق الكلام عنها، حيث يصح القول أن الفكرة هي فكرة هذه الجمعية، ولقد شرحنا من قبل أن الاتحاديين قاموا بانقلاب في أوائل سنة ١٩١٣ ضد حكومة المعارضة التي شجعت رجالات العرب على طلب الإصلاح وأنهم لما اسقطوا هذه الحكومة وأقاموا حكومتهم بدلاً عنها وقفوا موقف المناوأة للمطالب الإصلاحية فالتبادر للذهن أن الفكرة قد انبثقت نتيجة لهذا الموقف وظروفه.

ولقد اتصل الشبان الخمسة بآخرين من شباب العرب ورجالاتهم في باريس وفتحوهم بالفكرة، ولقوا تحييداً لها. وكان عدد شباب العرب ورجالاتهم في باريس كبيراً ينيف على الثلاثمائة، كلهم أو جلهم شاميون (١). ومن ثم تم الاتفاق على تأليف لجنة تحضيرية مهمتها الاتصال بالشخصيات والهيئات العربية في مختلف الاقطار وتهيئة أسباب عقد المؤتمر وزمنه وجدول أعماله. وكانت اللجنة مؤلفة من: شكري غانم وعبد الغني العريس وندره مطران وجميل مردم وعوني عبد الهادي، وشارل دباس ومحمد المحمصاني وجميل معلوف. وقد قررت مبدئياً أن ترتبط بحزب اللامركزية في مصر بصفة رسمية. وأرسلت اليه كتاباً بتاريخ ٤ نيسان ١٩١٣ تعرض عليه فكرة المؤتمر وحافزها وكونها خدمة لفكرة الحزب. وطلبت منه أن يتبناه وإن تكون الرئاسة فيه له بصفته راعي المؤتمر الذي سوف يكون هدفه المطالبة باصلاحات على قاعدة اللامركزية وفقاً لمنهج الحزب مع بيان لبعض أبحاث أخرى يتناولها الخطباء في المؤتمر وهي:

(١) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.

(٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية.

(٣) المهاجرون من سورية.

ومن توقيت انبثاق الفكرة وخروجها الى حيز التنفيذ يمكن القول انها كانت كرد فعل لموقف الحكومة الاتحادية إزاء الحركة الإصلاحية اللامركزية التي قامت في بلاد الشام والعراق وإزاء رجالاتها على ما مرّ شرحه حيث جعل هذا

(١) أنظر اللائحة الداخلية لجمعية «العربية الفتاة» ضمن الملاحق.

الموقف أولئك الشبان يرون وجوب متابعة الحركة التي قمعت بنقلها الى جو خارجي، أملاً بأن يكون له من التأثير ما اخفق الوصول اليه بالحركة الداخلية.

ولقد حدث ذلك المتوقع فعلاً.. فكان للمؤتمر ضجة قوية داخلية، وخارجية أثرت بالحكومة الاتحادية تأثيراً غير يسير وجعلها تسعى الى رجاله وتعرض الوفاق بين العرب والترك على أساس الاستجابة الى المطالب العربية او بعضها.

وان ظهر ان ذلك كان منها مناورة مرحلية حاولت بها مسيطرة الضجة والأثر ثم افتراسها على ما سوف يأتي شرحه بعد.

والشباب الذين انبثقت فيهم الفكرة سوريون، واللجنة التحضيرية سورية، وقد جاء في كتابها الى حزب اللامركزية أن المؤتمر يقوم به سوريون، وهذا الحزب كان بدوره سورياً، ونعني بسورية سورية الطبيعية التي كانت تشتمل على الاقاليم الاربعة المعروفة اليوم وهي (لبنان وسورية والاردن وفلسطين). وهذه ظاهرة جديدة بالتسجيل من دون ريب من حيث انها تدل على ما كان لرجال سورية من بروز ونشاط وفعل في مجال السياسة العربية.

ولا نقصد بهذا انهم احتكروا هذا المجال، فقد كان لآخوانهم العراقيين ايضاً وجود قوي فيه كما كان شيء من الوجود فيه لأبناء الأقطار العربية الأخرى مع التنويه بأننا نقصد مجال الدولة العثمانية والحركة العربية فيه، وإلا فانه كان لمصر، وهي على كل حال م تكن تعد من مجالات هذه الدولة المباشرة، نشاط كبير في هذا الظرف، علمياً وأديباً وصحافياً وسياسياً، ولابد من الإشارة الى التشجيع والدعم الذي لقيه الشباب العرب من الحكومة الفرنسية لعقده بباريس والدعاية الكبيرة التي جندتها لخدمة أهدافه.

والبحث الأول الذي وضع في رأس قائمة مباحث المؤتمر وهو (الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال) جدير بالتعليق. ولقد جاء في كتاب اللجنة التحضيرية الى الحزب فقرة في صدد ذلك وهي: (ان المؤتمر يراد به أن يظهر للأجانب ان العرب يدرون عادية الاحتلال من أية دولة كانت).

وقد يكون شباب العرب الذين وضعوا منهج أبحاث المؤتمر قد لمحووا مطامع الاستعماريين في بلادهم وتربصهم بها، ولا سيما ان غزو ايطاليا لاقليم ليبيا، وغزو فرنسا للمغرب الأقصى، وقعا في سنة ١٩١٢، نتيجة لمؤامرة «الوفاق الودي» بين كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا، التي اتفقت بها كل من هذه الدول على اطلاق يدها في ما تطمع أن يكون لها المركز القوي، حيث اطلقت بريطانيا يد فرنسا في المغرب ويد ايطاليا في ليبيا مقابل سكوتها عن احتلالها لمصر والسودان وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية فارادوا ان يكون ذلك من أبحاث المؤتمر ليكون فيه اعلان برفض العرب السوريين لتلك المطامع، ولا سيما ان فرنسا لم تكن تخفي تطلعاتها الى بلاد الشام ودعواها حق الحماية لأنصارها، ولا تفتأ تصطنع اليد مع هؤلاء بسبيل ذلك، وقد يكون قصد بذلك ايضاً سد الباب أمام اي استغلال للمؤتمر واعلان بأن رجال المؤتمر لا يمكن أن يقبلوا أو يسمحوا بأي حال بذلك. كما يمكن أن يكون قصد به كذلك الرد على ما صار يوجه الى الحركة المصرية بوجه عام وإلى الحركة اللامركزية والاصلاحية التي كان يشترك فيها المسلمون والنصارى معاً، بوجه خاص من تهمة الضلوع مع الأجانب، أو تهمة فتح الباب لأصابع الأجانب الطامعين في بلاد العرب وبخاصة في بلاد الشام. وللرصافي الشاعر العراقي المشهور قصيدة عبر فيها عن هذه الهواجس، وهاجم فيها طلاب الاصلاح وفكرة عقد المؤتمر في باريس من اجل ذلك.

ومن الحق والصدق ان تقرر ان معظم المندجين في الحركة والمطالب كانوا مخلصين لفكرة الاصلاح في نطاق الدولة العثمانية بادىء ذي بدء وضد أي عدوان واحتلال استعماري من اي كان. وكل ما في الأمر انهم أرادوا نقل حركتهم الى الخارج بعد أن وقف الاتحاديون في وجهها ذلك الموقف الشديد. وقد صرح بهذا رئيس المؤتمر ايضاً في تصريح أدلى به بين يدي المؤتمر.

ولقد كان هذا بارزاً كل البروز فيما ألقى في المؤتمر من خطب من مسلمين ومسيحيين على السواء، وفيما جرى فيه من نقاش حيث يبدو أن المؤتمرين جميعهم حرصوا على إبراز ذلك دفعا لكل قول وتهمة .

ولقد أرسل الحزب جوابا على الرسالة التي أرسلتها اليه اللجنة التحضيرية بتوقيع رئيسه رفيق العظم بتاريخ ١٤ نيسان (ابريل) فيها شكر اللجنة على اعتمادها على الحزب وانضمامها الى منهاجه، وإيدان بموافقة الحزب على اقتراحها وكذلك استعداده لارسال مندوبين حينما يتم الاستعداد للمؤتمر ويعين موعده . (١)

وبناء على ذلك وجهت اللجنة التحضيرية دعوة عامة في شكل منشور نشر في الصحف العربية وغير العربية موجهة الى (أبناء الأمة العربية) شرحت فيه حافز فكرة المؤتمر قائلا : (ان ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية وأخصها زهرة الوطن سورية نتيجة لسوء الادارة المركزية ووجوب اتخاذ الوقاية للبلاد، من المطامع الخارجية وانقاذها من صبغة السيطرة، والاستبداد، واصلاح امورها الداخلية على قواعد اللامركزية حتى ينقطع بذلك خطر الاحتلال والاضمحلال . وتنتفي مذلة الرق، وتخفت نامة الاستعباد، ويظهر للاعبين بحياة الشعوب ان أمة عيوف الضيم لا تستنيم للذل، ولا تستكين لمسكنة وطلبوا (من أبناء الامة العربية في الوطن والمهاجر الاميركية والأوربية وبخاصة أرباب الزعامات والجمعيات الاستجابة الى الدعوة وارسال مثيلين لشهود المؤتمر والمشاركة في بحوثه وقراراته وارسال البرقيات ورسائل التأييد ممن لم تسمح له الظروف بالحضور شخصياً..)

وقد تلقت اللجنة التحضيرية استجابة من شخصيات وهيئات عديدة من الوطن والمهاجر فكان ذلك مشجعاً لها على تنفيذ فكرتها وتقرير تاريخ ١٨ حزيران ١٩١٣ موعدا لعقد المؤتمر، وتم انعقاده فعلا في التاريخ المذكور في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع (سان جيرمن) في باريس واستمر انعقاده خمسة ايام، وترأسه الشيخ عبد الحميد الزهراوي احد أعضاء وفد حزب اللامركزية من منصر الى المؤتمر. ولقد سجل فيه واذيع حديث صحفي جاء فيه : « ان المؤتمر عقد في باريس لأن ما جرى في بيروت، ضد الجمعية الاصلاحية، برهن على أن مثل هذا المؤتمر لا يمكن عقده في الوطن، ولأن العرب أرادوا به اسماع صوتهم لأوروبا أيضا.. وهم لا يترسمون الانفصال عن الدولة . بل هم متمسكون بالرابطة العثمانية وكل ما يطلبونه هو اصلاح يتلافى به سقوطها، وان قانون الولايات المرسوم بتوسيع المأذونية الذي اصدرته الحكومة الاتحادية لا يضمن الاصلاحات المطلوبة، وليس فيه الا أمور ثانوية، وان المسلمين والمسيحيين معا متفقون على المطالب الاصلاحية، وان ما يطلبونه ليس لبلادهم فقط بل هو شامل لكل بلاد الدولة، وان من أسباب اختيار باريس لعقد المؤتمر كون الجالية العربية فيها أكثر منها في غيرها من عواصم الغرب الأخرى ولا يحمل اي معنى خاصاً ».

ويؤكد المؤرخ محمد عزة دروزة، بوصفه أحد أعضاء «الجمعية العربية الفتاة»، أن الجمعية كانت وراء الدعوة لانعقاد ذلك المؤتمر، كما شارك فيه أعضاء من حزب اللامركزية، الذي كان يوجه أصلا من «جمعية العربية» الفتاة نفسها، على اعتبار أن نظامها الداخلي ينص على السعي لانشاء أحزاب علنية، وقد أسست فيما بعد أيضا حزب الاستقلال العربي الذي برز نشاطه في سورية خلال عهد فيصل، وفي مطلع عهد الانتداب الفرنسي فضلا عن تشكيلها لجمعية العهد كجناح عسكري لتلك الجمعية السياسية.

وبالنسبة لمؤتمر باريس فقد لوحظ أن عضوية المشاركين بالمؤتمر تم ترتيبها بحيث تحقق المناصفة تماما بين المسلمين والنصارى، ويبدو ذلك واضحا من خلال استعراض اسماء المشتركين فيه، رغم أن الدعوة له كانت عامة، كما تجلت المناصفة في لجنته التحضيرية أيضا.

ومن المفارقات البارزة أن الأعضاء الذين شاركوا في هذا المؤتمر ممن لم تظالم اعدامات جمال باشا فيما بعد قد حظوا بأرفع المناصب خلال عهد الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان والانتداب البريطاني في فلسطين والأردن والعراق، على كثرة رجال الوطنية والقومية خلال تلك الحقبة.

(١) محمد عزة دروزة - نشأة الحركة العربية الحديثة.



عوني عبد الهادي: اعتراف صريح بجهود الفرنسيين
لاعداد مؤتمر باريس



د. عبدالرحمن الشيندر: إكتشاف مبكر
للتأمر الانكليزي



فايز الغصين: شهد على نفسه وزملائه بالقبض
من الأجانب

وفي مذكرات عوني عبد الهادي اشارة صريحة الى جهود الخارجية الفرنسية للاعداد لهذا المؤتمر حيث عرضت عليه السفر الى انحاء أوروبا لترويج الدعاية له ولكنه رفض بينما استجاب لتكليفها جميل مردم (رئيس وزراء سوريا فيما بعد) الذي سافر الى اميركا للدعوة للمؤتمر وقبض من الخارجية الفرنسية نظرا لحاجته للمال، بينما حصل عوني عبد الهادي على ٥٠٠ ليرة ذهبية من فيصل، كما يقول في مذكراته، في حين يذكر فايز الغصين أنه قبض ألفي ليرة انكليزية وليس ٥٠٠ ليرة فحسب. (١)

ومن الجدير بالذكر أن ضجة ودوي المؤتمر كانا أكبر بكثير من حجمه، فان الذين شهدوه فعلا كانوا ٢٤ شخصا فقط، منهم ثمانية من أعضاء لجنته التحضيرية في باريس، وهم: شكري غانم، وعبد الغني العريسي، وندرة المطران، وعوني عبد الهادي، وشارل دباس، وخير الله بطرس خير الله، وجميل مردم، ومحمد المحمصاني وثلاثة من المهاجرين في الولايات المتحدة وهم: نجيب دياب ممثل جمعية «الاتحاد السوري» وصاحب جريدة «مرآة الغرب» العربية اللغة التي كانت تصدر في نيويورك، ونعوم مكرزل ممثل جمعية «النهضة اللبنانية» وصاحب جريدة «الهادي» العربية اللغة التي كانت تصدر كذلك في نيويورك، وإلياس مقصود ممثل ثان لجمعية الاتحاد السوري، وواحد مفوض بتمثيل مهاجري المكسيك السوريين وكان في باريس وهو عباس بجاني، واثنان مندوبان عن حزب اللامركزية في مصر ومن لجنته العليا وهما عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون، وخمسة من جمعية بيروت الاصلاحية وهم سليم علي سلام، واحمد مختار بيهم، وخليل زنية، والشيخ احمد حسن طيارة، والدكتور أيوب ثابت (٢) واثنان من العراق هما: توفيق السويدي وكان طالب حقوق في فرنسا، وسليمان عنبر وكان تاجرا في فرنسا، واثنان من بعلبك وهم: محمد حيدر وابراهيم حيدر وصفا بانهما من أعيان بعلبك وأفاضلها، وهما من أسرة معروفة والمرجح أنهما كانا طالبين في فرنسا، وواحد وصف بأنه من جالية القسطنطينية (استانبول) وهو عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي.

ولقد تلقى المؤتمر رسائل وبرقيات كثيرة مؤيدة ومشجعة يصح أن يقال أنها تلافياً لضآلة عدد شهود المؤتمر. منها ما جاء من مختلف أنحاء البلاد العربية العثمانية وتحمل توابع عشرات من الشباب والاعيان والزعماء: من دمشق وبغداد والبصرة وحيفا ونابلس وجنين وحمص وحماة وطرابلس الشام وبيروت وصيدا والاستانة وبعلبك وبعض المدن ارسلت

(١) مذكرات فايز الغصين

(٢) هناك شخص سادس كان مرشحا للمجيء الى باريس من أعضاء الجمعية الاصلاحية وهو ألبير سرسق ولكن مرض شقيقه قد حال دون ذهابه.

أكثر من بريقة ورسالة، وبعضها يحمل تواريخ سيدات وهذا بالإضافة الى رسائل وبرقيات أخرى من أشخاص سوريين في مدن مصرية وأوربية وأميركية. وفي جميعها تأييد للمؤتمر والمطالب الإصلاحية التي انعقدت من أجلها، ومن جملتها رسالة من الزعيم العراقي طالب النقيب، ورسالة من الجمعية «الإصلاحية البيروتية»، وأخرى من جمعية «النهضة السورية» في أميركا، وأخرى من الجمعية «الخيرية الإسلامية» في حماة.

وكان معظم اصحاب التواريخ الشخصية على تلك البرقيات ومن صار لهم اسم وصيت في الحركة الوطنية والعربية. وهذه أسماء الموقعين على رسالة من دمشق كمثال على ذلك: (١)

الطبيب صلاح الدين القاسمي، الطبيب أحمد قدري الترجان، علي غبرة صاحب جريدة «النديم»، الطبيب عبدالرحمن شهنندر، المحامي شكري الجندي، المحامي محمد رشيد الرافعي، الطبيب محمد فهمي، المحامي ناجي ومحمد كرد علي، محمد عثمان مردم بك، محمد سعيد الاسطواني، أحمد حلمي الخيمي، محمد فخري البارودي، الأمير عارف الشهابي، محمد عيد القاسمي، خليل مردم بك، شاكر هاشم، عبدالفتاح السكري، عبدالوهاب الانكليزي، رياض المحاييري، محمد كامل القصاب، لطفى الحفار، رشدي الحكيم، متري قندلفت، وجيه أحمد الزين، مصطفى كيلاي، جرجي الحداد، محمد اديب مردم بك، صالح الجيلاني، نعيم حسان، سليم قساطلي، أحمد كرد علي، توفيق الحلبي، صبحي أحمد الانكليزي، حامد التقي، عبدالغني العسلي، محمد حمدي، محمود كرد علي، الطبيب أحمد منيف العائدي، المحامي عادل المصطفى، الطبيب محمد حسيب، الطبيب حكمت المرادي، المحامي نجيب منصور، الطبيب أحمد عزت، المحامي داود صدقي المارديني، الطبيب مصطفى عارف سقا أميني، الطبيب خليل خالد العبدلي، منير المحاييري.

وهذه أسماء الموقعين على رسالة جنين، وهي قصبة صغيرة ومركز لقضاء تابع لمتصرفية نابلس في فلسطين كمثال آخر:

جرار زاده، محمود اليوسف الاحمد، حسن سعيد عبده، (من وجوه أم الفحم)، عبدالهادي زادة، محمد الحسين، عبوشي زادة، محمد نافع، عبدالهادي زاده، محمد حيدر، سليم فضول (من وجوه مسيحي جنين)، المختار عودة القصار (من مسيحي جنين). اندراوس (من وجوه مسيحي جنين)، عبدالقادر (من وجوه عربية)، صالح الصباح (مختار مركز قضاء جنين)، الحاج محمد حماديب (مختار قرية المقييلة)، عبيدة أسعد يوسف (مختار قرية عربونة)، مصطفى ابو فرحة (مختار قرية الجلمة)، بركات (مختار قرية حفدك)، شامخ النمر (رئيس عشيرة الغزاوية)، عبدالرحمن (مختار قرية زرعين)، (مختار سيلة الظهر)، محمد توفيق (من وجوه يعبد)، محمد مختار جبير، أحمد حسن (مختار جبع)، عبدالله ابو حنانه (مختار عرابة)، عبدالله لافي (مختار فقوعة)، عوض عبدالرحمن (مختار كفر قورة)، سليم صالح (مختار بيسان)، حسن عبدالغني (مختار قرية تعنك)، جبر (مختار بيسان)، عبدالغافر (مختار جلقموس)، (مختار دير غزالة)... (مختار الاشرفية) عبدالهادي خضر (مختار كفر راغي) الحاج طاهر المحمد (مختار بريقين).

وهذه تواريخ رسالة الطلاب والرجال العرب في الاستانة:

محمد طاهر الافغاني من القدس وطالب حقوق، درويش وصفي ابو العافية، من يافا وطالب هندسة، رفيق رزق سلوم من حمص وطالب حقوق، سيف الدين الخطيب من دمشق وطالب حقوق، سامي العظم من دمشق وطالب حقوق، عارف المقدسي طالب في الكلية، محمد بسيسو من غزة وطالب حقوق، عيسى امام طبيب من عكا، عبدالقادر كيلاي طالب هندسة من بيروت، عبدالغني النحوي، من صفد وطالب حقوق، علي رضا ابو السعد من القدس وطالب حقوق، زكريا بيات من حماة وطالب حقوق، موسى المزي من القدس طالب

(١) محمد امين سعيد (الثورة العربية الكبرى)

حقوق، خالد سعيد الحكيم من حصص طالب هندسة، فهمي العظم من دمشق طالب هندسة، عبد الرؤوف درويش من نابلس طالب مالية، عاصم بيسو، من غزة طالب حقوق، محمد فهمي محامي من دمشق، محمد فضل الله المفيد محامي من حلب، عبدالرزاق من بغداد طالب طب وابن القيم من دمشق، محمد شريف الزعبي من الناصرة طالب حقوق، محمد عبدالعزيز مرعي من نابلس طالب حقوق، عبدالرحمن النحوي من صفد طالب حقوق، محي الدين الكيلاني من دمشق، رشدي ملحس من نابلس طالب مالية، حسين وصفي الساطي من دمشق، رشدي الحسيني من القدس طالب هندسة، حسن المعروف من غزة طالب حقوق، محمد زكريا المظلوم الجيلي طالب ثانوي، علي السلوكي من بغداد طالب حقوق، محمد جميل دوغان، من بيروت طالب حقوق، جميل مصطفى من اللاذقية طالب حقوق، فائز الخوري، من دمشق طالب حقوق، محرم محسن ادب من اللاذقية طالب حقوق، عبدالحلي جارا الله من القدس، جلال البخاري من دمشق، محمود حمدي العقاد طالب زراعة من دمشق، وجيه الاسطواني، من دمشق طالب حقوق، حسين شرعي من الناصرة طالب مالية، محمد نسيب البيطار من نابلس طالب في مدرسة الواعظين، محمد ناظم طالب من حماة طالب حقوق، داود حافظ طوقان من نابلس، نوري من بغداد، عبدالله مؤيد الكيلاني من بغداد، عبدالرحمن طالب حقوق من نابلس، محمد رشاد، طالب طب من الموصل، نقولا عبدالنور من الموصل طالب حقوق، اسماعيل صفار، من بغداد طالب طب، عاصم الجابي طالب حقوق من بغداد، رفيق غزاوي، طالب حقوق من طرابلس، حمدي مارديني، طالب حقوق، الأمير أحمد الشهابي طالب حقوق من حاصبيا، محمود ابو الفضل القوامي طالب حقوق من صيدا، احمد المولوي طالب من القدس، عبدالهادي صافي طالب هندسة من القدس، جودت القندوس طالب حقوق من القدس، حسن عوف الدجاني كيماوي، حسام ابو السعود، طبيب من القدس، كامل ابو السعود، طبيب من القدس، يوسف روكز طالب حقوق من بيروت، توفيق حتحت طبيب من غزة، احمد حمدي القطب طالب طب بيطري من نابلس، شكري يزبك طالب حقوق من دمشق، توفيق بازرباشي طالب حقوق من طرابلس، رشدي ابو العافية طالب هندسة من القدس، سليمان ابو بكر من دار الفنون، حامد الخطيب طالب بمدرسة النواب (القضاة)، حمدي حسن طالب في مدرسة الواعظين، الأمير بهجت الشهابي طالب حقوق من راشيا، طاهر الخطيب طالب طب بيطري، منيب لطيف طالب زراعة من طرابلس، ثريا البدري بمدرسة الكوندوكتور، بدر الدين الراعي طالب حقوق من طرابلس.

وقد حملت رسالة طرابلس الشام توقيعات: محمد رفيق العتاني ملاك وصاحب معمل التحف، وتوفيق اليازجي صاحب جريدة «الاجيال»، والطبيب حسن رعد ومفتي زادة عزة المقدم، وخادم العلم محمد صبحي الملك، تاجر وملاك، صبحي الباب، خطيب ومدرس جامع، غازي محمد منبر ملك، تاجر وملاك، محمد كمال بركة، ومحمد كامل مدير بوسطة وتلغراف يافا، راجي دانيال صاحب معمل تلج، ومحمد منير ملاك، وحسين محمد رعد صيدلي، ومصطفى عادل المولوي خادع العلم، ومحمد نهاد ملاك وتاجر، محمد توفيق زيادة تاجر، ومحمد واصف طبيب بيطري، محمد صلاح الدين سلهم امام جامع، وجميل عبدالقادر عدرة صاحب مجلة البيان، سليم رزق الله تاجر، بشير عدرة تاجر وملاك، عثمان غندور تاجر وملاك، محمد مصطفى البابا، تاجر وملاك، وعبد الرزاق احمد بيضون ملاك، وعبدالقادر حسن قاضي ناحية حدور، وفريد زريق افوكاتو، وجرجير خير طبيب اسنان، ومحمد ناجي.

ورسالة من مشايخ غوريسان بصفتهم وكلاء مفوضين من كل مزارعي بيسان وجنين.

وفي كتاب المؤتمر صفحة بعنوان (تذكار ابيدي لبغداد وغيرها من البلاد الداخلية التي ائتمنت موظفي التلغراف العثماني فقدمت لهم برقيات باسم المؤتمر ودفعت لهم أجرتها ولم يرسلوها) حيث يفيد هذا ان هناك برقيات كثيرة ابرقت بتأييد المؤتمر من العراق وغيرها لم تصل. وعلم جامع الكتاب بخبرها ف سجله في هذه الصفحة بهذا العنوان.

(وقد تقصدنا الاكثار من ايراد التوقيع لابرار الدلالة التأييدية التي أردنا ابرأؤها... ويلحظ أن التأييدات كلها واردة من شامتين وعراقيين في البلاد العربية وخارجها، وان المشتركين في المؤتمر هم شاميون وعراقيون وحسب وهذا يمت الى ما نبهنا عليه في مطلع هذا البحث من كون الحركة العربية في هذا المؤتمر كانت تقريبا حركة شامية عراقية). (١)

ولقد عقد المؤتمر أربع جلسات، وافتتح الرئيس المؤتمر بخطاب جامع عن فكرة المؤتمر ورغبة العرب الصداقة في الحياة الحرة الشريفة التي تضمن لهم التقدم والنهوض مع الرغبة الصداقة في استمرار الاخاء التركي العربي في نطاق دولة الخلافة العثمانية، وتوكيد كون الاصلاح مطلباً ضروريا للعرب والترك معا، وكون بقاء الحكم في الدولة على الطريقة البراهنة مهددا لها، وغمز الذين يتجهجون على المؤتمر ويتجهجون له ووصفهم بانهم اذناب الحكام وليسوا مخلصين للدولة والوطن، وشكر فرنسا التي ساعدت على عقد المؤتمر الذي كان من العسير عقده في بلاد العرب بسبب الظروف المعروفة.

وفي الجلسة الثانية خطب عبدالغني العريسي خطبة مسهبة في حقوق العرب في الدولة العثمانية، وقد شجب دعوى الحكم التركي في بلاد العرب بحق الفتح وهذه الدعوة مما ردها بعض غلاة الاتحاديين العنصريين، وقرر أن الدولة انما قامت وتوطدت في هذه البلاد بمساعدة أهلها، وانهم شركاء متساوون في كل شيء وان لهم الحق في المشاركة على قدم المساواة في القوة التشريعية والقوة الاجرائية مع احترامهم بكل اخلاص لمركز السلطان الأعلى وارتباطهم بالدولة ارتباطا تاما ما دامت حقوقهم فيها مرمية محفوظة، وشرح ما يناههم من غمط في مجلس الاعيان والنواب والوزارات والمناصب الرئيسية وغير الرئيسية في العاصمة والولايات، وطالب بحقوقهم في كل ذلك، وقال ان على العرب ان يسعوا لنيل هذا الحق بالوسائل المشروعة، وان على السلطات العثمانية ان لا تقف في وجه هذا الحق بالقوة والقهر، لان ذلك سيجعل العرب يبحثون عن طريقة لاحباط هذا الاسلوب المتجني.

ثم ألقى نذرة المطران في نفس الجلسة خطبة في موضوع (حفظ الحياة الوطنية في البلاد العربية العثمانية) أتى فيها بلمحة تاريخية في أدوار الحكم في البلاد وانتهى بها الى القول ان العرب كانوا دائما أصحاب حق وحياة في بلادهم ولم يكونوا راضخين لحكم جائر او راضين به، وان من حق الحياة في بلادهم والواجب احترام ذلك لهم، وان تحظى البلاد بالاصلاحيات التي تكفل لهم النهوض والتقدم ومع الرغبة الأكيدة في الاستمرار في الوفاق والانسجام مع الترك في نطاق الدولة العثمانية التي لا يريد العرب الخروج عليها والانفكاك عنها..

ثم ألقى نجيب دياب خطبة في موضوع (أمني السورين المهاجرين) فقرر فيها أن امانهم هي صلاح بلادهم ونهضتها تحت راية الهلال وفي نطاق اللامركزية لان مشاهداتهم وتجاربهم في البلاد الأجنبية اقنعتهم ان ذلك هو الطريق الصحيح لنهوض بلادهم واستغلال خيراتهم.

وألقى توفيق السويدي كلمة قال فيها انه مفوض من اهل العراق بالاشتراك في المؤتمر واعلان تضامنهم معه في المطالب الاصلاحية على أساس اللامركزية وضمان حقوق العرب المشروعة في المؤتمر.

وقد عقب احمد مختار بيهم على خطبة العريسي قائلا انه موافق على المطالبة بحقوق العرب في الدولة غير انه يجب ان لا يفهم من ذلك قصد العرب للوظائف بل هو اصلاح احوال بلادهم، وطالب الارتباط بعهد يقطعه طلاب الاصلاح ورجال المؤتمر بعدم قبول اية وظيفة قبل تنفيذ الاصلاح المطلوب.

وقد جرى نقاش حول هذا الأمر ثم إتخذ المؤتمر قرارا جاء فيه : (لا يجوز لجميع القائمين بالحركة الاصلاحية قبول اية وظيفة في الحكومة العثمانية قبل ان تقبل هذه الحكومة اساس البرنامج الذي يقرره المؤتمر الا بقرار من الجمعية التي ينتمي اليها العضو، وان يصير تبليغ هذا القرار الى كل البلاد العربية والمهاجر العربية) .

ولقد كان تعقيب مختار بيهم ان هذا القرار الذي كان نتيجة له ضروريا لان أعداء الحركة الاصلاحية واللامركزية

(١) محمد عزة دروزة «الحركة العربية الحديثة»

من الاتحاديين الاتراك الرسميين وغير الرسميين والموالين لهم من العرب (وهم الفئة الثالثة) كانوا يغمزون طلاب الاصلاح كذبا وتهويشا بانهم طلاب وظائف وحسب. ولقد ذكر جمال باشا في مذكراته انه قال ذلك لعبدالكريم الخليل، وانه يشعر بالحزن وان حركة العرب تهدف الى المآرب والوظائف. وكرر هذا في مكان آخر في مذكراته حيث قال ان الحركة العربية والمطالب العربية التي عقد مؤتمر باريس بسببها كانت تهدف الى تلبية رغبات رجال العرب البارزين بالمناصب والوظائف وحسب، مما أدى الى تفرقة وفساد وتأمر مع الفرنسيين. ولا ندري هل جمال كتب مذكراته بعد المؤتمر او في اثنائه، فان كان بعده فيكون ما ورد فيها قد رسخ في ذهنه رغم ما كان من قرار المؤتمر ويكون فيه متجنيا، ومن الجدير بالذكر ان جمال ذكر ما تم الاتفاق عليه مع زعماء المؤتمر على ما سوف يأتي بعد، ولم تكن مسألة الوظائف في ذلك رئيسية حيث ذكر انه تم الاتفاق على التعليم باللغة العربية في المدارس وقبول الاستدعاءات بالعربية واجراء بعض الاجراءات القضائية بالعربية وادارة البلاد بمشاركة اهلها وفقا لقانون الولايات الجديد ثم الموافقة على تعيين بعض رجال العرب في مجلس الاعيان ومناصب أخرى.. (انظر ترجمة احمد شكري لمذكرات جمال من ٨٨ - ٩٤).

وفي الجلسة الثالثة ألقى الشيخ احمد حسن طيارة خطبة في موضوع «الهجرة من سورية وإليها» أتى فيها على نبذة جغرافية وتاريخية واقتصادية للقطر السوري بحدوده الطبيعية ومواهب العرب السوريين وقابلية بلادهم، وأكد ان الهجرة هي مظهر من مظاهر نشاطهم الذي لم يتسن له مجال في أرض وطنهم وان سورية في حاجة الى ابنائها المهاجرين وان ذلك رهن بتحقيق المطالب الاصلاحية على الاسلوب اللامركزي.

وألقى في الجلسة خليل زينية كلمة نوه فيها بقابلية سورية وأهلها وكون ما تحتاج اليه هو الصلاح والاصلاح والحرية والنظام والتنظيم.

ثم ألقى اسكندر عمون خطبة في موضوع اللامركزية وفوائدها وكونها هي الاسلوب الكفيل بصلاح بلاد العرب، واكد ان ما يطلبه العرب هو الاصلاح وانه ليس من أغراضهم الانفصال عن الدولة وان الدستور قد فشل، وان حقوق العرب وغير العرب في الدولة قد غمطت بسبب عدم تطبيقه، وان من شأن ذلك تهديد الدولة بالاختطار، وان على العرب أن يجاهدوا بأية وسيلة لتحقيق ذلك. وختم كلمته بقوله انه اذا كان يقتضى ان يكون للعرب شهداء في هذا السبيل فكلنا مستعدون لذلك.

ولقد أثارت نقطة الاستعانة بمستشارين اجانب التي تضمنتها لائحة بيروت الاصلاحية وجرى نقاش حولها في المؤتمر انتهى الى انه ليس من خطر منها ما دامت في حدود الاستشارة وفائدتها مؤكدة.

ثم ألقى نعيم مكرزل خطابا عن حالة المهاجرين في اميركا ونشاطهم وتطلعاتهم الى وطنهم ورغبتهم في خدمته اذا ما افتتح فيه باب الاصلاح وضمنت الحقوق والحريات.

وجرت بعد ذلك المداولات في مشروعات القرارات المتقدمة وقررت الموافقة على ما يلي في تاريخ ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١٣ م:

- ١ - ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية «للمملكة» (١) العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة.
- ٢ - يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لا مركزية تنظر في حاجتها وعاداتها
- ٣ - من المهم أن يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بان يشتركوا في الادارة المركزية «للمملكة» اشتراكا فعليا.
- ٤ - يطلب المؤتمر تنفيذ وتطبيق المبادئ الاساسيين اللذين قامت عليهما لائحة بيروت الاصلاحية وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين اجانب.

(١) المواد الثلاثة الاخيرة وردت في كتاب المؤتمر بعنوان ملحق للقرارات السابقة نتيجة للحوار والمداولة.

- ٥ - اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.
- ٦ - تكون خدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الظروف والاحوال التي تدعو للاستثناء الأقصى.
- ٧ - يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية أن يكفل لتصرفية لبنان وسائل تحسين مالياتها.
- ٨ - يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية.
- ٩ - يجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية.
- ١٠ - وتبلغ هذه القرارات للحكومات المتحابّة مع الحكومة العثمانية.
- ١١ - يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها.
- ١٢ - إذا لم تنفذ القرارات فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها.
- ١٣ - ستكون هذه القرارات برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة اي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه.
- ١٤ - المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم (١).

وكانت الجلسة الختامية الرابعة جلسة عامة شهدها جمهور من أبناء الجاليات العربية وكبار الفرنسيين من نساء ورجال ومندوبي صحف وتليت فيها القرارات ورسائل وبرقيات التأييد، وألقى فيها احمد مختار بيهم خطبة بالفرنسية شرح فيها أغراض المؤتمر وما ألقى فيه من خطب وحالة الشعب العربي ومطالبه وتعلقها بالاصلاح من جهة وبالدولة العثمانية من جهة أخرى بقصد التعريف والتوضيح لشهود الجلسة من غير العرب ثم تلا ترجمة القرارات بالفرنسية للقصد نفسه.

وقد شرح في خطبته حالة الحكم في الدولة العثمانية وما ينال العرب من ظلم وغبن وحاجة الدولة الى الاصلاح وكون ذلك ضروريا للعرب والترك وسائر عناصر الدولة على السواء. وأكد أن العرب سوف يستمرون على طلب الاصلاح ويكافحون في سبيله بكل شدة مهما كانت النتائج لأن المسألة مسألة حياة أو موت ونهوض واضمحلال. وألقى شكرى غانم خطبة بالفرنسية لنفس القصد ايضا أكد فيها حق العرب بالمطالبة بالاصلاح وشكر فرنسا لصادقتها للعرب والدولة العثمانية وترحيبها بالاصلاحيين.

ولما ختم المؤتمر جلساته ذهب وفد مؤلف من رئيسه وبعض أعضائه الى وزارة الخارجية الفرنسية حيث استقبلهم وزير الخارجية فشكروا فرنسا على ما لقيه المؤتمر من (عطف وترحيب ناتحين عن كون المؤتمرين من رعايا دولة صديقة لفرنسا وأبناء بلاد تظهر فرنسا نحوها العطف والتودد، ونوهوا باعتمادهم على فرنسا وغيرها في تأييد المطالب الاصلاحية التي وعدت بها الدولة نفسها وأشاد بالاتحاد والاخاء المستحكيين بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين السوريين واللبنانيين من جهة. وبكفاءة العرب لادارة شؤونهم المحلية مع رغبتهم في الاستعانة بخبرة اوربا واستمرار استغلالهم بظلال الراية العثمانية)، وشكر الوزير الوفد على عواطفه ونوه بصدقة فرنسا للدولة العثمانية وحبها الخير للسوريين وبما أظهره طلاب الاصلاح من التعقل في مطالبتهم. وقال انه لجدير باوربا كلها أن تكون ضامنة لتحقيق الاصلاح كافة لمستقبل تلك البلاد، وان فرنسا تقبل بكل رضى وسرور ان تكون محامية لسورية لدى أوربا وانها تفعل ذلك خدمة للعثمانية وليس ضدها..

ثم ذهب الوفد الى السفارة العثمانية فقابلوا السفير وقدموا له قرارات المؤتمر بكتاب ورجوه رفعها للحكومة العثمانية.

(١) من الملاحظ استخدام المؤتمرين ببارس لتعبير «مملكة» بدلا من «سلطنة» أو «خلافة» إمعانا في الإساءة للدولة العثمانية وتجريدها من كل صفة إسلامية بهدف تدميرها.

ولقد قال جامع الكتاب ان الذي ظهر من الحديث الذي دار بين السفير والوفد انه يعتقد بضرورة الاصلاح للسلطنة، ولكنه يستحسن مع ذلك سلوك طريق اللين والحسنى.

ولقد إهتمت الحكومة الاتحادية للمؤتمر اهتماماً كبيراً، ويستفاد من كتاب المؤتمر انها حاولت منعه فعجزت، ومن ثم أوعزت لللائذين بها المرتزقين من وظائفها وبعض عبيدها في سوريا وغيرها - وهذه عبارات جامع الكتاب - بأن يبرقوا للحكومة المركزية برقيات يهونون فيها أمر المؤتمر ويشتمون الداعين اليه والمشاركين فيه ويغمزونهم ويهونون من قيمتهم ويعلنون ارتياحهم وسرورهم من شكل الحكم في الدولة. ويقولون ان أهل سوريا ضد المؤتمر وضد مطالبه وانه لا يمثل إلا نفسه، ويبرهن الكاتب على زيف ذلك بالبرقيات والرسائل الكثيرة من كل بلد في سوريا التي تثبت ان جبهة كبيرة من الواعين كانت مؤيدة للمؤتمر ومطالبه وهي مؤيدة لدعوى أنصار الاتحاديين.

وهناك مصادر أخرى تذكر بعض التفاصيل لما كان من حركات مضادة للمؤتمر في مختلف المدن العربية والولايات العثمانية من المستخوفين على مصير الخلافة ولاسيما في الاستانة بزعماء الشيخ عبد العزيز جاويز التونسي الأصل المصري النشأة الاسلامي الزعة فقد اندفعوا في تسفيه حركة المؤتمر واتهام القائمين به، وفعل مثل ذلك بعض رجال هذه الفئة في سوريا ولبنان بزعماء الشيخ اسعد الشقيري، وعبد الرحمن اليوسف، ومحمد المخزومي ومحمد فوزي العظم. وقد استكتب هؤلاء عرائض في دمشق وعكا وحيفا والناصرة وطبريا وبيروت فيها شجب لفكرة المؤتمر وتنبه على ما فيها من خطر وضرر، وتهوين لشأن القائمين به، وكونهم لا يمثلون احداً، وكونهم طلاب منافع ومآرب، ومحركين بأصابع الأجانب، وكون الظرف الذي تمر به الدولة غير مناسب لهذه الحركة، وتصدت جريدة «طنين» التركية، التي كان يديرها احد اركان الاتحاديين، للمؤتمر، مسفة مهونة مهددة منذرة متهمة للمؤتمرين بأنهم باعوا أنفسهم لفرنسا، وصاروا من رعاياها، وحذت صحف الاستانة الأخرى حذوها، وكذلك الصحف العربية الموالية للاتحاديين في سورية ولبنان مثل «الرأي العام» التي كان يصدرها طه المدور و«ابابيل» التي كان يصدرها حسين الحبال فقد تصدتا للمؤتمر والمؤتمرين بالتهوين والتسفيه وكانت جريدة «المفيد» البيروتية مناصرة للمؤتمر فنشبت تشاد بينها وبين هذه الصحف وتعرضت المفيد نتيجة لذلك للمضايقة ثم الاغلاق.

وما جرى أثناء انعقاد المؤتمر وذكره جامع كتابه ان شخصاً اسمه يوسف فهمي وصفه الجامع بأنه مدفوع قام في الجلسة الثالثة فألقى كلمة باللغة الفرنسية فيها احتجاج على عقد المؤتمر في باريس، وكون ذلك منافياً للوطنية، فثار عليه المؤتمرون وأسكتوه وأخرجوه.

وفي كتاب المؤتمر بيان من اللجنة العليا لحزب اللامركزية فيه تفنيد للذين أبرقوا وأرسلوا رسائل مناهضة للمؤتمر، ومتهمه لأعضائه بالعمالة والمنافع والمآرب ومعلنة رضاء البلاد بشكل الحكم الجاري، وفيه اشارة الى ما تلقاه المؤتمر من رسائل تأييدية مكذبة لمزاعمهم، وجاء في البيان فيما جاء ان اصحاب تلك الرسائل منافقون متزلفون وآلات صماء، رضوا بهوان أمتهم وخراب بلادهم، ثم فند البيان موقف الاتحاديين المناهض للاصلاح، والمناقض لما أغدقوه للعرب من وعود، وأعلن ان العرب سيجاهدون في سبيل اصلاح أوطانهم وسعادتها وسلامتها جهاد المخلصين ولن يستسلموا لتصاريفهم استسلام عمي البصائر والقلوب.

على ان الحكومة الاتحادية لم تكتف بالموقف السلبي، الذي وقفته من المؤتمر. ولقد كانت تمر في ظرف دقيق حيث كانت حرب البلقان لم تنته، والدول الكبرى تقف في جانب دول وشعوب البلقان، فرأت أن لا تزيد مشاكلها بمشكلة العرب، وهم نصف الدولة أو يزيدون، وجنحت الى موقف ايجابي بعد ان اخفق الموقف السلبي حيث أخذ بعضهم يدلي بتصريحات متلازمة مع الاصلاحات، ويقولون ان قانون الولايات غير كاف، وان من الحكمة التفاهم مع العرب، وتقوية روابط الاخاء التركي العربي. (١)

(١) المواد الثلاث الأخيرة وردت في كتاب المؤتمر بعنوان ملحق للقرارات السابقة نتيجة للحوار والمداولة.

وكان من مظاهر هذا الموقف ان «طنين» التي حملت أشد الحملات على المؤتمر والمؤتمرين واتهمتهم وهونت من شأنهم وأنذرتهم أخذت تردد شيئاً من معاني هذه التصريحات والأقوال .

وقامت جمعية الاتحاد والترقي بارسال سكرتيرها العام مدحت شكري الى باريس للتفاوض مع زعماء المؤتمر في صدد الاصلاحات وتقريب وجهات النظر بين العرب والترك . وتعاون في مهمته مع عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي الذي كان يسير على خطة من حسن التواصل والتعايش مع زعماء الاتحاديين ، فانهت الاتصالات والمفاوضات الى نصوص سميت بالوفاق التركي العربي ، وتذكر بعض المصادر ان جمعية الاتحاد والترقي اتصلت في أول الأمر بالشبيبة العربية في الاسكندرية وتفاهمت معهم على هذه النصوص وحلها مدحت شكري لرضها على زعماء المؤتمر وان هؤلاء الزعماء وافقوا عليها مع انها دون المنهج المقرر لظهور حسن نياتهم والبرهنة للحكومة الاتحادية وللعالم على انهم يريدون الاصلاح ولو أتى تدريجياً وهذه هي : (١)

- ١ - يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية في جميع البلاد العربية باللغة العربية وفي القسم العالي بالتركية .
- ٢ - يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ما عدا الولاة عارفين باللغة العربية ويكون تعيين القضاة ورؤساء القضاة الذين ينصبون بارادة سنية من العاصمة ، اما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .
- ٣ - تترك ادارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة .
- ٤ - تترك الأمور للنافعة (الاشغال العامة) للادارة المحلية .
- ٥ - يخدم المجندون في المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ويختار الجند الذين تدعو الحاجة الى ارسالهم الى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة . (٢)
- ٦ - مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانوني . (٣)
- ٧ - يكون مبدئياً في الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين في الوزارات ، ويكون منهم اثنان او ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ومحكمة التمييز والشيخ الاسلامية وبقية المصالح الأخرى ، ويكون منهم اربعة او خمسة على الأقل في الدوائر المختلفة من كل وزارة .
- ٨ - يعين خمسة ولاة على الأقل من العرب وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يرقوا منهم ويعاملون معاملة زملائهم من موظفي الملكية والحاقية والشرعية الترك .
- ٩ - يعين عدد من العرب من مجلس الشيوخ (الأعيان) بنسبة اثنين من كل ولاية .
- ١٠ - يستخدم مفتشون اخصائيون من الأجانب في كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصاتهم بنظام خاص .
- ١١ - تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية على ان ينفذ ذلك تدريجياً .

(١) اورد النصوص كل من أمين سعيد في الجزء الاول من كتابه « الثورة العربية » وتوفيق برو في كتابه « الترك والعرب في عهد الدستور العثماني » . والنصوص في الكتابين مختلفة سبكا متوافقة جوهرياً ومعنى .. والظاهر انها وضعت في الأصل باللغة التركية وترجمت عنها الى العربية أكثر من ترجمة ، وهذا هو سبب الاختلاف اللفظي والسبكي . وقد اخترنا نصوص أمين سعيد لأنها أوضح .

(٢) كان مما يشكو منه العرب ان أبناءهم يرسلون لقمع اخوانهم العرب في اليمن والعسير حيث كانت ترسل الحملات لقمع التمردات والثورات التي كانت تقوم ضد السلطات العثمانية عنها وكان معظم افراد هذه الحملات من العرب فاهتم المفاوضون العرب لهذا الأمر في هذا النص .

(٣) كان قانون الولايات يجعل تنفيذ القرارات لبعض المجالس العمومية رهناً بموافقة الوالي على ما مرّ بيانه فاهتم المفاوضون العرب لهذا الأمر في هذا النص .

١٢ - النقص (١) الموجود حالياً في ميزانيات الدوائر التي تركت ادارتها للولايات سيسد عن طريق اضافة الموارد الكافية لميزانية الولاية. وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات الى الادارات المحلية على أن تصرف لأموال المعارف.

وقد اتفق الجانبان على ابقاء هذه النصوص سرية الى ان تصدر المراسيم اللازمة للتنفيذية. غير ان وكالة أنباء رويتر أذاعت نبأ الاتفاق وبدء تنفيذه، ونشرت نصوصاً فيها بعض الاختلاف فسارع حزب اللامركزية في مصر الى نشر النصوص ظناً منه انه لم يبق ما يمنع نشرها. ثم أرسل برقية شكر الى الصدر الأعظم أعرب فيها عن أمله بأن تكون الاتفاقية بداية عصر جديد من عصور الإصلاح الحقيقي. واستاءت الحكومة الاتحادية من نشر النصوص، وأصدروا تكتيباً لها، ثم سارعت الحكومة الى استصدار ارادة سلطانية بتاريخ ١٩١٣/٨/٥ جاء ما فيها دون ما تم الاتفاق عليه في نقاط كثيرة نصاً وروحاً كما يتضح من المقارنة.

وهذه ترجمة الارادة : (٢)

انه بالنظر الى الضرورات واختلاف الأمزجة في الولايات العثمانية والى وجوب ترقية البلاد واسعاد أهلها وزيادة رفاههم تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات ما يأتي :

- ١ - يعهد الى ادارة الأوقاف الموقوفة على الخير المحلي المشروط صرف ربعها على الجهات الخيرية مع مراعاة شروط الوقف الى مجالس الجامعات في الولايات وذلك بموجب قانون خاص سينشر قريباً.
- ٢ - يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في دائرة التفتيش التابعين له. وإذا رأت الدولة ان الحال تقضي بزيادة عدد الجنود المحتشدة في جهة من جهات الحدود فلها أن تسوق جميع الصفوف العسكرية من دون قيد ولا شرط ويؤخذ الجندي الذي تمس الضرورة الى سوقه لليمن والحجاز وعسير ونجد وأمثال هذه المقاطعات من البلاد العثمانية بنسبة صحيحة.
- ٣ - يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة وذلك لتوفير أسباب الرقي والحضارة حالاً ومستقبلاً، على ان يبدأ منذ الآن في المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً.. وينظر من الآن في الوسائل التي تؤدي الى جعل التعلم العالي في البلاد العربية باللغة العربية، على أنه يجب أن يظل التعليم باللغة التركية في المدارس الثانوية في مراكز الولايات لتعم هذه اللغة.
- ٤ - يجب أن يلاحظ في تعيين الموظفين للبلاد العربية معرفتهم لغتها بجانب اللغة التركية، وتعين الحكومات المحلية الموظفين من الدرجة الثانية طبقاً لما نص عليه في القوانين الخاصة بذلك، والذين يعينون بارادة سنية يناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة.

وقد أذاعت وزارة الداخلية بياناً قالت فيه (لما كانت الغاية التي وضعناها نصب أعيننا هي ارتقاء جميع الولايات العثمانية وضمان راحة سكانها ورفاههم بحسب أمزجتهم وحاجاتهم المحلية فقد دارت بعد الاتكال عليه سبحانه وتعالى مكاتبات مع الولايات بشأن الإصلاحات اللازمة وتقرر الشروع في تنفيذها تدريجياً في نطاق الارادة السلطانية (وأورد البيان فحواها) وجبا بالإصلاح تقرر جلب مفتشين من الأجانب بقدر الحاجة على أن يعينوا في كل ولاية، ووضع قانون خاص لذلك. وعملاً بقانون الولايات تقرر ضم جانب من الإيرادات العامة الى ميزانية كل دولة لسد العجز الواقع عن قيام ميزانياتها بالواجبات الملقاة عليها وخصوصاً في الاشغال العامة والمعارف. ومن المقرر أيضاً تنفيذ القرارات التي تقررها المجالس العمومية ضمن دائرة اختصاصاتها بلا ابطاء).

(١) هذا النص لم يرد في كتاب أمين سعيد، وقد أورده توفيق بروفي كتابه (الترك والعرب) ولم يذكر سنداً ونرجح انه يستند الى أصل ما.

(٢) أمين سعيد «الثورة العربية» ج ١.

ومع ان البيان تلافى بعض أمور من المنهج المتفق عليه بين زعماء المؤتمر وموفد الجمعية والحكومة الاتحادية فان الثغرات ظلت واسعة بين ما أعلنته الحكومة وبين هذا المنهج كما يتضح من المقارنة .

ويظهر أن رجال الاتحاد لمحو أن العرب شعروا بالثغرات الواسعة بين ما أعلن وبين ما تم الاتفاق عليه فأخذوا يصرحون بأن ما أعلن ليس كل ما يراد تقديمه للعرب وإنما كان الاعلان خطة لمنع العناصر الأخرى من التحرك والطمع ويطلبون من العرب الصبر والناة وحسن التقبل.

وانقسم المطالبون بالاصلاح والواعون العرب من الفئتين الأولى والثانية نتيجة لذلك قسمين، قسم وقف متربصا مشككا وقسم أخذ بما سمعه من الاتحاديين من تطمين ووعود. (١)

وكان من أبرز رجال هذا القسم عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي الذي قاد حركة القبول، وبذل جهده حتى ألف وفدا كبيرا من شباب ورجالات العرب في الاستانة، وفيهم غير واحد من رجال الفئة الثالثة وفي مقدمتهم عبدالعزيز جاويش، وذهبوا إلى الباب العالي - مركز رئاسة الوزارة التي كانت تسمى بالصدارة العظمى - حيث أعربوا عن شكرهم للدولة على استجابتها للمطالب العمومية، وطالبوا بإلغاء الحكم العرقي في بيروت والسماح بصدور الصحف العربية المعطلة - وهي التي كانت تؤيد المطالبات الاصلاحية وعطلتها الحكومة حينما ألغت «الجمعية الاصلاحية»، كما أغتنموا الفرصة فطالبوا بمنع بيع الأراضي لليهود في فلسطين، وكانت هذه المسألة من المسائل التي أخذت تبرز كمشكلة منذرة بالخطر بسبب نفوذ بعض رجالات جمعية الاتحاد والترقي اليهود: مثل نسيم مزراحي أو الذين هم يهود أصلا بما كان يعرف بالدوغة مثل جاويد وحسين جاهد حيث كانوا يبذلون جهدهم في إلغاء الخطر الذي كان موضوعا من زمن السلطان عبد الحميد الثاني على بيع الأراضي لليهود الأجانب واقامتهم في فلسطين إقامة طويلة، وحيث أخذ اليهود ينشطون في سبيل شراء الأراضي في فلسطين من كبار الملاكين السوريين واللبنانيين بعد اعلان الدستور وفي الحصول على امتياز استعمار بعض الأراضي للدولة في فلسطين، وقد أظهر الصدر الأعظم اغتباطه بحضور الوفد العربي وكرر الوعود بعزم الحكومة على تنفيذ الاصلاحات، كما وعد بالنظر في المطالبات الأخرى. ثم أقامت الشبيبة العربية في ١٩١٣/٨/٥ وليمة في فندق «توقاتليان» لزعماء جمعية الاتحاد والترقي شهدها جمهور من وجهاء العرب وشبابهم وألقيت فيها الخطب العربية والتركية من رجال العرب والترك. وكرر الاتحاديون وعودهم، حتى لقد جاء في خطبة لطلعت باشا أحد كبار أقطابهم قوله: (ان معارضتنا اللامركزية كانت خشية من سوء استعمالها وأثرها بالنسبة للعناصر البلقانية وقد زال المحذور بانفصال هذه العناصر عن الدولة، ولم يبق ما يمتنعنا من السير في هذا السبيل والمضي فيه إلى آخر الحدود، في سبيل تظمينكم على صيانة حقوقكم، وضمان التفاهم معكم على سياسة جديدة).

وفي غمرة من الابتهاج والطمأنينة أبرق عبد الكريم الخليل إلى أعضاء المؤتمر في باريس للحضور إلى الاستانة لمراقبة تنفيذ الاتفاقية، واستجاب أعضاء المؤتمر فأرسلوا وفدا منهم مؤلفا من: سليم علي سلام، والشيخ أحمد حسن طيارة، وأحمد مختار بينهم، والثلاثة من أركان جمعية «الاصلاح البيروتية» - وأخذ هؤلاء مع عبد الكريم الخليل ورفاقه المتحمسين لموقف الاتحاديين الايجابي في الظاهر يبذلون مساعيهم وقابلوا السلطان وشكروه وأعربوا له عن تعلق العرب بالخلافة العثمانية ورجوه بأن يأمر بتنفيذ الاصلاحات بالسرعة الممكنة لانها الطريق الوحيد لترقية البلاد، فشكرهم ووعدهم وقابلوا ولي العهد أيضا، وأولت جمعية الاتحاد لهم وليمة في ١٩١٣/٨/٢٧ شهدها جمهور من رجال وشباب الترك والعرب، وخطب الخطباء من الطرفين فيها، من جانب العرب، توكيدا للولاء للدولة العثمانية والرغبة الصادقة في الاخاء العربي والتركي وصلاح الدولة وقوتها، ومن جانب الترك الرغبة الصادقة في حسن التفاهم والتصافي بين العرب والترك، والتمنى بأن يكون الاتفاق مقدمة سعيدة للأمة والدولة واعتراف بحق العرب بما قاموا به من حركة اصلاحية وتنويه بصدق رغبتهم، وثناء على القائمين بها من رجال الجمعيات الاصلاحية والمؤتمر، وتكرار للوعود بتنفيذ الاتفاق،

(١) محمد عزة دروزة (حول الحركة العربية الحديثة)

حتى لقد هتف طلعت باشا بحياة بيروت التي كانت رائدة هذه الحركة، وأبرق عبدالكريم الخليل للشيخ عبدالحميد الزهراوي رئيس المؤتمر بالحضور هو الآخر، إلى الاستانة، للاشتراك في المساعي والاشراف على تنفيذ الاتفاق فجاء هو الآخر وانضم إلى رفاقه.

على أن الاتحاديين من جهة تباطأوا في السير في تنفيذ الاتفاق وأخذوا يحورون في مداها، ومن جهة أوعزوا لرجال الفئة الثالثة لتأييدهم في موقفهم وتحويرهم، فكان ذلك مما جعل الفريق المتربص المتشكك يزداد تربصا وتشككا، وجعل حزب اللامركزية في مصر يصدر بيانا يطالب فيه الحكومة الاتحادية بالجد في تنفيذ الاتفاق والاصلاحيات الموعودة، مع توكيده بتمسك العرب بالدولة والاخاء العربي التركي، وظل الزهراوى ورفاقه يذلون مساعيهم، والاتحاديون يراوغون حتى سثموا، وعزم الزهراوي على الرحيل، وعقد مؤتمرا صحفيا أشار فيه الى ما هو ملموح من تردد الحكومة عازيا ذلك إلى الخلاف الذي قام بين أعضائها في صدد الاصلاحيات المتفق عليها وإن بعضهم كان يرغب في ذلك وبعضهم كان يرى عدم التقيد بالنصوص وأخذ العرب بالشدة، وحرك الحديث الفريق المعتدل من الاتحاديين وجعله يضغط على المتشدد من منهم، وأدى ذلك إلى خطوة تنفيذية بعد استنكار طويل حيث أعلنت الحكومة في ٤ يناير ١٩١٤ تعيين كل من السادة عبدالحميد الزهراوي وعبدالرحمن اليوسف ومحمد بهيم ويوسف سرسق ومحيى الدين النقيب وأحمد الكيخيا وسليمان الباروني أعضاء في مجلس الأعيان، وتعيين عبدالوهاب الانكليزي وشكري العسلي مفتشين للعدلية في سورية وآخرين في دوائر الوزارات. (١) وحيث طلبت من الزهراوي مساعدتها على ترشيح أسماء مناسبة من رجالات العرب وشبابهم لتعيينهم في مناصب عالية أخرى، وحيث أدخلت تعديلات على قانون الولايات أوجبت أن يكون موظفو الولايات من العارفين باللغة المحلية، وإن تستعمل اللغة المحلية والمرافعات أمام بعض المحاكم، وإن تبلغ أوراق الدعاوى والأحكام إلى أصحابها باللغة المحلية كذلك، وإن تنشر القوانين والأنظمة وقرارات الحكومة باللغتين التركية والمحلية، وحيث أمرت بإنشاء مدرستين عربيتين ثانويتين واحدة في دمشق وأخرى في بيروت. وبقضاء المجندين خدمتهم الاجبارية العسكرية في مناطقهم.

وقد رأى الزهراوي في هذه البوادر حسن رغبة من الاتحاديين في ارضاء المطامع العربية، وكتب ما رآه إلى حزب اللامركزية في القاهرة ودعا رئيس الحزب رفيق العظم واحد أركانه الشيخ رشيد رضا إلى الاستانة ليكونوا في عداد من تسند إليهم المناصب العالية الموعودة، ومع أن الركنين الحزبيين توجسا ولم يستجيبا للدعوة فإن الحزب وافق على قبول الزهراوي لعضوية الأعيان، وأذن له بالاستمرار في الاتصال بالاتحاديين وبذل الجهد في سبيل المزيد من البوادر والخطوات.

وفي كتاب (ايضاحات) الذي أشرنا إليه في مناسبات سابقة نص برقية من رفيق العظم إلى الزهراوي جاء فيه (قرر حزب اللامركزية بالاتفاق، قبولكم لعضوية الأعيان، واعتماد الحزب عليكم بأن تكونوا واسطة لدى الحكومة، لأجل المطالب الأخرى)

على أن ما جرى أدى إلى انقسام بين الفئتين القوميتين العربيتين الأولى والثانية حيث أيد فريق منهما موقف الزهراوي ورأيه فيما تم، واعتبر ذلك بوادر مشجعة وحيث رأى فريق في الارادة السلطانية والبيانات التي أصدرتها الحكومة قصورا عما تم الاتفاق عليه بين زعماء المؤتمر والاتحاديين، ورأى في موقف هؤلاء قصد المراوغة والخذاع، ولم ير فيما تم ما يطمئن المطامح والمطالب العربية، وأخذ هذا الفريق في الاستانة والمدن العربية وفي المهاجر يهاجم الزهراوي ويرى في قبوله لعضوية الأعيان خرقا لقرار المؤتمر. وكان من جملة المعارضين حقي العظم أحد أركان حزب اللامركزية وسكرتيه العام.

ولقد كان من أقوى المتطابقين مع الزهراوي في موقفه بل ومن أقوى المؤثرين عليه في استانبول عبدالكريم الخليل

(١) أمين سعيد (الثورة العربية الكبرى)

رئيس المنتدى ومن أبرز الفئتين، ومن طريف ما جرى أن فريقا كبيرا من شباب العرب في الاستانة من أعضاء المنتدى استدعوا عبدالكريم الخليل وعقدوا معه اجتماعا ناقشوه فيه في موقفه ثم ألفوا لجنة للاستماع إلى مبررات هذا الموقف لأنه قال انه لا يستطيع البوح بها أمام جمع كبير مثل جمعهم الذي بلغ ألف شخص واستمعت اللجنة إلى أقواله التي حاول بها اقناعها بحسن رغبة الاتحاديين وبفائدة وضرورة الاناة والمسايرة معهم واشعارهم بقصد الولاء حتى يمشوا في تنفيذ الاتفاق وتحقيق الوعود. وذكر فيما ذكر من المبررات الأخطار والمطامع الأجنبية التي قد تنشأ من سعة الخلاف والنزاع وتطورهما بين العرب والترك. وقد قنعت اللجنة بأقواله وأعلنت أنها ترى من المصلحة الاستمرار في الثقة بعبدالكريم الخليل والسماح له بالاستمرار في خطة التواصل والمساعى مع الاتحاديين من أجل تحقيق مطامح العرب ومطالبهم الموعود بتحقيقها كاملة مع توصيتها بتشكيل لجنة استشارية يتبادل معها الرأي ويستعين بها في مساعيه.

غير أن فريقا كبيرا من الفئتين ظل متجهما غير راض واستمر يحمل على الخليل والزهاوي والذين تطابقوا معهما في خطة حسن الثقة والانسجام مع الاتحاديين. وأدى ذلك إلى ميوعة وبلبلية في موقف الفئتين كان من نتيجتهما أن وقفت الخطوات الإصلاحية عند الحد الذي جرت إليه. وأثار ذلك في نفس الزهاوي مرارة ومضضا عبر عنه في رسالة بعث بها لرشيد رضا شرح فيها حالة العرب من انقسامهم وظروفهم وعدم فزعهم وما يثيره ذلك في نفسه من مرارة ومضض، ثم غادر الاستانة دون ممارسة طويلة لعضوية الأعيان وذهب إلى القاهرة حيث انضم إلى جماعة الحزب الذين قنعوا بأن الاتحاديين لن يسيروا في طريق تحقيق المطالب والمصالح العربية أكثر مما ساروا بتأثير من الفريق المتشدد.

ومهما يكن من أمر فالذي يتبادر للذهن انه كان في الخطوات التي تمت أمور كثيرة كان الاصلاحيون يطالبون بها مهما كانت مقصرة عن جميع المطالب.. وان موقف الزهاوي وال خليل ودعوتهما الى الاناة والصبر وحسن الانسجام وما جاء من مبررات ذلك على لسان الخليل لا يخلو من سراب وان الفئات المعارضة لم تكن محقة كل الحق في موقفها المعارض الذي أدى إلى البلبلة والميوعة وجعل الاتحاديين يقفون عند الحد الذي وصلوا اليه. وانه لو ساد الانسجام والتطابق في الفئتين لكان من المحتمل أن تكون خطوات أخرى ولكان تفودي تطور الموقف بين الاصلاحيين والاتحاديين إلى ما تطور إليه بعد اعلان الحرب وفي أثنائها.

ومع ذلك فان الاتحاديين يتحملون قسطا كبيرا من المسؤولية بدون ريب، فقد اتفقوا مع زعماء المؤتمر على منهج محدد، وكان عليهم أن يلتزموا به بدون مراوغة ولا تحوير. ولقد كانت مراوغتهم وتحويرهم مما أثار شبهة سوء النية في الفئة المعارضة فوقفوا موقفهم. وفي رسالة أرسلها رفيق العظم الى أسعد داغر يقول (حسبنا ما كان من نتائج المؤتمر عبرة وذكرى.. ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) والكتاب مؤرخ في ٣٠ تموز ١٩١٤، ومن المحتمل ان يكون أسعد داغر من الفئة التي كانت متطابقة مع الخليل وانه لمح احتمال تحسن الجو والنيات في الاستانة فأرسل بخبر رفيق العظم بالأمر ويحشه على اغتنام الفرصة ويظهر ان رفيقا والحزب استمروا فيما وصلوا اليه من قناعة بان الاتحاديين لن يتزحزحوا عن موقفهم الذي وصلوا اليه.

ولقد ذكرنا في سياق سيرة حزب اللامركزية انه اخذ يفكر في تعديل برنامجه والدعوة الى مؤتمر ثان.. والمتبادر الى الذهن ان ذلك كان نتيجة لما انتهى اليه الموقف بعد المؤتمر وما قام من قناعة عند اركان الحزب.

وفي كتاب (ايضاحات) رسالة من حقي العظم الى محمود المحمصاني جاء فيها: (من خصوص تهافت الذين سموا أنفسهم طلاب اصلاح على ترويج أغراضهم الخصوصية فهذا وإن كان يسؤونا ولكن لا غرابة في وقوعه بل كان من المنتظر، أن يحدث بيننا كما حدث من قبل بين طلاب الاصلاح الأرمن والبلغار والروم وغيرهم مع ان تربية هؤلاء السياسية أمتن من تربيتنا نحن معاصر المسلمين كما انهم أثبت على المبدأ وأقل نفاقا. فاذا كان يوجد في الألف منهم منافق واحد من أمثال.. (لم يورد الكاتب اسما) فانه يوجد ٨٠ في المائة منا من أولئك المنافقين الذين لا ذمة لهم ولا وطنية ولا ولا.. زد على ذلك اعتياد جماعتنا على الخضوع والخنوع الى الحكومة ورجالها بسبب الذلة والمسكنة التي ضربها عليهم الاتراك من أجيال أولا، وثانيا الجري وراء المنفعة الشخصية التي لا تتأخر الحكومة عن منحها الى

الأعيان منا نظير ما يقدمونه لها من المساعدة على إماتة عواطف الشعب .

لذلك أيها الأخ يجب ان نعرف كيف نسلك مع الحكومة وكيف نربي المنافقين منا ونوقفهم عند حدهم ، كما فعل الأرمن والبلغار والروم بمنافقيهم ، وان نتذرع بالصبر والثبات على المبدأ ، والاستمرار على الحظوة القوية ، التي رسمناها لأنفسنا ، وتيقنوا اننا لا بد من ان نحصل على ضالتنا المنشودة ، ومن سار على الدرب وصل ، وستصل ان شاء الله نحن ايضا) .

ومما ورد في كتاب (ايضاحات) ان من جماعة الجمعية الاصلاحية البيرونية من تراجع واكتفى بما فعلته الحكومة من التعديلات في قانون ادارة الولايات ، وهذا من نتائج او مظاهر اللبلة والميوعة اللتين صار اليهما موقف الفئتين القوميتين بطبيعة الحال ، ولقد عرف الناس في وقتها ان امتياز تخفيف الحولة منح لبعض أركان الجمعية الاصلاحية البيرونية ، ومنهم سليم علي سلام وأحمد مختار بيهم .

ولقد نجا الرجال من بطش جمال باشا الذي لم يكذب ينجو منه أحد من رجال الحركة الاصلاحية والمؤتمر من فيهم الزهراوي وعبد الكريم الخليل اللذين كانا من دعاة الانسجام والانابة والقبول بما اعطته الحكومة كخطوة أولى ، والمرجح ان هذا الامتياز واصحابه من الاصلاحيين هو ما قصده حقي العظم في رسالته وانهم ممن قصدهم كتاب (ايضاحات) وكاتبه الذين قال انهم تراجعوا واكتفوا بما فعلته الحكومة .

ومجب ألا ننسى تأثير الفئة الثالثة فيما كان من تجمد الحركة الاصلاحية ووقوفها عند الحد الذي وقفت عنده ، فقد كانت تندفع في تصويب كل ما فعلته الحكومة الاتحادية والأطناب به ، ولوم الاصلاحيين واتهامهم . ولقد كانت الفئات الوجهية النافذة في البلاد تتأثر بهذه الفئة أكثر من الفئتين الأولى والثانية ، ضمناً لمصالحها لدى الحكومة . ولقد كانت أكثرية المسلمين العظمى وهم السواد العربي الأعظم غير منفعة بالتيار السياسي . وكانت الصفة الدينية التي تعيشها تجعلها منسجمة مع الدولة العثمانية التي كانت تتسم بسمة دولة الخلافة الاسلامية .

والواضح أن جمعية الاتحاد والترقي مرت في طورين أولهما طور الدعوة الاصلاحية على يدي مدحت باشا وأنور باشا ونامق كمال منذ أيام السلطان عبد العزيز حينما استقطبت عدداً من المثقفين والافندية ، وقد برز قاداتها محمود طلعت بك وجمال باشا ، وكان مركز نشاطها الرئيسي في سالونيك (١) الى جانب مراكزها الأخرى في باريس وجنيف والقاهرة ، وقد وصل قادة هذا الطور الى الحكم وشكلوا قيادة ثلاثية الا أن التخريب الماسوني ما لبث أن انحرف بالحركة حتى انشق عنها حزب « الائتلاف والحرية » الذي لعب دوراً محدوداً قبل أيلولة الأوضاع الى الحكومة الكمالية .

والواقع ان السلطان عبد الحميد يشير في مذكراته الى ندم أنور باشا وجمال باشا في مذكراتهما لاحتماهما الفرصة للماسونية والدوثة مما أدى الى تخريب الأوضاع وأبعادهما عن الحكم بعد مقتل شريكهما محمود طلعت الذي كان القائد العسكري والمنفذ الأول للانقلاب الدستوري ضد عبد الحميد ، وكان بدوره عربياً وماسونياً مرهوقاً .

وعلى الصعيد العربي تغلغلت في حزب اللامركزية بعض القيادات المشبوهة والضالعة في التعاون مع الانكليز أو الفرنسيين الى جانب وجود عناصر وطنية ، وكان الصراع بينهما واضحاً ، تماماً كما هو الحال في معظم الجمعيات العربية السرية الأخرى . والمدقق لوثائق تلك الحقبة التاريخية يجد الكثير من الحقائق الصارخة ، والمؤسفة ، وكان بعض الأشخاص موضع استنكار زملائهم ولم يخف الآخرون تمويل فرنسا وبريطانيا لعشرات الطلبة العرب منتهزين فرصة الحرب العالمية وانقطاع وارداتهم وقد أشرنا لبعضهم في سياق البحث .

(١) سالونيك ميناء في اليونان الآن . دخل حوزة العثمانيين في عهد السلطان مراد الاول (١٣٢٩-١٣٨٩) كانت محلاً للتنازع بين العثمانيين والبيزنطيين لكن العثمانيين أكدوا سيطرتهم عليها بشكل تام عام ١٤٣٠ . وجعلوا تابعيتها لولاية الروي . أصل شعب هذه المدينة يهود أسبان . ظلت هذه المدينة في حوزة العثمانيين حتى حرب البلقان حيث تنازلت عنها الدولة العثمانية لليونان .

الفصل الرابع

جمال باشا وقضية «الشهراء» في بيروت ودمشق

في بداية الحرب الأولى أبعد الاتحاديون بعد تولي جمال باشا لولاية سوريا جميع التراجم العاملين في قنصليات دول أجنبية، ومنهم فيليب زلز ترجمان القنصل الفرنسي ببيروت، فتوسط له قنصل المانيا، ووعد فيليب أن يعلم الاتحاديين أشياء هامة وحقائق لا يعرفها غيره اذا عفو عنه، وأخبر جمال باشا بأن في قنصلية فرنسا أوراقا مدفونة في حائط الغرفة فعثروا عليها ومن بينها مخابرات القنصل والسفارة ووزارة الخارجية وضمنها المنشور الذي قدمه السيد خليل زينية صاحب جريدة «الثبات» نيابة عن أصحاب الامضاءات من أعضاء «جمعية النهضة اللبنانية» بوصفهم ممثلين للمسيحيين في لبنان بمختلف طوائفهم وهم يعتبرون فرنسا حامية النصارى العثمانيين ويطالبونها بالاستيلاء على سوريا ووضع بيروت وملحقاتها تحت المراقبة والحماية الفرنسية.

ونظراً للأهمية السياسية للموضوع فقد قبض على من وجدت لهم مراسلات في القنصلية واقتيدوا للمحاكمة في الديوان العرفي بعاليه.

وفي مذكرات أحمد جمال باشا المخطوطة — باللغة الفرنسية والمحفوظة بباريس حتى الآن، نجد الكثير من المعلومات المتصلة بموضوع الجمعيات السرية ومؤتمر باريس العربي ١٩١٣م فضلاً عن قضية الاعدامات التي تناولت نجو ستين شخصية عربية بين عامي ١٩١٥—١٩١٦م فماذا يقول جمال باشا في مذكراته :

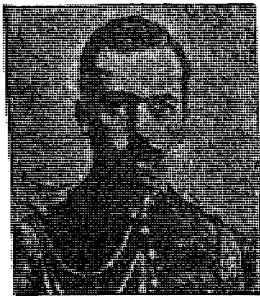
(كنت شخصياً موافقاً على استعمال اللغة العربية ومنح العرب بعض الامتيازات الادارية، فطلبت عبد الكريم الخليل زعيم الحركة الثورية العربية وغمرته بعاطفتي واحساني وبواسطته اجتمعت ببعض زعماء الثورة وأخص منهم بالذكر د. عبد الرحمن شهنندر (أكثرهم اندفاعاً) وصاحب «المفيد» عبد الغني العريسي أحد كبار منظمي المؤتمر العربي بباريس، محمد كرد علي صاحب «المقتبس» الشهيرة وبسطت لهم خطة الحكومة وأكدت أن تحرير العالم الاسلامي من التير الأجنبي ممكن تحقيقه لو عقد النصر بألويتنا، وقد وافقوا على أقوالي واقسموا بالله وبشرفهم أن يحافظ عرب سوريا وفلسطين على ولائهم للدولة.

وانتهز هؤلاء الفرصة فأبدوا حاجتهم الى المال، لاسيما عبد الكريم الخليل، فاستجبت لهم، وغمرته مع كرد علي والعريسي بالأموال الطائلة ومنذ ذلك الحين أصبحوا خدماً مطيعين.

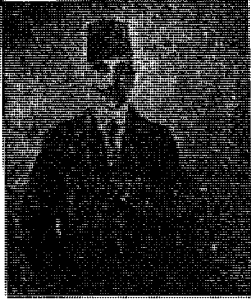
وبذلت جهدي لخلق جو من الحمية الدينية فأقمت خطة بالتعاون مع أولئك الزعماء «الاصلاحيين» وتبارى الشعراء والخطباء، ثم ألقى خطبة بينت فيها أننا مخلصون للغة العربية باعتبارها لغة الدين الخفيف، ونحب الشعب العربي الذي تجمعنا به وحدة العقيدة الدينية، وأن حركة الجامعة التركية، التي شهدتها الاستانة لا تتضارب مع المطامح العربية.

وأحدثت الخطبة أثراً حميداً في الحاضرين وتوافد كبارهم للاعراب عن شكرهم، وبعد أيام تظاهر سكان دمشق معربين عن ولائهم للدولة معاهدين على المساعدة ضد مطامع الانكليز والفرنسيين.

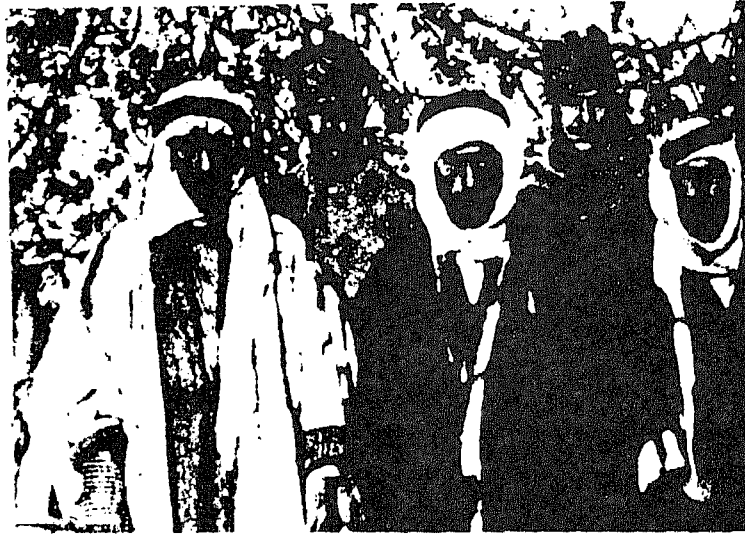
وأمرت بعدم مصادرة أي شيء أو بدفع أثمان الحاصلات المشتراة نقداً، كما حرصت على اصطحاب عدد من «الاصلاحيين» أينما ذهب تعزيزاً لمكانتهم في قومهم.



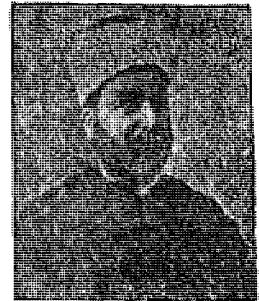
أمين الفايظ



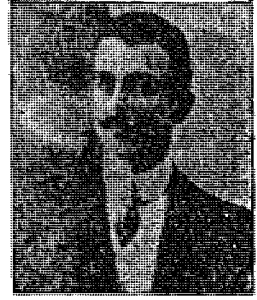
عبد الوهاب الاككليزي



الأمير عارف الشهابي يتوسط عمر حمد وعبد الغني العريسي في زعيم البدوي خلال محاولتهم الاختفاء عن أنظار رجال باشا قبيل إعدامهم



عبد الحميد الزهراني



الأمير عارف الشهابي



رشدي الشمعة



عبد الكريم الحليل



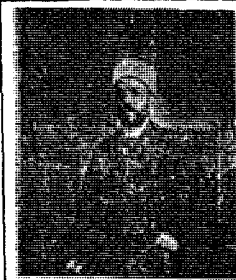
شكري العسلي



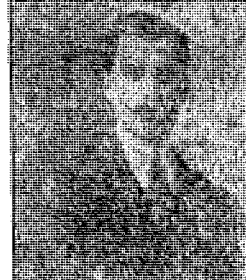
محمد المحصالي



نايف القلبي



الشيخ حسن طيارة



عبد الفتحي العربي



جلال الدين البخاري



محمد الموصلي



عمر حمد



عبد القادر الحرسي



علي الأرمازي



توفيق البساط



عارف الجندي

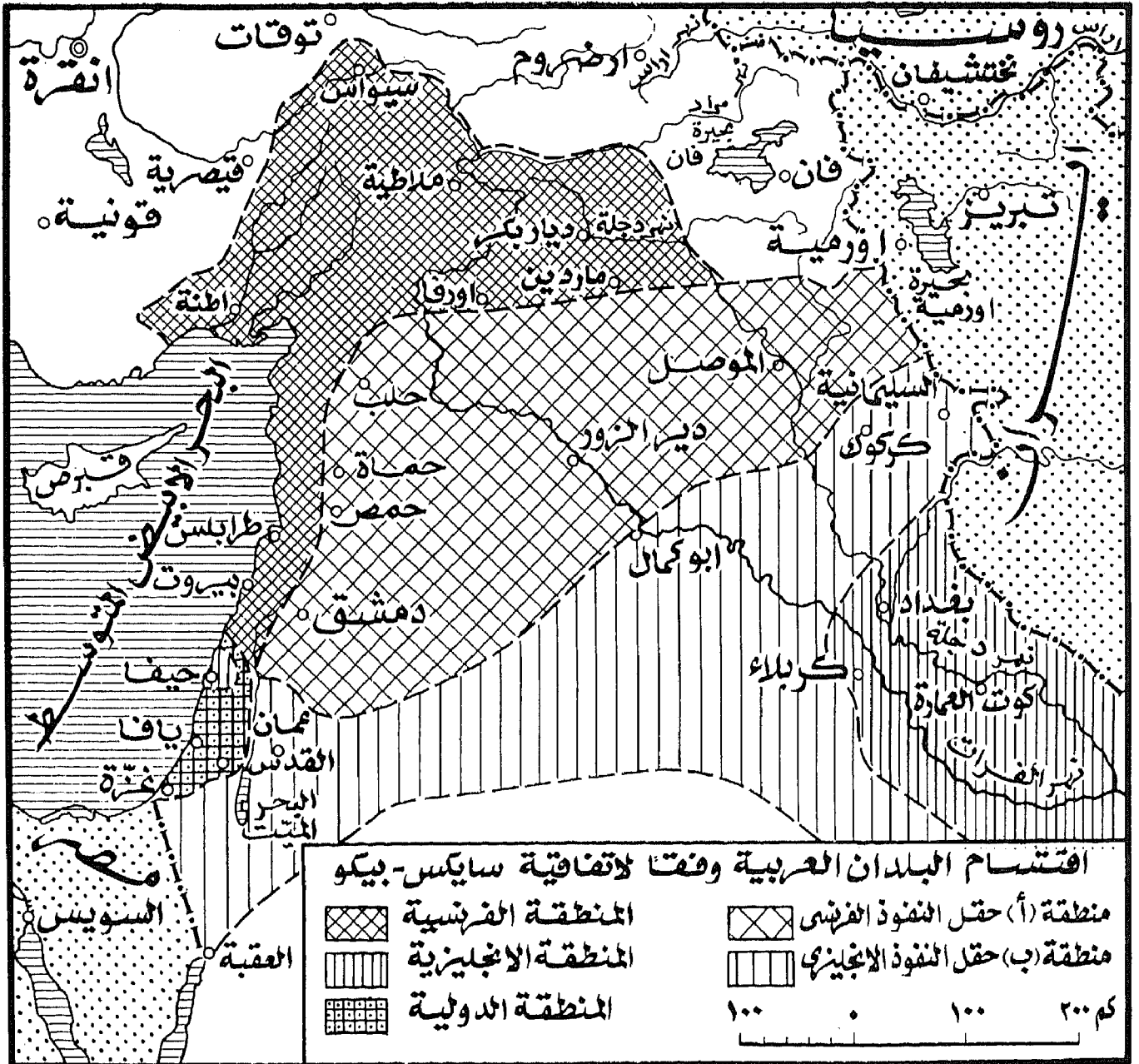


سعيد عقل

وأشيع أن نصارى لبنان يستعدون للثورة لدفعي لتجريدهم من السلاح فرفضت مؤكداً لهم احترام جميع امتيازاتهم القديمة وجاء ثلاثة أساقفة لابلغي بشكر المونسنيور الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونية وللأعراب عن ولائهم وإخلاصهم .

ولكن بعض المشبوهين من الموارنة والدروز أثاروا اضطرابات بتحريض من فرنسا وانكثرتا فالتحذت الاحتياطات لردعهم وفرضت عليهم الإقامة الجبرية بالقدس وتم وضع قائمة باسمائهم بايعاز من الاصلاحيين وبمشورة بعض زعماء لبنان .

ولا أراني قد أحسنت صنعاً بنفيهم فهم الذين ساعدوا فيما بعد ببسط الحماية الفرنسية ، ويضيف :



(جاء الشيخ أسعد الشقيري، مفتي الجيش فاخبر بأن جماعة الاصلاحيين يعدون للثورة وان كامل بك الأسعد مبعوث بيروت يملك معلومات تفصيلية .

وحضر كامل الأسعد للقدس وقال: ان رضا بك الصلح مبعوث بيروت الأسبق بالتعاون مع عبدالكريم الخليل يقومان بتنظيم العصيان في جهتي صور وصيدا.

وأصدرت التعليمات للتحقيق فأسفر بعد أسبوعين عن ادانة كل من: رضا بك الصلح وعبدالكريم الخليل فأمرت بالقبض عليهما مع أنصارهما، وانذاك أيقنت أن من الحق وضع الثقة بأولئك «الاصلاحيين» وصممت على اتخاذ الاجراءات الصارمة ضد كل خائن).

ويقول: (مع أنني كنت موقنا بأن أمثال رفيق العظم والشيخ رشيد رضا وعبدالكريم الخليل لا يترفعون عن أن يبيعوا أنفسهم للانكليز والفرنسيين فلقد استبعدت كل الاستبعاد أن رجلا مجريا مثل الشريف حسين، وقد شابت لحيته وأصبحت قدمه على حافة القبر، تصل به القحة وتدفعه الانانية والمطامع الشخصية إلى حد المغامرة بمشروع سيؤدي تطوره حتما إلى الاذلال للعرب بل للعالم الاسلامي بأسره).

وقد أورد جمال باشا في مذكراته عددا من الوثائق التي سبق أن نشرها في كتاب «حقيقة المسألة السورية» في معرض التدليل على ادانة الذين تناولتهم محاكمات الديوان العرفي بعالیه وتم اعدام من أمكنه القبض عليهم منهم، ومن هذه الأدلة التي أوردتها:

١ - كتاب القنصل الفرنسي العام بدمشق إلى وزارة الداخلية الفرنسية بخصوص التدخل بقضية نخلة باشا مطران.

٢ - كتاب نخلة مطران إلى مسيو كوجيه قنصل فرنسا العام في سورية الذي يعرب فيه عن تأييد النصارى العثمانيين وآمال النصارى السوريين بتأييد فرنسا باعتبارها الحامية الطبيعية لهم.

٣ - كتاب سلمه محرر جريدة «الصلاح» العربية جوزيف الهاني إلى المسيو بيريه لتسليمه للقنصل الفرنسي العام ويتضمن التأكيد بشدة اهتمام الطوائف المسيحية اللبنانية بفرنسا وتفويضهم للموقعين بوصفهم لجنة تنفيذية للمطالبة بـ:

أ - احتلال فرنسا لسورية.

ب - استقلال ولاية بيروت تحت حماية ووصاية فرنسا.

ج - ادماج ولاية بيروت في لبنان الذي سيكون تحت سيادة فرنسا الفكرية.

وقد وقعه كل من:

١ - ميشيل تويني (أرثوذكسي) مترجم القنصل الفرنسي بالقاهرة وعضو حزب اللامركزية.

٢ - جوزيف هاني (ماروني) صحفي وعضو جمعية بيروت الاصلاحية.

٣ - بيتر طراد (أرثوذكسي) عضو بيروت الاصلاحية.

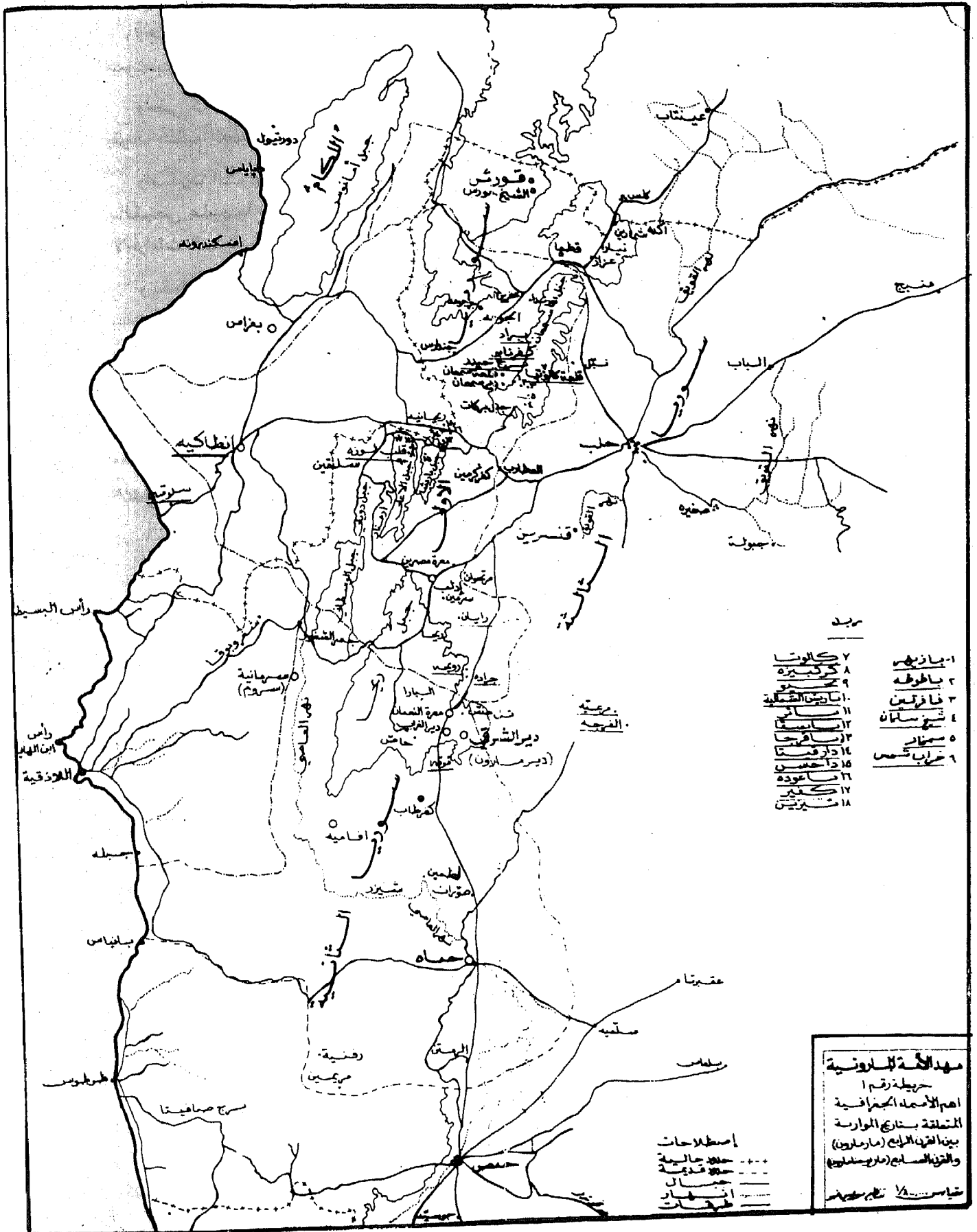
٤ - الدكتور أيوب ثابت (بروتستانت) عضو بيروت الاصلاحية.

٥ - رزق الله أرقش (كاثوليكي) صحفي عضو بيروت الاصلاحية.

٦ - خليل زينية (كاثوليكي) عضو بيروت الاصلاحية واحد منظمي مؤتمر باريس.

وهؤلاء جميعا أعضاء مؤسسون في جمعية «النهضة اللبنانية» أولى الجمعيات السرية اللبنانية التي أنشأها فيليب الخازن مترجم القنصلية الفرنسية آنذاك بالاضافة إلى زملائه دعبس المر، يوسف الغلبنوني، اسكندر عمون، نعم مكرزل، شكرى غانم، الذي سبقت الاشارة لعلاقته الحميمة بفرنسا مع بقية زملائه.

وقد أكدت حفيدة داود عمون الفرنسية الجنسية في اطروحتها للدكتوراة صحة هذا الكتاب وأوردت نصه وأسماء موقعيه في معرض الاعتزاز بدورهم الرائد في طلب الحماية الفرنسية وانشاء لبنان المستقل.



كما أورد فايز النصين ضمن مذكراته ص ٤١ وثيقة اتهامه التي قدم بموجبها للديوان العرفي وفيها ادانة صريحة له مع زملائه بالاتصال بالقتل البريطاني والاستعانة بالانكليز للاطاحة بالحكومة العثمانية (انظر الملاحق).

كما أوردنا في الملاحق نصوص الوثائق التي وردت ضمن مذكرات جمال باشا.

واستنادا إلى هذه الوثائق وغيرها أصدر الديوان العرفي بعالیه أحكامه على عدد كبير من الشخصيات العربية التي تراوحت ما بين الاعدام والاشغال الشاقة المؤبدية والسجن لمدد طويلة، وكان نخلة مطران باشا قد حكم بالاشغال الشاقة المؤبدية إلا أنه قتل خلال محاولته الهرب من حراسه بينما كانوا ينقلونه من لبنان إلى الاستانة.

أما القافلة الأولى من الذين أعدموا شنقا في بيروت يوم ١٤ آب (أغسطس) ١٩١٥ م فقد شملت: عبد الكريم الخليل، محمد المحمصاني، محمود المحمصاني، نور الدين القاضي، صالح حيدر، عبد القادر الخرسا، علي الأرنازي، سليم عبد الهادي، محمود العجم، نايف تللو، ومحمد مسلم عابدين.

بينما تم توزيع القافلة الثانية ممن حكموا بالاعدام يوم ٦ أيار (مايو) سنة ١٩١٦ لتنفيذ الحكم في عدة مدن، فتم في ساحة المرجة بدمشق اعدام: شفيق المؤبد، عمر الجزائري، عبد الحميد الزهراوى، شكرى العسلى، عبد الوهاب الانكليزي، رشدى الشمعة، ورفيق رزق سلوم.

وفي ساحة البرج ببيروت نفذ حكم الاعدام بـ: عمر حمد، محمد حسين الشنطي، عبد الغني العريسي، عارف الشهابي، توفيق البساط، أحمد طيارة، سيف الدين الخطيب، سعيد عقل، بتروباوى، جرجى حداد، سليم الجزائري، أمين لطفي الحافظ وجمال البخاري.

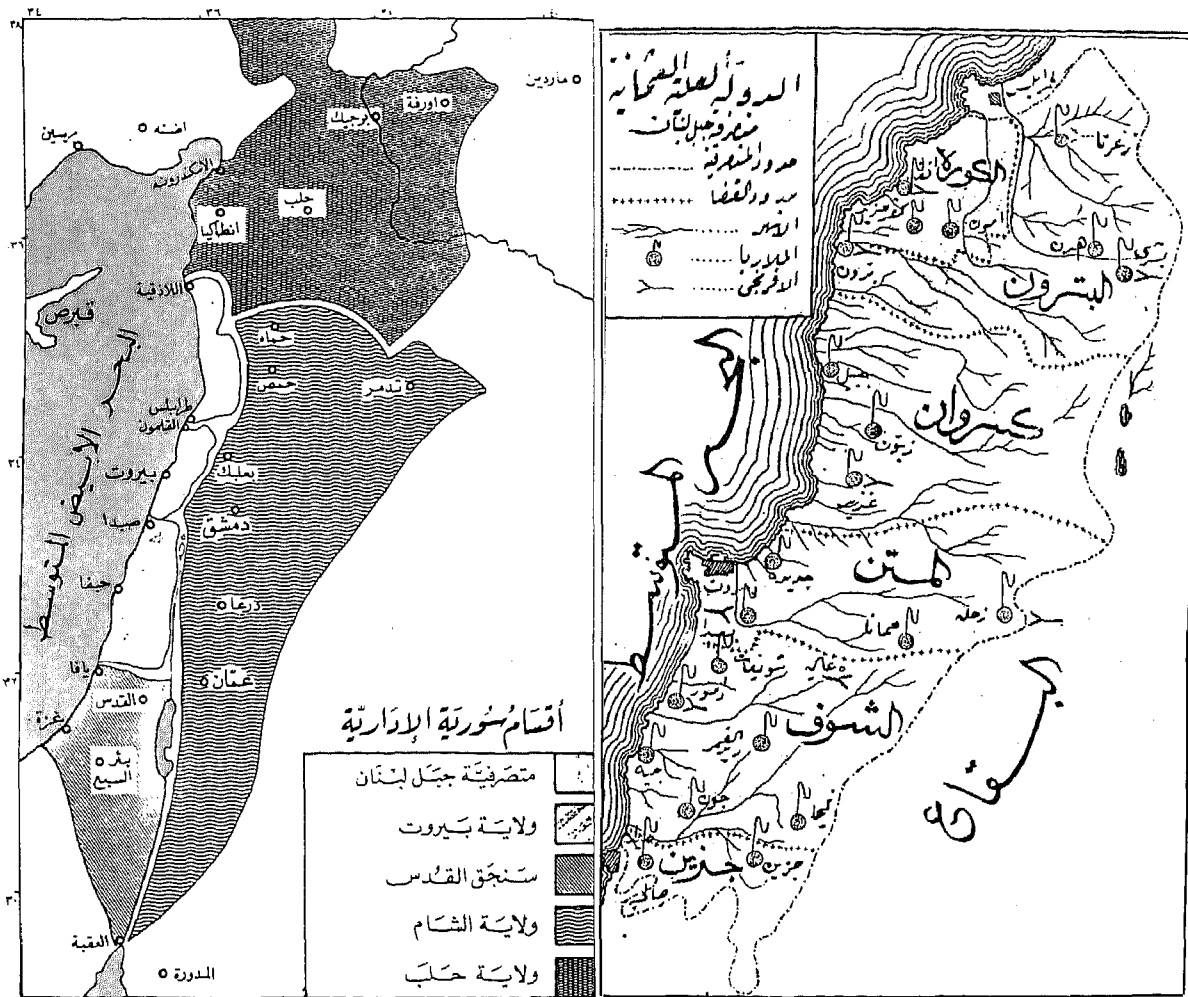
وفي ساحة باب العمود بالقدس تم اعدام: أحمد عارف الحسيني، مصطفى أحمد الحسيني، وعلي الحاج عمر النشاشيبي. كما صدرت أحكام بالاعدام غيايبا على عدد آخر من رجالات العرب.

وقد أصدر جمال باشا بيانا أوضح فيه أن الأحكام شملت بعض الاشخاص المنتسبين إلى حزب اللامركزية ممن أثبتت الوثائق التي عثر عليها في قنصلية فرنسا اتصالاتهم الأجنبية إلى جانب اعترافات عبد الغني العريسي صاحب «المفيد» وسيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا، ورفيق رزق سلوم الضابط الاحتياطي ورفقائهم الآخرين. كما حكم سليم مظلوم (خمس سنوات) توفيق الناطور ويوسف مخبير وسليمان حيدر (١٠ سنوات)، حسين حيدر (١٥ سنة) رياض الصلح (نفي مؤبد)، طاهر الجزائري (١٠ سنوات في الكرك)، رضا الصلح وأسعد حيدر (اعادتهما للنفي).

وبرأت المحكمة كلا من محمد افندى، كامل الهاشم، ابراهيم القاسم، سامى العظم، جمال الدين الخطيب، عبد الحميد معلم، محي الدين فريجة، حسين صبري، رشدى الشوا، عاصم بيسسو، عزت الاعظمي، مصطفى الكيلاني، عبد الرحمن حنونة، الدكتور حسام الدين أبو السعود، نجيب شقير، الشيخ فتح الله، الدكتور أحمد قدرى، سليم طيارة، جميل الحسيني، سيد الباني، سليم الشمعة، سليم البخاري، فايز الخوري، ورشيد الحسامي، عمر الاتاسي، البكباشي علي رضا، الدكتور سعيد قزما، سعيد عدوه، الدكتور عبد الحفيظ، البوزناشي جميل، فريد باشا اليافي، وعثمان العظم.

كما أوضح البيان أنه سيتم — استنادا للمحاكمات وما لديها من وثائق ابعاد نحو مائتى شخص مع عائلاتهم إلى بعض ولايات الاناضول مع ترتيب أمراعاتهم ورفاهيتهم في مناهم حيث سيعطون اراض وأملاك تعادل أملاكهم وأرضهم في سورية.

ولعل من المفيد أن نذكر أن فرنسا ما لبثت أن دخلت بجيوشها بيروت ودمشق فور انتهاء الحرب العالمية الأولى تطبيقا لاتفاقاتها مع بريطانيا وروسيا القيصرية التي تحولت آنذاك الى بلشفية وكشف اتفاقيات الحلفاء مع القيصرية



بينما دخلت بريطانيا القدس وبغداد.

وما كان لقوات بريطانيا وفرنسا ان تدخل العواصم العربية ليعلم قادة جيوش الاحتلال بكل صلف وخيلاء وبمتهنى التحدى أمام بيت المقدس أو عند ضريح صلاح الدين عن هويتهم الصليبية وأحقادهم الدفينة ورغبتهم في اذلال شعوب الشرق لا شىء الا لكونها مسلمة ومن أحفاد صلاح الدين ما كان لهذا الموقف أن يتم بهذه البساطة ودون اراقة قطرة دم واحدة بل وبمساعدة قوات البادية العربية لولا نجاح فرنسا وبريطانيا في اختراق صفوف الأمة وغسل دماغها من خلال أدعغة أبنائها وفلذات أكبادها الذين أوفدتهم لتحصيل العلم والنور في عواصم النور والحرية، فعادوا إليها مشبعين بالشعارات والشقافة والمفاهيم التي سهلت للقوات العسكرية الاستعمارية اقتحام أمنع الحصون الاسلامية التي طالما استعصت عليهم حتى نجاحهم في إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني.

ولن يفيد بالطبع تبرير الموقف على أنهم ذهبوا ضحايا نواياهم الحسنة فالتاريخ لا تهمة الا النتائج وقد كانت نتائج أعمالهم جد وخيمة فكافأهم الاستعمار بالاشادة بذكراهم وباطلاق نعوت البطولة والفداء على أفعالهم.

كما لا يفوتنا الاشارة إلى أن الاحتلال الفرنسي أو الانكليزي للبلدان العربية اعتمد طيلة فترة وجوده على عدد كبير من «قادة» ورجال تلك الجمعيات السرية والعلمنية وسلمهم المناصب الرئاسية والوزارية والقيادية في مختلف البلدان وكانوا «نجوم» عهود الانتداب، بينما إنزوى العديد من القيادات المخلصة بعيدا عن الحكم والسلطة أو في المنافي الاختيارية.

البَابُ السَّابِعُ

الخلافة والجامعة الإسلامية غروب وشرق

الفصل الأول : الأفتاني ودرسته في الجامعة الإسلامية .

الفصل الثاني : الحركات الإسلامية والجامعة الإسلامية
(السلفية - الشوكانية - المهدية - الحنبلية)

الفصل الثالث : الخلافة العربية في الوثائق البريطانية .

الفصل الرابع : الجامعة الإسلامية والفكر المعاصر .
(الخلافة في إشريعة بين الموجود والنفى)



جمال الدين الأفغانى

الفصل الأول

الأفغاني ومدرسته في الجامعة الإسلامية .

اشتهر جمال الدين الافغاني بأنه الرائد الأول لدعوة «الجامعة الإسلامية»، خلافاً للحقيقة، ورغم الدور الذي لعبه العديد من المفكرين الذين ينتمون إلى مدرسته الفكرية والسياسية ودون اغفال للأثر الذي أحدثته «العروة الوثقى» في باريس وأوروبا تجاه فكرة الجامعة الإسلامية.

وإذا كان العديد من المستشرقين والمؤرخين الغربيين يقدمونه على غيره في هذا المجال فإن لذلك أسباباً عديدة كما سنرى بعد قليل، أما الفكرة بحد ذاتها فبعضهم ينظر إلى السلفية كمصدر لفكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها أسبق حركات الإصلاح الإسلامية في العصر الحديث (١) بينما يعزو الآخرون مصدر الفكرة إلى الفكر الصوفي والنظرة الامامية الإشرافية التي اعتنقها السلطان عبدالحميد كما بينا في الباب الأول.

ومهما يكن الامر فإن جمال الدين الافغاني يقرن ذكره بفكرة الجامعة الإسلامية سلباً وإيجاباً بصورة أو بأخرى، وقد أوردنا جانباً من أقواله وكتابات ومواقفه حولها في الباب الثاني وكان لا بد أن نفرّد لمدرسته هذا الفصل ازاء الوثائق العديدة والحقائق الدامغة التي تكشف حول شخصيته والانغاز التي أحيطت بها لاسيما انه دفع حياته ثمناً لقوله: (ان على الأمة أن تبايع حاكمها بعد أن تشترط عليه وبعد أن يقسم على الأمانة والخضوع لقانونها الاساسي وتتوجه على هذا القسم وتعلن له: يبقى التاج على رأسه ما بقى محافظاً أميناً على صون الدستور وانه اذا حنث بقسمه وخان دستور الامة أما أن يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس) (٢).

ثمّة تساؤلات عديدة حول طبيعة علاقاته ببريطانيا وسبب اختيارها له أكثر من مرة للمشاركة في الوفد الذي أرادته ان يفاوض زعيم الثورة المهدية في السودان، حينما أفضّت مضاجعها، بل وصل بها الأمر إلى حد ترشيحه ليكون ملكاً على السودان (٣)

وثمة تساؤلات عن حقيقة المهام التي قام بها خلال رحلاته إلى كل من الهند وإيران وروسيا فضلاً عن زيارته للندن ثلاث مرات. وثمة تساؤلات عن أسباب انتسابه للمحفل الماسوني الاسكتلندي بمصر وسرعة صعوده، لزعامه ذلك المحفل ثم انسحابه وتأسيس محفل ماسوني «وطني» تابع للشرق الفرنسي.

وثمة تساؤلات عن أسباب خلافه مع الحديوي وأبعاده عن مصر وعن آثار ذلك الخلاف على طلابه ولا سيما محمد عبده وموقفه من الحركة الوطنية المصرية وعن صداقاته للعديد من المشبهين اليهود والنصارى والتساؤلات لا تنتهي بالنسبة للصدى الواسع الذي أحدثته وفاته أوساط اصدقائه الكثيرين من مبشرين والمستشرقين.

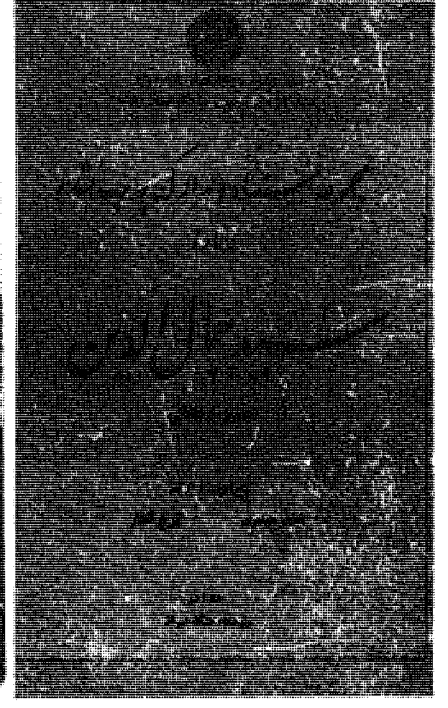
بل إن التساؤلات دارت أخيراً حول صحة اسمه ونسبه أهو: أفغاني، أم فارسي، كابلي، أم حسيني. وفي كتاب «الأفغاني، ذكريات وأحاديث» يذكر المؤلف أنه سأل الافغاني عن المبدأ الماسوني ومختصر تاريخ الماسونيين فأجاب:

(ان الماسونية نشأت في أوروبا وكان الغرض من نشوئها في الاصل إضعاف السلطة البابوية فقلت له: اذن هي مسيحية محضة في نشأتها وفي أغراضها التي ترمى إليها فما لها ولغير المسيحيين؟ فقال الافغاني:

(١) انظر: د. محمد عمارة (الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل) المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت.

(٢) انظر د. محمد عمارة (الاعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص ٤٧٨

(٣) انظر كتاب سيد أصغر مهدوي وإيرج أفشار «سيد جمال الدين مشهور به أفغاني» جامعة طهران ١٣٨٣ هـ.



جمال الدين الأفغاني في صورتين إحداها بالعمامة الفارسية والثانية بالطربوش العثماني!

غلاف كتاب «سيد جمال الدين» لمؤلفه: أصغر مهدوي وإبرج افشار الذي سلط أضواء جديدة على سيرة «الأفغاني»!

إن السبب الأصلي في قيام الماسونية هو ما قلناه من مقاومة سلطة البابا لكن أربابها لما دونوا تعاليمها رأوا تقوية لها أو لأنفسهم أن يوسعوا نطاق تلك التعاليم بحيث تسمح لغير المسيحيين أن يدخلوا فيها واعدوا من أبنائها، وبذلك أصبحت الماسونية شعبة سياسية أو حزباً سياسياً لا شائبة للدين فيه غير أن دعائها يشترطون على من أراد الانتساب إليها أن يكون معتقداً بوجود الله وبقاء النفس من حيث يؤدي ذلك إلى سلامة البشر من الاتحاد والافاضة المدنية على مجتمعه).

ويقول الدكتور محمود قاسم في كتابه «جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته» (إن الأفغاني قد انضم إلى الماسونية عام ١٨٧٨ م، وتقدم في مراتبها تقدماً سريعاً وجعل يقفز هذه المراتب قفزاً لجودة استعداداته حتى أصبح من الرؤساء بعد وقت قصير (١)).

(لكنه ما لبث أن أدرك أن المبادئ الماسونية «المثالية» لا تطبق بالفعل فكانت القطيعة بينه وبين المحفل الاسكتلندي عاصفة فقد هاجم سياسة بريطانيا في اجتماع غير عادي حضره ولي عهد بريطانيا (٢) ثم أنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي جمع فيه طلابه ومريديه وبلغ عددهم نحو ثلاثمائة عضو وقسمه إلى شعب تهدف لأغراض عديدة فهناك شعبة لرفع شأن الضباط المصريين لتحقيق المساواة بينهم وبين الشراكس وهناك شعبة خاصة بالحقانية (العدلية) وأخرى للمالية ورابعة للاشغال وهكذا لبقية المصالح، وقد أظهر له الخديوي توفيق أنه يقدر النصيحة ووعده بالاصلاح لكنه غدر به لنفوره من رجال أمثال: محمود سامي البارودي عبدالسلام المويلحي وأخيه ابراهيم والشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني وعلي مظهر وأبي الوفا القوني وسليم النقاش وأديب اسحق وعبدالله نديم وغيرهم ممن اصطحبهم إلى مسيو تريكو الممثل السياسي لفرنسا وإلى رئيس الوزراء الجديد طالباً باسم الماسونية الافراج عن المسجونين).

(١) انظر ضمن الملاحق وثيقة موهورة بتوقيعه لطلب إنتسابه للماسونية، وأخرى بتعيينه رئيساً للمحفل «كوكب الشرق الماسوني»، إلى جانب مراسلاته المتبادلة مع الانكليزية آنا بلند التي لعبت مع زوجها بلند دوراً معروفاً خلال الحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال الانكليزي فيما بعد.

(٢) إن هذه الرواية إن صحت من شأنها أن توجه أصابع الاتهام لبريطانيا نفسها في قتل الأفغاني والتخلص منه في استانبول نفسها دفعاً للشبهات عنها وللإصاق التهمة بالسلطان عبد الحميد يحقق لها هدفين معاً، وليس ذلك بمستغرب إذا ذكرنا ما فعلته بريطانيا بالعديد من عملائها حينما استنفذت أغراضها منهم وبانت تخفى الخطر من قبلهم.

ولعل من المناسب الإلمام بقصة دخول «الماسونية» الى مصر، والتي يرجعها بعضهم الى حملة نابليون بونابرت حينما انشأ كليبر محفل «ايزيس» عام ١٧٩٨ م ، إلا أن السنوات الثلاث، التي أمضاها علماء وجنود الحملة، لم تكن كافية لقطف ثمار الغرسة التي غرسوها، ولكن الثابت كما يشير الى ذلك حنا أبي راشد مؤلف «دائرة المعارف الماسونية المصورة» الصادرة ببيروت عام ١٩٦١ م، الطبعة الأولى:

أسس الإنكليز، في ١٢ يوليو ١٨٦٢ م، أول محفل بشرق الاسكندرية، رقم ٩١٩، أسموه «سان جون» ثم استأنف عمله، بعد انقطاعه، ١٨٦٧ م، وإلى جانبه تأسس محفل «سان بول»، ولما كانت مصر، تابعة للدولة العثمانية سياسياً، فقد أسس المحفل الأكبر الإقليمي الإنكليزي بالآستانة أيضاً، محفل «هيدكلارك» بشرق الاسكندرية، ومحفل «بلوار» رقم ١٠٦٨ بشرق القاهرة، عام ١٨٦٥ م، ثم محفل «جربسيا» رقم ١١٠٥ عام ١٨٦٦ م بشرق القاهرة.

ثم انفصلت المحافل الإنكليزية عن الآستانة، وتبعت لندن رأساً، وعلى هذا الأساس، أنشئ محفل «زنلاند» رقم ١١٥٧، تشبث في القاهرة عام ١٨٦٧ م، تبعه محفل «الكنكورديا» رقم ١٢٢٦، بشرق القاهرة، عام ١٨٦٩ م، ثم محفل «ذي ستار أف ذي إيسيت» رقم ١٣٥٥، بشرق القاهرة عام ١٨٧١ م وهو الذي اشتهر فيما بعد بمحفل «كوكب الشرق» أو «لوج كوكب الشرق» الذي انتسب إليه جمال الدين الأفغاني وما لبث ان أصبح رئيسه، نظراً لعلاقة الأفغاني في الماسونية وضلوعه فيها منذ نشأته في بلاد إيران والأفغان والهند.

وقد كان هذا المحفل وفقاً على المصريين حتى جاء الأفغاني وترأسه في غضون فترة قصيرة من إقامته وانتسابه إليه، وكان ممن يضمهم هذا المحفل: محمد عبده، وسعد زغلول.

أما محفل «بلوار» فقد تأسس في قصر النهضة بشبرا عام ١٨٦٥ م، أي قصر الأمير حليم باشا الذي «تكرس» فيه الأمير في حفلة شهدها أقطاب الماسونية العالمية وعلى رأسهم ولي عهد إنكلترا الذي أصبح «الملك إدوارد السابع»، وقد رقي الأمير حليم إلى أعلى درجات الماسونية وعينه المحفل الإنكليزي الأعظم، استاذاً أعظم إقليمياً، للديار المصرية، عند زيارته لبريطانيا عام ١٨٦٧ م.

ويورد «أبي راشد» في موسوعته الماسونية صفحة من مجلة «النديم» السنة الأولى — العدد السابع بتاريخ ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٦٦ جاء فيها:

«ذات يوم كان يخاطب أحد الأحرار في المحفل الاسكوتلندي، وجمال الدين الأفغاني يصغي إليه، وقد بقي مالكاً عنان نفسه حتى وصل الخطيب الى قوله:

«إن الماسونية لا دخل لها في السياسة وأنا أحشى على محفلنا من بأس الحكومة وبطشها» فنهض جمال الدين الأفغاني وقال:

«كنت أنتظر أن أسمع وأرى في مصر كل غريبة وعجيبة ولكن ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكنه أن يدخل من بين اسطواناتي المحافل الماسونية.

إذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون — وفيها كل بقاء حر، وإذا آلات البناء التي بيدها، لم تستعمل لهدم القديم، ولتشيد معالم حرية صحيحة، وإخاء ومساواة، وتذك صروح الظلم، والعتو والجور، فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة، ولا قامت لبنائهم زاوية قائمة.

أما نحن معشر الماسون، فهدفنا الأول: حرية، مساواة، إخاء — ففرضنا السعي وراء ذلك صروح الظلم وتشيد معالم العدل المطلق.

الماسونية هي عزة نفس وشمم، واحتقار الحياة في سبيل مقاومة من ظلم.

هذا هدف الماسونية الأول ومن أجل هذا انخرطت في سلوكها الشريف»

ثم أسس الإنكليز محفلهم الأكبر الإقليمي، لمصر والسودان، عام ١٨٩٩ م، وانتخبوا اللورد «كشنر»



أحد الرموز
المستعملة في
المحافل الماسونية



صورة كتاب
«خاطرات سلطان
عبد الحميد» الذي
كشف فيه الأدوار
التي لعبها الأفغاني
مع بقية خصوم الخلافة.

استاذاً أعظم له ، فاحتج-إدريس بك راغب الاستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري ، وكانت النتيجة عدم تأسيس محافل مصرية في السودان ، حيث انفردت فيه المحافل الانكليزية !

وقد قبل الخديوي اسماعيل حماية الماسونية المصرية ومن بعده الأمير توفيق كما أصبح الأمير حليم الاستاذ الأعظم ، وصار الملك فؤاد الأول فيما بعد رائداً للماسونية المصرية ، كما اشتهر من الماسونيين في مصر :

- جرجي زيدان : مؤلف كتاب «تاريخ الماسونية العام» وأحد كبار خصوم عبد الحميد الثاني .
- شاهين مكاربوس : مؤلف كتاب «الآداب الماسونية» ورئيس محفل اللطائف بالقاهرة وأحد رواد فكرة القومية العربية !
- الأب اليسوعي لويس شيخو: مؤلف كتاب «السر المصون في شعبة الفرماسون» وأحد كبار المبشرين في الوطن العربي .
- فهمي صدقي المصري : أمين السر الأعظم للمحفل السوري العربي ومؤلف كتاب «الماسونية» .
- الأمير عبد القادر الجزائري : أول من أدخل الماسونية إلى سوريا عام ١٨٦٤م حيث أسس محفلاً تابعاً للشرق الأعظم الايطالي ، بعد أن سبق «تكريسه» في محفل «الأهرام» بالاسكندرية .
- ويشهد «حنا أبي راشد» بأن الماسونية لم تزدهر ، في بلد عربي ، كما ازدهرت في أرض النيل حيث كانت مصر مهد الماسونية في الشرق !! .

ويتطرق «أبي راشد» إلى نشاط الأفغاني في مصر فيقول إن «جلادستون» تولى أمره بعد أن عظم أمر محفله ، ثم اختلف مع الخديوي توفيق الذي خشي على نفسه فأصدر أمره باخراجه من مصر مع تابعه «عارف أبو تراب» فغادرا مصر الى الهند عام ١٨٧٩م قبيل إنفجار الثورة العربية ، حيث تولى محمد عبده مكانه ، ثم نجح حفني بك ناصيف باقناع الخديوي توفيق بالانتظام بالمحفل الأكبر عام ١٨٨١م وأصبح رئيساً له . وكان من بين الماسونيين المصريين الكبار: سعد زغلول ، أحمد ماهر ، وفؤاد سراج الدين ، حافظ عفيفي ، علي ماهر وجمال عبدالناصر .

وفي بلاد الشام: ابراهيم اليازجي ، فارس الخوري ، كاظم الصلح ، سامي الصلح ، شكري القوتلي ، عطا الأيوبي ، سمير الرفاعي ، المير مجيد أرسلان ، حبيب أبو شهلا ، الأمير سعيد الجزائري ، كميل شمعون ، ريمون اده ، فؤاد الخطيب ، نجيب صالحه ، ونسيب البكري .

كما اشتهر من الماسونيين الكبار العرب: الملك إدريس السنوسي ، الحبيب بورقيبة ، والملك حسين بن طلال ، وزيد الرفاعي .

وبذكر رشيد رضا في الجزء الثامن من «المنار» ص ٤٠١ ان محمد عبده، اعترف له بانتمائه للماسونية وخيبة أمله فيها فلم يذهب إلى المحفل الماسوني ولا مرة واحدة بعد عودته من منفاه.

ويقول رشيد رضا ان بعض شيوخ الأزهر اعتقدوا ان محمد عبده نال الوظائف الكبرى بسبب انتسابه إلى الماسونية لذلك قيدوا أسماءهم بها، مع ان جمال الدين ومحمد عبده لم يلتحقا بالماسونية الا ظنا منهما بأنها وسيلة لخدمة المسلمين والبلاد (١).

وفي التاريخ السري ص ٣٥٤ حديث لمحمد عبده في منزله يوم ١٨ مارس ١٩٠٣ م ذكر فيه: ان الأفغانى اقترح قتل اسماعيل وكنت موافقا كل الموافقة ولكن كان ينقصنا من يقود الحركة ولو أننا عرفنا عرابى آنذاك فربما أمكننا تنظيم الحركة معه لان قتل اسماعيل والمجىء بابنه توفيق كان يعتبر أحسن ما يمكننا عليه لمنع تدخل أوروبا.

لكن عزل اسماعيل تم من قبل الاستانة في ٢٦ يونيه ١٨٧٩ م وعين السلطان عبد الحميد الثاني مكانه ابنه توفيق لشقة الناس به ولأملهم بالاصلاح على يديه غير أنه كان جبانا ضعيف الرأي فمالاً الانكليز وسار في ركبهم بعد وصوله للحكم باسم الاصلاح وكان أول أعماله طرد الأفغانى من مصر حيث ألقى القبض عليه وأركب القطار في طريقه للهند فالتقى بالقنصل الايراني قبل وصوله للسويس وأعطاه مائة دينار لانه كان ماسونيا مثله لكن الافغانى رفضها، ثم نفى محمد عبده إلى قريته، ونشرت الصحف خبر إبعاد الأفغانى مسمية اياه «الأفاق ضلال الدين».

لبث الأفغانى في باريس ثلاث سنين نشر خلالها مقالاته عن «المسألة الشرقية» في أشهر الصحف الغربية وأعظمها نفوذاً، فصادفت من رجال الدولة الانكليزية قبولاً رغم عدم رفقها بالسياسة الانكليزية فقد حذرت «العروة الوثقى» الانكليز في سياستهم في السودان ومصر ابان الثورة المهدية واختارته بريطانيا ضمن وفد لمفاوضة المهدي لانتهاء ثورته.

وناظر الأفغانى المستشرق الفرنسي «رينان» في محاضراته عن «الاسلام والعلم» ١٨٨٣ م فنقد رأيه الا ان رينان رد بأن الأفغانى زوده بطائفة من الاراء عززت قناعته بأن الاسلام لم يحل دون المعرفة العلمية في الأراضى الاسلامية خلال النصف الأول من تاريخه لكنه خنق هذه الحركة في النصف الثاني.

كما إلتقى الأفغانى في باريس بجماعة «تركيا الفتاة» وأطلع على خططهم الاصلاحية فراقته وسمى جمعيتهم «الجمعية الصالحة» (٢) فبلغ ذلك عبد الحميد في الوقت الذي كان يوسطه شاه ايران لكف أذى الأفغانى فدعاه لاستانبول لدراسة وتنفيذ آرائه الاصلاحية ولم يسمح له بالخروج منها.

وقد كتب تلميذه سليم عنحورى في كتابه «سحر هاروت» مدعيا ان الأفغانى برز في علم الأديان حتى أفضى به إلى الاتحاد والقول بقديم العالم وان القول بوجود محرك أول وهم نشأ عن ترقى الانسان في تعظيم المعبود.

وكانت تهمة الاتحاد قد علقت بالأفغانى منذ زيارته الأولى لاستانبول حينما قال ان النبوة صناعة فتعرض لهجوم العلماء فيها ثم تعرض بعدها لنفس التهمة من قبل علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عليش لدى وصوله لمصر وانتقدوا سيرته الشخصية وحاشيته التي تضم اليهود والنصارى ولباسه الأوربى وتدخله للسيجار فضلاً عن إختياره لمركز نشاطه في أحد «البارات»! (٣)

(١) سبقت الإشارة إلى خطبة محمد رشيد رضا في ذكرى الأرمن التي أعلن فيها انتماءه للماسونية ورأسته لأحد محافلها وثناء فارس نمر الماروني المعروف على تلك الخطبة.

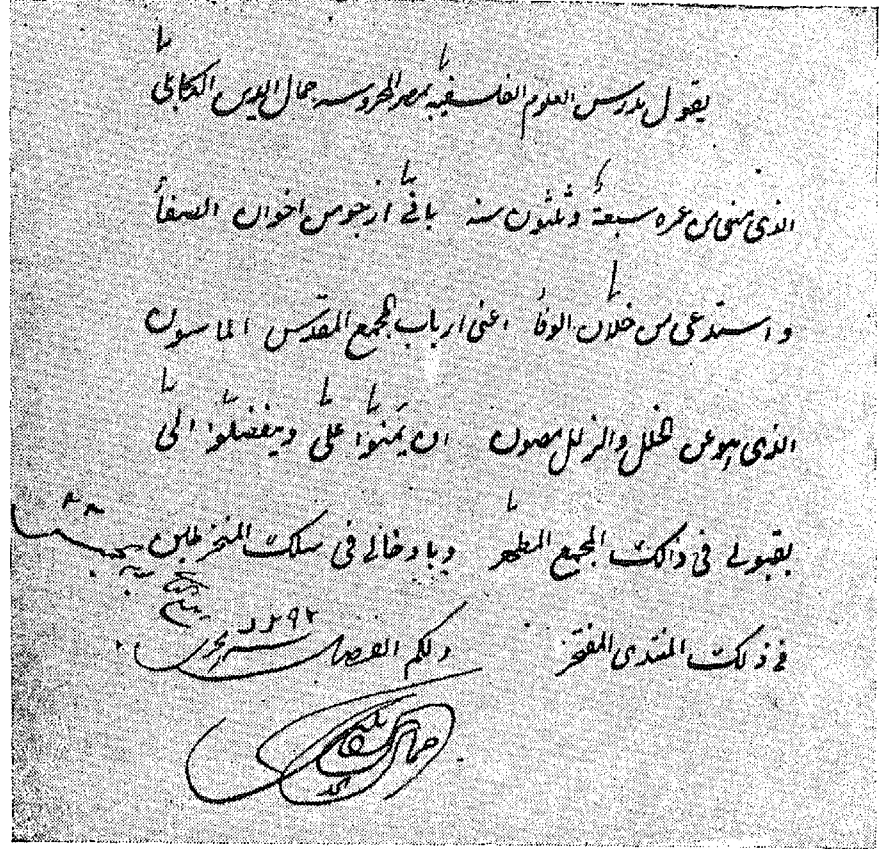
(٢) أحمد أمين «زعماء الاصلاح في العصر الحديث».

(٣) من المعروف أن الأفغانى إلتزم من بار «ماتنيا» في العتبة الخضراء بالقاهرة أو في «فهوة البوسطة» قرب ملهى الأزيكية منتدى لسهره وسمه مع أصدقائه أو مريديه في القاهرة.



جمال الدين الأفغاني

أول من روج فكرة «اشتراكية الاسلام» !!



وثيقة طلب انتساب الأفغاني للماسونية في مصر بخط يده وتوقيعه، وكان يسمى نفسه: جمال الدين الكابلي.

وحكى عنه الشيخ محمد عبده وبعض خاصته انه كان متصوفاً يدين بعقيدته متصوفة مبهمه وغامضة تنتهى بوحدة الوجود والتعبير عنها يلتبس إلا على الخاصة مما أدى لرميه بالاحاد.

والأفغانى أول من روج فكرة «إشترائية الاسلام» وقارن بينها وبين اشتراكية الغرب كما أنه قال: لا مانع عندى من «السفور» إذا لم يؤد إلى الفجور ودعا إلى «التأويل» إذا خالفت النصوص الدينية بعض الحقائق العلمية.

وفي «العروة الوثقى» جعل شعاره: ايقاظ «الأمم» الاسلامية وأوضح في مقالة له فيها (العدد التاسع) بعنوان «الوحدة الاسلامية» أنه لم يرد أن يكون للمسلمين دولة واحدة أو سلطان واحد يجمعهم وكل ذي ملك على ملكه، وفي مناسبة أخرى قال: إن العروة الوثقى تعمل للمشرقين عامة لا للمسلمين خاصة.

وزار الأفغانى لندن ثلاث مرات إختارته حكومتها في الأولى ضمن الوفد لمفاوضة المهدي في أمر الصلح وكانت ثورته الشغل الشاغل لانكلترا آنذ فلم يتم ذلك لموت المهدي وفي الزيارة الثانية عندما جمعه صديقه المستر «بلند» بالانكليز للمفاوضة في أمر السودان، والثالثة عندما شن حملته الشعواء على شاه ايران بعدما رأى منه سوء المعاملة فأبعده إلى الحدود العثمانية.

وقد أشارت مجلة «الدوحة» القطرية في عددها ٤١ الصادر في مايو ١٩٧٩ عبر تحقيق صحفي كتبه كمال سعد، من المملكة العربية السعودية إلى ندوة فكرية عقدت في منزل الأديب الشيخ عبدالعزيز الرفاعي طرح خلالها الدكتور محمد محمد حسين قضية «الارتياح في المفكر الاسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني» «وأورد د. حسين عدة ملاحظات تبث على الارتياح بالأفغاني» منها: «كتاب ابن أخت جمال الدين الأفغاني الذي يضم مجموعة وثائق

لوج كوكب شرق
١٤٥٥

في القاهرة بمصر ٧ حيايو ١٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم
انه املوم لديكم بان في حلبة ٢٨ المظفي وباعليست الاراضا انتم انتم رئيس محترم لهذا اللوج
هذا العام ولذا قد تهنيتكم وتحتي زواتنا على هذا الخط العظيم وعن امر الرئيس محترم الحاكم
ادعوا ضوتكم للمحضر يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة عري بعد الغروب الى محل هذا
اللوج لرجل اهتمامكم التاروم بعد انعام ما يجب من التكرير الاعنياد يوم بصير يوم
الخميس ١٠ الجاري الساعة افريلي ما تكرر رئيس محترم لوج كونكورد به فالرها حضوركم
في اليوم المذكور لا تشرك في الاشغال وفي الحالين ولا تكم تكون سودا ورباطه الرقيب
والكتوف بيضا واقبلوا منا الصاف الحقول : فاستند
تقول
تخرج
٢

وثيقة انتخاب جمال الدين رئيساً للوج «كوكب الشرق» الماسوني بالقاهرة.

نشرتها جامعة طهران من بين أوراق الأفغاني ، وتضم صورا زكوغرافية لكثير من الرسائل المتبادلة بينه وبين بعض رجال عصره» (١).

وقد رتب د. محمد محمد حسين اتهامه على ضوء تلك الوثائق كما يلي :

- ١ - تثبت الرسائل أن ، جمال الدين الأفغاني ، لا ينتمي الى بلاد الأفغان ، وانه ليس سنياً ، ولا ينتمي الى النسب الشريف الذي إدعاه لنفسه .
 - ٢ - توضّح الرسائل إتصالاته الغامضة بالدول الأجنبية الكبرى - آنذاك - وهي روسيا القيصرية ، بريطانيا ، فرنسا .
 - ٣ - تكشف الرسائل علاقته بالثورة العربية وبالثورة المهدية ومكانته لدى الانكليز .
 - ٤ - تؤكد الرسائل انتسابه الى الماسونية ، وانشائه لمحفل ماسوني جديد ، كما انه انشأ جمعية «العروة الوثقى» بباريس على غرار تلك المحافل الماسونية وأصدر باسمها جريدة «العروة الوثقى» أيضا .
- ويقرر د. محمد محمد حسين استنادا الى تلك الأدلة حقه في الارتياح بالأفغاني وادانته ، لا سيما وانه ساعد مع تلامذته على صبغ البلاد الاسلامية بصبغة غربية استهدفت تفتيت وحدتها ، عن طريق دعمه للثورات التي استهدفت
- (١) سبقت الإشارة الى عادة الماسونيين العرب في اطلاق تسميات : الموسوية بدلا من اليهودية ، والمسيحية بدلا من النصرانية ، والمحمدية بدلا من الاسلام ، كما أن الأفغاني يكرر دعوة الماسونية بوحدة الأديان الثلاثة ، تحت شعار «المساواة والاخاء والعدالة» .

الى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل
 الامير جمال الدين الحسيني حفظه الله
 بعد السلام هذه ترجمة جواب العزراء
 (مضمونه) انهم لا يقبلون امتياز بين
 مسالة مصر ومسالة السودان فان
 حسب ظنهم ثدل وحدة المسالة على ان
 يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر بلونت -
 ومع ذلك اشاروا على عدم ورود
 التماس اليهم او طلبية ورقة امان
 من طرف احد من وكلاء المهدي للورور
 اليه بين عساكر الانكليزي بقصد تسليم
 اليه رسالة - هذا وقيل ايضا انهم
 (العزراء) لا يقولون وعسى انهم
 لا يعرفون اي جواب يردون لو بلغهم
 الطلبة المذكورة آنفاً وبها صديقنا العزيز
 ماذا ينبغي ان يفعل في الامر ومن
 ومن قريش الف الف سلام

المحبة
 المخلصة
 عانا بلونت

٢٢ ابريل

[١٨٨٥]

صورة رسالة السيدة آن بلند (عان بلونت)، زوجة ضابط الاستخبارات
 البريطانية «بلند»، إلى «صديقها العزيز» الأمير جمال الدين الحسيني!

الاستقلال عن دولة الخلافة وازعاف سلطتها ومركزها، في الوقت الذي كانت تتعرض فيه الى حملات استعمارية
 ضارية تسعى للقضاء عليها نهائيا واقتسام المناطق التابعة لها، فقد خرج من بين تلامذته ورواد «بارماتيا»، في العتبة
 الخضراء بالقاهرة العديد من «الزعماء» الذين تعاونوا مع الاحتلال البريطاني وساهموا في ضرب الخلافة العثمانية،
 وكان بينهم عدد من الأسماء اليهودية والنصرانية التي لمعت كثيرا في ظل الحماية البريطانية.

وفي معرض التعليق على عدم زواجه قال شكيب ارسلان: لما حاول عبد الحميد الثاني ان يعلق قلبه بالمال والبنين
 ويشغله بزينه الدنيا وراوده على الزواج فأبى وأعرض وقال له: (قضيت حياتي مثل الطير على الغصن فلا أريد في آخر
 أيامي أن أتعلق بعائلة).

Crabtree Park,
Threebridges
Sussex.

الى صديقنا العزيز السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام وصل جواب من صديقكم ملكوم خان ويقول فيه انه جذا نرغان على ملاقاتكم وان تفضلوا وتوجهوا الى بيته غداً يوم السبت ساعة ١١

وبيته 80 Holland Park ونحن نساخر من هنا مع القطر في الساعة ٨ غداً ووصولنا في ١٥ James في الساعة (نحو) ١٠ واللام

المحنة الخاصة
خان بلونت

الى صديقنا العزيز عزيز السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله بعد السلام ان انبهرت من طرف قريبي ان حصل مفاوضات في معنى ما نكلنا منه وبعض تغيرات الحكومة لا قبلت الاغراض تقدر لها ولا لا تمنعنا قطعاً انما في المكاتبه البعيرة التي حورثت اليها من طرف مستر غلادستون قيل هكذا - انه من الممكن حصول اتفاق على ارسال قمريل الذي يقطن له «دولة امان» حتى يذهب الى الخرطوم ويخبر المهدي بنسليمانيه امر بها اللورد وولسلي وانيها كما ياتي "يجب عليه" (الورد وولسلي) ببعثه الى الحكومة في الحال ايتا كان يطلع من الخرطوم ان من طرف المهدي - رانا على هذا مائة جواباً ياتي سائلاً جعفركم بقوله وانما حسنة رائد ان يظهر لكم غير كافياً حتى ان الحكومة تريد مفاوضات في الصلح وانما تريد ايضاً ان لا تكتشف مرادها للناس - ولقد حصل اتفاق على ارسال قمريل بدون المرسل من تعيينه وادرت اشكال افكاركم على من احسن ظل ابراهيم وعبد اوغيرهم وضمن في حفظه تعالى والسلام تحتام

المحنة
الخاصة
علما بلونت

١٥ اغوست ١٨٨٥

صورة خطابين من آن بلند وصديقها جمال الدين الحسيني (الأفغاني) حول الحركة المهدية في السودان وتكليفه بالوساطة لاختادها . بعد الاتفاق على «توجه» ملكاً على السودان في حال نجاحه بهيمته !

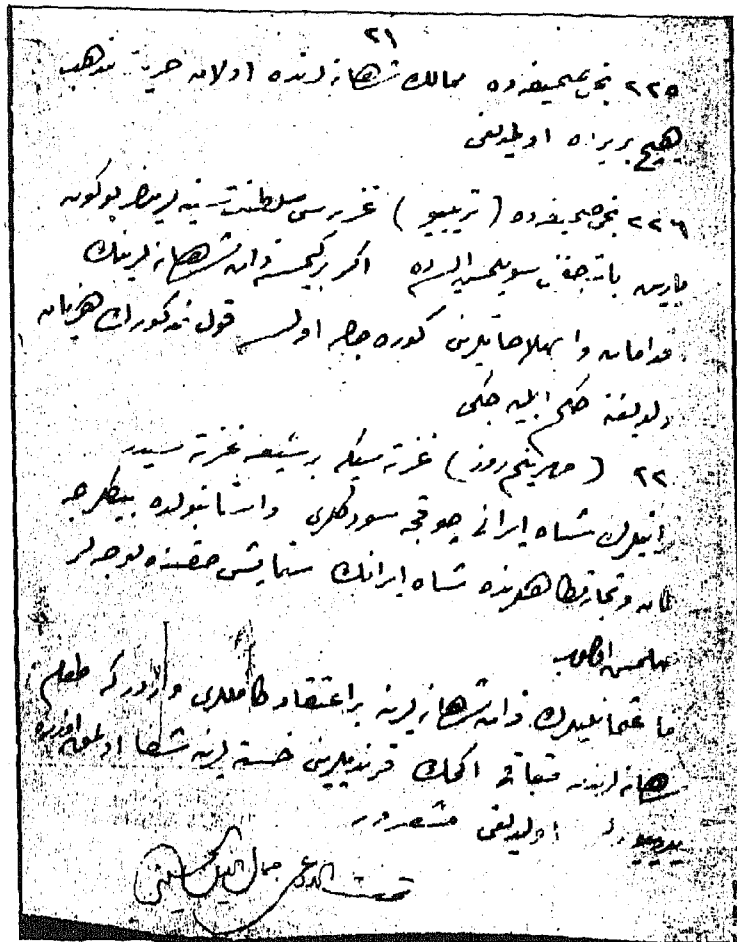
يقول جمال الدين الأفغاني :

(رجعت الى أهل الأرض وبحثت في أهم ما فيه مختلفون فوجدته (الدين) فأخذت الأديان الثلاثة وبحثت فيها فوجدت : الموسوية والعيسوية والمحمدية (كذا) (١) على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية واذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية وهنا لاح لي أمل بارق كبير ان يتحد أهل الأديان الثلاثة وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً واخط أسطراً وحرر رسائل الدعوة ثم جمعت ما افترق من الفكر ولمت شعث التصور ونظرت الى الشرق واهله وقد خصصت دماغني لتشخيص دائه وتحري دوائه فوجدت أقتل ادوائه داء انقسام اهله فقد اتفقوا على ان لا يتفقوا ولا تقوم على هذا لقوم قائمة).

ورغم معرفة الأفغاني بحظر الإسلام لاتخاذ الأعوان من اليهود والنصارى فقد جعل من معاونيه يعقوب صنوع المصري الاسرائيلي صاحب «الأحوال» وأبو نظاره واديب اسحق اللبناني النصراني الذي رثاه بـ «العروة الوثقى» وسليم عنجوري اللبناني النصراني الذي تسلم صحيفة «مرآة الشرق» من ابراهيم اللقاني بإيعاز من الافغاني . ويقول الأفغاني أن المنافسة بين الكتلركة والاصلاح البروتستانتى أدت الى ظهور الاصلاح على يد عميد المبشرين «لوثر» . ويردد نظريته في الاصلاح على طلابه ومريديه في «قهوة البوسطة» (٢) مؤكداً : يجب ان يبدأ باصلاح النفوس والعقول قبل اصلاح النظم السياسية والنيابية لأنها لو صلحت لما وجد الناس مشقة في اصلاح حكومتهم .

(١) سبقت الإشارة إليه وهو كتاب سيد أصغر مهدي .

(٢) د. محمود قاسم «جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته» سلسلة الدراسات الفلسفية .



من تقرير كتبه الأفغاني للسلطان عبدالحميد الثاني عما نشره الصحف .

وقد وصف المستشرق الألماني كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» جمال الدين الأفغاني بأنه الباعث الرئيسي الأول للروح العصرية في الإسلام واعتبره رائد حركة التجديد الديني .

وقال المستشرق تشارلز آدمز في كتابه : «الإسلام والتجديد في مصر» لم ينشأ الدافع الأول إلى حركة الإصلاح في مصر نفسها بل كان صدى لتعاليم جمال الدين الأفغاني وأثرا من آثاره وكان مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية وهو المدافع القوي الشكيمة عن الإصلاح الشامل في الإسلام كما كان العامل الجوهرى الأول في احياء حركة التجديد بمصر .

وقال المستشرق لوثرروب : أن الأفغاني أفنى حياته في دعوة العالم الإسلامى للاتحاد والوقوف على أسباب تفوق الغرب وقدرتهم وكان كالغيث أصاب تربة جدياء فهو الموقظ الكبير للشرق وكل نفخة نفخها في المسلمين كانت على صفة زوبعة وإن الاحداث أكدت صدق ما أذاعه الأفغاني الحكيم العظيم .

أما المستشرق المجري جولده تسهر (شيخ المستشرقين ورئيس مؤتمراتهم) فقد كتب ترجمة للأفغاني في دائرة المعارف الإسلامية جاء فيها : —

مما لا مشاحة فيه إن السيد جمال الدين الأفغاني هو الموقظ الأعظم للشرق وإن طريقتة ستزداد انتشارا ومبادئه ستطبق في يوم من الأيام وأن على الشرقيين أن يحرصوا على اكتشاف أقل شيء يعزى إلى هذا العظيم من عظمائهم وسيلغونهم الأمر ما بلغ إليه الغرب من الحرص على آثار العظماء ولكن الشرق هو الشرق .



جمال الدين
الأفغاني



الشيخ
محمد عبده

قمة الماسونية المصرية

مختلفة الى محفله «الوطني» الفرنسي بعد انسحابه من المحفل الانكليزي وذلك في معرض حديثه عن الأفغاني ومحمد عبده .

كما اشارت الباحثة الامريكية «لورا كينيدي» بجامعة كاليفورنيا في دراسة حديثة لهالم تترجم بعد — إلى سعيها لتحديد موطن الأفغاني وسفرها الى ايران للالتقاء بأقاربه حيث عثرت معهم على رسائل بخط يده وفوجئت بأنها وجدت نفسها إزاء شخصية تاريخية تحمل خمسة اسماء على الاقل : فهو جمال الدين الحسيني في رسائله لصديقه الانكليزية آنا بلند وخلال عمله في قصر بيلربي مع عبد الحميد ، وجمال الدين الحسيني عندما أختير رئيساً للوج كوكب الشرق الماسوني ، وجمال الدين الكابلي مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة ، في طلب انضمامه للماسونية ، وجمال الدين الاستانبولي في رسائله لأقاربه ، وجمال الدين الفارسي في نظر الايرانيين ، والأفغاني في نظر العرب ، وهو سني في نظر وجعفري عند الجعافره .

بينما نرى ان الشيخ محمد عبده هو الذي قال في تقرير كتبه سنة ١٣٠٤ عن اصلاح الدولة : (ان من له قلب من اهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها وأنا والحمد لله على هذه العقيدة ، عليها نحيا ، وعليها نموت) .

وفي السنة السادسة من سنوات مجلة «المنار» بدأ رشيد رضا ينشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فيها نقد واعتراض ، فنصح الامام محمد عبده كما ذكر بعدم المضي في نشرها لانه ينهى عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم .

واذا كان هذا لا يدل على حب الاستاذ الامام للحكم العثماني فانه على الاقل يوحى بأنه حتى ذلك الوقت لم يكن من رأيه مهاجمة الدولة العثمانية (١)

ومن المعروف ان موقف الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا من الدولة العثمانية قد تغير حينما اخذت العصبية التركية تتبدى بوضوح في الدعوى الطورانية ، وقد اصبح رأي محمد عبده (٢) في الخلافة مغايراً لرأيه السابق فهو يقول : (ان الدين لم يعلم المسلمين التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة في البيت ولكنه أوجب عليهم السعي الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية وأوجب عليهم ان يحسنوا فيه وأباح الملك وفرض عليهم ان يحسنوا المملكة وكل ما يمكن للانسان أن يصل إليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانها ، ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التي وهبها الله إياها ليصل بها الى ذلك ... وقد ارشدنا نبينا إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا .

(١) احمد جمعه الشراصي (رشيد رضا) .

(٢) د. محمد عماره (الاعمال الكاملة للامام محمد عبده) ج ٣ ص ٤٢٠



جرجي زيدان
«تاريخ الماسونية العام»



أديب إسحق
أحد أعوان الأفغاني



علي عبدالرازق
الخلافة لم ترتكز إلا على القوة!!

ثم يتصدى علي عبدالرازق في كتابه «الاسلام وأصول الحكم» لبحث موضوع الخلافة والحكومة في الاسلام فيبدأ بتعريف الخلافة وطبيعتها لغة وشرعا ثم يتطرق الى حكم الخلافة في القرآن والسنة فيورد أدلة القائلين بوجوبها ويكشف على حد رأيه — الشبهة عن بعض الآيات والاحاديث النبوية — ليخلص الى القول بأنه لا دليل على وجوبها في القرآن والسنة ويقرر أنه : (ليس القرآن وحده هو الذي أهمل تلك الخلافة ولم يتصد لها بل السنة كالقرآن ايضا قد تركتها ولم تتعرض لها. يدلك على هذا ان العلماء لم يستطيعوا ان يستدلوا في هذا الباب بشيء من الحديث ولوجودوا لهم في الحديث دليلا لقدموه في الاستدلال على الاجماع) (١).

وفي معرض بحثه للخلافة من الوجهة الاجتماعية يقول : (لولا ان نرتكب شططا في القول لعرضنا على القارىء سلسلة الخلافة الى وقتنا الحاضر ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والغلبة وليتبين ان ذلك الذي يسمى عرشا لا يرتفع الا على رؤوس البشر ولا يستقر الا فوق اعناقهم وان ذلك الذي يسمى تاجاً لا حياة له الا بما يأخذ من حياة البشر ولا قوة الا بما يغتال من قوتهم ولا عظمة له ولا كرامة الا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم).

ويقول : (ان الخلافة في الاسلام لم ترتكز الا على اساس القوة الرهيبة وأن تلك القوة كانت، الا في النادر، قوة مادية مسلحة).

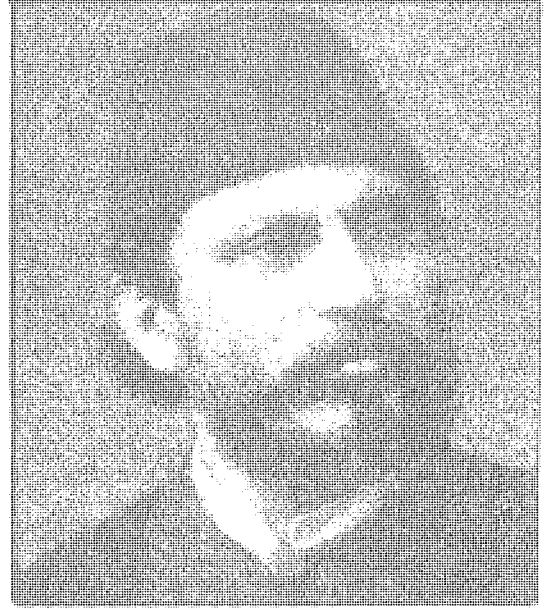
ويستشهد بقول لابن خلدون : (إنه قد ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامر ملكا بحتا وليس للخليفة منه شيء).

ثم يقرر أن : (الحكومة النبوية كان فيها بعض ما يشبه أن يكون من مظاهر الحكومة السياسية واثار السلطنة والملك... وأن أول ما يخطر من أمثلة الشؤون الملكية التي ظهرت ايام النبي مسألة الجهاد... وظاهر اول وهلة ان الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة الى الدين ولا لحمل الناس على الايمان بالله ورسوله وانما يكون الجهاد لتثبيت السلطان وتوسيع الملك).

ويطمئن قارئه بقوله : (ولا يهولنك ان تسمع ان للنبيين عملا كهذا خارجا عن وظيفة الرسالة وأن ملكه الذي شيده هو من قبيل ذلك العمل الدنيوي الذي لا علاقة له بالرسالة، فذلك القول إن انكرته الاذن لان التشدق به غير مألوف في لغة المسلمين فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفطعه) ص ١٢.

ثم يقول : (وليس عجيبا ان يكون وسيلة من بين الوسائل هو وسيلة عنيفة وقاسية ولكن ما يدريك فلعل الشر ضروري للخير في بعض الاحيان وربما وجب التخريب ليتم العمران) ص ١٥٤

(١) علي عبد الرزاق (الاسلام واصول الحكم) منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت ١٩٦٦م.



جمال الدين الأفغاني .. الحسيني .. الكابلي .. الفارسي!



وبعد هذا يخلص الى القول : (تبين لك من هذا ان ذلك اللقب (خليفة رسول الله) مع ما أحاط به من الاعتبارات كان سببا من اسباب الخطأ الذي تسرب الى عامة المسلمين فخيّل اليهم ان الخلافة مركز ديني وان من ولي امر المسلمين فقد حل منهم في المقام الذي كان يحله رسول الله) ص ١٩٩.

ومن الطبيعي ان يلقي مثل هذا الكتاب الهجوم والنقد الذي لقيه من العلماء ومختلف اوساط المسلمين لما فيه من جرأة بالغة على الدين فهو لم يكتف بنسف المفهوم الشرعي للخلافة وانما وصف الرسول نفسه بأنه كان ملكا، وان الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة كان لتثبيت السلطان وتوسيع الملك، فضلا عن عشرات الافكار والمفاهيم الغربية التي وردت فيه مما استهجنه الكثيرون، الى حد نسبة الكتاب نفسه الى المستشرق مارجليوث اليهودي على حد رأي د. محمد ضياء الدين الرئيس كما سنوضح في الفصل الرابع.

ولعل د. محمد عمارة ينتسب بشكل او بأخر الى مدرسة الافغاني فهو يقول ان الاسلام يفرق بين «العلوم الشرعية» وخاصة ما يتعلق منها بـ«اصول الدين» وبين ما سواها من العلوم فالعلوم التي تتعلق بالنبوة وباليوم الآخر وبالعبادات وبأركان الدين هي علوم شرعية، المرجع الاول فيها الى النصوص الموحى بها وهذه هي علوم الدين اما ما سواها من العلوم رغم تسميتها بالاسلامية فانها علوم عقلية دنيوية جاءت ثمرة لنشاط العقل الانساني المحكوم فقط بالحقائق المقررة والمكتشفة في ميادين هذه العلوم فنحن لدينا في تراثنا علوم وفنون مثل «العمارة الاسلامية» «والزخرفة الاسلامية» «والفن الاسلامي» «والطب الاسلامي» والصيدلة.. والفلك.. الخ... علوم وفنون تبلورت صروحها في المجتمع الاسلامي فسميت اسلامية ولكن بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى الديني فهي علوم الحضارة الاسلامية وليس علوم الديانة الاسلامية وهي علوم العقل الاسلامي وليست علوم الوحي الاسلامي، وهي محكومة بحقائق العلم كما يقررها عقل العالم المعلم وليس المرجع في صحتها وعدم صحتها تفسير او تخريج يقتحم به دعي ميادين هذه العلوم فليست هناك كيمياء «مسلمة» واخرى كافرة وليس هناك «جبر» مؤمن واخر كافر. لان وصف كل هذه العلوم «بالاسلامية» انما هو بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى الديني لان الاسلام كحضارة قد شمل ميادين اكثر عددا واوسع مدى من تلك التي امتد اليها نطاق الاسلام كدين.

ويخلص الدكتور عمارة الى القول بأنه اذا كانت «العلمانية» في اوربا هي موقف ضد دينهم كما فسرت الكنيسة، فهي عندنا الحقيقة المعبرة عن نقاء الموقف الاسلامي في هذا الموضوع فمسيحية اوربا حاربت العلمانية لأنها ضدها اما اسلامنا فانه علماني لانه ينكر السلطة الدينية التي تجعل لنفر من البشر سلطانا يختص به المولى سبحانه ورسله عليهم الصلاة والسلام (١)

ومن هنا فان الدكتور عمارة يرى ان الدعوة الى «فصل» الدين عن الدولة والسياسة قد جاءت في مناخ وواقع وتراث كانت فيه «وحدة واتحاد» بين الدين والسياسة، ولم يكن هذا هو مناخنا الصحي ولا واقعنا المشرق ولا تراثنا النقي في يوم من الايام.

وان مصطلح العلمانية «لا يمثل عدوانا على ديننا ولا إنتقاصاً من اسلامنا بل على العكس يمثل العودة بديننا الخفيف الى موقفه الاصيل وموقعه المتميز في هذا الميزان».

كما ان «فصل» الدين عن الدولة لا يمكن أن يكون شعار الذين يفهمون الاسلام حق الفهم. فهو شعار مرفوض بنفس القدر الذي نرفض به شعار «وحدة» السلطين الدينية والزمنية في المجتمع والحياة كلاهما ثمرة معركة اوربية لها منطلقاتها وملاساتها ومواريتها المختلفة تماما عن مثيلاتها في واقعنا الاسلامي.

ويقول د. عمارة ان الصياغة التي نفضلها ونراها التعبير الادق عن موقف الاسلام من هذه القضية هي أن نقول : ان الاسلام ينكر ان تكون طبيعة السلطة السياسية الحاكمة دينية أي ينكر «وحدة» السلطين الدينية والزمنية ولكنه «لا يفصل» بينهما انما هو «تميز» بينهما فالتمييز، لا الفصل، بين الدين والدولة هو موقف الاسلام».

(١) د. محمد عمارة - الاسلام والسلطة الدينية - قضايا إسلامية - دار الثقافة الجديدة ص ٩٣

الفصل الثاني

الحركة الإصلاحية والجامعة الإسلامية

(السلفية - الشوكانية - المهرية - السنوية)

استمر رشيد رضا يدعو الى الجامعة الاسلامية على صفحات «المنار» بعد الصدمة الكبيرة التي تلقتها اثر انهيار الخلافة الاسلامية ورغم الضعف الذي اصاب هذه الحركة فيما بين الحربين العالميتين الا انها بدأت تستعيد قوتها ثانية عقب الحرب الثانية (١) فقد تزعم أنصارها معارك التحرير والجهاد ضد الاحتلال الاجنبي بمختلف أشكاله وفي شتى الديار الاسلامية، حتى تم استقلال، العديد من البلدان العربية والاسلامية.. (٢).

والملاحظ ان افكار «الجامعة الاسلامية» بدأت تتطور بعد الحرب الثانية ف سجلت اختلافا كبيرا عن الأفكار القائمة التي كانت تأخذ بها قبل الحرب الاولى وأصبح لها مواقف واضحة من العديد من القضايا العصرية المطروحة ولم تعد مجرد شعارات تخاطب الشعور الديني والعاطفة الاسلامية..

وبعد ان كان شعار «الجامعة الاسلامية» طيعاً بحيث امكن استخدامه كسلاح لتحقيق مكاسب آنية حتى من قبل خصومه الحقيقيين كما حصل من قبل جماعة الاتحاد والترقي بعد ان وجدوا أنفسهم معزولين عن تأييد غالبية المسلمين من رعايا دولتهم وبعد ان أصبحوا يستجدون رجلاً كالشريف حسين ويجزلون له العطاء ليعلن باسمهم الجهاد مما يدهم بالقوة المادية والروحية التي تساعدهم على الصمود في وجه قوات الحلفاء.

وقد اثبت هذه الحقيقة الغربية السفير البريطاني في استانبول، حيث ارسل الى حكومته رسالة جاء فيها :

(حاول الاتحاديون بالرغم من علمانيتهم استخدام حاسة الجماهير الاسلامية كسلاح سياسي وسعوا الى تحويلها الى اقنية شوفينية على غرار الجامعة الاسلامية او الوطنية الاسيوية وقد اقنعوا عددا من المشايخ بالانتماء للماسونية فاتهمهم حجة للتغلب على شكوك الشعب بالماسونية وكرهيته لها.

وقد تحالف الاتحاديون مع اليهود فقط بعد ان كان المأمول ان يؤلفوا مع الارمن والبلغار واليونان واليهود والعثمانيين الدعامة الاقتصادية للبلاد.

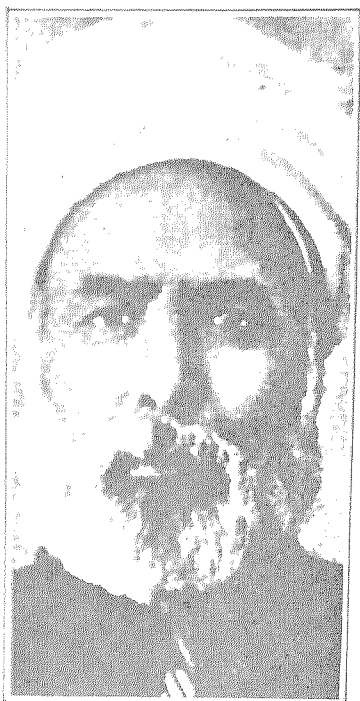
تقوم جريدة «تركيا الفتاة» التي يمولها اليهود كما يمولون عددا آخر من الجرائد في العاصمة العثمانية بين الحين والحين بنشر مقالات شاب من جزيرة كريت اسمه نوري وهو عضو في الاتحاد والترقي ابوه عضو في الاعيان.

وكاتب آخر من كتاب الجريدة بولندي مرتد اسمه سيف الدين ت. غاستوت كانت له في وقت من الاوقات علاقات مالية مع ابنهايم اليهود الالماني المعروف جيدا في القاهرة منذ حادثة العقبة.

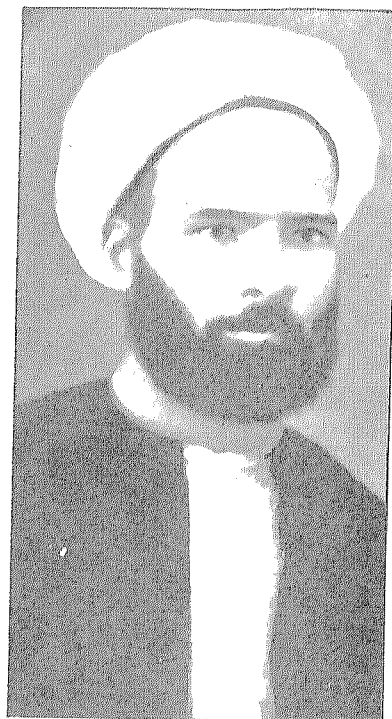
وقد قام غاستوت حديثا مع مصري يدعى حسين حسيب بإنشاء جريدة تعمل لنشر الدعوة للجامعة الاسلامية باللغتين التركية والفرنسية اسمها «منبر الشعوب» وهدفها الصريح ايقاظ الملايين من الاخوة المضطهدين الا ان

(١) د. عبدالله حنا - «الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان» ص ٧٦ - دار التقدم العربي ١٩٧٣ م.

(٢) انظر: د. احمد جمعة الشرباصي (رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته) المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - القاهرة. فقد ذكر ان محمد رشيد رضا اصدر كتابا بعنوان «الخلافة أو الامامة العظمى» في عام ١٩٢٤ عقب الغاء مصطفى كمال للخلافة الاسلامية بن فيه رشيد احكام الشريعة الاسلامية التي تتعلق بالخلافة واتبع ذلك ببحث سياسي انتقد فيه بشدة جناية «اتاتورك» على دولة الاسلام وختمه بوضع منهج للإصلاح بلائم العصر على اساس احياء الخلافة مرة اخرى.



الشيخ محمد عبده خليفة الأفغاني في مصر

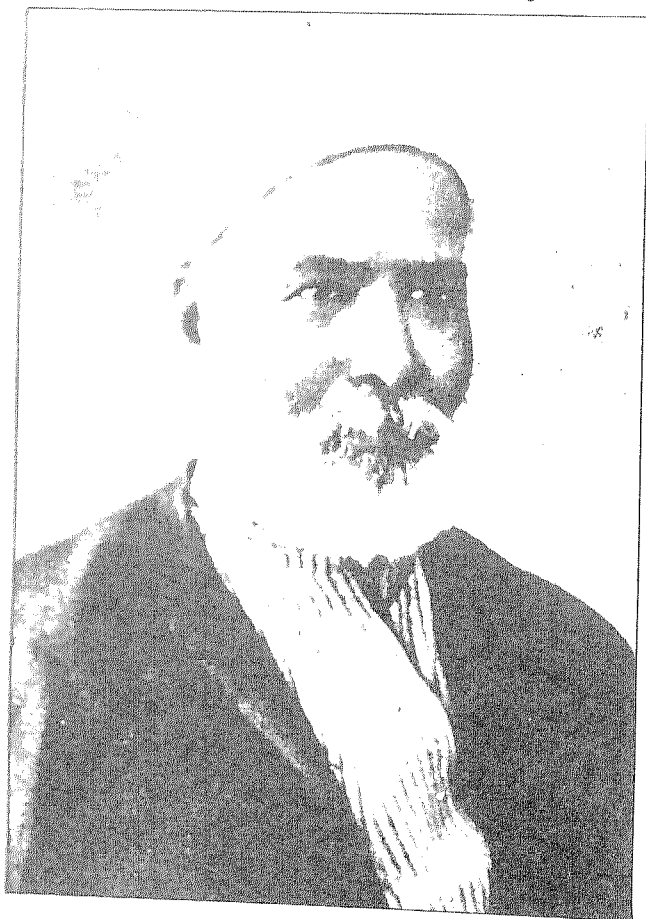


محمد عبده من الإصلاح الديني إلى العمل السياسي

محمد عبده في لقطة بيروت عام ١٢٨٣ هـ

الشيخ محمد عبده «الطورانية» غيّرت موقفه من دولة الخلافة

محمد عبده في لقطة نادرة مع ابن وبنات استاذة السوريري





محمد عبده
مناورات بين الحديوي والانكليز



الحديوي عباس حلمي الثاني
طومح لتولي منصب السلطنة

الاتحاديين مالبثوا ان تخلو نهائيا عن هذا الشعار بضغط من الماسونية وربما من ألمانيا نفسها (١)

وقد اشار الدكتور الخربوطلي في كتابه «اضواء جديدة على تاريخ العالم الاسلامي» الى كتاب هام تناول قضية الخلافة ومصيرها بعد عبد الحميد الثاني تحت عنوان (سياسة الاتراك والخلافة) لمؤلفه الألماني «وايت» الذي رد عليه الكاتب التركي الاتحادي (محمد بك صفا).

يقول «وايت» (ان الحديوي عباس حلمي الثاني يرغب في ترتيب بيعة احد الاشراف بالخلافة ليكون هو سلطانا للدولة الاسلامية وقد أيده في مطامحه الحزب الوطني كما أيده الانكليز على السواء ويقول: «وايت» ان هذا المشروع يضر بمصالح مصر ويوطد الاحتلال البريطاني فيها وحذر من أن انهيار الخلافة سيتبعه انهيار الحديوية في مصر بينما لن يصيب تركيا بأي ضرر).

ورد الاتحادي محمد صفا بك بقوله: (ان «وايت» يريد الصيد في الماء العكر وهو ألماني يسعى لمعاكسة الانكليز ومصالحهم وفكرة الخلافة فكرة ألمانية).. (٢)

كما نفى عن الحديوي عباس الثاني اتهام «وايت» له برغبته في احياء الخلافة واستغلالها لمصلحته الخاصة واعتبره نوعا من الايقاع بين الحديوي والعثمانيين.

كما حاول عبدالعزيز آل سعود أن يوفق بقدر ما يستطيع بين علاقاته مع بريطانيا وبين فكرة الجامعة الاسلامية التي كانت تقتضي منه الوقوف ضد الاستعمار البريطاني في بعض الجهات الخاصة ولاسيما فيما يتعلق بفلسطين. فهو يتوسط مع خليفة امام اليمن وملك العراق في سنة ١٩٣٦ لدى زعماء العرب الفلسطينيين حتى ينهوا الكفاح المسلح ويجربوا مرة أخرى التفاوض مع بريطانيا، ثم يرحب بعد ذلك بسياسة الكتاب الابيض. وحينما وقعت الحرب سنة ١٩٤٨، ارسل قوات رمزية تحارب مع الجيش المصري ولم يميز ابن سعود بين فكرة الجامعة العربية والرابطة الاسلامية (٣) فكانت المعاهدات التي عقدت بين بلاده وبين اليمن والعراق في عامي ١٩٣٤، ١٩٣٦ على التوالي تشير الى الرابطين العربية والاسلامية. كذلك حينما تأسست الجامعة العربية انتمت اليها السعودية على انها صورة مصغرة لجامعة اسلامية وتحفظت فيما يتعلق بحق سيادة كل دولة، وكان ابن سعود يفكر في الصراع الاسري ويشترط الا تكون

(١) د. صالح مسعود بويصير (شعب فلسطين)
(٢) مصطفى طوران (اسرار الانقلاب العثماني) ترجمة كمال خوجة
(٣) د. صلاح العقاد: «المشرق العربي المعاصر»



خرائب «العبيسة» موطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رائد
«السلفية» الحديثة .



عبد العزيز آل سعود
السعودية مهد السلفية أول حركة اصلاحية حديثة

الجامعة العربية اداة للهاشميين كي ينفذوا منها الى تحقيق مشروع الهلال الحصب او سوريا الكبرى ويلتقي في هذا الهدف مع فاروق ملك مصر فتتوثق العلاقات بينهما ولم تتغير العلاقات الطيبة مع مصر بتغيير نظام الحكم سنة ١٩٥٢ لان النظام الجديد استمر على معارضة المشروعات الهاشمية، ولو ان الدوافع مختلفة فالمسألة في هذه المرحلة الجديدة لا تتعلق بتنافس اسري وانما بمعارضة امتداد النفوذ البريطاني من وراء الهاشميين، وقد جر هذا الملك سعود الى التفكير في سياسة الحياد، سيما وأن بريطانيا التي تتبنى حلف بغداد سنة ١٩٥٥ هي التي تمارس ضغطها عسكريا على حدوده الشرقية للحيولة دون تنفيذ مطالبه، ولذلك دعيت السعودية الى مؤتمر باندونج ولكن سعودا لم يطق الجلوس بجانب ممثلي الصين الشعبية فهو يفضل الجلوس وسط مجتمع تقوم بينهم رابطة دينية على هذا الخصم من الشعوب التي تدين بمذاهب وديانات مختلفة، ولذلك راعت السعودية هذه الاعتبارات واتخذت مواقف تختلف عن حياد مصر في بعض القضايا، فأيدت باكستان المنضمة الى احلاف غربية بينما ان الهند دولة محايدة. ولم يمنع ذلك من استمرار التعاون الوثيق مع مصر ذلك التعاون الذي بلغ ذروته خلال عامي ١٩٥٥، ١٩٥٦ ثم بدأت سلسلة الخلافات عند قيام الوحدة بين مصر وسوريا وأخذت تتسع بالتدريج فتؤيد السعودية سورية ثم تقع ثورة اليمن فتقطع العلاقات السياسية مع مصر.

ويقترن الخلاف حول اليمن بتجديد الدعوة الى ترابط الشعوب الإسلامية، لان فيصلا رأى ان ثورة اليمن معادية للإسلام وليس من قبيل المصادفة ان يطلق محمد سرور الصبان وزير المالية السابق الدعوة لمؤتمر اسلامي في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٢ وما أعقبه من مؤتمرات قمة اسلامية وما انبثق عنها من مؤسسات مختلفة.

ولا غرو فالسعودية مهد السلفية وهي اول حركة اصلاحية في العصر الحديث تصدت للفساد الداخلي في ابعد البلدان العربية عن الاحتكاك بالغرب، ومؤسسها هو محمد بن عبد الوهاب، الحنبلي، الذي تأثر بابن تيمية، ثم اقتنع محمد بن سعود حاكم الدرعية بدعوته فزودها بقوة عسكرية ساعدت على انتشارها.

واهتم محمد بن عبد الوهاب بمسألة التوحيد باعتبارها عماد الاسلام وتسمى اتباعها بالموحدين لان التوحيد هو ميزة الاسلام الكبرى الذي دخله كثير من الفساد فاشرك المسلمون مع الله الأولياء وحجوا للأضرحة، ومن أبرز افكار السلفية: ان الله وحده المحلل والمحرّم، فلا حجة لاحد الا كلام الله ورسوله، وكل مستوف لادوات الاجتهاد له حق الاجتهاد، اما قفل الباب فهو نكبة للمسلمين.

وابن تيمية قام بنقد علمي للمذاهب الاسلامية فتأثرت به السلفية وقدمت نقدها للحركات الاسلامية الاخرى ونادت مثله بمقاومة البدع وفتح باب الاجتهاد.

وقد هزت السلفية الركود الذي أصاب العالم الاسلامي ووفرت نموذجاً لملا تلاها من دعوات اصلاحية ظهرت في بلدان اسلامية مختلفة: كالسنوسية في ليبيا، والميرغنية الختمية في السودان ونيجيريا وتشاد وسوقطرة واندونيسيا والهند، والشوكانية في اليمن، وما تلاها من حركات اسلامية.

ويذكر الدكتور على المحافظة في كتابه «الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة» الذي اصدره عام ١٩٧٥م: (ان الحركة «الوهابية» كانت انشط الحركات الدينية في العصر الحديث وقد قامت لتعيد للاسلام صفاء الاول والاحتكام الى القرآن والسنة.

الا انها كانت قاسية في اسلوبها نحو خصومها وخاصة نحو الصوفيين وهي تنسب الى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي ويفضل أتباعها ان يسموا بالسلفية او المحمدية نسبة الى الرسول الكريم (ص)) (١). ويذكر الدكتور احمد جمعة الشرباصي في كتابه عن (رشيد رضا صاحب المنار) أن المنار أيدت بيعة ابن سعود بدلاً من حسين بن علي، وجاء في كتاب الريحاني «ملوك العرب» ان رعية حسين تطيعه وتخافه ورعية ابن مسعود تطيعه وتحبه...

وما يذكر بهذه المناسبة أن فيصل عبدالعزيز آل سعود (٢) رأى في أواسط الستينات ان اثاره الشعور الاسلامي بين العرب من شأنه أن يقوض فكرة القومية ويحل محلها بالشعور بالرابطة الاسلامية التي تجعل العرب ينتمون إلى اطار عالم أوسع من عالمهم.

وانجبه فيصل بالفعل بعد أن استقر له الأمر منذ عام ١٩٦٣ إلى احياء فكرة الخلافة الاسلامية كرمز لوحدة العالم الاسلامي (٣)

وكان توقيت الدعوة متمشياً مع فترة الصدام مع عبدالناصر وداخل سياق مواجهة التيار الاشتراكي الثوري القومي الذي بدأ يعاني من التفكك والاضطراب أثر فشل الاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية والعراق، وفي أعقاب فشل الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م (٤)

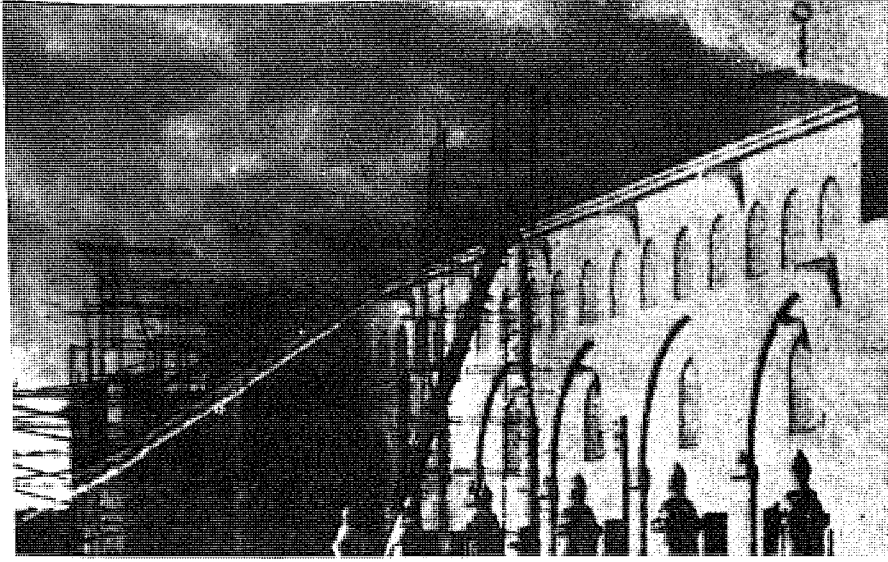
وازدادت في السنوات الأخيرة دعوة المملكة العربية السعودية للتمسك بـ «التضامن الإسلامي» كميّار للتعاون والدعم الاقتصادي مع تشجيع الاتجاهات الدينية في كثير من دول العالم وخاصة مع انحسار موجة الثورات الوطنية والاجتماعية وبرزت السعودية بدورها الكبير في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في يوليو ١٩٧٧م من أربعين دولة اسلامية الذي طرحت فيه فكرة تحويل الفائض البترولي للبلدان الاسلامية المنتجة للبترول للعمل في البلدان الاسلامية غير المنتجة لتطويرها وتحريك سياستها وكانت السعودية تملك آنذاك فائضا ماليا يقدر بخمسين مليار دولار مما لفت إليها الانظار لتحقيق ما نادى به المؤتمر.

(١) ولد محمد بن عبد الوهاب في بلدة العيينة بنجد (١٧٠٣ - ١٧٩١م) وقرأ الفقه الحنبلي على والده مفتي العيينة وجده الشيخ سليمان بن علي مفتي الديار النجدية ثم قرأ على علماء مكة والمدينة والبصرة ودرس القرآن والسنة والتفسير وألف كتاب (التوحيد) ثم توجه الى الدرعية وتعاهد مع الامام محمد بن سعود ١٧٤٥م.

(٢) عبدالعاطي محمد أحمد «الدبلوماسية السعودية في الخليج والجزيرة العربية» مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام - ابريل ١٩٧٩.

(٣) جريدة «الفابننشال تايمز» البريطانية - العدد الصادر في ٢٠ يوليو ١٩٧٧م

(٤) تتضمن مذكرات عبدالرحمن عزام التي كتبها جميل عارف رسالة من عبدالعزيز آل سعود إلى (السلطان) فؤاد (ملك مصر فيما بعد) يعرض فيها مبايعته خليفة للمسلمين (عام ١٩٢٦) مقابل تأييد مصر له في ضم الحجاز (التي كانت بيد الهاشميين) إلى سلطنته (قبل توحيد أجزاء المملكة العربية السعودية بحدودها الحالية) وقد أرسل فؤاد وفداً ضم عبد الوهاب باشا طلعت وكيل الديوان والشيخ المرافي مفتي السودان وعبدالرحمن عزام أمين الجامعة العربية، فيما بعد، ولكن المفاوضات تعثرت نظراً لمعارضة السلفيين للحمل الذي تقدمه مصر للكمية سنوياً باعتباره لم يرد بشأنه شيء في السنة النبوية الشريفة.



حريق المسجد الأقصى دفع المسؤولين لعقد مؤتمر القمة الاسلامية الأول ١٩٦٩ م

الملك فيصل بن عبدالعزيز
اقسم أن يصلي بالقدس بعد تحريرها

كما كان افتعال العدو «الاسرائيلي» لحادث احراق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ م سببا مباشرا في الدعوة إلى عقد المؤتمر الاسلامي الأول من ٢٢-٢٥ سبتمبر ١٩٦٩ في كوالالمبور حيث اجتمع وزراء خارجية دول العالم الاسلامي وأعقبه انعقاد أول مؤتمر للقمة الاسلامية في الرباط في نوفمبر ١٩٦٩ (١) ثم مؤتمر ثان لوزراء الخارجية في جدة خلال مارس ١٩٧٠ حيث أنشئت أمانة عامة مقرها مدينة مكة المكرمة لتكون بمثابة جهاز دائم للمؤتمر الاسلامي الذي أصبح يشكل منظمة أو تكتلا من الحكومات الاسلامية تقوم بمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمرات وحلقة اتصال بين الأعضاء وعلى مدى السنوات العشر المنصرمة ظلت قضية «القدس» الموضوع الأساسي في أعمال المؤتمرات الاسلامية فقد اتخذ المؤتمر شعارا اسماء «فلسطين والمسجد الأقصى» ومنذ المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية في جدة عام ١٩٧٢ أعلن تأييده لتحرير فلسطين من الاحتلال «الاسرائيلي»، كما أعلن في مؤتمر القمة الثاني بمدينة لاهور في فبراير ١٩٧٤ رفض استمرار الاحتلال «الاسرائيلي» للقدس أو وضعها تحت سيادة غير عربية اسلامية ورفض تدويلها وفي المؤتمر الخامس لوزراء الخارجية في ابريل ١٩٧٤ أكد ان عودة القدس شرط لاية تسوية سياسية إلى جانب الانسحاب الاسرائيلي إلى ما وراء خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وأنشئ صندوق الجهاد لدعم ارسال كتائب المتطوعين من العالم الاسلامي لتحرير القدس وفلسطين عقب المؤتمر السادس لوزراء الخارجية في جدة خلال يوليو ١٩٧٥، وتم في المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية بفاس من ٨-١٣ مايو ١٩٧٩ م دعم جميع مؤسسات المؤتمر الاسلامي من السعودية والكويت والعراق والامارات والمغرب بحيث يكون نصيب صندوق التضامن الاسلامي ١٠ ملايين دولار وصندوق القدس ١٠ ملايين دولار من أصل تبرع السعودية البالغ ٢٤ مليون و ٧٠٠ ألف دولار، بينما يمنح الباقي لوكالة الأنباء الاسلامية، المزمع انشاؤها، ولنظمة الاذاعات الاسلامية التي تضم جميع الاذاعات في الدول الأعضاء البالغ عددها ٤٢ دولة اسلامية كما أنشئت منظمة للعواصم الاسلامية وهيئة للتوفيق في المنازعات بين الدول الاسلامية.

وكان المؤتمر الاسلامي قد ساهم في دعم القضايا الاسلامية في الفلبين وغينيا بيساو ١٩٧٤ وفي الساحل الصومالي ١٩٧٦ وفي الفلبين مرة أخرى عام ١٩٧٧، وفي اليابان وجيبوتي وبعض الدول الاسيوية والافريقية عام ١٩٧٩. (٢)

(١) عبدالمعطي محمد أحمد من دراسة بعنوان «الأزمة السياسية للمؤتمر الاسلامي العاشر» ص ٨٢ في العدد ٥٧ مجلة السياسة الدولية ١٩٧٩.
(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى - «حركة التجديد الاسلامي في العالم العربي الحديث» ص ٣٧ - معهد البحوث والدراسات الاسلامية -



- مرت سياسة التضامن الاسلامي بعدة مراحل ، وعقدت من أجل تحقيقها سلسلة من الاجتماعات على النحو التالي :
- عقد أول اجتماع للمؤتمر الاسلامي العالمي في مكة المكرمة عام ١٩٢٦م .
 - عقد الاجتماع الثاني للمؤتمر الاسلامي العالمي في القدس الشريف عام ١٩٣١م .
 - تشكلت «ندوة المؤتمر الاسلامي» في القدس عام ١٩٥٣م تنويعاً لاجتماعات مماثلة سبقت في كل من : كراتشي ، بغداد ومقاديشو .
 - أعلن عن تشكيل المؤتمر الاسلامي العام في القاهرة عام ١٩٥٥م .
 - أنشئت «رابطة العالم الاسلامي» بقرار من المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٩٦٢م .
 - عقد مؤتمر العالم الاسلامي في جدة عام ١٩٧٢م حيث تم إقرار «ميثاق المؤتمر الاسلامي» وأعلن عن إنشاء «منظمة المؤتمر الاسلامي» بهدف : (١)
- ١ - تعزيز التضامن الإسلامي
 - ٢ - دعم التعاون بين الأعضاء في المجالات : الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ..
 - ٣ - التنسيق من أجل تحرير الأماكن المقدسة التي يحتلها «العدو الاسرائيلي» ودعم كفاح شعب فلسطين لتحرير أرضه .
 - ٤ - مساندة الشعوب الاسلامية للمكافحة في سبيل الكرامة والاستقلال والحرية .
 - ٥ - دعم السلام والأمن الدولي .
 - ٦ - محو التفرقة العنصرية والقضاء على الاستعمار بجميع أشكاله .

(١) عقد المؤتمر الأول للقمة الاسلامية بالرباط في المملكة المغربية من ٢٢ حتى ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩م في أعقاب اندلاع حريق الأقصى الذي دبره غلاة الصهيونية بهدف تدمير ثالث الحرمين الشريفين ومعرج رسول الله الكريم ، واختتم أعماله بـ «إعلان الرباط» حول استنكار الحريق الذي وقع يوم ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩م فأثار أعظم القلق في قلوب أكثر من ستمائة مليون من المسلمين في سائر أنحاء العالم .

ثم عقد مؤتمر القمة الثاني بـلاهور في باكستان من ٢٢ حتى ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٧٤م الذي قرر المساندة الكاملة والفعالة لمصر وسورية والاردن والشعب الفلسطيني في نضالهم المشروع لاسترجاع جميع أراضيهم المحتلة بكافة الوسائل .

كما عقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة في المملكة العربية السعودية من ٢٥ حتى ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م الذي إنبثقت منه منظمة المؤتمر الاسلامي ومقرها مكة المكرمة تحت شعار (دورة فلسطين والقدس الشريف) ، لمواجهة التحديات التي يواجهها المسلمون في القدس وأفغانستان ولبنان ، وصدر عنه «بلاغ مكة» الذي عاهد فيه المجتمعون على الجهاد والوحدة لإنقاذ القدس ورفض كل الضغوط والاعتصام بالعقيدة الاسلامية في وجه الإلحاد وخصوم الاسلام مؤكداً على وحدة موقف الحكومات الاسلامية وقاسمها للدفاع عن المقدسات .

٧ - التعاون مع المنظمات العربية والدولية .

٨ - السعي لإنهاء استغلال الدول المتقدمة للدول النامية .

وقد إنبثق عن المنظمة :

● مؤتمر ملوك ورؤساء بلدان العالم الاسلامي، الذي إنبثقت منه «لجنة إنقاذ القدس» برئاسة عاهل المغرب، الملك الحسن الثاني .

● المؤتمر الاسلامي : على مستوى الوزراء .

● الأمانة العامة ومقرها جدة في المملكة العربية السعودية، حيث تفرع عنها :

صندوق الجهاد لخدمة الفلسطينيين ولدعم إنقاذ القدس الشريف .

البنك الاسلامي لدعم مشاريع التنمية في بلدان العالم الاسلامي .

المجمع الفقهي الاسلامي لوضع الحلول الاسلامية للقضايا الحياتية المستجدة .

كما عيّنت الأمانة العامة بدراسة المشاكل الاسلامية في : الفلبين وقبرص والهند وأفغانستان وغيرها من البلدان الاسلامية .

وكانت الشوكانية إحدى الحركات الاسلامية التي عملت للدفاع عن «الجامعة الاسلامية» وهي تنسب إلى محمد بن علي الشوكاني . اليمني الذي يعتبره البعض أوسع علما من زميله محمد بن عبد الوهاب البندي ويدلون على ذلك بمصنفاته الغزيرة، ومادتها الجيدة، حيث كان الشوكانى يدعو لفتح باب الاجتهاد، كما أنه كان عميق الفهم للعقيدة الاسلامية، لأنه كان فقيها ومحدثا بارعا، إلا أن أثره ظل محدودا في اطار اليمن تقريبا .

وبفضل الدعوة الشوكانية أمكن لليمن الشمالي، بزعامه الامام يحيى أن يستمر على ولائه للدولة العثمانية، حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، وزوال الخلافة العثمانية، وهو مظهر ايجابي، يقدم الدليل، على صدق الارتباط بشعار الخلافة الاسلامية .

بينما حملت الحركة السنوسية راية الجامعة الاسلامية في شمال أفريقيا واستمرت باقية على ولائها العثماني حتى النهاية ثم التفتت إلى الاصلاح برسم منهج للحياة أساسه الاسلام وعملت على ايجاد مجتمع مسلم هدفه تحرير دار الاسلام، واتخذت الطابع البدوي والمؤسسات البدوية لتمرکزها في بوادي برقة وصحراء ليبيا والحجاز ولتتمشى مع حاجيات المجتمع البدوي، مما أدى إلى انغزالها في البادية، وتجنبها للاحتكاك مع أية جهة، ولرغبتها في البعد عن نفوذ الدول الأوروبية، إلا أنها تطلعت إلى اصلاح العالم الاسلامي كله، وليس البادية فحسب، لايجاد مجتمع مسلم مجاهد، يحرر البلاد من سيطرة الكفار، ولمواجهة الخطر الأوربي الداهم .

== أما المؤتمرات الاسلامية فقد عقدت عشرة إجتماعات آخرها في مدينة فاس بالمملكة المغربية خلال الفترة ما بين ٨ - ١٢ آبار (مايو) ١٩٧٩م .

وبما يذكر أن الدول التي شاركت في آخر قمة إسلامية بمكة هي :

- | | | | | | |
|----------------|--------------|----------------|-------------------------------|--------------------|------------------------------|
| ١ - الجزائر | ٢ - البحرين | ٣ - بنجلاديش | ٤ - الكامرون | ٥ - جيبوتي | ٦ - الإمارات العربية المتحدة |
| ٧ - الجابون | ٨ - جامبيا | ٩ - غينيا | ١٠ - غينيا بيساو | ١١ - فولتا العليا | ١٢ - جزر القمر |
| ١٣ - أندونيسيا | ١٤ - العراق | ١٥ - الأردن | ١٦ - الكويت | ١٧ - لبنان | ١٨ - ماليزيا |
| ١٩ - مالديف | ٢٠ - مالي | ٢١ - موريتانيا | ٢٢ - المملكة المغربية | ٢٣ - النيجر | ٢٤ - سلطنة عمان |
| ٢٥ - أوغندا | ٢٦ - باكستان | ٢٧ - قطر | ٢٨ - المملكة العربية السعودية | ٢٩ - فلسطين | ٣٠ - السنغال |
| ٣١ - السودان | ٣٢ - تونس | ٣٣ - تركيا | ٣٤ - اليمن الشمالي | ٣٥ - اليمن الجنوبي | |

٢ - ليبيا

وتغيب عن المؤتمر : ١ - إيران

كما حضرة كمراقب :

١ - نيجيريا ٢ - قبرص التركية ٣ - جبهة تحرير مورو ٤ - حركة المجاهدين الأفغان

بالاضافة إلى عدد كبير من المنظمات والمؤسسات العربية والدولية .

ومحمد بن علي السنوسي مؤسس السنوسية جزائري الأصل، ولد في مستغانم عام ١٧٨٧م، من أسرة علمية محترمة وقد درس في مسجد القرويين بفاس ٧ سنوات، وأهّاه بالصوفية القادرية والشاذلية، وتأثر لضعف المسلمين وتخلّفهم وضغط العالم المسيحي لاستغلالهم سياسياً، وممارسة الصليبية بصورة أخرى.

واستهدف بناء مجتمع مسلم لمواجهة انحطاط المسلمين وتقدم المسيحية وأقام في الأزهر محاولاً نشر عقيدته في العالم الإسلامي، ثم أقام زاويته في أبي قبيس بالحجاز ١٨٣٧م، واتبعها بزوايا الطائف والمدينة وبدر وجدة وينبع وتوجه عام ١٨٤٠ إلى مصر فطرابلس.

وعام ١٨٤٣م أنشأ الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر، (أم الزوايا السنوسية) ثم نقل مركزه إلى الجغبوب ١٨٥٦م، بوصفها مركزاً للقوافل لنشر الاسلام في أفريقيا، وأنشأ هناك مدرسة كبيرة ومكتبة اسلامية وبدأ باعداد الدعاة لحمل الدعوة وعندما وافته المنية كانت دعوته قد استقرت ببرقة وطرابلس.

وقد تصوف على الطرق الصوفية وتأثر بها، واهتم بدراسات الفقه، ولم يشتط أو يتجمد، كما تأثر بالسلفية وبرز اتجاهه الصوفي واعتماده على القرآن والسنة، وقوله بالاجتهاد، وواجه نقمة العلماء، لانه يرى عدم التقيد بما ورد في المذاهب الأربعة، والاعتماد على القرآن والسنة، والرجوع إلى الاسلام من منابعه الأولى، وتطهيره من البدع، دون الاجماع، أو القياس، المتأخرين، وتأثر بابن تيمية، من خلال احتكاكه بالسلفية وآثر الطريق السلمي والتؤدة في الاصلاح والتدريج وهادئ القوى الموجودة في المجتمع للتفرغ للعمل في ارساء قواعد حركته، مستهدفا اصلاح الفرد، كنواة للمجتمع الاسلامي، الذي سينشر الاسلام في كل مكان، ولم يقتصر على العبادة والتصوف، بل شجع العمل والانتاج وقد خوت الزوايا المساجد والمدارس والمزارع والمتاجر فأصبحت «السنوسية» منهجا شاملا للحياة.

وبات معهد جغبوب أعظم مدرسة للدعاة في أواسط أفريقيا، وغربها، حيث أصابوا نجاحا كبيرا، فأصبح للسنوسية أتباع كثيرون، في كل قطر اسلامي في الجزيرة، وأفريقيا، من مراكش إلى الصومال.

وقد كاتب المهدي السوداني ابنه، فلم يرد عليه، لانحراف دعوته. وعمل على نشر المدارس والمأوى والزوايا، إلا أنه لم يهتم بالعلوم التطبيقية، وكان أقل عداً للأجانب.

وحركة المهديّة في السودان نظرت إلى الجهاد ضد الاحتلال الانكليزي، كنوع من التطبيق العملي لمفهوم الجامعة الاسلامية، فقد أرسل محمد أحمد في حزيران (يونيو) ١٨٨١م رسائل إلى أعيان السودان، يبلغهم أنه المهدي المنتظر، الذي اختاره الله ليملا الأرض عدلاً ومساواة، فكسب تأييد القبائل، وكان أبرز تلاميذه محمد أحمد من قبيلة البقارة ويرى السودانيون في محمد أحمد أباً لاستقلال السودان، لانه وحد قبائلها، وراء فكرة اسلامية، وطرد الاغراب وأسس الدولة، فكان مجاهداً ومجددا للعقيدة الاسلامية، أتى ليزيل الأخطاء والشوائب وقد أصبح لدعوته مضاعفات روحانية، فهو الامام الخليفة، والمهدي المنتظر. (١)

(١) محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي المولود في دنقلة بالسودان عام ١٢١٨هـ، هاجر مع والده الى أم درمان فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والحديث ثم تصوف وتشف وكان محباً للعمل قوي الثقة بنفسه ثم ادعى في عام ١٢٩٨هـ أنه (المهدي المنتظر) وبدأ يلفت الانظار لدعوته لابلاغها، الى شعوب وحكام العالم الاسلامي وطلب العون منهم للعمل على اشعال الثورة وفتح باب الهجرة للسودان والاستعداد لارسال الجيوش الفاتحة للبلاد الاسلامية لطرد الاجنبي.

وقد بعث حاكم السودان بأمره للمثول بين يديه ولكنه رفض وأعلمه أنه سيد البلاد الحقيقي وأعلن الجهاد فأرسل اليه حملة عسكرية في مقر إقامته بجزيرة —أبا— فتغلب عليها أنصاره وأبادوها عن بكرة أبيها وانتقل (المهدي) بعدها إلى الهجوم في كردفان فسير المصريون حملة أخرى لمقاومته فوامها ستة آلاف رجل ولكنها أيدت أيضا فعظم شأنه إثر ذلك وكثر أتباعه. وبعد ثورة عرابي واحتلال الانكليز لمصر أرسلت حملة قوامها عشرة آلاف رجل لاختضاعه ولكنه هزمهم أيضا ووقع السودان بأكمله تحت سيطرته الفعلية وهرب الاوربيون إلى مصر. ثم اعترفت الحكومة المصرية مصالحته وأرسلت الجنرال غوردون الذي أمر أتباعه بمهاجمة الخرطوم ولكن قوات (المهدي) تمكنت من الفتك به فغادر الانكليز البلاد مؤقتا. وبعد وفاة (المهدي) في ٩ رمضان عام ١٣٠٢هـ خلفه صديقه القديم عبد الله التعايشي الذي كان قد كناه بـ (أبي بكر) فاعترفت مصر بحقيقا لاحلام سلفه فقاد جيشا باعها مصر عام ١٣٠٦هـ وأثناء اجتيازه وادي حلفا أنزلت به الحامية المصرية هناك خسائر فادحة ثم قضى على حكمه بعد ذلك من قبل اللورد كتشنر البريطاني.



عبدالله التعايشي
حاول مقاومة بريطانيا على أرض مصر



السير هربرت كشر
سردار الجيش المصري !!



محمد أحمد «المهدي»
قائد ثورة السودان ضد بريطانيا

- واعتبرت مصر ظهوره خطرا، فأرسلت له حملة فشلت في «أبا» خلال آب سبتمبر ١٨٨١م واعتبر أنصاره فشلها من العجائب، وعرف أتباعه بالأنصار، وهم ثلاث فئات:
- ١ — الرجال التابعون
 - ٢ — قبيلتا الخبالين والدناقلة المتذمرتان.
 - ٣ — عرب البقارة للغزو ودفع الضرائب، وكانوا عماد جيش المهدي.

والمهدية حركة ذات أصل ديني، ساعدت على تطورها الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي تعرض لها المجتمع السوداني، وقامت بثورة سياسية أقامت حكما إسلاميا في السودان.

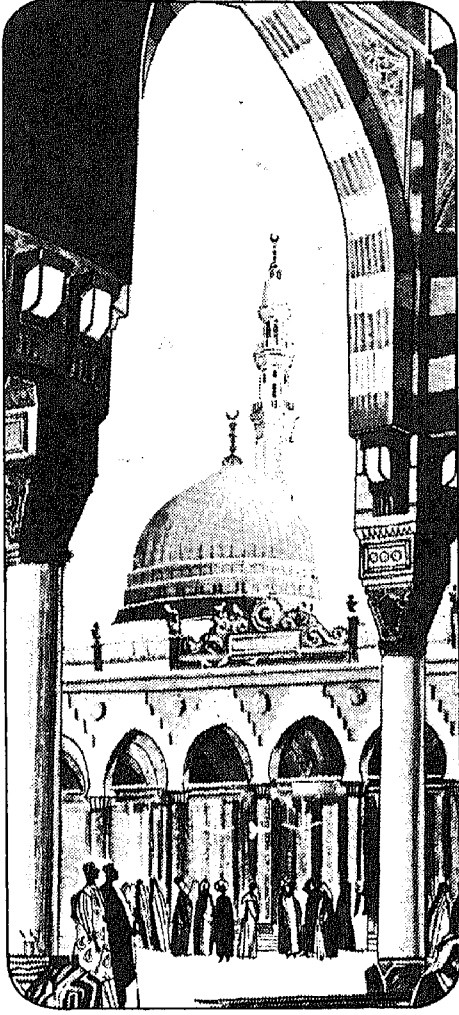
وكان محمد أحمد ينتمي للطريقة السمانية الصوفية، التي قامت هناك حوالي ١٨٠٠م. (١)

وقد حاولت الإدارة المصرية ربط السكان بالاسلام ونظمه بوصفهم مالكيين بدلا من تحكم العادات القبلية المحلية، إلا أنها طبقت المذهب الحنفي، وأنشأت المحاكم الدينية، وبنيت المساجد، واستقدمت المشايخ، واستقبلت بالأزهر طلاب السودان، الذين لعبوا فيما بعد دورا في المهدية.

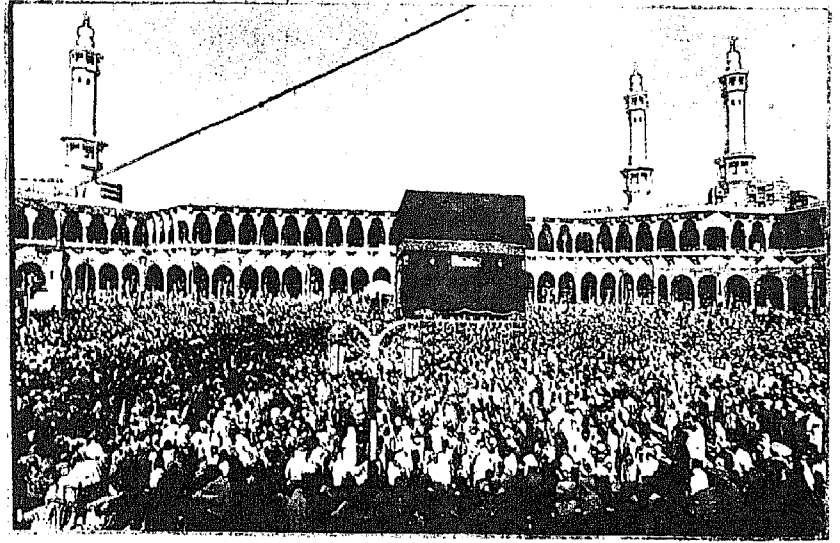
والمهدي يقرن ظهوره بدنو نهاية العالم، وبظهور المسيحية مرة ثانية، بعد ظهور المهدي، وهو مفهوم يبرز في الأزمات، كما أن له تفاصيل أخرى لدى الشيعة، وقد كرر المهدي أن الهدف من «رسالته» انعاش العقيدة وحياء سنة الرسول، وهو يحارب البدع والمحظورات، إلا أن أثر المهدية ظل محدودا في السودان.

وقد فشلت عدة حملات ضد المهدي في الفترة من ١٨٨١ — ١٨٨٢م وكان كل انتصار له يزيد سمعته، فتحول إلى الهجوم ١٨٨٢م وكانت استراتيجية اشغال الحكومة بالقبائل الصغيرة، وتدميرها بعد انهاكها بقواته الكبيرة، لينضم عدد كبير منها إلى قواته الجهادية، حتى وصل للخرطوم في ٢٦ كانون الثاني يناير ١٨٨٤م، وقتل «جوردن» ونقل العاصمة إلى أم درمان وكان يطمع بفتح العالم الاسلامي ولكنه توفي ١٨٨٥م وخلفه عبد الله بن محمد التعايشي، الذي لقب بخليفة الصديق.

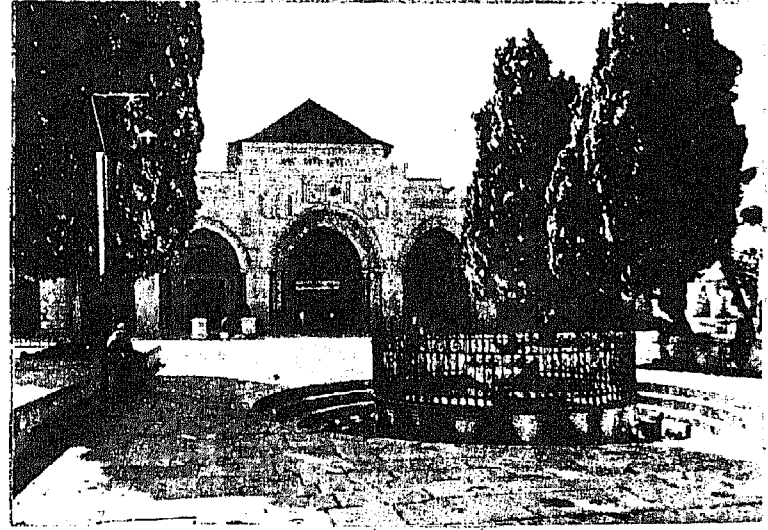
(١) يقول العالم الصوفي (الجزائري) في «المواقف» ج ١ ص ٤٨ (ان الله خلق آدم على صورته، فالعارف خليفة الله والخليفة لا بد أن يكون ظاهرا بصورة مستخلقة وهي أسماؤه وصفاته وإذا نقصه شيء من الصفات فقد نقصه من الخلافة بقدرها والعارفون متفاوتون في هذا والظاهر بالصفات والأسماء على الكمال هو الخليفة ولا يكون إلا واحدا في كل زمان وهو الانسان الكامل).



الحرم المدني



الحرم المكي



الحرم القدسي

وحدثت ثورة في المناطق الغربية بتحريض السنوسيين لناوأة المهديين وكان هجوم المهديّة على مصر ١٨٨٩م، فهزمت ولم تحتل البحر الأحمر، وانتهت أحلام الخليفة بالتوسع، وعين أقاربه في المناصب الرئيسية، لكسب ولائهم، وحدثت مجاعة ١٨٨٩م وثار أفراد من أسرة المهدي، فبطش بها بشدة، وانتهت الدولة المهديّة التي طردت الحكم المصري في السودان.

(١) وهكذا نجد أن الحركات الإصلاحية الحديثة، على اختلافها، تبنت شعار «الجامعة الإسلامية»، ورفعت لواء الإسلام، وإن اختلفت طرقها وتعددت غاياتها، إلا أنها تابعت الدعوة للجامعة الإسلامية، مما أدى إلى استمرار تداول هذا الشعار بين دعايتها وأنصارها، حتى ما بعد إلغاء الخلافة الإسلامية.

(١) من المؤسف أن معظم أبناء الجيل الحالي يجهلون حقيقة آراء ومواقف تلك الأسماء الالامعة في عالم الفكر والأدب والشعر العربي الحديث والتي ما كان لها أن تلمع لولا الأضواء التي سلطت عليها من قبل الوسائل الإعلامية في ظل الأوضاع الاستعمارية التي خضعت لها بلادنا، ثم اختفت نهائياً أو كادت أن تختفي مواقف وآراء ونجاج عبقریات المواهب الإسلامية التي تصدت لذلك الرعيل من تلامذة المستشرقين وزبانية الاستعمار، مما يجدوني لدعوة النقاد لاعادة تقويم الحياة الفكرية والأدبية في الوطن العربي منذ مطلع القرن الحالي. (المؤلف)

الفصل الثالث

الخدافة العربية في الوثائق البريطانية

كانت فكرة الخلافة العربية هي الشعار السياسي البديل للخلافة العثمانية الذي رفعته بريطانيا من خلال بعض أعوانها في البلاد العربية، بهدف ضرب الجامعة الإسلامية، ولم تتورع بريطانيا عن الإيعاز لبعض أعوانها المسلمين من غير العرب، مثل: أحمد علي في الهند والآغا خان، وغيرهما من التظاهر بالدعوة لشعار الجامعة الإسلامية نفسه، لتشويهه وضربه من الداخل، كما حصل، في الستينات من هذا القرن، حينما دعا أعوانها «للهلحلف الإسلامي»، رغم أنه لا يمت إلى الإسلام بصلة، بل إن الآغا خان وأحمد علي تابكيا على مضير الخلافة، عند اعتاب مصطفى كمال، مما أظهرها وكأنها أمنية من أماني الإنكليز، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا كلها ترتعد لذكر دولة الخلافة، أو فكرة الجامعة الإسلامية، حتى إن مصطفى كمال زعيم الحركة الوطنية المصرية وأحد أنصار الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية، اضطر للرد على صحيفة «الطائر» الفرنسية حينما كتبت مبدية تخوف أوروبا من حركة الجامعة الإسلامية بمقال جاء فيه: (لقد فسرت كلمة الجامعة الإسلامية في أوروبا بتفسير لا يتفق ومعناها الحقيقي، واني أعيد هنا ما كتبت في «الفيجارو» و«اللواء»، وما قلته في كل مكان، من أنه لا يوجد مسلم متنور، يعتقد لحظة واحدة، إن الشعوب الإسلامية، يمكنها أن تؤلف عصبة ضد أوروبا. واني اتساءل من الرجل العاقل السليم الإدراك، الذي يصدق إمكان تغلب الشعوب الإسلامية على كافة الدول الأوروبية.

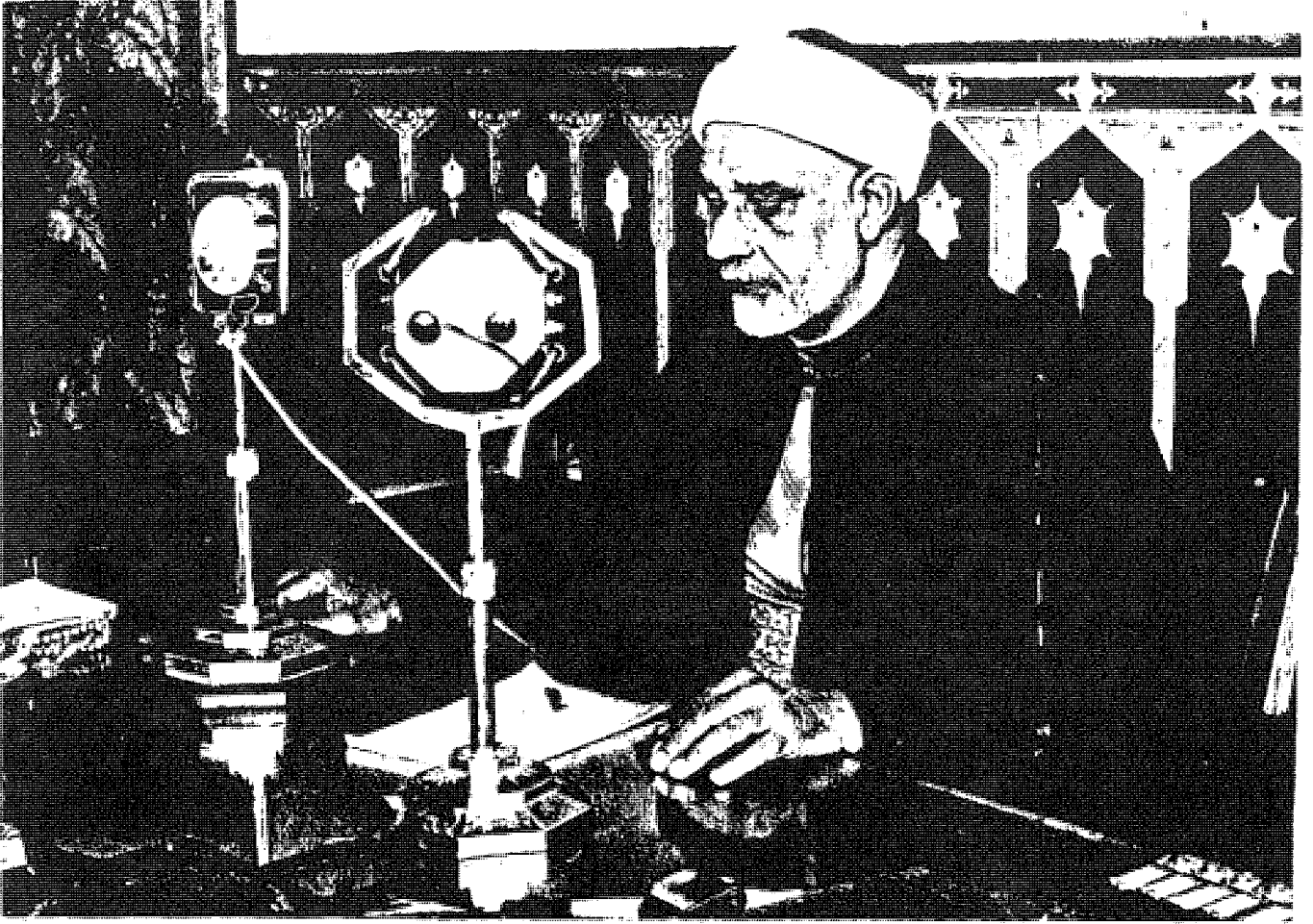
إن الحقيقة الساطعة الخالصة من كل شيء، هي أن حركة الجامعة الإسلامية، بالمعنى المقصود، منها في أوروبا، أي الحرب الدينية، لا وجود لها بالمرّة لأن المسلمين أدركوا من زمان بعيد، أنه يستحيل على أية أمة أن تعيش في معزل عن العالم، وإن الأمة التي تحاول ذلك تقضي على نفسها بالموت، أما الشعور الموجود، وبلا نزاع، عند كافة الشعوب الإسلامية، فهو شعور انعطافها وحنانها لبعضها البعض، فكل مسلم يرغب، من صميم فؤاده، أن يرى أبناء دينه معاملة أحسن من المعاملة الحالية، ومعتبرين كجزء هام من الإنسانية، ومحترمين في كل مكان، ومن كل إنسان، وأنه لما كان لتأخر الشعوب الإسلامية أسباب واحدة، وإن النهضة لا تعتبر حقيقة تشاهد بالعيان، بفضل أوهم تأليف عصبة إسلامية، ضد المسيحية، بل بالتعليم والنور، وبما أن الإسلام ليس عقبة فقط، بل قانون اجتماعي، فإن أحياء الأفكار، ونشر المعارف لا يتم إلا باظهاره على حقيقته، وإن ميل كل مسلم لأبناء دينه أمر طبيعي وشرعي، ولا يوجد رجل منصف ينتقد ذلك الميل). (١)

المراعي .. والخدافة الإسلامية

لعل من المناسب أن نشير إلى آراء الشيخ محمد مصطفى المراغي، قاضي قضاة السودان، وشيخ الأزهر فيما بعد، حول موضوع الخلافة نقلاً عن الوثيقة البريطانية رقم (٢٤٨٦) في دار المحفوظات البريطانية، حيث جاء فيها ما يلي:-

(في أبريل ١٩١٥ ظهرت في القسم العربي لجريدة «السودان تايمز» التي تصدر في الخرطوم ترجمة مقال من «التايمز اللندنية». وقرأ الشيخ مصطفى المراغي قاضي قضاة السودان إن المقال، وهو يختص بالخلافة الإسلامية، وبما أنه شخصية دينية كبيرة، وله أكبر منصب في القضاء الشرعي، في السودان، رأى أن يعلق على المقال لما حواه من مفاهيم خاطئة في نظره عن الخلافة الإسلامية، وقد بعث بخطاب مطول لحاكم السودان العام، «السير ريجنالد ونجت» يشرح فيه منصب الخليفة، ليصحح به المفهوم الخاطئ الذي ظهر في مقال «التايمز».

(١) انظر عبدالرحمن الرافعي (مصطفى كامل) ص ٤٤٨
انظر د. محمد عمارة (الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ١١١.



الشيخ محمد مصطفى المراغي رأي جريء في تأييد الخلافة العثمانية

بدأ خطابه بأن أورد جزءاً من ذلك المقال : « نستطيع الآن ان نقول بان موقف الخلافة الفعلي يبدو غريباً . فالمعروف ان الخلافة من حق قبيلة النبي ، وهي قریش ، وواضح ان سلاطين تركيا لا يدعون هذا الشرف ، ولكنهم مع ذلك يسوقون ثلاثة أسباب لتمسكهم بهذا المنصب . (١)

أولاً : لأنهم حصلوا على هذا اللقب من آخر خليفة عباسي كان في القاهرة سنة ١٥١٧ .

ثانياً : لأنهم حماة لمخلفات النبي مثل عباءته وبعض شعرات لحيته .

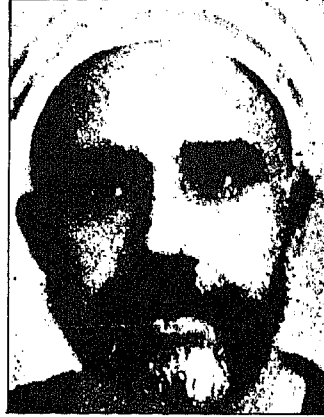
ثالثاً : لأن سلطان تركيا هو حاكم وحامي الأماكن المقدسة المعترف به من الجميع . ويمكن اضافة سبب رابع وهو أن سلطان تركيا يعتبر أكبر شخصية من بين الأحياء المسلمين .

والشيخ المراغي يقول بان هذا الرأي قال به بعض علماء السنة ويرجعونه الى الوقت الذي انتقل فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة وبرزت مشكلة فيمن يخلفه . ووضع ان الأنصار نافسوا المهاجرين في الخلافة . الا أن المهاجرين انتصروا في آخر الأمر ونسبوا حجتهم الى حديث منسوب للنبي بأن : [الأئمة من قریش] . ولم يشك المسلمون آنذاك في صحة الحديث . ومع ذلك بدأت مدارس فكرية لا تعترف بهذا الرأي لأنه ضد روح الاسلام الذي ساوى بين المسلمين مهما اختلفت عناصرهم ، والشيخ المراغي يقول بان منصب الخلافة ، ولو أن له علاقات بالدين ،

(١) يذكر د. أحمد الشرباصي في كتابه (رشيد رضا صاحب المنار) ان الملك فؤاد كان يفكر جدياً ببيعته للخلافة وقد أرسل وفداً برئاسة المراغي لاقناع ابن سعود ، والملك علي بن الحسين ببيعته ، كما يعمل طه حسين ثورة فؤاد على كتاب علي عبدالرازق بسبب هجومه على الخلافة لأنه طامع بها .



مصطفى كامل : تأييد للخلافة الإسلامية



محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر



الشريف حسين

اتصالات مع الانكليز لتنصيبه خليفة للعرب

الا أنه منصب دنيوي مثل الملوك الا انه يحكم بموجب القانون السماوي المستمد من القرآن الكريم ، فالاستقرار في الحياة الدينية لا يعتمد على التعاليم الدينية فحسب ، ولكن يجب أن تكون هناك قوة مهيمنة تمنع الشقاق والخلاف ، ولذلك كانت ناحية القوة والحكم هي الناحية الفعالة أكثر من الناحية الدينية البحتة .

وتفضيل قريش على غيرهم ، في تلك العهود الاولى للإسلام ، له ما يبرره آنذاك ، فلم تكن هناك قبيلة لها من القوة والنفوذ والروح المعنوية تضارع قبيلة قريش ، ولكن بمرور الزمن تشتت العرب ، وضعفت حالهم ، ودخلت الإسلام عناصر أخرى ، مثل العجم وغيرهم ، كانت لهم منفعة وقوة ، والمنطق يقتضي أن يتدارس المسلمون موقفهم ، من وقت لآخر ، وان لا يتمسكوا بنص العبارات والكلمات ، دون محتواها ومن ضمنها مسألة الخلافة .

وحتى لا يتهم بأنه يقصد من خطابه هذا تأييد الخلافة العثمانية استطراداً قائلاً بأنه قصد معالجة مسألة الخلافة الإسلامية ، في تطوراتها التاريخية ، ومفهومها من الناحية الدينية والدنيوية ، وكل ما قصد اليه هو أن يوضح ، للرأي العام البريطاني ، والسلطات المختصة للحكومة البريطانية ، المفهوم الصحيح للخلافة الإسلامية ، كما أنه من المفيد للمسلمين في هذا الوقت الذي تتوالى فيه أحداث لها نتائجها العظيمة ، على العروش والقوى ، وليس من الأمور السهلة ان يحصل التوافق بين المطامع المختلفة ، وان المرء ليعتريه اليأس أمام تلك العقبات التي تقف أمام التوحيد ، فإذا ما أمكن إيجاد الرجل الذي يكن له الجميع الاحترام ، وله كفاءة وأهلية ، فان تلك الصعوبات تزول ، والتاريخ الإسلامي من هذه الناحية مليء بالخلافات ، وتضارب المصالح والمطامع ، وأن المنصب دنيوي له علاقات دينية ، أخيراً يختم الشيخ المراغي خطابه بالدعاء الى الله ان يوفق المسلمين ازاء هذه المصاعب ، في ان يجعلوا لمصلحتهم الاعتبار الاول عندما يحين الوقت ليقرروا مصيرهم بأنفسهم) .

وهذه العبارات الأخيرة هي التي جعلت سير «ادوار جراي» عندما كتب لـ «مكماهون» معلقاً على الخطاب قائلاً له عليك ان تخبر «ونجت» بان يعلن للجميع اذا رأى ذلك مناسباً ان حكومة جلالة الملك ستجعل في أية شروط للمصلح شرطاً أساسياً في أن تترك شبه الجزيرة العربية والأماكن المقدسة في يد دولة إسلامية مستقلة . والأراضي التي تبسط هذه الدولة نفوذها عليها لا يمكن تحديدها في الوقت الحاضر . وحكومة جلالة الملك تشعر بأن مسألة الخلافة أمر يبت فيه المسلمون دون أي تدخل من الدول غير الإسلامية . فإذا ما قرر المسلمون انشاء خلافة عربية فان حكومة جلالة الملك بالطبع ستحترم هذا القرار ، ولكن المسألة تخص المسلمين وحدهم ، ليقرروا ما يرونه ، وليكن مفهوماً «لونجت» ان أماكن الشيعة المقدسة ستكون موضوع بحث منفصل وأن هذه الوعود لا تنطبق عليها .

والواقع أن موضوع الخلافة العربية (القريشية) كان قد أثير آنذاك من قبل الشريف عبدالله بن الحسين ، خلال اتصالاته «بستورزو ونجت» و«مكماهون» وغيرهم من رجال الانكليز الذين سارعوا لجمع أقصى ما يمكنهم من المعلومات حول الشريف حسين وأسرته ونسبه ومكانته بين العرب والمسلمين ، ومدى ولائه لهم .

الميرغني - والخلافة الإسلامية

وفيما يلي الوثيقة رقم (٢٤٨٦) حول «الخلافة العربية مرة أخرى» وهي إحدى وثائق دار المحفوظات البريطانية :

(كان السير «ريجنالد ونجت» حاكم السودان العام كشأن الحكام البريطانيين الآخرين الذين يحكمون أقاليم إسلامية، سواء مباشرة أو تحت الحماية، كان مهتماً بمسألة الدعاية التركية للجهاد، ونشط هو بدوره في السودان لايجاد دعاية مضادة، وكانت الخلافة العثمانية أهم عامل استند عليه الاتراك في دعاية رفع راية الجهاد، فاذا ما تيسر خلق خلافة عربية حرم الترك من هذا السلاح على الأقل في الأفطار العربية.. وعليه فقد استشار «ونجت» السيد «علي المرغني» أكبر زعيم ديني في السودان في هذا الأمر، وأبدى آراء تختص بالثورة العربية، والخلافة والمرشح في نظره هو الشريف حسين، شريف مكة، كتب «ونجت» بذلك الى السير «ادوارد جراي» وزير الخارجية في خطاب خصوصي، وفي أي أمر يتعلق بالخلافة الإسلامية، لابد أن يستشير وزارة الهند نظراً للملايين العديدة من المسلمين الهنود.

ففي ١٩ يونيو ١٩١٥ كتبت الخارجية لوزارة الهند مرفقة الخطاب الخصوصي الذي ورد للسير «ادوارد جراي» من «ونجت» ومعه مذكرة من السيد علي المرغني عن مستقبل الخلافة، والتأثير غير المباشر من قبل حكومة صاحب الجلالة على المسلمين، ويرى «جراي» أن آراء السيد علي لها اعتبارها وأهميتها، ولذلك فهو يقترح نشر الاعلان الذي سبق وأعلن في مصر والسودان في ١٤ ابريل الماضي في الجزيرة العربية وهو يقول بأن مسألة الخلافة أمر يخص المسلمين ولكن اذا ما رأوا خلق خلافة عربية فان بريطانيا ستحترم هذا القرار. وتستشير الخارجية وزارة الهند فيما اذا كانت ترى خطوات أخرى فيما يخص باقي اقتراحات السيد علي.

وفي ٢٤ يونيو ردت وزارة الهند بأن وزير الهند أخذ علماً برأي روسيا عن فصل الخلافة من السلطنة العثمانية وباقتراح السيد علي بأن شريف مكة هو أنسب المرشحين. وهذا لا يتعارض مع رأي الحكومة البريطانية مع التحفظ الذي أعلن من قبل، هو انها مسألة تخص المسلمين وحدهم دون أي تدخل من دول أخرى، ووزارة الهند لا يتضح لها ما يريده السيد علي من الحكومة البريطانية، فمثلا ما هو فحوى الاعلان الذي يراد لبريطانيا أن تعلنه، وما هي طبيعة المساعدة الادبية والمادية التي تقدمها سراً، ولكنها تكون معلومة ومعروفة في آخر الأمر، والوقت والطريقة التي تقدم بها، فاذا ما كانت السياسة هي أن الاعلان ينادي بعدم التدخل فان من الخطورة بمكان أن تحاول بريطانيا التدخل سراً مع الزعماء الهنود من المسلمين، وفي رأي وزارة الهند أنه لابد من الحصول على توضيحات عما يراد. وفي الوقت نفسه يرى وزير الهند أن حكومة صاحب الجلالة يجب عليها تشجيع شريف مكة بكل الطرق المتاحة لها ما عدا التدخل العسكري، لازالة الحكم التركي، وتأييده ضد تركيا، (وبنفس التحفظ) لأن، يكون حاكماً مستقلاً على الحجاز، مستخدمين نفوذهم لدى زعماء العرب الآخرين، والذين يقعون في دائرة نفوذهم (مثل السيد الادريسي وأمير نجد) للاعتراف به في هذا الصدد، فاذا ما ثبت أقدامه ووضح استقلاله وادعى الخلافة فللسيد علي وغيره أن يعترفوا به بعد ذلك.

ويعتمد اعتراف الحكام العرب الآخرين به على مدى ما تعنيه هذه الخلافة بالنسبة للسلطة الزمنية، وهل تحمل في طياتها السيادة عليهم وعلى أراضيهم التي يحكمونها. فالأمر متروك لهم ويرى وزير الهند أن لا تقدم الحكومة البريطانية للشريف أكثر من العون الدبلوماسي، فالعون المادي قد يتعارض مع التزاماتها نحو استقلال زعماء العرب الآخرين، فلهذا السبب ولأسباب أخرى يبدو من الحكمة ان يترك العرب ليتصرفوا بأنفسهم بقدر الامكان وتجنب أية مغامرات سياسية في الداخل. وعلى أي حال فالشريف بحكم وضعه كحاكم فعلي للأراضي المقدسة فان حكومة جلالة الملك تفافوضه في كل الأمور المتعلقة بالحج، وهذا الوضع بدون شك يؤثر على موقف المسلمين من الهنود وخاصة الزعماء أصحاب السلطة نحو زعامته الروحية).

الشيخ حسين .. والخلافة العربية

وقد أوردت الوثيقة البريطانية رقم (٢٤٨٦) شرحاً لموقف روسيا القيصرية من المسألة قبيل اندلاع الثورة الفلسفية وكان نصها ما يلي :

(وبمناسبة الخلافة فإن للدوائر الروسية رأي طريف عنها دونه السير مارك سايكس فقد أخبره مترجم السفارة الروسية في استانبول والذي طرد منها في يونيو أن قسماً من علماء الدين الترك في استانبول يرون في حالة سقوط استانبول من الحكمة فصل لقب الخلافة من بيت آل عثمان وتعيين نقيب الاشراف في استانبول خليفة بصفة مؤقتة ، والحصول له من الحلفاء على جزء من استانبول مثل الفاتيكان . وفيما بعد ينوون جعل الترفيع لمنصب الخلافة بطريق الانتخاب مثلما هو في البابوية ، ولم يتصلوا بالنقيب في الموضوع والمشروع كما يبدو مبني على حوادث افتراضية ولم يتطور أكثر من ذلك) . والواقع ان السياسة البريطانية آنذاك كان يتجاذبها تياران مختلفان فقد كانت المعلومات التي تصل الى وزارة الخارجية من خلال تقارير ضباط وعملاء الاستخبارات البريطانية ترسم للموقف صورة من زاوية تختلف عن الزاوية التي ينظر من خلالها ضباط وعملاء وزارة الهند الذين كانوا يباشرون نفوذهم في المنطقة العربية بحكم تبعيتها لاختصاص وزارتهم وكان إتجاههم غالباً يرجع عدم تبني مسألة الخلافة العربية والاكتفاء باغداق الوعود على حسين وأنصاره ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ويعاد ترتيب الأوضاع ، طبقاً للمحالفات الدولية ، وتوضح الوثيقة البريطانية رقم (٢٤٧٩) هذه الناحية فتقول :

(كان هناك تعاون وثيق بين وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند فيما يتعلق بالشئون العربية ، لأن الأخيرة لها الاشراف الكامل على عسير وعدن والمحميات واليمن والجنوب العربي عموماً والخليج وداخل الجزيرة العربية ونجد والعراق ، وقد بدأت ، كما قدمنا ، الاتصالات مع الشريف حسين في مكة ، ومع بعض زعماء العرب في مصر وفلسطين ، قبل وبعد دخول تركيا الحرب ، وقد ورد ذكر الخلافة عربية بدلاً من التركية ، وموقف وزارة الخارجية بعد المشاورات هو الحياد في هذه المسألة ، على انها تخص المسلمين ، ووزارة الهند يهتما أمر الخلافة لأن رعاياها في الهند من المسلمين ، أكبر مجتمع اسلامي ، ويقع تحت نفوذها عدد من زعماء العرب ، في الجزيرة العربية ، ولذلك وافقت على هذا الموقف من قبل الحكومة البريطانية .

قالت هذا بصدد ما ذكر من أن المرشح لهذه الخلافة هو الشريف حسين شريف مكة ، واعتراضها على الشريف هو أن هذه الخلافة يتبعها بالضرورة سيادة سياسية على كل جزيرة العرب ، وهذا أمر غير مقبول للزعماء الآخرين ، وحسب التقارير التي وصلت من الهند فانه لا فائدة ترجى من تدخل بريطاني في مسألة الخلافة ، بل قد يقود الى أضرار كما هو محتمل ، وعلى هذا فوزارة الهند تفضل حذف أية اشارة إلى الخلافة ، أو الاعتراف بها أو تأييدها ، فالمفاوضات مع العرب مع التأكيد لهم أن هذا الموقف الحيادي تجاه الخلافة لا يعني ان حكومة جلالة الملك لا تنظر بعين العطف لتطلعات العرب في نيل حريتهم السياسية من نير الحكم العثماني) .

وهكذا انتهت الحرب بعد أن اشعل حسين ثورته ، ولم يكن امامه ازاء ترتيب أوضاع المنطقة طبقاً للمحالفات الدولية الا محاولة الحصول على اي مكسب ، فأعطى ملك الحجاز ، ولم يلبث أن واته الفرصة حينما أعلن مصطفى كمال إلغاء الخلافة الاسلامية فأعلن نفسه خليفة للمسلمين ، ولكن هيهات ان يملأ كرسي الخلافة ، بعد أن كشفت أوراقه مع مكماهون ، وأوراق الانكليز مع اليهود ، وباقي الاتفاقيات الاستعمارية ، وتالت عليه الضغوط من داخل الحجاز من داخل بيته حتى اضطر للتنازل عن ملك الحجاز ، مشروطاً عدم اسناده لابنه علي ، ولكن الحجازيين بايعوا ملياً الذي ما لبث أن اضطر للتنازل عن المملكة الهاشمية الحجازية الى السلطان عبد العزيز آل سعود سلطان نجد وملحقاتها ، وطويت بذلك صفحة الخلافة الاسلامية ، ولم تعد تثار الا في المؤتمرات والمناسبات وعلى صفحات الصحف والمجلات من قبل أنصار الجامعة الاسلامية .

وعلى الرغم من زوالها استمرت في أذهان الاوربيين هاجساً خفياً يؤرق ليلهم ، وكابوساً فظيماً يذكرهم بالحروب الصليبية .

الفصل الرابع

الجامعة الإسلامية والفكر المعاصر. (الخلاف في الشريعة بين الوهاب والتقي)



— سيد قطب معالم الطريق —



— حسن البنا الامام الشهيد —

ان موضوع الخلافة لم ينته في العالم الاسلامي، حتى اليوم، فقد نادى بعودتها العديد من العلماء والشخصيات، وحملت شعارها عدة حركات، في مختلف الديار الاسلامية، وخلال السنوات الأخيرة نلمس في الصحافة الغربية تياراً خفياً يصب جام غضبه على الجامعة الاسلامية، والخلافة الاسلامية، والشريعة الاسلامية، ويتوجس خيفة لوصول إحدى الحركات للحكم منادية بتطبيق الشريعة الاسلامية.

بل إن الغرب عمد مؤخراً إلى الإيحاء لعملائه لاصطناع تطبيق الحدود الشرعية بصورة فظيعة ومنفرة بحيث تسلط عليها الأضواء الاعلامية الموجهة في محاولة أخيرة لاستبعاد تطبيق الشريعة الاسلامية ولإسدال الستار نهائياً على «البيع» الذي يخيفه وهو عودة الخلافة الاسلامية وبقطة المارد الإسلامي.

وأخشى ما يخافونه الجهاد، والجميع يراقب المد الديني، ويخشى اليقظة الإسلامية، حتى أن «الجوش كرونكيل» اللندنية قالت: (ليس في وسع الغرب ولا حتى روسيا أن ينظر بطمأنينة إلى الوعي الذاتي المتنامي والثقة بالنفس عند المسلمين، اللتين إذا أخطىء توجيههما، أو التحكم فيهما يمكن أن تزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية)، ولعمري تلك كلمة الحق التي أريد بها الباطل.

ومما يذكر أن تاريخ المسلمين لم يخل من وجود الخليفة منذ وفاة الرسول الكريم وحتى إلغاء مصطفى كمال الخلافة السلطان العثماني عبدالمجيد الثاني في آذار «مارس» ١٩٢٤ ، باستثناء فترة ثلاث سنوات (١) أعقبت سقوط الخلافة العباسية ببغداد على يد المغول، قبل أن يبايع المسلمون المستنصر بالله العباسي، في القاهرة، خليفة للمسلمين، حيث استمرت الخلافة في البيت العباسي حتى تنازل المتوكل على الله، وبيعه لسلطان العثمانيين (سليم الأول)، وكان ذلك نابعا من قناعة جبهة المسلمين بأن بيعة الخلافة فرض أساسي من فروض الدين، بل هي الفرض الأكبر الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض، وذلك هو رأى أهل السنة والجماعة وهم الكثرة العظمى للمسلمين، فهم يرونها ليست فرضا فحسب، بل هي ركن الدين، وأصل الايمان، الذي لا يصح الايمان الا بوجودها)

أوضحنا فيما سلف أن مفهوم الخلافة والامارة والامامة، واحد، وهو لا يخرج عن كونه الرياسة، أو القيادة، أو الولاية العامة، لسائر المسلمين، بقي أن نعرف معنى «الخلافة»، في اللغة، والحكم، والشرع، وأول ما ينبغى بحثه فيما يتعلق بمعنى الخلافة ومفهومها هو أن ندرس لفظ (الخلافة) من الناحية اللغوية البحتة لنعرف ما اذا كان يعني الخلافة على العرش فحسب، أم يعني كذلك النيابة والتمثيل. فكلمة «خليفة» تأتي بمعنى (مخلف) كما تأتي بمعنى (خالف) وصيغة فاعيل الأولى بمعنى مفعول، بينما صيغة فاعيل الثانية بمعنى فاعل، وقد دخلت تاء التأنيث عليها مع أنها تقال للمذكر لأن الخليفة لا يكون إلا رجلا، وذلك من باب المبالغة.

يقول الامام راغب الأصفهاني في مفرداته: «والخلافة نيابة عن الغير أما لغوية المنوب عنه واما لموته واما لعجزه واما لتشريف المستخلف» وقد استخدم Lane في معجمه الشهير Arabic - English Lexicon لفظ «خليفة» بمعنى Successor «الخلف - الورث» كما استخدمه كذلك بمعنى Vicegerent النائب، الوكيل، الممثل.

وليس من الضروري للخلافة أن يكون المنوب عنه ميتا أو غير موجود فالامام راغب الأصفهاني يقول «خلف فلان فلانا أي قام بالأمر عنه أما معه وأما بعده» ومشتقات «خلف» تتباين خواصها وتتغير، ففي «تاج العروس»: خلفه خلافة: كان خليفته: وبقي بعده وجاء بعده، ويقول القرآن الكريم:

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا



— أبو الأعلى المودودي
مجدد الاسلام في القارة الهندية



الشيخ محمد أبو زهرة
الفقه الاسلامي في العصر الحديث

(١) انظر شجرة الخلافة الاسلامية ضمن الملاحق.

مَا فِيهِ وَالْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

وحول موسى وأخيه هارون قال تعالى :

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ غَضَبَ مَنْ أَسَفَا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعِجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقُوا الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾

(سورة الاعراف الآية ١٥٠)

(سورة الزخرف الآية ٦٠).

وقال : وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

وتخلف بمعنى القعود والتأخر قال تعالى :

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(سورة التوبة الآية ١٢٠).

و«اخلف» بمعنى : اعطاء العوض عن شيء مفقود ضائع . ففي «نهاية ابن الاثير» اخلف الله لك وعليك خيراً أي أهدلك بما ذهب عنك وعوضك .

وقال تعالى :

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

(سورة سبأ الآية ٣٩)

وفي الحديث الشريف :

[تكفل الله لمن جاهد في سبيله أن يدخله الجنة] (رواه النسائي ومالك في الموطأ والصحاحين).

«وخلف واستخلف» ففي تاج العروس خلف فلانا اذ جعله خليفته كاستخلفه وفي «أقرب الموارد» «استخلف» اذا لم يصرح بالمتوب عنه فمعناها جعله خليفته فيقال : «استخلف فلانا أي جعله خليفة له» واذا صرح بالمتوب عنه فتعني أنه جعل هذا الشخص خليفة لمن ذكر اسمه فيقال «استخلف فلانا من فلان أي جعله مكانه» .

ومعنى هذا أن القرآن الكريم اذا ذكر مجرد الاستخلاف دون اشارة إلى المستخلف له فمعناه أن الله جعلهم خلفاء له مثل قوله تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة النور الآية ٥٥)

وإذا اشار إلى المستخلف له فمعناه أنه جعله خليفة مكان الآخر أو بعده. أما إذا ذكر أنه نحى النائب السابق وأقر مكانه نائباً آخر فإن هذا القول يتضمن كلا المعنيين أي أنه يعنى أن الحاكم الأعلى أقر فلاناً مكان فلان، كما يعنى أنه جعل فلاناً نائبه بعد فلان.

فلو قلنا مثلاً: «استخلف الملك اللورد اردن» بعد اللورد «ريدنج» على ولاية الهند فمعنى هذا ان الملك قد عين اللورد «اردن» حاكماً على ولاية الهند بدلا من اللورد «ريدنج» وليس بين المعنيين تضارب أو تناقض يمنع انطباقهما وتحققهما في آن واحد. اذن فمعنى الآية:

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ؕ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

(سورة الانعام الآية ١٣٣)

ان الله يعطى مكانكم لآخرين وكذا يجعل آخرين خلفاء له في مكانكم. وليس ثمة ما يحول دون تحقق أي الامرين في أحد المعنيين أو كليهما من الناحية اللغوية.

و«جعله خليفة» يعنى فقط عينه خليفة ومعنى لفظ خليفة سواء قصد به «النائب» أو الخلف فهو في الحالين معنى مضاف وقامه لا يمكن دون وجود منوب عنه عند التعبير عن المعنى الأول، ومستخلف له عند قصد المعنى الثاني». والموضع الذي صرح القرآن فيه بذكر المستخلف له بالاضافة إلى «جعل الخليفة» وتعيينه يتضح فيه المعنى المقصود فمثلاً:

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ؕ الْآءِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

(سورة الاعراف الآية ٦٩)

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا ؕ الْآءِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

(سورة الاعراف الآية ٧٤)

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(سورة يونس الآية ١٤)

ولكن حين لا تكون ثم إشارة صريحة إلى المستخلف له نجد أنفسنا مضطرين لقبول مستخلف له مقدماً فمثلاً:

يٰۤأَيُّهَا آدَامُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

(سورة ص الآية ٢٦)

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة النمل الآية ٦٢)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

«سورة البقرة الآية ٣٠»

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ
رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

«سورة الانعام الآية ١٦٥»

وفي هذه الآيات وما يشاكلها نرى سؤالاً يطرح نفسه: لمن «يجعل» الانسان «خليفة» في هذه الآيات، فلو قلتم
خليفة للمخلوقات السابقة أو الأقوام الغابرة أو الملوك الأوائل، فيصرف النظر عما نلقاه في هذا القول من صعوبة
وغرابة، نجده لا يتفق وبعض الايات فمثلا في الآية:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة البقرة الآية ٣٠)

— لو قلتم إنها تعني أنني جاعل خليفة لسكان الأرض السابقين، قلنا ان نتساءل هل ذكر الله في أي موضع في القرآن
أولئك السكان الذين اسندت خلافتهم إلى الانسان؟ فان كان تعالى ذكرهم فهاتوا برهانكم والا فخبرونا بالله عليكم
أي المعنيين لآية: «إني جاعل في الأرض خليفة» اقرب إلى الفهم من الناحية اللغوية والأدبية المحضة، هل اني
جاعل في الأرض خليفة لسكانها السابقين أم أني جاعل في الأرض نائباً لي وأقول لكم لو ثمة انسان يعرف اللغة
العربية ولا شيء آخر واستمع إلى هذه الآية فسيخبرنا من فوره بأي المعنيين يراد بها.

وقد كشف الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس عن خطأ لغوي فادح في أول سطور من كتاب «الاسلام وأصول
الحكم» لعلي عبدالرازق، الذي قال: (الخلافة لغة مصدر تخلف فلان فلانا اذا تأخر عنه، واذا جاء خلف آخر، واذا
قام مقامه) فأوضح أن مصدر «تخلف» هو التخلف، أما الخلافة فهي مصدر خلف، فنحن نقول تخلف تخلفاً، وخلفه
خلافة (١) أما معنى الخلافة في الحكم، فالمراد بالخلافة في الأرض خلافة الأرض وملكتها، وبعضكم يترجم «إني
جاعل في الأرض خليفة» اني جاعل في الارض ملكاً، وعلى هذا الأساس يزعم أن آدم عليه السلام جعل خليفة من
قبل من سكان. فاذا كان معنى الخلافة وراثه المكان أو النيابة أو المجيء في العقب، فمن أين أتى فيها معنى الحكم
والسلطان؟ واذا كان لفظ الخلافة ذاته يخلو من وجود هذا المعنى بالفعل فمن الممكن أن يكون قد دخل فيه باعتبار أن
الخليفة يخلف حاكماً أو سلطاناً وربما أن الانسان قد نال الخلافة التي يضم معناها بين جنبه مفهوم الحكم والسلطان
وفق ما أقررتم به واعترفتم، فلا مناص من التسليم بأنه صار خليفة من كان ملكاً حاكماً قبله. فهل ثبت من القرآن
والبحث والتحقيق العلمي وجود مخلوق قبل الانسان على وجه الأرض كانت له حيثية الحاكم؟

ان العلم والحكمة وحرية الاختيار والارادة والقدرة وغيرها من الصفات لازمة للحكم وضرورية، وبدونها لا يمكن
امضاء الحكم على الأرض وموجوداتها وقد ثبت من التحقيق العلمي أنه لم يكن فوق تراب هذه الكرة الأرضية
مخلوقات تتصف بمثل هذه الصفات. والقرآن يؤكد هذا فيقول أنه قبل وجود الانسان كان ثمة أفضل خلق الله — أي
الملائكة — الذين سماهم «عباد مكرمون» في قوله تعالى:

(سورة الأنبياء الآية ٢٦)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾

وكانوا لا يدرون عن الاشياء خبرا

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِعُ آدَمَ أُنْبَاهُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾

(سورة البقرة الآيات ٣١ و ٣٢)

وكانوا محرومين مسلوبي حرية الارادة والاختيار

يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(سورة التحريم الآية ٦)

أما المخلوقات الثانية قبل الانسان فكانت الجن ولم يرد بشأنهم في القرآن ما يفهم منه أنهم كانوا يحكمون في الأرض. وتليهم الحيوانات والنباتات والجمادات التي تعرفون بالطبع أمرها وطبيعتها، فأبي مخلوق تشرف الانسان بخلافته في الأرض؟

وحتى لو سلمنا بأن خلافة الانسان هي خلافة عمن سكنوا الأرض قبله، وانهم كانوا حكام الأرض قبل مجيئه إليها فهل كانوا حكاما بذواتهم وفي أصلهم وجوهرهم أم كانوا حكاما بالنيابة؟

وبالطبع لا تستطيعون اختيار الأمر الأول لأن وجهة نظر العقيدة الاسلامية تقول أن الحق تعالى وحده هو الحاكم بذاته وأصله وأن حكم سواه موهوب وممنوح أما في حال اختياركم الأمر الثاني فأمامكم أمران: أما ان تسلموا بسلسلة لا متناهية من حلقات الخلافة المتتابعة، وأما أن تعترفوا بتعاقب عدد معين من الخلفاء في منصب الخلافة وفي كلتا الحالتين ينتهي الأمر إلى أن ذات الله هو المصدر الرئيسي والمنبع الأول الأساسي. وهنا يمكن أن يظهر في الخلافة معنى الحاكمية والسلطان باعتبار أنها خلافة إلهية ونيابة عن الحاكم الأعلى. وبعد أن شرحنا معنى الخلافة «لغة وشرعا»، نرى من المفيد أن نبحث في القرآن الكريم عن الاشارات المتصلة بهذا المفهوم.

أما الاشارات القرآنية التي تدل دلالة واضحة على أن هذه الخلافة التي تشرف الانسان بها هي في حقيقتها خلافة الهية. فيبين القرآن ان الله قد خلق الانسان في أحسن تقويم:

(سورة التين الآية ٤)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

وقد صنعه تعالى ببيديه:

قَالَ يَتْلِيَ بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أُسْكِرْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ (سورة ص الآية ٧٥)

ثم نفخ من روحه:

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (سورة السجدة الآية ٩)

وشرفه بنعمة العلم:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

(سورة البقرة الآية ٣١)

وسخر له كل ما في السموات والأرض

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(سورة الجاثية الآية ١٣)

وعلاوة على كل هذا أمر الله أن تسجد له حين اكتمل خلقه . وقد ذكر هذا الأمر في سورة (ص) بشكل يقتضي الوقوف عنده وتأمله بوجه خاص فقال تعالى:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ يَبْنَئُ بِلَيْسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٨١﴾ قَالَ فَانْخُرْ مِنْهَا فإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٨٢﴾

(سورة ص الآيات ٧٦ - ٨٢)

وتوضح هذه الآيات أن صدور أمره تعالى إلى الملائكة بالسجود للانسان كان بسبب صنعه اياه بيديه، يعنى أن الانسان كان المظهر التام للقدرة والصنعة الالهية وفي داخله روح خاصة نفخها الله فيه بنفسه، وخلق الصفات التي تتصف بها ذات البارئ تعالى ولكن على نطاق محدود بالنسبة لصفات الله اللامحدودة اللامتناهية التي تفوق الكمال . ثم أعلن عز وجل بعد أن خلق الانسان على هذه الحال وبث فيه هذه الصفات - انه جاعله خليفة في الأرض كما هو مذكور في سورة البقرة . فانتاب الملائكة بعض الشك في هذا الأمر فأظهر الله أمامهم أفضل صفة من صفات الانسان وهي العلم حتى ثبتت أهلية الانسان وصلاحيته لمنصب الخلافة، وصدر الأمر إلى الملائكة أن اعترفوا بهذه الخلافة وأقبلوها واسجدوا لهذا الخليفة دليلا منكم على التسليم والاذعان . فاعترف الملائكة وسلموا بذلك وسجدوا الا الشيطان الذي رفض قبول هذه الخلافة فطرد من الحضرة الالهية .

فما الذي يتضح من كل هذه الاشارات ؟ لقد أثبتت الايات رفعة مكانة الانسان وأظهرت أفضليته على سائر المخلوقات في مواجهة عامة ولقاء صريح، قيل له أنه المظهر الأكمل لصفاتنا واننا نفخنا فيك روحا خاصة منا . وصدر الأمر الى الملائكة أن اسجدوا له ... وفوق ذلك يعلن «إنا جاعلوه خليفة» .

فهل كانت هذه الخلافة التي اعلنت في وسط كل هذه الاستعدادات محض خلافة لساكني الأرض الأقدمين، وإذا كان الأمر مجرد اسكان آخرين محل السكان الأولين السابقين فما الضرورة في إعلانه أمام الملائكة ؟ وما الداعي لظهار أفضليته عيانا أمامهم ؟ ثم لماذا أمر الملائكة بالسجود لهذا الساكن الجديد بالذات الذاهب ليحل محل القوم الآخرين في الأرض . أما عن الخلافة وعلاقتها بالتفويض الالهي للحاكم المسلم بشؤون البلاد والعباد فإن القول المذكور في القرآن

والذي يلقي الضوء على معنى الخلافة الالهية ويفسره هو:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

(سورة الأحزاب الآية ٧٢)

والمقصود بحمل الامانة في هذ الآية حرية الاختيار والمسؤولية والحساب ومعنى هذا أنه لم يكن في السماوات والأرض والجبال قبل خلق الانسان مخلوق لديه القدرة على القيام بهذا الحمل، أو قبول هذا الوضع ثم جاء الانسان وحمله. ونستخرج من هذا عدة نقاط هي:

- ١ - لم يكن في السماوات والأرض والجبال مخلوق قبل الانسان يحمل عبء الامانة والانسان هو أول مخلوق يحمل هذا العبء، ولذا فهو ليس خليفة أو وريث «Successor» أحد في منصب حمل الأمانة.
- ٢ - ان ما يسمى في سورة البقرة بالخلافة قد عبر عنه في هذه الآية بالأمانة ففي الأولى أثبت للملائكة انكم لستم أهلا للخلافة وان الانسان هو الجدير بها، وفي الثانية قيل ان لم يكن في السماوات والأرض والجبال مخلوق كفاء.
- ٣ - ان لفظ «الأمانة» يوضح مفهوم «الخلافة» ومعناها أو كلا اللفظين يلقي الضوء على وضع الانسان الصحيح وحقيقته الأصلية بالنسبة لنظام العالم فهو حاكم الأرض لكن حكمه لها ليس في ذاته وأصله وانما هو حكم مفوض إليه Delegated Power ومن ثم عبر الله عن سلطاته المفوضة الى الانسان Delegated Power بلفظ «الامانة» وعلى هذا فمن يستخدم هذا السلطان المفوض اليه من جانبه تعالى فقد سماه «خليفة» Vicegerent وطبقا لهذا الشرح أصبح معنى الخليفة هو الشخص الذي يستخدم السلطات الممنوحة له من قبل شخص آخر.

«Person Exercising Delegated Power»

اما حكم الخلافة في الشريعة الاسلامية فقد انفقت نصوص من الكتاب الكريم والسنة الشريفة وأقوال الصحابة الكرام وآراء الفقهاء الاجلاء على أن إقامة الخلافة واجب على الكفاية، بمعنى انه: ان قام به بعض المسلمين (في بلد ما) سقط عن الآخرين، مع وجوب تأييدهم للخلافة وان لم يقم به أحد، أثم الجميع، حتى تقوم خلافة شرعية.

يقول ابن تيمية: (يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين الا بها) (١). وقد قال الله تعالى:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

(سورة الحديد الآية ٢٥)

عَزِيزٌ

كما يقول المارودي: (الخلافة موضوعة لخلافة النبوة.. موضوعة لحراسة الدين والدنيا... وهي نظام واجب بالاجماع... واول اختصاص للخليفة حفظ الشرع فتعيين الامام واجب على الجماعة الاسلامية.. والقرآن يوصي

(١) ابن تيمية — «السياسة الشرعية»

بطاعة أولي الأمر واذن فمصدر سلطة الامام هو الله تبارك وتعالى (١)

أما القواعد التي يتركز عليها الحكم في ظل الخلافة الاسلامية فهي :

١ — انبثاق جميع النظم والقوانين والقرارات عن العقيدة الاسلامية، المبنية على العقل والموافقة للقطرة الانسانية، وسيادة الشرع الموحى به في القرآن، والسنة، مصداقا لقوله تعالى

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّكُمْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٠١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَنَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٠٢﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾

(سورة المائدة الآيات ٤٩ و ٥٠ و ٥١)

ذلك أن الشرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما القوانين الوضعية فهي عرضة للخطأ وبالتالي للتغيير والتبديل، مما يحصر مهمة العقل والفهم الانساني في حدود الشرع نفسه وضمن شروط الاجتهاد.

٢ — السلطان للأمة في اختيار من يحكمها تولية وعزلا وفقا للنص الشرعي (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقد أوجب الرسول الكريم اختيار «الامير» بقوله : [إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم]

رواه أبو داود (صحيح البخاري)

ومن باب أولى أن تؤمر الأمة عليها خليفة يحكمها.

٣ — وحدة الأمة الاسلامية على اختلاف الديار وتباعد البلدان، وفرضية نصب رئيس دولة واحد، تطبيقا لقول النبي (ص) : [إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما].

(رواه مسلم)

ما يستوجب بالتالي قيام دولة واحدة تضم جميع المسلمين.

٤ — مقياس جميع الأمور والأعمال هو الحلال والحرام ولا ثالث لهما، والحلال ما أحله الشرع، والحرام ما حرمه الشرع، فالحلال بين والحرام بين مصداقا لقوله تعالى :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

(سورة النحل الآية ٨٩)

٥ — أمر «الامام» برفع الخلاف بمعنى أن لرئيس الدولة الاسلامية وحده حق تبني الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة الشرعية. وللامام أن يستعين بمن يراه لمعاونته في «التفويض» او «التنفيذ». وطاعة الخليفة واجبة على المسلمين، حتى لو ظلم، ما لم يأمر بمعصية أو يظهر كفرا بواحا، كما أن الجهاد واجب على المسلمين حتى تقوم الساعة، وهكذا

(١) أبو الأعلى المودودي «الحكومة الاسلامية» المختار الاسلامي الطبعة الاولى ١٩٧٧ — نقله للحرية احمد ادريس .

نجد أن نظام الحكم الاسلامي يعتبر نمطا فريدا بين أنظمة الحكم التي عرفها العالم فهو يتركز على ثمانية ركائز مميزة :

- ١ - رئيس الدولة ، وهو الخليفة ، أو أمير المؤمنين ، أو الامام .
- ٢ - المعاونون : وهم إما معاونو التفويض الذين يمنحهم الخليفة جميع أو بعض صلاحياته ، أو معاونو التنفيذ الذين يتقيدون بتنفيذ أوامر الخليفة ، أو معاونو التفويض ضمن الصلاحيات الممنوحة لهم .
- ٣ - الجهاز الاداري : يعينه الخليفة لرعاية مصالح الناس المختلفة ، بحيث تكون لكل مصلحة ادارة .
- ٤ - قاضي القضاة : يعينه الخليفة للاشراف على شؤون القضاء وتعيين القضاة .
- ٥ - الولاة : يعينهم الخليفة حكاما للولايات والأقاليم والثغور .
- ٦ - مجلس الشورى : تنتخبه الأمة إنتخاباً حرا مباشرا . ويرجع اليه الخليفة والمعاونون ضمن صلاحياته .
- ٧ - الجيش بأسلحته المختلفة البرية والبحرية والجوية . وبما يتبعه من مصانع الأسلحة والذخيرة والعتاد والألبسة ومهمته الجهاد في سبيل الله ذودا عن الديار الاسلامية أو حلا للدعوة الاسلامية .
- ٨ - محكمة المظالم وهي المحكمة العليا التي يلجأ اليها رعايا الدولة في القضايا التي يختصمون فيها مع الخليفة أو معاونين أو الولاة أو الجهاز الاداري .

وهكذا نرى ان وجوب نصب الخليفة واعتبار بيعته واجبا شرعيا يأثم من لا يفعله ، امر واضح استنادا لقوله تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا اللَّهَ ۚ وَلَا تَسْتُرُوا بِشَايَئِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (سورة المائدة الآية ٤٤ - ٤٥)

وَلْيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

(سورة المائدة الآية ٤٧)

الا أن د. محمد عمارة (١) يرى أن «الكتاب» الذي تتحدث عنه الآيات طالبة الحكم فيه كشرط لعدم الكفر وعدم الظلم وعدم الفسق ليس هو القرآن كما يتوهم دعاة نظرية «الحاكمية لله» — على حد تعبيره — انما هو التوراة والانجيل ويقول ان الآيات نزلت بسبب قضية عرضها نفر من اهل الكتاب على الرسول ليقتضي ويحكم لهم فيها فقضى لهم وفق كتابهم وان معظم الائمة والمفسرين اتفقوا على خصوص احكام هذه الايات بأهل الكتاب أولئك .

والرد على د. عمارة : أن الفقهاء والمفسرين مجمعون على حقيقة اساسية تنبع من قوله تعالى :

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ

(١) د. محمد عمارة — «الاسلام والسلطة الدينية» قضايا اسلامية ٤ — دار الثقافة الجديدة ص ٦٠

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

وان القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الباقي الذي حفظه الله تعالى من التحريف او التشويه وحينما يأمر الله نبيه بالحكم بين الناس مسلمين كانوا ام ذميين فانما يوجب عليه الحكم بمقتضى نصوص القرآن الكريم بأعتباره ناسخا لغيره من الكتب السماوية ولا يعقل ان يجلس الرسول للحكم بمقتضى الانجيل والتوراة رغم ما أصابهما من تحريف وزيف ولهذا فان الامر صريح بوجوب تطبيق احكام القرآن الكريم خاصة اذا رجعنا للآيات المذكورة في موضعها بين باقي الايات دون بترها عن غيرها.

ولقد وضح ان الايات صورت سيرة اليهود مع التوراة وسيرة النصارى مع الانجيل ثم تسلسلت حتى وصلت الى سيرة المسلمين والناس اجمعين مع الرسول والقرآن الكريم فألزمتهم بأحكام القرآن ونهتهم عن «حكم الجاهلية» وحذرت الرسول من فتنة عما انزل الله إليه، وليس إلى موسى، او عيسى، اي القرآن الكريم، وليس التوراة، أو الانجيل، كما فهم د. عمارة، من الايات التي أوردتها بشكل مبتور.

ان تصور الاسلام عن الحاكمية واضح لا تشوبه شائبة فهو ينص على ان الله وحده خالق الكون وحاكمه الأعلى، وان السلطة العليا المطلقة له وحده، أما الانسان فهو خليفة هذا الحاكم الأعلى ونائبه، والنظام السياسي لا بد وان يكون تابعا للحاكم الأعلى، ومهمة الخليفة تطبيق قانون الحاكم الأعلى في كل شيء وادارة النظام السياسي طبقا لاحكامه.

يَصْحَبِ السِّجْنَ ءَارْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ لِلَّذِينَ الْفَقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

هذا بعض من كلام سيدنا يوسف عليه السلام. وهو من ابلغ وافضل الكلام في التوحيد والحاكمية الالهية ففيه يعرض نقطة البداية في الدين. ومنه يبين طريق أهل الحق منفصلا عن طريق أهل الباطل، وفيه يتضح الفرق بين التوحيد والشرك وبسط يوسف عليه السلام في كلماته هذا الفرق بطريقة معقولة لا يصعب فهمها على أي عقل عادي لا سيما اولئك الذين كان يخاطبهم عليه السلام آنذاك. فقد كانت عباراته وكلماته تنزل على قلوبهم وعقولهم فتؤثر فيها تأثيرا قويا لأنهم كانوا يحترفون الخدمة والعبودية لغير الله ومن ثم كانوا يدركون ويشعرون من أعماق قلوبهم ونفوسهم أي الامرين افضل: خدمة سيد ورب واحد، أم سادة وأرباب كثيرين وأي النوعين أصوب وافضل عبوديتهم لرب العالم كله، أم عبوديتهم لعبادة المخلوقين. ان يوسف عليه السلام لم يقل لهم اتركوا دينكم وأدخلوا في ديني وانما كان يخاطبهم في بيان عجيب مؤثر، أن أنظروا منة الله علينا وفضله، اذ خلقنا عبيداً له وحده، ولم يجعلنا عبيداً لاحد سواه، ولكن الناس لا يحمدون له فضله ومنته بل يحقدون كرمه ونعمته، ويتخذون من دونه أربابا متعددين يقرون بعبوديتهم لهم، ويخضعون انفسهم لسلطانهم. ثم بدأ عليه السلام في نقد دين أهل زمانه بمعقولة تامة ودون ادنى ذرة من خيانة أو مرض في القلب والفؤاد. ولم يكتف بأن بين لهم أن تلك الالهة التي تعبدونها وتدعون بعضها رب النعمة ومالك الأرض، وتعترفون بالآخر واهبا للثروة متصرفا في الصحة والمرض وغيره إن هم جميعا الا أسماء فارغة جوفاء ما أنزل الله بها من سلطان، وليست لها أية حاكمية أو ألوهية أو ربوبية أو ملكية. انما المالك الحقيقي الوحيد هو الله الذي تؤمنون به خالقا للكون وربا. وهو سبحانه لم يؤت أحداً منهم سلطانا أو سندا يمارس به على الناس ربوبية وسيادة وحاكمية بل اختص ذاته وحدها بكافة حقوق الحكم وسلطاته، وأمرهم الا تعبدوا الا إياه.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(سورة القصص الآية ٣٨)

ما كان فرعون يقصد بعبارة هذه أن يقول للناس إنني خالقكم وخالق الأرض والسماء لأن هذا القول لا يجري إلا على لسان معتوه فاقد العقل. آنذاك كانت تقول بآلهة متعددة، بل أن فرعون نفسه منح درجة الالهية ومنزلتها على أساس قبول الناس له واعترافهم به ظلاً لإله الشمس، وأكبر شهادة على هذا اعتراف القرآن بأن فرعون نفسه كان يعبد الالهة المتعددة.

ولو تدبرنا وضع فرعون في ضوء ما سبق، لوجدناه لا يختلف عن وضع هذه الحكومات التي تحلت من شريعة الله التي نزل بها الرسول، وراحت تدعي لنفسها الحاكمية والسيادة القانونية سواء جعلت الحاكم أم الشعب صدرا للقانون والتشريع ورضيت به صاحب الامر والنهي في بقعة من أرض الله. فطالما ان هذه الحكومات قد اختارت أن يسري على البلاد حكمها وقانونها لا حكم الله وشريعة رسوله فليس هناك أدنى فرق بين موقفها وموقف فرعون. ومن عجب ان نرى الناس اليوم يصبون لعناتهم على فرعون ثم يرضون بهذه الحكومات ويشكلون سند شرعيتها ومصدرها.

ان من يزن الحقائق بميزان العقل وينظر الى روحها وجوهرها لا الى اسمائها واصطلاحاتها لن يرى فرقاً بين الموقفين سوى أن فرعون استخدم لنفسه لفظ «اله» وهذه الحكومات استخدمت اصطلاح «الحاكمية» وهما اسمان لحقيقة واحدة.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا

(سورة الفرقان الآية ٢)

ان لفظ «ملك» المستعمل في هذه الآية يطلق في اللغة العربية على الملكية والسلطة العليا والحاكمية. ومعنى هذا أن الله تعالى وحده حاكم الكون المطلق، وليس لأي فرد قيد ذرة من سلطات الحكم. وهذا يتطلب بالتالي الا يكون المعبود أحداً سواه، ومن ثم فمن يتخذه الها معبوداً انما يتخذه بعد أن أدرك وفهم أن لديه وحده القدرة على النفع والضرر، وأنه يؤثر في مقدراتنا بالخير والشر، وان اتخاذ الموجودات عديمة القدرة والتأثير ملجأ وملاذ لا يصدر حتى من اكثر الناس بساطة اذ لو علم أن ليس في الكون قوي قهار قادر سوى الله لرفض أن ينحني رأسه في عجز وعوز وحاجة لغيره تعالى، ولأعرض عن تقديم النذور بين يدي أحد سواه، ولعقد لسانه ومنعه من ترتيل أناشيد الحمد والثناء أو الدعاء والتضرع والالتجاء إلا له وحده ولما صدرت عن أي جاهل في الدنيا خطيئة أن يؤدي فروض الولاء والطاعة والعبادة لاحد غير الهه الحقيقي أو أن يقبل أحدا يدعي لنفسه حق الحكم.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُ بِحَاثِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة البقرة الآية ٢٨٤)

لو أمعنا النظر في هذه الآية لاتضح لنا أن أول أساس من أسس الدين هو الايمان بحاكمية الله فهو مالك السماوات والأرض وكل ما فيهم ملك له وحده، وان طاعة الله طاعة مطلقة تعد حقيقة أساسية لا يحق للانسان أن يتخذ أسلوباً للعمل سواه. كذلك تعرض هذه الآية تصور الحساب ومبادئ المسؤولية الشخصية وهي أن كل فرد يسأل

أمام الله وبحاسب بذاته الفردية وإن حاكم السماوات والأرض وملكها — الذي يحاسب الإنسان امامه — هو عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفي عليه مثقال حبة من خردل حتى مما يدور في القلوب ويتردد بين الصدور.

واخر ما نجده في هذه الآية هو بيان سلطة الله المطلقة. فما من أحد استن له سبحانه قانونا ليعمل بمقتضاه ويسير عليه جبراً، وإنما هو الحاكم الحر الذي له السلطة المطلقة اللانهائية في اصدار العفو او توقيع العقوبة والجزاء.

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
(سورة آل عمران الآيتان ٥٠ - ٥١)

واوضح من هذه الآية أن دعوة سيدنا عيسى عليه السلام تقوم على مبادئ أساسية ثلاثة كمثل دعوة سائر الانبياء:

الاول: ان السلطة العليا التي على الانسان ان يخضع لها ويطيعها ويقر بعبوديته لها، والتي يتأسس على طاعتها النظام الكامل للاخلاق والمجتمع والحضارة هي سلطة الله وحده وينبغي التسليم بها الأساس.

الثاني: ان القانون المحكم الذي يقرر التحليل والتحريم في كل ميادين الحياة الانسانية هو قانون الله وحده الذي ينسخ كل القوانين الاخرى المقحمة في حياة الانسان المفروضة عليها.

وعلى هذا فليس بين مهمة سيدنا عيسى وسيدنا موسى وسيدنا محمد وبين مهمة غيرهم من الانبياء عليهم السلام قيد شعرة من فرق او اختلاف، وقد اخطأ الذين يرون لكل نبي مهمة خاصة ويفرقون بينهم في الهدف والتنوعية.

ان من يرسل من عند الله الى رعية الله لا يمكن ان يكون هدفه شيئاً سوى منعهم من حكمهم المطلق لأنفسهم والتصرف في حياتهم بما تقتضيه حريتهم الذاتية ومن شرهم بالله، اي ان يشركوا مع مالك الملك اناساً اخرين في السلطة العليا ويقسموا بينهم وبين الله مختلف العبادات، ودعوتهم لعبادة المالك الحقيقي عبادة خالصة وطاعة مطلقة. (١)

(١) يرى الشيخ عطية صقر، عضو مجمع البحوث الاسلامية ولجنة الفتوى في الأزهر أن هناك إمارة خاصة وإمارة عامة، والخاصة تكون بين جماعة محدودة ولتحقيق غرض أو أغراض خاصة، أما العامة فهي لصاحب السلطان الحاكم الذي يتولى أمور الجماعة من كل نواحيها، وفي الإمارة الخاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم» «رواه أبو داود»

والإمارة العامة جاء الدليل عليها بهذا الحديث: «لا يخل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم». «رواه أحمد»

فان الإمارة بين ثلاثة اذا كانت مطلوبة فان طلبها بين الجماعة الكبيرة أولى، وللإمارة العامة مواصفات أكبر وأشمل ولا توجد في جميع الناس أو أكثرهم، والبيعة عليها بيعة عامة قد تتم عن طريق أهل الحل والعقد الذين جعلهم الشعب في مقام التوجيه والنبأ عنهم. ولا يمكن أن تعدد الإمارة العامة، حتى لا يكون هناك انشقاق وتفرق للصف، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع خليفتين فاقتلوا الآخر منهما» ويقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه».

رواه «الامام النووي في شرحه صحيح مسلم»

تري الدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطيء» استاذ التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة في جامعة القرويين:

«ان الشورى أخذت نظامها الشرعي في الاسلام فريضة محكمة وسنة واجبة، وعملاً للصحابة رضي الله عنهم بمقتضاها جرت عليه الأمة — بوجه عام — الى أن جاءتها النظم الوضعية الحديثة بالديمقراطية».

وتقول: «في الاسلام بيعة عامة بالخلافة يشترك فيها المسلمون لتلزمهم بها طاعة ولي الأمر وعدم الخروج على الجماعة فتكون فتنة، ولم يستطع الحكم الوراثي في عهد بني أمية وبني العباس أن يتخلص من هذه البيعة العامة لمن يرث الأمر، فان تكن البيعة شأها إكراه فلا بيعة لمكره. هذه البيعة العامة غير الشورى في الأمور النازلة بقبولها وأحكامها الدقيقة التي تشغل مباحث صعبة في كتب الفقه والأحكام.

منها ما يتعلق بأصحاب الشورى وما يتعلق بالأمر الذي يشاورون فيه. فأما الشورى فذوو الخبرة والتجربة وأهل العلم والاختصاص. وقد تقتصر على عدد محدود من أهل الجهة. أو على واحد منهم فحسب. وأما ما يشاورون فيه فأول قيد من أحكام الشورى ألا تكون فيما هو من الحلال البين، وفيما فيه نص من الكتاب والسنة.

وغیر مستبعد أن تختلف آراء أهل الشورى فيما هو مجال للرأي، فلا يلزم ولي الأمر أن يأخذ برأي الأغلبية.

والبأس في أن يتطوع مجتهدو عصرنا.. وما أكثرهم فيفتوا بأن هذه الديمقراطية هي الشورى في الاسلام نصاً وروحاً وتطبيقاً ورجحاً الله زماناً كان القرن منه يمضي وليس في الأمة سوى مجتهد واحد إمام في مجال تخصصه.

ان النظام الذي ارتضاه لنا رب العباد وفاطر الكون، لم يغفل عن تحديد الوسيلة التي تجعله النظام الأمثل في كل مصر وعصر، ليس باعتباره يتجاوب مع كل زمان ومكان كما هو شائع خطأ، وانما بافساحه المجال لما يسمى بـ «الاجتهاد» .

وبحال الاجتهاد هنا واسع للعلماء لا للجهلاء، مفتوح لمن ملك أدواته من العلم باللغة العربية، ومعرفة القرآن الكريم مكيه ومدنيه (١) ناسخه ومنسوخه (٢) مطلقه ومقيدته، ظاهره ونصه، مفسره ومحكمه، وخفيه ومشكله، وبجملة ومتشابهه وغيرها (٣) وعلم أسباب النزول وأسلوب القرآن في الأمر والنهي. على حد رأي عبدالعزيز الحيايط (المجتمع التكافل في الاسلام).

ومثل قوله عليه الصلاة والسلام في صدقة الفطر: [أدوا على كل نفس من المسلمين حر وعبد] (رواه مسلم).
والمقيد ما اخرج عن الشيعي مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء الآية ٩٢)

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم من صدقة الفطر: [أدوا على كل نفس من المسلمين حر أو عبد] (رواه مسلم). والظاهر ما ظهر منه المراد كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ فَمَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٧٥)
فهو ظاهر في الحل والحرمة.

والنص مازاد الوضوح بالنسبة للكلام كالأية السابقة فهي نص في التفرقة بين البيع والربا لانها في جواب الكفار عن قولهم انما البيع مثل الربا ومثل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْعِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَىٰ وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ

(١) في المكي والمدني أقوال ثلاثة أولا: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وثانها: أن المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة وثالثها: هو برأينا الاصح، أن المكي ما نزل قبل الهجرة وأن المدني ما نزل ما بعد الهجرة ولو كان في مكة

(٢) النسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه مثل النسخ الذي وقع على قوله تعالى: «كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقرين حقا على المتقين» (سورة البقرة الآية ١٨٠) إذ كانت الوصية للوالدين والاقرين واجبة ثم نسخت بقوله تعالى «بوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» (سورة النساء الآية ١١) إلى آخر الآية من سورة النساء وهي آية الميراث.

(٣) المطلق هو اللفظ الذي كان معناه غير ما وضع له المشتق عنه مع وزن المشتق وهو الصفة أو كان جنس ما وضع له اللفظ من غير قيد والمقيد ما كان يقيد من الصفة والجنس. فالمطلق ما أريد به فرد غير مقيد أي ما كان شائعا في جنسه مثل قوله تعالى: «فصيام ثلاث أيام من غير تقييد» (سورة المائدة الآية ٨٩)

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣٠﴾

(سورة النساء الآية ٣٠)

ظاهر في الحل نص في العدد. والمفسر ما زاد فيه وضوح الكلام حتى سد احتمال التأويل والتخصيص مثل قوله تعالى:

« فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ »

(سورة الحجر الآية ٣١)

وقوله: « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ »

(سورة التوبة الآية ٣٦).

والحكم: ما زاد وضوح اللفظ حتى سد باب احتمال التأويل والتخصيص والنسخ كقوله تعالى:

﴿٣٣﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (سورة المائدة الآية ١٧)

وقوله عليه السلام [الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل إلى يوم القيامة] (رواه أبو داود) والفرق بين المفسر والمحكم أن المفسر قابل للنسخ وليس المحكم.

والمتشابه ما خفى المراد من اللفظ فلا يترك عقلا ولا نقلا أي لا يدرك أصلا كالمقطعات في أوائل السور وقوله

تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

(سورة الفتح الآية ١٠)

والجمل: هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه بل لا بد من دليل نقلي كلفظة الصلاة والربا والزكاة والصيام والحج والربا لأن الربا في اللغة الفضل وليس كل فضل حراما حتى بينه النبي صلى الله عليه وسلم في الأشياء الستة.

الخفي: هو اللفظ الذي يدل على معناه دلالة ظاهرة ولكن في انطباعه معناه على بعض الأجزاء نوع غموضي وخفاء يحتاج إلى نظر مثل آية السرقة وهي قوله تعالى:

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ » (المائدة ٣٨).

معناه ظاهر وهو أخذ المال المملوك للغير خفية من حرز مثله ولكن في انطباق هذا المعنى على بعض الأجزاء غموض كانطباقه على النباش والنباش.

والمشكل: هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته المراد منه بل لا بد من طريقة خارجية تبين ما يراد منه ويسبب الغموض أما الغموض المعنى كقوله تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْفَاطِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ (المائدة ٦)

وأما لاستعارة بديعة مثل قوله تعالى:

«قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا» (سورة الانسان الآية ١٦).

أنظر شرح التلويح على شرح التصريح: الجزء الاول ص ١٢٤ وما بعدها، البابي الحلبي، بمصر، وعلم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١٧٩ وما بعدها.

ومعرفة معاني الحروف من حروف المعاني والجر ومعرفة الشرط والصريح والكتابة ودلالات الالفاظ وغير ذلك ومعرفة ما يتعلق بالحديث سنده ومتنه وما يتعلق بالسند من أحوال الرواة ودرجاتهم وأنواع الحديث والاطلاع على أصول الاجتهاد الأخرى بالإضافة إلى توفر شروط خاصة كالذكاء والورع، وغيرها، ويجوز له أن يكون مجتهداً مطلقاً أو مجتهد مذهب أو مرجحاً أو مجتهد مسألة حسب ما بين في مراتب الاجتهاد.

ويبرز هنا دور العقل باعتباره أداة الفهم والاستنباط والاسلام يقدر العقل ويقدم الشرع فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع والعقل هو الأداة التي ندرك بها حسن الحسن الذي دل عليه الشرع، وقبح القبيح الذي أرشد اليه الشرع ونهى عنه، وهو الاداة التي ندرك بها الاحكام، فهو مظهر لحكم الشرع لا منبت له، وبواسطته نستطيع أن نعرف العلة فنستنبط حكماً للمسألة الجديدة التي نواجهها.

والمجتهد المطلق هو الذي يفتي في جميع الأحكام الشرعية ومجتهد المذهب هو الذي يفتي ضمن قواعد المذهب وأصوله، ومجتهد المسألة هو الذي يفتي في مسألة بعينها، ولا يكون مجتهداً مطلقاً ولا مجتهد مذهب، والمرجح هو الذي يرجح بين الأدلة عند تعارضها (أنظر التقرير والتبجير للكمال بين الهمام ج ٣/٢٩٣، وما بعدها، والتوضيح لمتن التنقيح لصدر الشريعة ٦٠٢/٢).

وحول موضوع الاجتهاد: «يقول الدكتور موسى لاشين عميد كلية أصول الدين: (روز اليوسف ١٩٧٩)، ان باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة ولا قائل باغلاقه وإنما الذي يقال هو عدم وجود الصالح للاجتهاد، لأن المجتهد له موازين خاصة وشروطه موجوده ومكفولة. و يقترح تشكيل لجنة عملية تفتي بمشاكل العصر وبموازين معقولة ومقبولة.

وبفضل الاجتهاد يمكننا أن نعم بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في ظل الخلافة الاسلامية، فنشعر بالطمأنينة، ونتمتع بأقصى درجات السعادة لشعورنا برضاة الله تعالى علينا، ورضوان الله هو السعادة القصوى لدى النفوس المؤمنة الطيبة.

وتقول: «ان الحوادث الأخيرة تبين بشكل لا يقبل الجدل بأن تركيا لم تهضم حتى الآن الاصلاحات التي أقرها مصطفى كمال.. ويبدو أن فترة الخمسين عاماً التي حاول الزعماء الاثراك فيها تطبيق اصلاحات أتاتورك لم تكن كافية لتغيير نفوس الاثراك واقناعهم بهذه الأفكار الجديدة فالقرآن بقي في النفس التركية فكان ذلك كافياً لاعطاء قوة دافعة وعظيمة لحزب الكولونيل تركش أرسلان «حزب الحركة الوطنية» الذي يعتبر الحرس المتقدم لمقاومة الأفكار الليبرالية».

كما كتب المؤرخ الفرنسي شارل أندريه في «نوفيل أو بزر فاتور الفرنسية» «ان الخطر الاسلامي يهدد الاتحاد السوفيتي (حيث يوجد حالياً ٦٠ مليون مسلم أكثر بكثير من الخطر الصيني الذي تتخوف منه موسكو وتستعد لمجابهته».

ويقول: «ان الاسلام دين ونظام سياسي قادر على مواجهة كافة المشاكل والقضايا شأنه في ذلك شأن الماركسية التي يدعي معتقوها انها نظرية شاملة جامعة مانعة» .

وتناولت احدى الصحف الفرنسية الموضوع نفسه فكتبت تحقيقا عن أوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي مؤخراً جاء فيه انه: «على الرغم من ضغوط متواصلة تعرض لها خمسون مليون مسلم في اتحاد الجمهوريات السوفيتية طيلة ستين عاما. منذ تسلم الشيوعيين الحكم عقب نجاح ثورة اكتوبر ١٩١٧ البلشفية مقاليد الحكم الأمر الذي أجبر الحكام السوفيات على محاولة ارضائهم والسماح لهم باقامة المساجد وترميم القديمة منها وإعطائهم نوعاً من الحرية فقد وجدت روسيا نفسها مضطرة لتحسين علاقتها مع العالم العربي ارضاء للمسلمين السوفيات وذلك خوفاً من تحركهم في اتجاه مضاد للشيوعية وخلق متاعب لموسكو وهذا يؤكد تصاعد قوة نفوذ المسلمين في الاتحاد السوفياتي» .

ولاحظت صحيفة «أيوكا» الايطالية قوة العقيدة الاسلامية وثباتها في وجه الماركسية والرأسمالية فقالت:

«في عصرنا الحديث فقدت الديانات الكبرى جزءاً كبيراً من جاذبيتها ولكن الاسلام قاوم الماركسية ولم تنل منه أية حركات قومية وكان الاعتقاد السائد ان بين الاشتراكية والرأسمالية ليس هناك مكان لايدولوجية ذات طابع ديني اتضح الآن أن هذا الاعتقاد خاطيء ويبدو انه في عصرنا هذا — عصر تدهور الأديان — أثبت الاسلام انه لازال يتمتع بنفوذ كبير وقوة عظيمة» .

ومن المنطلق نفسه أوردت صحيفة «الايكونومست» البريطانية تحليلاً مسهباً حول رسوخ العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين والمسلمات على اختلاف ديارهم ورغم كل المحاولات الاصلاحية العثمانية التي جرى تنفيذها في أقطار العالم الاسلامي فقالت:

«ان رسوخ العقيدة لدى المسلمين والمسلمات ظاهرة ملحوظة في مصر وسوريا والأردن بشكل خاص والعالم الاسلامي المعاصر عامة، حيث زاد عدد المتحجبات بارتداء ثياب طويلة تغطيهن من الرأس الى أخمص القدمين، وذلك منذ ما بعد هزيمة العرب في عام ١٩٦٧ م. وخصوصا بعد الظفر الجزئي في معركة ١٩٧٣ م» .

وذكرت الصحيفة ان «الاسلام دين شامل وطريقة كاملة للحياة على عكس المسيحية التي تقول: اعط ما لقبصر لقبصر وما لله لله» .

ووصفت مصطفى كمال بانه مجرد مصلح سطحي صغير فقد أثبتت الأحداث الدامية في تركيا أن الاتراك أداروا ظهورهم لاصلاحياته العلمانية وانتشر التصوف وزاد عدد المجموعات الدينية بعد ان زالت الضغوط المعادية للدين، وقد عاد الاسلام قوياً يطفو على السطح، مما يؤكد نظرية ابن خلدون الذي وصفته بأنه أذكى المحللين الاسلاميين وهو القائل بأن النظام السياسي في البلدان الاسلامية لابد أن يقوم على أساس الشريعة الاسلامية وقالت: ان التاريخ الحديث لهذه الدول يتركز حول الصراع من أجل الاسلام أو ضده وأشارت الى حركات: الاخوان المسلمين وحزب التحرير، في المنطقة العربية والى أبو الأعلى المودودي، والجماعة الاسلامية في باكستان، وحزب ماسجومي برئاسة محمد ناصر في اندونيسيا والى رفض هؤلاء للأفكار القومية بوصفها غريبة على الفكر الاسلامي لأنها تفتت مشاعر الولاء نحو «دار الاسلام» التي تعتبر بلاد المسلمين وحدة شاملة لا تتجزأ، وهم يرفضون العمومية السياسية التي تسعى للتعاون بين وحدات قومية منفصلة» .

واختتمت «الايكونومست» البريطانية تحليلها الدقيق للواقع الاسلامي المعاصر ب قولها: «والواقع ان جذور مفهوم عمومية الاسلام وما يثيره من عواطف حماسية تدعو الى نهوض العالم الاسلامي واشتراكه في الجهاد الشامل ضد الغرب كله بدت وكأنها كابوس شديد الوطأة» .

أما صحيفة «التايمز» البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ولم تكتف بتقديم التحليل الذي يستشف منه القارئ

مدى خطورة البعث الاسلامي وانما أطلقت تحذيرها من الحركة الاسلامية وقالت ان الغرب سيواجه خطراً يجعله يدفع الغالي والنفيس .

كما دعت صحيفة «الصاندي تلغراف» البريطانية الى «ضرورة استخدام القوة ضد الوطن العربي وقالت ان هذا ليس اقتراحاً عابراً او مجرد حبر على ورق وإنما يعكس اجماع الدوائر الغربية» .

وفي عدد سبتمبر ١٩٧٩م من المختار «رايدرد دائجست» أشار الى أن «الدعوة الى الحكم بالشريعة الاسلامية تشكل خطراً على الأنظمة الموالية للشرق والغرب على السواء، وهذا الأمر ينطبق على أندونيسيا المؤيدة للغرب والغنية بالنفط وعلى ماليزيا المنتجة الأولى في العالم للصفائح والمطاط كما ينطبق على افغانستان الموالية للشرق، حيث يشن رجال القبائل الاسلامية في هذه الدولة المتاخمة للاتحاد السوفياتي حرب عصابات تتصف بالعزم والتصميم ضد نظام مؤيد للسوفيات وقد عجزت السلطة رغم مساعدة السوفيات الكبرى، عن القضاء على هذه المقاومة، وفي باكستان خرج دعاة العودة الى الأصول الشرعية منتصرين على هذه المقاومة، فبعد خلع الرئيس ذو الفقار على بوتو الغربي الثقافة ثم اعدامه أعلن حاكم البلاد الجديد الجنرال ضياء الحق العودة الى تطبيق أحكام الشريعة القرآنية .

والمأمول بعد ذلك ان نتعلم درساً وهو أنه في عصر المركبات الفضائية هذا يمكن لدين ظهر منذ قرون عدة أن يثبت أنه قادر على اسقاط أقوى الملوك» .

وقد أعرب الرئيس الاميركي السابق «جيمي كارتر» عن «قلقه حيال: تزايد النفوذ الاسلامي على الأمور السياسية في العالم وطلب من كبار مستشاريه للشؤون الاسلامية موافاته بتقارير دقيقة وكاملة عن مدى هذا النفوذ والدور الذي يلعبه المسلمون في العالم» .

وكان بريزنسكي مستشاره اليهودي لشؤون الأمن القومي قد سبقه الى التأكيد بأنه : (لن يسمح للتيار الديني الاسلامي بفرض نفوذه» . وأشفع تأكيده تعليماته للدوائر المختصة لدراسة تأثير نمو التيار الديني الاسلامي على السياسة المعاصرة في كل مكان من العالم) .

ويبدو أن بريزنسكي وكارتر حفظا جيداً ما جاء في مذكرات بن جوريون : (ان أخشى ما نخشى هو أن يظهر في العالم العربي محمداً جديداً) .

وهكذا يتحقق قول المستشرق «ولفرد كانتون سميث» في كتابه «الاسلام في التاريخ المعاصر» : (ان الغرب يواجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام وانه خلف «إسرائيل» في قلب العالم الاسلامي كجزء من هذا البرنامج المخطط المرسوم) .

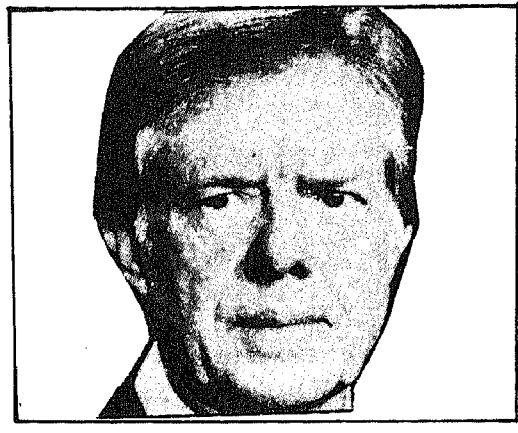
وفي صحيفة «هير الدتريون» الأميركية كتب كريشنا كومار غور يقول : «إن الأميركيين ليس للعرب أي اعتبار عندهم، وذلك لأسباب نابعة من أعماقهم، تجعلهم ينظرون لكل أمة غير غربية على أنها ليست في مستواهم الحضاري، غير أن هذا الإزدراء الراسب في ضمائر الأميركيين لغرب الغربيين، لا يحول بينهم وبين أن يعقدوا إتفاقات ويوجدوا روابط سياسية وعسكرية وثيقة، حين تكون هناك أسباب مشتركة تفرضها مع الكثير من الحكام في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، باستثناء العرب . لماذا؟ لأن من وجهة نظر أميركا الاستراتيجية، كدولة عظمى، تخوض صراعاً أيديولوجياً عالمياً، إلى جانب الصراع على المسائل الأمنية والأسواق التجارية، إن «إسرائيل» ليست مجرد أفضل حليف محتمل لواشنطن، وإنما هي الحليف الوحيد في الشرق الأوسط» .

وهذا يعني أن علاقة الولايات المتحدة مع العرب، علاقة سطحية وحذرة، لأنهم يمثلون أيديولوجية مختلفة عن الأيديولوجية الغربية، أي أن العرب في نظر الأميركيين سيقون ممثلين للاسلام فكراً وحضارة، مما يثير كوامن الحذر الصليبي المتأصل لدى الفرد الأميركي . بعكس النظرة «لإسرائيل» المنطلقة من التربية الأميركية التي تعتبر الحضارة



روجيه غارودي

هزيمة الغافقي أخرت الحضارة الأوروبية ه قرون



جيمي كارتر

مطلوب تقارير عن «الصحة الإسلامية»

الغربية هي الحضارة النصرانية — اليهودية ، وذلك للعلاقة الوثيقة بالتوراة كجزء من الكتاب المقدس الذي يضم «العهد القديم» و «العهد الجديد» .

مما يلقي الضوء على الأسباب الحقيقية التي أدت الى تكرار ضرب الحركات الاسلامية بقسوة وعنف قبيل تنفيذ جميع الكوارث والأحداث الفظيعة التي شهدتها بلادنا في أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٧٣ وأخيراً لا آخر ١٩٧٩ تطبيقاً للنظرية التي شرحها أبا ايان وزير خارجية العدو السابق مؤخراً في محاضرة له بجامعة برنستون الاميركية والتي لاحظ فيها ان بعض الزعماء العرب يحاول أن يتعرف على نسبة المد الاسلامي بعد الهزيمة الأخيرة فعلق قائلاً : «ان في ذلك الخطر الحقيقي على «اسرائيل» لأن من أوجب الواجبات ان نبقي العرب على عقيدة راسخة بنسبهم القومي.. لا الاسلامي» إلا أن الغرب لم يعدم وجود بعد المفكرين المخلصين والموضوعيين وها هو الفكر الفرنسي المعاصر «روجيه غارودي» يقرر في لحظة صدق مع الذات أن أسوأ عقبة في تاريخ فرنسا هي تلك التي شهدت معركة بواتيه سنة ٧٣٢م حينما هزم شارل ماتيل جيوش عبد الرحمن الخافقي ففي ذلك اليوم تراجعت الحضارة العربية أمام البربرية الفرنكية» .

ولم يكن «غارودي» أول مفكر أوروبي يذكر هذه الحقيقة الهامة في تاريخ الانسانية بل سبقه كثيرون الى اقرار أن أوربا تخلفت عن ركب الحضارة عدة قرون نتيجة لهزيمة المسلمين في «بلاط الشهداء» .. حيث توقف الفتح الاسلامي من الاندلس حتى طرق محمد الفاتح أبواب أوربا بعد عدة قرون من فوق أسوار القسطنطينية فحمل اليهم الاسلام وحضارته قبل ان يكون لهم حضارتهم الحديثة .

بل أن «غارودي» نفسه قال عقب زيارته لمدينة الجزائر :

«حين أردت التعرف على التقاليد الكبرى للثقافة والحضارة العربية اصطدمت بالجريمة الحقيقية التي اقترفها الاستعمار ضد العقل البشري فقد كانت مؤامرة الصمت التي ارتكبت ضد الثقافة الاسلامية منظمة تنظيمياً محكماً» .

ولم يكن مستغرباً أن يعلن «غارودي» اسلامه بعد أن تعمق بفهم العقيدة الاسلامية.

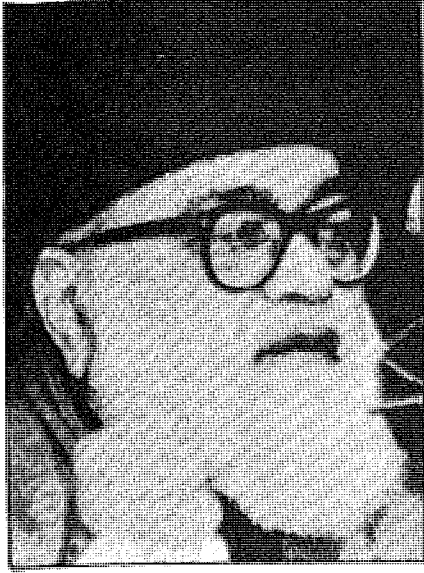
وهكذا نجد أن المعركة ما تزال سجلاً بين «الشرق» و«الغرب» بين المادة والروح بين الجامعة الاسلامية وخصوصيتها ، رغم سقوط عبد الحميد منذ مطلع القرن الحالي ، ورغم مضي ستين سنة على غروب شمس الخلافة الاسلامية .

ومن يدري فلعل شروق شمس الخلافة مجدداً سيتم مع مطلع فجر القرن الخامس عشر الهجري .

الخاتمة

إرهاصات اليقظة الإسلامية

من رُؤسِ الصَّحوة الإسلامية



— أبو الأعلى المودودي
مجدد الاسلام في القارة الهندية



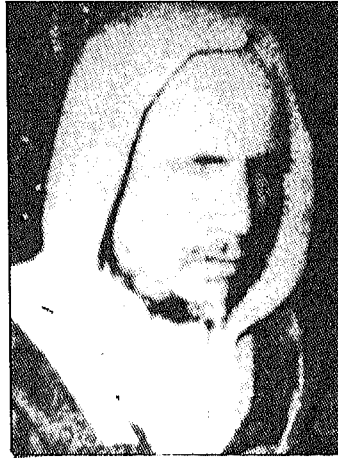
— حسن البنا
الامام الشهيد



— سيد قطب
استشهاد في سبيل دعوة الحق



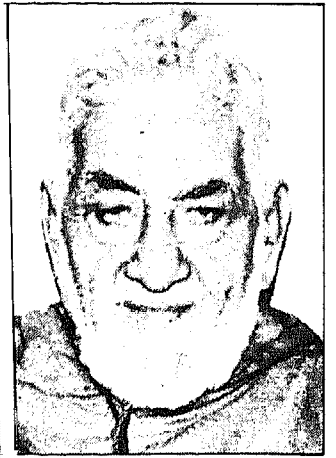
— عبدالله العلي المطوع
رئيس جمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت



— عبدالعزيز بن باز:
السلفية في السعودية



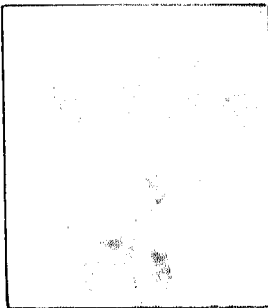
— د. مصطفى السباعي
الصحوة .. في بلاد الشام



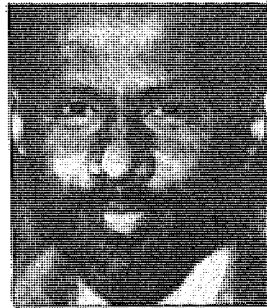
— عمر التلمساني
من رعييل الرواد



— أبو الحسن الندوي:
الدعوة .. في الهند



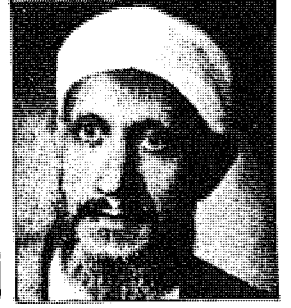
— نجم الدين أربكان:
الصحوة في تركيا



— د. حسن الترابي:
الصحوة .. في السودان



— محمد محمود الصواف
الصحوة .. في الرافدين



— صالح العثماوي
الدعوة



الخاتمة

ارهاصات اليقظة الإسلامية

وقد يكون من المناسب إلقاء نظرة سريعة على الوضعية الراهنة للأوضاع في تركيا الثمانينات، بعد مضي قرابة نصف قرن على وفاة مصطفى كمال، وإنقضاء ستين سنة ونيف على إلغاء الخلافة العثمانية.

ومن المصادفات أن مجلة «الحوادث» اللبنانية الصادرة في لندن، بتاريخ ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٨٤م نشرت في عددها ١٤٣٢ مقابلة مع السيد «تورغوت أوزال» رئيس وزراء تركيا الجديد وزعيم حزب «الوطن الأم» الذي اكتسح الانتخابات النيابية، رغم عدم حظوته برضى «الجنرالات» وهم بقايا «الكمايين» في تركيا اليوم.

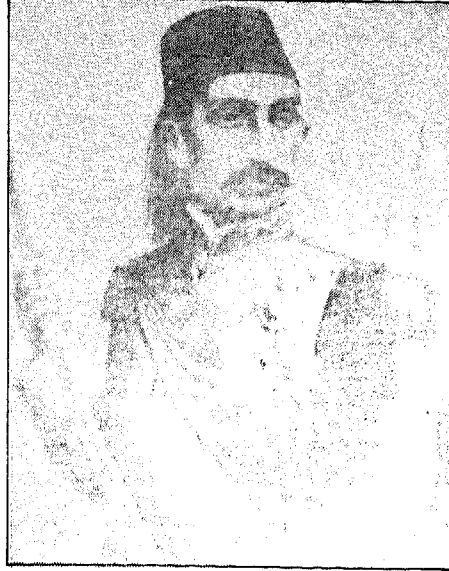
وقد ذكرت «الحوادث» أن إنتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣م تعتبر أهم حدث سياسي شهدته تركيا منذ إنقلاب ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠م فقد أسفرت عن فوز حزب «الوطن الأم» بقيادة تورغوت أوزال بـ ٤٥% من الأصوات أي (٢١١ مقعداً) وهو حزب يدعو للتعاون مع العرب والمسلمين، مع الحفاظ على التحالف الحالي مع الغرب، وقد تمكن من العبور بتركيا من دوامة الفوضى والارهاب التي شهدتها خلال السبعينات والتقدم نحو ممارسة الديمقراطية، بينما فاز «الحزب الشعبي» الذي يقوده ناشدیت كالب الذي يقف إلى يسار حزب الوطن الأم بـ ٣٠% أي (١١٧ مقعداً)، كما حصل حزب «الديمقراطية الوطنية» الذي يقوده الجنرال المتقاعد تورغوت صون ألب، والذي يتمتع بتأييد العسكر «الكمايين» بـ ٢٣% أي (٧٢ مقعداً) فقط، في البرلمان التركي، وقد منع العسكر بقية الأحزاب، بما فيها التقليدية، من خوض تلك الانتخابات إلا أن تورغوت أوزال أراد أن يثبت أن حزبه يتمتع بتأييد واسع لدى الشعب التركي فأجرى الإنتخابات المحلية في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٤م التي سمح فيها لبقية الأحزاب بالاشتراك في المعركة الانتخابية، وقد أسفرت نتائجها عن فوز حزب «الوطن الأم» بـ ٤٤% وحزب «الديمقراطية الاجتماعية» الذي يقوده إيردال اينونو (ابن الرئيس التركي السابق وخليفة مصطفى كمال الماسوني عصمت إينونو) وهو أكاديمي يدعو للاقتصاد المخطط، وقد فاز بـ ٢٢%، كما فاز حزب «النهج الصحيح» الذي يقوده يلدرم أفجيت ومن ورائه رئيس الوزراء الأسبق سليمان ديميريل (الممنوع من النشاط السياسي) وهو حزب إسلامي فاز بـ ١٤% كما توزعت الأصوات الباقية على الأحزاب الأخرى، التي أخذت صفة الأحزاب «الصغيرة» بعد هذه الانتخابات، رغم عراققتها بالعمل السياسي منذ بدء العهد الكمالي، وقد انتهت الانتخابات الأخيرة دور الحزب «الشعبي» المدعوم بالعسكر «الكمايين»، كما غاب عن الساحة حزب «الرخاء» الذي يمثل التيار الإسلامي أيضاً وهو إمتداد لنشاط مجموعة «ألب أصلان توركش» وحزب «العدالة» الإسلامي الذي يقوده المهندس اللامع «نجم الدين أربكان»^(١) نتيجة استمرار فرض الحظر السياسي عليهما، وهو الحظر الذي مازال مفروضاً على التيارات الإسلامية

(١) نجم الدين أربكان: وهو مهندس ميكانيكي تخرج من جامعة استانبول ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعات ألمانيا. وعاد بعدها ليدرس في جامعة استانبول أيضاً، ثم نال درجة استاذ فيها، وقد انتخب في عام ١٣٨٨ هـ رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا، وبعد توليه لهذا المنصب بأسبوعين منع الاستيراد والتصدير إلى اليهود في «فلسطين المحتلة» فأقالته الحكومة من منصبه ظملاً. فعمل على تشكيل حزب «السلام الوطني» ذي الاتجاه الإسلامي، الذي اعتبر امتداداً «لحركة النور» وقائدها المجاهد العلامة بديع الزمان سعيد النورسي.

من الخلافة ... إلى الجمهورية



السلطان عبدالمجيد الثاني
كان عهده نهاية لعصر الخلافة العثمانية



السلطان عبدالحميد الثاني
آخر الخلفاء الأقوياء



السلطان محمد رشاد خان الخامس
بداية إنهيار الخلافة العثمانية



عصمت إينونو
خليفة مصطفى كمال



مصطفى كمال
صنعة أرمسترونغ .. وهادم الخلافة



السلطان وحيد الدين
آخر سلاطين آل عثمان

منذ زوال الخلافة وبدء العهد الكمالي، وهي تعتبر إمتداداً لفكر العالم المجاهد سعيد النورسي قائد جماعة «النور» الداعية لعودة الخلافة.

وما يذكر أن زعيم حزب «الوطن الأم» ورئيس الوزراء التركي الحالي السيد تورغوت أوزال تطرق إلى العلاقات العربية - التركية فقال:

وقد حصل (حزب العدالة) الذي تشكل بقيادة (راغب جوموسبالا) الجنرال المتقاعد على نسبة ٣٥% من الأصوات خلال انتخابات عام ١٣٨١ هـ بينما لم تحز بقية الأحزاب على الأغلبية وضاعت أصوات الحزب الديمقراطي بين الأحزاب الصغيرة وانصب قسم كبير منها إلى صالح حزب العدالة الذي ظهر أنه الحزب الأكبر في مجلس الشيوخ. ثم انتخبت الجمعية الوطنية الجنرال (جمال جورسيل) رئيساً للجمهورية وشكل (عصمت اينونو)^(١) الجمهوري حكومة ائتلاف مع حزب العدالة بينما شكل حزب الشعب الجمهوري ائتلافاً مع حزبين صغيرين. ثم جرت في عام ١٣٨٣ هـ انتخابات محلية ربح فيها حزب العدالة كثيراً، مما أدى إلى إرفض الائتلاف، وشكل (اينونو) حكومة أقلية من حزبه الخاص فقط بسبب عدم قدرة حزب العدالة على تشكيل حكومة، ولكنها استقالت في عام ١٣٨٥ هـ فاستبدلت بحكومة ائتلافية من كافة الأحزاب الأخرى برئاسة الشخصية المستقلة (سعاد خيري أوروغوبللو) واستمر في الحكم مدة قصيرة. ثم جرت انتخابات في كانون أول ربح فيها حزب العدالة وبأغلبية ساحقة وتمكن زعيم الحزب الجديد المهندس (سليمان ديميريل) من تشكيل الحكومة.

وتميزت المدة بين عام ١٣٨١ - ١٣٨٥ هـ بالاعتدال السياسي فوقف الجيش بمعزل عن السياسة وحقق حزب العدالة نصراً ساحقاً واستمر التأييد الجماهيري له خاصة في مناطق نفوذ الديمقراطيين وقد رفض تدخل الضباط القدامى واحبطت محاولتين انقلابيتين في شتاء ١٣٨٢ هـ وصيف ١٣٨٣ هـ وقبض في ربيع عام ١٣٨٣ هـ على مجموعة سرية أخرى في الجيش عرفت باسم (الكماليون الفتاة) من ذوي الميول اليسارية. ثم ساد الاتجاه نحو الحرية وأطلق سراح الديمقراطيين وسمح لملاك الأراضي وأساتذة الجامعات بالعودة لممارسة حياتهم اليومية، وامتصت نقمة بعض اليساريين العسكريين بادخالهم في أجهزة الحكم والسياسة، وتحول العلمانيون إلى حزب (الفلاحين الجمهوري) أحد شقي حزب «فلاحي الأمة الجمهوري» القديم المنشق عام ١٣٨٢ هـ وظهر على مسرح السياسة لأول مرة الأثر الماركسي إذ تشكل

(١) - عصمت اينونو: ولد في سبتمبر من عام ١٣٠٢ هـ في مدينة إزمير وهو ابن أحد المحامين وقد عمل كضابط في الجيش العثماني فكان مجتهد بالأركان العامة للجيش في اليمن، وقاد الجيش الرابع أثناء الحرب العالمية الأولى في سورية عام ١٣٣٤ هـ، وانضم إلى حركة مصطفى كمال بعد الحرب، ثم انتخب عام ١٣٣٩ هـ، كنائب، ثم عين رئيساً للأركان لجيش مصطفى كمال بعد احتلال اليونان لغربي الأناضول، وذاع صيته بعد معركة جرتا قرب أنقرة (في اينونو) في كانون الثاني ويسان من عام ١٣٣٩ هـ، ثم عين وزيراً للخارجية في حكومة المجلس الوطني الكبير عام ١٣٤٠ هـ، فمثل تركيا في مؤتمر لوزان. أصبح رئيساً للوزراء بعد إعلان الجمهورية التركية، ثم انتخب رئيساً بعد وفاة مصطفى كمال فأصبح زعيم حزب «الشعب الجمهوري» أيضاً. أخذ مسؤوليته إزاء المشكلات الداخلية والخارجية بعد الحرب العالمية الثانية لإقامة حكم ديمقراطي وشجع تأسيس «الحزب الديمقراطي» عام ١٣٦٦ هـ حيث فاز هذا الحزب وحل بذلك (جلال بيار) محله كرئيس للجمهورية. قاد المعارضة من عام ١٣٧٠ - ١٣٨٠ هـ. شكل ثلاث حكومات ائتلافية بين ١٣٨١ - ١٣٨٥ هـ، ثم هزم حزبه وانتقد بعدها من قبل الكماليين والاشتراكيين إذ أعلن إثرها عن اتجاه يسار الوسط فشكل المعارضون «حزب الثقة» عام ١٣٨٧ هـ. استبدل اينونو عام ١٣٩٢ هـ كزعيم لحزب الشعب الجمهوري بالسيد «بولنت أجاويد» زعيم اتجاه اليسار الراديكالي في الحزب. ثم توفي اينونو عام ١٣٩٣ هـ في أنقرة.

✽ جلال بيار: هو محمود جلال، ولد عام ١٣٠٤ هـ قرب (بورصة) وهو ثالث رئيس جمهورية تركي (١٣٧٠ - ١٣٨٠ هـ) وقد أصبح قائد الحزب الديمقراطي بعد عام ١٣٦٦ هـ، تبنى سياسة المشروعات الخاصة. وبيار هو ابن مدرسة فرنسية يهودية في بورصة، درس الاقتصاد والمالية ثم عمل في فرع بنك الشرق الألماني في بورصة، وكرس وقت فراغه لجمعية (الاتحاد والترقي) المحلية الموجهة ضد عبد الحميد الثاني، وبعد عام (١٣٦٦ هـ) أصبح أمين فرع إزمير. ثم انضم لحركة مصطفى كمال بعيد انهيار الدولة العثمانية، ونظم القوى القومية في (إزمير وبورصة) في غربي الأناضول وفي عام ١٣٣٩ هـ انتخب عضواً في آخر برلمان عثماني كنائب عن إزمير ثم هرب إلى أنقرة، ومكثته خبرته من تولي وزارة الاقتصاد عام ١٣٤٠ هـ، وحينما أعلنت الجمهورية أصبح وزيراً للأعمار والاستيطان، ثم استقال عام ١٣٥٦ هـ، ولكنه استقال في كانون ثاني من عام ١٣٥٨ هـ، بعد موت أتاتورك، لعدم موافقته على إجراءات اينونو الاقتصادية، واستقال من حزب الشعب الجمهوري، ونظم حزب المعارضة الديمقراطي. انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٣٧٤ هـ واعتقل أثناء الانقلاب العسكري عام ١٣٨٠ هـ، وحكم عليه بالاعدام عام ١٣٨١ هـ، ولكن خفف الحكم لتقدمه بالسن، ثم أطلق سراحه عام ١٣٨٤ هـ.

زعماء تركيا الحديثة



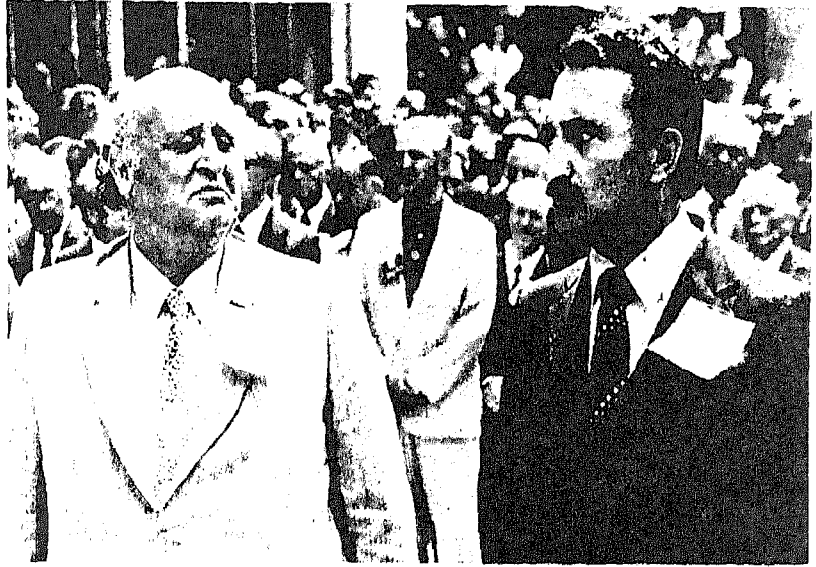
— الجنرال كنعان إيفرين رئيس الجمهورية التركية —



— ترغوت أوزال رئيس وزراء تركيا —



— ألب أرسلان توركش زعيم حزب «الرخاء»
«الذئاب الرمادية» —



بولنت أجاويد الرئيس التركي السابق — سليمان دميريل رئيس الوزراء التركي السابق زعيم «النهج الصحيح»



— البرلمان التركي.. صراع التيارات بين مد وجزر منذ سقوط الخلافة.

وفي عام ١٩٤٧م وافقت وزارة التعليم على تدريس الدين خارج المدارس، كما سمح عام ١٩٤٨م بتزويد الراغبين بالحج بالعملة الصعبة وافتتحت دورات تدريبية للأئمة وخطباء المساجد ونحست دورات مسائية اسبوعية للتعريف بالاسلام الحديث.

حزب «العمال التركي» عام ١٣٨١هـ وسيطر عليه الماركسيون وتبنى سياسة اشتراكية ومحايده وريح من الأصوات ٣٪ و ١٥ مقعداً في عام ١٣٨٥هـ. ثم عاد الرصيد السياسي الى جانب عصمت اينونو الذي استغل نفوذه لدى الجيش ليتفادى تدخله في السياسة.

(تركيا كما يعرف الجميع كانت عضواً في دولة كبيرة شملت بلداناً متعددة، ولا ينبغي في تقديري أن نصدق ما يقوله الغرب من أن الدولة العثمانية كانت إحتلالاً تركياً للدول العربية، لقد كنا جميعاً أعضاء فيها تحت لواء واحد، هو اللواء الاسلامي، وحتى المجموعات غير المسلمة كانت تتمتع بحقوقها كاملة أسوة بالمسلمين.

وحين تنظر إلى الدولة العثمانية فسوف تجد أن معظم المناطق التي شهدت بناء وإعماراً كانت في الدول العربية.. دمشق.. القاهرة.. بغداد.. وفي تركيا اليوم لن تجد سوى مدينة كبيرة واحدة هي استانبول فاذا ما تركتها فسوف تجد أن أكبر المدن المجاورة لها هي مدينة حلب في سوريا أعني من هذا الكلام حول «الاحتلال التركي» وإثارة الحساسيات القديمة هو كلام لا طائل من ورائه سوى تعطيل فرص اللقاء اليوم.

لقد حاربنا مع الليبيين ضد الطليان عام ١٩١١م مثلاً، ولأسباب تاريخية — ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى.. لم تستطع تركيا أن تواصل علاقاتها مع أصدقائها في المنطقة، أما الآن فقد اختلفت الظروف، ولعل تمثيل تركيا في «منظمة المؤتمر الاسلامي» على مستوى الرئاسة، يؤكد الآن أن تركيا تنظر مرة أخرى إلى تطوير علاقاتها بالعالم الاسلامي).

كما تطرق إلى قضية قبرص فقال (انها ليست مشكلة سهلة على أي حال، واذا أردنا أن نكون واقعيين فهي قضية تركي و يوناني، ومن ثم فان أية تسوية محتملة ترتفع الى حد كبير بتطوير العلاقات بين كل الأطراف الأساسية).

وحينما سئل عن المسألة اللبنانية، في ضوء الفتنة الطائفية المستقلة منذ عام ١٩٧٥م أجاب: (إنني في حقيقة الأمر لا أرى حلاً للوضع في لبنان، ولا أعتقد أن غيري يرى حلاً لهذا الوضع.. دعني أقول هنا إنه على الرغم من كل ما قيل حول الدولة العثمانية فان لبنان لم يمر بهذا التمزق الذي يمر به الآن وقت أن كان جزءاً من تلك الدولة، ألا يستحق ذلك بعض التأمل؟).

وحول دور تركيا على الساحة الاسلامية أجاب بوضوح:

(لدينا بالفعل حلف عسكري نحن أعضاء فيه، وأعني به حلف شمال الأطلسي، وما يحدث الآن مع الدول الاسلامية أو العربية هو نوع من التعاون المشترك، فنحن نساهم في تدريب أفراد من قواتها المسلحة، ونساعد في بناء جيوشها، وبالإضافة إلى ذلك فان الجديد هو أن تركيا تضع خططاً طموحة لانتاج أسلحة متطورة وحديثة داخل البلاد، ونحن نتطلع إلى مشاركة أصدقائنا معنا في هذا المشروع الكبير).

ويؤكد الكاتب البريطاني والصحافي المعروف «إدوارد مورتيمر» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الاجراءات التي اتخذها، لتحديث وعلمنة تركيا: إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الديني الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركي رغم الخطر الذي مارسه «الكماليون» في تركيا طيلة السنوات الستين الماضية. ويقول: (ان شعوراً جارفاً وقوياً للعودة للتقاليد والنظم الاسلامية قد غمنا بين مختلف طبقات الشعب التركي). وكان عصمت اينونو «خليفة» مصطفى كمال في رئاسة الجمهورية التركية — قد رحب بتشكيل حزب معارض أو أكثر، منذ مطلع ١٩٤٥م، وتم تشكيل «الحزب الديمقراطي» من قبل زعماء سابقين في حزب الشعب الحاكم آنذاك، وتضمن برنامجهم رفض اعتبار العلمانية كنقيض للدين، ودعا للاعتراف بحرية الأديان، ثم أعاد إقامة «كلية دراسة الأديان» لكسب التأييد الجماهيري لشعاراته الأخرى!

وفي مايو ١٩٥٠م فاز الحزب الديمقراطي في أول انتخابات نزيهة بتركيا الحديثة فألغى العقوبة المفروضة على أداء الأذان للصلوات الخمس باللغة العربية،^(١) بعد أن فرضها مصطفى كمال بالتركية منذ عام ١٩٣٢م!! رغم فشله في ترجمة القرآن الكريم للغة التركية لاحجام المختصين عن اقرار هذه الجريمة منذ عام ١٩٢٦م، ورغم تحويله لمسجد «أياصوفيا» الجامع إلى متحف!! وفرضه ليوم الأحد كمعطلة رسمية بدلا من يوم الجمعة. فضلا عن إلغائه للطربوش وتعميمه للزي الأوروبي على الرجال والنساء واتخاذَه للابجدية اللاتينية بدلا من الحروف العربية!

وقد كسب «الحزب الديمقراطي» تأييداً جماهيرياً خلال سنوات حكمه العشر حيث شيد ألفاً وخمسمائة مسجد ورمم ٨٦ مسجداً بينها مسجد السلمانية الكبير في استانبول، كما تم تقديم تلاوة القرآن الكريم بالعربية في الأذاعة التركية.

وكان الانكليز والماسونية والدوغة قد نجحوا في زرع العديد من البؤر السياسية التي أمكنهم تحريكها لمقاومة وإستئصال أية ظاهرة اسلامية في تركيا، إلا أن الرئيس التركي الجنرال جمال جورسيل أعلن في مطلع الستينات: (أن الذين يرجعون سبب تخلفنا للدين مخطئون، فالسبب الحقيقي هم هؤلاء الذين أساءوا في تقديم وتوضيح الدين لنا وأن الاسلام أعظم وأقدس ديانة في العالم، وهو يتطلب من المؤمنين به المزيد من العمل والجهد والحكمة لتغيير ما نجم عن اساءة فهمه وتطبيقه في السنوات الخوالي مما أدى إلى تأخرنا عن باقي الأمم).

وقد استطاع «حزب العمل» بقيادة سليمان ديميريل بفوزه بالانتخابات أن يحقق المزيد من الانجازات لصالح الفئات الاسلامية ومنها إنشاء المعاهد الاسلامية العالية في استانبول وقونية للتخريج المزيد من الائمة والخطباء والدعاة، ثم نجح الرئيس التركي الحالي الجنرال كنعان إيفرين بعد إنقلاب ١٩٨٠م في وقف المجازر الدموية التي شهدتها مختلف الربوع التركية نتيجة الصراع السياسي الحاد بين شتى التيارات طيلة فترة السبعينات، وعزز تورغوت أوزال زعيم حزب «الوطن الأم» سلطاته السياسية بفوزه بالانتخابات المحلية بعد الانتخابات النيابية بنسبة ٤٥% ولا سيما في المدن الكبرى: استانبول وأنقرة وأزمير وأضنة، بينما فاز الحزب «الديمقراطي الاشتراكي» بنسبة ٢٣% وحزب «النهج الصحيح» الاسلامي بـ ١٣%.

ويحاول الجنرال كنعان إيفرين ورئيس وزرائه تورغوت أوزال الافادة المعطيات الجغرافية والسياسية والاستراتيجية والتاريخية لتركيا، كبذل مجاور للاتحاد السوفيتي، وكعضو فعال في حلف شمال الأطلسي، وكشقيق في أسرة الحكومات الاسلامية، أن يعيداً لتركيا جانباً من دورها النشط في المنطقة، لا سيما بعد فوز الرئيس التركي بمنصب رئاسة منظمة المؤتمر الاسلامي، وتعزيز العلاقات الثنائية مع المملكة العربية السعودية خاصة، ومع دول العالم الاسلامي بوجه عام.

وبعد فإن الشعب التركي معروف بتاريخه العسكري المجيد، وحينما وضع قدراته في خدمة الاسلام ورسالته نجح في فتح القسطنطينية وحوّلها إلى «اسلامبول» بعد أن عجز الكثيرون عن فتحها، وحين تمتاز الطاقة العربية بالطاقة التركية وبغيرها من طاقات الشعوب الاسلامية في بوتقة «الدولة الاسلامية» فإنها تفعل المعجزات، فهل يعيد التاريخ نفسه؟!

(١) لا يخفى على القارئ أن العالم الاسلامي على الرغم من تجزئته وتأسيس دوله وإماراته المستقلة، ذات السيادة والصيغة القومية، وعلى الرغم من تحريض المستعمرين بالبعد عن الاسلام فقد بقيت اللغات في تلك الدول تكتب بأحرف عربية، ولم تجزؤ الدول الاستعمارية، حتى المسيطرة منها على مساحات واسعة من ديار المسلمين، أن تستبدل الأحرف بل أبقتها خوفاً من نقمة الشعب المسلم، ولكن عندما تجرأ مصطفى كمال على إلغاء الحروف العربية في بلده، تجرأت الدول الأخرى، وأولها هولندا في اندونيسيا، وانكلترا في ماليزيا، وروسيا في بلاد التركستان والقفقاس، على تغيير الحروف في مدة خمسة عشر سنة، ولم يبق اليوم في العالم الاسلامي من يكتب العربية سوى أهلها، عداً الفارسية في إيران، والبشتو في أفغانستان، والأردو في باكستان، وفطاني وجنوب الفلبين، وفي حين تجرأت أيضاً بعض دول الجامعة العربية وألغت الحروف العربية، وارتكبت مجازر شنيعة لفرض ذلك كما هو الحال في الصومال!

ولعل خير ما نختم به بحثنا حول «السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية» هو الفقرات التالية المجتزأة من حديث أدلى به إليّ الأمير المرحوم سعيد الجزائري قبل نحو ١٨ عاماً خلال زيارة له للكويت، وكان في السابعة والثمانين من عمره، وقد نشرته في مجلة «الكويت» الصادرة من وزارة الإرشاد والأنباء عام ١٩٦٦ م خلال عملي بها آنذاك (١).

فقد أشار في حديثه إلى استلامه لرئاسة دولة سوريا ليوم واحد، ريثما جاء الشريف فيصل، في أعقاب خروج القوات العثمانية منها وقد زودني بنسخة من كتابي التكليف الصادرين عن الشريف ناصر وعن فيصل نفسه.

ويتطرق إلى موضع عمه الأمير عمر الجزائري الذي كان ضمن قافلة الإعدامات التي قام بها جمال باشا يوم ٦ مايو ١٩١٦ م، فيقول: (إنني أوضحت موقفي في كتابي: «جهاد نصف قرن» وقلت أنني رغم استنكاري لإعدام عمي وبذل كل الجهود في محاولة إنقاذه وإبعادي إلى استانبول قبيل التنفيذ خشية المقاومة إلا أن عقيدتي أولاً وأخيراً أن كل من يستعين على أخوانه المسلمين بالكفار يخالف قول الله تعالى يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْنِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٨).

فبعد هذا النهي أعتقد أن الالتجاء إلى الأجنبي لا يجلب إلا الشر، والثورات التي استعانت بالأجنبي انتهت نهايات مخزنة، والبلاد لم تحصد من الاستعانة بالمستعمر إلا النار والحزب والفساد.

ذلك هو رأيي الشخصي ولكن فجيعتي بعمي وحزني عليه حفزني أولاً للإبراق إلى «جمال باشا» من المنفى قائلاً: (إعدامك عمر خلافا للعهد الذي قطعته عار على شرفك العسكري) وكادت هذه البرقية أن تكلفني حياتي لولا تعقل المسؤولين في استانبول).

ويقول في فقرة أخرى من حديثه: (نني أذكر أن عبد الحميد الثاني الذي ينسبون إليه أشياء كثيرة كان مهاباً من العالم مدة حكمه التي استمرت ٣٣ عاماً ولم يرض بيع فلسطين وختم حياته السياسية بالتنازل حقناً للدماء رغم قدرته على المقاومة وأذكر أنني جاورت نجله وولي عهده الأمير سلم مدة ١٥ عاماً في قونيه بتركيا وعرفت أنه حبس نفسه في بيته وأمضى حياته في الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن).

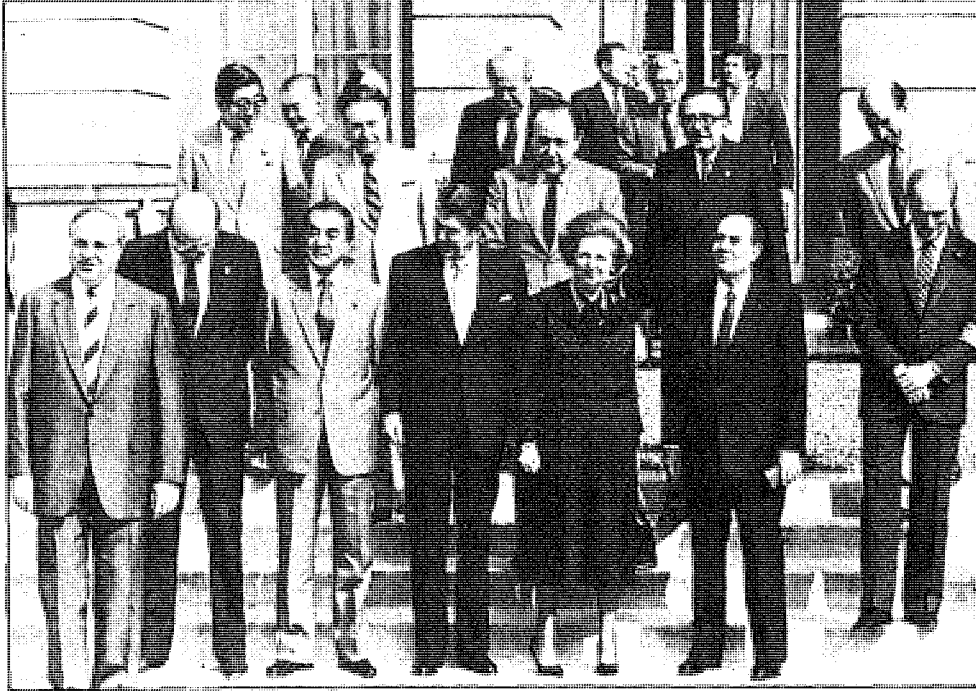
وبعد: فإن حركة انبعاث الإسلام تبدو واضحة جلية في العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي ومع مطالع القرن الخامس عشر الهجري، من جبال الفيليبين على شواطئ المحيط الهادي في جنوبي آسيا مروراً بالألف جزيرة في أندونيسيا وانتهاء بكابول وأنقرة في غربي القارة نفسها.

وعودة الإسلام هذه المرة ليس كدين سماوي وإنما كنظرية ونظام حكم وطريقة لمعالجة مشاكل الحياة اليومية مما أدى إلى انقسام الآراء حول هذه الظاهرة في الغرب.

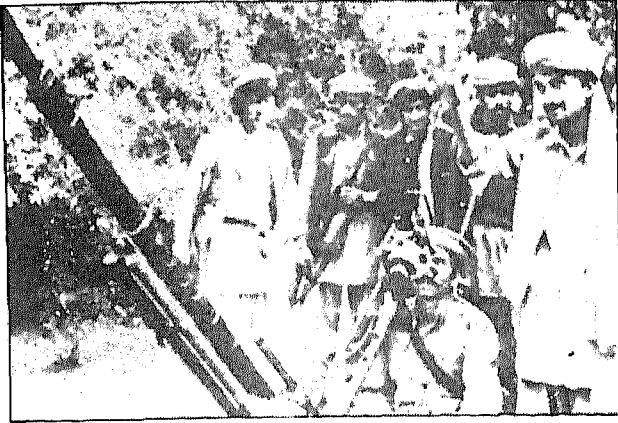
وقد كتبت «باري ماتش» الفرنسية حول مظاهر الصحة الإسلامية وتحذير الغرب منها فقالت: «من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ومن أفريقيا السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام في كل مكان، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول غياب في بعض الأماكن بينما هي تستعد للارتفاع في مناطق أخرى. فما هي الاحتياطات التي ينبغي على الدول الغربية أن تتخذها في مواجهة ذلك، وكيف تستطيع أن تدرك حقيقة ما يجري لكم، لا نفاجأ بالاحداث».

(١) أنظر مجلد مجلة الكويت الصادرة عن وزارة الإرشاد والأنباء عام ١٩٦٦ الكويت «وزارة الاعلام حالياً».

مِنَ الهزيمة إلى الصّحة !!



— زعماء الدول الصناعية الكبرى السبع: جاسون تون «السوق الأوروبية المشتركة»، رودو «كندا»، ميرك «فرنسا»، ناسر «بريطانيا»، ريك «الولايات المتحدة الأمريكية»، ناكسوني «اليابان»، كرايسكي «إيطاليا»، كول «ألمانيا الغربية»، خلال اجتماعهم في لندن ٧-١٠ يونيو ١٩٨٤م، للتنسيق لاقتسام ثروات ومصالح العالم الثالث.. أو العالم الإسلامي!! ترى متى تعود دولة واحدة أو كتلة واحدة في وجه مطامع الدول الكبرى؟



في أفغانستان نوره صد الشيوعي والحاد



هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م من ظلامها بدأت تبشير فجر الصّحة الإسلامية.



في أندونيسيا غليان ضد الحملات التبشيرية والتنصير



— الحاج أمين الحسيني: د. عبد الله عمر ناصيف — الشيخ سعد الدين العلمي — الملا يوسف جاسم الحجي —
 أول رئيس للمؤتمر الاسلامي بالقدس ١٩٣٦ م الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس الشريف رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

ولعل إدراك العرب والمسلمين لأهمية الرقعة الاستراتيجية التي يشغلونها، على الكرة الأرضية، بتوسطها بين قارات العالم القديم، وتحكمها بأخطر المضائق والمرات المائية والنافذ البحرية، وبحكم الثروات الوفيرة التي أنعم بها علينا المولى، وفي طليعتها الثروة النفطية، فضلاً عن الكثافة البشرية، وعشرات الامكانيات والطاقات المادية والروحية، لعل إدراكنا لواقعنا هذا هو أول بوادر الصحوة المنشودة، التي طالما سعى المبشرون والمستشرقون وزبانية الاستعمار وخدام الامبريالية للحيلولة بيننا وبينها لنظل في نومنا العميق، بعد ان نجحوا في فصل الدين عن الحياة، وفي غزو الأفكار والعقول قبل ان تطفأ أقدام جيوشهم وعساكرهم أراضي بلادنا.

وها هي موجة السخط والكراهية تعم أرجاء العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ضد الشرق والغرب معاً، ففي أفغانستان وأرتريا أشهر المجاهدون المسلمون أسلحتهم ضد الشيوعية، وفي الفلبين والصومال وعشرات البلدان الأخرى مازالت الشورات تقض مضاجع الامبريالية الغربية، بعد أن تجدد الايمان في النفوس وتأكّد إلتحام المسلمين بعقيدتهم نفسياً وروحياً وتاريخياً.

ولا ريب في أن الحركات الاصلاحية كالسلفية والسنوسية والشوكانية، وما تبعها من حركات وهيئات وجمعيات وأحزاب إسلامية هي صاحبة الفضل في هذه الصحوة المباركة، التي تتمثل مظاهرها في الوعي الفكري، الذي بدأ يعبر عن نفسه من خلال طرح موضوعات: الاقتصاد الاسلامي، والحكم الاسلامي، والخلافة الاسلامية، كمادة للبحث والمناقشة، بعد أن كانت إلى فترة قريبة من المحظورات، الممنوعة التداول، في معظم البلدان الاسلامية، كما أصبح التوجه العام لدى الجيل الجديد، شباناً وبناتاً، نحو الاسلام بكل مظاهره ومتطلباته، حتى أصبح الحديث عن «المحجبات» و«ذوي اللحى» مادة تشغل الصحافة الغربية والاعلام الصهيوني، وعلماء الاجتماع والسياسة، ورجال المخابرات الغربية!!

بل إن الأمر تجاوز هذا كله إلى بروز بعض التطبيقات الاسلامية، التي مازالت في طور التجربة، كإنتشار المصارف الاسلامية اللاربوية، وبيوتات الزكاة، وغيرها من المؤسسات، رغم ما يثار من حولها من آراء ومناقشات، فهي بكل «سليبتها»، تظل خطوة أو خطوات، على الطريق، لعودة الاسلام إلى الحياة، بوصفها نماذج حية أو صوراً مصغرة، لما يمكن أن يكون عليه الحال، في الدولة الاسلامية المنشودة.

أما الإقبال على تطبيق الشريعة الاسلامية، من خلال إقامة الحدود والعقوبات فحسب، فهي محاولات لاعاقبة التطبيق العملي الكلي للشريعة الاسلامية، عن طريق التشويه والتخويف، بما جرى ويجري من قطع الأيدي والصلب والشنق، دون استيفاء حقيقي لمتطلبات إيقاع الحدود والعقوبات على مستحقيها، وليكون ذلك مادة للأجهزة الاعلامية



الملا يوسف جاسم الحجري أحد رواد الدعوة الإسلامية في الكويت يسلم الجائزة لأحد حفظة القرآن الكريم وإلى يمينه وكيل الأوقاف محمد ناصر الحريان وإلى يساره رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت عبدالله العلي المطوع.

المعادية للإسلام، لتنفيذ المسلمين من تطبيق الشريعة، ولتخويف المجتمعات الإنسانية من أخطار الصحوة الإسلامية تمهيداً لضربها، إلا أن الظاهرة لم تكن وفقاً على بلد واحد فحسب، وإنما نلمس بوادرها في معظم بلدان العالم الإسلامي مما يبشر بالخير، ويدعو للتفاؤل، دون أن يحفزنا ذلك لتناسي خطورة الخصوم، وضراوة الأعداء، الأمر الذي يتطلب من الحركات والهيئات والأحزاب والدعاة الانتصار في بوتقة إسلامية واحدة، تنهل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أساسيات الاتفاق على المبادئ الضرورية اللازمة، والقضاء على التشردم والتناحر، لردم الهوة بين التيارات الفكرية الإسلامية المختلفة، كيلا تضيق الفرصة، وتقلت من أيدينا، بعد أن طال شوق المسلمين للحكم بما أنزل الله، لاسيما وأن الجميع متفقون على تحديد خصوم الإسلام: الاستعمار، والصهيونية، والرأسمالية، والشيوعية، كمخاطر خارجية، إلى جانب المشكلات الداخلية المتمثلة في قضايا التخلف والتنمية والقهر والجهل والمرض، مما أتاح للأعداء فرصة استمرارية خضوع هذه المساحات الشاسعة الواسعة من العالم الإسلامي لاستغلالهم وتبعيتهم واضطهادهم.

إن فشل التجارب الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية والفوضوية في بلاد المسلمين عبر الحقبة الأخيرة من تاريخنا، وما كابدها من جرائم من أخطار وهزائم وتخلف وإذلال، قمين باستشارة المهتم للنهوض بالأمّة من عثرتها والصحوة من كبوتها، لوضع حد لما نشهده من حماية للربا والزنا والخمرة وباقي الموبقات، ومن سخرية بالحجاب واستهزاء بالشريعة، وممالة لأعداء الله من الصهاينة والمستعمرين.

وقد آن الأوان لهذه الأمّة أن تدرك أهمية الافادة من ثرواتها النفطية التي يعتبرها الكثيرون آخر فرصة من فرص التحرر والسيادة، وإذا ضاعت هذه الفرصة فقد يضيع كل أمل معها.

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحوة الحقيقية التي تتوج باستئناف الحياة الإسلامية، من خلال صياغة نظام إسلامي بديل للنظم الوضعية المعاصرة، وبحيث يستوعب ضرورات الحياة الحديثة ومستجداتها، ويتلمس لها الحلول الشرعية، عن طريق فتح باب الاجتهاد، سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع الفقهية في العواصم الإسلامية.

وإذا كانت الحقبة الأخيرة قد أكدت انتصار الإسلام في معركة التحدي لكل من الرأسمالية العلمانية والشيوعية الالحادية، بدليل الفشل الذي نلمسه في الحضارتين الماديتين الشرقية والغربية، فإن الإسلام يؤكد لنا جدارته للعودة إلى حياتنا من خلال صموده في كل المعارك التي تعرض لخوضها حتى الآن.

ولنتفاءل جميعاً بأن جامع «أياصوفيا» — في استنبول — الذي حوله مصطفى كمال إلى متحف، عادت مآذنه بعد نصف قرن ونيف، من العلمانية والقمع والاضطهاد، لتدعو المسلمين للصلوات الخمس، مرددة: الله أكبر.. الله أكبر.. وتلك هي أولى البشائر بـ«صحوة الرجل المريض»!!

تم بعون الله

الوثائق والملاحق

و

الجداول

شعار الدولة العثمانية



معاهدة

الإمتيازات الأجنبية بين الدولة العثمانية وفرنسا سنة ١٧٤٠م

خلال عهد السلطان محمود خان

نص المعاهدة (١)

معاهدة فرنسا مع الباب العالي: أبرمت في ٢٨ أيار (مايو) عام ١٧٤٠م عن يد لويس سوفير ماركيز دي فيلنغ السفير الخامس والعشرين للحكومة الفرنسية لدى الباب العالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بنعمة الله تجل قدرته وتتعظم كلمته وبركة شمس سموات النبوة وكوكب برج الأولياء رئيس طغمة الإبرار سيدنا محمد الطاهر (ص) وبطل أنفوس حايته الأربعة الطاهرين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم صلوات الله .

شاه سلطان محمود خان ابن السلطان سليم خان الغازي . أنا سلطان السلاطين وملك الملوك وواهب تيجان الملك ظل الله على الأرض باد شاه وسلطان البحر الأبيض والأسود وبلاد الروم ايلي والاناضول وقرمان وارزروم وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم ودمشق وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس الشريف وسائر بلاد العرب واليمن وايلات شتى افتتحها سلفاؤنا العظام . وأجدادنا الفخام بقدرتهم المنصورة . أنا السلطان محمود بن السلطان مصطفى نأمر بما يأتي:

- بند ١ لا يعارض الفرنسيون والذهبون لزيارة القدس الشريف والأيوبون منه وكذلك الرهبان والقسيسون المقيمون بكنيسة القبر المقدس المسماة بكنيسة (القيامة) .
- بند ٢ بما أن أباطرة فرنسا لم يأتوا ما يمس المودة القديمة التي تربطهم بابنا العالي منحت لرعاياهم براءة سلطانية على عهد ساكن الجنان السلطان سليم تبيح لهم ما كان محظورا قديما من الاتجار بالقطن المغزول والغير مغزول على اختلاف أنواعه . والآن رعاية لهذه المودة الصادقة وطبقا لما جاء في المعاهدات بأنه لا يسوغ لأحد أن يمنعهم عن اتباع صنفي الجلد والشمع اللذين كان نقلهما ممنوعا في عهد أجدادنا العظام يكون هذا الانعام مقرا لهم كما كان سابقا .
- بند ٣ بما أن الفرنسيين تجارا وغير تجار لم يكلفوا سابقا دفع ضريبة على النقود التي يأتون بها من بلادهم الى ممالكنا المحروسة فلا يكلفون الآن ذلك . وعلى أمناء خزاننا ورجال ماليتنا عدم التعرض لهم بحجة أنهم يضربون من دراهمهم نقوداً عثمانية .
- بند ٤ اذا كان تجار فرنساويون مسافرين على مراكب العدو قصد الاتجار ولو أن سلبهم وأسرههم مخالفين للشرائع لأنهم وجدوا في مركب العدو، فلا يسوغ بهذه الحجة ضبط أموالهم وأسر أشخاصهم بشرط أن لا يكونوا في مراكب قرصان (لصوص البحر) ويبدو منهم عمل عدائي أو يتخطوا حدود مهنتهم التجارية .
- بند ٥ اذا شحن فرنساوي مركبه مؤونة من بلاد العدو وحملها الى بلاد العدو فالتقى بسفن المسلمين فلا يسوغ أخذ مركبه وأسر الأشخاص بحجة أنهم ناقلون ميرة الى بلاد العدو .
- بند ٦ اذا نقل أحد رعايانا مؤنا من البلاد الاسلامية فقبض عليه أثناء سفره فالفرنساويون الذين يشتغلون في المركب بالأجرة لا يؤخذون أسرى .

بند ٧ اذا ابتاع الفرنسيون بالتراضي والقبول من السفن العثمانية ميرة والتقوا بمراكبنا وهم ذاهبون الى بلادهم لا الى بلاد العدو فالمرآكب لا تضبط ولا يؤخذ من عليها ارقاء واذا وجد من الفرنسيين من ضبط على هذا النحو يفرج عنه ويرد اليه ما سلب منه .

بند ٨ ان البضائع التي يشحنها التجار الفرنسيون من بلادهم بارادة ورضاء امبراطور فرنسا الى ممالكنا المحروسة وكذلك البضائع التي يشحنوها من ممالكنا المحروسة الى بلادهم تقدر في الجمارك بالثمن التي كانت تقدر به قديما لضبط الرسوم الجمركية وتحصيلها كما كانت تؤخذ قبلا بدون زيادة البتة في ثمنها .

بند ١١ ان مراكب (القرصان) الجزائريين وان تكن تعامل معاملة حسنة عند رسوها في الموانئ الفرنسية وتشحن البارود والرصاص والأشربة وكل ما تحتاج اليه فهي لا تزال تأخذ الفرنسيين الذين تلتقي بهم أرقاء وتسلب أموال التجار الأمر الذي حرم عليها مرارا في عهد جدنا ساكن الجنان والطبيب الذكر بدون أن ترجع عن خطتها ونحن أبعد من أن نظهر رضانا الشاهاني عن مثل هذا العمل بل نأمر بأن يطلق سراح كل فرنساوي أخذ رقيقا على الوجه الذي تقدم ويرد اليه ما سلب منه . فاذا استمر هؤلاء القرصان على عصيانهم وبلغنا ذلك من عظمة امبراطور فرنسا فان والى الجزائر يعزل من منصبه ويعوض على الفرنسيين ما سلب منهم .

وبما أن الجزائريين لم يذعنوا حتى الآن للنواهي المكررة التي صدرت لهم بهذا الشأن فان لم يسيروا من الآن فصاعدا حسب أوامرنا الشاهانية فان امبراطور فرنسا لا يرضى قبولهم تحت قلاعه ويمنعهم من دخول موانئه . والوسائط التي يأخذها لقمعهم ومنع تعديهم لا تمس العهود المبرمة بيننا طبقا للأوامر الشاهانية الصادرة في عهد أجدادنا الطيبين الذكر والتي تؤيدها نحن ونعد انا نجيب الشكوى ونقبل الشهادات الصادقة من عظمتة بهذا الشأن .

بند ١٢ بما أن أجدادنا العظام والطيبين الذكر صرحوا للفرنساويين باصطياد الأسماك واخراج المرجان من خليج أوسترغة التابع للجزائر وتونس فنحن كذلك نبيح لهم اخراج المرجان واصطياد الأسماك في الأماكن المذكورة على مقتضى عوائدهم القديمة وأن لا يباح لأحد معارضتهم بهذا الشأن .

بند ١٥ اذا حدث قتل أو مشاجرة بين فرنساويين فلسفرائهم وقناصلهم أن يحكموا بينهم حسب عوائدهم وتعاملهم بدون أن يقدر أحد من رجال حكومتنا أن يتداخل بهذا الصدد .

بند ١٦ أنه في الحالة التي يقيم بها أحد دعوى على القناصل المعينين لملاحظة أعمال التجار لا يسجن القناصل ولا تحتم محلاتهم . وتسمع دعواهم في بابنا العالي واذا وجدت أوامر سابقة أو لا حقة مخالفة للفقرات المذكورة تعد ملغاة ولا يعمل بها بل يجري العمل طبقا لمعاهداتنا السلطانية .

بند ٢٠ ان الفرنسيين من تجار وتراجة وغيرهم لهم الحرية المطلقة بالذهاب والاياب برا وبحرا من والى موانئ ومدن ممالكنا المحروسة سواء كان ذلك للبيع أو للشراء أو للتجار في ممالكنا المحروسة بشرط أن لا يتخطوا حدود مهنتهم وحرفتهم وأطوارهم وبعد أن يدفعوا الرسوم المعتاد دفعها ورسوم القنصلا تو كما قد جرى حتى الآن فلا يعارضهم ولا يمانعهم أمراء وقادة بحريتنا وربانو مراكبنا وسواهم ولا رؤساء جنديتنا وجيوشنا .

بند ٢٤ اذا وجد في ممالكنا المحروسة بعض أرقاء من أتباع فرنسا وأعلن السفراء والقناصل الفرنسيون أنه فرنساوي فيؤتى بالرقيق والمولى أو وكيله الى بابنا العالي ليبت الحكم بأمره ولا يطلب من الفرنسيين الساكنين ممالكنا المحروسة الخراج .

بند ٢٦ اذا وقع خلاف بين أحد رعايانا وفرنساوي وتقدم الخصمان الى القاضي ليحكم بينهما فلا يجوز للقاضي استماع الدعوى ان لم يكن ترجمان القنصلا تو حاضرا واذا كان الترجمان مشغلا بأشغال ضرورية تدعو لتأخره عن الحضور فتؤجل الدعوى الى حين حضوره وعلى الفرنسيين ان ينيبوا عن الترجمان الغائب بدون أن تكون غيبته حجة مضرة . واذا حدث خلاف بين فرنساويين فلسفراء والقناصل أن يفحصوا ويحكموا حسب شرائعهم وعوائدهم بدون أن يمانعهم بذلك أحد .

بند ٣٠ نأمر بأن تحرس وتساعد السفن والمراكب الفرنسية التي تأتي ممالكنا المحروسة وأن تأفل منها بكل أمان وإذا سلب شيء من أدواتها وأشياءها فليس يبذل فقط قصارى الجد لاعادة المسلوب ان كان أناسا أو أشياء بل يعاقب المعتدون بصرامة أيا كانوا.

بند ٣١ نأمر رجال حكومتنا وقادة بحريتنا وولاة الأقاليم والقضاة ورباني السفن وبوجه أعم كل سكان ممالكنا المحروسة أن ينفذوا بتدقيق كل ما جاء في معاهداتنا السلطانية (رمز العدالة والحق) بدون أن تمس بأدنى تغيير حتى إذا ما تجاسر أحد على معارضة ومقاومة تنفيذ أوامري الشاهانية يعتبر مجرما متمردا ويعاقب عقابا شديدا مبرحا بدون تأخير ولا امهال ليكون عبرة لسواه والنتيجة أن ارادتنا هي أن لا يسمح باجراء شيء يخالف صدق المعاهدات المبرمة والامتيازات الممنوحة في عهد أجدادنا العظام الطيبي الذكر.

بند ٣٢ بما أن بعض رعايا الامم أعدائنا الذين ليس لهم سفراء لدى بابنا العالي كانوا يأتون قديما ويذهبون تحت الراية الفرنسية سواء كان ذلك للاتجار أو لزيارة القدس الشريف الا أنهم منعوا بعد ذلك لجملة أسباب وألغيت من المعاهدات تلك الامتيازات غير أن امبراطور فرنسا أظهر رغبته في أن الأمم أعدائنا الممنوعين عن الاتجار في ممالكنا المحروسة يمنحون حرية الذهاب والاياب الى القدس الشريف كما كانت العادة القديمة بدون أن يعارضوا. وأنه اذا سمح لهم في المستقبل بالاتجار في ممالكنا المحروسة يكون ذلك تحت الراية الفرنسية. وقد قبل طلب الامبراطور بناء على المودة القديمة وقد صدر بذلك أمرنا الشاهاني وهو:

ان الأمم النصرانية المعاديتنا والمسالمة امبراطور فرنسا التي ترغب في زيارة القدس الشريف تقدر على الذهاب والاياب بكل حرية وأمان واذا وجد فيما بعد السماح للأمم المذكورة بالاتجار في ممالكنا المحروسة فذهابهم وايابهم حائث يكون تحت الراية الفرنسية كما كان من ذي قبل بدون أن يسمح لهم بالذهاب أو الاياب تحت راية أخرى.

بند ٣٣ ان الرهبان الفرنسيين الذين يقيمون كما كانوا قديما داخل مدينة اورشليم وخارجها وفي كنيسة القبر المقدس المسماة بـ (القيامة) لا يعارضون بشأن أماكن الزيارة التي يسكنونها والتي في حوزتهم وتبقى في تملكهم كالسابق بدون أن تسوغ معارضتهم بهذا الصدد ولا بحجة وضع الضرائب واذا حدث لهم دعاوى ولم تحل في موضع اقامتها يحال أمرها الى بابنا العالي.

بند ٣٧ ولئن كان التجار الفرنسيون يدفعون دائما رسما جمركيا قيمته خمسة بالمائة من البضائع التي يصدرونها الى ممالكنا المحروسة أو يستوردونها منها فيما أنهم إلتسموا منا تخفيض هذا الرسم الى ثلاثة بالمائة (١) مراعاة لمودتهم القديمة مع بابنا العالي وأن يدرج ذلك مع الامتيازات الحديثة استجينا إلتماسهم فنأمر طبقا لارادتنا أن لا يؤخذ منهم أكثر من ثلاثة بالمائة وعندما يؤدون الرسوم الجمركية تؤخذ منهم النقود الراجية في ممالكنا بقيمتها المقبولة في خزينتنا العامة بدون أن يعارضوا على زيادة أو نقصان قيمة تلك النقود.

كتب في مركز الخلافة العظمى
الاستانة العلية

(١) يذكر الرحالة فولني أن الاتراك كانوا أكثر مراعاة لجانب الأجانب منهم التجار الوطنيين، فقد كان الأجانب لا يدفعون الا ٣٪ رسماً على متاجرهم بينما كان الأهالي يدفعون ١٠٪ أو ٧٪ على الأقل اذا تساهلت السلطات معهم.

رسالة البابا بولس الخامس إلى فخر الدين المعني الثاني.

إلى فخر الدين أمير الدروز ونيقوميديّة وفلسطين وفنيقية. (١)

سلام أيها الرجل الشريف. وليحل عليك نور النعمة الالهية.
عرفنا الاخ المحترم سركيس، رئيس أساقفة دمشق الماروني، الذي أم رومية (روما) لزيارة ضريحي الرسولين
القديسين، عطفك العظيم على أولادنا المسيحيين، وخاصة الموارنة، فبتنا مدينين لك كثيرا، لان ما تفعله نحو أولادنا
تفعله نحونا. ولما كان رئيس الاساقفة المذكور عائدا الى اخوته، رأينا أن نكتب اليك هذه الرسالة دليلا على محبتنا لك.
وأوعزنا اليه أن يبلغك انتظارنا بكل الجوارح الفرصة التي تتيح لنا أن نثبت لك عظم هذه المحبة، وشدة ارتياحنا الى
حسناتك نحو اولادنا المسيحيين. وقد أمرنا رئيس الاساقفة المذكور أن يسلمك بعض التحف، آملا في أن تحوز لديك
قبولا، وإن كانت صغيرة، لأنها دليل على ميلنا الخاص اليك. ونحثك ثانيا وثالثا أن تواصل رعايتك لأولادنا، خاصة
الموارنة، وأن تشمل بحمايتك حامل هذه الرسالة وهو يفصح لك عن رغبتنا الشديدة في مناصرتك على الاتراك الظلمة،
أعداء الطرفين. حتى اذا توسعت في تخليص هذه الاماكن من نيرهم القاسي، عاد سكانها الى الدين القويم، مجددا لله
وخلصا للنفوس. ليضيء الاله قلبك برحمته ويسدد في طريق الحق خطواتك.
أعطي في رومية بقرب ماربطرس في (١٦ كانون الثاني ١٦٠٩م) وهي السنة الرابعة لحبريتنا.

إنفاقية بين الدول الكبرى لحل مشكله لبنان ١٨٦٠ م.

محضر (بروتوكول) جلسة المؤتمر المنعقد في باريس في ٣ آب سنة ١٨٦٠

الحاضرون : ممثلو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا والخلافة العثمانية .

لما كان جلالة السلطان يريد حقن الدماء في سورية واتخاذ أقرب الوسائل الناجعة لاطهار عزمه على المحافظة على
الامن والنظام بين الشعوب الخاضعة لسلطته وكان اصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور فرنسا وملكة بريطانيا
العظمى وايرلندة وبروسيا وجلالة امبراطور روسيا قد عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعالة لقبليها ، فقد اتفق
ممثلوهم على المواد الآتية :

المادة ١ - يرسل الى سورية جيش أوربي يمكن زيادة عدد جنوده الى اثني عشر الفا ليعمل على توطيد الراحة فيها .
المادة ٢ - ان جلالة امبراطور الفرنسيين رضي أن يجهز في الحال نصف الجيش ، واذا اقتضى الامر ايصاله الى العدد
المحدد في المادة السابقة ، فعلى الدول صاحبة العلاقة ان تتفق دون تأخير مع الباب العالي ، بطريق المفاوضة الدولية
العادية على تعيين الدولة التي يتوجب عليها تقديم الجنود اللازمين .

المادة ٣ - على القائد العام لهذه الحملة ان تصل فور وصوله بسفير الباب العالي فوق العادة للاتفاق معه على اتخاذ
جميع الوسائل التي تسدعها الاحوال واحتلال المواقع اللازمة لبلوغ الغاية المقصودة .

المادة ٤ - ان اصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور الفرنسيين وملكة بريطانيا العظمى وبروسيا وجلالة امبراطور
الممالك الروسية وعدوا بمواصلة ارسال القوات البحرية الكافية الى شواطئ سورية وابقائها للمساهمة في نجاح المساعي
المشتركة التي ترمي الى توطيد الراحة في تلك البلاد .

المادة ٥ - ان الدول المتعاقدة جعلت مدة احتلال الجنود الاوربيين لسورية ستة اشهر لتأكدها من انها كافية لاعادة
الامن والراحة المطلوبتين .

المادة ٦ - يتعهد الباب العالي ان يبذل كل ما في وسعه لتسهيل تموين هذه البعثة العسكرية .
وقد استقر الرأي على صياغة المواد الست آتفة الذكر بشكل اتفاقية يوقعها ممثلو الدول فور وصول التفويض المطلق
لهم بذلك من حكوماتهم ، الا ان شروط هذا الصك تنفذ في القريب العاجل .

أما القائم بوكالة سفارة بروسيا فقد لفت الانتظار الى ان توزيع بوارج الاسطول البروسي حاليا لا يسمح لحكومته ان
تشارك منذ الآن في تنفيذ محتويات المادة الرابعة .

نص معاهدة لندن (١٥ يولييه سنة ١٨٤٠)

أما بعد فانه حيث التجأ جلالة السلطان إلى جلالة ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا وجلالة ملك النمسا والمجر وبوهيميا وجلالة ملك بروسيا وجلالة قيصر الروس طالبا مساعدتهم ومعاونتهم في درء المصاعب التي ألت بالباب العالي بسبب أعمال الاعتداء التي أبداها محمد علي باشا حاكم مصر، ومن مقتضاها تهديد الدولة العثمانية في حقوق سيادة السلطان واستقلاله فقد اجتمع أصحاب الجلالة الملوك البادي ذكرهم، وبالنظر لشعائر المحبة المتبادلة بينهم وبين الحضرة السلطانية الفخيمة ولما هم عليه من الرغبة في حفظ ممالك السلطنة السنية واستقلالها، إذ أن في ذلك ما يوجب استتباب السلام في أوربا، وقيامها بما تعهدوا به بموجب التحريات المسلمة للباب العالي بوساطة سفرائهم في الآستانة وتاريخها ٢٧ يولييه سنة ١٨٣٩ م، ولما كانت رغبتهم جميعا منع سفك الدماء الذي ربما تسببه مداومة حوادث الاعتداء التي انتشرت أخيرا في سوريا بين حكومة الباشا المشار إليه ورعايا الحضرة السلطانية الفخيمة، لذلك قررت الدول المشار إليها والباب العالي بقصد بلوغ الغايات المذكورة وجوب تحرير هذا الاتفاق بينهم جميعا فعينوا من قبلهم مندوبين ومفوضين هم.. الخ.

وبعد أن تبادل المفوضون المذكورون الأوراق المثبتة لانتدابهم لعقد الاتفاق وتحقيق أنها مستوفاة أصولها قرروا البنود الآتية وأمضوها:

البند الأول — حيث اتفقت الحضرة السلطانية الفخيمة مع جلالة ملكة بريطانيا العظمى وجلالة ملك النمسا والمجر وبوهيميا وجلالة ملك بروسيا وجلالة قيصر روسيا على ما يجب وضعه من شروط الصلح التي أرادت الحضرة السلطانية أن تمنحها إلى محمد علي باشا وهي تلك الشروط المبينة في ملحق هذا الاتفاق، فقد تعهدت الدول المشار إليها بأن تعمل بالاتحاد التام فيما بينها وتبذل ما في وسعها لتقنع محمد علي باشا بقبول الصلح المنوه عنه، وقد حفظت كل دولة من المشار إليها حقها في أن تتصرف في هذا الأمر بما في إمكان كل منها إجراؤه من الوسائل للوصول إلى الغاية المذكورة.

البند الثاني — إذا لم يقبل محمد علي باشا إجراء الصلح على الصورة التي يعلن بها الباب العالي بوساطة أصحاب الجلالة الملوك المشار إليهم يتعهد حينئذ هؤلاء الملوك بأن يتخذوا بناء على طلب الحضرة السلطانية الفخيمة ما يتفقون عليه من التدابير وما يقررونه بينهم من الإجراءات كي يصلوا إلى تنفيذ هذا الصلح، وحيث ان في هذه الأثناء طلبت الحضرة الفخيمة السلطانية من حلفائها الملوك المذكورين الانضمام إليها لمساعدتها على قطع المواصلات بحرا بين مصر وسوريا ومنع إرسال العساكر والخيول والأسلحة والذخائر الحربية على اختلاف أنواعها من إحدى هاتين المقاطعتين للأخرى، بناء على ذلك تعهد أصحاب الجلالة الملوك البادي ذكرهم باصدار أوامرهم إلى قواتهم البحرية في البحر المتوسط لأجل هذه الغاية. وقد وعدوا فضلا على ما ذكر بأن يعطى رؤساء أساطيلهم حسب ما لديهم من الوسائل وباسم المحالفة المنوه عنها كافة ما يستطيعون من أنواع المساعدة لرعايا السلطنة العثمانية الذين يظهرون صدق أمانتهم ونخوصهم للملكهم.

البند الثالث — وإذا وجه محمد علي باشا قواته البحرية والبرية نحو الآستانة بعد أن يكون قد رفض الصلح المذكور، فالملوك المشار إليهم متفقون إذا مست الحاجة على تلبية طلب الحضرة السلطانية الفخيمة فيدافعون عن عرش سلطته إذا طلب ذلك منهم بوساطة سفرائهم في الآستانة فيقومون بالعمل بالاتجاه فيما بينهم لوقاية خليج القسطنطينية والطنونة وعاصمة الدولة العثمانية من كل تعد. ومن المتفق عليه فضلا عن ذلك أن القوات التي سترسلها الدول المشار إليها للأماكن المذكورة لأجل الغاية المار ذكرها ستبقى في تلك الأماكن ما دامت الحضرة السلطانية تؤيد بقاءها فيها. ومتى تراءى لجلالة السلطان أن وجودها غير لازم فتسحب كل دولة حينئذ قواتها وترجع جميعها إلى حيث أتت إما في البحر الأسود وإما في البحر المتوسط.

البند الرابع — وقد تقرر بنوع خاص أن مساعدة الدول في العمل المذكور في البند السابق — ومن شأنها وضع خليج القسطنطينية والطنونة وعاصمة السلطنة السنية تحت ملاحظة الدول المشار إليها وقتها لمقاومة كل تعد يحصل من قبل محمد علي باشا — لا تعتبر إلا كأنها مساعدة غير اعتيادية سمحت بها الدول المشار إليها بناء على طلب السلطنة السنية للدفاع عنها في الظرف المذكور وحده دون سواه.

وعلى ذلك فقد اتفقت الدول البادي ذكرها بأن إجراءاتها الآتية الذكر في الظرف المذكور لا تنفي أصالة القاعدة القديمة التي سنتها السلطنة السنية ومن مقتضاها منع سفن الدول الأجنبية الحربية من التقدم من الدخول في مضيق خليج القسطنطينية والطنونة. وقد أقرت الحضرة السلطانية بموجب هذا الاتفاق أنها في ما خلا الظرف المنوع عنه شديدة العزم باستمرار الإجراءات بمقتضى القاعدة المذكورة المؤسسة بنوع لا يقبل التغيير لأنها قاعدة قديمة اتخذتها السلطنة، وما دام الباب العالي بسلام فلا يقبل أن تدخل ولا سفينة واحدة حربية أجنبية في مضيق القسطنطينية والطنونة. وقد أقرت أصحاب الجلالة ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا وملك النمسا والمجر وبوهيميا وملك بروسيا وقصر روسيا باحترام إرادة الحضرة السلطانية فيما يختص بالقاعدة الآتية الذكر وباتباع الاجراء على مقتضاها.

البند الخامس — سيجري التصديق على هذا الاتفاق ويتبادل في لندن في ظرف شهرين أو في أقرب من ذلك إن أمكن. وعلى ذلك أمضى المفوضون هذا الاتفاق وأمهروه بأختامهم). (١)

الامضاءات:

بالمستون. نيومان. بولار. برونو. شكيب.

(١) «قاموس الإدارة والقضاء» لفيليب جلال المجلد الخامس صفحات ١٤٧ و ١٤٨.

ملحق معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م

عزمت الحضرة السلطانية الفخيمة على أن تسمح لمحمد علي باشا بشروط الصلح الآتية وتعلنها إليه :

البند الأول — وعدت الحضرة السلطانية بأن تسمح لمحمد علي باشا ثم إلى أولاده من صلبه ولاية باشاوية مصر بالتوارث بينهم. ووعدت جلالته بأن تسمح لمحمد علي باشا طول حياته بلقب باشوية عكا وتولية قلعتها وولاية الجهة الجنوبية من سوريا. فتبتديء من رأس النصار على شواطئ البحر المتوسط وتمتد من هناك رأسا حتى مصب نهر السيستان والطرف الشمالي من بحيرة طبرية ثم تمتد طول شاطئ البحر المذكورة الغربي وتتبع شاطئ نهر الأردن الأيمن وشاطئ البحر الميت الغربي ثم تمتد من هناك على خط مستقيم حتى البحر الأحمر فتنتهي إلى رأس خليج العقبة الشمالي وتتبع ساحل هذا الخليج الغربي وساحل خليج السويس الغربي حتى السويس على أن الحضرة السلطانية في عرضها ذلك على محمد علي باشا تقترح عليه شرطا وهو أن يقبل ما عرضته عليه في بحر عشرة أيام من إعلانها إليه في الاسكندرية بوساطة مندوب يرسله جلالته فيسلمه محمد علي في الوقت نفسه التعليمات اللازمة لرؤساء قواته البرية والبحرية بالجلاء حالا عن بلاد العرب والحرمين الشريفين وجزيرة كانديه ومقاطعة أضنة وباقي أنحاء الممالك العثمانية غير الداخلية في التخوم المصرية ولا في حدود باشاوية عكا المبينة أعلاه.

البند الثاني — وإذا لم يقبل محمد علي شروط الصلح المذكورة في خلال العشرة الأيام المبينة أعلاه فيرجع الباب العالي عما عرضه من تولية الباشا المشار إليها باشاوية عكا. ولكنه يبقى ما سمح به له ولورثته من صلبه بعده من تولية باشاوية مصر بشرط أن يقبل ذلك في ظرف عشرة أيام أخرى، أي في بحر عشرين يوما تبتديء من يوم إعلانه بشروط الصلح وأن يسلم لمندوب الباب العالي التعليمات اللازمة القاضية على قادة قواته البرية والبحرية بالجلاء والدخول في حدود مصر ومرافقها.

البند الثالث — أما الخراج السنوي الواجب على محمد علي باشا تأديته إلى الحضرة السلطانية الفخيمة فيكون بنسبة الأراضي التي يتحصل على ولايتها على حسب ما يقبله من أحد الشرطين السالف ذكرهما.

البند الرابع — وفضلا عن ذلك فانه من المقرر حتما أن في كلتا الحالتين أي حالة قبول الشرط الأول أو الثاني قبل مضي مهلتي العشرة أيام والعشرين يوما يلتزم محمد علي باشا بأن يسلم الأسطول العثماني ببهارته ومهمات الكاملة إلى المندوب العثماني المكلف بتسلمه ويحضر رؤساء الأساطيل المتحالفة هذا التسليم. ومن المقرر أيضا أن ليس لمحمد علي باشا في أي حال من الأحوال أن يحتسب على الباب العالي ما أنفقه على الأسطول العثماني من المصاريف طول مدة إقامته في الموانئ المصرية ولا أن يخصم هذه المصاريف من الخراج الواجب دفعه.

البند الخامس — أن جميع معاهدات وقوانين الدولة العثمانية تجري في مصر وباشاوية عكا المحدودة تخومها أعلاه كما هو جار العمل بها في كافة أنحاء الممالك العثمانية. ولكن الحضرة السلطانية الفخيمة تقبل بمجرد قيام محمد علي باشا بتأدية الخراج في أوقاته أن يحصل هو وورثته من بعده باسم السلطنة السنية وبصفة كونهم مندوبي الحضرة السلطانية الأموال والضرائب في كافة المقاطعات المذكورة.

البند السادس — ولما كانت القوات البرية والبحرية التي يسوغ لباشاويتي مصر وعكا اتخاذها معتبرة جميعها كقوات عثمانية فهي تعد كأنها متخذة لخدمة السلطنة السنية.

البند السابع — ولو أن هذا العقد مستقل إلا أنه ذو مفعول ونفوذ كما لو كان مدرجا بالحرف الواحد في اتفاق هذا اليوم. وسيجري التصديق عليه وتبادل التصديقات بشأنه في لندن عند مبادلة التصديق على الاتفاق الآنف الذكر. وقد أمضى المفوضون هذا العقد وأمهروه بأختامهم بلندن في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ م.

الإمضاءات

بالمرستون. نيومان. بولاو. شكيب.

وصية (١) مدحت باننا للاتحاد والترقية

أولاً : علموا الأمة ، رفقوا العامة ، ان الجهل سبب كل علة . ولا أعني التعليم المدرسي كالصرف والنحو والحساب ولا الطب والهندسة والقضاء . وإنما أعني تربية الشبان وتدريبهم على الحرية الشخصية واستقلال الفكر وبث روح الوطنية في نفوسهم وهذا يقتضي تعليم المرأة فانها روح الأمة فاذا ارتقت وثقفت نشأ أبنائها على مثالها فالأمة التي نساؤها مثقفات راقيات ينشأ أبنائها أهلاً للحرية ولو لم يتعلموا في مدارس التربية وهذه لا تثبت الا اذا غرست في الصغر . فأولى وصاياي ترقية الشعب وتدريبه على روح الحرية . ولو كان لهذه الأمة النعسة شيء من ذلك الآن لما رضيت بحل مجلس (المبعوثان) وقتل الدستور وهي نائمة لا ترفع صوتاً ولا تجرد سيفاً .

ثانياً : احذروا الشقاق بين العناصر والأديان . ان الدستور العثماني يحتاج الى هذه الوصية أكثر منه الى سائر الوصايا ذلك لاختلاف العناصر والمذاهب في بلادنا . دعوا التعصب الجنسي او المذهبي واتحدوا في العثمانية لا تذكروا الاسلام والنصرانية واليهودية ولا التركي والعربي والرومي والبلغاري والألباني غصوا الطرف عن هذه الاختلافات لأنها أكبر سلاح يحاربكم به الأعداء الظالمون . هم يفرقون بين العناصر والمذاهب ليستتب الأمر لاستبدادهم ويأمنوا اجتماع الأيدي على مقاومتهم . كلكم مظلوم وكلكم موتور ، ان الظلم لا يخص طائفة دون أخرى ولا مذهباً دون آخر فاتحدوا .

ثالثاً : اجعلوا معولكم في الدفاع عن الجندية . ألقوا الجمعيات السرية وادخلوا الجند فيها . الجند هم الأمة وبأسيافهم يحمي الدستور وتستقر الحرية . ان لم يكن الجند معكم فسعيكم في سبيل الحرية يذهب عبثاً بالجند حاربنا هذا الطاغية ولو كانت الجندية معنا لفعلنا كما نشاء . لا تفلح أمة في طلب حق من حكومتها ان لم يكن الجند نصيرها ويشترط ان يكون متعلماً مثقفاً ، عولوا على الضباط ، فأنا العساكر يجعلهم الجهل اتباعاً لكل ناعق اما الضباط المتعلم ذو الفضيلة فانه سيف قاطع . اجعلوا معولكم على الضباط المتعلمين فهم وحدهم يدركون معنى الحرية وهم وحدهم يحمونها بأسيافهم .

رابعاً : وهذه وصية خاصة أحرضكم على العمل بها فقد كلفتني حياتي وحياة كثيرين أمثالي من الأحرار . ان الحر الصادق سريع التصديق كثير الوثوق وقد يجره وثوقه الى الخطر لأن الناس حوله على غير ذلك ولا سيما عبد الحميد اذا وصلت وصيتي اليكم وهو حي فأوصيكم ان لا تثقوا بأقواله ولو أقسم فانه كاذب احذروا الوثوق به فان الوثوق جزني الى الموت . لا تصدقوه ولو أقسم وظهرت علامات الصدق في وجهه فان ذلك الوجه لا مثيل له من حيث التلون . ان فيه شيئاً لا أعرفه في سائر الوجوه يوهمك منظره انه صادق وما هو كذلك له قدرة غريبة على اقناع مخاطبه ، وقد يتظاهر بالبكاء ندماً وأسفاً وهو ينوي غير ما يقول فاحذروه .

خامساً : بقيت وصية ربما تعجبون منها فان الحرية تقتضي العدل والرفق وحجب الدماء ولكنها لا تنال إلا بسفك الدماء .. فافتكوا بالأفراد الذين يقفون في سبيل أغراضكم لأن رجلاً واحداً شريراً قد يكون وجوده سبباً في خراب أمه او ضياع حقوقها . فاذا كان الحق لا يقضي بقتله فالسياسة تقتضيه افتكوا بالاشرار اقتلوه واذا كانت الجندية معكم فليس أهون عليكم من ذلك . كل من تأكدتم سعيه ضد الحرية والدستور فأقتلوه وأنا المسئول عن ذنبكم بقتله انكم بمثل ذلك تحيون امتكم ولو اتيج لي أن أعرف ذلك من قبل لكنتم الآن رافلين في بحبوحة الدستور ولكن تلك سنة الله في خلقه يستفيد الأبناء من اختبار الآباء .

(١) جورجى زيدان (الانقلاب العثماني) - روايات الاسلام - المكتبة الادبية - بيروت .

سادساً : اذا أتيح لكم الفوز بالدستور فاحذروا ان تبقوا هذا الطاغية على كرسي السلطنة وان ظهر لكم أنه تاب . ورجع فانه يظهر غير ما يضمنر .

سابعاً : لي وصية أخرى تتعلق بتوارث الملك في الدولة العثمانية ان طريقة التوارث الجارية الى اليوم لا تخلو من الخطر على الدولة اذ يكون ولي العهد شخصاً معيناً هو أكبر أبناء السلاطين سناً فقد يتفق ان يكون غير كفء لادارة أمور الدولة فاذا أعلن الدستور وصارت الحكومة العثمانية دستورية أصبحت مقاليدها في أيدي النواب فينبغي ان ينظروا في توارث الملك . انه عظيم الأهمية ان لم يكن حان الانقلاب فبعده عند ستوح الفرصة والذي أراه ان يبقى حق السيادة في آل عثمان يتوارثونها على أن يكون كل بالغ من ابنائهم مرشحاً لولاية العهد وانما يكون للأمة او مجلس نوابها ان يختار منهم من يجد فيه الكفاءة لهذا المنصب لا أنكر ما يعتور هذه الوصية من العقبات ولكنها لازمة .

« أخيراً استودعكم الله وأنا ذاهب لأموت في سبيل الدستور .. (مدحت) .. »

تقرير

الأطباء عن حالة السلطان مراد الخامس قبل خلع

... كنا قد ذكرنا في تقريرنا الطبي الذي وضعناه بتاريخ ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٦م الماضي عن المرض الذي انتاب السلطان مراد خان الخامس ان الداء المصاب به داء عضال ، والآن نزيد عما تقدم أن السلطان المشار اليه لن يستعيد قواه العقلية وسلامة تفكيره بتمامها حتى فيما لو تحسنت صحته بعد مدة طويلة خلافا لما ينتظر .

طبيب سفارة فرنسا

ماروان

طبيب سفارة المانيا

موليخ قاسطوري

الطبيب

عاكف

طبيب سفارة انكلترا

ديكسون

طبيب سفارة النمسا

سوقو

الطبيب

مونجري

خطاب خلع السلطان مراد الخامس ١٨٧٦م

أيها السادة

ان مليكنا السلطان مراد خان الخامس شخص متصف بصفات الملائكة ، وقد أظهر في مقدرته ادارة شؤون السلطنة على أثر ارتقائه العرش ، لمدة عشرة ايام ، ولكن اعتراه مرض بعد ذلك لم تنجح فيه حيل الاطباء رغما عن اتخاذ كل الوسائل التي في استطاعة البشر لشفائه ، فقد أصيبت ذاكرته بضعف شديد ولا يرجى ان يصحو الآن حسبما أفاد التقرير الطبي المعطى في هذا الشأن ، ولقد انتظرنا أن يصحو من مرضه في خلال المدة التي حددها الشرع الاسلامي الشريف الذي على أسسه يقوم بناء دولتنا المتين ، وها قد مضت هذه المدة أيضا ، اني بسطت لكم حقيقة الحال فمروا بما يقضي الشرع الشريف في هذا الشأن .

فتوى خلع السلطان مراد الخامس .

اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقا ، فقات المقصود من الامامة ، فهل يصح خلع الامامة من عهده ؟ ..

الجواب : يصح والله أعلم .

كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه

فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني^(١)

في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩ م اجتمع ٢٤٠ عضوا من مجلس الاعيان في جلسة مشتركة وقرر بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ النائب حدي افندي المالي لكن أمين الفتوى نوري افندي الذي دعي للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه ان لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الاخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه .

واليكم نص الفتوى ذات الوجهين الموقع من قبل شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالاجماع ..

« اذا قام أمام المسلمين زيد فجعل دينه طي واخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والاسراف من بيت المال واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم اقسم على الرجوع عن غيه ثم عاد فحنث وأصر على احداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعا فلوحظ ان في بقاءه ضررا محققا وفي زواله صلاحا فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم . الجواب: نعم يجب .

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفا الله عنه . (٢)

التوقيع

شيخ الاسلام

محمد ضياء الدين افندي

(١) مصطفى طوران (أسرار الانقلاب العثماني - ترجمة خوجة - دار السلام للنشر الطبعة الأولى ١٩٧٧ - ص ٨٩)

(٢) قرئت هذه الفتوى العجيبة في الاجتماع المشترك للمجلس المالي فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه نريد خلعه في هذه الأثناء قام سعيد باشا الصغير الذي رباه عبد الحميد وهو صغير فخانه بعد ما كبر - وهو على كرسي رئاسة المجلس وقال: أيها السادة هل توافقون على هذه الفتوى الشرعية التي تقضي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني من الخلافة والسلطنة؟ ولما كثرت المهمات بينهم طلب من الموافقين الوقوف فوافق المجلس على الخلع .

بلاغات عن الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني

إلى ولاية حلب من الصدر الأعظم توفيق .

سار فيلق الحركة تحت قيادة حضرة محمود باشا قائد الفيلق الثالث وفيلق الحركة مساء يوم الجمعة من أياستفانوس وأشغل أولا القشل الكائنة في دار السعادة ودخل يوم السبت صباحا الاستانة بكل انتظام الا ان بعض المحلات تشبثت بالمقاومة وذلك بسبب سوء التفهم ثم بنتيجة المقاومة وبعد ان حصل من الطرفين طلقات جزئية واستؤمنت والله الحمد، وأما عموم المواقع العسكرية الموجودة داخل البلدة فقد ضبطت من طرف فيلق الحركة واعتني باعادة الامن والسكون وحسن محافظتهما فالامن والسكون سائدان بهذا اليوم. ولم يقع عطل أو ضرر للاهالي مالا او بدنا أصلا بيد ان الشائعات الدائرة بحق جلالة السلطان لا اساس لها كليا. وقد أخذت أركان العسكرية بتأمين أفكار ونيات فيلق الحركة لقاء مقام السلطنة العظمى وأما مجلس المبعوثان الذي كان يجتمع في أياستفانوس منذ ثلاثة اربعة ايام فسيدعى بهذا اليوم للاجتماع واجراء المذاكرات في دائرته المخصوصة باستامبول، فلتكن الكيفية معلومة معاليكم على هذه الصورة ونوصيكم بايفاء التبليغات والراحة المحلية الواجبة في مثل هذه الاوقات.

في ١٢ نيسان ٣٢٥

الصدر الاعظم

توفيق

إلى ولاية حلب من قائد الفيلق الثالث محمود شوكت .

كنا ذكرنا ان الافراد العاصية من العساكر الموجودة في عموم القشل والمخافر الكائنة في جهات استامبول وبك أوغلي قد سلمت سلاحها نهار أمس الا العساكر الموجودة في قشلة السليمية لم تسلم سلاحها ولكن بهذا اليوم سلمت العساكر الموجودة في قشلة السليمية المذكورة سلاحها بدون ترك مجال لاستعماله. بناء عليه صار اشغال سائر جهات استامبول بعساكر الفيلقين الثاني والثالث المطيعة والمحبة للمشروطة وقد أعلنت الادارة العرفية بهذا اليوم في استامبول والبلاد الثلاثة وحصلت الموفقية بتأمين وتأسيس الانضباط والسكون ومحافظة المال والارواح على الوجه اللائق وقد بلغنا رئاسة المجلس العمومي الملي الذي اجتمع اليوم في أياستفانوس انه لم يبق مانع لاجتماعه في محله المخصوص وعليه سيجتمع المجلس في محله الخاص به اعتبارا من نهار الغد فصار المعلومات.

في ١٢ نيسان ٣٢٥

قائد الفيلق الثالث

محمود شوكت

إلى ولاية حلب من ناظر الداخلية رؤوف .

ان الامنية والسكون التام سائدان هنا، الا انه تقرر لدى مجلس الوكلاء لزوم اعلان الادارة العرفية في دار السعادة وملحقاتها وجتالجه وازمير عن مدة موقته احتياطا، ولدى الاستئذان صدرت الادارة السنوية السلطانية آذنة بذلك فنبلفكم ذلك ويلزم ان تبدلوا مساعيكم بخصوص وقاية الازدهان العمومية من الهياج وتأمين السكون العام أيضا.

في ١٣ نيسان سنة ٣٢٥

ناظر الداخلية

رؤوف

يا هو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين .

أرفع عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، الى مفيض الروح والحياة، الى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية (١) وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدي، اني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، وأعرض انني مازلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم، والى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ .

انني لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما، سوى أنني — بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم — أضطرت وأجبرت على ترك الخلافة .

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين)، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية ايضاً . وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي : (انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً — فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي ايضاً) .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني الى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير . هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن أُلخخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة (فلسطين) .

وقد كان ذلك ما كان . ولذا فاني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . وأعتقد ان ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختتم رسالتي هذه . أتم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي الى جميع الاخوان والاصدقاء .

يا استاذي المعظم، لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الاطالة أن أحيط سماحتكم علماً، وتحيط جماعتكم بذلك علماً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

خادم المسلمين
عبد الحميد بن عبد المجيد

٢٢ ايلول ١٣٢٩ .

(١) الرسالة مؤرخة بنفس العام الذي تم فيه خلع السلطان عبد الحميد الثاني من الخلافة العثمانية أي في عام ١٩٠٩ م، وقد قام بتعريب الرسالة من اللغة التركية الشيخ احمد القاسمي، مدير عام الأوقاف بدمشق عام ١٩٥٧ م، وحققها تاريخياً ونشرها ضمن بحث عن السلطان عبد الحميد الثاني الاستاذ سعيد الأفغاني عميد كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً، وقد نشر البحث في أحد أعداد مجلة «العربي»

بيان اللورد بالمريستون أمام مجلس العموم البريطاني حول الفترة بلبنان سنة ١٨٦٨م

١ - القنصلية الفرنسية بدمشق - بخصوص قضية تدخل نخلة باشا المطران البعلبكي .

تحريراً في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٣

من القنصل العام الى صاحب السعادة الميسو بومبار

«أتشرف بأن أخبر سعادتكم بأن نخلة باشا المطران من ذوي النفوذ في بعلبك قد زار هذه القنصلية مرتين خلال الاسابيع الأخيرة وقد كان هذا السيد منذ عامين سكرتير السفارة التركية في باريس وله معرفة بمعظم رجالنا السياسيين وهو عضو في الكنيسة الكاثوليكية اليونانية وعضو كذلك في جمعية الاتحاد والترقي ولوانه كذب في أحاديثه معي عندما أشار الى « اخفاق سياسة اللجنة ووقاحة الاتحاديين » .

لقد انتهز نخلة باشا المطران فرصة السفر الى دمشق لطلب إعادة محاكمة احد اصدقائه وخضر لزيارتي للمحادثة كما قال في مسألة تهم الدولة التي اختارتها الطبيعة لحماية لبنان وسوريا ثم أكد لي ان زعيم الساسة الفرنسيين شافهه في الموضوع نفسه .

ومما قاله : « ان الحالة الحاضرة أصبحت لا تطاق واننا عزمنا على ادماج بعلبك وسهل البقاع بلبنان لارتباط هذه الجهات جغرافياً به بيد اننا نفتقر لتحقيق هذه الغاية الى مساعدة وحماية الحكومة الفرنسية وقد وطننا العزم نحن المسلمين والنصارى على ادراك النجاح واننا لنعرف كيف نحقق غايتنا اذا فكرت الحكومة العثمانية في مقاومتنا بالسلاح . وينتمي الى حزبنا فريق من أهالي بعلبك وعلى هذا فان بلدنا له مركز خاص فأنا وأسعد بك حيدر رئيس المتولة وأكبر الرجال نفوذاً في تلك الجهة وعبد الغني بك الرفاعي زعيم المسلمين قد عقدنا النية على ان تكون منطقتنا جزءاً من لبنان . وقد قررنا الذهاب لبيروت كي نطلع ميسو كوجيه على نوايانا لأنه على الدوام مهتم اهتماماً شديداً بكل ما يتعلق بلبنان . ونظراً الى ان بعلبك هي داخلة في نطاق قنصليتك فلقد رأيت من الواجب اطلاعك على هذه الأمور بالاصالة عن نفسي والنيابة عن اسعد بك وعبد الغني بك .

واني طبعاً أتقبل تأكيدات نخلة باشا المطران كلها بكل تحفظ هذا بصرف النظر عن انني قابلت بالحفاوة التامة وقد زارني مرة أخرى وأكد لي من جديد اخلاصه لفرنسا ووعد بأن يقدم لي اي خدمة يستطيعها لبلاده .

٢ - الى جناب ميسو كوجيه قنصل فرنسا العام في سوريا

بيروت في ١٢ آذار سنة ١٩١٣

سيدي القنصل العام .

نظراً الى ان فرنسا هي الحامية الطبيعية للنصارى العثمانيين والوطن الثاني لنصارى سوريا ، نتشرف نحن الموقعين على هذا ، الأعضاء النصارى باللجنة التنفيذية في الجمعية العمومية ، المنتخبين بواسطة مجالس النقابات بولاية بيروت ، لوضع مشروع اصلاح تلك الولاية بأن نضع أمام انظار قنصل فرنسا العام في سوريا الملاحظات التالية بخصوص :

أ - موقف النصارى العثمانيين

ب - الاصلاحات التي اقترحتها اللجنة التنفيذية

جـ - آماني وآمال النصارى السوريين .

ولنا وطيد الأمل في أن يعرض جناب القنصل العام هذه الملاحظات على حكومة جمهورية فرنسا ويؤيده بكل نفوذه .

سلم الى مسيو بيريه محرر جريدة «الصلاح العربية» بالنيابة عن الموقعين ، صورة منشور اتشرف بارساله الى سعادتكم على هذا ، نظراً لأهميته السياسية .

وهذا المنشور انما وضع بعد موافقة زعماء اللجنة التي تعمل سراً على تنفيذ الاصلاحات في سوريا كما اخبرتكم بذلك مراراً . وقد وقعته أكبر أولئك السادة نفوذاً ، فالمحامي بترو طراد ومترجم القنصلية مسيو تويني روم ارثوذكس بينما مسيو هاني من الموارنة والدكتور ثابت بروتستانت .

وقد أظهروا في خطابهم المرسل الي بالنيابة عن الطوائف الدينية التي يمثلونها اهتماماً شديداً بتحقيق أمانتي النصارى كما أكدوا شدة تعلقهم بفرنسا .

الوثائق الموجودة لدى القنصلية الفرنسية بدمشق وبيروت حول

قضية الشبان العرب (١٩١٥-١٩١٦م)

ان حضرة الصديق الفاضل نائب منطقة ليمريك قد تكلم في القضية السورية معتقداً بأن الاحداث هناك هي نتيجة استبداد الاتراك في حين أن الامر بالعكس فقد نشأت تلك الاحداث عن عدم وجود سلطة للحكومة التركية مباشرة . وقد قال حضرته ان مسؤولية هذه الحوادث واقعة على كاهل الحكومة الانكليزية فأنا لا أرى لنفسي ولا لحكومة جلالتها بأي حال من الاحوال أقل ضلع في هذه المسؤولية . لقد ذاعت في اوروبا أقاويل غريبة عن كانوا البادئين بالشر . فمن هم المذنبون وما هي درجة ذنبهم ؟

ان حضرة العضو الفاضل يود أن يعرف سبب قولي بأن لدي أدلة تدعوني الى الاعتقاد بأن الموارنة كانوا البادئين بالشر . فينبغي أن أبحث في هذا الموضوع ، وكنت أرى ألا فائدة ترجى من السعي وراء معرفة من هو الفريق الذي ضرب الضربة الاولى الا أنني آسف على أن يكون حضرته قد أكرهني في الجلسة السابقة على ابداء رأيي بهذا الشأن واليكم جلية الأمر : منذ بضعة أشهر راجت بين المسيحيين اشاعات عن وقوع حوادث من هذا النوع في سورية في فصل الربيع ووزعت كمية من الاسلحة الاوروبية على الموارنة ، وأنا لا أسأل من أين اتتهم ومن اعطاهم اياها ولكنني واثق بأنهم تلقوا أسلحة غير التي بيعت لهم علانية في بيروت .

ان قنصل انكلترا في بيروت أفادنا ان القتال بين الموارنة والدروز نشأ عن هجوم الموارنة على بعض قرى تسكنها كلتا الطائفتين لطرد الدروز منها ، وان في بيروت لجنة مارونية برئاسة اسقفها سعت الى اثارة الموارنة وحملهم على اغتنام الفرصة لاقضاء الدروز عن البلاد . وقد قال حضرة الصديق الفاضل ان الشائعات تؤكد الآن حماية الحكومة الانكليزية للدروز مهما اقتربوا من الفطائع وأنا لا استطيع ان أشير الى المصدر الذي استقى منه حضرته هذا الخبر الذي لم يسبق ان سمعت به من قبل ولكنني أقول بجرأة انها تهمة وضيفة لا نصيب لها من الصحة معلنا ان الحكومة الانكليزية لم يسبق ان كان لها أقل علاقة بالدروز بينما ثبت ان الحكومة غيرها علاقة وثيقة بالموارنة .

وثنائق إنهام الديوان العرفي بعاليه

في قضيتة إعدام الشبان العرب ١٩١٥-١٩١٦م

نشرة رقم ٤٠٣

القاهرة في ٢٧ رمضان سنة ١٣٢٢

الى السيد الجليل المبجل، سيد افندي شكري

تحية وسلاما، وبعد، ففي هذه الساعة الخطيرة التي تدور فيها رحى الحرب العظمى بمنتهى الشدة ينتظر الوطن المقدس من ابنائه بذل ضحايا اكبر مما بذل في الماضي ان الحرب العالمية قد تطير شرارة منها الى الشرق فتصبح بلادنا شعلة من نار فتلتهم البريء والمذنب لا فرق بين العرب والأتراك فمما لا ريب فيه ان الحكومة على العكس من المتوقع لو اشتركت في الصراع العام لن تخرج منها الا مخضوذة الشوكة بما يقرب اجلها فلو ختمت الحرب بانتصار الحلفاء فان هذه النهاية تصبح لا مفر منها وبذلك يسهل حل المسألة الشرقية بواسطة روسيا.

واذ ذاك تصبح الاراضي العربية عرضة لنفس الاخطار التي تهدد الاراضي التركية وبما ان الأتراك سوف يبدلون قصارى جهدهم ويستخدمون كل مواردهم الدفاعية عن امبراطوريتهم وممتلكاتهم فان الخطر الذي يهدد العرب سيكون اعظم والبلبة اشد وهذا هو المنتظر وقوعه فعلا أذن فمن المهم ان يتأهب العرب للذود عن استقلالهم المهدد.

وان جمعيتنا التي لديها هيئة خاصة والتي تتألف من نفر اشتهروا بالوطنية وعرفوا بالتضحية ترى واجبها المقدس يقضي باتخاذ الوسائل الفعالة في الحال لصيانة الوطن وابنائهم فلهذا السبب نرجو الاجابة على الاسئلة الاتية :

- اولا : كم لديكم من القوات التي يمكنكم — اذا دعت الضرورة — بدء التمرد العام بها؟
 - ثانيا : هل في استطاعتكم امدادنا بالاموال او جمع التبرعات التي يمكنكم شخصيا استعمالها عند الضرورة؟ وكم عدد الاموال التي يمكن جمعها؟
 - ثالثا : هل من المستطاع ايجاد ملجأ حصين لاعدائنا السريين الذين يناط بهم البدء في التمرد والذين سنساعدكم بكل ما لدينا من الوسائل؟
 - رابعا : هل من الممكن ارسال رجل ثقة الينا يمثل حزبكم للذهاب الى جهة معينة لانتظار تعليماتنا؟
 - خامسا : واذا لم تجدوا ذلك الثقة لارساله إلينا، هل ترون من اللازم ان نبعث اليكم من يبلغكم تعليماتنا؟
- فالمرجو الاجابة على هذه الاسئلة بتفصيل ان كل دقيقة تضيق سدى معناها فقد روح عربية فالبدار البدار، فلقد حان وقت التضحية الشخصية من اجل الواجب والوطن.

والسلام

الامضاء

وثيقة حول موقف النصارى العثمانيين

ومطالبة البعض بالحماية الفرنسية للبنان والإستعمار لسوريا

لقد كانت حالة النصارى في الامبراطورية العثمانية على الدوام سيئة بل محزنة ولربما تزداد تلك الحالة سوءا بعد الحرب البلقانية والهزائم التي منيت بها تركيا لان النتائج المباشرة لتلك الهزائم هي:

أولاً: بعث روح التعصب الديني بين المسلمين

ثانياً: زيادة الضرائب

ثالثاً: حل نصارى سورية من جديد على الهجرة

أما من حيث زيادة الضرائب فان الحكومة التركية على اثر ضياع ممتلكاتها باوروبا ستسعى بل هي ساعية الان فعلا الى نقل العبء الذي كان على كاهل الولايات الاوربية الى كاهل الولايات الاسيوية وان العارفين بحيل الادارة التركية والوسائل المرهقة التي تتبعها في فرض الضرائب يعلمون حق العلم بأن الاعباء الجديدة لن تقع الا على كاهل الاهالي النصارى وحدهم.

وأما من حيث التعصب الاسلامي فانه كان أقوى وأنفع سلاح في أيدي الساسة العثمانيين لذلك لم يجمعوا عن استعماله في الحوادث الاخيرة التي وقعت في البلقان فقد كان المسلمون يعتبرون الحرب البلقانية حربا دينية بين الملل والصليب تألبت فيها الدول النصرانية ضد الاسلام وعلى ذلك ليس أسهل على المسلمين من ان يظنوا ان وجود النصارى في الدولة العثمانية هو السبب الرئيسي في هزيمتهم وتضعفهم والنصارى العثمانيين هم في نظر المسلمين أصل الشر وسبب البلايا التي نزلت بالدولة. فهم اعداؤهم الطبيعيون اذن فمن المحتم أن يصبحوا في المستقبل موضع الاهانة والاضطهاد. ونحن بالطبع لسنا نقصد ذلك الاضطهاد الظاهر الملموس الذي قد يترتب عليه تدخل دولة من الدول، بل نقصد ذلك الاضطهاد البطيء الخفي، الذي تفوقت فيه السلطات العثمانية اعتمادا على ما في القوانين التركية من مرونة، ومن المعروف ان التركي من اشد الناس مكررا واحرصهم في هذا الصدد.

وأما من حيث هجرة نصارى سورية فينبغي أن لا يغرب عن البال ان عددا عظيما من المسلمين هاجر منذ الحرب البلقانية من مكدونية وتراقية الى سورية ولا تزال حركة الهجرة اخذة بالازدياد وتؤديها السلطات التركية. وهذا يعني لسوء الحظ ان التوازن العددي بين مسلمي سورية ونصارها قد اختل ومال الى غير مصلحة الاخيرين، ان المسلمين مستبدون عمليا وفقا لمقتضى تعاليم دينهم فمن المنتظر ان تتضاعف انايتهم وتزداد إثارتهم بعد ان تضاعف عددهم.

ولقد اثارت ثائرة نصارى سورية لهذا السبب، حتى ان كثيرين منهم نزحوا الى اميركا فيمكن القول اذن بان الحالة الحاضرة تساعد على الهجرة المزدوجة هجرة المسلمين الى سورية وهجرة نصارى سورية الى اميركا فاذا استمرت الهجرة ولو الى أمد قصير فان نتيجة ذلك هي ابادة العنصر النصراني في سورية.

اقتراحات الاصلاح :

على أثر الخطاب الذي القاه الرئيس بوانكاريه، ذلك السياسي - المسموع الكلمة، وطالب فيه تركيا بادخال الاصلاحات في ولاياتها الاسيوية اجابت الحكومة التركية بالاجاب وكلفت الولاة بوضع مشروعات الاصلاح في ولاياتهم. وكان النصارى العثمانيون يعرفون بسبب التجارب الماضية ما سيتعرضون له من وراء تلك النيات الخالصة من الحكومة فقد كان الغرض الوحيد من وضع تلك المشروعات هو منع اوربا من الالحاح في طلب ادخال الاصلاحات المعنية في تركيا. وكانت الحكومة التركية تريد ان تستعجل تلك المشروعات التي كانت في الظاهر وكأنها من وضع الاهالي في حين انها في الواقع من وضع الدولة تريد ان تتخذ من هذه المشروعات وسيلة تؤدي الى رفض الاصلاحات التي تطلبها اوربا والادعاء بأنها لا تتفق وروح المشروعات التي وضعت باتفاق الاطراف المعنية.

على ان نصارى بيروت اعربوا بالرغم من كل ذلك عن رغبتهم في العمل بالاتفاق مع المسلمين لتنفيذ الاصلاحات للسببين الاتيين :

- أولا : لاحباط نوايا الحكومة ومنعها من الانفراد بوضع المشروعات بالطرق التي تريدها.
- ثانيا : ليتضمن المشروع مبدأ المراقبة الاوربية في كل فرع من فروع الادارة فلو قبل هذا المبدأ جميع أعضاء اللجنة دون فرق بين المسلم والنصراني إذن لقام الدليل بصفه قاطعة على أن السكان بأجمعهم يرون بأن الاصلاح في تركيا من الامور المستحيلة الا بمساعدة من الدول الاوربية.

رغبات نصارى سورية :

ولو افترضنا ان من المستطاع الوصول الى الاصلاحات بدون مساعدة اوربا فان هذه النتيجة لا يمكنها اطفاء غلة نصارى سورية. ذلك ان هؤلاء متحدون مع فرنسا اتحادا لا انفصام له وانهم لن ينسوا مطلقا اعجابهم المفرط بها ومدينتها العالية ولا ما هم مدينون لها به من المساعدة في اوقات الشدة.

فأقصى ما يتغنيه نصارى سورية هو ان تحتل فرنسا الشام.

فلهذه الاسباب يعرض الموقعون اسماءهم من اعضاء اللجنة التنفيذية بالنيابة عن نصارى بيروت بحسب مراتبهم الاقتراحات التالية التي يعتقدون انها الوحيدة الكفيلة بملافاة الحالة السياسية الراهنة في سورية.

أولا : احتلال فرنسا لسورية

ثانيا : استقلال ولاية بيروت استقلالا تاما تحت حماية ووصاية فرنسا.

ثالثا : ادماج ولاية بيروت في لبنان الذي يكون تحت سيادة فرنسا الفكرية.

الامضاءات

ميشيل تويني ، يوسف هاني ، بترو طراد ، الدكتور ايوب ثابت ، رزق الله ارقش ، خليل زينية.

كتاب السفير الفرنسي بالقاهرة للخارجية بفرنسا حول سعي رفيق العظم لجعل سوريا إمارة لآل العظم

من مسيو ديفرانس سفير جمهورية فرنسا المفوض بالقاهرة الى مسيو بيشون وزير الخارجية في هذه الساعة يبدي السوريون القاطنون في القاهرة كثيراً من النشاط أو على الأقل يحض بعضهم بعضاً على العمل فني برقيتي رقم ١١٧ المرسلة اليكم في الثاني والعشرين من الشهر الماضي، اخبرتكم عن اجتماع اللجنة اللامركزية الذي حضره مسيو هشيرل تويني، المترجم المساعد في قنصليتنا ببيروت ويظهر من المعلومات التي امكنتني الوقوف عليها فيما بعد ان قرارات اللجنة لم تكن محددة ولا بالاجماع كما ظن مسيو تويني وهو لا يعمل بصفته الرسمية بل بالصفة الشخصية اي كواحد من أعيان سوريا ولكنه يبدي في المشكلة السورية غيرة تكاد تكون زائدة عن اللزوم وهو يسمى للوصول الى قرار جوهري سريع .

ومن المهم ان نلاحظ ايضا ما ظهر من مطامح اللامركزية، يؤيد المعلومات التي وصلت الي منذ أمد قريب وذلك بصدد آراء مسلمي سوريا بمصير بلادهم . وقد بعثت اليكم بهذه المعلومات في خطابي بتاريخ ٢٣ آذار رقم ١٢٣ .

ويظهر ان السوريين ولا فرق في هذا بين المسلمين والنصارى أو على الأقل السوريون المقيمون في القطر المصري قد عدلوا في مطالبهم عن الاقتراحات المشار اليها في خطابي الذي تاريخه ٢٣ آذار التي تقضي بجعل سوريا دولة مستقلة استقلالاً ذاتياً برئاسة أحد الأمراء المسلمين وقد غني إلى ان كامل باشا المقيم حالياً في القاهرة، أثار الآمال في نفوس أعضاء اللجنة التنفيذية وأعلن انه موافق تمام الموافقة على مشروع الاصلاحات ووعدهم بتحقيق أمانهم كلها عند عودته إلى سدة الحكم ولكن جميع الذين سمعوا هذه التأكيدات مثلما انهم لا يرتابون لحظة في ان ذلك السياسي الهرم لن يحجم عن تجديد تلك الوعود لو عاد الى الصدارة كذلك فانهم من جهة أخرى واثقون بأن هذه الوعود ستهمل وان السوريين سيضحك عليهم مرة أخرى بمعسول الكلام . وهذا هو السر في ان المشروع الاول القاضي بإيجاد نظام من الادارة اللامركزية المسمى باللامركزية الادارية أصبح غير ذي موضوع .

وهناك نقطة أخرى ألا وهي الدولة التي يرغب السوريون اذا اقتضى الأمر ان يضموا امارتهم المقبلة تحت حمايتها، فالآراء التي أشرت اليها في خطابي رقم ١٢٣ تتعارض كما يدل على ذلك تقرير مسيو تويني والمطامح التي ظهرت في اجتماع اللجنة وتدل التقارير التي وصلتني هذا الاسبوع على ان السوريين يفضلون الحماية الانكليزية على ما عداها من أنواع الحماية الأخرى ولكن مسيو تويني أكد لي ان أعضاء اللجنة المسلمين منهم والنصارى مجمعون على طلب الحماية الفرنسية دون سواها ويحسن ان اذكر هنا ان مخبري في الحالة الأولى هو أحد موظفي الحكومة الانكليزية المصرية بينما مسيو تويني هو صديق حميم لفرنسا ويخيل الى ان حقيقة الوضع هي في هذين الطرفين فاذا قدر لسوريا ان تكون تحت الحماية الأجنبية فان النصارى على بكرة أبيهم او معظمهم يرغبون الآن في ان تكون الحماية فرنسية وبين المسلمين الذين يفضل أغلبهم الحماية الانكليزية عدد يقبل بالحماية الفرنسية لأنهم أصدقاء فرنسا أما الباقون فيقبلون بالحماية الفرنسية أو الانكليزية على السواء، متى اختارتها لهم الظروف الخارجية .

واذا أعلنت اللجنة رغبتها في الاستقلال الذاتي لسورية أصبح بالطبع محتماً عليها ان تبحث عن الأشخاص الكفاء الذين يمكن ان يعهد اليهم تولي الامارة المقبلة وتدل المعلومات التي وصلتني ان هذه المسألة لم يتناولها البحث في اجتماعات اللجنة ولكن كثيراً من الأعضاء أصبحوا مهتمين بها .

وقد أشرت في خطابي السابق رقم ١٢٣ ان رئيس اللجنة رفيق بك العظم يرى ان حاكم سوريا المنتظر لا يمكن ان يكون سوى زعيم أسرة العظم وهو شفيق بك المؤيد العظم غير ان الأعضاء الآخرين باللجنة يقولون ان السوريين لن يعترفوا بأحد أفراد هذه الأسرة ملكا عليهم، أن الجميع يرون أنفسهم متساوين في المكانة فهم يريدون انتخاب امير

من الأسرة الخديوية . وهذا الرأي الأخير هو رأي مسيو تويني الذي جاء ليطلعني على آرائه وقال ان كثيراً من السوريين يشاركونه في ذلك .

فالمشروع في حالته الحاضرة يرشح الأمير يوسف كمال باشا ابن عم الخديوي ليكون ملكاً على سوريا وهذا الأمير رجل واسع الثروة ومستقل في علاقاته الشخصية ولما سئل عن رأيه أعلن انه يقبل بانتخابه على هذا الشرط الذي يراه أساسياً . وهو انه اذا لم يكن بد من وضع سوريا تحت حماية أجنبية فيجب ان تكون هذه الحماية لدولة فرنسا . وينبغي ان تنبذ تماماً كل حماية لأي دولة أخرى عداها ، وخصوصاً الحماية الانكليزية ، وهو يعلل ذلك بما يلاحظ من الاضطراب الذي لاشك في انه سائد الآن بين الزعماء المسلمين والنصارى .

ولكن بين القول والعمل بون شاسع ويخيل الي بأن السوريين في القاهرة ولو في الوقت الحاضر على الأقل غير قادرين على التصرف ما لم تمتد اليهم من الخارج يد المساعدة القوية .

كتاب إتهام فايز الغصين بالاتصال بالقنصل الانكليزي بدمشق

أورد فايز الغصين في «مذكراتي عن الثورة العربية» ص ٤١ كتاب مدير الشرطة لوالي دمشق الذي تضمن تحديد أسباب سجنه وتقديمه للمحاكمة العرفية بعاليه ونصه كما يلي :

رقم ٧٢ مكنوم

ان رشيد الدوخى شيخ مشايخ عشيرة ولد علي قدم ورقة أخبار بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٣٣٣ تتضمن انه بينما كان ضاعناً هو وعشيرته متوجها من القريتين الى جهات جبرود صادف في الطريق السيد فايز بن زعبل الغصين احد المحامين بدمشق ومعه شخص مجهول الهوية وبعد تبادل السلام والسؤال منه عن المحل الذي يقصده وبعد أن أخذ التأمين اللازمة منه أعلمه بأنه موفد من قبل جمعية خفية تشتغل لحساب الانكليز وتسعى لتحريض وتحريك العشائر ضد الدولة العثمانية وانه علم بأن فايز قد ذهب لجهات القريتين وتدمر والسخنة وسوق العربان على العصيان وانه كلفه بالدخول في هذه الجمعية وقد علم ايضا ان فايز قد تدخل في أمور كثيرة مع القنصل الانكليزي بدمشق واستعاد جالاً لعشائر بني عطية وبما أن هذه الاخبار لها أهميتها العظيمة فقد اجريت التحقيقات اللازمة وها أنا ارفعها لدولتكم لتأمرؤا بتوديعها لرئاسة الديوان العرفي بدمشق .

في ١٤ تموز سنة ١٣٣١

مدير شرطة دمشق

توفيق

أول إتصال رسمي بين بريطانيا والشريف حسين ١٩١٥م (١)

(٢١٣٩) في يوم ٢٤ سبتمبر ١٩١٥ م (بعد ثلاثة أيام من استلام تقرير القاهرة) بعث لورد كتشنر برقية الى شيتام في القاهرة وبعد أن أشار فيها الى التقرير المذكور والمعلومات التي وردت فيه عن الشريف مكة أمره بأن يخبر ستورز ليعث رسولا يختاره بعناية ودقة بطريقة سرية من كتشنر الى الشريف عبد الله برسالة فحواها ما يلي: «إذا ما أجبر النفوذ المسلح الألماني في استانبول الخليفة ضد ارادته وارادة الباب العالي للقيام بأعمال عدائية وحرب ضد بريطانيا، فماذا يكون موقفه ووالده وعرب الحجاز؟ مع بريطانيا أم ضدها؟» وقام ستورز بالمهمة حيث بعث برسول كما طلب منه ورجع بعد غياب دام أكثر من شهر بخطاب من الأمير عبد الله.

كتاب

مرسل من الشريف فيصل من درعا الى الأمير سعيد الجزائري لإستلام الحكم بدمشق

حضرة المحترم الأمير سعيد الجزائري حفظه الله

ها قد وصلت مقدمة الجيش العربي مع الجيوش البريطانية الى قرب دمشق والأمل بالله أن ندخل دمشق حربا أم سلمنا. لذلك يجب عليكم أن ترسلوا الكتاب المرسل طيه لقائد الجيوش التركية بدمشق (٢). فان سلموا البلدة فاستلموها انتم وهيئة البلدية باسم الحكومة العربية، وارفعوا الاعلام الهاشمية على جميع المباني الأميرية وبداخل البلدة. واذا لم يسلموها الا حربا فعند انسحابهم من البلدة أملي وطيد أنكم ترفعون الاعلام العربية قبل دخول أي كان الى البلدة. وانكم تعلنون الحكومة المؤقتة باسم جلالة ملك العرب. واستقبلوا جيوش الحلفاء الداخلين وبأيديكم الاعلام العربية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيصل

بالإعازة الشريف ناصر نائب السلطان حسين الأول حول إعلان الأمير سعيد للحكومة العربية بدمشق

ان الأمير سعيد الذي أعلن الحكومة العربية باسم مولانا الشريف حسين ملك العرب بكل جرأة وشهامة هو نائب عن سيدي الشريف فيصل حين حضوره والله الموفق.

١ تشرين الأول ١٣٣٤

نائب السلطان حسين الأول
الشريف ناصر

(١) من المحفوظات البريطانية

(٢) قال لي الأمير خلال لقائه في الكويت قبيل وفاته رحمه الله أن هذين الكتابين لم يصلاه، وإنما وجدت صدفة نسختيهما في محفظة الدكتور أحمد قدرى طبيب الأمير فيصل وذلك بعد احتلال سوريا من قبل العرب والحلفاء (المؤلف).

اللائحة الداخلية للجمعية (العربية الفتاة)

ان الأمة العربية في مؤخرة الأمم اجتماعا واقتصادا وسياسة ، فوجب على قادة نابتها المدركين ان يبدلوا حياتهم فيما ينهض بها من هذا التأخر ويتدبروا فيما يؤول إلى ترقيتها لتدرك معنى الحياة وتحفظ بحقوقها الطبيعية ..
على هذا المبدأ الأساسي تعاهد في أوربا في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٠٩ م فريق من النابتة العربية على القيام بما تفرضه عليهم الوطنية لتعزز بهم مركزها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حسب ما تتطلبه طبيعة الوجود .
أما الخطة فهي كما يأتي:

المواد الأساسية

- ١ — تدعى هذه الجمعية جمعية العربية الفتاة وغايتها النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية .
- ٢ — الجمعية مؤلفة بمعونة كل فرد من أفرادها على سبيل التضامن الاجتماعي كما أن كل فرد مضطر لنصرة أخيه على سبيل التضامن الافرادي .
- ٣ — كل عضو أن ياتمر بقرارات اللجنة العليا ولو كانت عليه وخلافا لارادته .

تشكيلات الجمعية

- ٤ — أعضاء الجمعية على ثلاث درجات: (١) السواد الأعظم (٢) مجلس الشورى (٣) اللجنة العليا .
- ٥ — السواد الأعظم يتألف من مجموع أعضاء الجمعية بلا استثناء ومنه ينتخب لمجلس الشورى .
- ٦ — مجلس الشورى تنتخبه اللجنة العليا . وتعين عدده راجع إليها .
- ٧ — اللجنة العليا تتألف من سبعة أعضاء هم مصدر أعمال الجمعية وإليهم يرجع القول الفصل ، وهم الذين ينتخبون في آخر كل سنة ستة أعضاء جدد من أعضائها وأعضاء مجلس الشورى ، والانتخاب يبدأ في أول تشرين الأول وينتهي في آخره .
- ٨ — لا يحضر أعضاء السواد الأعظم ولا أعضاء مجلس الشورى جلسات اللجنة العليا الا بطلب منها في المركز .
- ٩ — اذا اضطر أحد أعضاء اللجنة العليا إلى الانقطاع بتاتا عن اجتماعاتها فلها الخيار في أن تعين مكانه من أعضاء مجلس الشورى الموجودين .
- ١٠ — اذا حدث ما يفرق أعضاء من مجلس الشورى في المركز فعلى الباقين ان يتموا على الأقل أكثرية اللجنة من مجلس الشورى في المركز ، والا يباشرون الأعمال بأنفسهم .
- ١١ — تعين اللجنة العليا لجنة احتياطية بحيث اذا تفرقت قامت محلها .

موظفو اللجنة العليا

- ١٢ — للجنة العليا كاتم أسرار وكاتب وأمين صندوق تنتخبهم من بين أعضائها .
- ١٣ — وظيفة كاتم الأسرار القيام بجميع أعمال الجمعية الكتابية واستعمال ختمها بمشارفة الكاتب ومتابعة تنفيذ قرارات اللجنة .
- ١٤ — أمين الصندوق مكلف بإدارة مالية الجمعية . ولا يجوز له أن يصرف شيئا الا بقرار من اللجنة كما أنه لا يجوز له أن يقبض شيئا إلا لقاء وصل عليه أن يقدم للجنة تقريرا عن المالية في غاية ثلاثة شهور .

مجلس الشورى والسود الأعظم

- ١٥ — اللجنة العليا الخيار في استشارة مجلس الشورى ببعض الأمور الخطيرة .
١٦ — تبعث اللجنة بتعاليمها إلى السود الأعظم ليسيروا عليها ولقاء ذلك يحق لهم أن يرفعوا تقارير بارائهم ومطالبهم إلى اللجنة العليا لتقرر ما تستحسنه منها .

قبول الأعضاء

- ١٧ — إذا رشح أحد الأعضاء شخصا ليكون عضوا تقرر اللجنة العليا قبوله بثلاثي آراء أعضائها .

الفروع

- ١٨ — متى اجتمع ثلاثة أعضاء في بلد واحد فللجنة العليا الخيار في أن تأذن بتأليف فرع في ذلك البلد .
١٩ — على لجان الفروع أن تنفذ ما تبليغه من قرارات اللجنة العليا ، وأن تجمع الرسوم وترسل ثلاثي ما يدخل على صندوقها اللجنة العليا ، وأن تقوم بالأمور الفرعية المحلية رأسا وبالأمور العامة بعد موافقة اللجنة العليا .
٢٠ — الأعضاء المقيمون في بلاد تابعة لفرع ما يخابرون لجنة ذلك الفرع ، ويحق لهم مخاطبة اللجنة العليا في الأمور الخطيرة . وأما الأعضاء المقيمون في بلاد لا فرع لها فهم يخابرون اللجنة العليا رأسا ، وأما تعيين الدوائر التابعة فراجع للجنة .

المالية

- ٢١ — تتألف المالية من الرسوم السنوية وقدرها عشرون فرنكا على كل عضو ومن الضرائب التي تضعها اللجنة العليا على الداخلين .
٢٢ — تفرض اللجنة العليا على كل عضو اكتتابا سنويا تقدر قيمته حسب استطاعته المالية بعد التدقيق وذلك عقب تأليف اللجنة العليا الجديدة .

متفرقات

- ٢٣ — من أتى عملا يخالف قانون الجمعية أو مبادئها فأمره راجع إلى اللجنة العليا .
٢٤ — يعمل بهذا النظام ، ولا يجوز قبول اقتراح الزيادة عليه أو الحذف منه أو التعديل فيه الا باتفاق ثلاثي مجموع أعضاء اللجنة العليا .
وهذا نص الوثيقة التالية :

الباب الأول

الفصل الأول

غاية الجمعية

- ١ — غاية الجمعية استقلال البلاد العربية استقلالا تاما بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية .
٢ — تبقى الجمعية سرية الآن نظرا للحالة السياسية العمومية .

الفصل الثاني

- ٣ — يشترط في العضو:
- أ — أن يكون عربيا مخلصا لأمنته معروفا بالاخلاق الفاضلة والثبات والجرأة الأدبية والكتمان وتحصيل المقصود بعلم أو دراسة) أو اختبار يؤهله للقيام بما تتطلبه غاية الجمعية.
- ب — أن يكون متميزا بالسمو والأدب والوجاهة.
- ج — أن يكون سنه في الخامسة والعشرين.
- د — أن يقسم يمين الاخلاص.
- هـ — اذا كان المرشح منسوباً إلى جمعية ما يشترط عليه اباحة أسرارها لعائد نفعها أو مضرتها على مقاصد جمعيتها وأن يأخذ على عاتقه مسئولية تسييرها تبعاً لغاية الجمعية.
- ٤ — تقسم أعضاء الجمعية إلى ثلاثة تبعاً للقدم.

الفصل الثالث

في وظائف الجمعية وتشكيلاتها

- ٥ — من وظائف الجمعية الأساسية إيجاد تشكيلات وفروع لها في جميع الأنحاء على الوصول إلى غايتها، وتبنى تلك التشكيلات على الأسس التالية:
- ٦ — للجمعية هيئة مركزية عامة، وفقاً لقانونها ولها مراكز وفروع بالهيئة المذكورة إلا ما كان تابعاً منها لهيئات إدارة المركز.
- ٧ — الهيئة المركزية تتألف من سبعة أعضاء ينتخب من بينهم كاتب عام وأمين صندوق.
- ٨ — في انتهاء كل ستة أشهر يبقى ثلاثة ويسقط اثنان من أعضاء الهيئة المركزية بالانتخاب السري وينتخب بدلاً من الاثنين اللذين أسقطا اثنان من الثلث الأول (١)
- ٩ — الكاتب العام وأمين الصندوق المنتخبين من بين أعضاء الهيئة المركزية لا يجوز اقامتهما إلا بعد مضي عام على انتخابهما.
- ١٠ — من وظائف الجمعية العمومية السعى لايصال الأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية باتخاذ الوسائل اللازمة للتهذيب والتنوير والتحضير وال عمران ولذلك تقوم الجمعية بأعمال علنية يديرها لجان يكون في مقدمة أعضائها نفر من أعضاء الجمعية تعينهم الهيئة المركزية أو هيئات المركز والفروع التابعة للجان.
- ١١ — تبذل الجمعية جهدها في تسيير الحكومة وفقاً لخطةها السياسية وتسعى أيضاً أن تأتى برجال الحكومة من ذوي أخلاق فاضلة واخلاص لمبدأ الاستقلال العربي التام بقطع النظر عن ارتباطهم بجمعية وعهد. لذلك فهي تنقّب بدقة عن هؤلاء الرجال داخل البلاد العربية وخارجها.
- ١٢ — من أهم واجبات الجمعية تسيير أمراء البلاد العربية كافة وتهذيب أبنائهم وفقاً للمبادئ الديمقراطية.
- ١٣ — واجب الجمعية الأول تقوية الشعور العربي بين طبقات الأمة العربية كافة ومبدأها في ذلك عربي قبل كل شيء وفي كل شيء.

(١) محمد عزة دروزة — نشأة الحركة العربية الحديثة — المكتبة العصرية — صيدا الطبعة الثانية — القسم الأول من الجزء الأول ص
أي من القسم الأول الأقدم في الانتساب ويبدو من التعبير أن واضع القانون قسم الأعضاء إلى ثلاث الأول هو الأقدم والثاني الذي يليه
والثالث الذي يلي هذا..

الفصل الرابع

في أعمال الهيئة المركزية العامة

- ١٤ - على الهيئة المركزية العامة ادارة المراكز والفروع واللجان التابعة لها رأساً حسبما تقتضيه الحالة لتحقيق غاية الجمعية .
- ١٥ - تدير الهيئة المركزية المخبرات مع القائمين بالحركات الوطنية العامة .
- ١٦ - تنشئ الجمعية ادارة استخبارات للوقوف على كل عمل او تقرير يقصد به تهديد الاستقلال العربي في اي محل كان .
- ١٧ - يكون للجمعية حزب سياسي علني واسع تدير بواسطته حركة الانتخابات العمومية وتطبيق سياستها .
- ١٨ - للهيئة المركزية الصلاحية في ان تفاوض عند ميسر الحاجة باسم الجمعية ممثلي الدول او حكومة البلاد بما يخدم غايتها .
- ١٩ - الهيئة المركزية تسجل أعمال أعضاء الجمعية وتكافئ من أحسن منهم وتحيل من أساء الى محكمة الجمعية .
- ٢٠ - على الهيئة المركزية تأمين مستقبل عائلات الذين يذهبون ضحية في سبيل مبدأ الجمعية .
- ٢١ - تعتني الهيئة المركزية بتدقيق مصادرات وواردات الجمعية واستثمارا أموالها .
- ٢٢ - تؤسس الهيئة المركزية العامة المراكز والفروع التابعة لها رأساً ولجان الجمعية ، وتأذن بادخال الأشخاص المرشحين وتصادق على انتخاب هيئات المراكز والفروع الادارية والمعتمدين .
- ٢٣ - ترسل الهيئة المركزية العامة أحد أعضائها أو من تستنسه من أعضاء الثلث الاول للتفتيش والتنقيب عن أحوال المراكز والفروع على أن يقدم تقريراً مفصلاً عن نتيجة بحثه ومشاهداته .
- ٢٤ - للهيئة المركزية الحق في ترقية الاعضاء الذين يقومون بخدمات جليلة سعت وراء غاية الجمعية من عداد صنف الى صنف آخر .
- ٢٥ - على الهيئة المركزية العامة استشارة أعضاء الجمعية من الثلث الاول فيما يتعلق بالشئون العمومية قبل البت في أمرها .
- ٢٦ - اجتماعات الهيئة المركزية وقراراتها تسجل في سجل . وتنع في جلساتها أصولاً ومراسم مخصوصة تسنها الهيئة لنفسها .
- ٢٧ - الهيئة المركزية العامة مسئولة عن هذه الوظائف تجاه هيئة المؤسسين (الثلث الأول) وللهيئة المذكورة الحق بحالة الهيئة المركزية للمحاكمة بأكثرية الثلثين فيما اذا اخلت بواجبها .
- ٢٨ - على الكاتب العام ضبط وقائع جلسات الهيئة المركزية وتبليغ قراراتها لمراكز الجمعية وفروعها وتأمين مخبراتها الصادرة والواردة مع حفظ اوراقها ودفاترها ما عدا دفتر التسجيل .
- ٢٩ - على أمين الصندوق حفظ أموال الجمعية ومسك دفاتر حسب الأصول الفنية وهو مسئول عن كل خلل او نقص يطرأ على حالة الجمعية وعليه ايضا تقديم حسابات وموجود الصندوق عند كل طلب .
- ٣٠ - لا يصرف شيء من مالية الجمعية الا بقرار من الهيئة المركزية العامة .

الفصل الخامس

في مراكز وفروع الجمعية

- ٣١ - تنقسم تشكيلات الجمعية الادارية الى ثلاث درجات :
- أ - المركز العام وهو الهيئة المركزية العامة . وهو مرجع كافة الفروع التابعة لها المراكز .
- ب - المركز وهو كل هيئة ادارية يتبعها فرع أو أكثر .
- ج - الفروع وهي تقسم الى قسمين ، منها ما يكون تابعاً رأساً للمركز العام ومنها ما يتبع المركز المرتبط به .
- ٣٢ - تؤسس المراكز في الاقطار العربية في مواقع ثابتة بقرار المركز العام ، على أن يربو عدد الأعضاء فيها على العشرة خمسة منهم في النصف الأول .
- ٣٣ - تؤسس الفروع في كل بلدة زاد عدد الأعضاء فيها على ستة وكان ثلاثة منهم في النصف الأول .
- ٣٤ - لهيئات ادارات المراكز والفروع الحق بتعيين المعتمدين للجمعية في البلدان التي ينقص بها عدد الاعضاء عن العدد القانوني بعد تصديق الهيئة المركزية العامة واعطاء الأذن بذلك .
- ٣٥ - اجتماعات هيئات ادارة المراكز والفروع وصورة قراراتها تسجل في سجل القرارات وتتبع بجلساتها أصولاً ومراسم مخصوصة تسنها لنفسها .

الفصل السادس

في الانتخابات

- ٣٦ - ينتخب الثلث الأول من بين افراد الهيئة المركزية بالانتخاب السري .
- ٣٧ - يشترك بانتخابات الهيئة المركزية لمركزها من وجد في حاضرها او من أمن حضوره اليها من أعضاء الثلث الأول .
- ٣٨ - لجميع أعضاء الجمعية الحق من اي قسم كانوا الاشتراك في انتخابات هيئات المراكز والفروع ، ويرجح أعضاء الثلث الأول على الثاني والثاني على الثالث في أن ينتخبوا للهيئات الادارية المذكورة .
- ٣٩ - تتألف هيئة ادارة المركز من سبعة أعضاء بمن فيهم الكاتب وأمين الصندوق .
- ٤٠ - تتألف الهيئة الادارية للفرع من خمسة اعضاء مع الكاتب وأمين الصندوق .
- ٤١ - تنتخب الهيئات الادارية للمراكز والفروع لمدة سنة واحدة ، ويحدد انتخاب عضوين فيها بعد مضي ستة اشهر على انتخابها حسب المادة (٧) .
- ٤٢ - يشترط في العضو المنتخب لهيئات ادارة المراكز والفروع ان يكون ذا تحصيل واختبار يؤهله للقيام بأعمالها وان يكون موجوداً في حاضرتها أو أمكن حضوره اليها وقت الانتخاب .

الفصل السابع

في لجان الجمعية

- ٤٣ - تؤلف الجمعية لجاناً للقيام بأعمال مخصوصة كالتهديب والعمران والاقتصاد والتحضير والتبشير وغير ذلك حسب الحاجة .

- ٤٤ — تتألف كل لجنة من رئيس وعضوين تنتخبهم الهيئة المركزية من عموم الأعضاء تبعاً لاختصاصاتهم . أما اللجان المركزية والفروع فتنتخبهم هيئات ادارتها .
- ٤٥ — تشرك اللجان الوطنيين الذين عرفوا بالاخلاص لغاية الجمعية والصدق والمناداة للقيام بما يعهد اليهم من الأعمال والمشاريع وتعرض اللجان المذكورة على الهيئات المركزية العامة قبل التصديق عليها من الحكومة .
- ٤٦ — يشترك رؤساء اللجان بمذكرات الهيئة او هيئات ادارات المركز والفروع عند الحاجة .
- ٤٧ — يبذل اعضاء ورؤساء اللجان اذا دعت الحاجة بقرار من الهيئة المركزية او هيئات ادارة المركز والفروع .
- ٤٨ — على كل لجنة تقديم تقرير شهري للهيئة التابعة لها وعلى هذه الهيئة تقديم نسخة من المقدم من قبل لجنة ما الى الهيئة المركزية — المركز العام .
- ٤٩ — على رؤساء وأعضاء اللجان تحضير أفكار شركائهم بالعمل لاشتراكهم بالشئون العمومية كالانتخابات والاحتجاجات وغيرها وفقاً لقرارات الهيئة المركزية وغاية الجمعية .
- ٥٠ — تعضد اللجان بعضها بعضاً في سبيل بلوغ وتأييد غاياتها .

الفصل الثامن

- ٥١ — وظائف أعضاء الجمعية مجاناً ، الا وظيفتي الكتابة والتفتيش وغيرهما من الوظائف التي تحتاج الى رواتب مصارفات تقدرها الهيئة المركزية او هيئات ادارة المراكز والفروع .
- ٥٢ — للمفتشين والمرسلين من قبل الهيئة المركزية حق حضور جلسات ادارة المراكز والفروع ، وللمفتشين والمرسلين من قبل المراكز حق حضور جلسات هيئات ادارة الفروع .
- ٥٣ — للجمعية سجل عام يحتوي على اسماء أعضائها وتراجم احوالهم وما قاموا به من اعمال جليلة وعلى صفاتهم البارزة وذلك بالاستناد على اعمالهم وأفعالهم الثابتة .
- ٥٤ — ينتخب أثنان من اعضاء الهيئة المركزية للقيام بأمور التسجيل وتسجيل مطالعاتهم المبنية على وثائق ثابتة راهنة بعد عرضها على الهيئة المركزية العامة وتصديقها وعلى المراكز والفروع السير بموجب هذه المادة .
- ٥٥ — تعين الهيئة المركزية العامة وهيئات ادارة المراكز والفروع لكل عضو اسماً مستعاراً أو عدداً معيناً يستعمل عند المخابرات مع الهيئة المركزية وهيئات ادارة المراكز والفروع ويسجل في السجل العام .
- ٥٦ — تضع الهيئة المركزية كلمة تعارف ، وتبلغها لمن تشاء من الأعضاء وتبديها عند الحاجة .
- ٥٧ — تعين الهيئة المركزية وهيئات ادارة المراكز والفروع دليلاً ومعاوناً له لتبليغ القرارات ونقل الاقتراحات بينها وبين كافة الأعضاء .
- ٥٨ — من قرارات الهيئة المركزية وهيئات ادارة المراكز والفروع ما هو عام وما هو خاص . أما العام منها فيبلغ الى كافة الأعضاء ويبلغ الخاص الى بعضهم عند الحاجة بواسطة الكاتب او الدليل .
- ٥٩ — يحق للكاتب العام او يطلب اثنين من الاعضاء جمع الهيئة المركزية اذا دعت الحاجة ، وكتاب المراكز والفروع وأعضائها نفس الحق ايضاً . (١)
- ٦٠ — الاعضاء الذين يدخلون جمعية ما يتحملون مسئولية تسييرها وفقاً لغاية الجمعية ومبادئها .
- ٦١ — يجوز انتقاد اعمال الحكومة أو الاضراب السياسي على ملأ من الناس بقرار من الهيئة المركزية او هيئات ادارة المراكز والفروع .
- ٦٢ — على كل فرد من أعضاء الجمعية بحث مبادئها والتبشير بها في كل زمان ومكان وان يقاوم ويخبر بكل ما يسمع ويرى مما هو مفيد او مضر بغاية الجمعية ومبادئها .

(١) المتبادر ان تلك الاجتماعات الطارئة وهي غير المفقنة والمعنية .

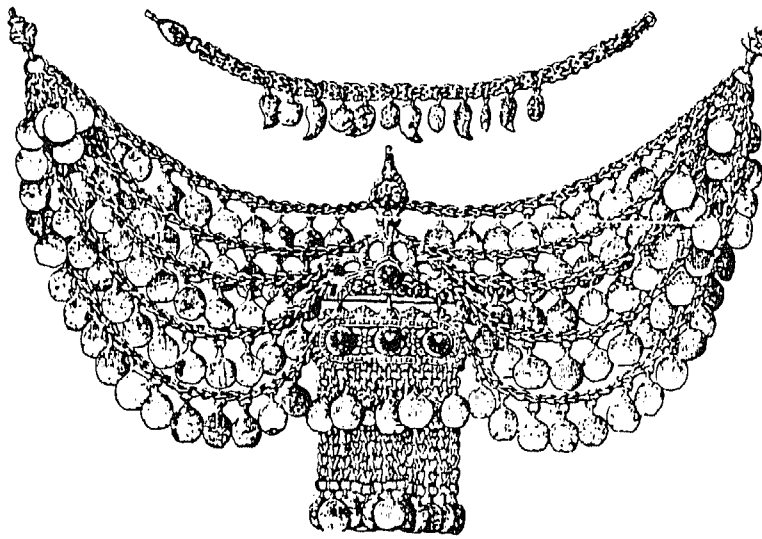
الباب الثاني في مالية الجمعية

- ٦٣ — موارد الجمعية تستورد من المنابع الآتية :
أ — التبرعات: يتبرع كافة أعضاء الجمعية بمبالغ غير معينة الى صندوق الجمعية في أوقات مختلفة حسب استطاعتهم .
ب — تقوم الجمعية بأعمال نافعة من تأسيس شركات وطنية على ان تجمع رؤوس الأموال من الوطنيين وتترك الارباح القانونية للمشاركين وتستفيد من الارباح المخصصة للمؤسسين الذين يكونون أعضاء في الجمعية بنسبة خمسين بالمائة .
ج — يجوز لافراد الجمعية أن يقوموا بأعمال منفردة لاستغلال الأموال مثل يانصيب وجلب سينما ، وما يشبه ذلك على أن يعود ريعها الى صندوق الجمعية .
٦٤ — ينبغي للقائمين باستغلال الأموال بصورة منفردة او بتشكيل شركات وطنية أن لا يأتوا بعمل يدل على انتسابهم للجمعية ، وأن لا يضيفوا على الشركات الوطنية الأخرى وان يتجنبوا الإسترباح بصورة غير مشروعة خصوصا الاحتكار .
٦٥ — للجمعية ميزانية تحتوي على المصارف المقننة وغير المقننة .
أ — المصارف المقننة تحتوي على النفقات والرواتب المعينة لدوام التأسيسات وتشكيلات الجمعية من مراكز ولجان ومعتمدين ومفتشين ومرسلين وغيرهم وما يتقرر صرفه من مبالغ تصرف على الاعمال التي تذكر في ميزانية كل سنة .
ب — المصارف غير المقننة تحتوي على الاكراميات والهدايا وما يجب صرفه في الاحوال غير الاعتيادية على أن هذه المصارفات يجب ان لا تكون أكثر من ربع ما يبقى من مالية الجمعية بعد تنزيل المصارف المقننة .
٦٦ — تضع الهيئة المركزية ميزانيتها وتعرضها على الثلث الأول من الأعضاء لأجل التصديق .
٦٧ — ولا يجوز للهيئة المركزية أن تصرف شيئاً خارج الميزانية ما لم تستحصل على مساعدة الثلث الأول من الاعضاء .
٦٨ — على الهيئة المركزية تصديق ميزانيات المراكز والفروع والمعتمدين واللجان للعمل بها وطلب ما يزيد في صناديقها من الأموال .
٦٩ — يجوز استثمار المبالغ الاحتياطية اذا رأت الهيئة المركزية حاجة الى ذلك .
٧٠ — معاملات مالية الجمعية تجرى حسب الأصول التجارية ولا يجوز استعمال اسم الجمعية بجميع هذه المعاملات ، أما المودعات والأمانات فتربط بكفالات نقدية متسلسلة حسب الأصول .

الباب الثالث في العقوبات

- ٧١ — للجمعية محكمة تنتخب الهيئة المركزية اعضاءها لمدة سنة واحدة وذلك لمحاكمة الأعضاء الذين يخالفون قانون الجمعية وقراراتها .
٧٢ — تتألف المحكمة من خمسة أعضاء من الثلث الأول وهم ينتخبون من بينهم رئيساً او مدعياً عاماً ، على أن تكون للهيئة المركزية الحق بتبديل بعض أعضائها أو كلهم عند الحاجة وان لم تنته مدتهم القانونية أما لأجل

- معين او غير معين .
- ٧٣ — تقسم المجازاة الى قسمين مجازاة تأديبية ومجازاة ارهايية :
 (١) المجازاة التأديبية عبارة عن العقوبات الآتية :
 أ — الاسقاط من حقوق الانتخاب الى أجل معلوم .
 ب — الاهمال في تبليغ القرارات الى أجل معلوم .
 ج — الاهمال في المشورة الى أجل معلوم .
 د — شرح في السجل العام .
 هـ — الاخطار الرسمي .
 و — الجزاء .
 ز — الحرمان من امتيازات الانتساب للجمعية الى أجل معلوم .
- (٢) المجازاة الارهايية عبارة عن العقوبات الآتية :
 أ — المقاطعة من جميع الاخوان الى أجل معلوم .
 ب — الانذار الرهيب .
 ج — العقاب الرهيب .
- ٧٤ — الاعمال التي تستوجب المجازاة التأديبية هي :
 أ — التوسل لقلب الجمعية .
 ب — السعي ضد غاية الجمعية .
 ج — إفشاء أسرار الجمعية وتشكيلاتها بقصد ايصال الضرر الى الجمعية .
- ٧٦ — قرارات المحكمة حائزة قوة الاجراء ما لم تعترض عليها الهيئة المركزية .
- ٧٧ — لا تنفذ القرارات القاضية بالعقاب الرهيب الا بعد موافقة ثلثي أعضاء الهيئة المركزية العامة .
- ٧٨ — يجب تسجيل كل قرار يصدر من المحكمة بدفاتر السجل العام .
- ٧٩ — تنفيذ قرارات المحكمة عائد للهيئة المركزية .
- ٨٠ — على الهيئة المركزية العامة وهيئات ادارة المراكز والفروع واللجان والمعتمدين وكافة اعضاء الجمعية السير بموجب هذا القانون .



مؤسسو وأعضاء الجمعية العربية الفتاة

ونعود إلى سياق سير جمعية الفتاة فنقول أن المؤسسين أخذوا يضمون إلى الجمعية من كانوا يأنسون بقابليته وغيرته القومية وحسن أخلاقه فضموا من شباب العرب في فرنسا في المرحلة الأولى كلا من جميل مردم وصبحي الحسبي والأمير مصطفى الشهابي وتوفيق فايد وإبراهيم حيدر وتوفيق السويدي، ثم من شباب العرب في الاستانة وبلاد الشام بنوع خاص سيف الدين الخطيب ومحب الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم ويوسف غنير حيدر ورشيد الحسامي وتوفيق البسيط والأمير عارف الشهابي وعمر حمد ومحمد الشريقي وفخري البارودي وفوزي البكري ومصطفى برمدا وياسين الهاشمي ورضا الركابي وشكري القوتلي والأمير فيصل وفوزي القاوقجي وعزت دروزة والدكتور حافظ كنعان ونسب الأطرش ونواف الشعلان على ما جاء في مذكرات الدكتور أحمد قدرى (١):

(ومن الذين انضموا إلى الجمعية أثناء الحرب غير الذين ورد ذكرهم في هذه المذكرات على ما عرفته يقينا حينما كنت سكرتيراً للهيئة المركزية في دمشق في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ وأن كنت لم أعرف ظروف انضمامهم سامي البكري ومعين الماضي وزكي التميمي ومحمد علي التميمي ونجيب بليق وبشير النقاش وبشير القصار ومحب الدين الخطيب وبهجت الشهابي وفائز الشهابي واسماعيل الشهابي وأحمد مريود وأحمد الحسيني خالد الحكيم وسعيد الباني ومحمد الشريقي ورشدي الامام ورشدي الشوا وسليم عبدالرحمن والدكتور صدقي ملحس وسعيد حيدر ويوسف حيدر وأمين عيسى وعبدالوهاب وشكري الشرجي وأسد الحكيم ومحمد اسماعيل الطباخ وعمر الأتاسي وأحمد المناصفي هاشم ومحمد العفيفي ومولود مخلص وعلي جودت الايوبي وتحسين قدرى الترجمان وجميل المدفعي.

وقد اطلعنا على صورة شمسية لقلعة تحتوي أسماء الذين انتسبوا إلى المحكمة قبل نهاية الحرب أصلها في أوراق المرحوم محب الدين الخطيب وفيها أسماء أخرى وهم رفيق بيضون ورشدي سلهب وفؤاد حنتس وعبدالحميد يونس وشريف الشريف ونجيب حيدر وجميل دياب ومصطفى توفيق حيدر ورشيد طرايش ومحمود العجم وصالح حيدر وأمين المقدم ومحمود الطرابلسي وشريف الفاروقي ونوري الشعلان وعبد المجيد العراقي وعابدين الحشيمي وكامل نصري ونسب طوقان وشكري ونجيب البرازي وفوزي الطرابلسي (٢)

(١) كان الدكتور زميلا لي في المدرسة الاعدادية في نابلس في سنة ١٩٠٤ حيث كان والده ذا منصب عسكري فيها وقام ببني وبينه شيء من الصداقة والانسجام ثم ذهب إلى الاستانة لتمام دراسته ثم إلى باريس ثم عاد وركز في دمشق أثناء الحرب العالمية الأولى وقد خرجت أنا من نابلس لاهارس وظيفة في دائرة برت بيروت نقلت إليها من وظيفة بريد نابلس ١٩١٤ وكنت شديد الانفعال بالتيار العربي القومي وقد مر ذكر بعض نشاطي في هذا السبيل وأنا في نابلس، وقد التقيت أكثر من مرة بالدكتور أحمد قدرى في دمشق وبعد الغني العربي وعارف الشهابي ورفيق التميمي في بيروت وعمر حمد وعمر الفاخوري وأحمد المناصفي في بيروت والأمير اسماعيل الشهابي في البناك وكانت أحاديثنا تدور حول القضية القومية ومستقبلها أثناء الحرب ويظهر أن ذلك قد رشحني لعضوية الجمعية ولقد عينت مفتشا على دوائر برق وبريد سناء. في أواسط سنة ١٩١٦ فالتقيت بالدكتور أحمد قدرى في الحفر وفأخني في أمر انضمامي إلى الجمعية وأخبرني أنني مرشح لها وأنه مفوض بمفاتيح فقبلت وحلفت اليمين وما أذكره أن الثورة العربية الهاشمية كانت قد أعلنت وأن الأمير فيصل كان قد انه مع جماعة من الضباط والجنود والبدو نحو الشمال وأخذ بعض رفاقنا في الجمعية يلتحق به فتحدثنا في ذلك وفكرنا نحن أيضا بالالتحاق ولكن الظروف والوسائل لم تسعف آن ذاك.

(٢) لقد التقيت في عهد فيصل وفي أثناء الحرب وقبله بكثير من هؤلاء الاخوان وانفد ببني وبين بعضهم صداقات حميمة دامت طويلا، ونشطنا معا في سبيل أهدافنا القومية أثناء عهد فيصل وبعده ولعل أعود فافصل ذلك أو ما تسعف الذاكرة من ذلك القسم الثاني لأن ذلك كان أثناء حقبة هذا القسم.

اللائحة الداخلية لجمعية البصرة الإصلاحية .

- مادة ١ — أن يكون وطننا العزيز ملكا عثمانيا خالصا تحت راية الهلال
- مادة ٢ — عدم اعطاء امتيازات للأجانب في البلاد وصيانتها من الدسائس الأجنبية ومنع النفوذ الأجنبي فيها .
- مادة ٤ — الأعمال المتعلقة بشئون الدولة الأساسية عائدة للمركز وأما الأعمال المحلية فلمجلس الولاية العمومي .
- مادة ٥ — وظيفة الوالي تنفيذ قرارات الاستانة والمجلس العمومي وتعيين الموظفين بحسب قرارات المجلس العمومي .
- مادة ٧ — للمجلس العمومي صلاحية واسعة في وضع الأنظمة الداخلية وتأليف الشركات واعطاء الامتيازات وتقدير رواتب الموظفين واستجواب الوالي وطلب عزله عند الإيجاب وتنظيم ميزانية الولاية وتأسيس المدارس والقيام بالأعمال العمرانية .
- مادة ٨ — له أن يزيد الدرك والشرطة وتأسيس المخافر وتغيير شكل وصورة جلبه الاعشار وسائر التكاليف .
- مادة ٩ — المجلس العمومي مستقل بجميع أعماله له السلطة على الوالي والمأمورين ولا ينتخب لعضويته الموظف والحاكم في الولاية والملتزمون والمقاولون والمتعهدون الخ
- مادة ١٠ — ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع لجنة من أعضائه لمدة سنة واحدة من أربعة وجوه ويرأسها احدهم .
- مادة ١١ — وظيفتها مراقبة تنفيذ القرارات وبيان المشاريع للولاية وتنظيم اللوائح وتعيين المهندسين ودعوة المجلس العمومي بصورة استثنائية واتخاذ قرارات في المسائل المستعجلة اثناء عدم اجتماع المجلس .
- مادة ١٤ — المركز يعين الوالي على أن يكون عراقيا (١) ورؤساء الدوائر (كما في لوائح بقية الولايات) . وأما بقية الموظفين فيعينهم الوالي . على أن يكونوا من أهل البلاد الواقفين على اللغة العربية . بالامتحان وبقرار المجلس العمومي أو لجنته .
- مادة ١٧ — وإدارة الولاية على نوعين ما يعود للمركز (جارك وبريد والبدل العسكري) وما عدا ذلك يعود للولاية ويصرف فيها .
- مادة ١٩ — اللغة الرسمية في جميع الدوائر والمحاكم هي العربية وتنظم بها علامات كافة المعاملات .
- مادة ٢٤ — يستخدم الضباط العرب في بلادهم حذرا من وقوع سوء التفاهم بين الأمة وجيشها .
- مادة ٢٥ — تدرس جميع العلوم والفنون في مدارسنا بالعربية ويعنى بالتركية وبالعلوم الدينية اعتناء تاما .
ومما يلاحظ على هذه اللائحة انطباقها على لوائح الولايات العربية الاخرى إلا في عدم استعانتها بالمستشارين الأجانب والحاكما على مناهضة النفوذ الأجنبي ، وتشديدها على الرابطة العثمانية والعناية بالتعليم الفني .

(١) هذا المطلب انفردت به العراق بين الولايات العربية لأن سواها لم يشترط أن يكون الوالي من المنطقة .

برنامج حزب اللامركزية الإدارية العثمانية (القاهرة)

(المادة الأولى) الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية . وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءا من السلطنة لا ينفك عنها بحال من الأحوال وإنما تبني إدارة الولايات على أساس اللامركزية الادارية والسلطان الأعظم هو الذي يعين الوالي وقاضي القضاة .

(المادة الثانية) قاضي القضاة يعين القضاة الشرعيين والوالي يعين سائر الموظفين بعد اختيار مجلس الادارة لهم (وفقا للمادة السابعة) ولا يجوز عزل موظف إلا بحكم من مجلس تأديب . ومن عزل لا يجوز استخدامه ولا يعطى معاش معزولة .

(المادة الثالثة) يوضع نظام خاص لترقية عمال الحكومة وتأديبهم وتقاعدهم وما يتعلق بذلك .

(المادة الرابعة) يكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس إداري ومجلس معارف ومجلس أوقاف .

(المادة الخامسة) جميع قرارات المجلس العمومي تكون نافذة .

(المادة السادسة) من حقوق المجلس العمومي للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شؤون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الأمن العام والمعارف النافعة والأوقاف والبلدية وتقرير ما يراه من سن النظامات لها . وأما ما كان من أمور النافعة يتعلق من بعض الوجوه بالأمور العسكرية أو السياسية الخارجية كسكك الحديد فيرفعه بعد ابداء رأيه فيه الى العاصمة .

(المادة السابعة) من حقوق مجلس ادارة الولاية وضع ميزانيتها وانتخاب جميع موظفيها .

(المادة الثامنة) من حقوق مجلس معارف الولاية وضع برنامج التعليم والنظر في جميع شؤونها ووضع ميزانية خاصة لها يراعى فيها حصة المعارف التي تضاف على الاعشار والويركو وما يقرره المجلس العمومي من الضرائب لها ، وما لها من الأملاك والأوقاف .

(المادة التاسعة) من حقوق مجلس أوقاف الولاية وضع ميزانية خاصة لها والنظر في جميع شؤونها فما كان منها له شروط تجب مراعاتها يكون العمل فيها بحسب شروطه وما كان منها غير ذلك يصرف فاضل ريعه على اقامة الشعائر ثم على التعليم الاسلامي .

(المادة العاشرة) جميع أعضاء هذه المجالس تكون بالانتخاب إلا مجلس الادارة فإن نصف أعضائه ينتخبهم الشعب والنصف الآخر من رؤساء المصالح .

(المادة الحادية عشرة) تعدل طريقة الانتخاب لهذه المجالس وللمجلس المبعوثين والمجالس البلدية بحيث تكون حرة ومثلة لجميع عناصر الشعب .

(المادة الثانية عشرة) ما جرى عليه العرف في بعض البلاد والأقاليم التي لا تنفذ فيها قوانين الحكومة وأحكامها يبقى على ما كان عليه الآن . ويراعى في تغيير الادارة في كل بلاد رضا أهلها به .

(المادة الثالثة عشرة) ينظر الحزب في قانون تعديل الأراضي على الوجه الذي ينمي الثروة العامة وفي تحضير القبائل البدوية لأجل تنمية الثروة وترقية الأمة .

(المادة الرابعة عشرة) يكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحلية .

(المادة الخامسة عشرة) يجب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها .

(المادة السادسة عشرة) أهل كل ولاية يؤدون الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكرها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم وأما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذ يجب على المجلس العمومي ان يتخذ الوسائل للدفاع عن الولاية (١) .

اتفاقية باريس بين الإتحاديين وفرنسا ١٩١٣م

- المادة ١ يكون التعليم الابتدائي والاعدادي (أي الثانوي) باللغة العربية في جميع البلاد العربية ، كما يكون التعليم العالي أيضا بلغة الأكثرية . وإنما يكون تعليم اللغة التركية إجباريا في المدارس الاعدادية . (١)
- المادة ٢ يشترط في رؤساء المأمورين بوجه عام أن يكونوا واقفين على اللغة العربية ، وأما سائر المأمورين فسيعينون من قبل الولاية ، إلا أن الحكام ومأموري العدلية الذين يتولون أعمالهم بارادة سنّية (أي بارادة ملكية) سيعينون من المركز ، وأما الولاية فيستثنون من القيد السالف الذكر .
- المادة ٣ ان العقارات والمؤسسات الوقفية المشروط صرفها الى الجهات الخيرية المحلية ، ستترك الى مجالس الجماعات المحلية على أن تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة .
- المادة ٤ الأمور النافعة ستترك الى الادارة المحلية .
- المادة ٥ ان الأفراد العسكريين سيؤدون خدماتهم العسكرية — في وقت السلم — داخل البلاد العربية ، في دوائر مناطق الجيش التي ينتسبون اليها ، إلا أن الجنود الذين لا بد من ارسالهم في الحالة الحاضرة الى الحجاز والعسير واليمن ، سيرسلون من جميع الولايات العثمانية ضمن نسبة معينة .
- المادة ٦ ان المقررات التي تتخذها مجالس الولايات العامة ضمن صلاحياتها القانونية ستكون نافذة على كل حال .
- المادة ٧ سيقبل كمبدأ أساسي أن يكون في الوزارة ثلاثة من العرب على الأقل ، كما أنه سيكون في الدوائر المركزية عدد مماثل لذلك من العرب بصفة مستشارين أو معاونين ، وسيعتبر من الأسس المقررة أن يكون في كل من لجان المأمورين وشورى الدولة ومجلس المشيخة الاسلامية ومجالس سائر الدوائر المركزية اثنان أو ثلاثة من العرب ، كما يكون في كل وزارة أربعة أو خمسة موظفين من درجات مختلفة أيضا من العرب .
- المادة ٨ سيكون في الحالة الحاضرة خمس ولايات وعشرة متصرفين من العرب ، كما أنه ستزال المغدوريات التي قد تكون لحقت بالموظفين في الدوائر الملكية والعدلية والعلمية الذين لم يرفعوا بالنسبة الى سائر زملائهم ، وأما فيما بعد فسيكون تعيين الموظفين وترفيعهم وتأديبهم وفق قانون خاص .
- المادة ٩ سيعين في مجلس الأعيان من العرب بنسبة اثنين من كل ولاية عربية .
- المادة ١٠ سيعين في كل ولاية مفتشون متخصصون من الأجانب في الدوائر والمصالح التي تحتاج الى ذلك وستقرر صلاحيات هؤلاء المفتشين وواجباتهم بنظام خاص يكفل الحصول على الفوائد الانضباطية والاصلاحية المطلوبة والمنتظرة منهم .
- المادة ١١ النقص الموجود حاليا في ميزانيات الدوائر التي تركت ادارتها الى الولايات ، سيسد عن طريق اضافة الموارد الكافية لميزانية الولاية ، وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات الى الادارات المحلية على أن تصرف لأموال المعارف .
- المادة ١٢ تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجيا .

عبدالكريم الخليل — طلعت

(١) عن محاضرات في نشوء الفكرة القومية — ساطع الحصري — دار العلم للملايين — بيروت .

اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦م.

نص المعاهدة (١)

المادة الأولى ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) (داخلية سورية) و (ب) (داخلية العراق) المبيتين في الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية. وتتفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية يساح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) (كذا في المعاهدة) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة تنشأ إدارة دولية في المنطقة المسماة (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

المادة الرابعة تنال انكلترا ما يأتي:

١ - ميناء حيفا وعكا.

٢ - يضمّن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما.

المادة الخامسة تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية. وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة من المنطقة الحمراء أو الى المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما، ولا تنشأ معاملات مختلفة (مباشرة أو غير مباشرة على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تس البضائع والبواخر البريطانية).

وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية ويكون نقل البضائع الفرنسية حرا بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية في المنطقة الحمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة إليها ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسية في أي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

المادة السادسة لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوبا ولا في المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالا الى أن يتم انشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب مارا بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط ويجب ان يكون

معلوما لدى الحكومتين ، أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد ، وأنه إذا حالت دون انشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره عن طريق بربرورة — أم قيس — ملقى — ايدار — غسطا — مقابر، قبل ان يصل الى المنطقة (ب) .

المادة الثامنة تبقى تعريف الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقة (أ) و (ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التأمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين الا أن يكون باتفاق بين الحكومتين .

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرک على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع .

المادة التاسعة من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها ولا تعطى مالها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة العاشرة تنفق الحكومتان الانكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية ، على أن لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة أن تمتلك أقطارا في شبه جزيرة العرب أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على أن هذا لا يمنع تصحيحا في حدود عدن قد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الأخير .

المادة الحادية عشرة تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية .

نص وعد بلفور ١٩١٧م

عزيزي اللورد روتشلد...

يسرني سرورا عظيما ان ابلغك باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح الاتي بأبداء العطف على الاماني اليهودية الصهيونية وقد عرض على مجلس الوزراء ووافق عليه .

(تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين وستتخذ أحسن التدابير تسهيلا لهذا الغرض ومن المفهوم جليا انه لن يعمل شيء من شأنه الاضرار بالحقوق المدنية والسياسية للطوائف غير اليهودية المقيمة بفلسطين او بالحقوق والانظمة السياسية التي يتمتع بها اليهود في اي بلد اخر وسأكون شاكرا اذا انبأتم الاتحاد الصهيوني بهذا التصريح) .

المخلص

ارثور جيمس بلفور

منشور الشريف حسين الذي القته الطائرات الانكليزية على الفلسطينيين ١٩١٧م

أصدر الشريف مكة وملك الحجاز الحالي منشوراً الى الضباط والجنود العرب في الجيش العثماني وطلب منا ان نبلغكم اياه فافرأوه بنعمن واغتنموا الفرصة لتهربوا وتأتوا الينا وسنستقبلكم كاصدقاء مرحبين بكم وستلاقون منا معاملة حسنة .
وستجدون معنا مندوبين من قبل شريف مكة وملك الحجاز الحالي فيستقبلونكم وتساعدوهم انتم في تحرير العرب .

الجيش الانكليزي في فلسطين

وهذا هو المنشور:

الى جميع العرب

وسواهم من الضباط والرجال الموجودين في الجيش العثماني

سمعنا بمزيد الأسف انكم تحاربوننا نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على أحكام الدين الاسلامي الشريف من التغيير والتحريف ، ولتحرير العرب قاطبة من حكم الاتراك . ونحن نعتقد ان الحقيقة الخالصة لم تصل اليكم ، لذلك أرسلنا لكم هذا الاشعار مهوراً بمهرنا لنؤكد لكم اننا نحارب لأجل غايتين شريفتين وهما حفظ الدين وحرية العرب عامة .

لقد أرسلنا الأوامر المشددة الى عموم رؤساء ورجال قبائلنا بأنه اذا أسرت جيوشنا اي واحد منكم يجب ان يعاملوكم بالحسنى ويرسلوكم الى أولادي حيث يرحبون بكم ويحسنون وفادتكم .

لقد كانت المملكة العربية مستعبدة تحت سلطة الاتراك مدة طويلة فقتلوا من قتلوا من اخوانكم وصلبوا من صلبوا من رجالكم ونفوا نساءكم وعيالكم بعد تحريف دينكم ، فكيف تطيقون الصبر بعد ذلك ، وتحملون عناء الاستمرار معهم وترضون بمعاونتهم ؟!

هلموا للانضمام الينا ، نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد اسلافكم ان شاء الله تعالى ، والله الهادي الى سواء السبيل .

شريف مكة المكرمة وأميرها
وملك البلاد العربية
(الختم) حسين بن علي

معاهدة فرساي (مؤتمر الصلح بباريس) ١٩١٩م

عقد الحلفاء مؤتمرا للصلح في قصر فرساي بباريس ١٩١٩م، شهدته ممثلو الدول المتحالفة في الحرب العالمية الاولى، وبعض المراقبين كالامير فيصل ووايزمان، وقد إقتسم المجتمعون مناطق النفوذ فأجروا تعديلات على إتفاق سايكس - بيكو ١٩١٦م آخذين بعين الإعتبار وعد بلفور لليهود عام ١٩١٧م، ومتنكرين لوعود بريطانيا للعرب عبر مراسلات حسين - مكماهون عام ١٩١٦، رغم توصيات لجنة «كننج - كرين» الأميركية التي زارت بلاد الشام وقابلت عدداً من الوفود العربية.

وقد أنفق المؤرخون الغربيون - وقلدهم بعض تلامذتهم العرب - على تسمية المؤتمر بـ «مؤتمر السلام العظيم» باعتباره حقق السلام والامن ووزع غنائم الحرب الأولى على الحلفاء، ولم تكن تلك الغنائم سوى أراضي الدولة العثمانية، حيث إتفقوا على إقتسام تركية «الرجل المريض» بعد الإجهاز عليه بإلغاء الخلافة بواسطة عملائهم وبمعونة الصهيونية العالمية وتنظيماتها السرية التي فتكت بالدولة العثمانية.

ومعاهدة «فرساي» التي أبرمت في ٢٨ حزيران (يونيو) عام ١٩١٩م أدمجت في مطلعها ميثاق «عصبة الامم» الموضوع في نيسان (أبريل) ١٩١٩م، والذي نصت المادة ٢٢ فيه على ما يلي :

(ان البلاد التابعة للانتداب هي التي سلخت عن الامبراطورية العثمانية والتي يقطنها جماعات من الناس بلغوا من التقدم مبلغا يجوز معه الاعتراف مؤقتا بانهم دولة مستقلة على ان يقود خطاهم «منتدب» ينصحهم ويعينهم في الادارة الى ان يصبحوا قادرين على السير وحدهم. ويجب ان تمتد برغبات هذه الجماعات في اختيار الدولة «المنتدبة»).

وقد إتفقت إنكلترا وفرنسا على إقتسام سوريا والعراق حيث تنازلت فرنسا عن الموصل وفلسطين لإنكلترا لقاء تعويضات تدفع لفرنسا، وتقرر حفظ تقرير لجنة (كننج - كرين) الأمريكية.

قرارات مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م

رومانيا - تعضد الحكومتان البريطانية والفرنسية رعايا كل منهما في جميع المفاوضات المشتركة التي تدور مع الحكومة الرومانية على ما يأتي:

(١) الحصول على امتيازات النفط والاسهم او غير ذلك من المصالح الخاصة بالافراد والشركات التي كان محجوزا عليها كشركات ستيكلرومانا وكنكورديا وفيجا الخ.. فقد كانت تؤلف في هذه البلاد شركات بترول الدتش بنك والدسكنتو جزلشافت وغير ذلك من المرافق التي يمكن الحصول عليها.

(٢) امتياز اراضي النفط الجارية على ملك الدولة الرومانية.

وتقتسم جميع الاسهم التي كانت كإمتيازات للأعداء السابقين والتي أمكن الحصول عليها وعلى غير ذلك من المرافق المتسلسلة عن هذه المفاوضات بنسبة ٥٠% لمصالح كل من بريطانيا وفرنسا.

وتقرر انه في الجمعية او الجمعيات التي تتألف لادارة واستثمار الاسهم والامتيازات والمرافق الاخرى تصيب كل من البلاد دين ٥٠% في كل رأس مال مكتتب به ويكون لها النسبة عينها في الممثلية بمجلس الادارة وعدد الاصوات.

اراضي الامبراطورية الروسية القديمة - تعضد الحكومتان رعاياهما في اراضي الامبراطورية الروسية القديمة لبذل الجهد المشترك للحصول على امتيازات النفط وتسهيل تصدير النفط وتسليمه.

العراق - تعاهد الحكومة البريطانية على منح الحكومة الفرنسية أو من تعينهم حصة قدرها ٢٥% من السعر الجاري في السوق من صافي حاصلات الزيت الخام التي تصيبها حكومة جلالته البريطانية من آبار النفط في العراق حين تستغل هذه الابار بأسهم تصدرها الحكومة ولكن اذا استثمرت شركة خاصة آبار النفط في العراق وضعت الحكومة البريطانية تحت تصرف الحكومة الفرنسية الاشتراك في ٢٥% من اسهم هذه الشركة..

ولا يكون السعر الذي تدفعه في هذا الاشتراك أعلى من السعر الذي يدفعه أي كان من المشتركين في شركة النفط المذكورة وقد تقرر ان تكون هذه الشركة تحت المراقبة البريطانية الدائمة وتقرر أيضا انه اذا تألفت الشركة المشار اليها قبلت فيها الحكومة المحلية (الوطنية) او غيرها من اصحاب المصالح الوطنيين اذا شأوا ذلك بحيث تبلغ الاسهم التي يبتاعونها ٢٠% على الأكثر من رأس مال الشركة ويكون للفرنسيين نصف العشرة الاولى في المئة من هذا الاشتراك الوطني ويقدم الاشتراك الاضافي كل مشترك بنسبة ما يملكه .

وترضى الحكومة البريطانية بان يؤيد كل تسوية تستطيع الحكومة الفرنسية بموجبها ان تحصل من الشركة الانكليزية - الايرانية على النفط الذي يرسل اليها في الانابيب من بلاد ايران الى البحر الابيض الرومي (كذا) وتكون هذه الانابيب مارة في اراض مشمولة بالانتداب الفرنسي بحيث تسهل فرنسا مدها ويكون لفرنسا مقدار من النفط لا يزيد على ٢٥% من المرسل بالانابيب بشروط تقرر بين الحكومة الفرنسية والشركة الانكليزية.

وبناء على الاتفاق المشار بيانه ترضى الحكومة الفرنسية اذا راقها ذلك حالما يقدم لها طلب ان تمد خطين من الانابيب يتميز احدهما عن الآخر وخطوطا حديدية لازمة الانابيب والمحافظة عليها وان تنقل نفط العراق وايران في منطقة نفوذها الى مرفأ او اكثر من مرفأ البحر الابيض الرومي الشرقي تتفق الحكومتان على تعيينه او تعيينها.

وحين تمر الانابيب والخطوط الحديدية في اراضي منطقة النفوذ الفرنسي تعاهد فرنسا على تمهيد العقبات لمرور النفط المنقول الا انه يدفع تعويض لصاحب الارض على المساحة المشغولة فيها وتقوم فرنسا بجميع وسائل التسهيلات في المرفأ المنتهية عنده الانابيب والخطوط الحديدية لامتلاك الارض اللازمة لبناء المستودعات والخطوط الحديدية ومصانع التكرير ورصيف الشحن ... الخ، ويكون النفط المرسل بالانابيب معفى من رسوم التصدير والنقل (ترانزيت) وتكون أيضا المواد اللازمة لمد الانابيب والخطوط الحديدية ومصانع التكرير وغير ذلك من المباني معفاة من رسوم الواردات ورسوم المرور واذا شاءت شركة النفط المذكورة مد الانابيب والخطوط الحديدية الى الخليج الفارسي (كذا) بادرت الحكومة البريطانية الى منح التسهيلات المشار ذكرها.

افريقية الشمالية وبعض المستعمرات - تمنح الحكومة الفرنسية التسهيلات لكل شركة او شركات فرنسية - بريطانية حسنة السمعة تقدم الضمان اللازم وفقا للشرائع الفرنسية لنيل امتيازات في المستعمرات الفرنسية والبلاد المشمولة بحمايتها ومناطق نفوذها ومن جملتها الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وما لا بد من التنبيه اليه هو ان البرلمان الفرنسي قرر بأن تكون نسبة مصالح فرنسا ٦٧ في المئة في كل شركة تتألف ... وتساهل الحكومة الفرنسية بمنح الامتيازات في الجزائر بحيث يوضع ذلك على بساط البحث حالما يتم الطالبون مقتضيات الشرائع الفرنسية.

مستعمرات التاج البريطاني - تمنح الحكومة البريطانية الوطنيين الفرنسيين الذين يريدون التنقيب عن النفط في اراضي التاج البريطاني واستثمارها امتيازات تماثل الامتيازات التي تمنحها فرنسا للرعايا البريطانيين في المستعمرات الفرنسية وذلك بقدر ما تمكن منه الانظمة البريطانية الحالية.

ولا يشمل هذا الاتفاق الامتيازات المحتمل ان تكون موضوعا للمفاوضات وتؤثر على مصالح الافراد سواء كانوا فرنسيين او بريطانيين .

قالت جريدة الطان في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠

بني هذا الاتفاق على قاعدة التعاون الودي في جميع البلدان التي يمكن التوفيق بين المصالح النفطية لدولتين فيها ويتعلق هذا البيان بالبلدان الآتية : رومانيا وآسيا الصغرى والامبراطورية الروسية القديمة وغاليسيا والمستعمرات الفرنسية ومستعمرات التاج البريطاني ويمكن ان يمتد هذا الاتفاق الى البلدان الاخرى بشرط ان يكون هنالك رضى متبادل .

التوقيع / عن فرنسا: ميلران وبرتلو
عن بريطانيا العظمى: لويد جورج وج كادمان

نص القانون الأساسي العثماني

«المشروطة الأولى» ١٨٧٦

المادة ١ - ان الدولة العثمانية تشمل الممالك والخطط الحاضرة والولايات المتازة وهي كجسم واحد لا تقبل الانقسام ابدا لاية علة كانت .

المادة ٢ - ان عاصمة الدولة العثمانية هي مدينة اسلامبول وهذه المدينة ليس لها ادنى امتياز على غيرها من البلاد العثمانية ولا هي معافاة من شيء .

المادة ٣ - ان السلطة السنية هي بمنزلة الخلافة الاسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الاصول القديمة الى اكبر الاولاد من سلالة آل عثمان .

المادة ٤ - ان حضرة السلطان وهو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها .

المادة ٥ - ان حضرة السلطان مقدس وغير مسئول .

المادة ٦ - ان حقوق سلالة بني عثمان واموالهم واملاكهم الذاتية ومخصصاتهم المالية في مدة حياتهم هي تحت الضمانة العامة .

المادة ٧ - ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطاء النياشين واجراء التوجيهات في الولايات المتازة وفقا لشروطها وضرب النقود وذكر الاسم في الخطاب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية واعلان الحرب وذكر الاسم في الحرب والصلح ، وقيادة القوات البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وسن النظامات المتعلقة بدوائر وتخفيف المجازاة القانونية او العفو عنها وعقد المجلس العمومي وفضه وفسخ هيئة المبعوثين عند الاقتضاء بشرط الانتخاب اعضاء جديدة لها ، جميع ذلك من جملة حقوق السلطان المقدمة .

المادة ٨ - يطلق لقب عثماني على كل فرد من افراد التبعة العثمانية بلا استثناء من أي دين ومذهب كان ويسوغ الحصول على الصفة العثمانية وفقدانها بحسب الاحوال المعينة في القانون .

المادة ٩ - ان جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية وكل منهم مكلف بعدم تجاوزه حقوق غيره .

المادة ١٠ - ان الحرية الشخصية هي مصونة من جميع انواع التعدي ولا يجوز اجراء مجازاة احد بأي وسيلة كانت الا بالاسباب التي يعينها القانون .

المادة ١١ - ان دين الدولة العثمانية هو الدين الاسلامي ومع مراعاة هذا الاساس وعدم الاخلال براحة الخلق والاداب العمومية ، تجري جميع الأديان المعروفة في الممالك العثمانية بحرية حاية الدولة مع دوام الامتيازات المعطاة للجماعات المختلفة كما كانت عليه .

المادة ١٢ - ان المطبوعات هي حرة ضمن دائرة القانون .

المادة ١٣ - ان تبعة الدولة العثمانية مرخصة بتأليف كل نوع من انواع الشركات المتعلقة بالتجارة والصناعة والفلاحة .

المادة ١٤ - يسوغ لكل فرد من افراد التبعة العثمانية او الجملة منهم تقييم عرض حال بحق مادة وجدت مخالفة

للقوانين والنظمات المتعلقة بالعموم الى مرجع تلك المادة كما انه يحق لهم تقديم عرض حالات ممضاة الى المجلس العمومي بصفة مدعين ومشتكين من أعمال المأمورين .

المادة ١٥ — ان التعليم حر وكل عثمانى مرخص له بالتدريس العمومي والخصوصي بشرط مطابقة القانون .

المادة ١٦ — جميع المكاتب هي تحت نظارة الدولة وسيصير النظر بالوسائل التي من شأنها جعل تعليم التبعة العثمانية على نسق اتحاد وانتظام واحد لا تمس اصول التعاليم الدينية عند الملل المختلفة .

المادة ١٧ — ان العثمانيين جميعهم متساوون امام القانون كما انهم متساوون كذلك في حقوق وظائف المملكة ما عدا الاحوال الدينية والمذهبية .

المادة ١٨ — يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لاجل تقلد مأموريات الدولة .

المادة ١٩ — يقبل في مأموريات الدولة عموم التبعة ويعينون في المأموريات المناسبة بحسب اهليتهم واستحقاقهم .

المادة ٢٠ — ان تكاليف الدولة تطرح وتوزع بين جميع التبعة بحسب اقتدار كل منها وفقا لنظاماتها المخصصة .

المادة ٢١ — كل احد امين على ماله وملكه الجاري تحت تصرفه بحسب الاصول ولا يؤخذ من احد ملكه ما لم يثبت لزومه للنفع العام ويدفع ثمنه الحقيقي سلفا وفقا للقانون .

المادة ٢٢ — ان مسكن كل احد في الممالك العثمانية مصون من التعدي ولا تقدر الحكومة ان تدخل جبراً في مسكن احد او منزله الا في الاحوال التي يعينها القانون .

المادة ٢٣ — لا يسوغ اجبار احد على الحضور الى محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونيا وفقا لقانون اصول المحاكمة الذي سيصير ترتيبه .

المادة ٢٤ — المصادرة والتسخير من الامور الممنوعة وانما يستثنى من ذلك التكاليف ، والاحوال التي تعين في أوقات الحرب بحسب الاحوال .

المادة ٢٥ — لا يجوز ان يؤخذ من احد بارة واحدة باسم زكوات ورسومات أو بصفة اخرى ما لم يكن ذلك موافقا للقانون .

المادة ٢٦ — ان التعذيب وكل انواع الاذى ممنوع قطعيا بالكلية .

المادة ٢٧ — ان مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية يفوضان من قبل السلطان الى الذوات الذين يثق بهم وكذلك مأموريات باقي الوكلاء فانها تجري بموجب ارادة سلطانية .

المادة ٢٨ — ان مجلس الوكلاء ينعقد تحت رئاسة الصدر الأعظم وهو مرجع جميع الامور الداخلية والخارجية اما قراراته المحتاجة الى الاستئذان فانها تجري بموجب ارادة .

المادة ٢٩ — ان كلا من الوكلاء يجري من الامور العائدة الى ادارته ما هو مأذون باجرائه وفقا لقواعد واما ما كان خارجا عن دائرة مأذونيته فيعرض الى الصدر الأعظم يجري مقتضيات المواد التي تحتاج الى المذكرة ويستأذن عنها من الحضرة السلطانية وما كان محتاجا منها للمذاكرة يعرضه ويستأذن الى مجلس الوكلاء للتذكرة به ويجري ايجابه بمقتضى الارادة السنية التي تصدر بها . اما انواع ودرجات هذه القضايا فستعين بنظام مخصوص .

المادة ٣٠ — ان وكلاء الدولة مسئولون عن الاحوال والاجراءات المتعلقة بمأموريتهم .

المادة ٣١ — اذا اشتكى واحد او اكثر من أعضاء مجلس المبعوثين على أحد وكلاء الدولة بما يوجب عليه المسؤولية في المواد التي هي من متعلقات هيئة المبعوثين ، فعلى رئيس هذه الهيئة الذي يتقدم له بتقرير الشكوى او يرسل ذلك بتقرير

وبظرف ثلاثة ايام الى الشعبة التي تتعلق بها المذاكرة في انه هل يجب احواله الى الهيئة المناط بها رؤية هكذا مواد أولا وفقا لنظام هيئة المبعوثين الداخلي وهذا بعد ان تفحص هذه الشعبة ذلك التقرير وتجري التحقيقات اللازمة وتستوفي الايضاحات الكافية من الذي اشتكى عليه ، فان قررت بالاكثرية ان هذه الشكوى جرت بالمذاكرة وتقدم اقرارها الى هيئة المبعوثين للاطلاع عليها ، واذا مست الحاجة تستدي المشتكى عليه وتسمع الايضاحات التي يقدمها بنفسه أو بواسطة غيره ، فان وافقت أكثرية الهيئة المطلقة اي ثلثها على لزوم المحاكمة تقدم المضبطة المتضمنة طلب المحاكمة الى مقام الصدارة العظمى وغب عرضها للاعتاب السلطانية تحال الدعوى الى الديوان العالي بموجب ارادة سنية .

المادة ٣٢ - لا فرق البتة بين الوكلاء وبين افراد العثمانيين في الدعاوى الشخصية الخارجة عن مأموريتهم فتجري المحاكمة على هذه القضايا في المحاكم العمومية التي يتعلق بها ذلك .

المادة ٣٤ - اذا حكمت دائرة التهمة في الديوان العالي على احد الوكلاء بكونه واقعا تحت التهمة ينزل عن مأموريته الى ان تظهر براءته .

المادة ٣٥ - اذا وقع اختلاف على مادة ما بين الوكلاء وبين هيئة المبعوثين واصر الوكلاء على تقرير تلك المادة فرفضتها هيئة المبعوثين ثانية رفضا قطعيا بأكثرية الاراء مبنية تفاصيل الاسباب الموجبة لذلك ، فللحاضرة السلطانية حينئذ وحدها ان تغير الوكلاء او أن تقض المبعوثين بشرط انتخاب هيئة جديدة خلافها في المدة القانونية .

المادة ٣٦ - اذا اقتضت الحال ضرورة في غير وقت انعقاد المجلس العمومي لوضع قانون صيانة الدولة من الخطر او وقاية الامن العام من الخلل ولم يكن الوقت كافيا لجمع المجلس للمذاكرة بهذا القانون الاساسي وبموجب ارادة سنية يكون لقرارها قوة القانون للحكم مؤقتا الى ان تجتمع هيئة المبعوثين وتعطي قرارها بهذا المعنى .

المادة ٣٧ - يحق لكل من الوكلاء في أي وقت شاء ان يحضر اجتماعات كلتا الهيئتين او أن ينيب عنه فيها احد رؤساء المأمورين الذين تحت إدارته وله التقدم في الكلام على الأعضاء .

المادة ٣٨ - اذا استدعي احد الوكلاء الى مجلس المبعوثين بموجب قرار الاكثرية لاعطاء ايضاح عن امر ما يحضر الى المجلس او يرسل احد رؤساء المأمورين الذين تحت إدارته ويجيب عن المواد التي يسأل عنها ويحق له ان يؤخر جوابه اذا رأى لزوما لذلك أخذا بالمسئولية على نفسه .

المادة ٣٩ - جميع المأمورين ينتخبون من ارباب الاهلية والاستحقاق للمأموريات التي تفوض اليهم بحسب الشروط المعينة في النظام ، وكل مأمور ينتخب على هذه الصورة لا يجوز عزله ولا تغييره ما لم يبدو منه حقيقة ما يوجب العزل قانونا او يستعفي من تلقاء نفسه او يرى عزله لازما لضرورة تقتضيها احوال الدولة ومن كان من اصحاب الاستقامة وحسن السلوك من المأمورين ، وعزل عن ضرورة كما ذكر يكون جديرا بالترقي ويعين له معاش التقاعد او العزل بحسب نص النظام الخصوصي الذي سيصير ترتيبه .

المادة ٤٠ - سيعين نظام مخصوص لوظائف كل مأمورية وكل مأمور هو مسئول في ادارة وظيفته .

المادة ٤١ - من الواجب على كل مأمور احترام أمره ورعايته ، إلا أن الطاعة لا تتجاوز الدائرة المعينة قانونيا والطاعة للأمر في أمور المخالفة للقانون لا تقي من المسئولية .

المادة ٤٢ - ان المجلس العمومي يركب من هيئتين تسمى إحداها هيئة الأعيان والأخرى هيئة المبعوثين .

المادة ٤٣ - ان كلا من هيئتي المجلس العمومي تجتمع في ابتداء شهر تشرين الثاني من كل سنة وتفتح بموجب ارادة سنية وتقبل كذلك بإرادة سنية أول آذار ، ولا يجوز انعقاد احدى هاتين الهيئتين بغير وقت اجتماع الأخرى .

المادة ٤٤ - إذا رأت الحاضرة السلطانية وجوبا تقتضيه أحوال الدولة فانها تفتح المجلس العمومي قبل وقته ، وتقتصر اجتماع المجلس كذلك أو تطيله عن المدة المعينة .

المادة ٤٥ - ان افتتاح المجلس العمومي يتم بحضرة الذات السلطانية أو بحضور الصدر الأعظم نائباً عنها أو بحضور وكلاء الدولة مع أعضاء الهيئتين ويتلى حينئذ نطق سلطاني في ما يلزم اتخاذه في المستقبل من الوسائل والتدابير بخصوص أحوال الدولة الداخلية وصلاتها الخارجية في السنة الحالية .

المادة ٤٦ - ان الاعضاء الذين ينتخبون او يعينون للمجلس العمومي يحلفون بالأمانة للحضرة السلطانية وللوطن وبمراعاة أحكام القانون الاساسي والأمور المودعة لمعهدتهم والابتعاد عن مخالفة ذلك وهذا اليمين يتم بحضور الصدر الأعظم في يوم افتتاح المجلس ومن لم يكن حاضراً من الأعضاء في ذلك اليوم يحلف هذه اليمين بعينها بحضور الرئيس والهيئة التي هو منها .

المادة ٤٧ - ان أعضاء المجلس العمومي أحرار بآرائهم وأفكارهم ولا يفيد أحد منهم بوعده أو تهديد ما ، ولا يرتبط بتعليمات البتة ولا يجوز إلقاء التهمة على أحد منهم بوجه من الوجوه بسبب إبراز آرائه أو بيان أفكاره بأثناء مفاوضات المجلس الا اذا بدا منه مخالفة لنظامات المجلس الداخلية ، فحينئذ تجري معاملته بموجب النظامات المذكورة .

المادة ٤٨ - اذا اتهم احد اعضاء المجلس العمومي ، من قبل الهيئة المنسوب اليها بجناية ما أو بمحاولة الغاء القانون الاساسي أو بالارتكاب وتقررت هذه التهمة بموجب اكثرية تلك الهيئة المطلقة ، اي بثلاثي الآراء او اذا حكم قانونياً على أحد الاعضاء بالحبس أو النفي فتسقط عنه صفة العضوية وتجري محاكمته ويحكم بمجازاته على أفعاله هذه في المحكمة التي يتعلق بها ذلك .

المادة ٤٩ - يحق لكل عضو من أعضاء المجلس العمومي أن يبرز رأيه بنفسه أو يمتنع عن اعطاء رأيه فيما يتعلق برفض أو قبول مادة مطروحة تحت المذاكرة .

المادة ٥٠ - لا يجوز ان يكون شخص واحد عضواً في كلتا الهيئتين المذكورتين في وقت واحد .

المادة ٥١ - لا يسوغ الشروع بالمفاوضات في احدى الهيئتين بدون حضور نصف الأعضاء المرتين وعضو واحد زيادة عن النصف ، وتقرر كل المواد بأكثرية الأعضاء الحاضرين المطلقة خلا الامور المشترط بها أكثرية هي ثلثا الأعضاء واذا تساوت الآراء فرأي الرئيس يحسب مضاعفاً .

المادة ٥٢ - اذا قدم شخص ما عرض حال الى إحدى هيئتي المجلس العمومي بخصوص دعوى متعلقة بشخص ثم ظهر ان ذلك الشخص لم يقدم دعواه الى مأموري الدولة الذين يتعلق بهم رؤيتها ولا الى مرجع اولئك المأمورين فان عرض حاله يرفض ويرد له .

المادة ٥٣ - ان سن قانون جديد او تغيير بعض القوانين الموجودة متعلق بهيئة الوكلاء الا انه يحق لكل من هيأتي الأعيان والمبعوثين ان تطلب تجديد قانون أو تغيير القوانين الموجودة في المواد التي هي ضمن دائرة وظائفهم وحينئذ يستأذن بذلك من الحضرة السلطانية الصدر الأعظم ، فان صدرت الارادة السنية بذلك تحال الكيفية الى مجلس شورى الدولة لأجل ترتيب اللوائح المقترضة على مقتضى الايضاحات والتفاصيل التي تؤخذ من الدوائر التي يتعلق بها ذلك .

المادة ٥٤ - ان لائحة القوانين التي يرتبها مجلس شورى الدولة بعد أن يجري البحث والتدقيق عليها وقبلها في هيئة المبعوثين اولاً ثم في هيئة الاعيان ، تكون دستوراً للعمل اذا صدرت الارادة السنية السلطانية باجرائها . وكل لائحة قانون ترفض رفضاً قطعياً من قبل احدى هاتين الهيئتين ولا يجوز طرحها ثانية تحت المذاكرة في تلك السنة .

المادة ٥٥ - كل لائحة قانون لا تعتبر مقبولة ما لم تقرأ أولاً في هيئة المبعوثين ثم في هيئة الاعيان ، ويقرر كل منها بأكثرية الآراء ثم تقرر بالأكثرية أيضاً في هيئة الوكلاء أو من حضر بالنيابة عنهم أو من نفس اعضاء المجلس أو من المأمورين الذين استدعوا للحضور رسمياً .

المادة ٥٧ - ان المفاوضات في الهيئتين تجري باللغة التركية اما لوائح المفاوضات فانها تطبع وتوزع على الأعضاء قبل

اليوم المعين للمذاكرة .

المادة ٥٨ - ان ابراز الآراء في كلتا الهيئتين يتم اما بتصريح الأسماء أو بالاشارة المخصوصة أو بالطريقة السرية ، الا أن ابراز الآراء بالطريقة السرية يتوقف على اكثريه الأعضاء الحاضرين .

المادة ٥٩ - ان ضبط الأحوال الداخلية في كل هيئة منوط برئيسها .

المادة ٦٠ - إن رئيس وأعضاء هيئة الأعيان يعينهم حضرة السلطان رأساً ولا يتجاوز عددهم ثلث هيئة المبعوثين .

المادة ٦١ - إن من يعين بصفة عضو في هيئة الأعيان يجب أن يكون قد فعل ما يجعله أهلاً للثقة العثمانية وسبقت له خدمات حسنة مشهودة في الدولة وإن لا يكون سنه دون أربعين سنة .

المادة ٦٢ - إن مدة العضوية في هيئة الأعيان هي مدة الحياة ، وتوجه هذه المأمورية لمن هو أهل لها من معزولي الوكلاء والولاة والمشيرين وقادة العسكر والسفراء والبطاركة ورؤساء الحاخامية والفرقاء البرية والبحرية ولغيرهم من الذوات الحاصلين على الصفات المطلوبة ، اما من يعين من أعضاء هيئة الأعيان لاحدى مأموريات الدولة بطلبه فتسقط عنه صفة العضوية .

المادة ٦٣ - ان معاش العضوية الشهري في هيئة الأعيان عشرة آلاف قرش وإذا كان لأحد الأعضاء معاش آخر أو غير مخصصات من الخزينة دون عشرة آلاف أو أكثر تبقى على حالها .

المادة ٦٤ - ان هيئة الأعيان تدقق البحث في القوانين ولوائح الموازنة الصادرة من هيئة المبعوثين ، فإن وجدت بها ما يخل اساساً للأموال الدينية أو بحقوق لحضرة السلطان السنية أو بالحرية أو بأحكام القانون الأساسي أو باستقلالية ملك الدولة أو بأمنية المملكة الداخلية أو بوسائل المدافعة والمحافظة على الوطن أو بالآداب العمومية فلها أن ترفضها قطعياً مع ايراد ملاحظتها أو تردها إلى هيئة المبعوثين لأجل اصلاحها وتصحيحها .

أما اللوائح التي تقبلها وتصادق عليها فتقدم للصدر الأعظم ، وكذلك المعروضات التي تقدم للهيئة تفحص بالتدقيق وتقدم لمقام الصدارة اذا وجد لزوم لذلك مع اضافة الملاحظات اللازمة عليها .

المادة ٦٥ - ان عدد اعضاء هيئة المبعوثين يكون باعتبار شخص واحد من كل خمسين ألف نفس من ذكور التبعة العثمانية .

المادة ٦٦ - ان أمر الانتخاب مؤسس على الطريقة السرية وستقرر كيفية الانتخاب في قانون مخصوص .

المادة ٦٧ - لا يمكن الجمع بين عضوية هيئة المبعوثين ومأمورية أخرى في الحكومة خلا من ينتخب من الوكلاء لهذه العضوية فيجوز له ذلك واما من ينتخب لهيئة المبعوثين من باقي مأموري الدولة فهو في خيار من قبول ذلك أو رفضه إلا أنه إذا قبل العضوية يفصل من مأموريته الأولى .

المادة ٦٨ - لا يجوز أن ينتخب لعضوية المبعوثين

أولاً : من لم يكن من تبعية الدولة العلية

ثانياً : من كان حائزاً مؤقتاً على امتياز خدمة اجنبية بمقتضى النظام المخصوص .

ثالثاً : من لم يكن عارفاً باللغة التركية .

رابعا : من كان سنه دون الثلاثين .

خامساً : من كان مستخدماً عند شخص آخر في وقت الانتخاب .

سادساً : من حكم عليه بالافلاس ولم يعد اعتباره .

سابعاً : من كان مشهوراً بالتصرفات السيئة .

ثامناً : من حكم عليه بالحجر حكماً لاحقاً ولم يفك عنه الحجر .

تاسعا : من كان ساقطا من الحقوق المدنية .
عاشرا : من يدعي انه من التبعة الاجنبية ، الذي يجري بعد اربع سنوات ، فيشترط على المنتخب أن يكون عارفاً القراءة والكتابة في اللغة التركية نوعا ما .

المادة ٦٩ — ان انتخاب المبعوثين العمومي يجري مرة واحدة في كل اربع سنين ومدة مأمورية كل من المبعوثين هو عبارة عن أربع سنين ، ويجوز تجديد انتخابه .

المادة ٧٠ — إن انتخاب المبعوثين العمومي يبدأ به قبل شهر تشرين الثاني الذي هو بداية اجتماع الهيئة بأربعة أشهر على الأقل .

المادة ٧١ — إن كلا من أعضاء هيئة المبعوثين يعتبر ككائب عن عموم العثمانيين وليس عن الدائرة التي انتخبته فقط .

المادة ٧٢ — من الواجب على المنتخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالي دائرة الولاية التي هم منها .

المادة ٧٣ — اذا قضت هيئة المبعوثين بارادة سنية بانتخاب جميع الأعضاء الجديدة بحيث تتمكن الهيئة من الاجتماع بعد ستة أشهر على الأكثر .

المادة ٧٤ — اذا توفي احد اعضاء هيئة المبعوثين أو وقع تحت الحجز لأسباب قانونية أو إنقطع عن الحضور إلى المجلس مدة طويلة أو إستعفى لداعي صدور حكم ما عليه لسبب قبول مأمورية أخرى فيعين عضو خلافة بحسب الأصول قبل الاجتماع التالي .

المادة ٧٥ — إن مأمورية العضو الذي ينتخب عوضا عند أحد المبعوثين تدوم فقط الى وقت الانتخاب العمومي الآتي .

المادة ٧٦ — يعطى لكل من المبعوثين عشرون الف قرش من خزانة الدولة عن مدة الاجتماع في كل سنة وتعطى له أيضا مصاريف الطريق ذهابا وإيابا بأعتبار كون المعاش الشهري خمسة الاف قرش وفقا لنظام المأمورين الملوكيين .

المادة ٧٧ — تنتخب هيئة الأعيان ثلاثة أشخاص لرئاسة الهيئة وثلاثة أشخاص لكل من الرئاستين الثانية والثالثة ثم تقدم أسماء هذه الأشخاص التسعة إلى الحضرة الشاهانية وبموجب إرادة سنية يعين أحد الثلاثة الأولين لرئاسة الهيئة وشخصان من الستة الباقين بصفة وكيلين للرئيس وتجرى مأموريتهم على هذه الصورة .

المادة ٧٨ — ان المذاكرة والمفاوضات في هيئة المبعوثين علينا غير انه اذا وقعت مادة مهمة وعند طلب الوكلاء او خمسة عشر عضوا من اعضاء المبعوثين اجراء المذاكرة سرا على امر ما حينئذ يصرف الاشخاص الموجودون في محل اجتماعها خلا اعضائها وبموجب قرار الاكثرية تقبل او ترفض الطلب المتقدم لها وتجرى المفاوضات علنا او سرا بحسب القرار المذكور .

المادة ٧٩ — لا يجوز القاء القبض على احد اعضاء هيئة المبعوثين بمدة اجتماع المجلس ولا محاكمته ما لم يثبت بموجب قرار أكثرية الهيئة وجود سبب كاف لالقاء التهمة عليه من قبل الهيئة وما لم يرتكب جنحة او جناية ما ويمسك بوقت ارتكابه ذلك أو عقبيه .

المادة ٨٠ — ان هيئة المبعوثين تتذكر بلوائح القوانين التي تحال لها فما كان منها متعلقا بالمالية او بالقانون الاساسي يسوغ لها ان ترفضه أو تقبله أو تصلحه غب تدقيق البحث على المصاريف العمومية بالتفصيل كما هو مصرح به في قانون الموازنة تقرر مقدارها بالاتفاق مع هيئة الوكلاء وتعين كذلك مع هيئة الوكلاء انواع الواردات المقتضية لمقابلة المصاريف العمومية ومقدارها وكيفية توزيعها واستحصاها .

المادة ٨١ — ان القضاة الذين ينصبون من قبل الدولة بموجب النظام المخصوص وتعطي لايديهم البراءة الشريفة فهؤلاء لا يعزلون وإنما يجوز قبول استعفائهم اما صورة ترقي القضاة ومسالكهم ومبادلة مناصبهم وكيفية اجراء تقاعدهم وعزلهم

عند صدور الحكم عليهم بذنب ما جميع ذلك مصرح في النظام المذكور وهذا النظام موضح به كذلك الاوصاف المطلوبة من القضاة ومن باقي مأموري المحاكم .

المادة ٨٢ - ان جميع انواع المحاكمات تجري في المحاكم علنا والاعلامات التي تصدر منها مأذون بنشرها غير انه يجري المحاكمة سرا في الظروف المنبئة بالقانون .

المادة ٨٣ - يحق لكل احد ان يستخدم لدى المحاكمة جميع الوسائل القانونية للدفاع عن حقوقه .

المادة ٨٤ - لا يسوغ لاحدى المحاكم لاية علة كانت ان تمتنع عن رؤية دعوى هي من متعلقاتها ولا يجوز توقيف الحكم بدعوى ما أو تأخيره بعد الشروع في رؤية تلك الدعوى او بعد اجراء التحقيقات الاولى المقتضية لرؤيتها ما لم يكف المدعي عن ملاحقة دعواه . ولكن حقوق الحكومة في الدعاوي الجنائية تأخذ مجراها النظامي .

المادة ٨٥ - كل دعوى يجب ان ترى في المحكمة التي يتعلق بها رؤيتها اما الدعاوي التي تقع بين الافراد والحكومة فأنها ترى كذلك في المحاكم العمومية .

المادة ٨٦ - ان المحكمة بجملتها تكون عارية من كل نوع من المداخلات .

المادة ٨٧ - ان الدعاوي الشرعية ترى في المحاكم الشرعية والدعاوي النظامية ترى في المحاكم النظامية .

المادة ٨٨ - ان انواع المحاكمة ووظائفها ودرجات حقوقها وامر توظيف القضاء كل ذلك يعود به على القوانين .

المادة ٨٩ - لا يجوز قطعاً لاية علة كانت ترتيب محاكم غير اعتيادية ولا لجان لرؤية بعض دعاوي مخصوصة والحكم بها خلال المحاكم القانونية وانما يجوز فقط التحكيم وتعيين مولين بحسب مفاد القانون .

المادة ٩٠ - لا يجوز لقاض ان يجمع بين مأموريته القضائية ومأمورية أخرى ذات معاش في الحكومة .

المادة ٩١ - سيجري تعيين مدعين عموميين للدفاع عن الحقوق العامة في الامور الجنائية اما وظائف هؤلاء المدعين ودرجاتهم فستقرر في القانون .

المادة ٩٢ - يتألف الديوان العالي من ثلاثين عضواً منهم عشرة ينتخبون بالقرعة من رؤساء وأعضاء مجالس التمييز والاستئناف . وهذا الديوان ينعقد عند الاقتضاء بموجب ارادة سنية في دائرة هيئة الاعيان ووظيفته انما هي محاكمة الوكلاء ورؤساء محاكم التمييز واعضاءها وكل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من حاول القاء الدولة في خطر .

المادة ٩٣ - ينقسم الديوان العالي الى قسمين يسمى احدهما دائرة التهمة والاخر ديوان الحكم . اما دائرة التهمة فأعضاؤها تسعة ينتخبون ثلاثة من هيئة الاعيان وثلاثة من ديوان التمييز والاستئناف وثلاثة من اعضاء هيئة التمييز وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وكلهم ينتخبون بالقرعة من الاعضاء الذين يعينون للديوان العالي .

المادة ٩٤ - يعطي القرار في هذه الدوائر بأكثرية الثلثين على صحة التهمة الملقاة على الذوات المشتكي عليهم أو عدمها اما اعضاء دائرة التهمة فلا يحضرون في ديوان الحكم .

المادة ٩٥ - ان عدد الاعضاء في ديوان الحكم واحد وعشرون عضواً من اعضاء الديوان العالي منهم سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التمييز والاستئناف وسبعة من شورى الدولة . وهذا الديوان يحكم حكماً باتاً ويمقتضى القوانين المؤسسة في الدعاوي التي قررت دائرة التهمة لزوم المحاكمة عليها ويتم حكمه بموجب قرار اكثريته بثلاث اعضاءه اما احكام هذا الديوان فلا تقبل الاستئناف ولا التمييز .

المادة ٩٦ - ان تكاليف الدولة لا يترتب منها شيء ولا يصير توزيع شيء منها ولا جمعه مالم يتعين بقانون .

المادة ٩٧ — ان لائحة الدخل والخرج في الدولة هي بمنزلة قانون موضح به مقدار واردتها ومصارفاتها تقريبا فكل تكاليف الدولة يعول بأمر ترتيبها وتوزيعها وجبايتها على هذا القانون .

المادة ٩٨ — ان اللائحة المذكورة اي قانون الموازنة العمومية يصير بالبحث والمصادقة عليها بندا بندا في المجلس العمومي وكذلك الجداول المرتبطة بها المتضمنة تفاصيل الواردات والمصارفات تقسم الى ابواب وفصول ومواد متعددة وفقا للاصول المتخذة نظاماً وتجري المذاكرة عليها ايضا فصلا فصلا .

المادة ٩٩ — ان قانون الموازنة العمومية يطرح امام هيئة المبعوثين عقب اجتماع المجلس العمومي ليتمكن وضعه في موقع الاجراء عند دخول السنة المتعلق بها .

المادة ١٠٠ — لا يجوز صرف شيء من اموال الدولة خارجا عن الموازنة ما لم يعين ذلك بقانون مخصوص .

المادة ١٠١ — اذا مست الحاجة لصرف مبلغ ما خارج عن الموازنة في غير وقت اجتماع المجلس العمومي وذلك لاسباب اجبارية غير اعتيادية فأن هيئة الوكلاء تستأذن من الحضرة السلطانية التي تصدر . وعليها ان تقدم لائحة ذلك الى المجلس العمومي عند اجتماعه .

المادة ١٠٢ — ان حكم قانون هو لسنة واحدة فقط . ولا يجري في غير تلك السنة غير انه اذا فض المبعوثان لاسباب غير اعتيادية قبل تقرير الموازنة فيسوغ للوكلاء بموجب ارادة سنوية ان يداوموا اجراء حكم موازنة السنة الماضية الى ان يلتم المبعوثين بشرط ان لا يتجاوز ذلك مدة سنة .

المادة ١٠٣ — ان لائحة قانون الحاسبة القطعية يتضمن من مقدار المبالغ المتحصلة من واردات السنة المعينة لها وحقيقة المصاريف التي صار دفعها بتلك السنة . وينبغي ان تكون هيئتها وابوابها موافقة بالتام لقانون الموازنة العمومية .

المادة ١٠٤ — ان قانون الحاسبة القطعية يطرح امام المجلس العمومي في كل اربع سنين على الاكثر من ختام السنة المتعلق بها .

المادة ١٠٥ — يترتب ديوان محاسبات لاجل رؤية حساب المأمورين الموكلين بقبض اموال الدولة وصرفها لاجل فحص المحاسبات السنوية التي تقدم من الدوائر المختلفة وهذا الديوان يقدم الى هيئة المبعوثين في حينه تقريراً حاوياً خلاصة فحصه وتدقيقاته ونتيجة افكاره وملاحظاته وفي كل ثلاثة اشهر يعرض ايضا على الحضرة السلطانية بواسطة رئيس الوكلاء تقريراً عن أحواله المالية .

المادة ١٠٦ — ان ديوان المحاسبات يؤلف من اثني عشر عضواً يعينون بموجب ارادة سنوية ويستمرّون في مأموريتهم مدة حياتهم ولا يعزل احد منهم ما لم تصادق هيئة المبعوثين بالاكثرية على لزوم عزله .

المادة ١٠٧ — سترتب نظام مخصوص لتعيين الصفات المطلوبة من اعضاء ديوان المحاسبات وتفاصيل وظائفهم وصورة استعفائهم وتبديلهم وترقيتهم وتقاعدهم وكيفية تشكيل الأقسام المتعلقة بهذا الديوان .

المادة ١٠٨ — ان اصول الولايات ستؤسس على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وستعين درجاتها بنظام مخصوص .

المادة ١٠٩ — سترتب قانون مخصوص اوسع من القانون الجاري الان لانتخاب اعضاء مجالس الادارة في الولايات الاولى والاقضية لانتخاب اعضاء المجالس العمومية التي تلتزم كل سنة مرة في مراكز الولايات .

المادة ١١٠ — ان وظائف المجالس العمومية كما سيصرح به القانون المذكور هي المذاكرة والمفاوضة في الامور النافعة كتنظيم الطرق والمعارب وترتيب الصناديق وترقية اسباب الصنائع والتجارة ونشر المعارف العمومية ومن خصائصه أيضاً حق التشكي الى المحلات المختصة عند وقوع مغايرات للقوانين والنظامات المؤسسة لاجل اصلاح ذلك سواء كان بأمر توزيع

الاموال الاميرية وجبايتها وبالمعاملات العمومية .

المادة ١١١ - يترتب في كل قضاء مجلس لكل ملة ينتخب اعضاؤه من أفراد تلك الملة ويكون من خصائصه النظر بمداخل المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة لكي تصرف بحسب شروط واقفيها ومعاملتها القديمة لمن له حق فيها وللخيرات - والمبرات والمناظرة ايضا على صرف الاموال الموصى بها حسبما هو محرز في وصية الموصي وعلى ارادة أموال الايتام وفقا لنظامها الخصوصي. اما هذه المجالس فأنها تعرف الحكومات المحلية ومجالس الولايات العمومية مرجعا لها .

المادة ١١٢ - ان الامور البلدية تجري ادارتها في مجالس الدوائر البلدية التي سيصير ترتيبها في دار السعادة في الخارج وسيصير وضع قانون مخصوص لتنظيم الدوائر البلدية ووظائفها وكيفية انتخاب اعضائها .

المادة ١١٣ - اذا ظهرت بعض علائم وامارات تنذر بوقوع اختلال ما في احدى جهات المملكة فيحق للحكومة السنية حينئذ ان تعلن الادارة العرفية مؤقتا في ذلك المحل فقط والادارة العرفية اما هي ابطال القوانين والنظامات الملكية بصورة مؤقتة وسيترتب نظام مخصوص لكيفية ادارة المحل الموضوع تحت الادارة العرفية . اما الذين يثبت بواسطة تحقيقات ادارة الضابطة الصحيحة انهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحكومة السلطانية وحدها الحق ان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها .

المادة ١١٤ - ان التعليم الابتدائي يجعل اجباريا على كل فرد من جميع افراد العثمانيين وتفاصيل ذلك تقرر في نظام مخصوص .

المادة ١١٥ - لا يجوز توقيف أو إبطال بند من بنودها هذا القانون الاساسي لاية عله كانت .

المادة ١١٦ - اذا اقتضت الظروف والاحوال تغيير بعض المواد المدرجة في هذا القانون الاساسي او اصلاحها ووجد لزوم حقيقي وقطعي لذلك فيجوز تغييرها على الشروط الاتية وهي : انه متى طلبت هيئة الوكلاء وكل من هيئة الاعيان والمبعوثين اصلاح قضية ما فأذا صادقت هيئة المبعوثين على ذلك بأكثرية هي الثلثان وصدرت ارادة سنية بشأنه فإن هذا الاصلاح يعتبر دستورا للعمل . اما المادة التي يطلب اصلاحها فتبقى مرعية الاجراء حائرة قوة الحكم والنفوذ الى ان تجري عليها المذاكرة وتصدر بشأنها الادارة السنية كما ذكر .

المادة ١١٧ - اذا اقتضى الحال تفسير احدى المواد القانونية فاذا كان ذلك من الامور العدلية يتعلق تفسيره في محكمة التمييز وان كان من امور الادارة الملكية فذلك من خصائص شورى الدولة وان كان من مواد هذا القانون الاساسي فذلك متعلق بهيئة الاعيان .

المادة ١١٨ - ان القوانين والنظامات الجاري العمل بها الان وجميع المعاملات ، والعوائد تبقى نافذة ومرعية الاجراء ما لم يصير إلغاؤها او اصلاحها بالقوانين ، والنظامات التي تسن في المستقبل .

المادة ١١٩ - ان التعليمات المؤقتة التي ترتبت بشأن المجلس العمومي في ٢٠ شوال سنة ١٢٩٣ - تبقى احكامها جارية الى نهاية اجتماع المجلس المذكور الاول وبعد ذلك يضحى حكمها باطلا .

في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ (١٨٧٦م)

نص تعديل مواد دستور ١٨٧٦م

«المشروطة الثانية» ١٩٠٨

وقد أجريت قبيل الانقلاب المضاد (١٣ ابريل ١٩٠٩) وبمعه وصودق عليها من السلطان في ٢٨ آب، اغسطس ١٩٠٩:

المواد ٧، ٢٧: بينما كان للسلطان قبل التعديل حق تعيين وإقالة جميع الوزراء لم يعطه التعديل سوى حق تعيين الصدر الأعظم وشيخ الاسلام، أما الوزراء فيختارهم الصدر الأعظم ويصدق السلطان على تسميتهم.

المادة ٤٣: أصبح للمجلسين: الأعيان والمبعوثين الحق ان يجتمعا بدون دعوة من السلطان بينما لم يكن باستطاعتهما فيما سبق أن يفعلا ذلك إلا بدعوة منه.

المادة ٤: بينما لم يكن في السابق لاحد غير السلطان الحق في دعوة المجلس العمومي (أي مجلس المبعوثين ومجلس الأعيان مجتمعين) لدورة استثنائية أو تقصير اجتماعه أو مد أجل انعقاده، أصبح هذا الحق في يد الأكثرية البرلمانية المطلقة أيضا ما عدا تقصير مدة الاجتماع التي ألغيت بتاتا.

المادة ٧٧: كما فقد السلطان حق تعيين رئيس مجلس المبعوثين من بين الثلاثة ذوات — من المبعوثين الذين ينتخبهم هذا المجلس بل اقتضى التعديل ان يكتفى المجلس بأعلام الحضرة السلطانية بأسماء الرئيس ونائبيه المنتخبين.

المادة ٥٣: اقتضى التعديل الجديد أن يكون لكل وزير أو عضو أعيان أو مبعوث حق اقتراح سن القوانين وتقديم المشروعات بينما حصر الدستور قبل تعديله هذا الحق بهيئة النظار ولم يترك المجلس المبعوثين والأعيان سوى الحق بأن يطلبوا تجديد قانون ما أو تغيير القوانين الموجودة وحيث أن يستأذن بذلك من الحضرة السلطانية بواسطة الصدر الأعظم فان سمحت كان به وإلا فلا.

المادة ٥٤: قبل التعديل لم يكن لمشاريع القوانين التي يصدق عليها مجلس المبعوثين ثم مجلس الأعيان أن تصبح دستورا للعمل إلا بعد تصديق السلطان عليها أما التعديل فقد نص على أن مشاريع القوانين يجب أن تصدق أو تعاد إلى مجلس المبعوثين لاعادة النظر فيها في مدى شهرين وفي حالة اعادتها غير مصدقة لا يكون الاقتراح عليها صحيحا إلا اذا استوفى أكثرية الثلثين لكن الدستور سكت عن حالة رفض السلطان مرة ثانية التصديق عليها.

المادة ٣٠: بينما كان الدستور قبل التعديل قد نص بعبارات عامة على مسئولية النظار عن الأحوال والاجراءات المتعلقة بأموريتهم دون الإشارة إلى شيء من العقوبات بحقهم إلا أن التعديل الجديد قد نص على مسئولية النظار متضامين أمام مجلس المبعوثين فيما يخص السياسة العامة للحكومة أما فيما يختص بوظائف وصلاحيات كل ناظر بما يتعلق بنظارته فالمسئولية فردية.

المادة ٣٨: اذا صوّت المجلس بسحب الثقة من أحد النظار إلا يجبر على الاستقالة أحد اخر سوى الوزير صاحب العلاقة أما إذا صوت بحجب الثقة عن الصدر الأعظم وجب استقالة مجلس النظار برمته.

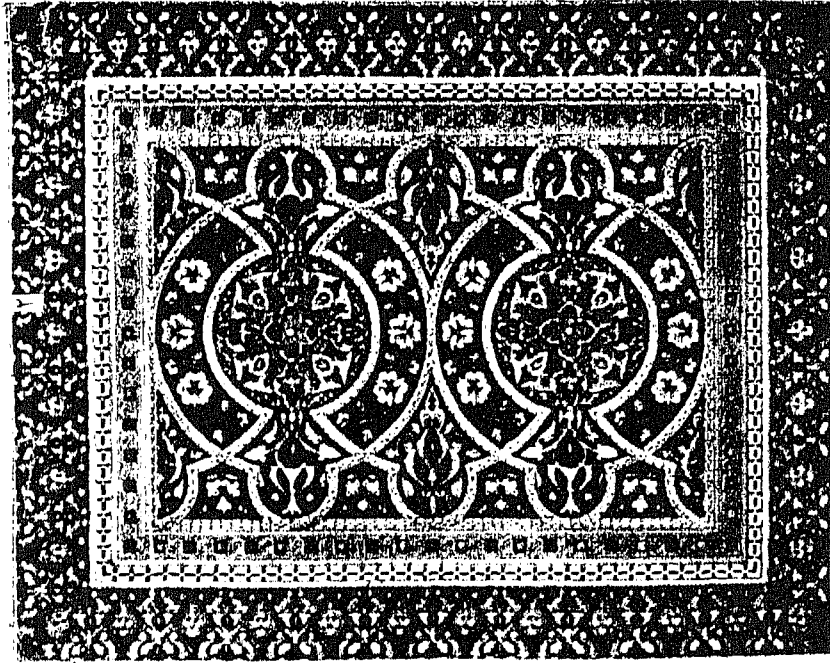
المادة ٣٥: اقتضى التعديل الجديد أيضاً أن يحرم السلطان من حق حل مجلس المبعوثين في حالة خلافه مع مجلس النظار وكان هذا الحق مطلقا دون قيد أو شرط في السابق. أما الآن فلم يعد باستطاعة السلطان أن يحل المجلس إلا في حالة واحدة محددة بدقة أي حينما يختلف مجلس المبعوثين ويرفض الخضوع لقرار هذا الأخير ويستقبل ثم يتبنى مجلس النظار الجديد وجهة نظر سلفه عندئذ فقط يستطيع السلطان حل المجلس ولكن بعد موافقة مجلس الأعيان مع تحديد منذ ثلاثة

أشهر لاجراء انتخابات جديدة وقد اعتبر رجال تركيا الفتاة هذه المادة حيز الزاوية في البناء البرلماني العثماني .

المادة ٦٠: كان الدستور قبل انقلاب ١٩٠٨ م ينص في هذه المادة على أن رئيس وأعضاء هيئة الأعيان يعينهم حضرة السلطان رأسا ولا يتجاوز عددهم ثلث الهيئة (١) أما التعديل الجديد فقد تناول تأييد جعلهم ثلث المبعوثين وأن يعين ثلثهم فقط من قبل السلطان لمدى الحياة أما الثلثان الباقيان منهم فينتخبون من قبل المبعوثين لمدة تسع سنوات فقط (٢)

إلا أن الداماد (٣) فريد باشا عضو الأعيان (وهو غير فريد باشا الألباني) قد قدم اقتراحا إلى مجلس الأعيان فيما بعد، أي في الشهر الثاني من عام ١٩١٠ وبعد مضي تسعة أشهر على الثورة المضادة أثار ضجة هائلة في الأوساط العثمانية وخاصة منهم العناصر غير التركية فقد كان الاقتراح الذي قدمه الداماد يقول بوجوب الرجوع إلى نص المادة (٦٠) الأصلي في الدستور قبل تعديله أي أن يبقى للسلطان حق تعيين كافة أعضاء مجلس الأعيان . وقد قيل ان الداماد كان مدفوعا إلى هذا العمل من قبل ولي العهد البرنس يوسف عز الدين ابن جلالة السلطان محمد الخامس اذ كان مشروعه يهدف إلى الدفاع عن حقوق السلطان لا لكونه سلطانا للعثمانيين وحسب بل أيضا بصفته خليفة على ٣٠٠ مليون مسلم وقد خلق ليأمر فيطاع لا لكي يطيع فهو يرى أن طريقه تعيين مجلس الأعيان بالانتخاب بدلا من تعيينهم من قبل السلطان يحف بمقام السلطنة كما يرى إلى جانب ذلك انه مضر ضررا كبيرا بالسلطنة مشيرا بالتنويه والتلميح إلى الضرر الذي يلحق العنصر الحاكم لذلك اشتبه بكونه يخدم جهة أخرى معينة .

كان الداماد فريد باشا يرى ان مبدأ سلطة الأمة لا يمكن تطبيقه في مملكة متعددة العناصر كالمملكة التركية لان ذلك يؤدي حتما إلى تفكك السلطنة واندثارها، من أجل هذا يجب أن يكون ثمة توازن بين سلطة مجلس المبعوثان والقوة الاجرائية من جهة ومجلس الأعيان ومقام السلطنة من جهة أخرى . وهذا الاقتراح اذا أخذ بنظر الاعتبار وجرى قبوله يؤمن هذا التوازن .



(١) لم يكن أحد من الشبان المتحررين يتجاسر على الخروج برفقة احدى قريباته سواء كانت زوجته أو شقيقته والا انقض عليهما المدافعون عن الشريعة واساؤوا معاملتها .

(٢) الاهرام — ٩٥٩٤ ، ١٠/٥ ، ١٩٠٩

(٣) الداماد — كلمة تركية تعنى «صهر» وتطلق لقبا على كل شخص تزوج احدى بنات أو شقيقات السلاطين .

شرح لبعض المصطلحات العثمانية -

(آ)

أبعاديات : هي الاراضي البور او غير المزروعة .
أتك : ذيل الثوب ، ويقبل اتكه : أي ذيل ثوبه
اراضي الاثر : الارض التي يتوارثها الابناء عن الآباء ولصاحبها حق التصرف فيها بالبيع والشراء .
ارباب الدرك : رجال الشرطة
أرباب العكاكيز : اصحاب الطرق الصوفية
ارض الشراقي : الارض التي ينحسر عنها الماء وتبقى بلا زراعة .
أروام : يقصد بهم الاتراك
اسباهية : الخيالة . اطلقت على الاوجاقات الثلاثة : جليان وتفكشيان وجراكسة ومهمتها في المدينة الاشراف التام على الباشا ورجاله بواسطة كبراء الاوجاقات المقيمين فيها وفي الاقاليم بواسطة من يقيم في الاقاليم من رجال هذه الاوجاقات أي فصائل الجند
استادار : اليه امر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان كان يمشي بطلب السلطان في السرحات والاسفار وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره واليه امور الجاشنكرية .
اشاير : الاعلام التي يحملها أصحاب الطرق الصوفية .
آغا بيت المال : صاحب بيت المال
آغاسي : رتبة عسكرية تعادل «رائد»
آغا الطواشين : رئيس الشرطة
آغات تفكجية : له رئاسة المسلحين
آغات جليان : جليان : طائفة من الفرسان وآغات جليان رئيس الفرسان . آغات مستحفظان : مدير السجلات
آغات الانكشارية : اي قائد الجند الانكشارية بمعنى هم طائفة من الجند التي يطلق عليها احيانا «الينكجerie» أو الانكشارية وهم الأولاد الأوربيين الذين يربون تربية عسكرية اسلامية .
افندية : جمع افندي في التركية بمعنى صاحب ومالك ومولى وسيد ، والرجل الرقيق الحاشية الدمث الطباع والقارىء والكتاب بصفة عامة والعالم ورب القلم وهو عنوان تعظيم فيقال فلان باشا افندي او فلان بك افندي وكانت تطلق على كتاب ديوان الرونامة وكبير الافندية هو الروزنامجي والحاكم عليها وخدمته تحصيل الاموال بموجب دفتر وكان الباشا يعينه بموافقة شيخ البلد والصناجق ورؤساء الاوجاقات .
اكاديش : الخيول غير العربية ، (جمع) كديش .
الجي : مأخوذة من الفارسية «ايلجي» ومعناها سفير .
اميرا شن اغلي : واحد منهم رئيس بضعة من الامراء المماليك
امير اخور : امير المذاود الموكل بعلف الدواب
امير الحج : وظيفته مرافقة الحجاج وتوزيع الصدقات والهدايا التي ترسل سنويا الى الحرمين الشريفين .
أمين الاحتساب : المسؤول الاول عن التموين والاسعار .
أمين البحر : المشرف على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة عبر الموانئ

أمين الخردة: هو المشرف على جميع الرسوم المفروضة على الملاهي وما اليها.

أمين الشئون: وينتسب الى اوجاق الجاوشان ويطلق عليه ايضا «اسم أمين الانبار» يشرف على شؤون الغلال الاميرية وقد كان الجزء الاكبر من الأراضي يجبى ماله غلالا وكانت له عوائد من نقد وغلال على كل ملتزم يؤدي المال غلالا هذا الى انه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف الغلال من الشئون لمستحقها كيلا اصغر من الوكيل الذي استعمله عند الاستلام من دافعي الضرائب والفرق بين الكيلين له.

الصبرة أهمني: هو مندوب الباب العالي لتسليم الاموال السنوية المفروضة على البلد، ويطلق أيضاً على حامل الأموال الخاصة بالحرمين الشريفين ، حيث ترسل «الصبرة» في موسم الحج سنوياً لشريف مكة.

انخرا اغاسي: صاحب المفتاح

انكشارية: هي الينكجارية اي الجند الجديد وآغا الينكجارية او رئيس وجاق الانكشارية هو رئيس الجنح في الولاية وهو بمثابة الوالي أو المحافظ.

اواس: الاوسية او «الوسية» هي ذلك الجزء من حصة الالتزام الذي لا يوزع على الفلاحين بل يزرعه الملتزم لحسابه وكانت لا تدفع عنها ضريبة بل يخصص ريعها للإنفاق منه على المسافرين والجند وموظفي الحكومة الذين ينزلون ضيوفا على الملتزم.

اوضا باشي: من ضباط الوجاقات وكانت تسميه العامة (في ذلك الوقت) «ابو طبق» لانه كان يلبس فوق رأسه لبادة سوداء كالقبعة ولها حافة تشبه الطبق، والأضباشي هو الحاجب أو البواب.

اوراق جامكية: مرتبات الجند وكانت تمنح لغيرهم كمرتبات خيرية.

اوقاف الدشيشة: الدشيشة: طعام يتخذ من قمح مرضوض والدشيشة الكبرى ترجع الى عهد السلطان قايتباي والدشايش الاخرى ترجع الى العهد العثماني.

أبهتلو: صاحب الابهة.

أتك: ذيل.

الاراضي الخمس: الاراضي التي يجبى ٥% من غلالها.

الاراضي العشر: الاراضي التي يجبى ١٠% من غلالها لقلّة الجهد في زراعتها.

أرطلية: جنود الفرقة.

أرسلان: أسد

أسكي: قديم. أصيل.

اشراقات: الاجراء، الصبيان.

الاصناف: أصحاب الحرف.

أظن: طويل.

آغا آغات الوجاق: كبير ضباط الفرقة.

آغا السراي: شيخ الحرم في المدينة المنورة الذي تعينه الدولة مدى الحياة.

أغوات: ضباط.

اق: أبيض.

اقجة (أخشاية): عملة عثمانية فضية تساوي ربع أو ثلث البارة.

اقينجي: القوات التي تؤلف طلائع الفرسان.

ألاي: فرقة.

الايلي: خارج من الصف.

أمير امراء: باشا بطوخين (من الدرجة الثانية).

أمير الحج: قائده والمشرف على قافلته.

انباشي: عريف .
اوجاق: فرقة من الجند .
أوده: فرقة من الجند .
أوردي: جيش .
أورطة: فرقة من الجند .
أورينك: نموذج .
أوطاق: خيمة فخمة .
أوغلي: ابن .
أولو وزير: الصدر الاعظم ، الوزير الأول (كما كان يدعى في القرن السادس عشر) وهو رئيس الوزراء .
ايچ أوغلان: أسرى الحرب من الغلمان المسيحيين الذين نشأوا في دور الحكومة العثمانية .
ايلاق: عاطل عن العمل .

(ب)

باش: باش و«باشي» — التي تردد كثيرا في بداية بعض اللقالب المركبة او نهايتها . لا علاقة لها بلقب «باشا» فهي لفظ تركي معناه رأس واذا وردت في الاستعمال العربي في اول الكلمة، كتبت «باش» واذا وردت في نهايتها كتبت «باشي» وحيانا تنطق «باشه» .
باشا: الباشا هو وكيل السلطان العثماني في الولاية وكان مقره بالقلعة وكان يعين لسنة قابلة للتجديد ولكن بقاء بعض الباشوات مدد طويلة لتجديدهم مددهم وعزل بعضهم او نقله قبل انقضاء العام جعل متوسط بقاء الواحد منهم في الباشوية نحو سنتين .
ويجب الا يخلط بين لقب «باشا» ولقب «الوالي» فان الوالي في ذلك العهد كان يطلق عادة على رجل وظيفته صيانة الامن في المدينة وما يتعلق بذلك فهو شبيه بقائد الشرطة في ايامنا .
باشا جاجرت: رئيس محجري دفاتر الاراضي .
باشجاويش: رتبة عسكرية قائد فرقة حربية مع ملاحظة ان في عهد محمد علي اصبحت تطلق على كل رئيس مدني او عسكري حتى كانت تطلق على اوائل الطلبة في المدارس .
براني: زيادة خارجة عن المال المطلوب للسلطان عن الاراضي الزراعية .
بشلي: ساعي، رسول
بصاصون: الحرس أو (الحفر)
بطط: اوعية مصنوعة من الجلود لتملأ بالبارود
بلائات: النساء اللاتي يخدمن النساء في الحمامات العامة .
بلكات: الحاميات العسكرية العثمانية
بندقى جنزلي: كانت قيمته اكثر قليلا من مائة بارة والبارة ثلاثة مليمات، أو فلس أو قرش .
بادشاه: أحد القاب السلطان، ويعني السيد الاعظم .
بازرباشي: آغا السوق، المشرف عليه، سيد البازار . أو شيخ السوق .
باش: رئيس، أول .
باش جوقدار: رئيس فتيان القصر .
باش كاتب: رئيس الكتاب، رئيس الديوان .

باش معماري: معلم معمار.
الباشا: الوزير، الوالي، نائب السلطان
باشالق: الولاية.
بشقة: آخر، غير.
بكجي: حارس.
بلطجي: جلاد، سيف.
بلطجية: رسل، مبعوثين.
بلوك: فرقة من الجنود.
بهجتلو: صاحب البهجة.
بورجي: بواق، نافخ في البوق.
بوش: عقيم، عديم الفائدة.
بوماق: المسلم البلغاري.
بيردي (بيور ولدي): الامر السامي.
بيرق: علم، لواء، راية.
بيرق الحرب: العلم الامبراطوري.
بير قدار التفكجية: حامل لواء الرماة.
بيقلي: ابو شنب.
بيكلر بكي: أمير امراء، باشا بطوخين (الرتبة الثانية من رتب الباشوية).

(ت)

تطريدة: تجريدة او حملة من العساكر.
تمكينات: من اهم اصطلاحات ذلك العصر فلا بد من تمكين قديم او جديد واقعي او وهمي لاكتساب حق او الانتفاع بحق.
تربدار (تربي): المشرف على المقبرة أو على الضريح، حفار القبور.
ترسخانة: دار الاسلحة.
ترسيم: احتياط. مراقبة.
تريكي (ترياكلي): المولع بالقهوة أو الشاي أو التدخين.
تسمير: تثبيت اللحم بمسامير غليظة على صفحة خشبية عقابا له وتشهيرا به.
تفكجية: قناصة، رماة، الجنود حملة البنادق.
تقرير ابقاء الباشا: فرمان ابقاء الباشا في ولايته.
تمسكات: سندات.
تنكر: البحر.
توقيع: كتاب من الباشا.
تيمار: اقطاع تعطى للجندي مقابل تقديمه عدداً من فرسان الارض.

(ج)

جاووجان: احمية مهمتها جمع الضرائب
جراكسة: حامية من حاميات البكوات الممالك الجراكسة
جزية: الجزية هي ضريبة كانت مفروضة على الذكور البالغين من اهل الذمة من نصارى ويهود.
جفالك: جمع جفلك اسم يطلق على مقدار جسيم من الاراضي أو الأملاك التي كانت تعطى للأسر الحاكمة من الولاة العثمانيين.
جماكي: جماكي جميع جكية او جامكية وهي كلمة فارسية تعني اصلا المرتب يصرف لشراء اللبس ثم اصبحت في الاصطلاح العثماني المملوكي تعني مرتب الجنود.
جرك البهار: جرك للبضائع الواردة.
جورجي: كان يطلق في الاستعمال العثماني على ضباط الانكشارية وعلى مختاري القرى المتقدمين فيها او بعبارة اخرى على اعيان الجهات وهي رتبة عسكرية تعادل اليوزباشي أي النقيب.
جادر: خيمة
جادرجي: خيمية.
جالق: مضطرب. متقاعد.
جاويش (شاويش): حاجب، الدليل في الحرب، مخبر، رقيب.
جبخانة: ذخيرة، العدد الحربية.
جبه جي: فرقة مصلحي الاسلحة.
جربجي: من اعيان الانكشارية.
الجرده: قافلة تحمل المؤن الى الحجاج وتلقاهم في طريق عودتهم الى دمشق.
جرده جي باشا: قائد الجرده.
جفتلك: مزرعة، اقطاعة.
جفتلي: خادع. غشاش.
جلبي أو (شليبي): سيد.
جنك (شك): ضاحية شمالي الشام خصصت لسكن العسكريين.
الجوخدار: من فتيان القصر، رسول السلطان، مبعوث امير الحج للتبشير بسلامة الحجيج.
جوي: مسمار.

(ح)

حرفوش: احد ابناء البلد جمعها حرافيش
حق طريق: رسم المرور
حلوان: الحلوان هو الرسم الذي تتقاضاه الحكومة لنقل حق او منفعة من شخص الى شخص اخر فحلوان بلاد الاموات مثلاً معناه ان حصص الالتزام التي يموت ملتزموها — فتصبح بذلك بلاد اموات — يستطيع ورثة هؤلاء الملتزمين نقلها الى انفسهم بشرط تأدية الحلوان فهو في هذه الحالة بمثابة رسم التسجيل.
حمامجي اوغلي: المختص بالحمام
حرق الخشبة: دلالة النقمة على شخص ما والانتقاص من اعتباره.
حكمدار: حاكم، قائد الشرطة، محافظ.
هاميلي: حجاب.

(خ)

خازندار: أمين الخزانة وظيفته حمل الخراج سنويا الى استانبول.

خاصكية: حرس الباشا

خرقة: رسوم مفروضة على الملاهي والنساء «العوالم والحواء ومن يماثلهم»

خزانة او خزينه: هي مقدار ما يبقى مما يجبي من ضرائب بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه و يرسل هذا الباقي لعاصمة الدولة.

ولم يكن ما تحويه «الخزنة» مبلغا ثابتا فأن الحكومة العثمانية كانت تأمر احيانا بأن تخصم منه نفقة اضافة و احيانا كان الباشا يخصم من الخزنة لتسديد عجز في بعض الابواب المقررة ولواجهة طلب استثنائي.

وكانت ترسل الى استانبول في احتفال كبير وفي الايام السابقة للفتح الفرنسي لمصر كانت ايدي الممالك قد بدأت تمتد الى مال الخزنة ثم اصبحوا يرسلونها مرة ولا يرسلونها مرة اخرى على حسب اهوائهم معتذرين بمختلف الاعدار. وقال قال الجبرتي عن الخزنة التي ارسلت في سنة ١١٨٠ هـ (...) وهي اخر خزينه رأيناها سافرت الى اسلامبول على الوضع القديم».

وقد تطلق «الخوانة» ايضا او «البسرة» على المال الذي كان يرسل مع امير الحج الى الحرمين، ولم تسلم هذه الخزنة ايضا من ايدي بعض الأمراء.

خداش: او خوشداس او خجداس او نوجداس معرب اللفظ الفارسي هو اجاناش ومعناه. الزميل في الخدمة او الزميل في الرق. وخوش اي السرور والخشداشية في اصطلاح عصر الممالك هم الممالك الذين نشأوا عند استاذ واحد.

خاتون: سيدة.

خاقان: سلطان

خرج: زنار. صرف.

خرم: سعيد. مسرور.

خزانة: الأموال التي ترسلها للخزينة السلطانية.

خزندار: أمين الصندوق، أمين الخزينة.

خزينة الوجاق: صندوق الفرقة.

خستخانه: مستشفى.

خط شريف: فرمان يحمل إسم السلطان أو خطة، مرسوم، قانون، قرار.

(د)

دفتر دار: المشرف على الشؤون المالية. وكان عادة من الصناجق من امراء الممالك المصريين وعليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ امر بيع عقار الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله في دفاتره وعليه الحضور في كل ديوان لتحويل الامور الميرية بموجب دفتر الروزنامجي وله عوائد على طرف الميري وعلى طرف الباشا وعلى حلوان بلاد الاموات عن كل كيس حلوان الفضة وله فراوي على الباشا في اربعة اوقات: حين قدومه وحين عزله وفي وقت تحصيل مال الصره الشريفه وفي وقت تشهيل الخزنة وفورة على امير الحج وقت التسليم (أي وقت تسليم امير الحج الصرة) ويساعده جماعة من الموظفين ويشد ازره حرسه الخاص وواجاق الانكشارية من الحامية العثمانية.

دلالة: او دولاتيه: جمع ديلي وهي كلمة تركية معناها المجنون واطلقت كلمة دلالة او دالاتية (جند من اكراد سوريا) على هذا الجيش لشهرة رجاله بالتهور في البسالة.

دونامة همانيون: الاسطول العثماني

ديوان: مجلس شورى الباشا يتألف الديوان من ضباط الفرق (الوجاقية)، والدفتر دار والخازندار والروزنامجي. ولهذا الديوان سلطة كبيرة في ادارة الحكومة لان الباشا (الوالي) لا يستطيع ان يبرم امرا الا بموافقة اعضائه واذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البت فيه الى ان يرفع الى الاستانة ولهم ان يطلبوا عزله. فكانت سلطة ديوان الفرق بمثابة رقابه واشراف على سلطة الوالي.

ديوان افندي: وصحتها ديوان افنديسي وهو سكرتير الديوان او رئيس كتابه. **ديوان صغير:** او الديوان فقط، ويتألف من كتخدا (نائب الباشا) والدفتر دار والروزنامجي، ومندوب عن كل وجاق والاغا (الرئيس) وكبار الضباط من وجاق المتفرقة ووجاق الشاويشيه ويتعقد كل يوم في قصر الوالي وينظر فيما يحتاج اليه البلاد، وكان الباشا يبلغ امره للديوان الكبير بواسطة كتخداته (نائبه) وعليه تنفيذ قرارات الديوانين وكان يحضر الجلسات دون ان يشترك في المداولات.

دق الزغل في المعاملة: زيف العملة. سك النقد الزائف.

الدلال: المنادي.

الدورة: جولة سنوية للباشا بمناطق عجلون و نابلس تأمينا للحج.

الدوسة: احتفال يقيمها اصحاب الطريقة السعدية بمناسبة المولد النبوي، عند الشدة، يدوس فيه شيخ الطريقة المنبطحين على الأرض بجواده دون ان يصيبهم أذى.

الدوشمان: العدو.

دولتلو: صاحب الدولة.

دوناغة: اسطول.

ديوشيرمة: ضريبة الغلمان

(ر)

رزق: جمع رزقه. وهي الارض التي كان ينعم بها السلاطين على بعض الناس يتصرفون فيها كيف شاءوا وهذه الاراضي معفاة من الضرائب ولذلك تسمى «ارض رزقة بلامال» وكانت ادارة الرزقة تعطي المنعم عليه بمثل هذه الاراضي «تقسيطا» او سندا للتمليك يخوله ملكها ملكا مطلقا مع حقه في التصرف فيها.

رفع المظالم: استبعاد سبب الشكاوي

رميله: ميدان أو ساحة ويسمى المنشية أحيانا.

روزنامجي: وظيفته ادارة الخراج (ضرائب الاطيان او اموال الميري) وضبط حساباته

روزنامه: فارسية الاصل معناها التقويم ويطلق اسم الروزنامه على مكتب الحسابات العامة لتقيد الدخل والمنصرف ويعرف باسم «باش قلم» اي المكتب الرئيسي «وميزان» او ميزانية ويجري به رسم الحالة المالية مرة في كل عام في «خلاصة اجمالية»، والروزنامجي هو المحاسب.

رولك: اي مساحة الاراضي ومراجعة مكلفاتها القديمة وفحص حاصلات الاراضي وتوزيعها وربط زمامها.

رصد خانة: مرصد، مرقب.

رفعنلو: صاحب الرفعة.

الركب الحلبي: الحج الحلبي.

(ز)

زادة: ابن

زرباوات: اشقياء.

زردخانه: مستودع الاسلحة.

زلفة: عملة مغشوشة (٣٠ بارة).

(س)

سر عسكر: قائد الجيش .
سدادره: الرؤساء
بكباشي: مقدم .
سردار: نائب السلطة الذي في يده سر الدار الذي يحل محل الباشا اثناء غيابه، قائد الجند .
سفاشية: جنود الخياله
سلحدار: حافظ السلاح
سماط: الوليمة (العزومة)
سباهية: فرسان الباب العالي من المرتزة .
ستخم وجه بالسواد: طلى وجهه بالسواد .
سرجي: ناقل البريد .
سر طبيب: رئيس الاطباء .
سر معمار: المعلم المعمار .
سعادتلو: صاحب السعادة .
سلحور سلاحشور: مبعوث السلطان .
سلملك: بهو الاستقبال، مضافة .
السليمانية: من رتب العلماء الاترك الرفيعة .
السمرم: طير يفتك بالجراد .
سيران: نزهة .

(ش)

شنك: صواريخ، او مدافع تطلق للابتهاج او للتحية .
الشاشية: ضريبة على الحرف .
شحنة: جوع .
شرجية: من اكابر الانكشارية .
شثمان: سمين .
شاهشوار (أو شاهشوار): ماهر . جريء .
شوشرة: اضطراب . حيرة .

(ص)

صرة: المال المرسل للحرمين او الى الاستانة
صناجق: الصنجق أو السنجق او السنجاق كلمة تركية ومعناها العلم او اللواء . وقد اصبحت تطلق على القسم من الولاية . ولا يزال مرادفها في العربية — وهو اللواء «يطلق على المعنى نفسه في بعض الاقطار العربية» .
والصنجق ايضا هو الحاكم على هذا الجزء من الولاية .
وقد تكون «الصنجقية» ايضا مجرد رتبة دون ان يكون حاملها حاكما لصنجقية فرتبة «صنجق طبلخانة» مثلا كانت تكسب صاحبها الحق في ان يدق له الطبل وغيره من الالات الموسيقية عند قدومه .

وكان عدد صنّاجق البلاد اول الامر اربعة وعشرين ثم احتفظت الدولة العثمانية لنفسها بالحق في اعطاء هذه الرتبة كما احتفظت بالحق في تعيين صنّاجق الثغور المهمة .
أما التعيين للصنّجقيات الباقية فكان يحدث تبعا لقوة المتنافسين عليها فكان صاحب النفوذ يسعى لجعل الصنّاجق من تابعيته او ممتلكاته .
صاحب العرض: المسالم الذي يحافظ على الشرف .
الصدر الاعظم: الوزير الاول ، رئيس الوزراء .
صنّجق الخزينة: قائد الجند الذين يحافظون على الخزينة .
صندوق أميني: أمين الصندوق .
صوباشي: ضابط أمن . رئيس فرقة من السباهية .
صنّجقة: أقليم ، مديرية أو محافظة .
وكان على الصنّاجق « مال ميري » يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

(ض)

ضربخانة: دار الضرب التي تسك فيها النقود .

(ط)

ططرى: ساع ، رسول أو ساع ويبيده رسالة .
طابور: كتيبة . فرقة .
طبنجة: غدارة .
الطلعة: خروج محمل الحج .
الطواشي: خادم الحريم بسراي الباشا .
الطواشية: الخصيان .
طوب: مدفع .
طوبال: اعرج .
طوبجي: مدفعي .
طوخ: شعرة من حصان تدل على رتبة الباشوية (يقال: باشا بطوخ، باشا بطوخين، باشا بثلاثة أطواخ أما السلطان فله سبعة أطواخ) .

(ع)

عرضي: مأخوذة من التركية « اوردو » ومعناها الجيش أو الفيلق وتؤدي معنى المعسكر .
عزبان: طائفة كانوا في الأصل من جند البحر من حملة البنادق .
عوائد: لم تكن من الضروري ان تدفع الحكومة في ذلك العهد للموظف مرتباً ثابتاً شاملاً كما هو الحال الآن بل ترتب له «عوائد» على أبواب مختلفة من دخل وظيفته او تعطيه حق فرض رسوم يجبيها لنفسه من اصحاب المصالح الذين ينجز لهم عملاً وهكذا او قد تدفع له مرتباً وتبيح له ان يضيف اليه «عوائد» تقررها له .

وكانت الحكومة اذ ذاك تفرض على بعض أصحاب المناصب ان يؤدوا لها مالاً سنوياً نظير تمتعهم بعوائد مناصبهم وهو ما كان يسمى «ميري الوظائف» .

ولم تكن هذه «العوائد» مقصورة على صغار الموظفين بل ان «الباشا» نفسه كانت له عوائد منها مثلاً : اربعمائة فضة على كل فرق بن مستورد والفضة كانت مسكوكات دقيقة من الفضة او النحاس يطلق على الواحدة منها «نصف» او «نصف فضة» . و«الفرق» هو الزنبيل الذي يسع نحو ثلاثة قناطير ونصف قنطار من البن .

عراضة : مؤكب .

عربي كاتبي : الكاتب باللغة العربية .

العرض : ضريبة على الحرف .

عرض أوردو : مسكر . مركز .

العلايف : المعاشات .

(غ)

غز : يقصد بهم المالك

(ف)

فائض الالتزام : هو الفرق بين ما يدفعه الفلاح للملتزم وبين ما يورده الملتزم لخزينة الروزنامه .

فردة : ضريبة استثنائية .

فرضة : ضريبة الرؤوس .

فرمان : الأمر العالي يصدر من السلطان .

(ق)

قاضي : كان القاضي هو النائب عن السلطان في الأحكام الشرعية وكان يحضر كل عام من استانبول الى الولايات وكانت وظيفته ان يحكم بين الناس بالوجه الشرعي وله الختم والعلامة على جميع التمكينات مثل الحجج والتقارير وما اليها وله عوائد معلومة على جميع الأوقاف وعلى جميع التمكينات التي يقع فيها البيع والشراء .

وكان من تحت يده محاكم في مختلف الجهات بها قضاء وكل محكمة فيها سجل للقيود ويعرض على القاضي التركي ما يقيد بالسجلات شهراً شهراً ويعلم عليه بالعلامة والختم وكان لهؤلاء القضاة عوائد على الناس بحسب الوقائع والبيع والشراء والقاضي التركي له عوائد على القضاة المذكورين في كل شهر .

وبقي الأمر كذلك في مصر الى وقت الاحتلال الفرنسي حين عهد الفرنسيون الى عالم مصري — هو الشيخ العريشي — رئاسة القضاء . وبعد جلاء الفرنسيين عاد الأمر الى ما كان عليه واستمر كذلك الى ان انقطعت علاقة مصر بتركيا في سنة ١٩١٤ عند قيام الحرب العالمية الاولى .

قابجية : سعاة

قائم مقام : لقب شيخ البلد وهو الاستعمال الاصطلاحي وتستعمل قائم مقام ايضاً في معناها الأصلي لكل من يقوم مقام احد كقائم مقام الباشا ، الباشا مثلاً لن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشوية خالية .

قبودان : قائد البحرية

قربانسة : البندقية

قشلة : المستشفى أو المصحّة
قلبى : غطاء للرأس من الفرو أو القطيفة كان يلبسه أهل القوقاز.
قلقى : مركز العسكر أو ما نسميه : مخفر الشرطة ، ويطلق على المخفر أو ضابطه أو أحد رجاله .
قليونجية : البحرية
قناطيس : نوع من الملابس .
قنجة : مركب .
قواسة : الحرس
قولاته : غطاء للرأس .
قاجي (أو قيجي) : بواب السلطان (اصبح فيما بعد مجرد لقب) .
قادين : سيدة .
قانون نامه : التشريع الذي وضعه سليمان القانوني محاولا وضع حد للمساويء السابقة .
قجيجي : بواب دائرة في قصر السلطان .
قجيجي التقرير : حامل فرمان السلطان بتقرير الولاية .
قيلان : نمر
قبودان باشا : أمير البحر .
قبة وزيرلري : وزراء القبة ، الذين يجلسون مع الصدر الاعظم تحت قبة واحدة . ولهم سلطة استشارية .
قبوقول : جند الدولة الذين يرسلهم السلطان الى الولايات .
قراجا : قليل السواد . غزال .
قردحجيجي : صانع الاسلحة .
قرة : اسود .
القسطلار (قزلى اغاسي) : خصي كان يشرف على حرم السلطان .
قشلة وقشلان : ثكنة عسكرية .
القفادار : الموظف الذي يسير خلف قافلة الحج .
قفطنجيجي السلطان : حامل خلع السلطان .
قلبى : لباس رأس .
قناق : مضافة ، فندق المسافرين .
قيللي : ذو قيلة . أو : كثير الشعر .

(ك)

كاشف : هو بمثابة المدير اليوم اذا كان يحكم المديرية كلها وبمثابة وكيل المديرية او مأمور المركز اذا كان يحكم جزء منها .
وكلمة كاشف مأخوذة من فعل كشف لأن الأصل في وظيفة الكشاف ان يكشفوا أحوال المديرية ولما اتسعت سلطتهم وصار اليهم الحكم وأخذوا المديرية التزاماً بقي الاسم القديم ملازماً لهم وصار الكاشف يحكم المديرية او جزءاً منها باسم البك .
كبكة : جلبة الخيل في السير .
كتخذنا : هو الوكيل عن الباشا ويعينه السلطان برتبة صنجق ويتغير بتغير الباشوات وقد حرفه الاستعمال الى « كخيا » .

كتخدا مستحفظان: وكيل محافظة .

كخيا: محرفة من كلمة كتخدا .

كرنكه: الاختفاء خلف المتاريس

كرنتينه: حجر صحي

كيس: يساوي ٥٠٠ قرش من عملة ذلك العصر او ٢٥ ألف نصف فضة .

كتّاب: حامل بريد الحجاج الى اقبائهم .

كتبخانة: دار الكتب .

كرخنجي: صاحب معمل أو مصنع .

كور: أعور .

كول: مملوك .

(ل)

لك: مائة ألف فرنك أو قرش أو فلس أو مليم .

لاوند: طائفة من الجنود (جنود قدماء متطوعين) .

لعل: ياقوت أحمر .

لغمجية: واضعوا الألغام .

لومان: سجن . حبس .

(م)

مال حلوان: رسم تسجيل .

مال الكشوفية: هي نفقات الإدارة المحلية

مال حر: وهو مجموع ضريبة الخراج وضريبة الكشوفية والفائض وهو المقرر أصلا على الأملاك والضرائب القانونية يدفعها

الفلاحون للملتزمين وهؤلاء يدفعون الميري والكشوفية وما بقي هو لهم .

مال ميري: أو «الميري» فقط: ضريبة الخراج وهي المخصصة أصلا للسلطان وضريبة الكشوفية وهي مخصصة للبك أو

الكاشف حاكم المديرية .

متفرقة: في الأصل التركي القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات ومهمتهم حفظ القلاع الخارجية .

محتسب: أو أمين الاحتساب: وظيفته مراقبة الأسواق والتفتيش على الباعة والتجار لمنع وقوع الغش في المعاملات .

وكان المحتسب من الجاوشية، أي لم يكن من المتفقهين في الدين كما هو الأصل في الحسبة كما عرفها الصدر

الأول من الإسلام .

محلل: من الاصطلاحات الهامة في ذلك العهد تطلق على حصة الالتزام وعلى الوظيفة إذا مات صاحبها فيعيد منحهما

من جديد نظير الحلوان .

محملدارية: الإدارة الحكومية المختصة بالمحمل (دار الكسوة) . وهي الإدارة التي كانت تهنيء المحمل وكسوة الكعبة في

موسم الحج .

مرابط: كثيرة الذبوع عند المغاربة وتطلق على الأولياء الصالحين والشيخو المجاهدين وقد قامت لهم دولة بالغرب

«دولة المرابطين» .

مزاريق: الرماح .

مشايخ البلد : العمد : ولشيخ البلد لقب كان يعطى لكبير الممالك في ذلك العصر في ابان سطوتهم هو بمثابة أمير قصر أو مختار القرية أو الحي .

مشد : خدام (خفير) تحت يد قائمقام وهو الذي يحضر الفلاحين الى الديوان في وقت طلب المال وعليه القيام بأعمال الخدمة .

مصالحات : دفع الناس بدل الشيء أموالاً .

مضاف : زيادة ثانية على المال الميري . وكان تحصيله على موسمين ، صيفي وشتوي .

مضرب النشاب : مكان الرماية وفي حي « جاردن سيتي » بالقاهرة شارع لا يزال يحمل هذا الاسم .

مكتوبجي : الذي يحمل الرسالة .

مكوس : ضريبة الجمارك .

ملتزمون : الملاك الذين يأخذون القرى « التزاما » ويتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه على ان يتكلفوا للحكومة بدفع نصيبها من الضرائب .

مملوك : اسم مفعول من ملك ومعناه المقتنى ملكا اي الرقيق على انه يجب التمييز بين هذا النوع من الممالك الذين يتخذهم « استاذهم » جندا وبين خدم المنازل الذين يسمون عبيداً .

مهاجرة : المهاترة جمع مهتر و« المهتر » في اللغة التركية هو رجل الموسيقى . ويضرب المهاترة النوبة — اي يعزفون على الآتهم الموسيقية — في أوقات معينة كضرب النوبة عند شروق الشمس او غروبها مثلاً .

مهردار : حامل خاتم الباشا .

مهم : حفلة .

موسقو : أي الروس (موسكو) .

ميري مال الكشوفية : هو ما يدفعه الكشاف للحكومة .

ماونة : دوارع بحرية ثقيلة .

متسلم : وكيل الباشا في ادارة الولاية .

مرزا (أو ميرزا) : ابن الأمير .

المزيرباتية : العائدون من المزيريب (قرية جنوب سوريا) بعد وداع الحجاج .

مزدجي باشي : حامل البشرى للسلطان بسلامة الحج .

المشطجي : دليل أمين الصرة في قافلة الحج .

المشيخة : ضريبة على الحرف .

مصرية : (ج : مصاري) نقود (أصلها عملة نحاسية كانت تستعمل في مصر) .

معمار باشي : معلم معمار .

منلا : عالم ، سيد (أصلها العربي مولى) .

مهردار : حامل الاختام .

مولوخانة : مكان المولوية (فرقة صوفية) .

(ن)

نجاب : حامل الخبر .

نقاير : طبل .

نوبة : يقال يضربون النوبة : اي يعزفون على الآلات الموسيقية في وقت معين .

والي : كان الوالي أو « الباشا » هو نائب السلطان في حكم البلاد فكان يمثله ويبلغ أوامره لرجال الحكومة ويراقب تنفيذها وله الرئاسة على عمالها على ان سلطته محدودة مقيدة . . ذلك ان السلطان سليم خشي لتباعد الولايات عن مركز .

السلطنة ان يطمع ولانها الى الاستقلال بها والخروج على حكومة الاستانة فجعل مدة الوالي سنة واحدة تنتهي ولايته
بنهايتها ما لم يصدر «فرمان» بتجديدها .

أما اذا اطلق لفظ «الوالي» على حاكم اية جهة من الجهات فكان يقصد به وظيفة قريبة من وظيفة «المحافظ»
في ايامنا . وكان الولاة تحت رياسة آغا الانكشارية ثم أصبحت لبعضهم رياسة على زملائهم وكان لهم مرتب ثابت في
الميزانية ، وكان يقوم ايضا بوظيفة حاجب الديوان . الناصري .
نائب حلب : وكيل الحاكم فيها .
نشانجي : صاحب التوقيع ، القيم على خاتم السلطان .
نعلبند : البيطار .
نوبجي : موسيقى . حرس .

(و)

أوجاقات : الوجاق في الاستعمال العربي الدارج هو الموقد وقد كان يطلق «الوجاق» او «الاجاق» على الطائفة
من الجند . وكان يقال للجندي «وجاقي» ويجمع على «وجاقلية» .
وقسف : يشمل الاملاك المحبوسة أصلا على المساجد وأعمال البر والخير وقد انتشر الوقف في العصر العثماني لأنه
كان الوسيلة التي يأمن بها الملاك على املامكهم من عسف الممالك فعمدوا الى الوقف يحبسونه على جهة من جهات
البر والاحسان ويجعلون لابنائهم او من يوصون اليهم من ذوي نسب أو صلة أو خدمة حق الانتفاع بالارض بعد وفاتهم
فيجد الموقوف عليهم من ريعها غلة ثابتة لا تمتد اليها مطامع الممالك بالسلب والاعتصاب .

وكيل خرج : المشرف على الصرف .

ويركو : ضريبة ، خراج ، أتاة .

وينوق : الفرقة التي تحمل الارزاق والمؤن للجيش .

(ي)

يسق : مكان الاعتقال . أو المنع ، أو ممنوع .

ينكجربة : هي طائفة من الجند تسمى أحيانا بالانكشارية ، وتكتب (يكي جري) . وهي بمعنى القوة الجديدة .

يازجي : كاتب .

ياور : مرافق ، معاون .

ياياباشي : رئيس الجند المشاة .

يدي قوله : خزانة الابراج السبعة (بيت مال السلطان) .

اليرلية : الجند المحلية (الانكشارية) .

يسقجي : خفير ، جلواز .

يشمك : لثام .

يطلقان : ساطور . سيف .

يغما : غش ، مكر ، خداع ، فوضى .

يغنيش : غنيمة باردة ، نهب ، سلب خطأ .

يكي جري (تقرأ : يني جري) : القوة الجديدة .

اليمق : اصحاب الحرف الملتحقون بالجندية الذي يساعدون الانكشارية في الدفاع والحراسة .

يكنخانة : مطعم .

ولاية الشام في العصر العثماني

من ١٥١٧ - ١٩١٨ م

الاسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
بهرام باشا	١٥٨١	٧ ٠
حسين باشا	١٥٨١	٧ ٠
حسن باشا (مرة ثانية)	١٥٨٢	٤ ١
سليمان باشا	١٥٨٣	١ ٠
أويس باشا	١٥٨٣	٠ ١
محمد باشا	١٥٨٤	١ ٠
أويس باشا (مرة ثانية)	١٥٨٤	٠ ١
علي باشا	١٥٨٥	٧ ٠
جامورجي محمد باشا	١٥٨٥	٤ ٠
علي باشا (مرة ثانية)	١٥٨٥	٤ ٠
سنان باشا	١٥٨٦	٧ ١
حسن باشا (مرة ثالثة)	١٥٨٨	٤ ١
مصطفى باشا	١٥٩٠	٧ ٠
محمد باشا ابن سنان	١٥٩١	٦ ١
خليل باشا	١٥٩٢	٣ ١
محمد باشا ساطرجي	١٥٩٣	٧ ٠
علي باشا بستانجي	١٥٩٣	١٠ ٠
مراد باشا	١٥٩٣	١ ١
خسرو باشا الخادم	١٥٩٤	٨ ٠
مراد باشا (مرة ثانية)	١٥٩٤	٧ ٠
خسرو باشا (مرة ثانية)	١٥٩٥	٤ ١
مصطفى باشا	١٥٩٦	٠ ١
سنان باشا ابن جفال	١٥٩٧	٨ ٠
أحمد باشا	١٥٩٧	١ ١
خسرو باشا (مرة ثالثة)	١٥٩٨	٦ ٠
شريف محمد باشا	١٥٩٨	٤ ١
محمود باشا بن سنان باشا	١٥٩٩	١ ١
عثمان باشا	١٦٠١	١١ ٠
بستانجي فرهاد باشا	١٦٠٢	١٠ ٠
مصطفى باشا بن راضية خاتون	١٦٠٣	٠ ٠

الإسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
جان بردي الغزالي	١٥١٧	٠ ٣
اياس باشا	١٥٢٠	٩ ٠
فرهاد باشا	١٥٢٣	٠ ٣
خرم باشا	١٥٢٤	٩ ١
طواشي سليمان باشا	١٥٢٥	١ ١
لطفي باشا	١٥٢٦	٦ ٤
عيسى باشا الفنري	١٥٣٠	٦ ٢
مصطفى باشا	١٥٣٢	٨ ١
لطفي باشا (مرة ثانية)	١٥٣٣	٢ ١
عيسى باشا (مرة ثانية)	١٥٣٥	٠ ١
محمد باشا (كوزلجة)	١٥٣٦	٩ ٠
سليمان باشا طوبال	١٥٣٧	٧ ٠
أحمد باشا وزير	١٥٣٧	٢ ٢
خسرو باشا	١٥٣٩	١ ١
عيسى باشا (مرة ثالثة)	١٥٤٠	٠ ٤
بيري باشا	١٥٤٣	٠ ٢
سنان باشا	١٥٤٥	٠ ٤
بيري باشا (مرة ثانية)	١٥٥٠	٥ ١
محمد باشا	١٥٥١	٧ ٣
شمسي أحمد باشا	١٥٥٤	٧ ٦
خضر باشا	١٥٦٠	١ ١
بكليون علي باشا	١٥٦١	١١ ٠
خسرو باشا (مرة ثانية)	١٥٦٢	٠ ١
لالا مصطفى باشا	١٥٦٣	٠ ٥
مراد باشا	١٥٦٩	١ ١
بكليون علي باشا (مرة ثانية)	١٥٧٠	٠ ١
حاجي أحمد باشا	١٥٧١	٠ ١
درويش باشا	١٥٧٢	٧ ٣
لالا جعفر باشا	١٥٧٥	١١ ١
حسن باشا	١٥٧٧	٥ ٤

(المدة)		تاريخ التعيين	الاسم
سنة	شهر		
١	١	١٦٤٧	محرم باشا
٠	١	١٦٤٨	محمد باشا كوبرولو
٠	١	١٦٤٩	محمد باشا
٥	٠	١٦٥٠	مرتضى باشا سلحدار
٥	٠	١٦٥٠	مرتضى باشا سلحدار
٠	٢	١٦٥٠	مصطفى باشا سيواسلي
٠	٢	١٦٥٢	آق محمد باشا
٠	٢	١٦٥٤	محمد باشا بن الدفتردار
٠	١	١٦٥٦	غازي باشا شمشور
٠	١	١٦٥٧	محمد باشا وزير أعظم
٤	٠	١٦٥٨	مرتضى باشا سلحدار (مرة ثانية)
٠	٢	١٦٥٨	أحمد باشا الطيار
٠	١	١٦٦٠	قدري باشا
٠	١	١٦٦١	مصطفى باشا
٠	١	١٦٦٢	أحمد باشا كوبرولو
٠	١	١٦٦٣	سليمان باشا
٠	٢	١٦٦٤	مصطفى باشا قلبه لي
٠	١	١٦٦٦	صالح باشا الوزير
٠	١	١٦٦٧	مصطفى باشا قبلان
٧	٠	١٦٦٨	مصطفى باشا فراري
٠	١	١٦٦٨	محمد باشا الجاويش
٠	٣	١٦٦٩	شيطان ابراهيم باشا
٠	١	١٦٧١	حسين باشا الاصفر
٠	١	١٦٧٢	محمد باشا الأسود
٠	١	١٦٧٣	ابراهيم باشا شيشمان
٠	٣	١٦٧٤	كور حسين باشا
٠	٢	١٦٧٧	عثمان باشا
٠	٥	١٦٧٩	حسين باشا الاصفر
٠	٢	١٦٨٤	عثمان باشا (مرة ثانية)
٠	٢	١٦٨٦	قبلان باشا
٠	١	١٦٨٧	صالح باشا بن دويعر
٠	٢	١٦٨٨	حمزة باشا
٠	١	١٦٨٩	أحمد باشا سلط
٠	١	١٦٩٠	مرتضى باشا
٠	١	١٦٩١	محمد باشا كورجي

(المدة)		تاريخ التعيين	الاسم
سنة	شهر		
٠	٥	١٦٠٣	محمود باشا (مرة ثانية)
١	٠	١٦٠٣	عثمان باشا (مرة ثانية)
٢	١	١٦٠٤	محمد علي باشا جنبلات
٣	٠	١٦٠٥	سنان باشا التلکي
٠	٦	١٦٠٦	أحمد باشا الحافظ
٦	٢	١٦١٣	محمد باشا جركس
٦	٠	١٦١٥	محمد باشا جوندار
٦	٠	١٦١٦	أحمد باشا (من مصر)
٦	٠	١٦١٧	مصطفى باشا (من بغداد)
٠	٢	١٦١٧	سليمان باشا وزير
٠	١	١٦١٩	مرتضى باشا الوزير
٠	١	١٦٢٠	محمد باشا
٠	١	١٦٢٢	مصطفى باشا (مرة ثانية)
٠	١	١٦٢٣	نيكده لي مصطفى باشا
٠	١	١٦٢٤	محمد باشا كورجي
٠	١	١٦٢٥	محمد باشا طيار
٠	٣	١٦٢٧	أحمد باشا الكجك
٠	١	١٦٣٠	مصطفى باشا آغا الانكشارية
٣	٠	١٦٣١	سليمان باشا عردار
٣	٠	١٦٣٢	يوسف باشا
٠	٢	١٦٣٢	أحمد باشا الكجك (مرة ثانية)
٠	١	١٦٣٤	مصطفى باشا سلحدار
٠	١	١٦٣٥	أحمد باشا الكجك (مرة ثالثة)
٠	٢	١٦٣٦	درويش محمد باشا
٠	١	١٦٣٨	مصطفى باشا آغا الانكشارية (مرة ثانية)
٠	١	١٦٣٩	عثمان باشا جفتلي
٠	١	١٦٤٠	محمد باشا الحافظ
٠	١	١٦٤١	أحمد باشا السروجي
٠	١	١٦٤٢	ملك أحمد باشا
٠	٠	١٦٤٣	حراد محمد باشا
٠	١	١٦٤٣	يوسف باشا سلحدار
٠	١	١٦٤٤	محمد باشا كورجي
٠	١	١٦٤٥	ابراهيم باشا
٠	١	١٦٤٦	محمد باشا كورجي (مرة ثانية)

الاسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
اسماعيل باشا	١٦٩٢	٢
عثمان باشا سلحدار	١٦٩٤	٢
بيقلي مصطفى باشا	١٦٩٧	١
أحمد باشا	١٦٩٨	٢
حاجي قران حسن باشا	١٧٠٠	١
حسن باشا سلحدار	١٧٠١	١
أرسلان باشا	١٧٠٢	١
محمد باشا كردبيرام	١٧٠٣	١
أرسلان باشا (مرة ثانية)	١٧٠٤	١
قوة حسين باشا الفرادي	١٧٠٥	١
كردزاده بيرام باشا	١٧٠٦	١
سليمان باشا بلطه جي	١٧٠٧	١
حسين باشا حلبي	١٧٠٨	١
عثمان نصوح باشا	١٧٠٩	٥
محمد باشا جركس	١٧١٤	١
يوسف باشا طوبال	١٧١٥	١
ابراهيم باشا قبودان	١٧١٦	١
عبدالله باشا كوبروللو	١٧١٧	١
رجب باشا	١٧١٨	١
عثمان باشا أبو طوق	١٧١٩	١
عثمان باشا كتخدا	١٧٢٠	٣
عثمان باشا معتوق	١٧٢٢	١
عثمان باشا أبو طوق (مرة ثانية)	١٧٢٣	٢
اسماعيل باشا العظم	١٧٢٥	٦
عبدالله باشا الايديني	١٧٣١	٣
سليمان باشا العظم (مرة ثانية)	١٧٣٤	٥
حسين باشا	١٧٣٩	١
عثمان باشا محصل	١٧٤٠	١
علي باشا بن عبيدي باشا	١٧٤١	١
سليمان باشا (مرة ثانية)	١٧٤١	١
سليمان باشا (مرة ثالثة)	١٧٤٢	١
أسعد باشا العظم	١٧٤٣	١٤
حسين باشا مكلي	١٧٥٧	١
عبدالله باشا جتجي	١٧٥٨	٢
محمد باشا جالق	١٧٦٠	١
عثمان باشا الصادق	١٧٦١	١٠

الاسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
محمد باشا العظم	١٧٧١	١
بستانجي حافظ مصطفى باشا	١٧٧٢	١
محمد باشا العظم (مرة ثانية)	١٧٨٣	١٠
محمد باشا بن عثمان باشا	١٧٨٣	٢
درويش باشا بن عثمان باشا	١٧٨٣	١
أحمد باشا الجزار	١٧٨٥	٢
حسين باشا البطال	١٧٨٧	١
ابراهيم باشا الدلا تي	١٧٨٨	٤
أحمد باشا الجزار (مرة ثانية)	١٧٩١	٥
عبدالله باشا العظم	١٧٩٦	٣
ابراهيم باشا القطر آغاسي الحلبي	١٧٩٨	٣
أحمد باشا الجزار (مرة ثالثة)	١٧٩٩	١
عبدالله باشا العظم (مرة ثانية)	١٨٠٠	٤
أحمد الجزار (مرة رابعة)	١٨٠٣	١
ابراهيم باشا القطر آغاسي (مرة ثانية)	١٨٠٤	١
عبدالله باشا العظم (مرة ثالثة)	١٨٠٦	٢
كنج يوسف باشا	١٨٠٨	٢
سليمان باشا	١٨١٠	٢
سليمان باشا سلحدار	١٨١٢	٢
علي باشا روملي	١٨١٥	٣
علي باشا الحافظ	١٨١٦	٤
مصطفى باشا شيشمان	١٨٢٠	٣
صالح باشا معدنلي	١٨٢٠	٠
صدر أسبق درویش باشا	١٨٢٠	٣
صدر أسبق صالح باشا	١٨٢٣	١
مصطفى باشا بيلاني	١٨٢٤	٢
ولي الدين باشا	١٨٢٦	٢
صالح باشا (مرة ثانية)	١٨٢٧	١
عبدالرؤوف باشا	١٨٢٨	٢
سليم باشا	١٨٣٠	١
حاجي علي باشا	١٨٣١	٠
ابراهيم باشا المصري	١٨٣١	٩
حاجي علي باشا (مرة ثانية)	١٨٤٠	١
نجيب باشا	١٨٤٠	١
أحمد باشا	١٨٤١	٣
علي رضا با بغدادي	١٨٤٢	٣

الاسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
عبد اللطيف صبحي باشا	١٨٧١	١ ٣
محمد حالت باشا	١٨٧٢	١ ٧
أسعد باشا العظم	١٨٧٤	٠ ٥
أحمد حمدي باشا	١٨٧٥	١ ٤
راشد باشا الناشد	١٨٧٦	٠ ٨
ضيا باشا	١٨٧٦	٠ ٤
عمر فوزي باشا	١٨٧٧	٠ ٨
أحمد جودت باشا	١٨٧٨	٠ ٩
صدر أسبق مدحت باشا	١٨٧٩	١ ٨
أحمد حمدي باشا (مرة ثانية)	١٨٨٠	٥ ٠
راشد باشا ناشد	١٨٨٥	٢ ٥
نظيف باشا	١٨٨٧	١ ٨
مصطفى عاصم باشا	١٨٨٩	١ ٩
عثمان نوري باشا	١٨٩٠	٠ ٦
اسماعيل كمال بك (بالوكالة)	١٨٩١	٠ ١
رؤوف باشا	١٨٩١	٢ ٠
عثمان نوري باشا (مرة ثانية)	١٨٩٣	٢ ٠
نصوحي بك (بالوكالة)	١٨٩٥	٠ ٠
الحاج حسن رفيق باشا	١٨٩٥	١ ٠
حسين ناظم باشا	١٨٩٦	١٣ ٠
شكري باشا (أعلن في أيامه الدستور)	١٩٠٨	
أحمد جمال باشا	١٩٠٩	

الاسم	تاريخ التعيين	(المدة) سنة شهر
خالد باشا	١٨٤٤	٠ ١
علي باشا	١٨٤٤	١ ٠
موسى صفوت باشا	١٨٤٥	٢ ٠
خليل باشا الكامي	١٨٤٧	١ ٠
عثمان باشا	١٨٤٨	١ ٠
داماد محمد سعيد باشا	١٨٤٩	١ ٠
أحمد عزت باشا أرزنجاني	١٨٥٠	١ ٠
أسحق باشا	١٨٥١	٠ ٤
علي عشقر باشا	١٨٥٢	١ ٦
محمد عارف باشا	١٨٥٤	٠ ٤
صالح وامي باشا	١٨٥٥	١ ٠
محمود نديم باشا	١٨٥٦	٠ ١
مصطفى باشا	١٨٥٧	٠ ١
أحمد عزت باشا	١٨٥٧	٠ ١
علي باشا كوتاهيه لي	١٨٥٨	١ ٠
خليل باشا كاملي (مرة ثانية)	١٨٥٩	٠ ٣
أحمد عزت باشا (مرة ثانية)	١٨٥٩	١ ٠
معمر باشا	١٨٦٠	٠ ٣
محمد أمين باشا	١٨٦١	؟
محمد باشا (ضبطية مشيري أسبق)	١٨٦١	١ ١
شرواني محمد رشدي باشا	١٨٦٢	٢ ٥
أسعد مخلص باشا	١٨٦٥	٠ ٩
محمد راشد باشا	١٨٦٦	٥ ٣



خلفاء آل عثمان

بين ١٥١٢ - ١٩٢٤ م

الاسم	المدة
١ - الخليفة سليم الأول	١٥١٢ - ١٥٢٠ م
٢ - الخليفة سليمان القانوني	١٥٢٠ - ١٥٦٦ م
٣ - الخليفة سليم الثاني	١٥٦٦ - ١٥٧٤ م
٤ - الخليفة مراد الثالث	١٥٧٤ - ١٥٩٥ م
٥ - الخليفة محمد الثالث	١٥٩٥ - ١٦٠٣ م
٦ - الخليفة أحمد الأول	١٦٠٣ - ١٦١٧ م
٧ - الخليفة مصطفى الأول	١٦١٧ - ١٦١٨ م
٨ - الخليفة عثمان الثاني	١٦١٨ - ١٦٢٢ م
٩ - الخليفة مصطفى الأول	١٦٢٢ - ١٦٢٣ م
١٠ - الخليفة مراد الرابع	١٦٢٣ - ١٦٤٠ م
١١ - الخليفة إبراهيم الأول	١٦٤٠ - ١٦٤٨ م
١٢ - الخليفة محمد الرابع	١٦٤٨ - ١٦٨٧ م
١٣ - الخليفة سليمان الثاني	١٦٨٧ - ١٦٩١ م
١٤ - الخليفة أحمد الثاني	١٦٩١ - ١٦٩٥ م
١٥ - الخليفة مصطفى الثاني	١٦٩٥ - ١٧٠٣ م
١٦ - الخليفة أحمد الثالث	١٧٠٣ - ١٧٣٠ م
١٧ - الخليفة محمود الأول	١٧٣٠ - ١٧٥٤ م
١٨ - الخليفة عثمان الثالث	١٧٥٤ - ١٧٥٧ م
١٩ - الخليفة مصطفى الثالث	١٧٥٧ - ١٧٧٤ م
٢٠ - الخليفة عبد الحميد الأول	١٧٧٤ - ١٨٠٧ م
٢١ - الخليفة سليم الثالث	١٨٠٧ - ١٨٠٨ م
٢٢ - الخليفة مصطفى الرابع	١٨٠٨ - ١٨٣٩ م
٢٣ - الخليفة محمود الثاني	١٨٣٩ - ١٨٦١ م
٢٤ - الخليفة عبد المجيد الأول	١٨٦١ - ١٨٧٦ م
٢٥ - الخليفة عبد العزيز الأول	١٨٧٦ - ١٨٧٦ م
٢٦ - الخليفة مراد الخامس	١٨٧٦ - ١٨٧٦ م
٢٧ - السلطان السلطان عبد الحميد الثاني	١٨٧٦ - ١٩٠٩ م
٢٨ - السلطان محمد رشاد الخامس	١٩٠٩ - ١٩١٨ م
٢٩ - السلطان محمد وحيد الدين السادس	١٩١٨ - ١٩٢٢ م
٣٠ - السلطان عبد المجيد الثاني	١٩٢٢ - ١٩٢٤ م

الخلفاء في عهد الدولة الإسلامية

الخلفاء الراشدون:

- ١ - أبو بكر الصديق
- ٢ - عمر بن الخطاب
- ٣ - عثمان بن عفان
- ٤ - علي بن أبي طالب

الخلفاء الأمويون:

- ١ - معاوية بن أبي سفيان
- ٢ - يزيد بن معاوية
- ٣ - معاوية الثاني
- ٤ - مروان بن الحكم
- ٥ - عبد الملك بن مروان
- ٦ - الوليد بن عبد الملك
- ٧ - سليمان بن عبد الملك
- ٨ - عمر بن عبد العزيز
- ٩ - يزيد بن عبد الملك
- ١٠ - هشام بن عبد الملك
- ١١ - يزيد بن الوليد
- ١٢ - إبراهيم بن الوليد
- ١٣ - مروان بن محمد

الخلفاء العباسيون: بغداد

- ١ - أبو العباس السفاح
- ٢ - أبو جعفر المنصور
- ٣ - المهدي
- ٤ - الهادي
- ٥ - هرون الرشيد
- ٦ - الأمين
- ٧ - المأمون
- ٨ - المعتصم
- ٩ - الواثق
- ١٠ - المتوكل
- ١١ - المستنصر
- ١٢ - المستعين بالله
- ١٣ - المعز

١٤ - المهدي بن الواثق

- ١٥ - المعتمد على الله
- ١٦ - المعتضد بالله بن الموفق
- ١٧ - المكتفي بالله
- ١٨ - المقتدر بالله بن المعتضد
- ١٩ - (أحد أخوة المقتدر بالله) ليوم ليلة فقط
- ٢٠ - القاهرة بالله
- ٢١ - الراضي بالله
- ٢٢ - المتقي بالله
- ٢٣ - المستكفي بالله ابن المتقي
- ٢٤ - الموفق بالله
- ٢٥ - المطيع بالله الفضل بن المقتدر
- ٢٦ - الطائع بالله
- ٢٧ - القادر بالله بن المقتدر
- ٢٨ - القائم بأمر الله
- ٢٩ - المقتدي بالله
- ٣٠ - المستظهر بالله
- ٣١ - المسترشد بالله
- ٣٢ - الراشد بالله
- ٣٣ - المستظهر (المقتضي بأمر الله)
- ٣٤ - المستنجد بالله
- ٣٥ - المستضيء بالله
- ٣٦ - الناصر لدين الله
- ٣٧ - الظاهر لأمر الله
- ٣٨ - المستنصر بالله
- ٣٩ - المعتصم بالله

الخلفاء العباسيون: القاهرة

- ١ - أحمد (المستنصر بالله) بعد انقطاع ٣ سنوات
- ٢ - الحاكم بأمر الله
- ٣ - المستكفي بالله
- ٤ - الواثق بالله
- ٥ - الحاكم بأمر الله
- ٦ - المعتضد بالله

٧ - المتوكل على الله

٨ - الواثق بالله عمر

٩ - المتوكل (اعيد ثانية)

١٠ - المستعين بالله

١١ - اخوة المعتضد بالله حتى ٨٤٥هـ

١٢ - اخوة المستكفي بالله حتى ٨٥٩هـ

١٣ - المستنجد بالله

١٤ - المتوكل على الله

١٥ - المتمسك بالله

١٦ - المتوكل على الله

الخلفاء العثمانيون:

١ - سليم الأول

٢ - سليمان خان القانوني

٣ - سليم خان الثاني

٤ - مراد خان الثالث

٥ - محمد خان الثالث

٦ - أحمد خان الثالث

٧ - مصطفى خان الأول

٨ - عثمان خان الثاني

٩ - مراد خان الرابع

١٠ - ابراهيم خان الأول

١١ - محمد خان الرابع

١٢ - سليمان خان الثاني

١٣ - أحمد خان الثاني

١٤ - مصطفى خان الثاني

١٥ - أحمد خان الثالث

١٦ - محمود خان الأول

١٧ - عثمان خان الثالث

١٨ - مصطفى خان الثالث

١٩ - عبد الحميد الأول

٢٠ - سليم خان الثالث

٢١ - مصطفى خان الثالث

٢٢ - محمود خان الثاني

٢٣ - عبد المجيد خان الأول

٢٤ - عبد العزيز خان

٢٥ - مراد خان الخامس

٢٦ - عبد الحميد خان الثاني

٢٧ - محمد رشاد الخامس

٢٨ - وحيد الدين (محمد خان السادس)

٢٩ - عبد المجيد خان الثاني (حتى ١٩٢٤/٣/٢م)

حيث ألغيت الخلافة الاسلامية بسقوط آل عثمان)

الخلفاء الفاطميون:

١ - المهدي

٢ - القائم

٣ - المنصور

٤ - المعز

٥ - العزيز

٦ - الحاكم

٧ - الظاهر

٨ - المستنصر

٩ - المستعلي

١٠ - الأمر

١١ - الحافظ

١٢ - الظافر

١٣ - الفائز

١٤ - العاضد

حكام الدولة الاموية في الاندلس:

١ - عبدالرحمن الداخل (صقر قريش)

٢ - هشام الأول

٣ - الحكم الأول

٤ - عبدالرحمن الثاني

٥ - محمد الأول

٦ - المنذر بن محمد

٧ - عبدالله بن محمد

٨ - عبدالرحمن الثالث (ال خليفة الناصر لدين الله)

٩ - الخليفة المستنصر الحكم الثاني

١٠ - الخليفة المؤيد هشام الثاني

١١ - الخليفة محمد الثاني

١٢ - الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر

١٣ - ولدا المنصور الحاجب

١٤ - عبدالرحمن الخامس

١٥ - الخليفة المستكفي بالله محمد الثالث

١٦ - هشام الثالث آخر خلفاء بني أمية في الاندلس

(ثم قامت دول ملوك الطوائف حتى انهارت غرناطة).

أهم الحوادث التاريخية ما قبل الفتح العثماني للبلاد العربية

الحدث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
نشأة الدولة العثمانية (ارطغرل)	٦٢٧ — ٨٥٧	١٢٣٠ — ١٤٥٣
حكم اللاتين بالقسطنطينية	٦٢٧ — ٦٨٠	١٢٣٠ — ١٢٨٨
علاء الدين السلجوقي يمنح أرطغرل «اسكي شهر»	٦٠٠ — ٦٦٠	١٢٠٤ — ١٢٦١
مولد عثمان في اسكي شهر	٦٥٦	١٢٥٨
عثمان (تحت امرة علاء الدين)	٦٨٠ — ٦٩٩	١٢٨٨ — ١٣٠٠
يفتح قره حصار وغيرها — يمنحه علاء الدين لقب بك		
قضاء المغول على الدولة السلجوقية	٦٩٩	١٣٠٠
عثمان (مستقلا)	٦٩٩ — ٧٢٦	١٣٠٠ — ١٣٢٦
فتح بروسة على يد ابنه أورخان		
أورخان	٧٢٦ — ٧٦١	١٣٢٦ — ١٣٥٩
افتتاح نيقيومية وازنيق		
٢٠ عاما في السلم وتثبيت دعائم الملك		
انشاء طائفة الانكشارية		
ظهور الموت الأسود	٧٤٧	١٣٤٧
بداية الفتوح العثمانية باوربا (غليبولي)	٧٥٨	١٣٥٧
مراد الأول	٧٦١ — ٧٩٢	١٣٥٩ — ١٣٨٩
اخضاع معظم الروملي (ادرنة — فلبه)		
تحالف ملوك البوسنة والصرب والمجر عليه		
وقهره اياهم عند (ادرنة)	٧٦٥	١٣٦٣
اخضاع بلغاريا	٧٩١	١٣٨٨
انتصاره على امراء اوربا الشرقية في واقعة	٧٩٢	١٣٨٩
قوصة وإخضاع الصرب (عدا فتوحه في آسيا		
واندراج امارات تركية في سلك الدولة العثمانية)		
بايزيد الاول	٧٩٢ — ٨٠٥	١٣٨٩ — ١٤٠٢

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث
		اخضاع الامارات التركية في آسيا وكثير من مدن الروملي - توطيد اركان الدولة في اوربا.
		تحالف المسيحيين على العثمانيين ثانية بقيادة سيجموند ملك المجر
٧٩٩	١٣٩٦	قهر المسيحيين في واقعة نيقوبوليس
		غزو جزء من اليونان (تساليا وابيروس)
٨٠٥	١٤٠٢	قهر تيمورلنك لبايزيد وأخذه اسيرا في انقره
٨٠٥ - ٨١٦	١٤٠٢ - ١٤١٣	اربعة اولاد لبايزيد يتنازعون على الملك
٨١٦ - ٨٢٤	١٤١٣ - ١٤٢١	محمد الأول (المتغلب عليهم)
		لم شعث الدولة بعد تمزيقها في واقعة انقره مراد الثاني
٨٢٤ - ٨٥٥	١٤٢١ - ١٤٥١	يعمل على مواصلة الفتوح العثمانية يحاصر القسطنطينية
٨٤٣	١٤٣٩	توحيد الكنيستين (بروسية والقسطنطينية)
		نهضة جديدة لاجراخ الاتراك من اوربا وانتصار المسيحيين بقيادة هونياد ومعاهدة
٨٤٨	١٤٤٤	ازجدن يتنازل عن العرش لابنه محمد الثاني - الاوربيون ينقضون العهد
		و يغيرون على أملاك الدولة بقيادة هنياد مراد يرجع إلى الملك و يهزمهم في وازنه
٨٤٨	١٤٤٤	يتم اخضاع البوسنة والصرب
٨٥٥ - ٨٨٦	١٤٥١ - ١٤٨١	محمد الثاني يتأهب لفتح القسطنطينية
٨٥٧ - ٩٧٤	١٤٥٣ - ١٥٦٦	«الدولة العثمانية في اوج عظمتها»
		محمد الثاني - يفتح القسطنطينية سقوط الدولة البيزنطية - ابتداء التاريخ الحديث
٨٥٧	١٤٥٣	اخضاع معظم المورة والصرب والبوسنة
		وقوف اسكندر بك وهونياد في سبيل فتح ايطاليا والمجر.
٨٦٠	١٤٥٦	هونياد يهزم السلطان عند بلغراد
٨٧١	١٤٦٧	اخضاع البانيا
		فتح طربزون واخضاع القرم
٨٧٩	١٤٧٥	اخضاع القرم
٨٨٢	١٤٧٧	قهر البنادقة وعقد محالفة معهم
٨٨٥	١٤٨٠	حصار رودس (لم يفلح لحسن دفاع فرسان القديس يوحنا)
٨٨٥	١٤٨٠	فتح اترنتو
٩٨١	١٤٨٦	وصول برتاوميدياز إلى طرف افريقية الجنوبي
٨٩٧	١٤٩٢	وصول خريستوف كولبس إلى احدى جزائر الهند الغربية

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث
٨٨٦ — ٩١٨	١٤٨١ — ١٥١٢	وصول فاسكو دي جاما الى كلكتوتا بايزيد الثاني أضعف سلطان إلى ذلك العهد والصراع مع أخيه جم. * انتصار المماليك على جيوشه في الشام زيادة في قوة الاسطول العثماني انتصاره على البنادقة ثورة فخر الدين المعني الأول بلبنان * موقعة ديو الانكشارية ترغمه على التنازل لأصغر اولاد سليم — سليم الأول
٩١٨ — ٩٢٦	١٥١٢ — ١٥٢٠	تحويل تيار الفتوح إلى آسيا (معركة جالديران) دخول العثمانيين دمشق (٢٦ أيلول سبتمبر) الاستيلاء على كر دستان وديار بكر وغزو فارس * فتح مصر (مواقع مرج دابق والريدانية ووردان) تنازل الخليفة العباسي بمصر عن الخلافة للسلطان سليم
٩٢٣ — ٩٢٣	١٥١٦ — ١٥١٧	ازهر عصر في تاريخ ال عثمان — تقدم عظيم في العلوم واتساع كبير في أملاك الدولة . انتصار فرهاد باشا على ثورة جانبرد الغزالي (معركة القابون)
٩٢٧	١٥٢١	فتح بلغراد
٩٢٨	١٥٢٢	فتح رودس (من فرسان القديس يوحنا)
٩٣١	١٥٢٥	* تنصيب «سليمان باشا» واليا على مصر غزو المجر — موقعة موكر — قتل ملكهم وتولية سليمان «جان زابولي» عليها غزو المجر ثانية لاغارة ملك النمسا عليها الاغارة على النمسا وحصار بانه عقد صلح مع النمسا على قيام اقتسام المجرين ملك النمسا وزابولي
٩٣٢	١٥٢٦	* اناة خسرو باشا عن سليمان باشا لاشتغال هذا بحملة بحرية على البرتغال بدء مشكلة الامتيازات الاجنبية باتفاق سليمان القانوني وفرانسوا الاول
٩٣٥	١٥٢٩	اتفاق ودي تجاري بين سليمان القانوني ومدينة البندقية على عدن
٩٤٠	١٥٣٣	اغارة ملك النمسا ثانية على المجر وعودة السلطان إلى غزوها
٩٤١	١٥٣٥	
٩٤٤	١٥٣٨	
٩٤٦	١٥٣٩	

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث
		اعتراف النمسا بسيادة السلطان على المجر وترانسلفانيا وتعهدا بدفع جزية سنوية له
		فتح بغداد
٩٢٦	١٥١٩	استيلاء «خير الدين بربروس» على الجزائر
٩٤١	١٥٢٣	وتنصيبه واليا عليها من قبل الباب العالي
		قهره اساطيل شرلكان
٩٤٥	١٥٣٨	قهره اساطيل شرلكان والبابا والبندقية في
		موقعة بروبزه
٩٤٨	١٥٤١	صدده شرلكان عن بلاد الجزائر
		انتصار «بياله باشا» على «دوربا» عند
٩٦٧	١٥٦٠	جزيرة جربه (تونس)
		«طوغود» يفتح المهديّة عاصمة تونس حصار مالطة وعدم
٩٧٣	١٥٦٥	مقدرة البحرية العثمانية على التغلب على فرسان القديس يوحنا
٩٧٤ — ١٠٤٩	١٥٦٦ — ١٦٤٠	• ابتداء اضمحلال الدولة العثمانية •
٩٧٤ — ٩٨٢	١٥٦٦ — ١٥٧٤	سليم الثاني
٩٧٥	١٥٦٧	تنصيب سنان باشا على مصر
٩٧٦ — ٩٧٩	١٥٦٨ — ١٥٧١	• فتحه بلاد اليمن
٩٧٩	١٥٧١	انتزاع العثمانيين جزيرة قبرص من البنادقة
		اتحاد اوربا على الدولة وقهرها في موقعة
٩٧٩	١٥٧١	«لينتو» البحرية
٩٨٢ — ١٠٠٣	١٥٧٤ — ١٥٩٥	مراد الثالث
٩٨٢	١٥٧٤	مسألة البندقية
٩٨٢ — ٩٨٨	١٥٧٤ — ١٥٨٠	• ولاية مسيح باشا على مصر
٩٩٧	١٥٨٩	• خروج الجنود العثمانية على إدريس
١٠٠٣ — ١٠١٢	١٥٩٥ — ١٦٠٣	باشا لتجنيله المصريين
		محمد الثالث
		تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية
١٠٠٤	١٥٩٦	أول اتفاق ودي تجاري مع الانكليز
١٠١٢ — ١٠٢٦	١٦٠٣ — ١٦٠٧	الانتصار على النمسا وترانسلفانيا في سهل كرزت
١٠١٢ — ١٠٢٦	١٦٠٣ — ١٦٠٧	• وباء في مصر
		أحمد الاول
		اتفاق فخر الدين المعني الثاني مع حلفائه لدمشق
		انشاء أول مطبعة عربية بدير قزحيا في لبنان
١٠٢٨	١٦١٩	• وباء آخر في مصر
١٠٣٠	١٦٢١	• وباء آخر

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث
١٠٣٢ — ١٠٤٩	١٦٢٣ — ١٦٤٠	مراد الرابع (من اعظم سلاطين العثمانيين) يوطد العلاقات مع النمسا ليوجه قواه الى الفرس
١٠٣٢	١٦٢٣	* تنصيب قره مصطفى على مصر
١٠٣٥	١٦٢٥	* صرفه لعللي باشا الجشنجي — تمرد الجند لذلك .
١٠٣٥	١٦٢٦	* اعادة قره مصطفى
١٠٤٥	١٦٣٥	* أزمة شديدة في مصر
١٠٤٨	١٦٣٨	اعاد للسلطان فتح اربوان
١٠٤٩ — ١١٠٣	١٦٤٠ — ١٦٩١	استرجع بغداد من الفرس
١٠٤٩ — ١٠٥٨	١٦٤٠ — ١٦٤٨	* عهد سلطة الوزراء — اسرة كبريلي
١٠٥٢	١٦٤٢	* ابراهيم الاول
١٠٥٥	١٦٤٥	* وباء بمصر وغلاء
١٠٥٨	١٦٤٨	لم يفلح في فتح جزيرة كريت
١٠٥٨ — ١٠٩٩	١٦٤٨ — ١٦٨٨	عزل وقتل
١٠٥٩	١٦٤٩	محمد الرابع (ازدياد اضطراب الدولة)
١٠٦٦	١٦٥٦	الهرم الاسطول التركي في بحر الأرخبيل
١٠٦٧ — ١٠٧٢	١٦٥٧ — ١٦٦١	اسطول البنادقة يهدد القسطنطينية
١٠٧٢ — ١٠٨٧	١٦٦١ — ١٦٧٦	نهوض الدولة على يد محمد كبريلي
١٠٧٤	١٦٦٣	وزارة احمد كبريلي
١٠٧٥	١٦٦٤	الاغارة على النمسا والمجر
١٠٨٠	١٦٦٩	انهزام الترك عند سنغوثار وعقد معاهدة فزفاز
١٠٨١	١٦٧٠	استيلاء العثمانيين على كريت من البنادقة
١٠٨٣	١٦٧٢	* خروج القوزاق على بولنده وانهزامهم على يد جون سويسكي
		غزو العثمانيون لبولنده وفتحهم كلمنيك وتنازل
		بولنده لهم عن بادوليا وأوكرانيا .
١٠٨٤ — ١٠٨٦	١٦٧٣ — ١٦٧٥	رفض الشعب البولندي للمساعدة وقهرهم للعثمانيين
١٠٨٧	١٦٧٦	بقيادة جون سويسكي في شكزم ولمبرغ
		صلح زراوين العثمانيين وبولنده
	١٦٨٠	حصار الجيش العثماني لمدينة فيينا

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
١٦٧٦ - ١٦٨٣	١٠٨٧ - ١٠٩٤	وزارة قره مصطفى
		تأهبه سرا للاغارة على النمسا بتوثيق صلته بفرنسا والروسيا وبولنده منذ اول عهده .
١٦٧٤ - ١٦٨١	١٨٠٥ - ١٠٩٢	• خروج المجر على النمسا
١٦٨٣	١٠٩٤	اغارة قره مصطفى على المجر
١٦٨٣	١٠٩٤	حصاره لمدينة فيينا
		فشل الحصار لنقض جون سويسكي العهد
		مؤازرته لامبراطور النمسا
		قتل قره مصطفى لفشله عقد الحلف المقدس بين النمسا وبولنده
١٦٨٤	١٠٩٥	والبنديقية على العثمانيين
١٦٨٥ - ١٦٨٨	١٠٩٧ - ١١٠٠	خسائر متوالية للعثمانيين برا وبحرا
١٦٨٧ - ١٦٩١	١٠٩٨ - ١١٠٢	سليمان الثاني
١٦٨٧ - ١٦٩١	١٠٩٨ - ١١٠٣	نهضة قصيرة على يد مصطفى كبريلي
		مونه في موقعه سولانيك
١٦٩٧		وفاة الامير احمد آخر المعنيين وانتقال الامارة للشهابيين بلبنان
١٦٩٥ - ١٧٠٣	١١٠٦ - ١٦١٥	مصطفى الثاني
١٦٩٩	١١٠٨	انتصار الجيوش النمساوية على العثمانيين في واقعة زنتا
١٦٩٩	١١٠	معاهدة كارلونز (بين العثمانيين والنمسا والروسيا وبولنده)
		• الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر
١٦٨٩ - ١٧٢٥	١١٠٠ - ١١٣٧	• نهضة روسيا على يد بطرس الاكبر
١٦٩٦	١١٠٨	استيلاء بطرس على ازاق
١٧٠٣ - ١٧٣٠	١١١٥ - ١١٤٣	احمد الثالث
١٧٠٧	١١١٩	• تفاقم العداوة بين القاسية والفقارية في مصر
١٧١١	١١٢٣	انتصار العثمانيين على الروس على نهر بروث وعقد معاهدة بروث
١٧١٥	١١٢٧	استرجاع قومرجي على بلاد الموره من البنادقة
١٧١٦	١١٢٨	انهزامه في المجر على يد الامير بوجين عند بيتروودن
١٧١٨	١١٣٠	معاهدة بسارونز
١٧٢٢ - ١٧٣٥	١١٣٥ - ١١٤٨	حرب العثمانيين مع الفرس (انتهت بجلاء العثمانيين عن فارس)
١٧٢٣	١١٣٦	• قتل اسماعيل بك شيخ البلد وتولي جركس بك شياخة مصر

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
		انتهاز روسيا فرصه اشتغال الترك بمحاربة الفرس
١٧٣٠	١١٤٢	وعقدها محالفة مع النمسا على الدولة
١٧٣٠ — ١٧٥٤	١١٤٣ — ١١٦٨	محمود الاول
١٧٣٥	١١٤٨	اشهار الروس الحرب على العثمانيين
		دخول النمسا في الحرب وهزم العثمانيين لها وللروسيا ومهادنة النمسا للعثمانيين
١٧٣٧	١١٤٩	تحقيق المشروع الشرقي
		هزمه جيوش العثمانيين في شكزم وعقد معاهدة بلغراد
١٧٣٩	١١٥٢	بين العثمانيين والروس
١٧٤٠		معاهدة بين الدولة العثمانية وفرنسا
		* اتفاق ابراهيم بك ورضوان بك على عثمان بك بمصر وطردها إياه إلى الشام
١٧٤٣		محاصرة ظاهر العمر في طبرية من قبل سليمان باشا العظم
١٧٤٣	١١٥٦	واققسام السلطة بينهما
١٧٥٤ — ١٧٥٧	١١٦٨ — ١١٧١	عثمان الثالث
١٧٥٧ — ١٧٧٣	١١٧١ — ١١٨٧	مصطفى الثالث
١٧٦٣	١١٧٦	* تولي كاترين الثانية عرش روسيا
١٧٦٣	١١٧٧	* تولي علي بك الكبير شيخاة البلد بمصر
١٧٦٨	١١٨٢	اعلان العثمانيين الحرب على الروس لتعديهم على خان القرم
١٧٦٨	١١٨٢	* الباب العالي يستجد علي بك حربه مع روسيا
١٧٦٩	١١٨٣	* اعلان علي بك الكبير استقلاله بمصر
١٧٧٠	١١٨٤	انتصار الروس على الترك بحرا عند (جزيرة خيوش)
١٧٧١		* ارسال علي بك الكبير محمدا «ابا الذهب» للاستيلاء على الشام ١١٨٥
		* اتفاق ابي الذهب مع الدولة وتوليته واليا
١٧٧٢		انتصار ظاهر العمر على الجيش العثماني قرب صيدا
١٧٧٢	١١٨٦	على مصر من قبلها
١٧٧٣	١١٨٧	* وفاة علي بك
١٧٧٣ — ١٧٨٩	١١٨٧ — ١٢٠٣	عبد الحميد الاول

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
١٧٧٤	١١٨٨	معاهدة كجوق قينارجه بين الروس والترك
١٧٧٥	١١٨٩	* وفاة ابي الذهب
١٧٧٥		انتهاء حكم ظاهر العمر بوفاته
١٧٧٥ — ١٧٨٦	١١٨٩ — ١٢٠١	* اقتسام السلطة بين مراد بك وابراهيم بك
١٧٨٣	١١٩٧	نقض كاترين العهد وضم القرم اليها
١٧٨٤	١١٩٨	معاهدة القسطنطينية بين الروس والعثمانيين
١٧٨٧	١٢٠١	اعلان العثمانيين الحرب على روسيا لتعدد اهانتها لهم
١٧٨٦ — ١٧٨٠	١٢٠٠ — ١٢٠٥	تولية الامير بشير الشهابي الثاني أمور لبنان
١٧٨٩ — ١٨٠٧	١٢٠٣ — ١٢٢٢	سليم الثالث
١٧٩٠	١٢٠٥	استيلاء الروس بقيادة زاخاروف على ارخاكوف واسماعيل
		توسط انجلترا وغيرها في ابرام معاهدة باسي بين
١٧٩٢	١٢٠٦	الروس والعثمانيين
١٧٩٠ — ١٧٩٨	١٢٠٥ — ١٢١٣	* رجوع السلطة في مصر الى مراد بك وابراهيم بك
١٧٩٨	١٢١٣	حملة نابليون على مصر
١٧٩٨ — ١٨٠١	١٢١٢ — ١٢١٦	أولاً: الحملة الفرنسية *
١٧٩٨	١٢١٢	تحرير نابليون حملة على مصر
١٧٩٨ ١٩ مايو	٢ ذى الحجة ١٢١٢	اقلاعه بجيشه إلى البلاد العربية
		وصول نلسون أمير البحر الانكليزي باسطوله
١٧٩٨ ٢١ يونيو	١٨ المحرم ١٢١٣	إلى الاسكندرية مقتفياً أثر الاسطول الفرنسي
١٧٩٨ ١ يوليو	١٨ المحرم ١٢١٣	وصول العمارة الفرنسية أمام الاسكندرية
		زحف نابليون على القاهرة من طريق الصحراء بعد
١٧٩٨ ٧ يوليو	٢٢ المحرم ١٢١٣	اخضاع الاسكندرية. الاستيلاء على رشيد
١٧٩٨	١٢١٣	انهزام مراد بك أمام نابليون عند شبراخيت
١٧٩٨ ١٤ يوليو	٢٩ المحرم ١٢١٣	وتقهقره إلى القاهرة
١٧٩٨ ٢١ يوليو	٧ صفر ١٢١٣	انهزام الماليك في واقعة (أنبابة الاهرام)
١٧٩٨ ٢٢ يوليو	٨ المحرم ١٢١٣	اجتماع العلماء بعد الموقعة وتقريرهم التسليم لنابليون
١٧٩٨ ٢٢ يوليو	١١ صفر ١٢١٣	دخول نابليون القاهرة

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
١٧٩٨	١٢١٣	اصلاحات نابليون في القاهرة
١٧٩٨ اغسطس	١٢١٣ ١٧ ربيع ١	تدمير العمارة الفرنسية في موقعه أبوقير البحرية على يد نلسون
		خروج سكان القاهرة على الفرنسيين خروجًا عامًا
١٧٩٨ ٢٢ اكتوبر	١٢١٣ ١٠ جمادى الاولى	واحد الثورة على يد نابليون
١٧٩٩	١٢١٣	تجريد نابليون حملة على بلاد الشام لصد غارة العثمانيين على مصر
١٧٩٩ ٣ مارس	١٢١٣ ٢٥ رمضان	وصول الحملة إلى يافا
١٧٩٩	١٢١٣	حصار نابليون لعكا ورجوعه عنها لمناعتها
١٧٩٩ ١٣ يونيه	١٢١٤ ٩ المحرم	انتصار نابليون على العثمانيين في واقعة أبوقير البرية
١٧٩٩ ٢٢ اغسطس	١٢١٤ ١٩ ربيع ١	مغادرة نابليون مصر قاصدا فرنسا وعهده بالقيادة لكليبر
١٧٩٩	١٢١٤	مهادنة الفرنسيين للماليك بعد تغلب الآخرين على معظم الصعيد ادراك كليبر صعوبة مركزه وبرايمه معاهدة العريش
١٨٥٠ يناير	١٢١٤ شعبان	مع سدنى سمث
١٨٥٠	١٢١٤	عدم موافقة الحكومة الانكليزية على هذه المعاهدة
		دخول العثمانيين لمصر بعد المعاهدة ووقوع الثورة فيها واتحادها
١٨٠٠ ١٤ يونيه	١٢١٥ ٢٠ المحرم	على يد الفرنسيين وعودة النفوذ لهم فيها مقتل القائد كليبر
		وصول الحملة الانكليزية بقيادة السير رلف ابركرومبى
١٨٠١ فبراير	١٢١٥ شوال	لطردهم الفرنسيين
١٨٠١	١٢١٥	انهزام الفرنسيين عند كانوب وموت ابروكرومبى وتولى
١٨٠١ ١٨ سبتمبر	١٢١٦ ١٠ جمادى ١	هشاشنن مكانه جلاء الفرنسيين عن مصر بعد تسليم بليار
		بالقاهرة ومينو بالاسكندرية طبع الحكومة الفرنسية أعمال
١٨٠٢	١٢١٧	البعث العلمي في مؤلف يدعى وصف مصر
١٨٤٩ ١٧٦٩	١٢٦٥ ١١٨٣	ثانياً — * محمد علي باشا *
١٨٠٥ ١٧٦٩	١٢٢٠ ١١٨٣	١ — نشأته ونهوضه
١٧٦٩	١١٨٣	مولد محمد علي في قوله
١٧٩٩	١٢١٣	قدومه إلى مصر في واقعه أبوقير البرية، وعد نابليون

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحادث
١٧٩٩		بوزابرت لليهود
١٨٠١	١٢١٥	قدومه الى مصر وقت حملة ابركرومبي
١٨٠١	١٢١٦	تولية خسرو على مصر من قبل الباب العالي نزاع بين خسرو والمماليك وبينه وبين الجنود العثمانية يظهر فيه محمد علي تدريجا وينتهى بهروب خسرو إلى دمياط
١٨٠٢		معاهدة الصلح بين فرنسا والباب العالي
١٨٠٣	١٢١٨	الاهالي يختارون طاهر باشا خلفا لخسرو
١٨٠٤		وفاة أحمد باشا الجزائر وانتهاء حكمه في الشام مقتله بعد ٢٢ يوما
		محمد علي يصبح رئيس الجنود الألبانية في مصر
		اتحاده مع البرديسي على خسروه
		أخذ خسرو سجيناً إلى القاهرة
١٨٠٤	ربيع الاول ١٢١٨	تولية علي باشا الجزائري
١٨٠٤	شوال ١٢١٨	البرديسي يحتال حتى يقتله
		وصول الالفى بعد أن مكث بانكلترا سنتين
		اتحاد محمد علي والبرديسي على الالفى
		فرار الالفى إلى سورية
		تظاهر محمد علي بالخضوع للدولة وتأليهه الاهالي على البرديسي ومهاجته اياه وطرده هو وابراهيم بك الى الشام.
		تولية خورشيد باشا — ضعفه وتمرد الجند عليه وإلتجاء الاهالي
		محمد علي بقاء محمد علي بمصر رغم ارادة الدولة
		اتفاقه مع الولاة.
١٨٠٥	صفر ١٢٢٠	محاصرته خورشيد باشا بالقلعة (برغبة الاهالي
		اختيار الاهالي محمد علي واليا على مصر
١٨٠٥	ربيع الثاني ١٢٢٠	موافقة الباب العالي على ذلك
١٨١١	١٢٢٠	٢ — توطيد سلطته في مصر
١٨٠٥	جمادى الثانية ١٢٢٠	أول فتك بالمماليك
		الباب العالي يحاول ابعاد محمد علي عن مصر

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحادث
شعبان ١٢٢١	نوفمبر ١٨٠٦	تظلم الاهالي ووصول عهد بتأييده في الولاية
١٢٢١	١٨٠٦	اتحاد البرديسي والالفي عليه موت البرديسي
	١٨٠٧	«تنظيمات» سليم الثالث وبدء الاصلاح على الطريقة الفرنسية
١٢٢١	١٨٠٧	موت الالفي
		وصول الحملة الانكليزية الى مصر لتأييد سلطة المماليك
أول محرم ١٢٢٢	مارس ١٨٠٧	استيلاء الحملة على الاسكندرية — رجوع محمد علي من مطاردة المماليك بالصعيد وهزمه الانكليز عند الحماد
رجب ١٢٢٢	سبتمبر ١٨٠٧	عقد شروط الصلح مع محمد علي وترك الانجليز البلاد
		رضاء الباب العالي عن محمد علي والانعام عليه وفك عقال ابراهيم ابنه
		خوف محمد علي من المماليك والعمل على الفتك بهم — هزيمة عند اسبوط — انتشارهم في طول البلاد وعرضها
١٢٢٥	١٨١٠	استرضاء محمد علي للمماليك وعقد مهادنة معهم
		تدبير المماليك الكيد لمحمد علي وهو راجع من السويس ووقوف محمد علي على ذلك — فتك محمد علي بالمماليك في مذبحه القلعة
١٢٢٦ — ١٢٣٥	١٨١١ — ١٨١٩	٣ — الحروب السلفية
		مولد ابن عبد الوهاب (رائد الدعوة السلفية) بالعيننة
		حماية محمد بن سعود لابن عبد الوهاب وتشجيعه على نشر مذهبه.
١٢٠١	١٧٨٧	وفاة ابن عبد الوهاب
		امتداد سلطان اولاد سعود على جميع بلاد نجد
١١٥٩ — ١٢٠٦	١٧٤٦ — ١٧٩١	قلق شريف مكة من انتشار الدعوة السلفية
١٢١٣	١٧٩٨	وتجريد حملة علي عبد العزيز
		الحملة والعمل على نشر السلفية في وادي الفرات هزم والي بغداد لعبد العزيز بن سعود
١٢١٦	١٨٠١	مهاجمة بن سعود كربلاء وتخريبها
		دخول عبد العزيز مكة في العام التالي

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
		بدون معارضة الشريف .
		قتل عبد العزيز وتولية سعود الثاني وهو اعظم رجال هذه الاسرة
		تشديد سعود الثاني في جميع الضرائب حتى اضربت الناس عن الحج
١٨٠٦	١٢٢١	تجريد محمد علي حملة على السلفيين بامر الباب العالي وصول طوسون الى ينبع وانهزامه عند الجديدة وهرب جنده
		وصول المدد الى طوسون وفتحه المدينة
١٨١٢	١٢٢٧	وارسال مفاتيح الكعبة والحجرة النبوية الى والده مطارفة طوسون للسلفيين وانهزامه عند تربة سفر محمد علي الى الاقطار الحجازية عند سماعه بهذه النكبة لتولية القيادة بنفسه
١٨١٤	١٢٢٩	وفاة سعود الثاني وتضعض السلفيين انهزام خلفه عبد الله سعود عند بيصل
١٨١٥	١٢٣٠	عودة محمد علي لوقوع قلاقل داخلية في مصر عودة طوسون عند سماعه بتلك القلاقل — موته فجأة نقض السلفيين شروط الصلح التي عقدها معهم طوسون قبل عودته
		تجريد حملة الى بلاد العرب بقيادة ابراهيم باشا للقضاء على السلفيين
١٨١٦	شوال — ١٢٣١	هزيمة ابراهيم
١٨١٧	١٢٣٢	حصاره الدرعية وتسليم عبد الله له وامره بتخريب البلد
١٨١٨	ذي القعدة — ١٢٣٣	مقتل عبد الله بالاستانة
١٨٢٠ — ١٨٢٣	١٢٣٥ — ١٢٣٩	٤ — فتح السودان عزم محمد علي على فتح السودان لأسباب مادية وسياسية
١٨٢٠ — فبراير	جادي ١ — ١٢٣٥	تجريده حمله للاستيلاء على سيوة
١٨٢٠ — يولييه	شوال — ١٢٣٥	مسير حملة السودان من القاهرة بقيادة اسماعيل فرار المماليك من دنقلة وتششتهم عندما سمعوا بمجيء اسماعيل
١٨٢١ — مارس	جادي ٢ — ١٢٣٦	سحق اسماعيل عرب الشائقية في كرني فتحه بربر
		فتح شدى وسنار ومرض الجيش اثناء اقامة اسماعيل بسنار وصول اسماعيل في زحفه الى تومان دعوة ابراهيم الى مصر لمرضه بعد ان وصل الى جبل دنكا

السنة الميلادية	السنة الهجرية	الحدث
١٨٢٢	١٢٣٧	وصول مدد بقيادة محمد بك الدفتردار لغزو كردفان هزمه بعض القبائل عند بارا واستيلائه على الابيض انتقام الدفتردار من نمر لحرقه اسماعيل بحرق شندي بناء الخرطوم وجعلها حاضرة للبلاد السودانية
١٨٢٣	١٢٣٨	٥ - حرب اليونان
١٨٢٣ - ١٨٢٩	١٢٣٩ - ١٢٤٥	شبوب نار الثورة في جنوب ايطاليا واسبانيا وبالاد اليونان
١٨٢٠ - ١٨٢١	١٢٣٥ - ١٢٣٦	اعلان اليونان الحرب على العثمانيين لنيل استقلالها وعدم مساعدة الدول لها انتصر اليونان في بادىء الأمر واستنجد السلطان بمحمد علي على قمع الفتنة معاهدة ارضروم الأولى
١٨٢٣	١٢٣٩	تولية محمد علي على جزيرة (كريت)
١٨٢٣	١٢٣٩	تولية محمد علي على بلاد المورة
١٨٢٤	١٢٣٩	اقلاع الجيش المصري من الاسكندرية الى بلاد اليونان
يولية ١٨٢٤	في القعدة ١٢٣٩	نزول الجيش المصري في مودن
فبراير ١٨٢٥	شعبان ١٢٤٠	اخضاع بلاد المورة واستيلاء ابراهيم على امهات المدن فيها
ابريل ١٨٢٦	رمضان ١٢٤١	حصار مسولونجي وتسليمها قيام الثورة في بلاد المورة ثانيا واخضاعها فتح رشيد باشا مدينة اثينا
يولية ١٨٢٦	ذي القعدة ١٢٤١	استياء دول اوربا العظمى من فظائع ابراهيم وعقدتهم مؤتمرا لذلك في لندن اقرار المؤتمر على ارسال عمارة بحرية تعهد القيادة العامة فيها لكارنجتون
اغسطس ١٨٢٧	المحرم ١٢٤٣	اشتباك العمارة المصرية التركية مع اساطيل الخلفاء . في خليج نفارين وتدمير العمارة المصرية التركية احتلال فرنسا لبلاد المورة بعد رفض البرلمان الانكليزي الاشتراك معها
اغسطس ١٨٢٨	صفر ١٢٤٤	ظهور الاسطول الانكليزي في المياه المصرية وتهديده محمد علي
اكتوبر ١٨٢٨	ربيع الاول ١٢٤٤	اتفاق محمد علي مع الانكليز على اخلاء بلاد المورة اخلاء ابراهيم بلاد المورة
١٨٢٩	١٢٤٥	تصميم السلطان محمود على رفض تحرير اليونان واعلان روسيا الحرب عليه لذلك
١٨٢٩	١٢٤٥	انهزام العثمانيين امام الروس واضطراهم لعقد معاهدة ادرنة واقرارهم فيها على تحرير اليونان

السنة الميلادية	السنة الميلادية	الحدث
١٨٣٠		بدء الاطماع الاوروبية واحتلال فرنسا للجزائر
١٨٤١ - ١٨٣٢	١٢٤٧ - ١٢٥٦	٦ - حرب الشام
		استيلاء محمد علي من الباب العالي لعدم
١٨٧٩	١٢٤٥	مكافاة على مساعدته في حرب المورة لاسباب اخرى
		ابتداء استعداد محمد علي للحملة على الشام
نوفمبر ١٨٣١	جمادي ١ ١٢٤٧	خروج الحملة بعد تأخرها بسبب الكوليرا
		زحف الجيش البري واستيلاؤه على غزة ويافا
مايو ١٨٣٢	ذي الحجة ١٢٤٧	حصار عكة وسقوطها في يد ابراهيم
		اصدار الباب العالي امرا بخلع محمد علي
		اثناء حصار عكة
		فتح دمشق
١٥ يولي ١٨٣٢	١٦ محرم ١٢٤٨	انهزام محمد باشا والي طرابلس عند حمص
٨ يولي ١٨٣٢	٩ صفر ١٢٤٨	استيلاء ابراهيم على حلب
١٧ يولي ١٨٣٢	١٨ صفر ١٢٤٨	هزيمة حسين باشا في مضيق بيلان
٢٩ يولي ١٨٣٢	١ ربيع ١ ١٢٤٨	هزيمة رشيد باشا في واقعة قونية
٢١ نوفمبر ١٨٣٢	٢٧ جمادي ٢ ١٢٤٨	احتلال كوتاهية
فبراير ١٨٣٣	شوال ١٢٤٨	معاهدة كوتاهية
يونيه ١٨٣٣	ذي الحجة ١٢٤٨	ابتداء خروج اهل الشام على ابراهيم باشا
١٨٣٤	١٢٥٠	استفحال الثورة في الشام - سفر محمد علي
		باشا الى الشام لاطفائها
١٨٣٥	١٢٥٢	انهزام المصريين في الشام امام عرب حوران
١٨٣٨	١٢٥٤	تقرير الباب العالي اعلان الحرب على محمد علي
		احتلال بريطانيا لعدن
١٨٣٩		انتهاء ثورة الشام
يناير ١٨٣٩	ذي القعدة ١٢٥٤	رجوع محمد علي من السودان لما علم بذلك
يناير ١٨٣٩	ذي القعدة ١٢٥٤	هزيمة الجيش التركي بقيادة حافظ باشا عند نصيبين
٢٤ يونية ١٨٣٩	١١ ربيع ٢ ١٢٥٥	مجيء الاسطول العثماني الى مصر وانضمامه
		الى محمد علي
٢٤ يونية ١٨٣٩	١١ ربيع ٢ ١٢٥٥	ابتداء تدخل دول اوربا في المسألة المصرية - التركية
		انفراد فرنسا بمؤازرة محمد علي
١٥ يولي ١٨٤٠	١٥ حمادي ١ ١٢٥٦	معاهدة لندن لاختضاع محمد علي
٢ سبتمبر ١٨٤٠	٥ رجب ١٢٥٦	اعلان الباب العالي خلع محمد علي عن الشام
		عدم خضوع محمد علي وشروع الدول في اخضاعه بالقوة
٢ سبتمبر ١٨٤٠	رجب ١٢٥٦	ضرب اساطيل الحلفاء ميناء بيروت
		هزيمة ابراهيم باشا في برومانة ثم في قلعه
١٨٤٠	١٢٥٦	ميدان واخلاء بيروت واستيلاء الحلفاء على عكا
٢٩ ديسمبر ١٨٤٠	٥ ذي القعدة ١٢٥٦	ابتداء اخلاء الشام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الحدث
١٨٤٠		تراجع المصريين عن الشام بقيادة ابراهيم باشا
٢١ ذي الحجة ١٢٥٦	٢٣ فبراير ١٨٤١	صدور تقليد من السلطان بمنح محمد علي ولاية مصر وراثية
١١ ربيع ٢	١٢٥٧	تخفيف شروط هذا التقليد بتقليد آخر
		تأييد هذا التقليد باخر
		بدء النزاع الطائفي في الشام بين الدروز والموارنة
		اتفاقية تنظيم لبنان وتقسيمه إلى قائمقاميتين درزية ومارونية
		شيخوخة محمد علي وحكم ابراهيم
١٢٥٩	١٨٤٣	انتشار طاعون الماشية بمصر وهبوط النيل واجتياح الجراد الزراعة
		معاهدة أرضروم الثانية
رجب ١٢٦٢	١٨٤٦	سفر محمد علي باشا الى الاسنانة
		وضع محمد علي باشا اول حجر من اساس القناطر الخيرية
٢٢ ربيع ٢ ١٢٦٣	١٨٤٧	تقليد ابراهيم باشا ولاية مصر
شعبان ١٢٦٤	١٨٤٨	اشتداد المرض على ابراهيم ووفاته
١٣ ذي الحجة ١٢٦٤	نوفمبر ١٨٤٨	وفاة محمد علي باشا
١٣ رمضان ١٢٦٥	٢ اغسطس ١٨٤٩	وفاة الامير بشير في مالطة
		صدور جريدة الاحوال بدمشق
		معاهدة باريس اثر انتهاء حرب القرم
		صدور حديقة الاخبار ببيروت
		تطبيق مدحت لقانون الاراضي للمتصرفين
		النزاع الطائفي في الشام باوسع اشكاله
		بروتوكول باريس
		جلاء الفرنسيين عن الشام وقرار نظام لبنان الجديد
		اقرار نظام خاص للبنان
		افتتاح الكلية البروتستانتية (الجامعة الاميركية) ببيروت
		ثورة النصيرية (العلويين) ضد الدولة العثمانية
		افتتاح جامعة القديس يوسف (الفرنسية) ببيروت
		خلع السلطان مراد الخامس وتولية السلطان عبدالحميد الثاني
		مدحت باشا الصدر الاعظم يعلن الدستور (المشروطة الأولى)
		معاهدة بين عبدالحميد الثاني وبريطانيا
		معاهدة القسطنطينية
		بدء تأليف الجمعيات السرية ضد العهد الحميدي جمعية
		طلاب (الطب العسكري) بدء اصدار جريدة (مشورت) نواة جمعية الاتحاد والترقي فيما بعد.
		مؤتمر الارمن في فيينا ضد الدولة العثمانية
		المؤتمر الصهيوني بمدينة (بال) بسويسرا

١٩٠٢	مؤتمر باريس الأول ما بين الجمعيات المناهضة لعبد الحميد الثاني
١٩٠٧	مؤتمر باريس الثاني ما بين الجمعيات المناهضة لعبد الحميد الثاني وتقرير خلع السلطان وتبديل الادارة ووضع اسس المشروطية الثانية.
١٩٠٧	مؤتمر الاتحاد والترقي وانتخاب احمد رضا رئيساً للجمعية في ديسمبر بباريس.
١٩٠٧	مؤتمر الاتحاد والترقي وانتخاب احمد رضا رئيس الجمعية في ديسمبر بباريس
١٩٠٨	قيام ثورة الاتحاد والترقي واعادة الدستور (المشروطية الثانية)
١٩٠٨	وصل الخط الحجازي للمدينة المنورة
١٩٠٨	قيام ثورة الاتحاد والترقي واعادة الدستور (المشروطية الثانية ٢٤ يوليو)
١٩٠٨	وصول الخط الحجازي للمدينة المنورة.
١٩٠٩	الحادثة الارتجاجية (حادث ٣٠ مارس)
١٩٠٩	خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتنصيب محمد رشاد ٢٤ ابريل
١٩١٣	مشروع الاتفاق العثماني البريطاني واتفاقية شط العرب واتفاقية الملاحة
١٩١٣	عقد المؤتمر العربي الأول في باريس (١٨ - ٢٣ يونيه)
١٩١٣	اتفاقية باريس
١٩١٣	مشروع الاتفاق العثماني البريطاني واتفاقية شط العرب والملاحة النهرية
١٩١٣	عقد المؤتمر العربي الأول في باريس (اتفاقية باريس)
١٩١٤	دخول الصهيونية الحرب العالمية الأولى
١٩١٤	دخول العثمانيين الحرب العالمية الأولى (نوفمبر)
١٩١٤	اعلان الحماية الانكليزية على مصر.
١٩١٤	احتلال ايطاليا لليبيا
١٩١٥	الهجوم العثماني الالمني على القناة (حرب الترعة)
١٩١٥	اعدام جمال باشا للقافلة الأولى من الشبان العرب ببيروت (٢١ اغسطس)
١٩١٥	دفاع العثمانيين عن قناة السويس (حرب الترعة) (فبراير)
١٩١٦	اتفاقية بطرسبرج
١٩١٦	اعدام القافلة الثانية من الشبان العرب
١٩١٦	اتفاقية سايكس - بيكو
١٩١٦	اعلان الثورة العربية الكبرى
١٩١٦	اتفاقية بطرسبرج
١٩١٦	اعدام جمال باشا للقافلة الثانية من الشبان العرب ببيروت ودمشق والقدس (٦ مايو).
١٩١٦	اتفاقية سايكس بيكو (١٦ مايو)
١٩١٦	اعلان حسين بن علي للثورة في الحجاز ضد العثمانيين (١٠ يونيو)
١٩١٧	وعد بلفور (٢ نوفمبر)
١٩١٧	الثورة البلشفية وسقوط القيصرية في روسيا (أكتوبر)
١٩١٧	كشف حكومة البلشفية الروسية لاتفاقيات الحلفاء ضد العثمانيين
١٩١٧	وعد بلفور المشؤوم

١٩١٧	كشف البلاشفة لبنود اتفاقية سايكس - بيكو
١٩١٧	دخل اللنبي مدينة القدس مجدداً الحروب الصليبية
١٩١٨	وفاة السلطان عبد الحميد الثاني (١٠ فبراير)
١٩١٨	دخول القوات العربية لدمشق ورفع العلم العربي عليها (٢ أكتوبر)
١٩١٨	اعلان وصول الامير فيصل لدمشق (٣ أكتوبر)
١٩١٨	اعلان الحكومة العربية الأولى بدمشق (٥ أكتوبر)
١٩١٨	إحتلال القوات الفرنسية لبيروت (٧ أكتوبر)
١٩١٨	دخول اللنبي لدمشق (١٥ أكتوبر)
١٩١٨	تقسيم الشام الى مناطق عسكرية (٢٢ أكتوبر)
١٩١٨	البيان الفرانكو - البريطاني
١٩١٨	توقيع هدنة مودرس بين تركيا الكمالية والحلفاء (٣٠ أكتوبر)
١٩١٨	البيان الفرانكو - البريطاني (٧ نوفمبر)
١٩١٨	احتلال القوات الفرنسية للواء اسكندرون (٢٤ نوفمبر)
١٩١٨	وصول فيصل لفرنسا (٢٦ نوفمبر)
١٩١٨	وفاة السلطان عبد الحميد الثاني
١٩١٨	دخول القوات العربية دمشق
١٩١٨	وصول الامير فيصل إلى دمشق
١٩١٨	اعلان الحكومة العربية الأولى
١٩١٨	احتلال القوات الفرنسية ببيروت
١٩١٨	زيارة الجنرال اللنبي مدينة دمشق
١٩١٨	تقسيم بلاد الشام إلى مناطق عسكرية
١٩١٨	توقيع هدنة مودروس بين تركيا وحلفاءها
١٩١٨	دخول اللنبي القدس واعلانه تجديد الحروب الصليبية (ديسمبر)
١٩١٩	بدء مؤتمر الصلح بفرساي بفرنسا (١٨ يناير)
١٩١٩	تقرير مؤتمر فرساي ارسال لجنة استفتاء لبلاد الشام (٢١ مارس)
١٩١٩	افتتاح المؤتمر السوري (المجلس النيابي) الأول (٧ يونية)
١٩١٩	موافقة مؤتمر فرساي على تبني طريقة الانتخاب (١٨ يونية)
١٩١٩	وصول لجنة الاستفتاء الاميركية (كنج-كران) لدمشق (٢ يوليو)
١٩١٩	اتفاقية لويد جورج - كليمنصو (١٥ سبتمبر)
١٩١٩	سفر فيصل للمفاوضات في لندن (١٩ سبتمبر)
١٩١٩	تعيين الجنرال غورو مفوضا ساميا لفرنسا بلبنان وسوريا (٥ أكتوبر)
١٩١٩	وصول فيصل الى باريس لحضور مؤتمر فرساي (٢٠ أكتوبر)
١٩١٩	اجتماع المؤتمر السوري واعلان استقلال سوريا (٢٢ أكتوبر)
١٩١٩	تشريع الخدمة الاجبارية في بلاد الشام ٢١ (٢١ ديسمبر)
١٩٢٠	توقيع اتفاقية فيصل - كليمنصو (١ يناير)
١٩٢٠	عودة فيصل الى سوريا (١٣ يناير)
١٩٢٠	تشكيل مجلس المديرين (أول حكومة مدنية بسوريا) (٢٦ يناير)
١٩٢٠	تعيين هربرت صموئيل مندوبا ساميا لبريطانيا بفلسطين

السنة الميلادية	الحدث
١٩٢٠	ثورة فلسطين ضد الانتداب البريطاني
١٩٢٠	قرار المؤتمر السوري باعلان استقلال سوريا (٧ مارس)
١٩٢٠	تتويج فيصل ملكا على سوريا (٨ مارس)
١٩٢٠	مؤتمر سان ريمو (١٩ - ٢٦ ابريل)
١٩٢٠	تشكيل حكومة هاشم الاتاسي (٣ مايو)
١٩٢٠	وصول نور السعيد لدمشق حاملا بنود الانذار الشفهي الفرنسي ١٠ يوليو
١٩٢٠	برقية فيصل الاولى ردا على انذار غورو (١١ يوليو)
١٩٢٠	خطاب يوسف العظمة في المؤتمر السوري (١٣ يوليو)
١٩٢٠	تسليم الانذار الفرنسي رسميا للملك فيصل (١٤ يوليو)
١٩٢٠	قبول الانذار الفرنسي لسوريا والبدء بتسريح الجيش السوري (١٨ يوليو)
١٩٢٠	حجب المؤتمر السوري ثقته من الحكومة لقبولها الانذار (١٩ يوليو)
١٩٢٠	قيام الحكومة بحل مجلس المؤتمر السوري (٢٠ يوليو)
١٩٢٠	كتاب فيصل بقبول انذار غورو (وبدء اندلاع ثورة الشعب) (٢٠ يوليو)
١٩٢٠	انتداب ساطع الحصري وجميل الالشي لمقابلة غورو (٢١ يوليو)
١٩٢٠	اعلان يوسف العظمة لبدء المقاومة المسلحة ضد فرنسا (٢٣ يوليو)
١٩٢٠	تسليم فيصل للكولونيل كوس جواب سوريا النهائي (٢٣ يوليو)
١٩٢٠	موقعة ميسلون واستشهاد وزير الحربية يوسف العظمة (٢٣ يوليو)
١٩٢٠	دخول القوات الفرنسية لدمشق وتحدي غورو لاحفاد صلاح الدين (٢٥ يوليو)
١٩٢٠	عودة فيصل لدمشق واقالة حكومة الاتاسي وتكليف الدروبي (٢٥ يوليو)
١٩٢٠	اجتماع الجنرال غوايه بالحكومة السورية الجديدة (٢٦ يوليو)
١٩٢٠	اوامر فرنسا بابعاد الملك فيصل عن سوريا ومغادرته دمشق (٢٧ يوليو)
١٩٢٠	معاهدة سيفر
١٩٢٠	الغاء الكماليين للحدود الشرعية وقرار القانون الجنائي (١ يوليو)
١٩٢١	— تأسيس إمارة شرقي الاردن وتنصيب عبد الله أميراً آذار
١٩٢١	ثورة يافا بفلسطين ضد طلائع الهجرة اليهودية والانتداب
١٩٢٢	اقرار صك الانتداب
١٩٢٢	هدنة مودانية (١١ اكتوبر)
١٩٢٢	الغاء السلطنة وعزل وحيد الدين (١ نوفمبر)
١٩٢٣	انتخاب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية التركية (٢٩ اكتوبر)
١٩٢٤	الغاء الخلافة الاسلامية باستانبول ولجوء الخليفة عبدالمجيد (٣ مارس)
١٩٢٣	معاهدة لوزان
١٩٢٦	معاهدة دي جوفنيل
١٩٢٤	الغاء وزارة الشؤون الدينية والاعواق بتركيا (٣ مارس)
١٩٢٤	الغاء المحاكم الشرعية بتركيا (٢٨ ابريل)
١٩٢٤	الغاء المعاهدة الدينية بتركيا
١٩٢٥	اوامر مصطفى كمال بالغاء الطربوش وارتداء القبعة (٢٥ نوفمبر)
١٩٢٦	تعديل التقويم العثماني (١ يناير)
١٩٢٦	اقرار القانون المدني السويسري لتركيا (٤ اكتوبر)

١٩٢٦	دعوة حسين بن علي لمؤتمر الخلافة بمكة المكرمة
١٩٢٦	اعلان حسين بن علي نفسه خليفة للمسلمين
١٩٢٦	سقوط حسين بن علي ومبايعة ابنه علي ملكا على الحجاز
١٩٢٦	سقوط الملكة الهاشمية بالحجاز وتنازل علي لعبدالعزیز آل سعود
١٩٢٨	الغاء «دين الدولة الاسلام» من الدستور التركي (١٠ ابريل)
١٩٢٨	استبدال الكماليين للحروف العربية بالاحرف اللاتينية بتركيا (١ نوفمبر)
١٩٢٨	اعلان العلمانية في الدستور التركي
١٩٢٩	ثورة البراق الشريف بفلسطين
١٩٣١	تبنى حزب الشعب التركي الكمالي للعلمانية
١٩٣١	انعقاد المؤتمر الاسلامي لبحث موضوع الخلافة بالقدس
١٩٣٣	المعاهدة السورية الفرنسية
١٩٣٦	الاضراب الفلسطيني العام (لمدة ستة أشهر)
١٩٣٦	المعاهدة الانكليزية المصرية
١٩٣٦	المعاهدة الانكليزية العراقية
١٩٣٦	المعاهدة السورية الفرنسية
١٩٣٦	المعاهدة اللبنانية الفرنسية
١٩٣٧	اقرار العلمانية رسميا بالدستور التركي الكمالي
١٩٣٧	المؤتمر العربي ببلودان
١٩٣٨	المعاهدة التركية الفرنسية بشأن لواء اسكندرون
١٩٣٨	المؤتمر البرلاني العربي الاسلامي بالقاهرة لحياء الخلافة
١٩٣٩	الكتاب الابيض البريطاني حول مشكلة فلسطين
١٩٣٩	سلخ لواء الاسكندرون عن سوريا
١٩٤١	اتفاق تعاون بريطانيا وفرنسا
١٩٣٩	اندلاع الحرب العالمية الثانية
١٩٤٥	اتفاق بيدو - بيغن
١٩٤٥	انتهاء الحرب العالمية الثانية
١٩٤٥	إغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء المصري في البرلمان ٢٤ فبراير
١٩٤٥	اعلان قيام جامعة الدول العربية (٢٣ مارس)
١٩٤٥	محاولة إغتيال النحاس باشا في القصر العيني ٦ ديسمبر
١٩٤٦	معركة «كوبري عباس» بين المتظاهرين والشرطة ٩ فبراير
١٩٤٦	امتداد المظاهرات للمدن المصرية للمطالبة بالجلء ١٠ فبراير
١٩٤٦	إغتيال أمين عثمان باشا ٥ يناير
١٩٤٦	تصريح حسن البنا حول تطبيق الاسلام بطريقة دستورية ١ مارس
١٩٤٦	جلء القوات الفرنسية عن روسيا (١٧ ابريل)
١٩٤٧	قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين (٢٩ نوفمبر)

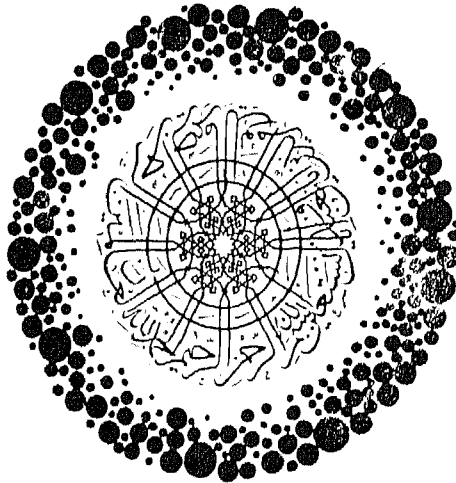
١٩٤٨	إغتيال أحمد الخازندار رئيس محكمة جنايات الاسكندرية ٢٢ مارس
١٩٤٨	نسف بيت النحاس باشا ٢٥ أبريل
١٩٤٨	الانسحاب البريطاني من فلسطين وعلان اقامة كيان اسرائيل (١٥ مايو)
١٩٤٨	تقرير الكونت برنادورت
١٩٤٨	اعلان الهدنة الاولى في الحرب الفلسطينية
١٩٤٨	مهاجمة النحاس باشا بالرشاشات نوفمبر
١٩٤٨	مقتل النقراشي باشا رئيس وزراء مصر ٢٨ ديسمبر
	حل جمعية الإخوان المسلمين بمصر ديسمبر
١٩٤٩	إغتيال الإمام حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين فبراير
١٩٤٩	توقيع مصر على معاهدة رودس مع «اسرائيل» ٢٤ فبراير
١٩٤٩	اتفاقية رودس (هدنة مصر ولبنان والاردن وسوريا وانسحاب العراق)
١٩٤٩	انقلاب حسني الزعيم في سوريا (٨ مارس)
١٩٤٩	محاولة إغتيال ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء مايو
١٩٥١	اغتيال رياض الصلح في عمان ١٦ يوليو
١٩٥١	اغتيال الملك عبد الله بالقدس الشريف ٢٠ يوليو
١٩٥٢	ثورة ٢٣ يوليو بمصر
١٩٥٤	حل جماعة الإخوان المسلمين بمصر يناير
١٩٥٥	اعلان حلف بغداد ٢٤ فبراير
١٩٥٥	انعقاد مؤتمر باندونغ عدم الانحياز ابريل
١٩٥٦	انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لجمهورية مصر ٢٣ يونيو
١٩٥٦	مؤتمر بريوني وتكوين كتلة عدم الانحياز ١٨ يوليو
١٩٥٦	تأميم قناة السويس ٢٦ يوليو
١٩٥٨	اندلاع الفتنة الطائفية بلبنان
١٩٥٨	ثورة بغداد على الملكية الهاشمية (١٤ يوليو)
١٩٥٨	قيام الجمهورية العربية المتحدة (٢١ فبراير)
١٩٦١	اعلان انفصال سوريا عن مصر (٢٨ سبتمبر)
١٩٦٣	انقلاب البعث والقوميين العرب في سوريا (٨ مارس)
١٩٦٣	اعلان الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق
١٩٧٢	اعلان الوحدة الرباعية مع ليبيا
١٩٥٦	تأميم مصر لقناة السويس
١٩٥٦	العدوان الثلاثي (بريطانيا — فرنسا — اسرائيل) (اكتوبر)
١٩٦٧	العدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا والاردن (٥ يونيه)
١٩٦٤ مايو ٢٨	إنعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني الأول بالقدس لإعلان إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية
١٩٦٥	بدء تكوين المقاومة الفلسطينية
١٩٦٧	قرار مجلس الأمن ٢٤٢

السنة الميلادية

الحدث

١٩٦٧	قرار الأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ (٤ يوليو)
١٩٦٩	احراق الصهاينة للمسجد الأقصى (أغسطس)
١٩٦٩	المؤتمر الاسلامي الأول في كوالالمبور (وزراء خارجية) (٢٢-٢٥ سبتمبر)
١٩٦٩	أول قمة اسلامية بالرباط (نوفمبر)
١٩٧٠	المؤتمر الثاني لوزراء خارجية العالم الاسلامي بجدة (مارس)
١٩٧٠	مشروع روجرز
١٩٧٠	وفاة جمال عبد الناصر وتسلم انور السادات للحكم بمصر (٢٨ سبتمبر)
١٩٧١	حركة انور السادات التصحيحية (١٥ مايو)
١٩٧٢	المؤتمر الثالث لوزراء خارجية العالم الاسلامي بجدة (مارس)
١٩٧٢	إنعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني الثاني بالقاهرة لتعديل ميثاق القومي الفلسطيني ٦ أبريل
١٩٧٣	حرب رمضان وعبور قناة السويس (٦ أكتوبر)
١٩٧٤	ثاني قمة اسلامية بلاهور (فبراير)
١٩٧٤	المؤتمر الخامس لوزراء خارجية العالم الاسلامي جدة (ابريل)
١٩٧٤	اعتراف الأمم المتحدة بالمقاومة الفلسطينية
١٩٧٥	اندلاع الفتنة الطائفية بلبنان ١٣ أبريل
١٩٧٥	المؤتمر السادس لوزراء خارجية جدة (يوليو)
١٩٧٥	توقيع اتفاقية سيناء بين مصر واسرائيل (١ سبتمبر)
١٩٧٥	حادثة الباص في عين الرمانة ببيروت واندلاع الفتنة (٣ إبريل)
١٩٧٥	اندلاع الفتنة الطائفية بلبنان
١٩٧٦	المؤتمر السابع لوزراء خارجية باستانبول
١٩٧٧	مبادرة انور السادات بزيارة القدس المحتلة (١٩ نوفمبر)
١٩٧٧	تأسيس الجبهة القومية للصمود والتصدي ديسمبر
١٩٧٨	سقوط النظام الشاهاني في إيران
١٩٧٨	توقيع اتفاقيات كمب ديفيد برعاية كارتر (١٧ سبتمبر)
١٩٧٩	زيارة كارتر للقاهرة وتل أبيب (٨ و ٩ مارس)
١٩٧٩	قرار مجلس الأمن بادانة اسرائيل لاقامتها للمستوطنات (٢٣ مارس)
١٩٧٩	توقيع معاهدات الصلح بين مصر واسرائيل في اميركا (٢٦ مارس)
١٩٧٩	زيارة بيغن للقاهرة
١٩٧٩	نسف «العدو الاسرائيلي» لمفاعلين نوويين في فرنسا مخصصين للعراق ٦ ابريل
١٩٧٩	انعقاد قمة الوفاق العربية ببغداد
١٩٧٩	نقل الجامعة العربية الى تونس
١٩٧٩	المؤتمر العاشر لوزراء خارجية بفاس (٨-١٣ مايو)
١٩٧٩	انعقاد مؤتمر القمة العربي بدمشق
١٩٧٩	زيارة أنور السادات لحيفا (٤ سبتمبر)
١٩٨٠	تبادل السفراء بين مصر واسرائيل (٢٦ فبراير)
١٩٨٠	اغتيال العالم النووي المصري د. يحيى المشد في باريس يونيو

١٩٨٠	٤ و ١٥ سبتمبر	استفزازات اسرائيلية للعراق
١٩٨٠	٢٢ سبتمبر	اندلاع الحرب العراقية - الايرانية
١٩٨٠	اكتوبر	معاهدة صداقة سورية - روسية
١٩٨٠	نوفمبر	القمة العربية الحادية عشر في عمان
١٩٨١	ابريل	أزمة الصواريخ السورية بلبنان
١٩٨١	مايو	قيام مجلس تعاون دول الخليج العربي
١٩٨١	يوليو	غزو اسرائيلي لجنوب لبنان ومجابهة مع منظمة التحرير
١٩٨١	أغسطس	اتفاق وحدة اندماجية بين سورية ولبنان
١٩٨١	أغسطس	مبادرة فهد لحل القضية الفلسطينية
١٩٨١	سبتمبر	طرد السفير الروسي وحملة اعتقالات بمصر
١٩٨١	اكتوبر	اغتيال الرئيس المصري محمد انور السادات
١٩٨١		اتفاق تعاون استراتيجي بين «اسرائيل» وأميركا
١٩٨١	اكتوبر	صفقة الأواكس السعودية مع أميركا
١٩٨١	نوفمبر	القمة العربية الثانية عشر في فاس
١٩٨١	ديسمبر	اعلان العدو ضم الجولان الى «اسرائيل»
١٩٨٢	٢٤ ابريل	إعدام خالد الاسلامبولي واخوانه لاغتيالهم السادات
١٩٨٢	٢٥ ابريل	انسحاب «اسرائيل» من سيناء عدا طابا
١٩٨٢	٥ يونيو	الاجتياح «الاسرائيلي» للبنان
١٩٨٢	٩ يونيو	تدمير الصواريخ السورية المطورة بالبقاع
١٩٨٢	٥ يونيو - ١ سبتمبر	حصار الفدائيين في بيروت
١٩٨٣	١٨ ابريل	تدمير السفارة الاميركية ببيروت
١٩٨٣	٢٣ اكتوبر	تدمير مقر القوات البحرية الأميركية (المارينز) ببيروت
١٩٨٣	١٧ مايو	توقيع اتفاق لبناني - «اسرائيلي» بمائل لكاتب ديفيد
١٩٨٤	مارس	إلغاء الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي
١٩٨٤	١٥ مايو	انعقاد مؤتمر يهودي بالمغرب
١٩٨٤	يونيو	إنعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني الثالث بالجزائر حول «الكيان السياسي الفلسطيني»



المصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْأَجْنِيَّةُ

المصادر الأصلية

أ - المقابلات الشخصية والمذكرات السياسية والوثائق

- ١ - مقابلة شخصية مع المرحوم الأمير سعيد الجزائري.
- ٢ - صورة الكتاب المرسل من الشريف فيصل بدرعا للأمير سعيد الجزائري لاستلام الحكم بدمشق.
- ٣ - بلاغ من نائب السلطان حسين الأول للشريف ناصر بتكليف الأمير سعيد الجزائري بالنيابة عن الشريف فيصل في حكم سوريا لحين حضوره.
- ٤ - نص مذكرات جمال باشا بالفرنسية (لم تنشر باللغة العربية بعد)، وتتضمن وثائق الاتهام التي أُدين بها الشبان العرب ممن اعدموا (١٩١٥ - ١٩١٦ م).
- ٥ - وثائق من دار المحفوظات البريطانية :

- | | |
|--|----------|
| أ - حول موقف وزارة الهند من الخلافة | رقم ٢٤٧٩ |
| ب - حول الخلافة العربية | رقم ٢٤٨٦ |
| ج - حول حقيقة الشعور في سوريا العثمانية | رقم ٢٤٨٠ |
| د - معلومات عن الشريف حسين | رقم ٢٤٨٦ |
| هـ - حول عزت باشا العابد | رقم ٢٤٧٩ |
| و - حول اول اتصال بين بريطانيا وحسين | رقم ٢١٣٩ |
| ز - حول آراء محمد مصطفى المراغي في الخلافة | رقم ٢٤٨٦ |

- ٦ - مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني - ترجمة محمد حرب عبد الحميد دار الانصار - ١٩٧٨.
- ٧ - المذكرات السياسية للسلطان عبد الحميد الثاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٧.
- ٨ - مذكرات مصطفى كمال - بيروت.
- ٩ - مذكرات الملك عبدالله - نشر أمين أبو شعر - الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م.
- ١٠ - مذكرات وايزمن بقلمه - ١٩٥٢.
- ١١ - عونى عبد الهادي - أوراق خاصة - اعداد د. خيرية قاسمية - مركز الأبحاث الفلسطيني ١٩٧٤.
- ١٢ - فايز الغصين - مذكراتي عن الثورة العربية - مطبعة الترقى بدمشق ١٩٥٦ م.
- ١٣ - عبدالله عبد الرحمن ترجمة عن مذكرات ضابط تركي سابق زميل لمصطفى كمال «الرجل الصنم» مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٧.
- ١٤ - مذكرات محمد موفاكو رئيس وزراء البانيا - بلاد الشام في مذكرات موفاكو.
- ١٥ - مذكرات فخري البارودي - دار الحياة - دمشق (جزءان)
- ١٦ - مذكرات خالد العظم - الدار المتحدة للنشر - بيروت (٣ أجزاء).
- ١٧ - مذكرات عبد الرحمن الشهنندر - دار الارشاد - بيروت.
- ١٨ - ذكريات نائب - حبيب كحالة - الهلال - دمشق.
- ١٩ - ظافر القاسمي - مكتب عنبر صور وذكريات - الكاثوليكية - بيروت.
- ٢٠ - يوسف الحكيم - ذكريات الحكيم (سوريا والعهد العثماني) الكاثوليكية - بيروت.
- ٢١ - يوسف الحكيم - ذكريات الحكيم (سوريا والعهد الفيصلي) الكاثوليكية - بيروت.

- ٢٢ — صبحي العمري — لورنس كما عرفته دار النهار — بيروت .
 ٢٣ — اربعون عاماً في الحياة العربية والدولية — احمد الشقيري — دار النهار بيروت .
 ٢٤ — مذكرات حسن الحكيم .
 ٢٥ — فارس الخوري — أيام لا تنسى — محمد الفرحاني — دمشق .
 ٢٦ — وثائق التدخل الأجنبي — دار البعث دمشق .
 ٢٧ — وثائق مؤتمر الشهداء ١٩١٦ «يوسف ابراهيم يزبك» — جريدة اليوم — بيروت .
 ٢٨ — مذكرات الحاج أمين الحسيني — «حقائق عن قضية فلسطين» — الهيئة العربية العليا .
 ٢٩ — تقارير لورنس السرية (لورنس العرب) زهدي الفاتح .
 ٣٠ — ج.ج. لورير — تقارير (دليل الخليج — جغرافياً وتاريخياً) مكتب حاكم قطر .

ب — المصادر الرئيسية

- ٣١ — احمد سعد الدين طربين «الوحدة العربية» مكتبة الادريسي — دمشق ٥٩٠ .
 ٣٢ — ابو الأعلى المودودي (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) مؤسسة الرسالة ١٩٧٥ .
 ٣٣ — د. احمد جمعة الشرباصي (رشيد رضا صاحب المنار — عصره ومصادر ثقافته — المجلس الأعلى للبحوث الاسلامية — القاهرة .
 ٣٤ — د. احمد جمعة الشرباصي (شكيب ارسلان) داعية العروبة والاسلام — دار الجيل بلبنان — القاهرة .
 ٣٥ — د. احمد عبد الرحيم مصطفى (حركة التجديد الاسلامي في العالم العربي الحديث) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ م .
 ٣٦ — د. احمد عبد الرحيم مصطفى (تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ .
 ٣٧ — أمين سعيد (الثورة العربية الكبرى) .
 ٣٨ — تقي الدين النبهاني — (الدولة الاسلامية) — الطبعة الثالثة القدس ١٩٥٣ م .
 ٣٩ — تقي الدين النبهاني — (الخلافة) — الطبعة الاولى القدس .
 ٤٠ — جهاد عوده — تونس ومسألة العروبة وقضاياها السياسية — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية — بدار الاهرام (١٩٧٩) .
 ٤١ — خير الدين باشا التونسي — (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) .
 ٤٢ — د. رؤوف شلبي (حسن البنا ومدرسة الاخوان المسلمين) — القاهرة .
 ٤٣ — د. سيد رجب حراز — الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب — معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ .
 ٤٤ — د. صلاح مسعود بوبصير (جهاد شعب فلسطين) رسالة دكتوراه بالأزهر الشريف . بيروت .
 ٤٥ — عبد القادر عوده — الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه «المختار الاسلامي» .
 ٤٦ — د. عبد العزيز الحياط — «المجتمع المتكافئ في الاسلام» — مكتبة الأقصى، ومؤسسة الرسالة .
 ٤٧ — د. عبد الله حنا (الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان) دار العربي ١٩٧٣ م .
 ٤٨ — د. علي حسني الخربوطي — التاريخ الموحد للأمة العربية — الهيئة المصرية ١٩٧٠ .
 ٤٩ — د. علي حسني الخربوطي — (الاسلام والخلافة) — دار بيروت ١٩٦٩ .
 ٥٠ — عبد القديم زلوم (كيف هدمت الخلافة) ١٩٦٢ .
 ٥١ — د. عبد الكريم رافق — (العرب والعثمانيون) الطبعة الاولى ١٩٧٤ .
 ٥٢ — د. محمد عمر — يهود الدونمة — مؤسسة الدراسات التاريخية .

- ٥٣ — د. محمد حرب — شهود يهوه — دراسات تاريخية اسلامية.
- ٥٤ — د. محمد علي قطب — يهود الدوفمة — سلسلة اعرف عدوك — دار الأنصار — القاهرة — ط ١ — ١٩٧٨ م.
- ٥٥ — د. بدر الدين عباس الخصوصي — القضية اللبنانية — ط ١ — مطابع سجل العرب — القاهرة — ١٩٧٨ م.
- ٥٦ — د. نور الدين حاطوم — محاضرات عن القومية العربية — معهد البحوث والدراسات العربية — القاهرة — ١٩٧٧ م.
- ٥٧ — د. علي حسون — الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية المكتب الاسلامي — دمشق ١٩٨٠ م.
- ٥٨ — د. خيرية قاسمية — النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه — مركز الأبحاث الفلسطيني — بيروت — ١٩٧٣ م.
- ٥٩ — محمد بن عبدالغني النواوي — الصراع العربي الاسرائيلي ج ١ مؤامرة الدويلات الطائفية ط ١ — ١٩٨٣ م.
- ٦٠ — محمد خليفة التونسي — بروتوكولات حكماء صهيون — ط ٤ — دار الكتاب العربي — بيروت — ١٩٦١ م.
- ٦١ — محمود العابدي — بن غوريون وبناء اسرائيل — دائرة الثقافة — وزارة الثقافة والاعلام — عمان الأردن — ١٩٦٩ م.
- ٦٢ — مذكرات حاييم وايزمن بقلمه.
- ٦٣ — مذكرات وايزمن عن كتابه (Trial and Error) التجربة والخطأ — ط ٢ — الناشر محمد رشاد الشهابي.
- ٦٤ — مذكرات تشرشل — منشورات مكتبة المنار بغداد.
- ٦٥ — أ. ل. شاتليه — الغارة على العالم الاسلامي — ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي المطبعة السلفية بالقاهرة ط ٣ — ١٣٨٥ هـ.
- ٦٦ — د. علي أحمد السالوس — الامانة عند الجمهور والفرق المختلفة — مكتبة ابن تيمية — الكويت — ١٩٧٨ م.
- ٦٧ — د. هشام شرابي — المثقفون العرب والغرب — دار النهار — بيروت — ١٩٧١ م.
- ٦٨ — د. كمال سليمان صليبي — الموارنة (صورة تاريخية) — ملف النهار بيروت — ١٩٧٠ م.
- ٦٩ — د. محمد عمارة — الاسلام والسلطة الدينية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة.
- ٧٠ — د. محمد عمارة — نظرية الخلافة الاسلامية — دار الثقافة الجديدة بالقاهرة.
- ٧١ — محمد الطاهر النيفر — أهم الفرق الاسلامية — الشركة التونسية للتوزيع — ١٩٧٤ م.
- ٧٢ — تقي الدين النبهاني — الدولة الاسلامية — ط ٣ — القدس ١٩٥٣ م.
- ٧٣ — عبدالقادر عودة — الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه — الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية — دار القرآن الكريم — ١٩٧٧ م.
- ٧٤ — د. عبدالقادر شلبي — الاسلام والمستشرقون — مطبوعات الشعب — القاهرة.
- ٧٥ — غانم عبده — نقض الاشتراكية الماركسية — ١٩٦٣ م.
- ٧٦ — الشيخ محمد محمود السطوحى — التصوف وأقطابه — كتاب الجمهورية الديني — القاهرة.
- ٧٧ — الشيخ عبدالعزيز بن باز — نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع — للمكتب الاسلامي ط ٢ — بيروت ١٣٩١ هـ.
- ٧٨ — مالك بن نبي — إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث — مكتبة عمار — القاهرة ١٩٧٠ م.
- ٧٩ — عباس السيسى — حسن البناء مواقف في الدعوة والتربية — دار الدعوة — الاسكندرية ط ١ — ١٩٧٨ م.
- ٨٠ — عبدالعزيز محمد نور — باعث الروح الإمام الشهيد حسن البناء — دار الطباعة المصرية الحديثة.
- ٨١ — عبدالقادر عودة — الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه — المختار الاسلامي — القاهرة.
- ٨٢ — الإمام حسن البناء — مذكرات الدعوة والداعية — دار الشهاب — القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٨٣ — عبدالعزيز سيد الأهل — التصوف الاسلامي أصوله ومبادئه — المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية — القاهرة — ١٩٨٠ م.

- ٨٤ — عبدالرحمن عبدالخالق — الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة — الدار السلفية — الكويت ١٩٧٥ م.
- ٨٥ — عبدالواحد الأنصاري — مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام — الأعلمي للمطبوعات — لبنان ١٩٧٣ م.
- ٨٦ — مصطفى غالب — الحركات الباطنية في الاسلام — دار الكتاب العربي — بيروت.
- ٨٧ — منير الشريف — العلويون.. من هم؟ وأين هم؟ — ط ٢ المطبعة العمومية — دمشق ١٩٦٠ م.
- ٨٨ — مصطفى غالب — سنان راشد الدين شيخ الجبل الثالث — دار اليقظة العربية بدمشق وبيروت ط ١ ١٩٦٧ م.
- ٨٩ — الجنرال جواد رفعت أتلخان — أسرار الماسونية — ترجمه عن التركية — نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي.

ج — الكتب والدراسات العربية

- ١ — أحمد أمين — زعماء الإصلاح في العصر الحديث — مكتبة النهضة المصرية — ط ٣ مصر ١٩٧١ م.
- ٢ — أديب قعوار — المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة — منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨ م دراسات فلسطينية (٢٩).
- ٣ — إلياس حنا — الوضع القانوني المقاومة العربية في الأرض المحتلة — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨ م دراسات فلسطينية (٤٩).
- ٤ — إنجلينا الحلو — اسرائيل والسوق الأوروبية المشتركة — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨ م دراسات فلسطينية (٤٠).
- ٥ — إنجلينا الحلو — عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والإقتصادية — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٧ م دراسات فلسطينية (١٦).
- ٦ — أسعد عبدالرحمن — التسلل الإسرائيلي في آسيا (الهند وإسرائيل) — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٧ م دراسات فلسطينية (١١).
- ٧ — د. أمين عبدالله محمود — مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى — مطابع الرسالة — الكويت ١٩٨٤ م عالم المعرفة.
- ٨ — د. إسحق موسى الحسيني — عروبة بيت المقدس — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٩ م دراسات فلسطينية (٦١).
- ٩ — أبي بكر الجزائري — الدستور الإسلامي — المكتب الإسلامي — ط ٢ بيروت ١٣٩١ هـ.
- ١٠ — أميل الغوري — فلسطيني عبر ستين عاماً (١٩٢٢ — ١٩٣٧) — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٧٣ م الجزء الثاني.
- ١١ — أبو إياد (صلاح خلف) — فلسطيني بلا هوية — شركة كاظمة للنشر — الكويت.
- ١٢ — د. إسحاق موسى الحسيني — الإخوان المسلمون (كبرى الحركات الإسلامية الحديثة) — دار بيروت للنشر — ط ١ — بيروت ١٩٥٢ م.
- ١٣ — إبراهيم خليل أحمد — المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي — مكتبة الوعي العربي — القاهرة ١٩٦٤ م.
- ١٤ — إبراهيم سلامة — البعث (من المدارس إلى الثكنات) — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٦٩ م — ملف النهار العدد ٢٥.
- ١٥ — أدمون غريب — الحركة القومية الكردية — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٧٣ م.
- ١٦ — د. إبراهيم أحمد العدوي — حركات التسلل ضد القومية العربية — وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دار

- القلم) — القاهرة ١٩٦١م المكتبة الثقافية (٥٠).
- ١٧ — أحمد تيمور باشا — اليزيدية ومنشأ نحتهم — المطبعة السلفية ومكتبتها — ط ٢ — مصر ١٣٥٢هـ.
- ١٨ — أحمد شلبي — مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى) الهندوسية — الجينية — البوذية — مكتبة النهضة المصرية — ط ٤ — مصر ١٩٧٦م.
- ١٩ — إحسان هندي — معركة ميسلون — وزارة الثقافة والإرشاد القومي — ١٩٦٧م.
- ٢٠ — ألبرت حوراني ترجمة كريم عز قول — الفكر العربي في عصر النهضة — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٣٩م.
- ٢١ — أحمد الشقيري — أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٦٩م.
- ٢٢ — د. أرجند كوران نقله عن التركية د. عبد الجليل التميمي — السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٢٧ — ١٨٩٤٧) يلي ذلك دراسة عن الحاج أحمد باي قسطنطينية — الشركة التونسية لفنون الرسم — ط ٢ — تونس ١٩٧٤م.
- ٢٣ — أحمد شيخ خيس — العالم العربي في ماضيه وحاضره — ١٩٦٦م.
- ٢٤ — أبو الحسن الندوي — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — دار القلم — كويت — ط ٩ — الكويت ١٩٧٣م.
- ٢٥ — د. أحمد الشرباصي — رشيد رضا — صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته — المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — ١٩٧٠م الكتاب الثامن والخمسون.
- ٢٦ — د. أحمد الشرباصي — شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام — دار الجليل — ط ٢ — بيروت ١٩٧٨م.
- ٢٧ — د. أحمد عبدالرحيم مصطفى — علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو إسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) — دار المعارف — مصر ١٩٦٧م.
- ٢٨ — أبو حامد الغزالي حققه وقدم له عبدالرحمن بدوي — فضائح الباطنية — دار الكتب الثقافية — الكويت.
- ٢٩ — د. أحمد عبدالرحيم مصطفى — حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث — معهد البحوث والدراسات العربية — ١٩٧١م.
- ٣٠ — أنيس صايغ — الجهل بالقضية الفلسطينية دراسة في معلومات الجامعيين العرب عن القضية الفلسطينية — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٧٠م أبحاث فلسطينية (١٨).
- ٣١ — أنيس صايغ — ميزان القوى العسكرية (بين الدول العربية وإسرائيل) — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٧م دراسات فلسطينية (١٢).
- ٣٢ — أنيس صايغ — الهاشميون وقضية فلسطين — جريدة الحرر والمكتبة العصرية — بيروت ١٩٦٦م.
- ٣٣ — أنيس صايغ — الهاشميون والثورة العربية الكبرى — دار الطليعة — بيروت — ط ١ — بيروت ١٩٦٦م.
- ٣٤ — أسعد زروق — الدولة والدين في إسرائيل — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨م — دراسات فلسطينية (٣٧).
- ٣٥ — د. أسعد زروق — المجلس الأميريكي لليهودية (دراسة في البديل اليهودي للصهيونية) — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٧٠م — دراسات فلسطينية (٦٨).
- ٣٦ — د. أسعد زروق — الصهيونية وحقوق الإنسان العربي (١) — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨م — دراسات فلسطينية (٤٧).
- ٣٧ — د. أسعد زروق — إسرائيل الكبرى (دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني) — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٨م — كتب فلسطينية (١٣).
- ٣٨ — د. إبراهيم أبو لغد ترجمة د. أسعد زروق — تهويد فلسطين — منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث — بيروت ١٩٧٢م.

- ٣٩ — الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني — عقيدة السلف (أصحاب الحديث) — الدار السلفية — ط ١ — الكويت ١٩٧٧ م.
- ٤٠ — أبو الأعلى المودودي — حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية — دار الأنصار — القاهرة.
- ٤١ — أبو الأعلى المودودي — موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) — مؤسسة الرسالة — بيروت ١٩٧٥ م.
- ٤٢ — أبو الحسن علي الحسيني الندوي أبو الأعلى المودودي محمد الخضر الحسيني — الحركات الهدامة (القاديانية) — رابطة العالم الإسلامي — السعودية.
- ٤٣ — أبو الأعلى المودودي — منهج الانقلاب الإسلامي — دار الفكر
- ٤٤ — أبو الأعلى المودودي نقله للعربية أحمد ادريس — الحكومة الإسلامية — المختار الإسلامي — ط ١ — القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٤٥ — أنور الجندي — عالمية الإسلام — دار المعارف — ١٩٧٧ م — سلسلة إقرأ (٤٢٦).
- ٤٦ — أنور الجندي — يقظة الاسلام في تركيا — دار الأنصار — القاهرة — على طريق الأصالة الإسلامية (٨).
- ٤٧ — روبر جاكسون ترجمه أنور الجندي — حسن البنا (الرجل القرآني) — المختار الإسلامي — ط ١ — القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٤٨ — أنور الجندي — الحضارة في مفهوم الإسلام — دار الأنصار — القاهرة — على طريق الأصالة الإسلامية (٤).
- ٤٩ — أنور الجندي — أضواء على الفكر العربي الإسلامي — الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٦ م — المكتبة الثقافية (١٤٩).
- ٥٠ — أنور الجندي — المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية — دار الاعتصام — ط ٢ — القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٥١ — أنور الجندي — يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار (١) — مكتبة الإنجلو المصرية — ط ٣ — مصر ١٩٧١ م.
- ٥٢ — أنور الجندي — شبهات في الفكر الإسلامي — دار الاعتصام — القاهرة ١٩٧٧ م — أحاديث إلى الشباب المسلم.
- ٥٣ — أنور الجندي — يقظة الاسلام في تركيا — دار الأنصار — القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٥٤ — أنور الجندي — الاستعمار والاسلام — دار الانصار — القاهرة — ١٩٧٩ م.
- ٥٥ — أحمد الداعور — أحكام البيئات — مطابع الغندور — بيروت ١٩٦٥ م.
- ٥٦ — ابراهيم عبده — تطور الصحافة المصرية — مطبعة الآداب — القاهرة ١٩٥١ م.
- ٥٧ — ابراهيم عبده — جريدة الاهرام — تاريخ الفن — مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٥٨ — ابراهيم عامر — الارض والفلاح — المسألة الزراعية في مصر — مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع — القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٥٩ — ابراهيم عامر — ثورة مصر القومية — دار النديم — القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٦٠ — احمد جامع — الرأسمالية الناشئة — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٨ م.
- ٦١ — احمد بهاء الدين — أيام لها تاريخ — كتاب اليوم — القاهرة.
- ٦٢ — احمد رشاد — مصطفى كامل — مطبعة دار السعادة — القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٦٣ — احمد لطفي السيد — حياتي — كتاب الهلال — القاهرة.
- ٦٤ — أنور الجندي — الصهيونية والاسلام — دار الأنصار — على طريق الأصالة الإسلامية (٣) — القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٦٥ — احمد عبدالرحيم مصطفى — تاريخ مصر السياسي من الاحتلال حتى المعاهدة — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٧ م.
- ٦٦ — احمد شفيق باشا — مذكراتي في نصف القرن — مطبعة مصر — القاهرة ١٩٣٤ م.

- ٦٧ — احمد شفيق باشا — حويات مصر السياسية — مطبعة شفيق باشا — القاهرة ١٩٢٨ م.
- ٦٨ — احمد طربين — الوحدة العربية — معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٦٩ — احمد سويلم العمري — المجتمع العربي وتطورات الاجتماعية والسياسية — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٦٥ م.
- ٧٠ — امين مصطفى عفيفي عبدالله — تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٥٤ م.
- ٧١ — أمين عز الدين — تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ إنشائها حتى عام ١٩١٩ — دار الكتاب العربي — القاهرة.
- ٧٢ — انطون سعادة — نشوء الأمم — دار الثقافة بيروت — ١٩٥٧ م.
- ٧٣ — انور الجندي — القومية العربية والوحدة الكبرى — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ م.
- ٧٤ — انور الجندي — الصحافة السياسية في مصر — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٢ م.
- ٧٥ — انيس صايغ — الهاشميون والثورة العربية الكبرى — دار الطليعة — بيروت.
- ٧٦ — انيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — دار الطليعة — بيروت.
- ٧٧ — بطرس غالي وعمود خيرى عيسى — الدخول في علم السياسة — الطبعة الاولى — مكتبة الانجلو — القاهرة — ١٩٥٩ م.
- ٧٨ — بيلينا جينساكيا — مسألة الأمة — ترجمة رفعت السعيد — مكتب يوليو للترجمة والنشر والتوزيع — القاهرة — ١٩٦٦ م.
- ٧٩ — تشارلز آدمز — الاسلام والتجديد في مصر — ترجمة عباس محمود — لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية — القاهرة — ١٩٣٥ م.
- ٨٠ — تيدور رتشتين — فصول من المسألة المصرية — ترجمة عبدالحميد العبادي ومحمد بدران — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥٩ م.
- ٨١ — تيدور ما يرغرين — الليبرالية والموقف الليبرالي — ترجمة جورج زيناتي وفوزي ميللاوي — المؤسسة الشرقية للترجمة والنشر — بيروت.
- ٨٢ — تشارلز فرنكل — أزمة الانسان الحديث — ترجمة تقولا زيادة — مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٥٩ م.
- ٨٣ — جورجى زيدان — تراجم مشاهير الشرق في القرن ١٩ — الجزء الأول والثاني — مطبعة الهلال — القاهرة — ١٩٢٢ م.
- ٨٤ — جابر رزق — المؤامرة على الاسلام مستمرة — دار الأنصار — القاهرة — ١٩٧٨ م.
- ٨٥ — جاكوب لاندوا — تاريخ الاحزاب والحياة البرلمانية في مصر — ترجمة سامي الليثي — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ م.
- ٨٦ — جمال حمدان — شخصية مصر — دراسة في عبقرية المكان — كتاب الهلال القاهرة — ١٩٦٧ م.
- ٨٧ — جمال حمدان — استراتيجية الاستعمار والتحرير — كتاب الهلال — القاهرة ١٩٦٨ م.
- ٨٨ — حازم نسيبة — القومية العربية — ترجمة عبد اللطيف شرارة — دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٥٩ م.
- ٨٩ — حسين فوزي النجار — الجريدة — تاريخ — رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمة لقسم الصحافة بآداب القاهرة.
- ٩٠ — خليل صابات وسامي عزيز ويونان لبيب رزق — حرية الصحافة في مصر — القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٩١ — خليل صابات — الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم — دار المعارف الطبعة الاولى القاهرة — ١٩٥٩ م.
- ٩٢ — ذوقان قرقوط — الفكرة العربية في مصر — المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت — ١٩٧٣ م.

- ٩٣ — رثيف خوري — معالم الوعي القومي — منشورات المكشوف ببيروت — ١٩٤١ م.
- ٩٤ — ساطع الحصري — محاضرات في نشوء الفكرة القومية — الطبعة الرابعة — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٥٩ م.
- ٩٥ — ساطع الحصري — أبحاث مختارة في القومية العربية — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٩٦ — ساطع الحصري — آراء واحاديث في الوطنية والقومية — مطبعة الرسالة — القاهرة ١٩٤٤ م.
- ٩٧ — سميح عاطف الزين — الاسلام وايدولوجية الانسان — دار الكتاب اللبناني.
- ٩٨ — سيد قطب — الإسلام ومشكلات الحضارة — دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٩٩ — سامي عزيز — الصحافة وموقفها من الاحتلال البريطاني — دار الكتاب العربي — القاهرة ١٩٦٨ م.
- ١٠٠ — ستالين — اسس اللينينية — دار الفارابي — بيروت — ١٩٥٧ م.
- ١٠١ — ستالين — اللينينية والمسألة القومية — دار الفارابي — بيروت ١٩٥٧ م.
- ١٠٢ — سعيد حوى — دروس في العمل الاسلامي — دار السلام — ١٩٨١ م.
- ١٠٣ — سعيد عاشور — مصر في دولة المماليك البحرية — مكتبة الانجلو — القاهرة.
- ١٠٤ — سليم خليل النقاش — مصر للمصريين — الجزء السادس — مطبعة المحروسة — القاهرة ١٨٨٤ م.
- ١٠٥ — شهدي عطية الشافعي — تطور الحركة الوطنية المصرية — (١٨٨٢ — ١٩٥٦) الدار المصرية للكتب — القاهرة — ١٩٥٧ م.
- ١٠٦ — صبحي وحيدة — في اصول المسألة المصرية — مطبعة مصر — القاهرة — ١٩٥٠ م.
- ١٠٧ — صلاح عيسى — الثورة العربية — المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ١٩٧٢ م.
- ١٠٨ — صول. ك بادوفر — معنى الديمقراطية — ترجمة جورج عزيز دار الكرنك للنشر والتوزيع — القاهرة — ١٩٦٧ م.
- ١٠٩ — طه حسين — مستقبل الثقافة في مصر — الجزء الاول والثاني دار المعارف القاهرة — ١٩٣٨ م.
- ١١٠ — عبد الرحمن الرافعي — تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الجزء الاول — الطبعة الرابعة — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٥ م.
- ١١١ — عبد الرحمن الرافعي — عصر اسماعيل — الجزء الاول — الطبعة الثانية النهضة المصرية.
- ١١٢ — عبد الرحمن الرافعي — الثورة العربية والاحتلال الانجليزي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٩ م.
- ١١٣ — عبد الرحمن الرافعي — عصر محمد علي — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة — المصرية القاهرة — ١٩٥١ م.
- ١١٤ — عبد الرحمن الرافعي — مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال — مطبعة النهضة — الطبعة الثالثة — القاهرة — ١٩٤٨ م.
- ١١٥ — عبد الرحمن الرافعي — محمد فريد — رمز الاخلاص والتضحية — الطبعة الاولى — مطبعة مصطفى البابي الحلبي — القاهرة — ١٩٤١ م.

د — المصادر الرئيسية باللغة التركية

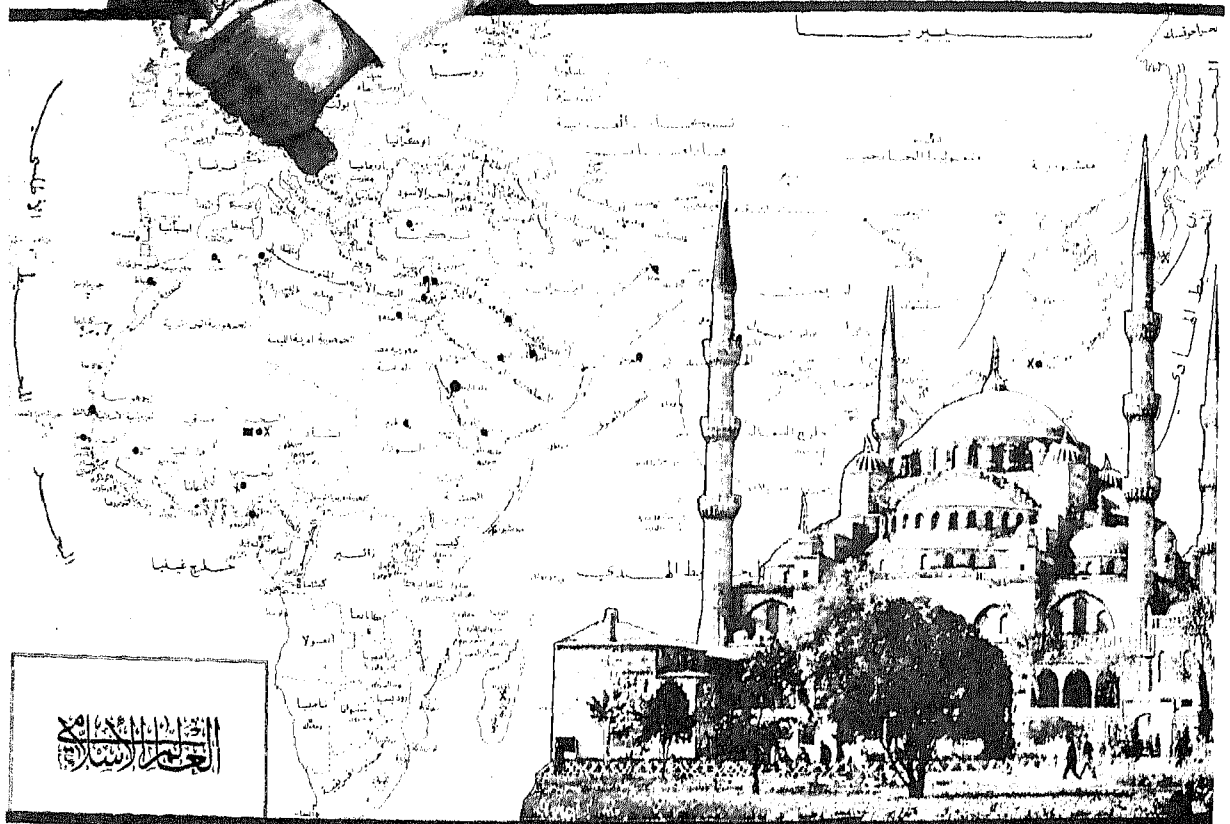
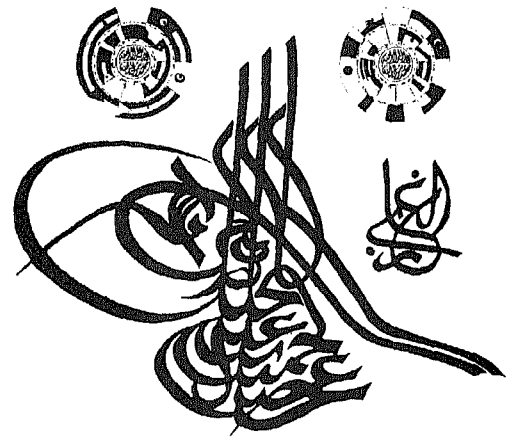
- ١ — أورام غالتني، توركلر ويهوديلر، استانبول.
- ٢ — سلطان عبدالحليم، سياسي خاطراتم.
- ٣ — عبدالحميد الثاني، خاطرات سلطان عبدالحميد خان ثاني (١٣٣٨).

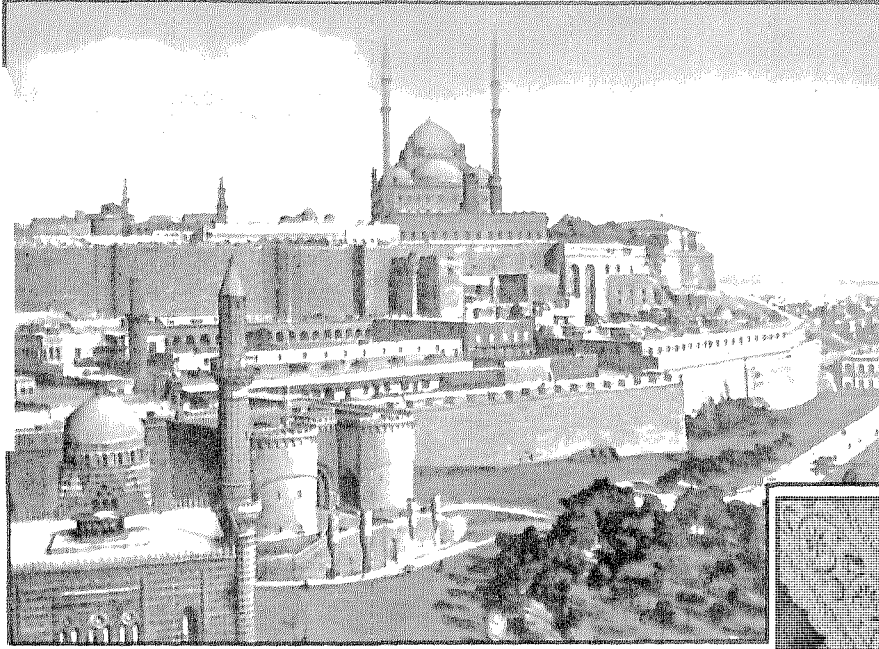
19. **Laski J. Harold,**
The rise of European Liberalism, Unwin Books, London, 1962.
20. **Maciver R.M.**
The Modern State. Unwin Books, London, 1968.
21. **Mill John Stuart,**
On Liberty Macmillan, Oxford, U.S.A., 1925.
22. **Mill John Stuart,**
Considerations on Representatives Government, The Liberal Arts.
Press, U.S.A., 1958.
23. **Minojue K.R.**
Nationalism, Rekleen and Co. Ltd. London, 1967 .
24. **Niebuhr Reinhold and Sigmund Paulo E.**
The Democratic Experience, Frederick and A Praeber Publishers.,
U.S.A., 1962.
25. **Osborn Annie Marion Rousseau and Burke,**
Oxford University Press, London, 1940.
26. **Palmer Monte (Editor)**
The Human Factor in Political Development, Ginn and Company,
U.S.A., 1970.
27. **Pennouk Roland,**
Liberal Democracy, Rinehart and Company, U.S.A. 1950.
28. **Plamenats John,**
Democracy and Illusion, Clarke Deble and Brendon M.D., London,
1973.
29. **Sabine George H.**
A History of Political Theory Library of Congress U.S.A., 1961 .
30. **Smith D. Anthony,**
Theories of Nationalism, Herbert and Publishers U.S.A., 1969.
31. **Toynbee Arnold J.**
Democracy in the Atomic Age, Oxford University Press, London,
1956.
32. **Wheeler Harvey.**
Democracy in a Revolutionary Era, Pelican Books, London, 1971.
33. **Encyclopedia Americana,**
American Corporation, U.S.A., Volume 12, 1963.
34. **Encyclopedia Britanica,**
Volume 16 - William Benton Publisher, London, 1973.
35. **Encyclopedia International**
Crobior Limited Volume 12, London, 1973.
36. **Encyclopedia of the Social Science,**
Volume 9, The Macmillan Co., New York, U.S.A., 1959.
37. **International Encyclopedia of the Social Science**
Vol. 4, The Free Press, U.S.A., 1968.

هـ - المراجع والدراسات الأجنبية

REFERENCES

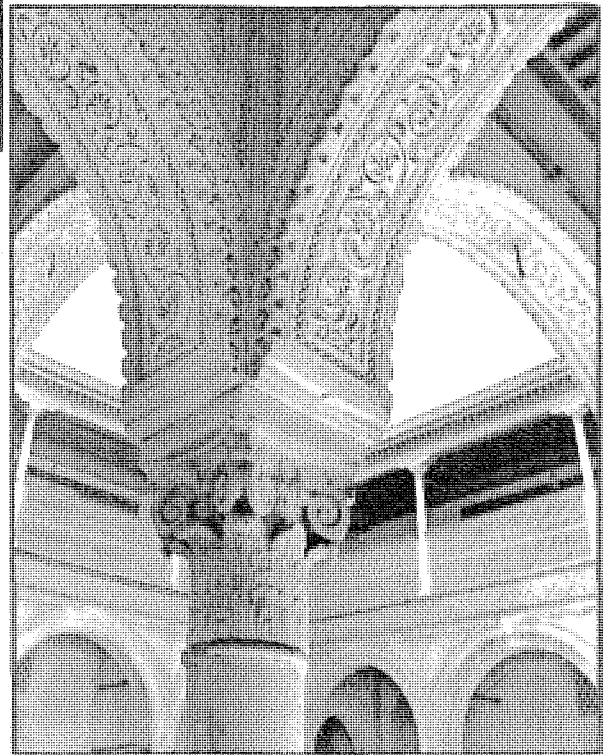
1. **Ahmed Jamal Mohammed**
The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism" Oxford University Press, London, 1966.
2. **Aron Raymond**
An Essay on Freedom. The World Publishing Company U.S.A., 1970.
3. **Bailey P.M.**
What is Democracy. The Comstock Publishing U.S.Q. 1981.
4. **Benes Edward**
Democracy - The Macmillan Company - New York, 1939.
5. **Bowle John**
Politics and Opinion in the Nineteenth Century A Leden Press, London, 1954.
6. **Can Casters Lane W**
Masters of Political Thought (Hegel and Dswey) Volume 3, George G Harrap and Co. Ltd, London 1959.
7. **Closs Felix**
European Ideologies Philosophical Library, New York 1948.
8. **Deatsch, W. Karl**
Nationalism & Its Alernatives. Afred M. Knophinc U.S.A. 1961.
9. **Duner Joseph**
Dictionary of Political Science, Philosophical Library, New York, 1964.
10. **Edward William & Lecky Martpole.**
Democracy and Liberty. Longmans Green and Company. London, 1916.
11. **Emelson Rupert**
From Empire to Nation. Harvard University Press, 1960.
12. **Jones W.J.**
Masters of Political Thought, Volume 2, George V. Mallap and Co. Ltd., London, 1959.
13. **Hourani Albert,**
Arabic Thought in the Liberal Age. Oxford University Press, London, 1970.
14. **Hoselits F. Bert,**
Theories of Economic Growth. The Free Press U.S.A., 1960.
15. **Kedourie Elie,**
Nationalism, Mutohins University Library, London, 1966.
16. **Kgalber Fugene Clossett M. John.**
Liberal and Conservative. Scott Foresman Company. U.S.A., 1968.
17. **Kohn Kans,**
The Idea of Nationalism, Macmillan Company, U.S.A. 1958.
18. **Democracy in Crisis,**
George Allen and Unwin, London, 1933.





النهضة العمرانية
العثمانية
ما زالت آثارها
شاهدة في شتى العواصم
والمدن الإسلامية

قلعة صلاح الدين الأيوبي في القاهرة يعلوها مسجد محمد علي الذي شيد
في العهد العثماني



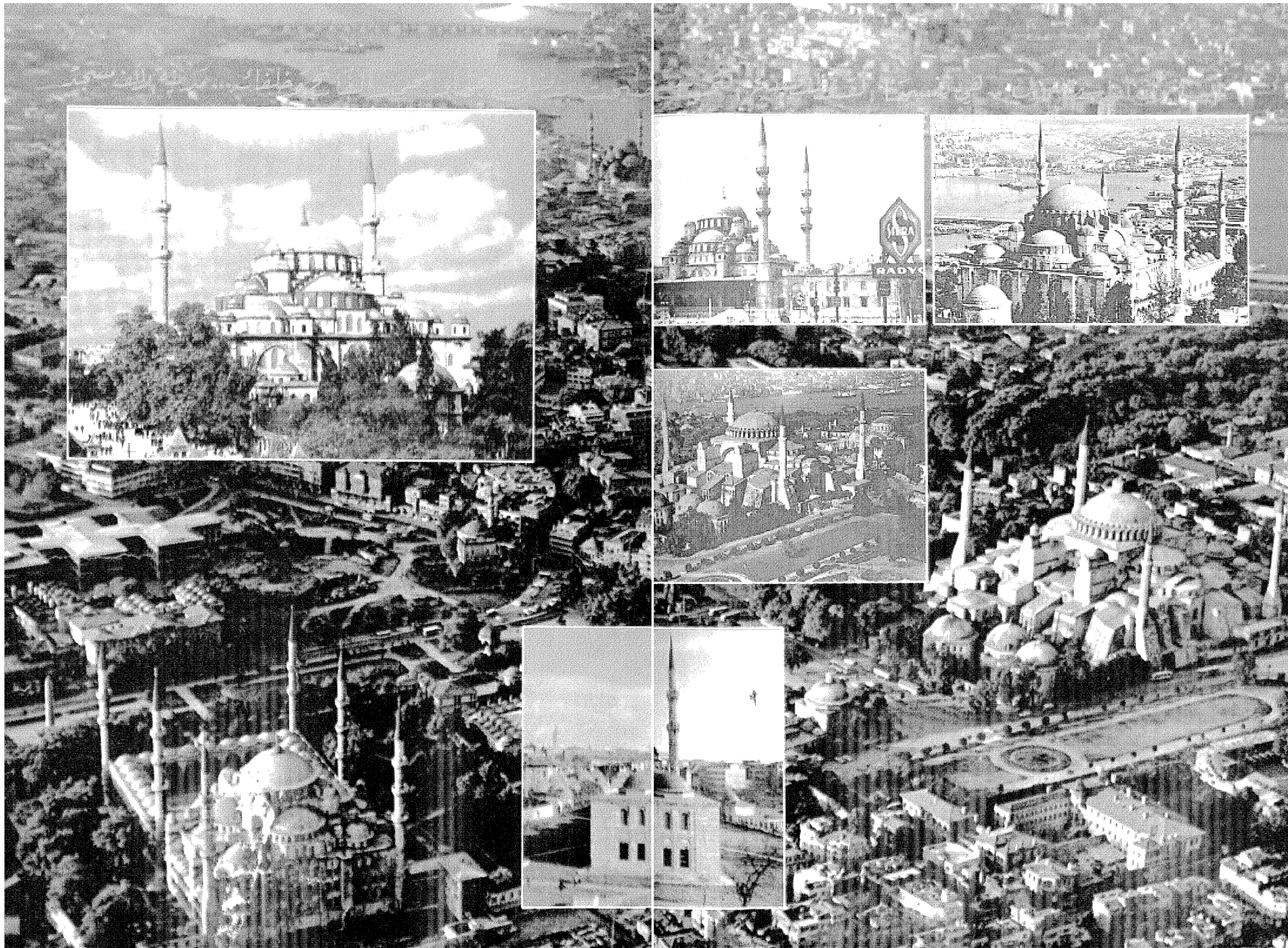
عقد من المسجد الخنفي بتونس يبرز فن النحت والعمارة العثمانية



مسجد حسن بك في بافا عرضة لمؤامرات الصهاينة الآن لإزالة كل أثر إسلامي

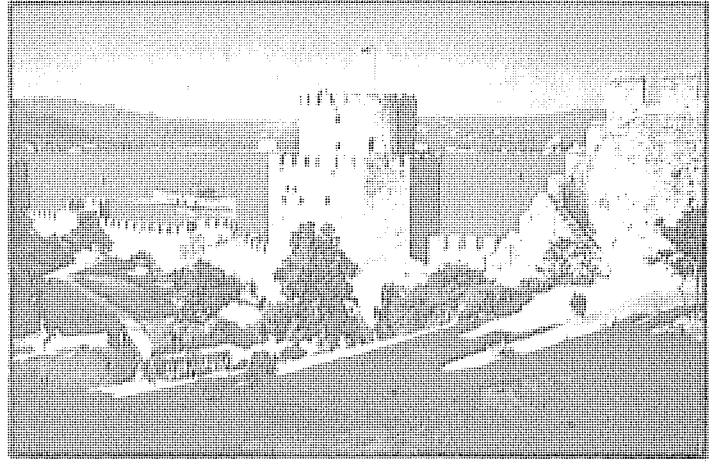


جسر غلطة في استانبول يربط آسيا بأوروبا

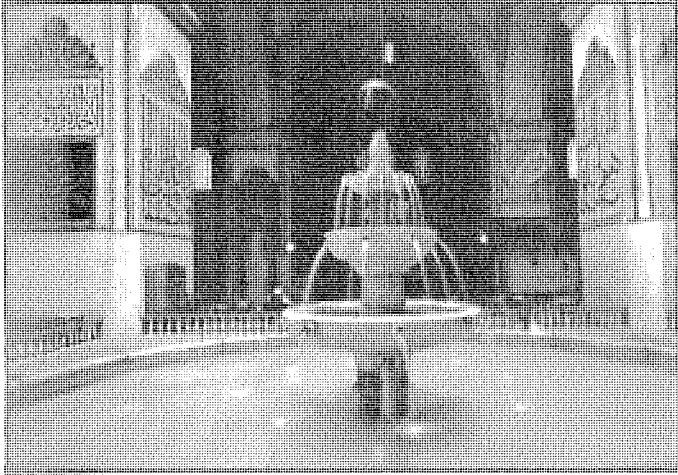




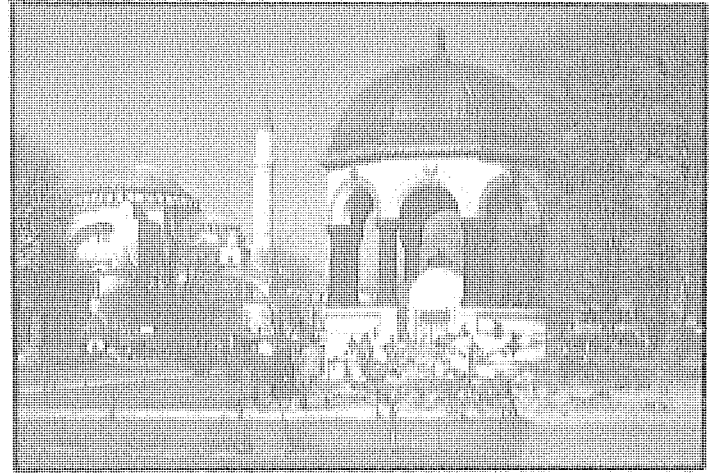
قصر يلدز مقر رئاسة الوزراء «الباب العالي» خلال العهد العثماني
كانت شهرته تفوق «البيت الأبيض» و«الكرملين» اليوم!



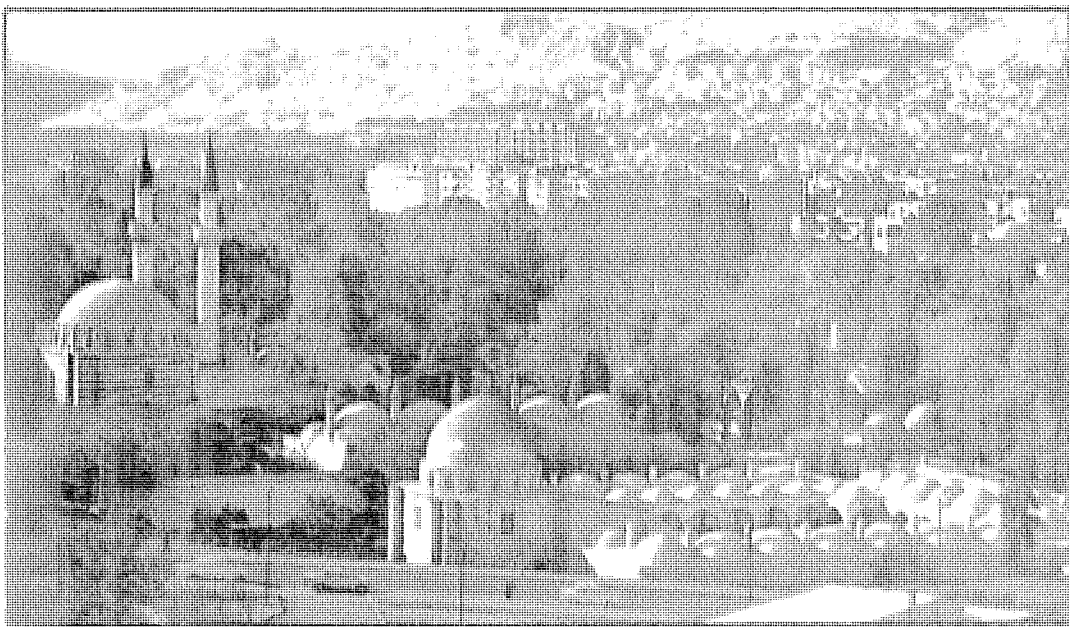
سور القسطنطينية استعصى على الفاتحين حتى إنهار أمام عبقرية محمد الفاتح



الجامع الكبير في بورصة .. لا يقل جالاً عن مساجد المسلمين في الأندلس

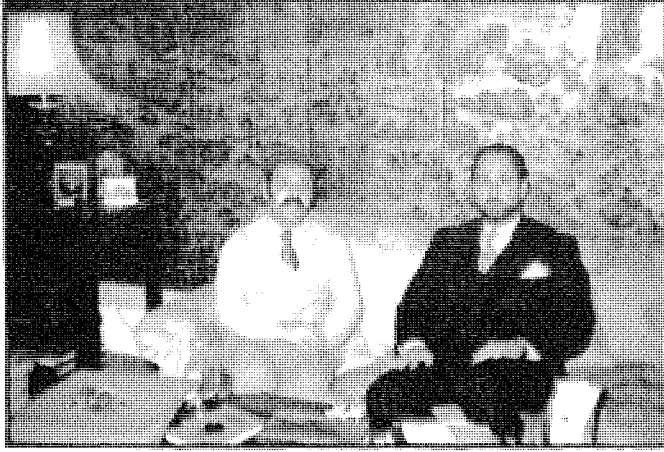


في متحف طوب قابي .. الذي يقصده الألوף بحثاً عن الكنوز الإسلامية

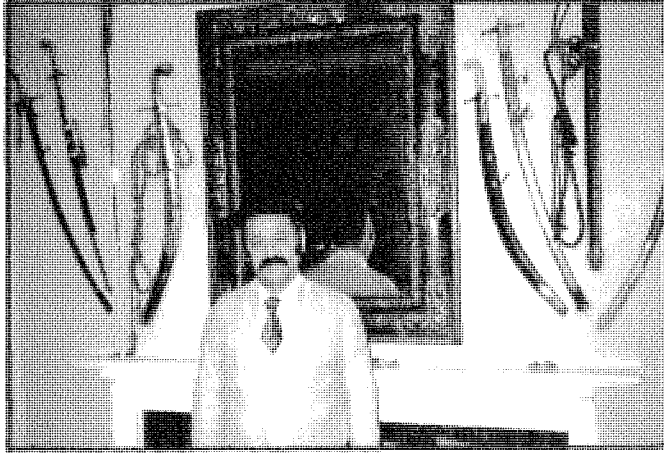


التكيمان السليمية والسليمانية
في دمشق نموذج للعمارة العثمانية الرائعة

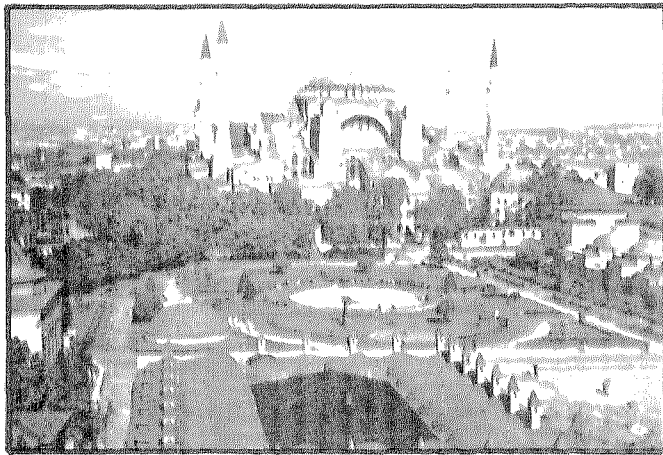
مع بقية سيوف بنو عثمان



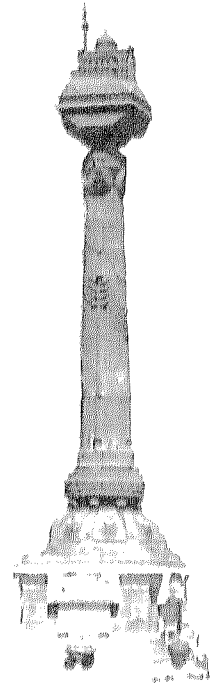
المؤلف مع الأمير عباس حلمي في لقاء بلندن زوّده خلاله ببعض المذكرات والصور والوثائق حول جده لأمه عبد الحميد الثاني



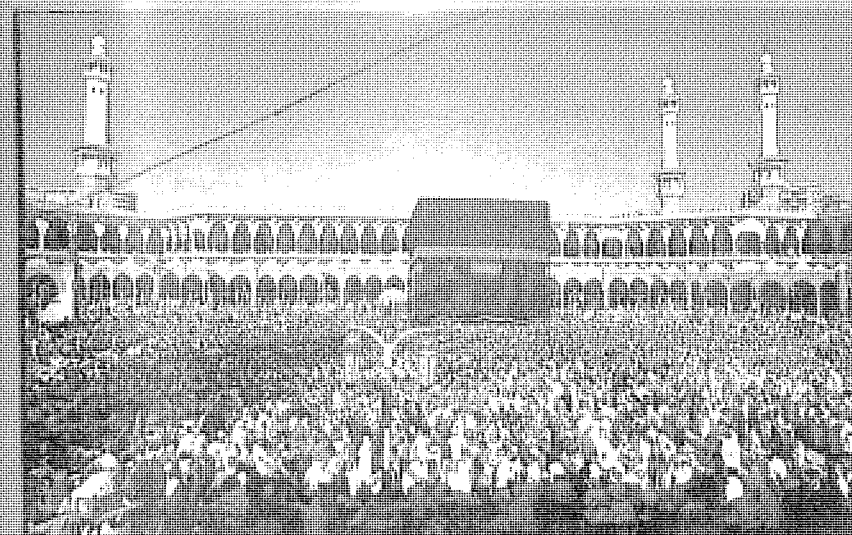
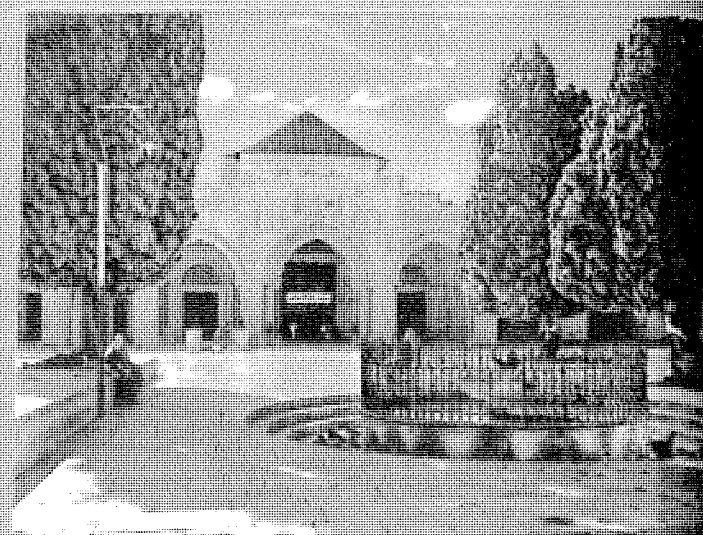
بقية سيوف بني عثمان في دار أحد «بقية سيوف بني عثمان»
وكل سيف يحكي قصة انتصار في معركة!



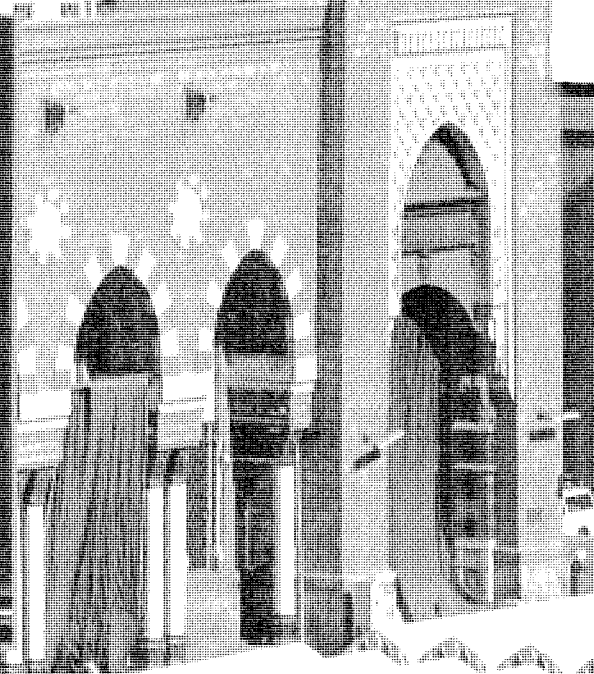
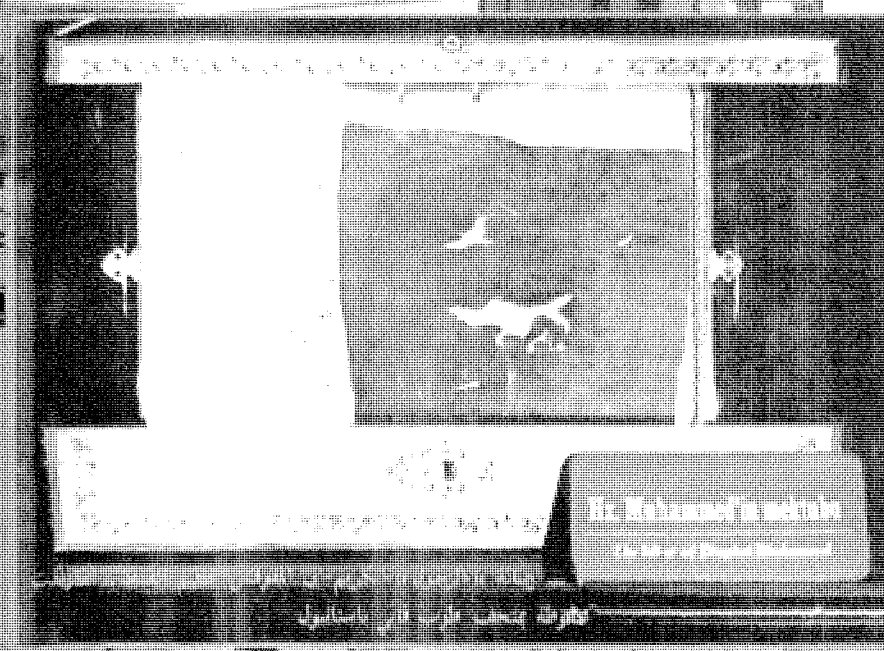
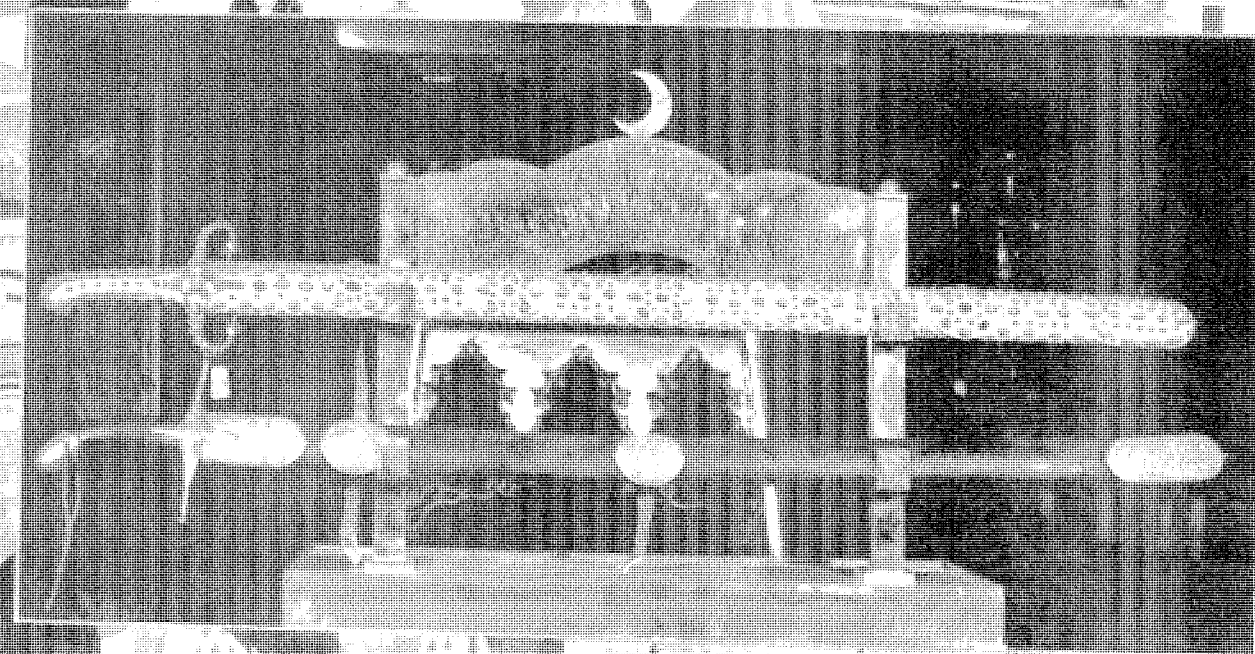
مسجد «أيا صوفيا» الجامع في استانبول، اشتافت مأذنه لنداء «الله أكبر»
منذ حوّلته مصطفى كمال إلى متحف



مسجد «أيا صوفيا» يعلو النصب
التذكاري الذي أقامه العثمانيون في
«ساحة المرجة» بدمشق

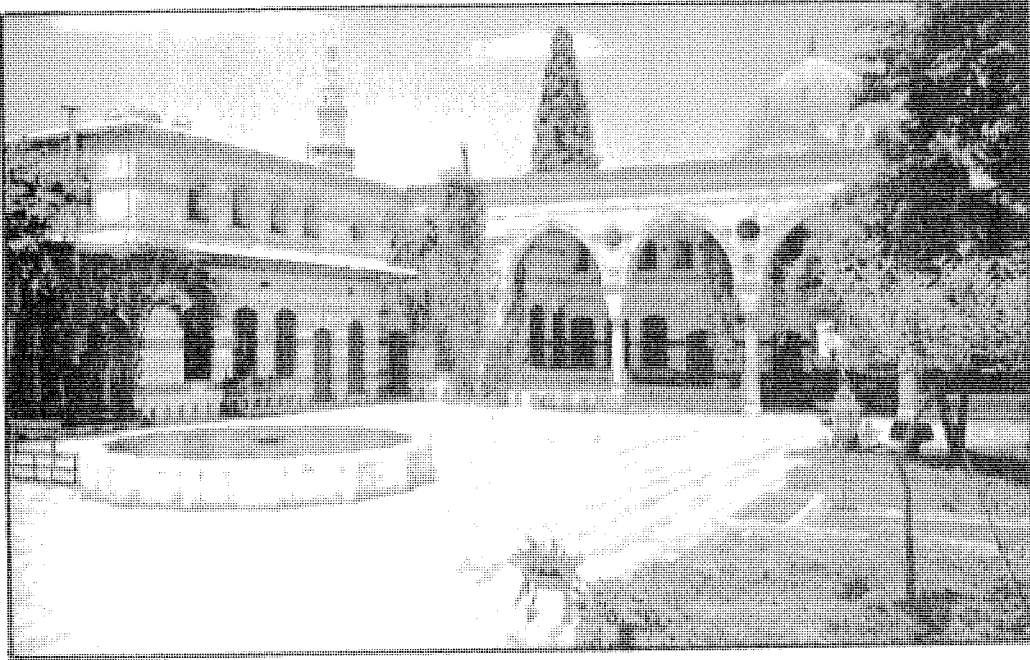


المقدسات الإسلامية استمرت في الحفظ والمحافظة عهد خلفاء بني عثمان





مبنى ادارة «سكة حديد الحجاز» في ساحة الشهيد الدكتور مسلم البارودي بدمشق



قصر العظم بدمشق تحفة معمارية وشاهد باق على الحضارة العثمانية التي عمت جميع الولايات.



سوف الحميدية العريق في دمشق الفيحاء
بعض الآثار «الحميدية» الكثيرة المنتشرة في
المدن السورية وكثير من الولايات.

فن
العامة
العثمانية
في
الشام

الحضارة العثمانية .. حضارة إسلامية خصبة ومنوعة

صناعة الزجاج في سورية
شهدت تطوراً ملحوظاً في القرن
الثالث عشر الميلادي خلال العهد
العثماني

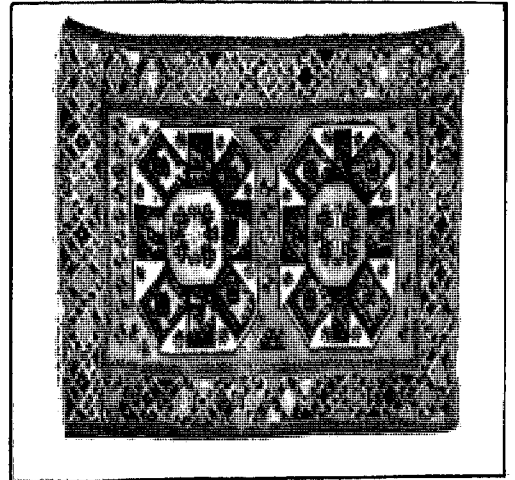


نموذج خوذة جندي
عثماني طعنت بالأحجار الكريمة
ونقشت بالآيات الكريمة .. وهي
من القرن السابع عشر



اليوم في الكثير من المدن العربية

صناعة الخزف ما تزال إلى



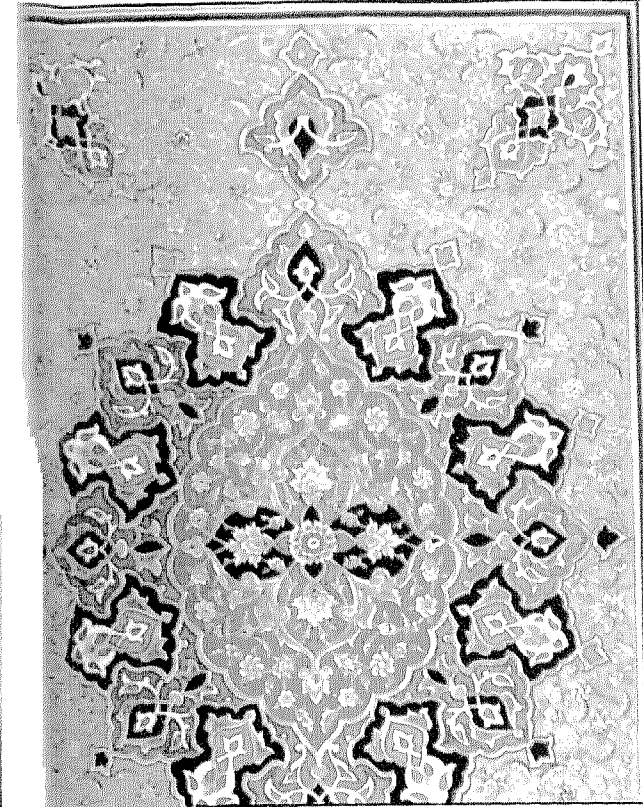


صانع النحاس
لوحة فنية للفنان الانكليزي
ارنست تمثل صناعة النحاس
العثمانية



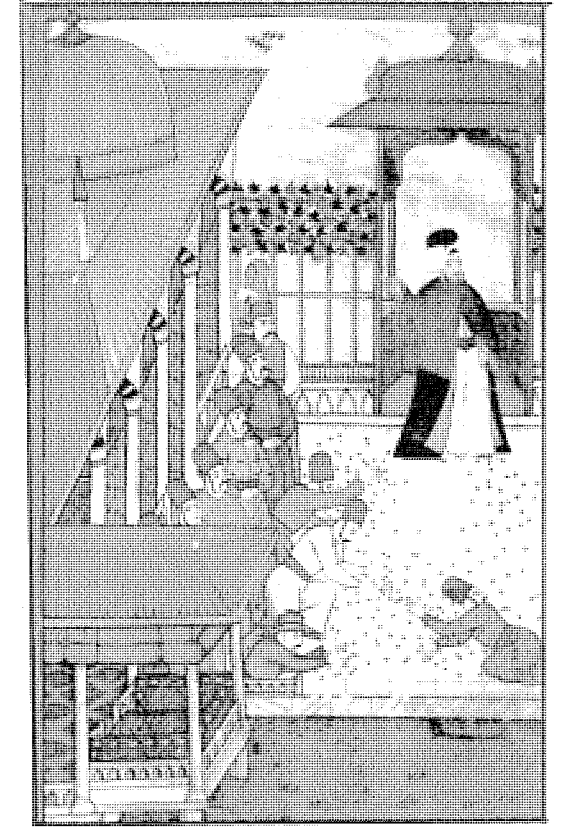
المنقوش على الحجر والرخام
من الفنون الجميلة التي أجادها
العثمانيون

الزخرفة، الحفر، النحت، النقش، الحجر والخشب، الزجاج، النحاس،
صناعات السجاد، الحرير والألوان طبعها العثمانيون بالطابع الإسلامي

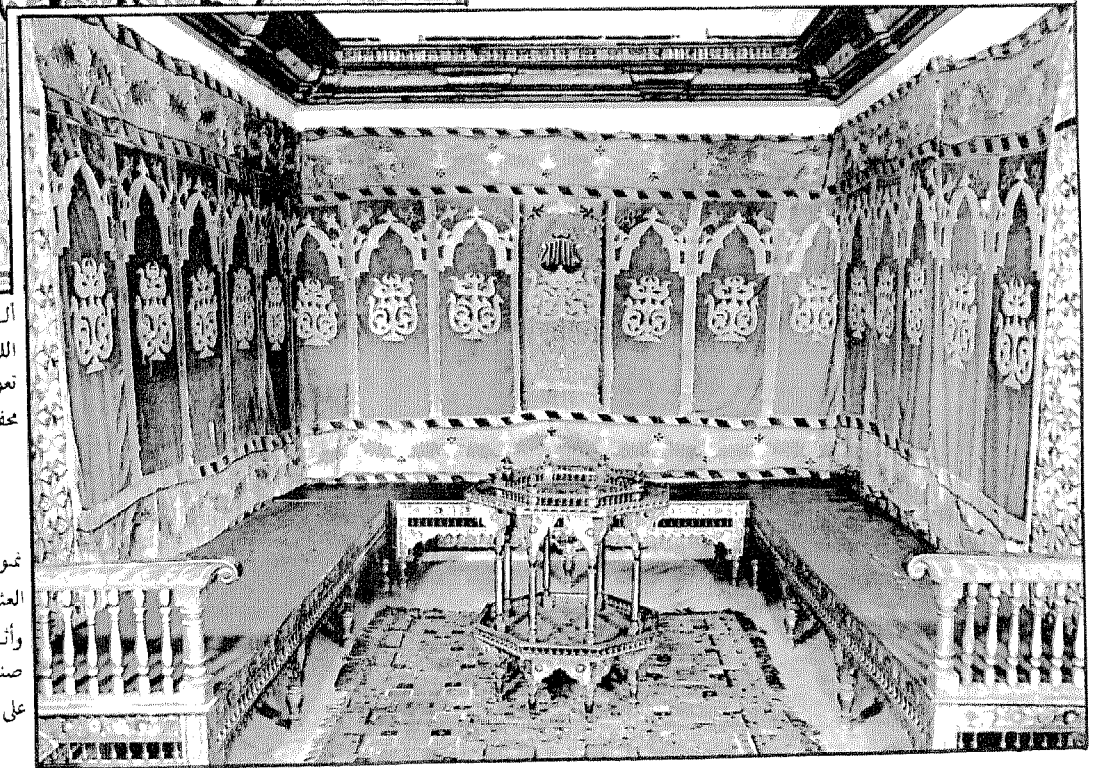


أول سلطان أحد النماذج
اللوحات التشكيلية
تعود للقرن الثامن عشر
محفوظة بمتحف «طوبه

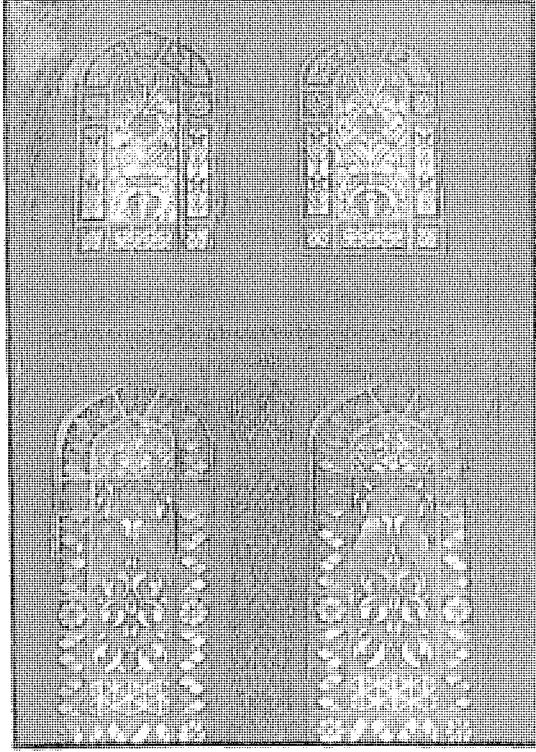
نموذج فريد للفناء
العثمانية بزخرفتها
وأثاثها التي تبرز
صناعات النسيج وال
على الحجر والخشب



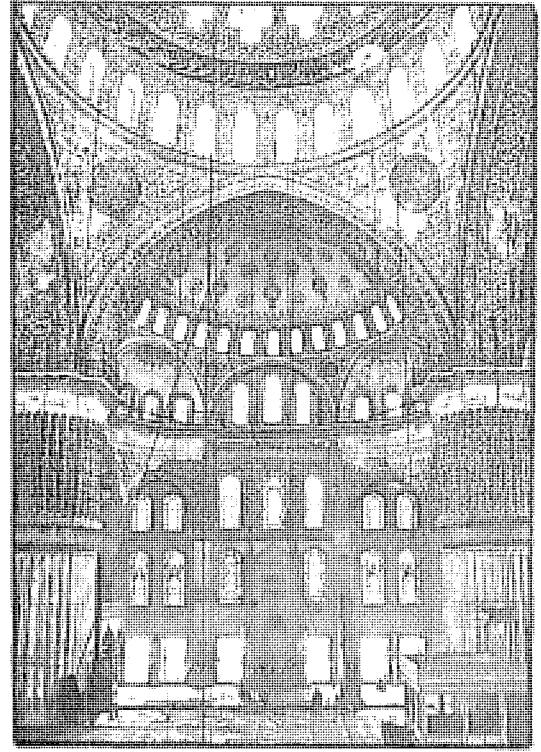
صناعة السجاد التركي تميزت بالرسومات البديعة
وهذا تصميم للفنان العثماني توبلي طاطبالي



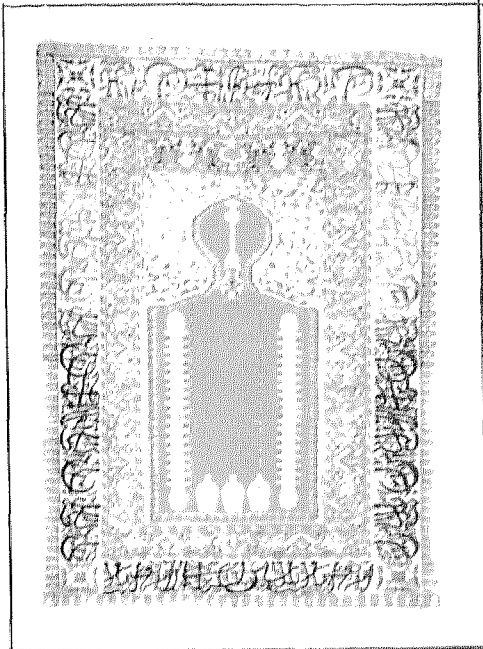
وأصيلة.. أضاءت عصور الظلام في أوروبا والعالم رغم تخرصات المستشرقين



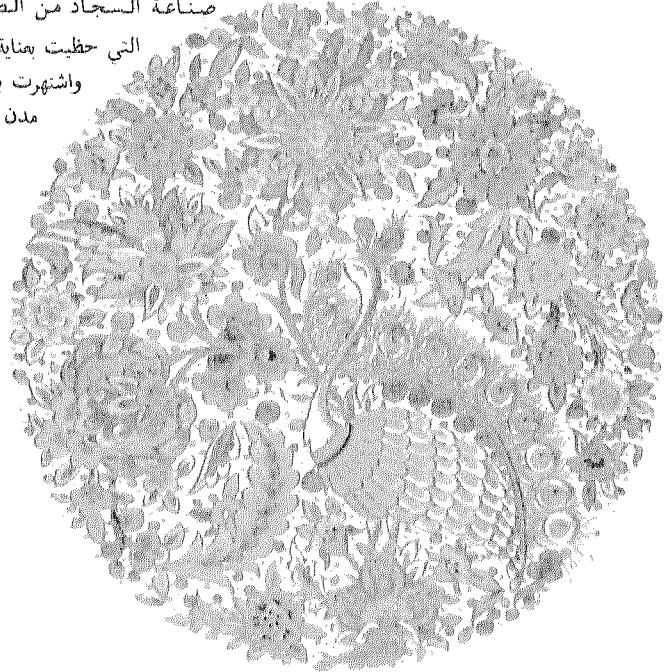
الزجاج الملون صناعة اتقنها العثمانيون وعمموا استخدامها في المساجد والقصور



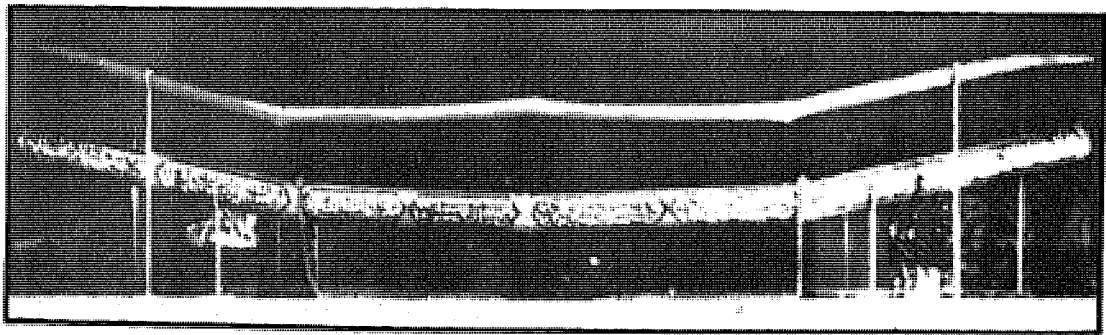
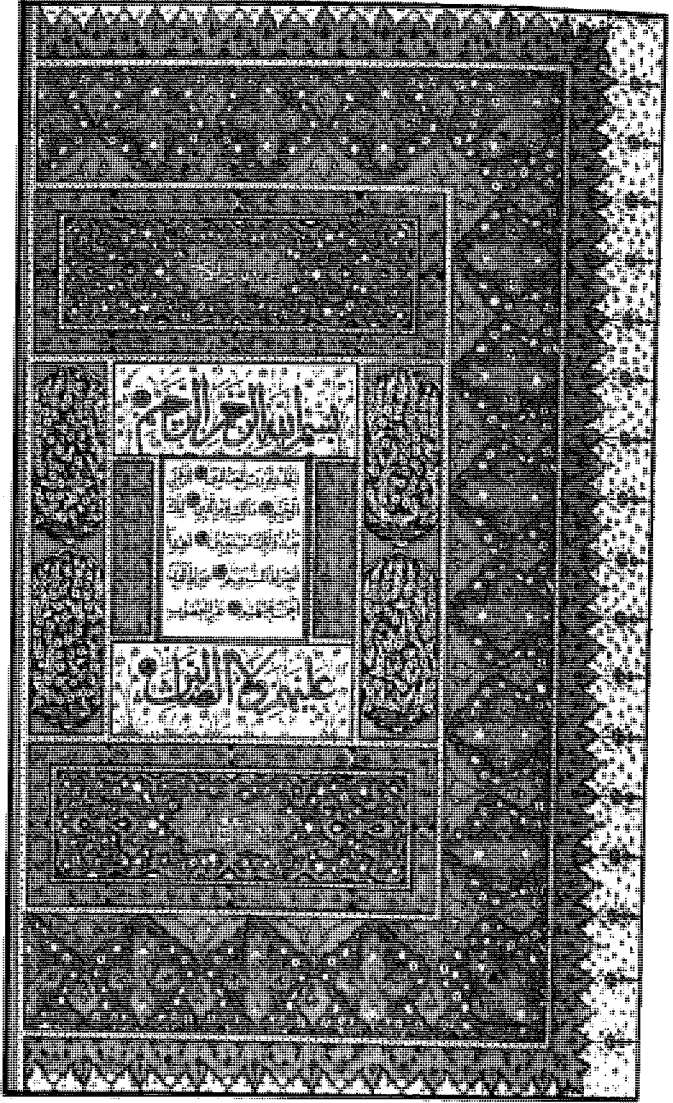
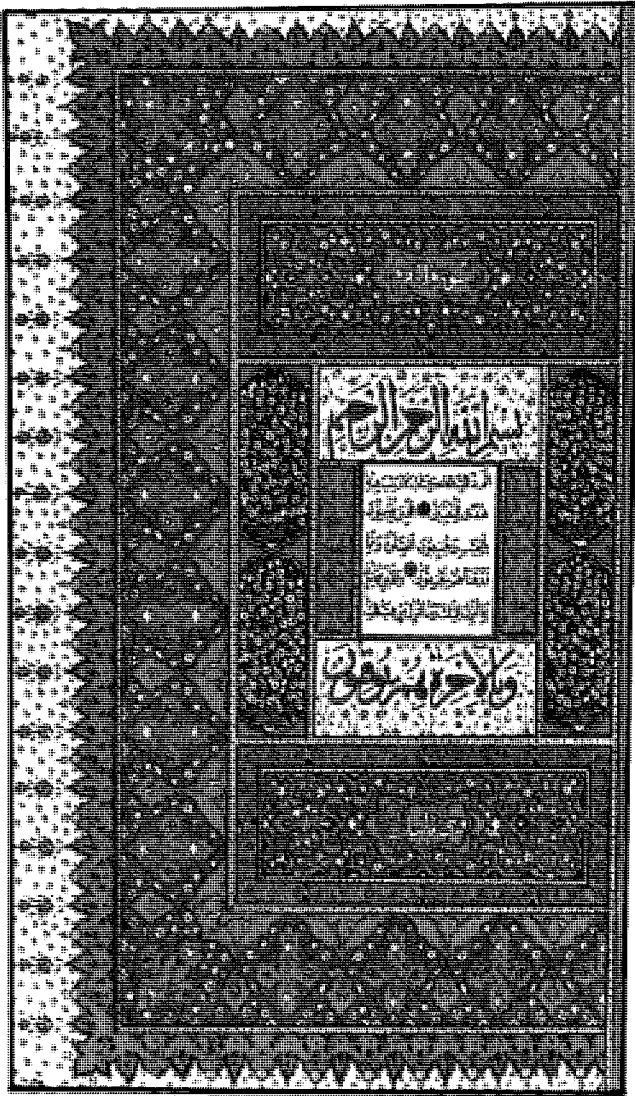
الفسيفساء والنقوش البديعة وماء الذهب بعض الأساليب الزينية في المساجد العثمانية



صناعة السجاد من الصناعات التي حظيت بعناية خاصة واشتهرت بها عدة مدن عثمانية



خلاصة الحضارة الإسلامية وكنوز مقدساتها
في متحف "طوب قاي" بإستانبول عاصمة الخلافة العثمانية

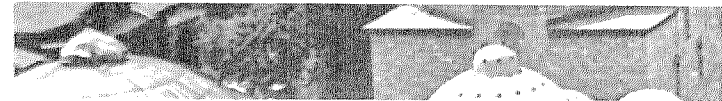


فوس النبي صلى الله عليه وسلم ضمن المقتنيات التي توارثها الخلفاء وحافظ عليها بنو عثمان ٤ قرون ونيف !

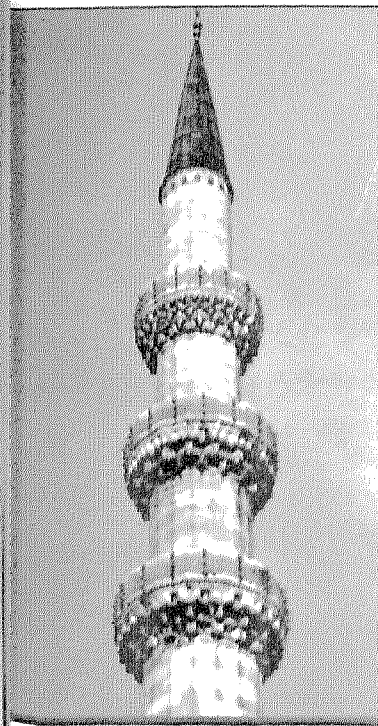
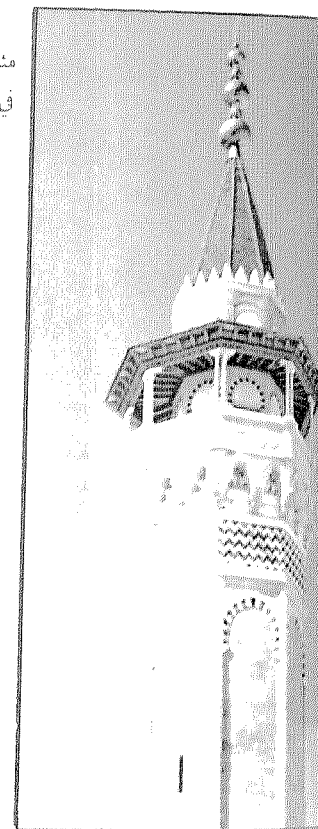
بالعربية الفصحى

إستانبول

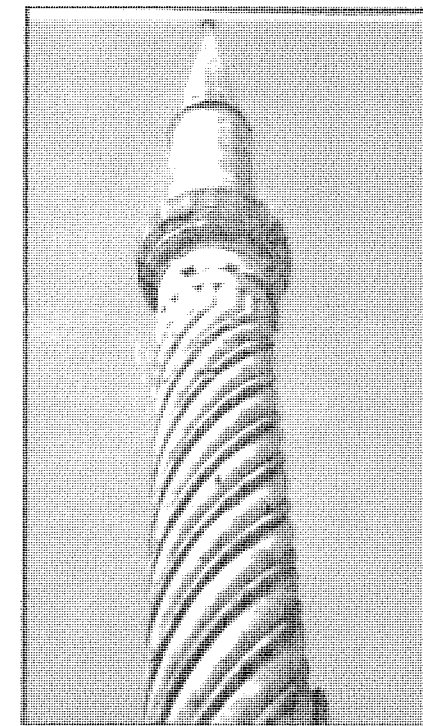
آله أكبر.. إستمريت تردددها مآذن



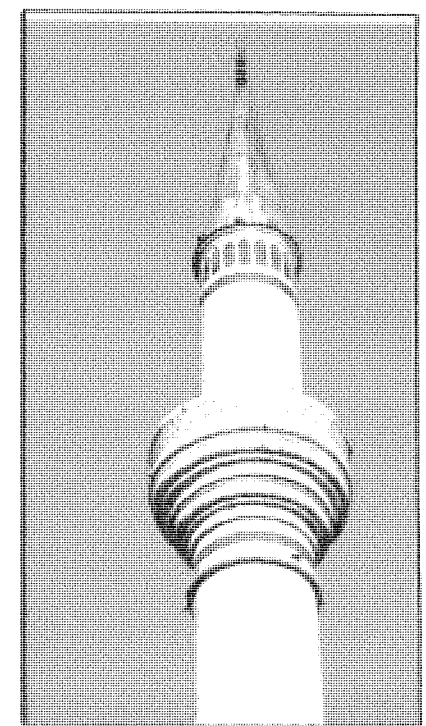
مئذنة المسجد الحنفي
في تونس الخضراء



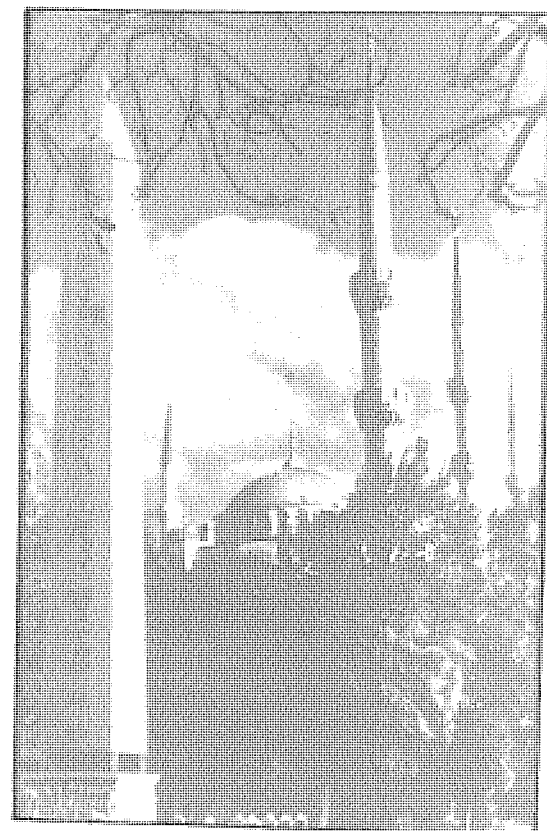
مئذنة مسجد السلطان سليمان في إستانبول



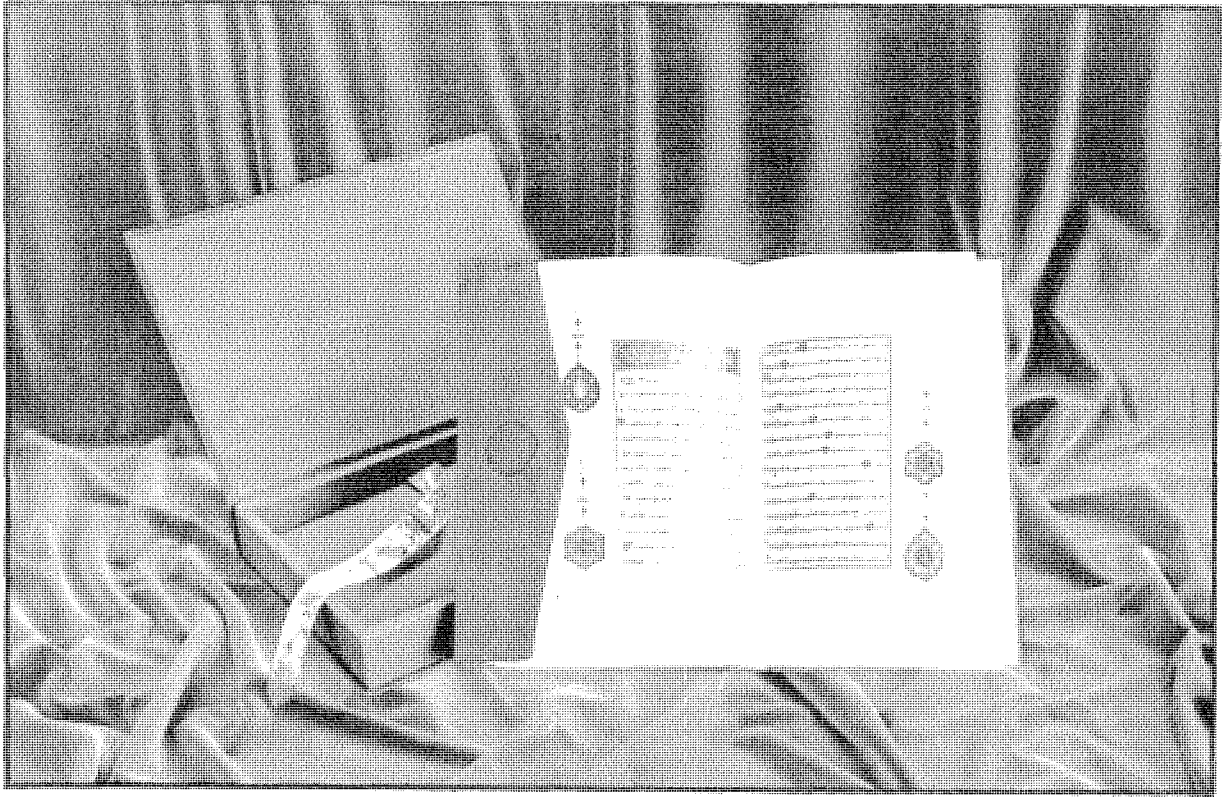
مئذنة مسجد صرفلي في أدرنة



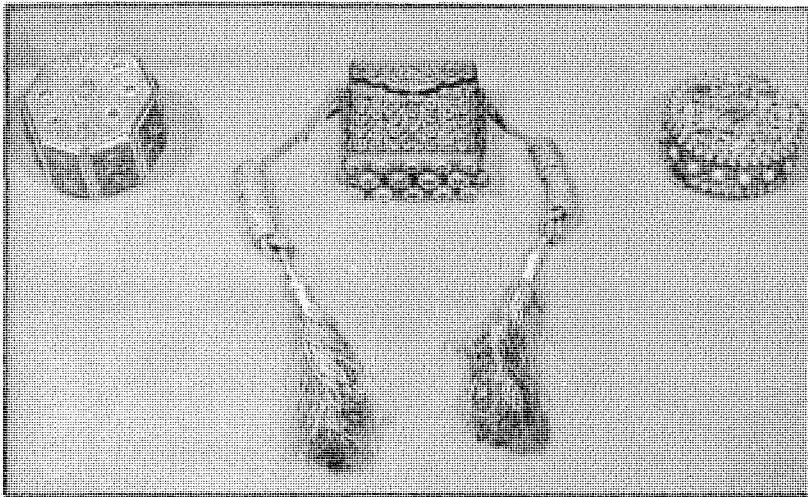
مئذنة مسجد في قونية



مسجد أياصوفيا
حولته «الكماميون»
إلى متحف وبيعانية
نصب الجندي المجهول



النسخة الأصلية لمخطوط القرآن الكريم بخط قره حصارى وقد أهدى للخليفة سليمان القانوني كما وضع نسخة كبيرة في المسجد السلیماني باستانبول



النسخة الأصلية لمصحف عثمان بن عفان محفوظة في غلاف من الذهب والأحجار الكريمة بمتحف طوب قابي .



ختم بيضوي للرسول الكريم في الحجر العقيق توارثه الخلفاء منذ خمسة عشر قرناً وهو في استانبول الآن

مقتطفات مما نشرته الصحف والمجلات حول

الكتاب والكاتب

عبد الحميد والأفغاني والصهيونية .. وجذور «الجامعة الإسلامية»

● أحدث رسالة ماجستير عن مشروع الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني تقدم بها موفق بني المرجة، حيث تناول في هذه الرسالة جذور فكرة الجامعة الإسلامية في العقيدة الصوفية الامامية الاشراقية التي ترى أن الخليفة ظل الله على الأرض، وهي الفكرة التي اعتنقها عبد الحميد ومؤيدوه.

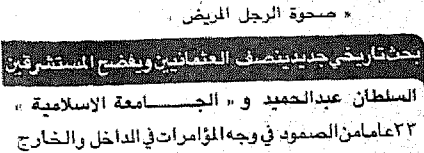
كذلك تناول الباحث أثر الغزو الفكري الغربي للمجتمع الاسلامي ومقاومة شعار الجامعة الإسلامية بإثارة النعرات العنصرية.

كما أبرز الباحث استياء الصهيونية من موقف عبد الحميد وتصديده لمطامعها في فلسطين ورفضه لوعدها ووعداتها مما أدى الى استعانتها بالماسونية العالمية واستغلالها للامتيازات الأجنبية لدعم الحركات المناوئة للدولة العثمانية.

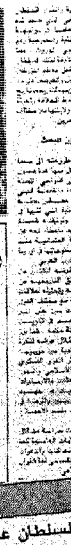
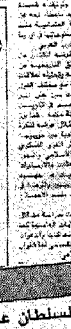
أيضا تناولت الرسالة دور جمال الدين الأفغاني ومدرسته في الجامعة الإسلامية، كما تعرض الباحث لارهافات القضية الإسلامية من خلال الحركات والتطورات والأحداث الأخيرة في العالم الاسلامي وحرص أجهزة الاعلام العالمية على متابعتها.

حريد «الأهرام» - العدد ٣٣٩٢٢ - ٢٦ أكتوبر ١٩٧٦م





خستگان
کار گنج
خانه آجر
و گچ
دور
ع

[illegible][illegible]

**Hard look at the Pan-
ama Canal**
by Hameed II
of the Sick

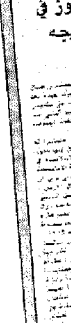
North America's economic health has been the topic of the 1980s and will continue to be the subject of the 1990s and beyond. The



شعبه حقوق و معاش
و اداره التعلیم
والثقافہ و اسیافی للذکر لکڑا کڑا
الکتب مدرسه

۱۸-۲۰۹۴

سید احمد علی



Degree for his thesis on the swarming of "black mites" *Succinea humana* in the Islamic Republic of Iran. He was awarded a Ph.D. in Zoology from the University of Tehran in 1979. He has been employed at Azad University, Islamic Republic of Iran, since 1980. He has been a member of the editorial board of the *Journal of the Iranian Society of Parasitology* since 1985. He has published 11 articles in the field of parasitology, 10 of which have been in the *Journal of the Iranian Society of Parasitology*. He has also published 10 articles in the *Journal of the Iranian Society of Parasitology*. He has also published 10 articles in the *Journal of the Iranian Society of Parasitology*.

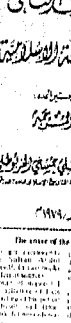


Call

THE PROSECUTOR'S decision to charge two subjects in the 1976-77 inquiry shocked the public and the anti-apartheid movement. In the anti-apartheid movement, the decision of the Attorney-General to prosecute two subjects in the 1976-77 inquiry shocked the public and the anti-apartheid movement. In the anti-apartheid movement, the decision of the Attorney-General to prosecute two subjects in the 1976-77 inquiry shocked the public and the anti-apartheid movement.

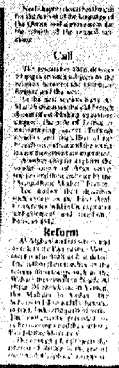
Return

ALL THE ABOVE-mentioned subjects in the 1976-77 inquiry returned to the country in 1978. In the anti-apartheid movement, the decision of the Attorney-General to prosecute two subjects in the 1976-77 inquiry shocked the public and the anti-apartheid movement.

[illegible]

A new documentary thesis takes a hard look at the Pan-Islamic Movement launched by Sultan Abdul Hameed II

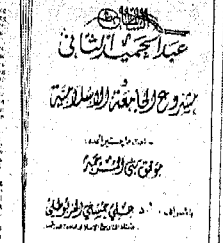
The Awakening of the Sick Man

[illegible]

tion to the Atlanta-Fulton County Stadium. Yet it also has new strength in its partnership with the Atlanta-Fulton County Stadium Authority. The AFL-CIO has a seat on the authority's board, and the AFL-CIO has a seat on the authority's board. The AFL-CIO has a seat on the authority's board, and the AFL-CIO has a seat on the authority's board.

حَمْدُ اللهِ وَبِحَسْبِ الْمَكْرِيَةِ
وَالْإِلَهَةِ الْعَلِيِّ

والقبر العتيق الى الذكر والامه الزهره سلامه



قرأ الباحث بعقل وكتب بعقل فاستنطق الماضي .. واجاد!

● القراءة فن والكتابة فن وقوام هذين الفنين وعمادهما العقل . فالذي يقرأ بعقل ويكتب بعقل هو القارئ الحق والكاتب الحق ، وهو الفنان الحصيف الرائد المحترف الحاذق .

هكذا قرأ «موفق بني المرجة» وهكذا كتب في رسالته الموسومة «السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية» .

والكتابة عن عبد الحميد أصبحت — في ضوء معطيات العصر — ثمرة بقدر ما كانت، في الماضي، تأثير السخط، فقد نعتوا هذا الرجل بالذكتاتور الراهبي ووسموه بالتسلط والطغيان والجهل والاستبداد، كما وصفوا أتباعه بالتنازل، والمحيطين به بالأجلاف، ربما كان الوصف للمحيطين به على جانب من الصواب، ونضيف اليهم الكثير من النعوت الأخرى، كالحيانة والتسلط والأنانية، غير أن عبد الحميد كان المظلوم الأول والأخير، وكان الرجل المفترى عليه، ولكن من يصدقنا أو يصدق موقف بنى المرجة فيما ذهبنا إليه ؟

نحن لا ندعي بأن الباحث قد أحاط بالموضوع من جميع جوانبه ، ولكنه على العموم قد أعطى صورة قريبة من الواقع وجعلنا نذهل أمام كثير من الحقائق التي تجعلنا نخجل أحياناً من «شوفينيتنا» المراهقة وجهلنا الفاضح .

لقد خضعنا عبر ما يزيد عن قرن لحملة إعلامية تضليلية ما كان لنا لنصحو منها الا على وقع أجراس تدق بعنف ، ولعل رسالة الباحث كانت واحدة من تلك الدقات .

من كان يعلم شيئاً عن يهود «الدوغة» الذين شكلوا بالنسبة للأمة الاسلامية حصاناً طروادياً جديداً اخترقوا به الجدار القوية التي خضبها المسلمون بدماهم عبر القرون وجبلوا ترابها بلحوم وأشلاء شهدائهم .

أنا شخصياً — على الأقل — لم أكن أحيط علماً بما فعله ويفعله هؤلاء الذين قذف بهم المرتد الأكبر «أتاتورك» الى قمة السلطة في تركيا ومازالوا يتحكمون بمقدرات الشعب التركي المسلم بعد أن عزلوه عزلاً تاماً عن محيطه الاسلامي .

من كان يصدق الدور الذي لعبه «الماسونيون» في إيصال عملائهم وعبيدهم وعلمائهم الى واجهة الحكم في الدول العربية وغيرها وتربعوا على عروش اسلامية تحركهم دوافع إلحادية صهيونية ؟

من كان يرضى أن تتهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بالخيانة والعمالة والارتباط بالماسونية لولا أن الوثائق تشهد بذلك وقد قدمها إليك الباحث في طبق من الأمانة والصدق ؟

ثم من كان يستطيع الربط بين اتفاقية الخيانة «الدافيدية» واتفاقيات ربما عقدت في القاهرة ومكة وبغداد ودمشق قبل ما يزيد عن ثمانين عاماً ؟

لقد قرأ الباحث بعقل وكتب بعقل ، فاستنطق الماضي من صفحات الحاضر ، واستوحى العبر والأحداث من بين سطور الماضي ، فأحسن وأجاد .

وكم نحن بحاجة الى من يكتب تاريخنا دون أن يردعه الحياء والخجل والخوف عن كتابة الحقائق المؤلمة والمحزنة .

د . قيصر مصطفى فارس

مجلة «اليقظة» - الكويت العدد ٦٥٣ - ١٨ ابريل ١٩٨٠م

جهد مخلص وقلم راسخ لنصرة الحق بأسلوب مشوق

● .. ومن أجل جمع المادة العلمية اللازمة لهذا البحث ، تجول الباحث بين عدة دول ومدن اوروبية وعربية ، فمن لندن الى استانبول وأنقرة الى باريس والقاهرة ودمشق وبيروت والرباط وفاس وطنجة وتونس وغيرها ، حيث اطلع على كثير من الوثائق السياسية ، كما اتصل بكثير من الشخصيات البارزة ، وقضى عدة سنوات في إعداد هذا البحث ، المتميز بتوثيقه للحقائق التاريخية .

كما أنه اهتم بالصياغة العلمية ، واتصف أسلوبه بالسلاسة والتشويق والوضوح ، وساعده عمله الصحفي الطويل على إجادة أسلوب العرض وطرح الأفكار ومناقشتها ، فقلمه قلم خبير راسخ ..

ناقش البحث كثيراً من المشكلات التاريخية والقضايا الفكرية ، المناقشة الموضوعية المحايدة ، على أسس من المنهج العلمي ، وضم البحث كثيراً من الحواشي المفيدة الخصة ، التي حوت نبذاً عن الأعلام والأماكن والمذاهب .

لقد بذل الأستاذ موفق بني المرجة جهداً عظيماً في سبيل إبراز هذه الرسالة التاريخية الفريدة التي أظهرت لنا تاريخ وإنجازات آخر خلفاء الاسلام العظام «السلطان عبدالحميد الثاني» ، هذا الرجل الذي قضى ٣٣ عاماً من الجهاد ، في سبيل رفعة الاسلام والمسلمين ، مما جعله عرضة لهجوم جميع أعداء الاسلام ، من يهود واستعماريين وماسونيين ،



وتلامذتهم وأذنبهم ، فحاربوه بالأموال والمؤامرات والدعاية والحروب ، ليهدموا في شخصه الخلافة الاسلامية .
وانني لأوجه عميق الشكر والتقدير للاستاذ بني المرجة على هذا الجهد المخلص الذي بذله في سبيل نصره الحق
وابرازه .

سعود غانم الجمران

مجلة « النهضة » - الكويت العدد ٦٣٧ - ١٩ يناير ١٩٨٠ م

جهد علمي دؤوب يستحق الإكبار والتقدير

o حول صحوة «الرجل المريض» وهو الاصطلاح التاريخي الذي كانوا يطلقونه على الدولة العثمانية في أواخر أيامها ، والذي يقابله اليوم تعبير «اليقظة الاسلامية» كانت رسالة الماجستير التي نال بها الزميل الصحافي موفق بني المرجة درجة الامتياز عن بحثه الموسوم بـ «السلطان عبدالحميد الثاني ومشروع الجامعة الاسلامية» .

وهو بحث رصين موثق كشف فيه الزميل موفق ، الذي انتقل من ميدان البحث عن المتابع الى مجالات البحث عن الوثائق ، عن العديد من الحقائق التاريخية التي كانت خافية عن الأذهان رغم كونها من أحداث تاريخنا الحديث والمعاصر .

فقد استعان بالوثائق العربية والبريطانية والفرنسية والعثمانية لاعادة تقويم عبدالحميد الثاني ورجال عصره ، ولكشف الأدوار الخطيرة التي لعبتها الصهيونية والماسونية والدوغة والتبشير والاستعمار في تفتيت الدولة العثمانية ، كما كشف بالوثائق عن المستشرقين ودورهم في تشويه صورة السلطان الذي تحدى الصهيونية والاستعمار ، وأوضح أن «الدوغة» كانت بمثابة مخلب القط بالنسبة للصهيونية ، وأن «الماسونية» ليست سوى أداة من الأدوات التي استخدمها الاستعمار لتخريب وتفتيت الأمة الاسلامية الى أكثر من ٥٠ دولة .

ومع ظاهرة اليقظة الاسلامية الحديثة التي تعيد للأذهان حكاية «الرجل المريض» وصحوته لمواجهة القوى المعادية ، بعد أن ظن الجميع أنه أصبح مجرد جثة هامدة لا حراك فيها ، مع هذه الظاهرة الايجابية ، نسلط الضوء على هذا البحث التاريخي ، وعلى المصادر التي استقى منها البحث مادة بحثه القيم .

... وبعد فإن الحقائق التاريخية المؤثرة الجديدة التي انطوى عليها هذا البحث الأكاديمي تحفزنا للدعوة لإعادة تقويم عهد عبدالحميد الثاني ورجال عصره ، وقد أحسن الزميل موفق بني المرجة في اختياره لعدد كبير من الوثائق فضلا عن المقابلات الشخصية التي جلت الكثير من الغوامض حول تلك الفترة من تاريخنا الحديث والمعاصر .

وهو جهد علمي دؤوب يستحق كل اكبار وتقدير ، لا سيما وأن وطننا العربي مازال يعاني من استمرارية معظم تلك القوى الخاقدة ، التي تمكنت من إحكام قبضتها على أنحاء عديدة من عالمنا العربي ، مما يضفي على البحث أهمية فكرية وسياسية لا تقل عن أهميته الأكاديمية والتاريخية .

مجلة « الرسالة » - الكويت

العددان ٨٨٥ و ٨٨٦ تاريخ ٢٠ و ٢٧ ابريل ١٩٨٠

تكميل للنقص في مكتبة الثروة الفكرية العربية

● أثناء مناقشة الزميل موفق بني المرجة لرسالة الماجستير التي كان موضوعها «السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية» قال الاستاذ الدكتور علي حسني الخربوطي استاذ التاريخ الاسلامي والمُشرف على البحث :
«ان البحث الذي قدمه موفق بني المرجة ألقى ضوءاً لم يلقه أحد من قبل على فترة التحول بين نهايات «الرجل المريض» والتي لم يحاول الباحثون تقديم تشخيصٍ واعي لها من قبل» .
ويظهر أن تركيز الزميل بني المرجة ورؤيته التي ربطت تطور وتغير الاستراتيجيات السياسية الدولية بعيد تأكل الدولة العثمانية وبين العصر الحديث . هو الذي دفع الدكتور المشرف لاصدار حكمه السابق .
ومن الانصاف القول بأن الباحث قد حرص على تضمين أبواب وفصول بحثه بعدد كبير من الاضافات والحواشي ، كلفته وقتاً مضاعفاً من الجهد في متابعة وتحري كل المجهول التي إعترضته ، وبخاصة تلك الوثائق والمخطوطات التي اختفت بعد ثورة مصطفى كمال .
... وقد استعرضت الصحف والمجلات الثقافية والمتخصصة في الوطن العربي رسالة الزميل بني المرجة واعتبرتها تكميلاً للنقص في مكتبة الثروة الفكرية العربية لفترة بني عثمان .

جريدة «السياسة» - الكويت العدد ٤١١٤ - ١٣ ديسمبر ١٩٧٩ م

إمالة اللثام عن تجنيات وإضافات مزيفة

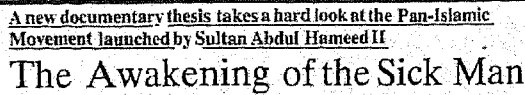
● استحصل الزميل موفق بني المرجة على الماجستير في رسالة نوقشت في القاهرة واشتملت على بحث واف ومتكامل لحقبة زمنية محددة من تاريخ المنطقة .. وكانت الرسالة بعنوان «السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية» .
وللحق والموضوعية فإن موضوع الرسالة والعرض الذي احتوته جهد كبير يستحق كل شكر لا سيما وأنه يميّط اللثام عن حقائق عديدة كانت خافية علينا الى وقت قريب ويؤشر على كثير من الاضافات المزيفة التي لحقت بحقبة زمنية محددة من تاريخ المنطقة وبعض شخصياتها ، وكانت بحق أول رسالة ماجستير قيط اللثام عن تجنيات لحقت بالسلطان عبد الحميد الثاني .

مجلة «مرآة الأمة» - الكويت العدد ٤٣٩ - ١٦ ابريل ١٩٨٠ م

رصد لإرهاصات اليقظة الإسلامية الحديثة

● وقد حرص الباحث على تضمين أبواب وفصول بحثه عدداً كبيراً من الحواشي والاضافات العلمية التي تحلي غموض كل ما يتصل بالحقائق التاريخية الواردة فيه فضلاً عن التعريف بالشخصيات والأماكن المتصلة بموضوع البحث .
وفي الخاتمة رصد الباحث إرهاصات اليقظة الإسلامية من خلال الحركات والتطورات والاحداث الأخيرة في العالم الاسلامي والصدى الكبير الذي لمسه في متابعتها من قبل أجهزة الاعلام والصحافة العالمية .
والرسالة إجمالاً تعتبر فتحاً جديداً في مجال دراسة تاريخية هامة ، تهم العالم الاسلامي والوطن العربي ، وتكاد تسقط اتجاهها عاماً كان يدين السلطان عبد الحميد الثاني إدانة كاملة وعلى طول الخط .
ثم تحية تقدير لصاحب الرسالة ، لزميل المهنة الصحافي الكاتب الأخ موفق بني المرجة .

جريدة «الشباب العربي» - مصر العدد ٩٥٨ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٩ م



Major: "The barbers and beauticians must shoo away any and all customers who are in uniform. As for the cops, they have to come and go by the back door."

and the other two concerned with the "renewal" of the church. The first, by the Rev. John A. Papp, is a study of the church's role in the world.

Ad

The second, by Rev. John A. Papp, is a study of the church's role in the world. The third, by Rev. John A. Papp, is a study of the church's role in the world.

Reform

The fourth, by Rev. John A. Papp, is a study of the church's role in the world. The fifth, by Rev. John A. Papp, is a study of the church's role in the world.

[illegible]

٥ سنوات من
البحث المنهجي
والتوثيق الأكاديمي

● حظيت أطروحة الزميل موفق بني المرجة التاريخية باهتمامات النقاد والباحثين والصحافيين، وقد جاءت في نيف وستمائة صفحة فولسكاب، كتبت بأسلوب منهجي أكاديمي وتضمنت عدداً كبيراً من الملاحظات والإضافات العلمية التي أبرزت الخلفية الواسعة التي يتمتع بها الباحث.

فقد كشفت تلك الهوامش عن الكثير من الحقائق التاريخية الغامضة، كما ربطت بين العديد من الوقائع والأحداث التي لم يسبق دراستها وتوثيقها بأسلوب علمي من قبل، ولم يكتف بذلك بل إنه ذيل بحثه بكشاف تفسيري للمصطلحات العثمانية المتداولة في عهد عبدالحميد الثاني والمتصلة بمادة البحث.

كما أبرز ثبثاً زمنياً لأبرز الأحداث والوقائع التاريخية خلال عهد الخلافة العثمانية منذ بداية العثمانيين وحتى سقوط خلافتهم في استانبول ، وما تبع ذلك السقوط من أحداث هامة في تاريخ العرب والمسلمين المعاصر.

ولقد إنطوت الأطروحة على عدد من الخرائط الجغرافية والتاريخية المتعلقة بميدان البحث ، إضافة لمجموعة كبيرة من صور معظم الشخصيات السياسية والعسكرية والفكرية التي لعبت دوراً ملحوظاً في عهد عبد الحميد الثاني، ناهيك عن صور الوثائق والمستندات التاريخية التي جمعها الباحث خلال رحلاته وجولاته العلمية في العديد من العواصم العربية والإسلامية والأوروبية والتي استهدف خلالها زيارة أهم مراكز الأبحاث ودور المحفوظات والمتاحف التاريخية المعنية بعصر الخلافة العثمانية، مما وفر لبحثه شتى شروط البحث الأكاديمي الرصين، بحيث غطى التيارات المؤيدة والمعارضة لعبد الحميد الثاني في سياسته الداخلية والخارجية، مما أعطى صورة مشرقة لذلك السلطان الذي غبن من قبل معظم المؤرخين المحدثين الشرقيين والغربيين على حد سواء بحكم تدوينهم لتاريخه وتاريخ أجداده بعد سقوط الخلافة وتجزئة دولتها واقتسام ولاياتها بين مختلف الطامعين والمتآمرين .

وقد استغرق هذا العمل نحو خمس سنوات كاملة من عمر الباحث ، أمضاها في توثيق المعلومات التاريخية وتحليل الأحداث وإستكناه أسبابها الخفية ليصيفها في قالب علمي لا تعوزه الشروط الأكاديمية .

ومما يذكر بالتقدير للباحث أنه سعى وراء الحقائق فقام بدراسة وتوثيق المعلومات كما أجرى العديد من المقابلات مع نخبة من الرجال المسنين الذين كان لهم صلة برجال وأحداث الفترة موضوع البحث ، ممن ما زالوا على قيد الحياة .

وقد خلص الباحث بعد جهود مضنية وجولات واسعة في مخازن مهجورة ومكتبات قديمة لتكوين رأي جديد أكثر انصافاً ومنهجية بالنسبة لعهد السلطان عبدالحميد الثاني.

Next chapter describes the call for the revival of the language of the Quran and a movement for the rebirth of the refined language.

Call

The researcher then devotes 59 pages to such subjects as the relation between the ottoman Empire and the West.

In the next section Bany Al-Marjeh discusses the old French dream of establishing an eastern empire. The role of France in encouraging secret Turkish societies and the effect of the French revolution and the secret Italian movement are examined, too.

Another chapter explains the similar origin of Arab secret societies and their embrace by the «Sympathetic Mother!» France.

The author then describes such events as the First Arab Conference held in the capital of «enlightenment and freedom,!» Paris, in 1912.

Reformations

Al-Afghani and his school and its role in the Pan-Islamic Movement is also dealt with in detail. The author then touches on the reforming movements such as the Wahabi movement in Najd - Arabia. Al Shoukania in Yemen, the Mahdia in Sudan, the Senousi in Libya. The movements preceded or rather accompanied the call for a Pan Islamic Movement.

The next chapter projects the interest of Britain in the rise of the «Arab Caliphate» in opposition to the Ottomani Caliphate with the intention of weakening and even destroying the latter. This is shown in British documents existing at the «P.R.O.» «I.O.R.» and B.M. in London.

The author then deals with the Pan Islamic Movement in the light of contemporary thinking and the conception of the Caliphate in Islamic legislation. The conclusion considers as a begging to other movements towards reformation and returning to pure bases of Islam.

Herculean Task

The research thesis was a truly a herculean task because Bany Al-Marjeh's sense of integrity made him verify and substantiate facts, figures and reports.

The task of gathering such documents and information and analysing causes and reasons, in addition to shaping the research into its final form, took about five years.

To be sure of facts he travelled to London, Istanbul, Ankara, Cairo, Damascus, Beirut, Rabat, Fas, and Tunis to consult archives and to interview those who worked with important men of that period, and were still living.

Much of the available material was critical or one-sided and need to search for other views to enable him to get a balanced picture. He even went into the musty stores of some bookshops to search for old references connected with the subject of thesis.

He was most fortunate to get memoranda written by Sultan Abdul Hameed himself, in two books from two different sources.

The amount of material he found made selecting of facts and reconstructing of the period a very difficult and time consuming task, for not only was the source material scattered in Turkey but also in many Arab and Islamic capitals.

Mouaffaq Bany Al Marjeh concluded that the sense of achievement and satisfaction when the thesis had been written made all the hardships well worth while.

After publishing of the first edition of this book, many Arab newspapers and magazines published had some articles dealing with the book and criticizing it from different angles. This is one of the articles published by The daily «Arab Times» in Kuwait. No. 4845 Sunday May 11, 1980

ARAB TIMES — Kuwait Esu. No. 4875 11 — 5 — 1980

Author and The Book in The Arab Press

The Awakening of the Sick Man

A new documentary thesis takes a deep look at the Pan-Islamic Movement launched by Sultan Abdul Hameed II

BANY AL MARJEH has obtained a Master's Degree for his thesis on [The Awakening of the «Sick Man» Sultan Abdul Hameed II and the Islamic caliphate.]

Today great emphasis is placed on Arab and Islamic unity, and leaders in the Arab world have been striving for some time to make unity a reality.

Towards the end of the 19th century and into the early 20th century, Sultan Abdul Hameed II, one of the last strong descendants of the Ottoman Sultans, made great efforts to establish a «Pan Islamic Movement» during his reign.

«Sultan Abdul Hameed II and the Pan-Islamic Movement», was the research subject for an MA degree thesis by Mouaffaq Bany Al Marjeh, a senior teacher since 1970 of humanities at the Education Ministry's secondary schools and a well known journalist and author.

Mouaffaq Bany Al-Marjeh has a number of academic qualifications, including the MA in Islamic History obtained in 1979 from the Ministry of Higher Education, Cairo. His published works including «Men of Kuwait», «Education and the Kuwait of Tomorrow», «Twenty Years in the Kuwaiti Information Media». His hobbies are, amongst others, travel, reading, research and collection of information. As to be expected, Mouaffaq has a large and diversified library.

He started in the Press at an early age as a columnist, essay writer and reporter, worked in the news field with the Arab News Agency and was later the editorial director and the general manager of several dailies and weeklies in Damascus and then in Kuwait.

Some of his articles have been translated into English, French, Portuguese and Spanish.

Thesis

The thesis covers more than 600 folioscap pages. It is written in a systematic, scholarly manner. The thesis contains a clarification and connections to historical facts, a schedule explaining some ottoman terms, a chronology of important events, several geographical and historical maps, portraits of political, intellectual, military and literary personalities as well as three hundred references of Arabic and foreign sources.

Internal and international political opposition, conspiracies and other difficulties strengthened rather than weakened Sultan Abdul Hameed II and enabled the «sick man» to reign for 33 years. The thesis also covers his life and his project to establish a «Pan Islamic Movement.»

The research is divided into Seven Sections dealing with various aspects.

The first part deals with a study of the sources and of references for the thesis. There is a preamble on the Arabs and the Ottoman caliphate which includes a description of the Ottoman State, its origin, invasions and pacts. This is followed by a bird's eye view of Ottoman historical events since the caliphate of sultan Abdul Hameed II till 1976. The Sultan's childhood and character are described as well as the influences which moulded him.

Chapter three and five are devoted to various aspects of the Pan Islamic Movement. The effect of spreading western culture in the Arab Islamic world by missionaries and orientalisists is studied. The problem of minorities is also examined.

documents related to Gamal El din El-Afaghani signed by him, claiming for affiliation to Masonism and his election to be a colleague for such «Log» of Kawkab El Shark El Masoni in Cairo and his correspondences with such English girl Anna Blonde, and his nomination by British to play a certain role through the Mahdiea Revolution against the English in Sudan and other documents denoting his tricks to have several names for himself such as El Hosseini El Kaboli El Afghani and El Farici, and El Mazendari etc...

The researcher was also benefited from the American Researcher, namely Miss Nickly Kennedy at California university who visited Tahrán and met certain relatives of Al Afghani and had sight of his messages to them and that she revealed several names to him.

The researcher also sees it was suitable, for the purpose of realizing the idea of living in such an environment and among the people of this historical decade, it was a matter of must to get the greatest number of the Sultans picturers, leaders, great men, Ministers, politicians, thinkers, well learned people and poets in addition to such pictures of military battles, castles, illustrative drawings for customary fashions at different classes of the Ottomani Society together with models of manuscripts written by Abdul Hameed ans signed by him, and the banners of Al Othman beside such pictures of the opponents of the Ottomani State such as those men of EL'ITTIHAD & ITTARAKKI, and the Heads of such party of Al,ITILAF & Horiea, Moustafa Kamal and the rest of the Kamalist leaders. The researcher comprised the same in the appendices where he mentioned among them such Testament attributed to Medhat Pacha which was mentioned by Georgi Zidan's book «The Ottomani Revolution». He also presented the Regulations of the most popular methods of the mystic people upon whom Sultan Abdul Hameed had relied and that several of them are still practising their activities in different Arab Association» of the First «Mashroutia» in 1876 and the text of amendments that were carried out upon same in the Second «Mashroutia» in 1908 besides the by-Lawa-Regulations for both the societies of «Al Arabia El Fatah» and (the Basra Reformatory Society) being two models for the rest of the secret Arab Societies which worked against the Ottomani Caliphate. The researcher had to mention a great number of names of such members of 'El Arabia El Fatah' being the Arabic parallel to «Turkia El Fatah» denoting the roles played by them after the fall of the Caliphate where occupied the majority of higher positions and hold great responsibilities in the ruling of the majority of Arab countries under the French & English mandate.

To facilitate following-up certain positions, the researcher found it necessary to attach a Supplementary Schedule to interpret certain Ottomani terms benefiting from some Arabic and Turkish references. He also mentioned the text of such «Fatwa» (Legal caliphate) and then had to illustrate such of the Islamic Caliphate Since the death of Blessed Messenger Mohammed, the prophet, until the elapsation of the Islamic Caliphate by the tending of Sultan Hameed to the English battle-ship soon after the «Kamali Movement». He concluded such appendices by comprehensive schedule denoting the events that happened during the Ottomani period.

As regards to the maps, The researcher presented several ones illustrating the Ottomani State in its greatest, spacious sphere. Its importance of its site in the Middle Ages lies in the fact that it was the road of international Trade. He also illustrated the maps of «Saics - Beco» and Palestine and added some maps that indicate railways oil well and military bases in the Ottomani State besides a map indicating the Railwayline of Al-Higgaz Considering the Same as being a for the Egyptain pilgrimage and the administrative divisions for the State of the Ottomanian Syria that witnessed the end of the Ottomani State and the destroyal of its forces in the Second World War. Lastly he presented different maps.

Concerning the matter of clarification, The researcher found it suitable to conduct such subjective inclination, though difficult to adopt it. He tried as much as he could to adopt the temporal arrangement taking into consideration such non-repeatable method as possible as starting with giving an idea about the Ottomani People: their Origin, invasions, their obtainment of the Islamic Caliphate, thier governing of the Arab Countries He also mentioned the Ottomani weakness and the trails for reformation until the coming of Al-Sultan Abdul Hameed II at the time when the «Eastern Cause» reached the state of weakness and the starting of the European Countries to seek the division of the «Sick Man» separately or jointly.

The preface was written by the Emir, Dr. Turki bin Mahammed bin Saud the grand and also by prof. Shakir Mustafa a former information member of Syria and the head of history department in Kuwait university.

MOUAFFAQ BANY AL- MARJEH

The Second Division expresses the references of Arabic and Foreign Sources which reached three hundred references - They came in approximately twenty pages where they were arranged from the private meetings, political Memorandums, documents and secret reports in addition to major sources in Arabic, Turkish, English and French Languages, Arabic Newspapers and Magazines, several geographical and historical maps, pictures denoting certain events and important places besides portraits of political, intellectual, military and literary pictures supporting and opposing such movements which played certain parts during the historical period dealt with by this Research.

This task of gathering such documents and information and the analyses of causes and reasons, in addition to the formation of the research in its final form, took about five years in which many travels were done to be sure of the facts connected to the role of the Archives in London, Istambule, Ankara, Cairo, Damascus, Beirout, Al'Rabat, Fas, Tunisia and other countries so that the Researcher can be clinging to the Historical Scientific method and had been at subjective facts and such Neutrality that cannot put out character benefiting from all that presented by the pioneers in this field of Research.

It is no doubt that such Research which had been chosen is by no means easy to probe, but was full of difficulties and troubles for several reasons. Facts which had to be gone through are considered new for some of the heroes or their sons are still surviving the matter that led to many critical situations when declaring historical facts and notifying subjective results similar to the subject of the research, do not satisfy many people who still possess authority and force for the time being.

Certain out-standing positions were characterized by excessive critical situations when the Research dealt with such subjects of the minorities.

As it is customary in writing historical researches, the author should take use from the original references and books written about the period connected to the research. The problem which was faced by the author was not the rareness of the references, they were numerons and varied and could be easily obtained, but the problem was in the common trend of the references which were trying to exaggerate the negativities and obstructing the positivities of the sultan ruling era. So the aim was to go to other popular references existing at the fence of Ezbekia and Al'Azahar bookshops to search for old references that dealt with such period of Abdul Hameed before the fall of the Ottomani Caliphate. Some good references that benefited the researcher very much such as «The History of AL'Aliyyah State» written by Mohamed Farid Beak.

Such a book was issued during the period of Mohammed Rashad the 5th book politely criticised Abdul Hameed's era without neglecting some of his achievements. Similarly the researcher had to cover this shortage through personal meeting, the most of which was concluded with late Said El Gazaieri who was surviving at Abdul Hameed's period and had certain positions with Gamal Pacha and also took up the presidency of the Syrian State for a period of one day after the withdrawal of the Ottomani Armies from it, Till the came of Al'sherief Faisal to be selected as a king. The researcher was also supported by a great number of the politicians who were surviving at such decade and registered their notes accordingly.

Of the most important memoranda the researcher got, were such memoranda of Al Sultan Abdul Hameed books written by his pen in two seperate books and from two different sources. The researcher knew that they were written during two different periods and had not the least doubt of their relation of Sultan Abdul Hameed.

The researcher had also got a copy of such memoranda related to Gamal Pacha in French Language and translated into Arabic and yet printed where they include documents of accusations of the Arab Youth proving their contacting the French Consulate in Beirut or Damascus or rather the French Consulate in Cairo.

The researcher also benefited from such memoranda of Fayez Al Ghosein as he obtained a document of his accusation of contacting the English people and he was one of those presented of the «Martial Diwan» but he was not condemned to death due to lack of evidence against him.

Of the important documents also were such correspondences communicated between Messim Maloul and the Decentralized party. Others were carried out between Rafiek El Azm and Mahmoud El Mahmassani concerning the outstanding position of Decentralization towards zionizm besides other

inclination in literature, language, politics and thinking. Chapter four projected the call for the revival of such language and the encouragement of literature and Arabic poetry especially in patriotic spheres.

The fourth Part discussed the (opposition between Al' Sultan Abdul Hameed and the opponents of the Ottomani caliphate). It lies in 53 pages along with three chapters.

The relation between the Ottomani and the West.

Part five comes in 59 pages where the Researcher had to deal with such subjects of the relation between the Ottomani and the West.

Part six discussed the (old French Dream regarding the establishing of an Eastern Empire). This part consists of 56 pages comprising four chapters.

The First Chapter discussed the role of France as to the welfare and encouragement of the secret Turkish Societies and the effect of the French Revolution and the Carbonary's Society of Italy as to its ideas and organization; whereas the Second Chapter explained the similar origin of Arab Secret Societies and their embracement in the bosom of such «Sympathetic Mother», France, pushed by community impulses due to the fact that they were affiliating to the pioneers and-founder of the Maroni or other Christian Communities.

Chapter three illustrated such events of the First Arab Conference held in the Capital of «Enlightenment & Freedom» in 1912 and that gained of political and informative, French and European encouragement..

Chapter Four explained the events of such case of the young Arabs who were presented, by the Syrian «Wali» Gamal Pecha, to the Martial «Diwan» and then sentenced to death in Beirut, Damascus and Jerusalem during two years, 1915 - 1916.

Part 7 being the last, was concentrated upon (the elapsation and the rise of Caliphate and the Pan Islamic Movement). It comprises 53 pages of four chapters:

The First Chapter deals with Al'Afghani and his school in the Pan Islamic Movement. He revealed many mysteries and differences around standing points of Al'Afghani and his company and the affiliation of the majority of them of the movement of Masonism and the contracting of some of them of England. The chapter also expressed the problem of several Afghani names to Kapoli, Pharisay and Hussaini.. etc., of such documents signed by his signature.

Chapter two exposed the «Reform Movement» preceding or rather accompanied the call of «Pan Islamic Movement» such as the Wahabi movement in Nagd, Al Hijaz, Al Shoukania in Yamen, the Mahdia in Sudan, The Senousi in Libya and the Ismailia in Iran & India and parts of Syria.

Chapter three was assigned to project the interest of Britain as to the rise of the banner of the «Arab Caliphate» in front of the face of the Ottomani Caliphate aiming at weakening and even destroying the same through the British documents existing at the British Archives, House in London, whereas chapter four deals with the project of the «Pan Islamic Movement» in the contemporary thinking and the conception of Caliphate in the Islamic legislation between the positivism and negativism and the view points of learned people around the Caliphate, Ijtihad and the Islamic Rule.

The conclusion lies in 10 pages where it registered (the Islamic wakening through such movements and developments that happened lately in the Islamic world and the great echo that we can touch in following the same through information systems and world Press.

Yet Division two of this Research embraces appendices, documents and maps in more than one hundred pages. It exposes major number of accusation documents against the young Arabs in the case of 1915 - 1916 of such existing certain documents around the position of the Ottomani Christians and the claim of some of them to France to impose its protection on Lebanon and imperialization on Syria. Other people sought to make Syria an independent principedom to Al El Azm such as Hakki El Azm and Rafik Al Azm besides texts of Medhat Pacha recommendation to unionists, London Treaty in 1840, and Ottomani Articles of Law in 1876 and the amendmets of same existing in the second agreement in 1808 Besides the internal regulation (by-lawa) of the two societies of «The Arabia El Fatah» and El Basra El Islahia in addition to such legal consultation (Fatah) of deposition of Sultan Abdul Hameed as well as the tree of the Islamic Caliphate as from the beginning upto the fall of some in 1924 and then a schedule to explain same Ottomani terms and another to expose the prominent events of the Ottomani period and the successive happenings after the fall of the Caliphate upto the time being.

Summary of A Research Concerning The Awakening of the Sick Man Sultan Abdul Hameed II & The Islamic Caliphate

**by,
The Syrian Researcher: MOUAFFAQ BANY AL MARJEH
At the Higher Institute For Islamic Studies
In Cairo, Section of Social Studies.**

The «Sultan» Abdul Hameed II was one of the last strong descendants, of Al' Ottomani Sultans who strongly faced political and international waves; conspiracies and interior blocks which were not far from contacting the world abroad. This fact caused to endow «The Sick Man» Something of life that could make him standfast for a period of thirty three years which represents the period of Abdul Hameed upon whose character our research is concentrating as well as his project for establishing such «Pan Islamic Movement» .

Such Research of «Sultan Abdul Hameed II and the Project of Pan Islamic Movement» composed of more than six hundred pages of folioscape. It comprises two Divisions: The First being the cornerstone, started by a short acknowledgment to the Researcher's wife as a gratitude to her patience in accompanying her husband during his travels and hardships. Then followed an Introduction together with a study of the Sources and references of the Thesis; and this lie in thirty pages followed by a preamble concerning (The Arabs and the Ottomani Caliphate) and this is expressed in a dense presentation of Al'Othman State, its origin, invasions, and the obtainment of the Sultans of such entire agreement of the Caliphate by the Moslems since their invasions of Egypt and the retirement of the rule of the last Caliph of Bany Al Abbas to Sultan Selim Al Awal. Then the Researcher casts a quick look upon the Ottomani Historical events until the begining of holding such responsibilities by Sultan Abdul Hameed II as a Caliph in 1876 and this lies in 17 pages.

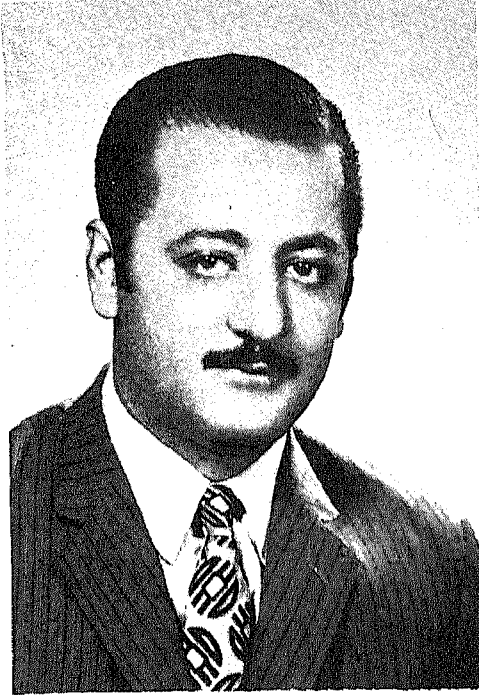
Part one was allotted to probe character of Al Sultan Abdul Hameed II concerning his men, happenings and events related to his period. This lies in 75 pages and it is divided into five chapters; the first dealt with Abdul Hameed's character, his childhood, his effects by mysticism of his uncle and brother and making him reach the rule accordingly. Then comes the rule of «Turkiah Al Fatah» in combating him. Chapter two deals with the achievements and Ottomani Reformatons happened before Abdul Hameed II and the trials of «Al Taghrib» which were concluded in such legislative, legal, administrative or military reformatons including dissolution of «Al Inkisharia» and foreign priveleges besides rebuildings, education, missions, experts constructions made by the «Sultans», «Wulats» in different states. Chapter three has to discuss such Motto of «Pan Islamic movement» and its Internal Regulations whereas chapter four has to deal with «Pan Islamic Movement» and its external Regulations. Chapter five has to treat such banner of the Pan Islamic Movement and the policy of connecting the same with railways between different states and peoples of the Ottomani Caliphate.

Part two lies in 73 pages allotted to deal with such subject of (Abdul Hameed II and the Pan Islamic Movement between Supporting and opposition). This part comes in three chapters; the first of which deals with the origin of such idea of Pan Islamic Movement within the limits of Sofi, Imami, Ishrakia Faith which said that caliph is considered as shade of Allah on the earth being the idea which is embraced by Abdul Hameed and his supporters.

Chapter two deals with the project of Pan Islamic Movement as being propounded in Abdul Hameed's period; then comes the period of Pan islamic Movement after the fall of Abdul Hameed II in 1909 calender year.

Then followed part three that was assigned to search for the effect of spreading the Western Culture in the Arab islamic World by missionaries and Orientalists, Chapter two deals with the problems of minorities which aroused disputes between «Ahl El Zimmah» being subjects of the Ottomani State and the Moslem subjects. Chapter three has to discuss the effects of arousing such Torani Racizim and the Turkish

المؤلف في سطور



* مواليد دمشق ١٩٣٩، تلقى فيها علومه الابتدائية والاعدادية والثانوية كما درس الحقوق في جامعة دمشق، ثم أنصرف لدراسة التاريخ وحصل على ليسانس الآداب من بيروت. وعلى دبلوم في الدراسات الإسلامية العليا «سنتين بعد الليسانس» من القاهرة كما حصل على دبلوم في الصحافة ودبلوم في الدراسات السياحية العليا بتقدير امتياز...

* حصل على الماجستير في التاريخ بتقدير جيد جدا في معهد الدراسات الإسلامية في القاهرة عام ١٩٧٩ عن رسالته الموسومة «السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الإسلامية».

* زار عددا كبيرا من العواصم العربية والاجنبية في رحلات صحفية وعلمية.. عمل في الصحافة والتدريس في وقت مبكر في كل من دمشق وبيروت والكويت ولندن وشغل عدة مراكز: محرر فسكرتير تحرير ثم مدير تحرير ورئيس تحرير، كما عمل رئيسا لدار نشر ولمركز أبحاث ومديرا عاما لبعض المؤسسات الصحفية..

* له عدة مؤلفات مطبوعة ولديه عدد من المخطوطات قيد الطبع..

* من مؤلفاته:

— أبحاث ودراسات في ملامح النهضة الكويتية الحديثة.

— عودة الى أم القرى.

— رجال من الكويت.

— قضايا ملحة.. وحلول منسية.

— نظرات اسلامية في الاقتصاد المعاصر.

— التربية وكرت الغد.

— من ايفران الى عمان... وطن واحد.

— عشرون عاما في الاعلام الكويتي.

* يعد لنيل الدكتوراة حول بحثه: تاريخ الصحافة والإعلام في الكويت في الفترة بعد الستينات في جامعة اكستر ببريطانيا.

* حقق وراجع عدة مؤلفات وترجمات منها:

— ايران.. دراسة في جذور الصراع ل: أ.د. محمد عبدالغني سعودي

— يهود ايران ل: بروفيسور دكتور: ي. سندلير

* عضو في اتحادات الكتاب العرب السوريين بدمشق، الصحفيين العرب السوريين بدمشق، الصحفيين العرب بالقاهرة، المؤرخين العرب ببغداد، اتحاد الصحافة البريطانية بلندن، الاتحاد العالمي للصحفيين.

* عضو في جمعيات: الصحفيين الكويتية، المعلمين الكويتية، الخريجين الكويتية، التاريخية المصرية بالقاهرة.

MOUAFFAQ BANY AL - MARJEH.

Particulars : Man of letters, journalist, historian and researcher, of Syrian nationality.

Qualifications : BA in History (1971) from Beirut Arab University; Higher Islamic Studies Diploma (1973) Cairo; MA in Islamic History from Ain Shams university (1979) in Cairo.
Diploma in journalism; diploma in higher tourist studies; studied law.

Member of: Arab Writers Association in Damascus; Arab Journalists Association in Damascus; Arab Journalists Association in Cairo; Kuwaiti Journalist-, Teachers - and Graduate Societies; Egyptian History Society; Arab Historians Association in Baghdad; Kuwaiti Art Critics Society; Literary Criticism Committee in Damascus; Cinema Club in Kuwait.

Career: Worked in the press at an early age as columnist, essay writer and reporter, prepared press and literary studies, worked in the news field with the Arab East News Agency, participated in a number of radio and television programs. Took up several posts in the press as editorial secretary, editorial director and general manager in several dailies and weeklies in Damascus and later in Kuwait.

Some of his articles were translated into English in the Lebanese and Kuwaiti English dailies. Some were translated into French, Portuguese and Mexican papers.

Senior teacher of humanities since 1970 at the Kuwait Government secondary schools, participated in some educational committees, assisted in the development of history syllabii and humanities in general and was member of the Educational Work Committee for several years.

Works: Pulpished several works on various topics and visited many Arab, European, African and Asian countries.

Of his published works:

- * Thoughts and Studies in Arabic Literature (Damascus 1960)
- * Researches and Studies on Kuwait Development - 4 Parts (Kuwait 1965 - 1969)
- * Men of Kuwait
- * Urgent Issues and Forgotten Solutions
- * Education and the Kuwait of Tomorrow ... Half a Century of Struggle
- * Twenty years in the Kuwaiti Information Media
- * From Everan to Oman
- * A Homeland, A Thought and Men
- * Return to Umm Al-Qura 1978

Revised and verified several works.

**THE
AUTHOR**

فهرست

الصفحة	الموضوع
١	الاهداء
٩	من اقوال ومواقف السلطان عبدالحميد الثاني
١٠	الخلافة الاسلامية قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي
١١	العهد الحميدي قصيدة للشاعر العلامة جميل صدقي الزهاوي
١٢	السلطان عبدالحميد .. شاعراً قصيدة لعبدالحميد الثاني
١٣	كلمة الناشر للاستاذ أحمد عبدالله الفليج
١٥	نحو من التقديم للاستاذ الدكتور شاکر مصطفى
١٨	السلطين والخلفاء العثمانيون (شجرة بني عثمان)
١٩	مقدمة المؤلف
٣٧	التمهيد (العرب والخلافة العثمانية)
	(دولة آل عثمان — النشأة — الفتوح — الخلافة)
٥١	الباب الأول: (السلطان عبدالحميد الثاني)
	(الشخصية — العصر — الرجال — الاحداث) ..
٥٣	أ — الفصل الاول: شخصية عبدالحميد ودور مدحت وتركيا الفتاة
٢٩	ب — الفصل الثاني: الانجازات والاصلاحات العثمانية قبل عبدالحميد الثاني.
٨٥	ج — الفصل الثالث: شعار الجامعة الاسلامية وتطبيقاته الداخلية
١٠٠	د — الفصل الرابع: شعار الجامعة الاسلامية وتطبيقاته الخارجية
١٠٨	هـ — الفصل الخامس: شعار الجامعة الاسلامية وسياسة الربط بالخطوط الحديدية .
١١٩	الباب الثاني: (عبدالحميد الثاني والجامعة الاسلامية بين التأييد والمعارضة) ..
١٢١	أ — الفصل الأول: جذور الجامعة الاسلامية في الصوفية الامامية الاشراقية ..
١٢٦	ب — الفصل الثاني: مشروع الجامعة الاسلامية في عهد عبد الحميد.
١٤٩	ج — الفصل الثالث: فكرة الجامعة الاسلامية بعد سقوط عبدالحميد
١٦٣	الباب الثالث: (الغزو الفكري الغربي للمجتمع الاسلامي)
	(مقاومة الجامعة الاسلامية بالنعرات العنصرية والطائفية)
١٦٥	أ — الفصل الاول: دور الارساليات التبشيرية والمستشرقين في تدمير «نظام الملة» العثماني.
١٧٤	ب — الفصل الثاني: اثاره قضايا الاقليات واشعال الفتن بين أهل الذمة والمسلمين.
١٨٨	ج — الفصل الثالث: الطوارنية ونزعة التتريك في الادب والسياسة والفكر.
٢٠٠	د — الفصل الرابع: رد الفعل العربي (إشهار لغة القرآن الكريم وإحياء الفصحى)

٢١١	الباب الرابع : (المواجهة بين السلطان عبدالحميد وخصوم الخلافة العثمانية).
٢١٣	أ - الفصل الأول : حفاظ عبدالحميد على فلسطين والديار الاسلامية.
٢٢٨	ب - الفصل الثاني : استياء الصهيونية والاستعانة بالماسونية العالمية واستغلال الامتيازات الاجنبية.
٢٤٢	ج - الفصل الثالث : الدوغة وتسخير الامتيازات الأجنبية لحماية خصوم الخلافة.
٢٩٥	الباب الخامس : (الصليبية الجديدة ودورها في الغاء الخلافة)
٢٦١	أ - الفصل الأول : المستشرقون وبعث الروح الصليبية في الاستعمار الأوربي.
٢٦٥	ب - الفصل الثاني : بريطانيا والحلفاء و «الكماية» ارمسترونج والمخابرات وراء «أتاتورك».
٢٨٥	ج - الفصل الثالث : الانكليز وثورة «العرب» لورنس وتتويج فيصل بعد الحسين.
٣٠١	الباب السادس : (الحلم الفرنسي القديم بامبراطورية الشرق)
٣٠٣	أ - الفصل الأول : الجمعيات التركية السرية في رعاية فرنسا.
٣٠٧	ب - الفصل الثاني : الجمعيات العربية السرية في أحضان الأم الحنون.
٣١٢	ج - الفصل الثالث : المؤتمر العربي الأول في عاصمة «النور والحرية».
٣٢٨	د - الفصل الرابع : جمال باشا وقضية «الشهداء» في بيروت ودمشق.
٣٣٥	الباب السابع : (الخلافة والجامعة الاسلامية غروب وشروق)
٣٣٧	أ - الفصل الاول : الأفغاني ومدرسته في الجامعة الاسلامية.
٣٥٢	ب - الفصل الثاني : الحركات الاصلاحية والجامعة الاسلامية (السلفية - الشوكانية - المهديّة - السنوسية)
٣٦٣	ج - الفصل الثالث : الخلافة العربية في الوثائق البريطانية
٣٦٨	د - الفصل الرابع : الجامعة الاسلامية والفكر المعاصر (الخلافة في الشريعة بين الوجوب والنفي)
	خاتمة : ارهاصات اليقظة الاسلامية.
٣٩٩	الوثائق والملاحق والجداول
٤٩٣	المصادر والمراجع العربية والأجنبية

٤٩٥	المصادر الأصلية - المقابلات والمذكرات السياسية والوثائق
٤٩٦	المصادر الرئيسية
٤٩٨	الكتب والدراسات العربية
٥٠٢	المصادر باللغة التركية
٥٠٤	المراجع والدراسات الأجنبية
	تقرير علمي حول الكاتب والكتاب
	مقتطفات مما نشرته الصحف والمجلات العربية والأجنبية حول الكاتب والكتاب
	تعريف بالمؤلف
	ملخص الكتاب باللغة الانكليزية

فهرست الخرائط

٤١	خريطة مبسطة لاستانبول
٤٢	خريطة العثمانيين ودولتي الممالك والصفويين ١٥١٢ م
٤٤	خريطة الجيوش العثمانية حول القسطنطينية
٤٥	خريطة الدولة العثمانية في أقصى اتساعها أواخر القرن السادس عشر
٤٨	خريطة تفكك الدولة العثمانية
٩٧	خريطة أرمنية والمناطق المجاورة لها
١١٠	خريطتان للخط الحديدي الحجازي
١٨٠	خريطة التوزيع الطائفي في لبنان
١٨٢	خريطة مشروع الدويلات الطائفية بلبنان
١٨٢	خريطة المطامع والمشاريع «الاسرائيلية» بالمياه العربية
٢٢١	خريطة التوسع الاستيطاني الصهيوني
٢٣٤	خريطتا «مملكة سليمان وداود» كما تخيلهما هرتزل
٢٣٨	خريطة مشروع الخط الحديدي بين دول مجلس التعاون الخليجي
٣٣٠	خريطة سايكس - بيكو ١٩١٦ م والاتفاقية
٣٣٢	خريطة «مهد الأمة المارونية»
٣٣٤	خريطة أقسام سورية الادارية في العهد العثماني

فهرست الوثائق

الصفحة

الموضوع

٥٩	مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني بخط يده
٧٦	البلاغ السلطاني باعلان ولادة عبدالحميد الثاني ونموذج توقيعه
١٠٢	صورة لرسائل من آن بلند الى جمال الدين الأفغاني
١٣١	أحد بيانات الأفغاني (ويبرز من خلاله الصراع الفرنسي - الانكليزي)
١٤٢	الأمير شكيب أرسلان ووثائق من المغرب
١٨٤	برقية الصدر الأعظم سعيد الى مدحت باشا حول فتنة لبنان ١٨٦٠م
١٨٥	كتاب ريتشارد قلب الأسد وجواب صلاح الدين الأيوبي
٢١٩	صورة وثيقة وعد بلفور
٢٢٦	صورة وثيقة حول استراتيجية «اسرائيل» في الثمانينات
٢٥٧	وثيقة : السفير الانكليزي بالآستانة يكشف المؤامرة الماسونية - الصهيونية
٢٧٧	وثيقة : الخارجية الروسية القيصرية تكشف مطامع جمال باشا بالسلطنة
٣٠٠	من وثائق الحكومة العربية بدمشق ١٩١٨م
٣٠٥	من وثائق مؤتمر باريس ١٩١٣م والاعداد لثورة ١٩١٦م
٣٤٢	وثيقة طلب انتساب جمال الدين الأفغاني للماسونية بمصر (بخط يده)
٣٤٣	وثيقة انتخاب جمال الدين الأفغاني رئيساً لمحفل كوكب الشرق الماسوني بمصر
٣٤٤	صور رسائل آن بلند زوجة ضابط الاستخبارات البريطانية للأفغاني
٣٤٦	صورة تقرير الأفغاني عن الصحف المرفوع لعبدالحميد الثاني (بخط يده)
٣٤٧	صورة طلب الأفغاني من عبدالحميد تدريس أحد كتبه بالمدارس العثمانية (بخط يده)
٣٦٣	وثيقة : رأي المراغي في الخلافة الاسلامية
٣٦٦	وثيقة : رأي الميرغني في الخلافة الاسلامية
٣٦٧	وثيقة : الشريف حسين والخلافة العربية
٤٠١	معاهدة الامتيازات الأجنبية بين الدولة العثمانية وفرنسا ١٧٤٠م
٤٠٤	رسالة البابا بولس الخامس الى فخر الدين المعني الثاني واتفاقية الدول الكبرى ١٨٦٠م
٤٠٥	معاهدة لندن ١٨٤٠م
٤٠٧	ملحق معاهدة لندن ١٨٤٠م
٤٠٨	وصية مدحت باشا للاتحاد والترقي
٤٠٩	تقرير الأطباء عن حالة السلطان مراد الخامس قبل خلعه وخطاب وفتوى الخلع
٤١٠	فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني
٤١١	بلاغات عن الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني
٤١٢	خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات
٤١٣	بيان اللورد بالمستون حول الفتنة بلبنان ١٨٦٠م
٤١٤	الوثائق الموجودة لدى القنصلية الفرنسية بدمشق وبيروت ١٩١٥م

٤١٥	وثائق إتهام الديوان العرفي بعالیه ١٩١٥ — ١٩١٦ م
٤١٦	وثيقة حول موقف النصارى العثمانيين والمطالبة بالحماية الفرنسية
٤١٨	كتاب السفير الفرنسي بالقاهرة للخارجية بفرنسا حول إمارة آل العظم السورية
٤١٩	كتاب إتهام فايز الغصين بالاتصال بالقنصل الانكليزي بدمشق
٤٢٠	أول إتصال بين بريطانيا والشريف حسين ١٩١٥ م
٤٢٠	كتاب الشريف فيصل للأمير سعيد الجزائري وبلاغ الشريف ناصر حول الحكومة العربية السورية
٤٢١	اللائحة الداخلية لجمعية (العربية الفتاة)
٤٢٩	مؤسسو وأعضاء (الجمعية العربية الفتاة)
٤٣٠	اللائحة الاصلاحية لجمعية البصرة الاصلاحية
٤٣١	برنامج حزب اللامركزية الادارية العثماني (القاهرة)
٤٣٢	إتفاقية باريس بين الاتحاديين وفرنسا ١٩١٣ م
٤٣٣	إتفاقية سايكس — بيكو ١٩١٦ م
٤٣٤	نص وعد بلفور ١٩١٧ م
٤٣٥	منشور الشريف حسين حول الثورة ١٩١٧ م
٤٣٦	معاهدة فرساي (مؤتمر الصلح بباريس) ١٩١٩ م
٤٣٦	قرارات مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ م
٤٣٨	نص القانون الأساسي العثماني (المشروطة الأولى) ١٨٧٦ م
٤٤٧	نص تعديل مواد دستور ١٨٧٦ م (المشروطة الثانية) ١٩٠٨ م

فهرست

الأشكال والجداول والصور المهمة

١٨	السلطين والخلفاء العثمانيون
٥٧	أسرة عبدالحميد الثاني في صور
٦٣	عبدالحميد الثاني في صور
٧٨	قصور الخلافة العثمانية في صور
٨٠	ألوان من الحضارة العثمانية في صور
٨٢	من الفولكلور العثماني
٩١	نماذج من حملات التضليل .. في صور
١٢٠	جدول : أشهر الطرق الصوفية
١٥٠	الشيخ عبدالعزيز الجاويش في صور
١٦٢	تعليمات نابليون بونابرت الى بوفوازين وخطاباته لأحمد باشا الجزائر
١٦٩	مراكز الغزو الفكري في صور
١٨٦	جدول : الأقليات في المجتمع العثماني

١٩٥	صور أغلقة بعض المجلات والصحف في العهد العثماني
٢١٤	لقطة نادرة لعبد الحميد لحظة مواجهته للماسونيين الأربعة حين خلعه من الخلافة
٢١٧	زعماء الانقلاب الاتحادي في صور
٢١٩	اللورد آرثر بلفور في صور
٢٢٢	القدس الشريف في صور
٢٢٦	الاستيطان الصهيوني والارهاب في صور
٢٢٩	الماسونية شعارات وألغاز ومؤامرات
٢٣٠	بعض أنصار عبد الحميد الثاني في صور
٢٣١	مشروع هيكل سليمان
٢٣٣	الماسونية وفضيحة المحفل الايطالي في صور
٢٣٥	أقطاب العالم في عصر عبد الحميد .. في صور
٢٤٠	القضية الفلسطينية في صور
٢٦٧	رجال في خدمة الماسونية والصهيونية
٢٨٢	مصطفى كمال في صور
٢٩٣	فيصل الأول ملك سورية في صور
٢٩٦	حسين شريف مكة وأسرته في صور
٣٠٨	أعضاء حزب الاستقلال بدمشق والمنتدى الأدبي باستانبول في صورتين
٣١٢	مقررات مؤتمر باريس ١٩١٣ م وأسماء المشاركين فيه ومؤيديه
٣٢٩	صور «شهداء» ١٩١٥ - ١٩١٦ م
٣٣٤	جدول : أحداث الثورة العربية بالحجاز ١٩١٥ - ١٩٢٠ م
٣٥٠	صور جمال الدين الأفغاني .. الحسيني .. الكابلي .. الفارسي
٣٥٣	الشيخ محمد عبده في صور
٣٥٥	صورة خرائب «العيننة» موطن رائد «السلفية» الحديثة
٣٥٨	مؤتمرات القمة الاسلامية
٣٨٨	من رواد الصحوة الاسلامية
٣٩٠	من الخلافة الى الجمهورية في صور
٣٩٢	زعماء تركيا الحديثة في صور
٣٩٦	من الهزبة الى الصحوة في صور
٤٤٩	شرح لبعض المصطلحات العثمانية
٤٦٣	ولاة الشام في العصر العثماني من ١٥١٧ - ١٩١٨ م
٤٦٧	خلفاء آل عثمان بين ١٥١٢ - ١٩٢٤ م
٤٦٨	الخلفاء في عهود الدولة الاسلامية (شجرة الخلافة الاسلامية)
٤٧٠	أهم الحوادث التاريخية - قبيل الفتح العثماني للبلاد العربية ١٢٣٠ - ١٩٨٤ م



Sultan Abdul - Hameed II

Publisher's Address:
AHMAD A. AL-FELAIJ
Saqr Al- Khaliej
B.O.Box 4594, Safat - Kuwait

All rights are reserved for the author
Author's Address:



CHAIRMAN

INTER—INFO Co.

Shuruke

P.O. Box 19 London N 2 8HN U.K Tel : 01—3469935

B.O.Box 616, Safat - Kuwait

Printed in Kuwait - May 1984. by Dar-AlKuwait Printing Co.
(Al-Anba) - Kuwait

The Awakening of the Sick Man

**Sultan Abdul - Hameed II
And
The Islamic Caliphate**

by :-

MOUAFFAQ BANY AL - MARJEH

كاتبٌ في كتاب



• .. ومن أجل المادة العلمية اللازمة للبحث، تجول الباحث (مولف بني الرحة) بين عدة دول ومدن أوروبية وغربية، وأطلع على كثير من الوثائق السياسية، كما إتصل بكثير من الشخصيات البارزة، وقضى عدة سنوات في إعداد هذا البحث، وحرص على توثيق الحقائق التاريخية، وإهتم بالصياغة العملية، واتصف أسلوبه بالسلامة والتشويق والوضوح، وساعده عمله الصحفي الطويل على إجادة أسلوب العرض، وطرح الأفكار ومناقشتها، فقلبه قلم خبير راسخ.

أ.د. علي حسي الحروبوطي

• .. وهذا الكتاب إذن وجهة نظري. وأياً كان موقفك منها فانك لابد أن تعطيها مكانها من التفكير والتدبر. بل! إن صاحبه ذبح فيه بعض البقرات المقدسة. ولكن أليس يستحق لهذا نفسه أن يقرأ وأن ينزل ساحة الجدل وأن يأخذ مكانه لا من المكتبة العربية ولكن من الفكر العربي؟

أ.د. شاكر مصطفى

ولا ريب في أن إنتشار هذا المؤلف التاويخي، حول «صحة الرجل المريض» من شأنه أن يسهم في تصحيح بعض المفاهيم والأفكار المغلوطة، أرجو أن يحظى هذا الكتاب وصاحبه بالتقدير حيث أنه أضاف رصيداً علمياً جديداً إلى المكتبة العربية، ينبغي الشكر عليه.

سمو الأمير الدكتور

تركي بن محمد بن سعود الكبير

من كان يرضى أن يتهم الأفغاني وعبداه بالارتباط بالماسونية لولا الوثائق التي قدمها المؤلف في طبق من الأمانة والصدق؟

د. فيض مصطفى فارس

